التاريخ العام لليمن

التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي
منذ بداية تاريخ اليمن القديم وحتى العصر الراهن

اليمن في موكب الإسلام

محمد يحيى الحداد

المجلد الثاني

مكتبة الإرشاد
صنعاء


التاريخ العام لليمن
محمد يحيى الحداد
٢
مكتبة الإرشاد


التاريخ
العام لليمن

التاريخ العام لليمن

التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي
منذ بداية تاريخ اليمن القديم وحتى العصر الراهن

اليمن في موكب الإسلام



الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م

أودع بدار الكتب ــ وزارة الثقافة ــ صنعاء
برقم ٢٥ لسنة ٢٦ / ١ / ٢٠٠٨ م



مكتبة الإرشاد

شارع ٢٦ سبتمبر - صنعاء - ص.ب: ٣٠١٩
هاتف: ٢٧٢١٩٠ - ٢٧١٦٧٧ - ٢٧٩٢٨٩
الجمهورية اليمنية

التاريخ العام لليمن

التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي
منذ بداية تاريخ اليمن القديم وحتى العصر الراهن

اليمن في موكب الإسلام

محمد يحيى الحداد

المجلد الثاني

مكتبة الإرشاد
صنعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل تأريخي جغرافي عام*

أطلق (اليونان) و(الرومان) القدماء صفة (أرابيا فلكس) أي (العربية السعيدة) على (اليمن) بحدوده الطبيعية ، والتي تشمل (الجمهورية العربية اليمنية) في الشمال ، و(جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية) في الجنوب ، وهما وحدة طبيعية لا تتجزأ .

ويشمل اليمن الطبيعي مع ذلك (الربع الخالي) و(عُمَان) بضم العين وفتح الميم مخففاً ، وذلك في بعض آراء المؤرخين والجغرافيين ، كما يشمل كثيراً من جزر البحر الأحمر المحاذية للسواحل اليمنية في الغرب والجنوب الغربي ومنها جزيرة (مصيرة) التابعة لعُمان في جنوب الخليج العربي .

ومن[1] أهم الجزر اليمنية جزيرة (كمران) المحاذية من الغرب للصليف والتي تبعد عنه بنحو ثلاثة كيلومترات ، وهي من كبريات الجزر اليمنية في البحر الأحمر ، والى الشمال الغربي والجنوبي من الجزيرة تقع قريتا (مكرم) و(يمن) ويسكنهما صيادو الأسماك من أهل كمران ، وفي منخفض جزيرة كمران وعلى بعد ثلاثة كيلومترات تقريباً الى الشرق منها توجد بقايا قرية فارسية على ما يعتقد .

---

* هذا هو القسم الثاني من الكتاب ، وهو ثلاثة فصول : اليمن في موكب الإسلام ؛ اليمن الحديث ؛ اليمن المعاصر .

وقد اطلقت على الفصل الأول من هذا القسم اسم (اليمن في موكب الإسلام) لتمييزه عن الفصلين الثاني والثالث منه وهما : (اليمن الحديث) و (اليمن المعاصر) .

(١) الأستاذ حمزة علي لقمان في كتابه (تأريخ الجزر اليمنية) من ص ٧ بتصرف .

وجزيرة (زقر) المحاذية لساحل بلاد زبيد من الغرب ، والتي يبلغ ارتفاعها في شمالها بنحو (٦٢٤) قدماً عن سطح البحر ، ونحو (٨٦٧) قدماً في جنوبيها .

وجزيرة (بريم) (ميّون) المحاذية لمضيق باب المندب من الغرب ، وتقسم الجزيرة المذكورة المضيق قسمين : (المضيق الصغير) شرق الجزيرة مما يلي باب المندب ، وعرضه نحو ثلاثة كيلومترات و(المضيق الكبير) غرب الجزيرة وعرضه واحد وعشرون كيلومتراً ، وتمخر السفن المضيق الصغير لخلوه من الجزر الصغيرة الموجودة في المضيق الكبير ، والمعروفة بالأخوات السبع وبالجزر السبع ، وقد اعطى اقتصار السفن في عبورها على المضيق الصغير الأهمية الكبيرة لباب المندب كممر وحيد بين البحر الأحمر والبحر العربي فبحر الهند .

وجزيرة (صيرة) الواقعة تجاه مدينة عدن) وتربطها بعدن طريق بري يتسع لعربة واحدة ، وفي وسطها جسر تمر من تحته قوارب صيد السمك ، ويرتبط تأريخ الجزيرة بتأريخ عدن ، لأنها المركز الأمامي في الدفاع عن ميناء صيرة التابع لعدن ، وعلى مر الزمن شيدت الحصون والأبراج على قمة جبلها وسفحه لتسيطر على مساحة واسعة من البحر ، وعلى السفن الداخلة الى الميناء والخارجة منه ، وفي بعض فترات تأريخ عدن كانت صيرة جمركها ، وكان فيها سجن لحكام عدن ، وقد لعبت الجزيرة دوراً هاماً خلال الغزو البرتغالي والمصري والعثماني والبريطاني ، وشاهدت كثيراً من المآسي والانتصارات ، ومنها تمكن البريطانيون من الإستيلاء على عدن واستعمارها في عام ١٨٣٩ والسيطرة منها على الجنوب باسم الحماية كما سنعلم ،وجزيرة (سقطرة) من بلاد مهرة احدى محافظات (جمهورية اليمن الديمقراطية لشعبية) ، حيث تتكون بلاد مهرة من قسمين : القسم الأول ويشمل جزيرة سقطرة وفيها كان مقر سلطان مهرة وعاصمتها (حديبو) ، أمّا القسم الثاني فيقع داخل حضرموت مما يلي الساحل حيث كان نائب السلطان في العاصمة الساحلية (قشن)

وجزيرة سقطرة اكبر الجزر اليمنية في خليج عدن والبحر العربي وتبعد

نحو ثلاثمائة ميل عن الساحل الغربي ، مساحتها نحو (١٤٠٠) ميل مربع ، وفي الجزيرة ثلاثة أماكن يمكن أن توصف بأنها مدن وهي غير « العاصمة حديبو وتدعى تماريد وقصوب وقلنسية ، ويقع الأول على الساحل الشمالي للجزيرة في سهل عرضه اربعة أميال ، وللمدينة منظر رائع جذاب بمنازلها المشيدة بين النخيل ، وفي هذا المكان كانت تقع العاصمة القديمة التي بقيت اطلالها والتي كانت تسمى (السوق) ، (مهرة) في النسب هو مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة من ولد الهميسع بن حمير بن سبأ .

وسكان (سقطرة) حوالي ثلاثين ألف نفس، أمَّا بقية (مهرة) في الداخل فعدد سكانه سبعون ألفاً .

وجزيرة (كوريا موريا) وهي خمس جزر محاذية لمهرة من الجنوب الغربي ، وتتكوّن جميعهامن صخور ترتفع قممها المخروطية بشكل واحد تقريباً ، وللجزر الخمس التي تتكون منها (كوريا موريا) أسماء خاصة بها وهي : (سودة) و(جبلية) و(حاسكية) و(غرزوت) و(حلانية) ، وهذه أكبرها والأهلة بالسكان ، ويبلغ عدد سكانها حوالي (١٥٠) نسمة فقط ، يعملون في تربية الأغنام ، وفي جمع سماد الطيور الذي يباع على بلدان الخليج العربي وحضرموت ، وقد كانت هذه الجزر تحت حكم حاكم بلاد (الشحر) التي كانت بدورها تابعة لـ (مهرة) ، أماَ في الوقت الحاضر فجميعها تابعة لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية . وضمن محافظة مهرة .

وتبعد هذه الجزر عن الشاطىء الجنوبي الشرقي لعُمَان بنحو خمسة وعشرين ميلاً ، ولغتها تشبه لغة مهرة التي يعتقد انها من بقايا اللهجة اليمنية القديمة المعروفة بالحميرية ، كما يعتقد انها تأثرت بكلمات ومصطلحات قليلة من لغة الساحل المجاورة لها بعامل الإختلاط عبر السنين .

وجزيرة (دهلك) وتقع جنوب البحر الأحمر مقابل (اريتريا) وهي الى اليمن اقرب ، وكانت منفى للعباسيين ، وملجأ لآل نجاح حينما يضطرهم الصليحيون الى الانسحاب من تهامة كما سنعلم في فصل (الصليحيون وآل

نجاح) ، وجزيرة (فرساي) المحاذية لـ (جيزان) من الغرب ، وغيرها جزر كثيرة عدّدها وفصلها الأستاذ حمزة لقمان في (تأريخ الجزر اليمنية) .

أما حدود اليمن الطبيعية غير جزره المذكورة فهي من الشمال (وادي تثليث) و(وادي الدواسر) عند بيشة وتبالة ، ومن الشرق (الخليج العربي) ومن الجنوب (البحر العربي) ومن الغرب (البحر الأحمر) .

وقد كانت الدول التي تعاقبت على اليمن تتقسمه في عدة دول وامارات متناحرة متحاربة في اغلب تأريخها .

وأول حكم يمني شمل اليمن جميعه بحدوده الطبيعية هو حكم (حمير) والذي اتخذ مدينة (ظفار رعين) ، في بلاد يريم عاصمة له ، وفي فترة محدودة من حكمه ، وامتد نفوذه مع ذلك الى خارج اليمن ، وقد تكون كل من دولتي (معين) في إبّان عهدها ، و(سبأ) في عهد ازدهارها واللتان سبقتا دولة حمير قد أرستا قواعد حكم يمني موحد أيضاً ، ثم جاء (الإسلام) فوحد اليمن في عهد الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم ، وفي عهد الخلفاء الأربعة من بعده (أبي بكر) و(عمر) و(عثمان) و(علي) .

ثم في عهد الدولة الأموية ، وشطر من عهد الدولة العباسية الى خلافة المأمون .

ومنذ هذا العهد بدأت الاضطرابات في اجزاء عديدة من اليمن ، محاولةً منها في الاستقلال عن العباسيين ، الأمر الذي حمل المأمون على ان يبعث (محمد ابن عبد الله بن زياد) لتكوين امارة في تهامة عرفت بامارة (آل زياد) بهدف ضبطها بالوالي المذكور ، وضبط بقية اجزاء اليمن بوالٍ أو واليين ، كما حدث منعاً للإضطرابات وتحقيق سيطرة الدولة الأموية على اليمن جميعه .

وبالرغم من ذلك فإن الاضطرابات استمرت وتكونت امارة آل يعفر في نجد اليمن وحضرموت في بعض فترات حكمهم ، وتعتبر هذه الإمارة هي أول امارة يمنية مستقلة عن العباسيين إلا من انتماء شكلي بهم لإضفاء الصبغة

الشرعية عليها .

وفي غضون حكم الإمارتين المذكورتين (آل زياد) و(آل يعفر) جاء الإمام الهادي (يحيى بن الحسين) من جبل الرس في الحجاز الى صعدة وأسس فيها أول حكم للأئمة الزيدية ، وفي بعض مناطق القسم الأعلى من اليمن كما امتد في هذا العهد نفوذ الفاطميين من الشام ومصر الى اليمن ، وقد حمل راية دعوتها وحكمها في اليمن الداعيتان (علي بن الفضل الخنفري اليمني) و(الحسن بن حوشب الكوفي) ، إلا أنّ علي بن الفضل حينما وطّد اركان دولته في اليمن وارسى قواعدها اعلن استقلاله عن الفاطميين ، والتخلي عن الدعوة الفاطمية ، واعلن في اليمن حكماً يمنياً مستقلاً عن الفاطميين والعباسيين معاً ، ووحّداليمن جميعه تقريباً في ظل علم ظلّ خفاقاً قرابة عشرين عاماً حتى دبر منافسوه اغتياله كما سنعلم عند التأريخ للدعوة الفاطمية الأولى في اليمن .

وقد عادت الدول والامارات التي كانت قبل ظهوره الى البروز من جديد بعد مقتله ، وكان نفوذ الإمام الهادي بالذات ينحسر في بلاد صعدة أو يمتد الى غيرها في القسم الأعلى من اليمن ، وذلك بحكم العوامل التي تحيط به وبالدول المنافسة له .

وقامت امارة (آل نجاح) خلفا (لآل زياد) اتسمت إمارتهم بالسنية ، وانتمت كذلك الى العباسيين ، ولكنه انتماء شكلي أيضاً .

كما عاصرتها ونافستها دولة (الصليحيين) التي تعتبر تجديداً لنفوذ الفاطميين الشيعة في اليمن ، واستطاع الملك الكامل أبو الحسن علي بن محمد الصليحي ان يوحد اليمن جميعه تقريباً في ظل حكمه . حتى تمكن الأمير (سعيد الأحول بن نجاح) امير تهامة من اغتياله .

وخلف (علي بن محمد الصليحي) ولده (المكرم احمد) الذي اتخذ (صنعاء) عاصمة لدولته ومركزاً لإقامته ، مستنيباً عنه زوجته الملكة (أروى بنت أحمد بن محمد الصليحي) في المنطقة الوسطى والمنطقة الجنوبية وتهامة ، واتخذت مدينة (جبلة) مركزاً لإقامتها وعاصمة لإمارتها .

وفي آخر أيام الملك المكرم وبعد ان استفحل فيه مرض الشلل اثرت عليه الملكة أروى بالانتقال اليها الى جبلة وأناب عنه في صنعاء القاضي (عمران بن الفضل اليامي الهمداني) .

ومن ثمة صار الهمدانيون هم نـواب الملك (سبأ بن أحمـد الصليحي) الذي شاطر الملكة أروى الحكم بعد وفاة الملك المكرم ، حيث اتخذ هو حصن اشيح (ظفار مخلاف بني سويد) في بلاد آنس مكاناً لإقامته ومركزاً لدولته حتى وفاته ولما توفى الملك (سبأ) تجزأ اليمن ، واستقلّ الياميون الهمدانيون بحكم صنعـاء وأعمالهـا ، واستقلوا مع ذلـك حتى عن الفاطميين، وكان أول هؤلاء السلاطين هو (حاتم المغلسي) .

كما استقل (بنو زريع) الجشميون الهمدانيون أيضاً بحكم عدن وأعمالها ، واستقلوا عن الملكة أروى في آخر عهدها ، ولكنهم لم يستقلوا عن الانتماء الى الفاطميين ، وكانوا هم نواب الصليحيين بعد (بني معين) كما سيأتي كل ذلك تفصيلاً .

ثم جاء الأيوبيون الى اليمن بعد ان قضوا على دولة الفاطميـين في مصر والشـام ، وقضوا عـلى امـارتي آل مهـدي وآل زريـع وكـانت هـذه هي الامارة الوحيـدة التي ما زالت تنتمي الى الفـاطميين ، بعـد وفاة الملكـة أروى ، كما قضى الأيوبيـون على غـير آل زريع من الـدول والامارات في اليمن ، ووحــدوا اليمن تقـريبــاً تحت رايتهم . إلا من نفــوذ محــدود لـلأئمة الـزيديـة معـاصـريهم ، ثم خلف الأيـوبيـين (بنـو رسـول) ، ووجدوا اليمن كذلك إلا من نفوذ محدود لأئمة الزيديـة في عهد الـدولة الرسولية الأول والذي انتهى بـالملك المؤيد داود بن يـوسف بن عمر بن علي رسول .

في حين اتسع نفوذ الأئمة منذ عهد الملك المجـاهد عـلي بن داود بسبب اشتغـاله بـالثـورات التي قـامت ضـده من أسـرتـه ومن الجيش، كـما سنعلم تفصيلاً .

ولما انتهى حكم (بني رسول) خلفهم وزراؤ هم (بنو طاهر) .

حتى جاء المماليك وقضوا على امارتهم بسبب مساندة منافسي آل طاهر لهم من الأئمة ومن اليمنيين ، وبسبب تفوق المماليك بالأسلحة النارية التي لم يكن لليمنيين آنذاك عهد بها .

وجاء الأتراك الى اليمن في اعقاب حكم المماليك بعد قضاء الأتراك على حُكم المماليك في مصر والشام بعد مقتل ملكهم (قانصوه الغوري) في مرج دابق ، وحكموا اليمن فيما يعرف بالحكم العثماني الأول في اليمن ،وقد بدأ حكم العثمانيين الأول في اليمن في منتصف القرن السادس عشر للميلاد ، القرن العاشر الهجري ، وفي القرن السابع عشر للميلاد القرن الحادي عشر الهجري استطاع الإمام القاسم بن محمد ان يبسط نفوذه في اليمن بعد دعوته ، وجاء ولده الإمام المؤيد الكبير (محمد بن القاسم) واستطاع بمساندة اليمنيين أن يخرج الأتراك من اليمن ، وأن يبسط أخوه المتوكل اسماعيل نفوذ دولة بيت القاسم في اليمن جميعه ، لفترة من الزمن ، حتى انفصل الجنوب عن حكم الأئمة منذ عهد المؤيد الصغير (محمد بن المتوكل اسماعيل بن القاسم) .

وجاء الأتراك الى اليمن في حكمهم الثاني له وذلك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر للميلاد (القرن الثالث عشر للهجرة) ، وبسطوا نفوذهم في أماكن كثيرة منه ، في حين احتفظ الأئمة الزيدية بنفوذ محدود لهم خلال ذلك وجاء الانكليز واحتلوا عدن في ٦ يناير من عام ١٨٣٩ م ١٢٥٥ هـ واستطاعوا بعد ذلك ان يبسطوا نفوذهم عن طريق الحماية على سائر مناطق الجنوب وعلى فترات مختلفة .

كما استطاع الأئمة اثر انسحاب الأتراك من اليمن بعد انهزام (المانيا) وحليفاتها ومنها (تركيا) في الحرب العالمية الأولى ان يبسطوا نفوذهم في جميع مناطق الشمال من اليمن ومن ثمة صار شمال اليمن يعرف بالمملكة المتوكلية اليمنية ، وصار الجنوب تحت نفوذ الانكليز ، مع احتفاظ السلاطين بنفوذ محدود في مناطقهم ، وظل الأمر كذلك في الشمال والجنوب ، حتى قامت ثورة السادس والعشرين من سبتمبر الظافرة في الشمال عام ١٩٦٢ م ١٣٨٢ هـ .

وبدأت شرارة الثورة في الجنوب من ردفان في ١٤ أكتوبر من عام (١٩٦٣ م ١٣٨٣ هـ ، والتي نجحت باستقلال الجنوب من حكم الاستعمار البريطاني ، ومن حكم السلاطين وذلك في ديسمبر من عام (١٩٦٧ م ١٣٨٧ هـ) وصار شمال اليمن يعرف بالجمهورية العربية اليمنية ، وجنوبه يعرف بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، وإننا لننتظر اليوم الذي يعود فيه اليمن شماله وجنوبه الى وحدته الطبيعية والسياسية والطبيعية والاجتماعية وفي إطار الوحدة العربية والإسلامية وما ذلك على الله بعزيز .

اليمن في مـوكب الإسـلام*

اليمن في صدر الإسلام

بُعث رسول الله ﷺ واليمن خاضع لحكم الفرس ، وإن كان حكمهم لم يكن تاماً ولا شاملاً لليمن ، وإنما كان محصوراً في صنعاء والمنطقة المجاورة لها ، وفي بعض الموانىء التجارية وبعض المدن الكبرى .

أمّا الأطراف والمدن الأخرى فكان الحكم والنفوذ فيها لسادات اليمن من الأقيال والزعماء ، حيث كان كل قيل وزعيم قبيلة يتمتع بنفوذ محلي لا سلطان لحكومة صنعاء عليه .

ولمّا عاد عليه الصلاة والسلام من صلح الحديبية الذي عقده مع قريش مكـة في شهر ذي الحجـة من العام السـادس للهجـرة بثّ رسله ورسـائله الى مختلف الملوك والقبائل في الاقطار العربيـة ، والى ملكي فارس والـروم ، ومن البلدان العربية التي بعث الرسول الكريم دعوته اليها (اليمن) حيث بعث اليه في شهر المحرم من العام السابع للهجرة عدداً من المبعوثين ، وكانت أول رسالة بعثها الرسول الكريم الى اليمن هي الى اقيال اليمن الحميريين آنذاك (النعمان والحارث ونعيم وعريب ومروح ابناء عبد كلال الحميري) ، وكانوا[1] يقيمون آنذاك في (ذي أبين) ، وقـد وصفوا بـأنهم أقيال رعـين ، ومعافـر وهمدان ، ويبدو من هذا الوصف بأنهم كانوا الأقيال البارزين في اليمن آنـذاك ، إلا ان النعمان[2] كان يسكن يوم ذاك في حصن حب بجبل بعـدان (من لواء اب) ،

---

* هذا العنوان هو مجرد اصطلاح للقسم الأول من تاريخ اليمن بعد الاسلام لتمييزه عن القسم الثاني منه وهو (تاريخ اليمن الحديث) والقسم الثالث منه وهو (تاريخ اليمن المعاصر) .

(١) الدكتور محمد امين صالح في كتابه (تأريخ اليمن الاسلامي) ص ٤١ .

(٢) الدكتور عصام الدين عبد الرؤ وف الـفقي في (اليمن في ظل الإسلام) ص (١٦) .

وذكرت الروايات انه كان يجبي من بلاد الحبشة وزيلع وجزيرة بربرة وغيرها ، وكان المبعوث اليهم هـو (المهاجـر بن أمية المخـزومي) ، وقد أمـره الرسـول الكريم بأن يدعو أول مايدعو هؤلاء الأقيال الحميريين، وأن يقرأ عليهم سورة ﴿ ألم يكن الذين كفروا ﴾ وأن يسلم اليهم كتابه الذي جاء فيه : « سِلْمٌ انتم ما آمنتم بالله ورسوله ، وانّ الله وحده لا شريك له ، بعث موسى بآياته ، وخلق عيسى بكلماته ، وقالت اليهود عزيز بن الله ، وقالت النصارى الله ثالث ثلاثة وعيسى ابن الله » .

ولقد اهتمّ الرسول الكريم بالحميريين في اليمن قبل غيرهم من القبائل اليمنية على اعتبار انهم آنذاك القوة الأساسية التي يجدر التفاهم معها في اليمن واصحاب النفوذ الواسع فيه .

كما راسل الرسول الكريم اساقفة (نجران) و(بني معاوية من كندة في بلاد حضرموت) و(بني ربيعة بن ذي المراحب) من حمير بحضرموت أيضاً ، يدعوهم جميعاً الى الإسلام .

وفادات اليمنين الأولى

ولقد جاءت الى الرسول الكريم في عامي (٩) و(١٠) للهجـرة وفود اليمنين ومبعوثيهم ، يعلنون إسلامهم وإسلام من وراءهم من اليمنيين ، ومن هؤلاء مبعوث (زرعة بن عامر بن سيف بن ذي يزن) وهو (مـالك بن مـرة الرهاوي) الذي حمل الى الرسول الكريم كتاب (زرعة بن عامر) المذكـور ، اعلمـه فيه بإسلامه و إسلام اقيـال اليمن (الحارث بن عبـد كـلال وأخـوتـه المذكورين ، وأنهم فارقوا الشرك وأهله ،) .

وأضاف (الخزرجي)[٣] قائلاً : « فكتب لهم رسـول الله ﷺ : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله النبي الى الحارث بن عبد كلال ونعيم

---

(٣) في العسجد المسبوك ص ١٣ .

ابن عبد كلال وإلى النعمان قيل ذي رعين ومعافر وهمدان[٤] ، أما بعد فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعـد فإنه قـد وقع بنـا رسولكم منقلبنا من ارض الروم ، فلقينا بالمدينة ، فبلغ ما أرسلتم ، وخَبّـر ما قِبَلكم وأتـانا بإسلامكم وقتلكم المشـركـين ، وإن الله قـد هـداكم بهـداه ، وإن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصّلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من الغنـائم الخمس وسهم النبي وصفيه ، وما كتب على المسلمين من الصدقة من العقار عشر مـا سقت العين وسقت السماء ، وعلى ما سقى الغرب نصف العشر ، وإنّ في الإبل الأربعون لبون ، وفي ثلاثين من الإبل لبون ذكر ، وفي كل خمس من الإبل شاة ، وفي كل عشر من الإبل شاتان وفي كل اربعين من البقر بقرة، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع أو جذعة ، وفي كل أربعين من الغنم سائمة واحدها شاه ، وأنها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقـة ، فمن زاد خيراً فهـو له ، ومن أدى ذلك وأشهد على اسلامه وظاهر المؤمنين على المشركين فإنه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم ، وله ذمة الله وذمة رسوله ، ومن كـان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يرد منها ، وعليه الجزية ، على كـل حالم ذكـر أو انثى حراً أو عبداً ديناران من قيمة المعافر أو عَرَضُهُ ثياباً فمن أدى ذلك الى رسول الله ﷺ فإنّ له ذمة الله وذمة رسوله ، فإن منعها فإنه عدوٌ لله ولرسوله .

اما بعد فإن رسول الله محمداً النبي ﷺ أرسـل الى (زرعة ذي يزن) إذا أتاكم رسلي فـأوصيكم فيهم خيراً ، (معـاذ بن جبل) و(عبـد الله بن زيد) و(مـالـك بن عبـاد) و (عقبـة بن نمـر) و(مـالـك بن مـرارة) وأصحابهم ، وإن أجمعوا ما عندكم من الصدقة من مخـاليفكم وأبلغوهـا إليَّ ، وإنَّ آمركم معاذ بن جبل فلا ينقلبنّ إلا راضياً .

أما بعد فإنّ محمد يشهد أن لا إله إلا الله وانـه عبده ورسـوله ، ثم إنّ مالك بن مرة الرهاوي قد حدثني انك اسلمت من أول حمير وقتلت المشركـين

---

(٤) هـذا الشمول إما لنفوذ الحميـريين يـوم ذاك الى همدان أو لتحـالف بين حمـير وهمدان اعـطى الحميريين اللقب المذكور .

فأبشر ، وآمرك بحمير خيراً ، ولا تخونوا ولا تخاذلوا فإنّ رسول الله ﷺ هو مولى غنيكّم وفقيركم ، وإنّ الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيتـه ، إنما هي زكـاة يزكـي بها على المسلمين وابن السبيـل ، وإنّ (مالكـاً) يعني (مالكاًبن مرارة الرهاوي) قد بلّغ الخبر ، وحفظ الغيب وآمركم به خيراً فإنـه منظور اليهم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

والرسل الذين بعثهم الرسول الكريم الى اليمن هم : (معاذ بن جبل) (وكان من خيرة شباب الأنصار) على رأس مجموعـة من الصحابـة من بينهم : (عبد الله بن زيد) و(مالك بن عبادة) و(عقبة بن نمر) و(مالك بن مرارة) آنفي الذكر لتعليم الناس وتفقيههم ، ولجمع الزكاة من المسلمين ، والجزية من اليهود والمسيحيين ، وحمّل الرسول الكريم (معاذاً) خطابـين احدهمـا الى بني (عبد كلال) يقرهم فيه على ما تحت نفوذهم في اليمن ، ويطلب اليهم تنفيذ احكام الإسلام ، والثاني الى (زرعة بن عامر بن ذي يزن) يوصيه خيراً برسله الذين بعثهم الى اليمن ، وهم معاذ بن جبل ورفاقـه المذكورون ، في الكتاب المذكور قبل هذا .

وروي أنّ الرسول الكريم قال لمعاذ حين بعثه الى اليمن : « بم تحكم يا معاذ ؟ فقال : بكتاب الله ، فقال لـه الرسـول : فإن لم تجـد ؟ فقال : بسنـة رسول الله ، فقال له : فإن لم تجد ؟ قال معاذ : اجتهد رأيي ، فقال الرسول الكريم : الحمد لله الذي وفّق رسول رسوله على الهدى » . ثم[٥] أوصاه بتقوى الله وأداء الأمانة وتوقي الخيانة ومجالسة المساكين والفقراء ، وأن يكون للأرملة كالزوج الصالح ، ولليتيم كالأب الرحيم ، وان يعلم الجاهل الخَيْر ، ويأمـر بالمعروف ، وينهي عن المنكر ، وأن يصبر على البلاء ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ، وأن ييسر ولا يعسر ، ويبشر ولا ينفر .

ومما قاله الرسول الكريم لمعاذ : « وقد بعثتـك الى قوم رقيقـة قلوبهم ، فقـاتل بمن أطـاعك من عصـاك ، واذا قدمت عليهم فـزيّن الإسلام بعـدلك

---

(٥) اليمن في ظل الإسلام ص ٢٩ .

وحلمك وصفحك وعفوك » .

والراجح أنّ تولية معاذ كانت عامة في اليمن ، بدليل انه لما قدم على بعض ولاة اليمن لتفقد المنطقة عرض عليه واليها رجلاً ارتدّ عن الاسلام ، فاستتابه معاذ فلم يتب فأمر بضرب عنقه ، وضربت قبل أن ينزل من على راحلته .

ولما قدم[٦] (معاذ) على صعدة أول مقدمه من المدينة الى اليمن أمر أهلها ببناء مسجد لهم ثم ودعهم وانصرف الى صنعاء ، ولما قدم اليها اجتمع بأهلها وألقى عليهم كتاب رسول الله ﷺ ، وقبل أن يغادر صنعاء أمر أهلها ببناء جامع لهم في بستان (باذان) وهو الجامع الكبير المعروف ، (ومن المعروف انه قد زيدت في الجامع المذكور عدة زيادات ومنها زيادة الوليد بن عبد الملك وزيادة الأمير محمد بن يعفر الحوالي وزيادة الملكة اروى بنت أحمد الصليحي من الجهة الشرقية من الجامع مما سيذكر في موضعه) ، ولما قدم معاذ الى الجند في أواخر جمادي الأولى اوائل رجب بنى فيه مسجده المعروف وقبل الزيادات التي ألحقت به ، وبعد اكماله اقيمت فيه صلاة الجمعة والتي صادفت أول جمعة من شهر رجب ، وقد فرح الناس واستبشروا بأن أعزهم الله بالإسلام وحررهم من الكفر والشرك ، لذلك اتخذ أهل اليمن الجمعة الأولى من كل شهر رجب عيداً لهم ، والف الناس اتيان جامع الجند في أول جمعة من شهر رجب للصلاة والذكرى .

• ولقد[٧] كانت (بكيل) من (همدان) من أولى القبائل اليمنية إسلاماً ، ذلك أنّ رسول الله ﷺ كان في مكة قبل الهجرة يعرض نفسه على القبائل العربية الوافدة في مواسم اسواق (المجنة) و(عكاظ) و(ذي المجاز) يدعوهم الى ان يمنعوه حتى يبلّغ رسالة ربه ، فقال (قيس بن مالك بن سعد بن لؤي)

---

(٦) نفس المصدر بتصرف ص (٣) ..

(٧) تاريخ اليمن الإسلامي ص ٤٢ .

من بني سفيان بن عليّان بن أرحب للرسول الكريم : « أتيتك لأؤمن بك وأنصرك » فقال الرسول الكريم : « مرحباً بك ، أتأخذوني بما فيَّ يا معشر همدان » قال : « نعم بأبي وأنت وأمي » قال الرسول : « فاذهب الى قومك ، فاذا فعلوا فارجع فأذهب معك » ، وعاد قيس الى قومه فأسلموا ، ثم جاء الى الرسول وقال له : « قد أسلم قومي وأمروني أن آخذك » فقال الرسول : « نِعْمَ وفد القوم قيس ، وفيت وفي الله بك » ومسح ناصيته ، وكتب عهده على قومه (همدان) احمورها وعربها وخلائطها ومواليها أن يسمعوا له ويطيعوا ، وأن لهم ذمة الله ورسوله ، ما اقاموا الصلاة وأتوا الزكاة ، وأطعمه ثلاثمائة فرق ، من خيوان مائتين زبيب وذرة نصفين ، ومن عمران مائة فرق ، جاريةً ابداً من مال الله ، ثم هاجر الرسول الكريم الى المدينة المنورة بوحي اوحاه اليه .

ثم قدم[٨] وفد همدان الكبير بعد الهجرة يضم خيارهم، وكان مؤلفاً من مائة وعشرين رجلاً منهم (ذو المشعار أبو ثور مالك بن سمط) و(مالك بن ايفع) و(عميرة بن مالك الخارفي) يؤكدون انتشار الاسلام في مخلاف (خارف) و(يام) و(شاكر) ، فأطعمهم الرسول ارضه وثماره وكان قدوم الوفد المذكور على رسول الله لدى مرجعه من تبوك ، وعليهم مقطعات الحِبْرات والعمائم العدنيّة برحال (مهرية) و(ارحبية) ، وقد قام (مالك بن نمط) بين

---

(٨) نفس المصدر والصفحة ، (الحيرات) هي الثياب اليمانية من قطن أو كتان مخطط واحدها حبرة ، (المهرية) هي نجائب الخيل المنسوبة الى (مهرة) وما يزال استعمال كلمة (مهر) و (مهرة) في الخيل الذكر والأنثى الى اليوم ، و(الأرحبية) نسبة الى ارحب . (الأنصية) الأخيار والأشراف ، (القلص) جمع قلوص وهو الفتى من الإبل ، (نواج) جمع ناجية بمعنى السريعة (لأنها تنجو بصاحبها) . (أهل السود والقود) أهل الإبل والخيل ، (لعلع) اسم جبل ، (اليعفور) الضبي ، (الضلع) القوة والشدة . (الأبدال) الأولياء (الأوتاد) الرؤساء ، (الفراع والوحاط والعزاز من الأرض) أعاليها ومنخفضها وأطرافها (العلاف) ما تعلفه الدواب ، (العافي) النبات الكثير الدفيء ، (الصرام) قطع النخل والمراد الزكاة ، (الثلب) الجمل الذي تكسرت انيابه من الهرم ، (الناب) الهرمة من الإناث (الفصيل) الصغير من الإبل ، (الفارض) المسن والهرم ، (الداجن) الحلوبة الملازمة للإنسان ، (الصالغ) البقر والغنم الذي كبر سنه ، (القادح)من الخيل في السنة الخامسة .

يدي رسول الله ﷺ فقال : « يا رسول الله أنصية من همدان من كل حاضر وباد ، أتوك على قلص نواج متصلة بحبائل الإسلام ، لا تأخذهم في الله لومة لائم ، من مخلاف (خارف) و(يام) و(شاكر) أهل السَّود والقود ، أجابوا دعوة الرسول ﷺ وفارقوا آلهة الأنصاب ، عهدهم لا ينقض ، ما أقامت(لعلع) وما جرى اليعفور بـ (ضلع) ، فقال الرسول الكريم : « نعم الحي همدان ما أسرعها الى النصر وأصبرها على الجهد ، ومنهم أبدال ، وفيهم أوتاد الإسلام » .

ثم كتب لهم كتاباً جاء فيه : (بسم الله الرحمن الرحيم ، كتاب من محمد رسول الله لمخلاف خارف ، وأهل خارف الهضب ، وحقاف الرمل ، مع وافدها (ذي المشعار مالك بن نمط) ، ومن أسلم من قومه ، على أنّ لهم فراعها ووهاطها وغرازها ، يأكلون علافها ، ويرعون عافيها ، لنا منهم من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة ، ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحموري ، وعليهم الصالغ والقارح ، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، لهم بذلك عهد الله وذمة رسول الله عليه السلام وشاهدهم المهاجرون والأنصار) .

ثم بعث الرسول الكريم بعد حجة الوداع (علي بن أبي طالب) الى اليمن ومعه (بردة الأسلمي) و(البراء بن عازب) فوصل (علي بن أبي طالب) الى صنعاء واستدعى ممثلي همدان فجاءته جموعهم ، وقرأ عليهم كتاب رسول الله ، فأسلموا ، فكتب للرسول يعلمه بذلك ، وروي انه سجد لله شكراً ، وقال (سلام على همدان) ثلاثاً ، وقدم (علي) بعد ذلك الى الرسول مع العديد من وفودهم ، ووافى الرسول في حجة الوداع .

وفي(٩) عام عشرة للهجرة والذي عُرف بعام الوفود تواردت الى المدينة وفود اليمن وغيره تعلن اسلامها واسلام من وراءها ، وتعود من عند رسول الله ومعها المرشدون والمعلمون من الصحابة لتفقيه الناس وارشادهم وتعليمهم امور

---

(٩) تأريخ اليمن الإسلامي من ص ١٠ .

دينهم ، وأخذ الزكاة من الأغنياء وصرفها في مصارفها الشرعية ، وكانت وفود اليمن اكثر عدداً لتعدد قبائلها ، ولأن اليمنيين أسلموا جميعهم في عهد الرسول الكريم ، ومن تلك الوفود اليمانية وفد (الأشعريين) من رِمَع وتهامة وفيهم (أبو موسى الأشعري) وأخواه (أبو بردة) و (أبو رهم) ، وكانت وفادتهم في السنة العاشرة للهجرة ، وقد صادفوا رسول الله وهو في (خيبر) فأسهم لهم الرسول من الغنيمة ولم يسهم لغيرهم ممن حضر القسمة ولم يحضر الوقعة ، وقد قال الرسول الكريم مخاطباً الصحابة عند قدوم وفد الأشعريين : « أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوباً وأرق افئدة ، الإيمان يمان والحكمة يمانية » .

ومنها وفد (حمير) برئاسة (مالك بن مرارة الرهاوي) والذي قدم الى المدينة سنة تسع للهجرة موفداً من قبل (زرعة بن عامر بن سيف بن ذي يزن) ورؤساء حمير كما سبق قبل هذا .

ووفد (مراد) يتقدمها (فروة بن مسيك المرادي) وقد بايع الرسول وتعلم القرآن وفرائض الاسلام وشرائعه ، وأجازهُ الرسول باثني عشر اوقية (لعلها من الذهب) وأعطاه حلةً من نسيج (عُمَان) واستعمله على (مراد) و(زُبَيد) (بضم الزاي وفتح الباء) و(مذحج) ، وبعث معه (خالد بن سعيد ابن العاص) على الصدقات ، كما كتب له كتاباً بيَّن فيه فرائض الزكاة ، وكان الرسول قد قال لفروة بن مسيك عند مقدمه اليه : « يا فروة هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرزم ؟ فقال : يا رسول الله : « من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الرزم ولا يسوؤه ذلك ؟ فقال الرسول : « أما إنّ ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً » ويوم الرزم معروف كانت فيه حرب بين (همدان) و(مراد) أخرجت فيه همدان (مراداً) من ارض الجوف الى حيث تقيم اليوم فيما يعرف ببلاد مراد (الجوبة) وغيرها .

ومن (زُبَيد) قدم الى الرسول الكريم (عمرو بن معديكرب الزبيدي) (بضم الزاي وفتح الباء) أيضاً ، يتقدم مجموعة من قومه وأسلموا جميعاً ، ومن (مذحج) قدم وفد (عنس مذحج) وأعلنوا اسلامهم جميعاً وكان منهم رجل

يدعى (ربيعة) لعله (زعيمهم) ، تناول عشاءه مع رسول الله واعلن إسلامه ، فقال له الرسول الكريم : « أراغباً جئت أم راهباً ؟ » فقال : « أمّا الرغبة فوالله ما في يديك مال ، وأمّا الرهبة فوالله إني لببلدٍ ما تبلغه جيوشك، ولكني خُوّفت (أي من الله) فخفت ، وقيل لي آمن بالله فآمنت » .

وقدم وفد (الرهاويين) من (مذحج) أيضاً وعددهم خمسة عشر رجلاً ، وأهدوا لرسول الله هدايا منها فرس يقال له المرواح واجرى بين يدي الرسول فأعجبه وتحدث اليهم الرسول طويلاً ، فأسلموا وتعلموا الفرائض وأجازهم الرسول الكريم كما يجيز الوفود (أرفعهم اثنا عشر اوقية وأخفضهم خمس أواق) ثم عادوا الى بلدهم .

وقدم وفد (النخع) من مذحج أيضاً .

ومن (كندة) وفد (الأشعث بن قيس الكندي) في ثمانين راكباً وهم في احسن زينة واجمل لباس ، وأجازهم الرسول عند عزمهم على العودة بعشر أواق لكل فارس وأجاز الأشعث باثني عشر أوقية .

كذلك[10] قدمت(تجيب) (بطن من كندة) في ثلاثة عشر رجلا ، ومعهم صدقات أموالهم ، فُسُرَّ بهم الرسول ورحب بهم واكرم منزلتهم وأعطاهم أكثر مما يجيز به .

وقدم مع وفد (كندة) الى المدينة (بنو ربيعة) من ملوك (حضرموت) فأسلموا .

ووفدت (الصُّدُف) من بلاد حضرموت في بضعة عشر رجلاً ، فجلسوا في مسجد رسول الله ﷺ ولم يسلّموا ، فقال لهم الرسول الكريم : « أمسلمون أنتم ؟ فقالوا : « نعم ، فقال لهم : « أفلا سلّمتم ؟ » فقالوا : « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » فقال : « وعليكم السلام اجلسوا » فجلسوا

(١٠) الدكتور نزار عبد اللطيف الحديثي في كتاب (أهل اليمن في صدر الاسلام) من صفحة ١٠١ .

وسألوا الرسول عن أوقات الصلاة ، فأخبرهم .

ومن (حضرموت) قدم الى الرسول الكريم (وائل بن حجر) قَيْل حضرموت وملكها ، وقد بشّر النبيُّ اصحابه بقدومه قبل أن يصل بأيام بأن قال : « يأتيكم (وائل بن حجر) من أرض بعيدة من (حضرموت) طائعاً راغباً ، وعند منصرفه من المدينة كتب الرسول معه كتاباً جاء فيه : « هذا كتاب من محمد النبي لـ (وائل بن حجر) قيل حضرموت انك اسلمت ، وجعلت لك ما في يدك من الأرضين والحصون وأن يُؤْخَذ من كل عشرة واحداً ، ينظر في ذلك ذو عدل ، وجعلت لـك ألا تظلم فيهـا ما قـام الدين ، والنبي عليـه الصلاة والسلام عليه أنصار » وكان الرسول قبيل مقدم (وائل بن حجر) قد أمر معاوية بأن يستقبله وأن ينزله في منزل أُعدَّ له بالحرة في ظاهر المدينة ، وأمر بأن يُنادى في الناس ليجتمعوا تعبيراً عن ابتهاجهم بمقدمه ، وأن يستقبلوه .

واكمل (ابن سعد) في الطبقات)[11] القصة فذكر أنَّ معاويـة لما قـام بمرافقته الى الحرة مشى (معاوية) و(وائل) راكب ، فقال معاوية مخاطباً له : « الق إليَّ نعلك أتوقَّ بها من الحر » فقال له وائل : « لا يبلغ أهل اليمن أنَّ سوقة لبس نعل ملك » فقال له معاوية : « اردفني » فقال له وائل : « لست من أرداف الملوك ، ولكن ان شئت قصرتُ ناقتي فسِرت في ظلها فأتى معاوية النبي وأخبـره بما دار بينـه وبين وائـل ، فقـال النبي ﷺ :«إنّ فيـه لعُبيَّـة من عبيّـة الجاهلية » .

ومن (حضرموت) جاء ايضاً الى الـرسول الكـريم (طارق بن سـويد الحضرمي) وسأل الرسول عن أعناب بأرضهم يعصرونها ويشربونها شفاء بها ، فقال النبي : « ليس ذلك شفاء ولكنه داء » .

وبالمثل سأل (أبو وهب الجيشاني) رسول الله ﷺ حينما قدم عليـه على رأس وفد جيشان عن أشربة لهم ، وسمُّوا النبيذ من العسل ، والمزر من الشعير يسكر اذا اكثرها من شربها فقال الرسول : « حرام قليله ما اسكر كثيره » وقال

(١١) الجزء الأول صفحة ٢٨٧ .

الرسول الكريم : « كل مسكر حرام » .

ومن (مهرة) قدم وفد برئاسة (مهري بن الأبيض) فأسلموا على يد رسول الله ﷺ ، وكتب لهم : (بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا الكتاب من محمد رسول الله لمهري بن الأبيض على من آمن به من مهرة ، وعليهم إقامة شعائر الاسلام ، فمن بدّل فقد حارب ، ومن آمن به فله ذمة الله وذمة رسوله) .

أمّا (نجران) فكان فيها المسيحيون والمشركون ، ولذلك اختلفت سياسة الرسول إزاءهم ، فأمّا نصارى نجران فإنهم وفدوا على رسول الله في أربعة عشر رجلاً ، وفيهم (العاقب) أمير القوم وصاحب رأيهم ومشورتهم ، و(السيد) صاحب رحلهم ومجتمعهم ، و(الأسقف) (أبو الحارث) صاحب مدارسهم، وقبل الرسول الكريم بقاءهم على دينهم نظير دفعهم الجزية .

ويظهر[١٢] من الصلح الذي عقده الرسول مع نصارى نجران انه اعترف لهم بمكانة خاصة اقرب الى حالة الاستقلال الذاتي ، بدليل انه ترك لهم حاصلهم الزراعي والمعدني والصناعي والتجاري ، وترك لهم الرقيق ، واعترف لهم بادارة شؤون نجران وحاشيتهم ، وأمّنهم على اموالهم وأنفسهم ، واعترف لهم بحق ممارسة دياناتهم ، وأعفاهم من كل دم الجاهلية ، لا يحشرون ولا يعشرون ولا تطأ أرضهم خيل .

وبالمقابل فقد اشترط عليهم الرسول الكريم الفي حُلة تُدفع على وجبتين ، الأولى في رجب ، والثانية في صفر ، ومع كل حلة أوقية من الفضة ، ومؤونة رسل النبي ، ومتعتهم لغاية عشرين يوماً ، وفي حالة تعرض المسلمين لكيد أو تمرد باليمن فعلى أهل نجران اعانتهم بثلاثين درعاً وثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً ، ومنع الرباء ، وأنّ الصلح مرهون ببقاء أهل نجران ناصحين صالحين ، وأنّ الصلح مؤقت حتى يأتي الله بأمره ، وكأنّ الرسول الكريم بالفقرة الأخيرة قد هيّأ لمن بعده لإخراجهم من نجران ومن الجزيرة العربية وهو ما فعله (عمر) .

(١٢) د . نزار عبد اللطيف الحديثي في (أهل اليمن في صدر الإسلام) ص ١٠٣ .

وأمّا المشركـون من أهل (نجـران) فإن رسـول الله ﷺ أرسـل اليهم (خالد بن الوليد) يدعوهم الى الاسلام باعذار ثلاثة أيام أو القتال ، فأسلموا دون قتـال ، وبقي (خالـد بن الوليـد) بينهم فترةً يعلمهم الـدين ، ثم قدم بوفدهم من (بني عبد المدان بن الحارث بن كعب) وفيهم (ذو الغصة قيس بن الحصين بن يزيد) على رسول الله ، وأقرّوا جميعهم أمام الرسول بالإسـلام ، فعينّ عليهم (قيس بن الحصين) أميراً ، وأجازه باثني عشر اوقيـة ، والباقين بعشـر أواق لكل منهم ، وبعث معهم (عمـرو بن حزم الأنصـاري) يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين ، ويبشر الناس بالخير ويأمرهم به ، ويأخذ الحق كما أمر به الله ، وينهي عن المعاصي ، ولا يمس أحد القرآن إلا وهو طاهر و(بأي مادة كتب بها) من جـريد نخـل أو غيره) ويخبـر الناس بـالذي لهم وبـالذي عليهم ، ويشتدّ على الناس في منع الظلم ، ويلين للناس في الحق ، فإنّ الله كره الظلم ونهى عنه ، ويعلمهم الفرائض ، ويجبي الزكاة من المسلمين والجزية من الذميين ويصرفها في مصارفها الشرعية .

وكان وفد نجران طوال القامة كثيفي اللحى ولمّا رآهم الرسـول قال : « من هؤلاء الذين هم كرجال الهند ؟ » .

كما وفدت على الرسول الكريم وفود (ازد السراة اليمنيـين المنتقلين الى (غافق) و(ثمالة) و(غامد) في شمال الجزيرة العربية) وأعلنوا اسلامهم ، وبايعوا الرسول عن قومهم .

أمّا وفادات العشـائر التي تمثـل نفسها فقط وكـذلك الـوفادات الفـردية فكثيرة ولا مجال هنا لحصرها ، ومنها وفادة (الأبيض بن حمال بن مرثد) من بني عوف بن عدي ، و(ابرهة بن شرحبيل بن ابرهة الأصبحي) ، و(عبد الله بن عامر) من بني معمر من وادعة حاشد ، و(ضمام بن زيد بن خارف) و(أبو رهم بن مطعم بن المعمر) من أرحب وغيرهم كثيرون ، وقـد أقطع الـرسول (الأبيض بن حمـال) ملح مأرب ، فقـال الأقـرع بن حـابس لـرسـول الله : « وردتُ هذا الملح في الجاهلية وانه مثـل الماء العـذب من ورد منه أخـذ منه »

فاستقال الرسول (الأبيض) فقال الأبيض لرسول الله : « قد اقلتك يا رسول الله على أن تجعله صدقة مني » (والأبيض بن حمال هوجد (بني الكرندي) ملوك المعافر الذين اقتطعوها من امارة (آل زياد) وكانوا نواباً لهم عليها كما سنعرف في موضعه من هذا الكتاب .

ولم يتأخر عنصر (الأبناء الفرس المولودين) في اليمن عن تلبية نداء الإسلام والدخول فيه ، وإن لم يكونوا من السابقين اليه ، فقد ذكرت المصادر عن اسلام كبيرهم (باذان بن التيجان) عامل الفرس على صنعاء في قصة ملخصها : (إن كسرى لما وصلته دعوة الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والتسليم له للدخول في الإسلام عام سبعة للهجرة كلف كسرى عامله على اليمن (باذان) المذكور بأن يبعث برجلين جلدين الى الحجاز ليأتياه بخبر الرسول ، فأنفذهما باذان ومعهما خطاب منه سلماه الى الرسول ، فأمرهما بالانتظار حتى الغد ، وفي الغد أتيا الرسول فأنبأهما بأن (كسرى) قد قتل على يد ابنه (شيرويه) في تلك الليلة ليلة الثلاثاء من جمادي الأولى عام سبعة للهجرة ، فرجعا الى باذان وأبلغاه بما أخبر به الرسول ، ولما تحقق لباذان الخبر وتبينّ صدقه أسلم وأسلم معه الأبناء ، وأقره الرسول على عمله في اليمن ، وما زال كذلك الى موته سنة عشر للهجرة ، هذا وقد[13] صدقت الرواية الساسانية الفارسية بأن (كسرى) قتل في عام (٦٢٨ م) وهي توافق عام سبعة للهجرة .

ومن[14] الأبناء السابقين في الإسلام (عبد الرحمن بن بزرج) امام أهل صنعاء في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق) ، وكذلك اخته (ام سعد ابنة بزرج) زوجة (داذويه) اذ أسلما وغيرهما على يد (وبر بن يُحَنِّس) الذي بعثه الرسول الكريم مع (أبان بن سعيد بن العاص) الى صنعاء .

ولقد كان الرسول الكريم يستقبل الوفود جماعات وفرادى في مسجده

---

(١٣) الدكتور عصام الدين عبد الرؤوف الفقي في كتابه (اليمن في ظل الإسلام) ص ٢٥ .
(١٤) تأريخ صنعاء للرازي (الطبعة الثانية) ص ١٩٤ .

بالمدينة ويرحب بهم ويقطعهم الأرض في بلدانهم ، ويقرهم على ما في أيديهم وتحت نفوذهم ، ويكتب العهود في ذلك ، كما يقابل كبراءهم بما يستحقونه من الإجلال والاعزاز ، ويدني بعضهم منه ويفرش له رداءه مبالغة منه في اكرامهم واحترامهم ، ومن هؤلاء (الأبيض بن حمال) آنف الذكر ، و(الحارث بن عبد كلال الحميري) و(ابرهة بن شرحبيل) و(جرير بن عبد الله البجلي) و(وائل ابن حجر الحضرمي) وقد وفد جميعهم كما عرفنا وعلى فترات مختلفة .

وهكذا لبّى اليمنيون نداء الإسلام طواعيةً ودون حرب او اكراه ، هيّأهم لذلك نضج عقولهم وسلامة ادراكهم ومعرفتهم واعتناقهم لدين الله اليهودية فدين الله المسيحية وكانا دين الله الواحد قبل تحريفهما من أتباعهما ، ودين الله واحد في اصوله ومقاصده ، وللخروج من وثنية الفرس الذين جاء الإسلام واليمن يرزح تحت حكمهم ، وللخروج ايضاً من تناحر وتقاتل مختلف الزعامات اليمنية التي كانت قائمة عند مبعث الرسول الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم .

ولقد حسم الاسلام كل تلك النزاعات ، ووضع حداً للفوضى ، ووحّد اليمن في ظل رايته .

كما لبى اليمنيون نداء الجهاد في عهد الخليفة (أبي بكر) وأمير المؤمنين (عمر) في سبيل نشر الإسلام بل وفي عهد الدولة الأموية فالعباسية كما سنعلم في مواضعه .

عمال اليمن في عهد الرسول الكريم
(٦ ـ ١٠ هـ ـ ٦١٥ ـ ٦١٩ م)

لّما توفي (باذان) عامل اليمن وذلك في السنة العاشرة للهجرة ، قسم الرسول الكريم اليمن الى ثلاث ولايات :

ولاية صنعاء وأعمالها وأسندها الى (شهر بن باذان) .

وولاية الجند وأعماله وأسندها الى (معاذ بن جبل) وأعطي مع ذلك

صلاحية عامة في عموم اليمن ، لعلمه وفقهه وورعه .

وولاية حضرموت وأعمالها وأسندها الى (المهاجر بن أمية المخزومي) ولكنه مرض في المدينة قبل أن يسافر الى حضرموت ،فأمر الرسول (زياد بن لبيد البياضي) عامل فرع (كندة) من بلاد حضرموت بالقيام بأعماله .

ولمّا ثار (عبهلة بن كعب بن عوف العنسي) المعروف بالأسود العنسي من بلاد (خب) شرقي الجوف استولى على (حضرموت) و(صنعاء) وقتل (شهر ابن باذان) ولما قتل بعث الرسول الكريم الى صنعاء عاملاً عليها (ابان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس) وأمره بأن يبني في صنعاء جامعاً في بستان باذان وأن يجعل قبلته الى جبل ضِينْ في ضاحية صنعاء الشمالية ، فبناه هو أو (وبر بن يحنس) الذي رافقه الى اليمن أو (فروة بن مسيك المرادي) أو (معاذ ابن جبل) كما سبق وعلى اختلاف في الروايات ،ويرى الرازي في كتابه (تأريخ صنعاء)[١٥] أنّ الراجح أنّ بانيه هو (فروة بن مسيك المرادي) وبنى مع ذلك مسجده الذي عرف بمسجد فروة خلف الجبانة ، ويروى أنَّ معاذاً باشر بناء جامع صنعاء ، ثم أناب عنه فروة لإكماله وغادر صنعاء إلى الجند .

هذا وثمة ولاة للفروع في اليمن غير هؤلاء وهم : (عمرو بن حزم الأنصاري) على نجران ، و(خالد بن سعيد بن العاص) على ما بين نجران وزبيد ، و(عامر بن شهر) على همدان و(الطاهر بن أبي هالة) على الأشاعر وعك ، و(أبو موسى الأشعري) ، على مأرب ، و(زياد بن لبيد البياضي) على كندة ، و(عكاشة بن ثور) على السكاسك (بلاد الجند) والسكون (بلاد ماوية) و(فروة بن مسيك) على مراد .

حركة عبهلة بن كعب

لمّا ثار (عبهلة بن كعب بن عوف العنسي) من بلدهِ في (خب) شرق

(١٥) ص ٥١٩ وأضاف بأن الزيادات التي ألحقت بالجامع وهو جامع صنعاء الكبير المعروف اليوم زيادة (ايوب بن يحيى الثقفي) عامل الوليد بن عبد الملك وبأمره ، وكانت تلك الزيادة في جهة القبلة ، وزيادة اخرى للأمير (محمد بن يعفر الحوالي) لعلها في الجهة الشرقية كما بنى منارتي الجامع الأمير (وردسار) في عهد الأيوبين) .

الجوف في العام العاشر للهجرة ، تقدم بجموعه الى (نجران) وأخرج عاملها (عمرو بن حزم الأنصاري) منها ، كما تقدم من اتباعه (قيس بن عبد يغوث ابن مكشوح المرادي) في جموعه الى (مراد) وأخرج منها عاملها (فروة بن مسيك المرادي) ، ثم واصل (عبهلة) تقدمه الى صنعاء وقتل عاملها (شهر ابن باذان) واستولى عليها في معركة قامت بين الجانبين في شعوب الضاحية الغربية لصنعاء وتزّوج (عبهلةُ) بأرملة (شهر بن باذان) ، واستقر في صنعاء وولى (عمرو بن معديكرب) الزُّبيدي على (مذحج) و(قيس بن مكشوح) على (الجند) ، وبذلك استفحل أمر عبهلة وعظم خطره ، أمّا الرسول الكريم فإنه ازاء حركة عبهلة وخروجه على الدولة الإسلامية راسل اقيال اليمن وأذواءه يأمرهم بقتال عبهلة والقضاء على حركته ، وقامت حركة معارضة قوية لعبهلة تزعمها (ذو الكلاع الحميري) و(عامر بن شهر الهمداني) وغيرهما كما انضم الى[16] المعارضة (قيس بن عبد يغوث بن مكشوح المرادي) بعد ان سمع كتاب الرسول الكريم ، واستطاع هذا بالتعاون مع زوجة (عبهلة) ارملة شهر ابن باذان أن يقتل عبهلة في مخدع نومه ، وكان ذلك آخر عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه . وبذلك انتهت حركة عبهلة في اليمن ، وقد اسند الرسول الكريم ولاية صنعاء بعد مقتل (عبهلة) الى (أبان بن سعيد بن العاص) خلفاً لـ (شهر بن باذان) .

ولكنه تجددت حركة تمرد جديدة تزعمها (قيس بن مكشوح المرادي) وذلك في بداية عهد الخليفة الأول (أبي بكر الصديق) ، ساند (قيساً) كل من (الأشعث بن قيس الكندي) و(عمرو بن معديكرب الزُّبيدي) كما حدثت ردة وتمرد في بعض المناطق اليمنية في بداية عهد ابي بكر وفي غير اليمن ، واجهها (أبو بكر جميعها بعمق إيمانه وقوة شكيمته حتى قضى عليها جميعها كما سنعلم بعد هذا)

---

(١٦) تاريخ صنعاء المذكور ص ٧٣ .

اليمن في عهد الخلفاء الأربعة وحكاية الردة في اليمن
(١١ - ٤٠ هـ)
(٦٢٠ - ٦٦١ م)

لما استُخلف (أبو بكر الصديق) بعد وفاة الرسول الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم أقر عمال الرسول على اليمن .

ولكنه انتفضت في بداية عهد ابي بكر كثير من الأقطار الإسلامية ومنها (اليمن) حيث انتفضت بعض المناطق،أجمل ذلك الخزرجي في بداية الفصل الثالث من كتابه (العسجد السبوك) بقوله : « لما توفي رسول الله ﷺ ارتد بعض أهل حضرموت وقوم من أهل صنعاء وطائفة من أهل تهامة ، وكان عمال رسول الله يومئذٍ (أبان بن سعيد بن العاص) على صنعاء وأعمالها ، و(معاذ بن جبل الأنصاري) على الجند ومخاليفها ، و(زياد بن لبيد البياضي) على حضرموت وأعمالها ، وقيل استعمل رسول الله ﷺ (المهاجر بن أمية المخزومي) على كندة بحضرموت ، فمرض في المدينة فلم يطق الذهاب الى حضرموت ، فكتب رسول الله الى (زياد بن لبيد) ليقوم على عمل المهاجر ، فلما توفي رسول الله أقره أبو بكر على عمله ، وأمره بأن يقاتل المرتدين في اليمن ، مع بقاء عمال رسول الله ﷺ ، فسار المهاجر الى اليمن ، وسار معه عبد الرحمن بن العاص وجرير بن عبد الله البجلي ، فلما سار الى نجران انضم اليه (فروة بن مسيك المرادي) فيمن معه من مراد ، فقسم المهاجر خيله فرقتين ، فترك عنده فرقة ، وأرسل أخاه عبد الله بن أمية في الفرقة الأخرى الى من ارتد من عك بتهامة ، ولما دخل المهاجر بن أمية صنعاء كتب معاذ الى أبي بكر يستأذنه في القفول ، وكذا سائر العمال ، فكتب اليهم أبو بكر انّ رسول الله

ﷺ بعثكم لما بعثكم من أمره ، فمن كان منكم انفذ ما أمره بـه رسول الله ، وأحبّ أن يرجع فليرجع ويستخلف على عمله من أحب ، ومن أحب أن يقيم فليقم ، فاستخلف معاذ على عمله (عبد الله بن أبي ربيعـة المخزومي) والـد عمر بن أبي ربيعة (شاعر الغزل المشهـور) ، واستخلف (أبان بن سعيـد بن العاص على عمله (يعلي بن أمية التميمي) حليف بني نوفل بن عبد مناف ، فأقر أبو بكر رضي الله عنه (عبد الله بن ربيعة المخزومي) على الجند ومخاليفه وأقر (يعلي بن أمية) على صنعاء ومخاليفها » .

ولقد شمّر (أبو بكر) للقضاء على الفتنة في مهدها في كل بقعـة امتدت عدواها اليها ، مردداً قوله المأثور : « والله لو منعوني عقال بعير لقاتلتهم عليه » وممن حشد الخليفة أبو بكر الى اليمن للقضاء على حركات الردة والتمرد فيه : (المهاجر بن أمية المخزومي وغيره) كما عرفنا ووصل هذا بالفرقـة التي احتفظ بها لديه الى صنعاء ، ولما أطمأنّ الى استقامة أهلها ، كتب الى أبي بكر يعلمـه بذلك ، فأمره أبو بكر بالمسير بقوّاته الى حضرموت ، وانضم اليه (عكرمة بن أبي جهل) بجموعه وقصد (كندة) في بلاد حضرموت يستحثه كتاب (زياد بن لبيدالبياضي) الـذي شرح لـه ما يجـري بينه وبـين المنتقضين من كنـدة وعلى رأسهم (الأشعث بن قيس الكندي) .

ولمّا علم الأشعث بوصول المهاجر على رأس جيشه لجأ مع كبار اتباعه في حصن (النُّجَير) في بلاد كندة ، فحاصـرهم المهاجـر فيه حتى اضـطرهم الى التسليم ، وقتـل وأسر الكثيرمنهم إلا الأشعث بن قيس فإنه طلب الأمان لنفسه ولتسعة من أتباعه فأعطاهم المهاجر الأمان ، ولما تم للأشعث الحصول على ما طلب قام أحد المحاصرين في الحصن المذكور (معدان بن الأسود) وطلب من الأشعث أن يدخله في عداد من شملهم الأمان ، فلم يسع المهاجر إلا أن يضع اسم (معدان) مكان اسمه ، أو ان الأشعث نسي ان يضع اسمه في القائمة على اختلاف في الروايات .

فقبض عليه (المهاجر) وارسله الى أبي بكر الذي عاتبـه أو حاكمـه كما تذكر بعض الروايات .

كما أرسل (المهاجر) كلا من (قيس بن مكشوح المرادي) و(عمرو بن معديكرب الزبيدي) من كبار المنتقضين الى الخليفة (أبي بكر الصديق) رضي الله عنه فعاتبهما ثم عفى عنهما كذلك وردهما الى قومهما ، وكانا قد سلما انفسهما الى المهاجر بغير أمان وهو في نجران عقب وصوله اليها أول مقدمه الى اليمن .

ثم واصل المهاجر وغيره من الزعماء والقادة اليمنيين وغير اليمنيين جهادهم في المناطق التي انتقضت في اليمن حتى استأصلوا الفتنة واقتلعوها من جذورها ، كما تمّ ذلك في سائر الأقطار الاسلامية بفضل حزم الخليفة أبي بكر وعمق إيمانه وقوة شكيمته ،

ولقد عفى الخليفة (أبو بكر) عن الأشعث بن قيس وردّ عليه زوجته (أم فروة) أخت الخليفة أبو بكر ، التي كان قد تزّوجها (الأشعث) لدى مقدمه الأول في حياة الرسول الكريم ، وأسهم الأشعث بنصيب كبير في الفتوحات الاسلامية وأبلى فيها بلاء حسناً كما فعل ذلك غيره من زعماءوقادة اليمنيين ، مما هو معروف في كتب التأريخ الإسلامي ، ومن أولئك (عمرو بن معدى كرب الزُّبيدي) و(قيس بن عوف بن مكشوح المرادي) بعد أن أطلق (أبو بكر)سراحهما وغيرهما من الزعماء .

وبعودة الخارجين من اليمنيين الى حضيرةالإسلام عادت لليمن وحدته ، ولبى اليمنيون دعوة الخليفة أبي بكر التي وجهها اليهم عن طريق مبعوثه (أنس بن مالك) خادم وصاحب الرسول الكريم ، للإسهام في نشر الإسلام والجهاد في سبيل الله ، وجاؤ وا الى أبي بكر بالذراري والأموال ، كما لبوا نداء الخليفة الثاني (عمر بن الخطاب) لنفس الغرض ، وأسهموا إسهاماً كبيراً في نشر الإسلام في مختلف انحاء المعمورة كما سنعلم .

وقد أشار (الدميري) في منظومته الى حادثة الوليمة التي اقامها (الأشعث بن قيس) حينما أعاد اليه الخليفة أبو بكر زوجته (أم فروة) فقال :

حادثة بالأشعث بن قيس قد ... سارت بها الأمثال ما لا ينتقد
لأنه أبدع في الوليمة ... إذ خصه الصديق بالكريمة

وابتــاع فـيـهـا أنـعـم المـديـنـة جميعـهـا بـقـيـمـة ثـمـيـنـة
وأشـبـع الـوارد والـذي قـطـن ولم يـكن لـديـه مـن قبـل وطـن

هذا وهناك من الباحثين المعاصرين من يذهب الى ان حركة (عبهلة بن كعب) والتي بدأت في حياة الرسول الكريم ، ثم حركة (قيس بن مكشوح المرادي) التي تلتها والتي تعتبر امتداداً لها ومن ساند كلتا الحركتين وهم (الأشعث بن قيس الكندي) و(عمرو بن معدى كرب الزبيدي) و(معاوية بن قيس الجنبي) و(يزيد بن محرم) و(يزيد بن حصين الحارثي) و(يزيد بن الأفكل الأزدي) وغيرهم من الزعماء المتقضين ليست ردة عن الإسلام ، وإنما كانت :

١ ـ تعبيراً عن استياء اليمنيين من عودة الحكم الى الفرس والى الأبناء المولدين من الفرس ، وعلى رأسهم (باذان بن التيجان) وولده (شهر) في مطلع الإسلام الذي كان اليمنيون يطمعون منه ان يمكنهم من حكم أنفسهم كما فعل في كثير من الولايات الإسلامية الأخرى .

٢ ـ ومنعاً عن تسليم الزكاة الى الحكام من غير اليمنيين ، على اساس قيام الزعماء اليمنيين المتقضين بأخذها من اغنياء اليمنيين وردها الى فقرائهم عملاً بالحكم الشرعي الخاص بذلك .

ومن هؤلاء الدكتور (نزار عبد اللطيف الحديثي) في كتابه (أهل اليمن في صدر الإسلام)[١٧] حيث قال ما نصه : « اتضح من دراسة الحالة السياسية لليمن قبل الإسلام ان حركة (عبهلة) لم تكن في البداية موجهة نحو الإسلام ونحو سياسة الرسول ﷺ ، وإن الجماعات التي تزعمها كانت تخاصم الساسانيين الفرس وحلفائهم من همدان » .

كما دلّل غيره[١٨] على ما ذهبوا اليه بكتاب (عبهلة) الى (معاذ) عامل

---

(١٧) ص ١١٣ .
(١٨) تأريخ الطبري ج ٣ ص ٢٢٩ .

الرسول الكريم على الجند ، والذي جاء فيه قوله : « أيها المتوردون أمسكوا علينا ما أخذتم من ارضنا ووفروا ما جمعتم ، فنحن أولى به وأنتم على ما أنتم عليه » .

ويما جاء[١٩] في رسالة (قيس بن مكشوح المرادي) عند اضطلاعه بالحركة بعد مقتل (عبهلة بن كعب) الى (ذي الكلاع الحميري) وأصحابه وهوقوله : « ان الأبناء نزّاع في بلادكم وثقلاء عليكم ، وأن تتركوهم لن يزالوا عليكم ، وقد أرى ان اقتل رؤ وسهم وأخرجهم من بلادنا » . وطلب (قيس بن مكشوح من (ذي الكلاع) مساندته ضد الأبناء ، ولكن ذا الكلاع رفض المساندة التي طلبها منه (قيس) وجاء في رده عليه قوله : « لسنا مما ها هنا في شيء أنت صاحبهم وهم أصحابك » .

وقد كانت رسالة (قيس بن مكشوح) الى (ذي الكلاع) كرد على[٢٠] رسالة الخليفة (أبي بكر) الى ذي الكلاع نفسه والتي جاء فيها قول (أبي بكر) « أعينوا الأبناء على من ناوأهم ، وحوطوهم وأسمعوا من فيروز وجدوا معه ، فإني قد وليته » .

وأورد الدكتور (جواد علي)[٢١] أن أبا بكر كاتب (عمير ذي مران) و(سميفع ذي الكلاع) وغيرهم يأمرهم بالتمسك بالإسلام وبمقاومة (قيس) والمرتدين فكاتب قيس تلك الفالّة « السيارة اللحجية » (انصار عبهلة بن كعب) الذين خرجوا من صنعاء بعد مقتله فصاروا يقطعون الطريق ويُصَعِّدون الجبال ويُصَوبون محاربين لجميع من خالفهم وأمرهم (قيس بن مكشوح) بأن يتعجلوا اليه ، ويكون امره وأمرهم واحداً ، وليجتمعوا على نفي الأبناء من اليمن » .

وأضاف الدكتور (جواد علي) قائلاً : « فاستجابوا له ودنوا من صنعاء ،

---

(١٩) المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام ج ٤ ص ١٩٣ .
(٢٠) الطبري ج ٣ ص ٥٣٦ .
(٢١) في المفصل ج ٤ ص ١٩٣ .

وعمد (قيس) الى الحيلة لقتل (فيروز) و(داذويه) و(جشيش) (وجميعهم من الأبنـاء) وتمكن (قيس) من(داذويه) فقتله ، فـأحسّ فيـروز وجشيش بالمكيدة فهربا الى (خولان) وهم اخوال فيروز ، وامتنع فيروز بأخواله ، وثار قيس في صنعاء » .

ويبدو أن (قيس بن مكشوح) انقلب ضد الأبناء بعد ان تعاون معهم في القضاء على (عبهلة بن كعب) لأنه لم يجد العون والسند اللذين كان ينتظرهما منهم لخلافة عبهلة في الحكم .

وقد أُقصى (قيس) أُسر الأبناء من اليمن بحراً ، حيث حملوا من عدن الى بلاد فارس وبراً أيضاً قائلاً للجميع : « الحقوا بأهلكم » ومهما تكن الغاية من حركة الزعماء اليمنيين في آخر عهد الرسـول الكريم عليـه افضل الصـلاة والتسليم وفي بداية عهد الخليفة الأول أبـو بكر الصـديق رضي الله عنه فقـد اعتبرت حركتهم خروجاً على الدولة الإسلامية ، وعلى وحـدة الإسلام ، كـما أُعتبرت حركة غيـرهم في غير اليمن كذلك .

ولذلك[٢٢] بعث الرسول الكريم في اخر حياته (وبر بن يحنس) وهو من الأبناء الى زعماء الابناء في اليمن (فيروز الـديلمي) و(داذويه الأصـطخري) و(جشيش الـديلمي) ، كـما بعث (جـريـر بن عبـد الله البجـلي) الى (ذي الكلاع الحميري) ، وبعث غيرهما الى كثير من زعماءاليمن الذين لم ينضمواالى حركة المتمردين يدعـوهم الى القضاء عـلى حركـة (عبهلة بن كعب) ، وقتل (كعب) في آخر عهد الرسول الكريم .

وأضاف الطبري[٢٣] في تأريخه فذكر انه لّما تمّ للمتآمـرين ذبح الأسود العنسي (عبهلة بن كعب) في مخدع نومه نادى (داذويه) أحد المتآمرين في الصباح بالشعار المتفق عليه مع انصارهم ، فأحاط بهم حراس عبهلة فألقي

---

(٢٢)الطبري في تأريخه ج ٣ ص ١٨٧ وص ٢٢٧ .
(٢٣) ج ٣ ص ٢٣٩ .

اليهم برأس عبهلة ، وتجمع الأنصار ، وبدأت مطاردة عجيبة خطف فيها الحراس عيال الأبناء ، ولجأ الأبناء وأنصارهم الى أَسْر الحراس ، ثم اتفق الطرفان على فكّ الرهائن والأسرى وخروج اتباع الأسود من صنعاء يترددون مصعدين مصوبين دون أن يظفروا بشيء ، حتى كاتبهم (قيس بن مكشوح) للانضمام اليه لمحاربة الابناء وطردهم من اليمن (وحراس عبهلة هم الذين عرفوا بالفالة السيارة اللحجية) كما أسلفنا .

وبدأ (قيس بن مكشوح) المرادي حركة تمرد جديدة في بداية عهد (أبي بكر) ساند قيساً فيها كل من (الأشعث بن قيس الكندي) ، و(عمرو بن معدي كرب الزُّبيدي) وغيرهما ممن ذكروا آنفاً .

ولكن (أبا بكر) واجهها وغيرها من حركات التمرد في سائر الولايات الإسلامية برباطة جأشه وعمق إيمانه وقوة شكيمته حتى تمّ له القضاء عليها جميعها ، وقد ساعده في القضاء على حركات التمرد في اليمن كثير من اليمنيين الذين لم يوافقوا المتمردين على تمردهم ومنهم (السميفع ذي الكلاع الحميري) و(شهر بن عامر الهمداني) وغيرهما .

ومما[٢٤] جاء في خطاب (االسميفع ابن ناكور ذي الكلاع الحميري) لقومه حاثاً لهم على نصرة الحق قوله : « ايها الناس إن من رحمة الله إياكم ونعمته عليكم أن بعث فيكم نبياً ، أنزل عليه الكتاب ، فأحسن البلاغ وعلمكم ما يرشدكم ، ونهاكم عما يفسدكم حتى علمكم ما لم تكونوا تعلمون ، ورغبّكم في الخير فيما لم تكونوا ترغبون ، وقد دعاكم أخوانكم الصالحون الى جهاد المشركين واكتساب الأجر العظيم ، فلينفر من اراد النفر الساعة معي » .

وقامت معركة خارج صنعاء بين (ذي الكلاع) وقومه وبين (قيس بن مكشوح) المرادي واتباعه انتهت بهزيمة (قيس بن مكشوح) وتشرده مع اتباعه بين صنعاء ونجران .

وأضاف (الخزرجي) في تأريخه : ان قيس بن مكشوح وعمرو بن

---

(٢٤) تاريخ اليمن الإسلامي ص ٦٥ .

معدي كرب الزُبيدي أتيا الى (المهاجر بن أُمية المخزومي) (مبعوث الخليفة أبي بكر الى اليمن لإصلاح أهله) وسلّما نفسيهما بغير أمان ، فأوثقهما (المهاجر) وبعث بهما الى أبي بكر ، فعاتبهما أبو بكر وحقن دمائهما واستبقاهما وردهما الى قومهما ، وحسن اسلامهما بعد ذلك وأسهما مع غيرهما من زعماء اليمن في الفتوحات الاسلامية كما علمنا .

ومهما[٢٥] فشلت حركة (عبهلة بن كعب) وحركة (قيس بن مكشوح المرادي) إلا انهما نجحتا في اضعاف مركز الأبناء الذين بقوا في اليمن ، كما تمكنت حركة (قيس) من ترحيل سواد الأبناء الى بلادهم (فارس) ، وافادت الحركتان في تعديل موقف الخلفاء الراشدين من الابناء فلم يولوهم بعدهما ، ووطدوا علاقتهم مع اقيال اليمن ، وكان الخليفة (أبو بكر) يتصل بهم في كل ملمة ، وصار اليمنيون هم السباقين الى نصرة الإسلام في عهده وفي عهد أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) ومن بعدهما كما سنرى .

ولم يعد لتولية الأبناء في اليمن إلا (معاوية بن أبي سفيان) حيث ولى على اليمن (فيروز الديلمي) ثم ابنه (الضحاك بن فيروز) ولكن معظم أقيال اليمن وزعمائه كانوا قد استقروا في عدد من الأماكن خارج اليمن في الشام وفي العراق وفي مصر وغيرها بعد فتحها ونشر الاسلام فيها . هذا ولعل معاوية قدر لفيروز رده طلب عامل علي في اليمن مساندته ضد بسر بن ارطاة يقول فيروز : « ما عندنا قتال فأحزر لنفسك كما سيأتي » .

دور اليمنيين في الفتوحات الإسلامية

بدأ الإسلام ينتشر في اليمن منذ العام السادس للهجرة ، واتسع انتشاره في العامين التاسع والعاشر للهجرة .

وفي العام العاشر للهجرة وهو آخر أعوام حياة الرسول الكريم كانت حركة (الأسود العنسي عبهلة بن كعب) في اليمن كما عرفنا ولكنه قُضي عليها

---

(٢٥) الأستاذ علي بن علي صبرة في (الملحمة الشعبية) التي نشرها في مجلة (المصباح) العدد السادس .

وفي حياة الرسول الكريم .

وفي العام الحادي عشر للهجرة حدثت حركة تمرد (قيس بن مكشوح) وعدد آخر من زعماء اليمن كما أسلفنا ، وحدثت حركات ردة وتمرد في غير اليمن وذلك في بداية عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق ، ولكنه لم ينته العام الحادي عشر للهجرة المذكور حتى كان قد قُضي عليها جميعها واستقر الإسلام في عموم انحاء الجزيرة العربية ، واتجه (أبو بكر) الى نشر الإسلام في الشام والعراق منفذاً ما كان قد عزم الرسول الكريم على تنفيذه كإحدى الخطوات الجادة في سبيل نشر الإسلام في الناس كافة .

وقد جمع (أبو بكر) الصحابة من المهاجرين والأنصار معلناً اليهم ما اعتزم ، ومما جاء في خطابه اليهم قوله[٢٦] : « إن الله فضلكم بالاسلام ، وجعلكم أُمة محمد عليه الصلاة والسلام ، وزادكم إيماناً ويقيناً ، واعلموا ان رسول الله ﷺ كان عوّل ان يصرف همته الى الشام ، فقبضه الله اليه ، واختار له ما لديه ، ألا وإني عازم أن أوجه ابطال المسلمين بأهلهم وأموالهم فإن رسول الله ﷺ أنبأني بذلك قبل موته » .

فأستجاب الصحابة لنداء الخليفة وقالوا له : « مُر بأمرك ووجهنا حيث شئت » .

وقد دعا أبو بكر أهل اليمن للجهاد فيمن دعا اليه من غير اليمن .

وكان[٢٧] مبعوثه الى اليمن لهذه الغاية هو (أُنس بن مالك) الصحابي المشهور وخادم رسول الله ﷺ . ولقد كان (أُنس بن مالك) يقرأ على الناس في اليمن كتاب (أبي بكر) وكان نصه كالآتي :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، من خليفة رسول الله ﷺ الى من قرىء عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين من أهل اليمن ، سلام عليكم ، وإني أحمد الله اليكم الذي لا إله إلا هو ، أمّا بعد فإن الله تبارك وتعالى كتب على المسلمين

(٢٦) الواقدي في كتابه (فتوح الإسلام) ج ١ ص ٢ .

(٢٧) تأريخ اليمن الإسلامي ص ٦٤ .

الجهاد ، وأمرهم أن ينفروا فيه خفافاً وثقالاً ، فقال جل ثناؤه ﴿ **وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله** ﴾ فالجهاد فريضة مفروضة ، وثوابه عند الله عظيم ، وقد استنفرنا من قِبَلنا من المسلمين الى جهاد الروم والشام ، وقد سارعوا الى ذلك وخرجوا وعسكروا وحسنت في ذلك نيتهم ، وعظمت حسنتهم ، فسارعوا عباد الله الى فريضة ربكم وسنة نبيكم ، وإلى إحدى الحسنيين ، إمّا الشهادة وإمّا الفتح والغنيمة ، إنّ الله جل ذكره لم يرض من عباده بالقول دون العمل ، ولا يترك أهل عدوانه حتى يدينوا بالحق ، ويقروا بحكم كتاب الله أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، حفظ الله لكم دينكم ، وهدى قلوبكم ، وزكى أعمالكم ، ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين والسلام) .

وكان (أُنس بن مالك) يضيف الى ذلك قوله : « الحمد لله واشهد ألا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ﷺ ، أما بعد فإني رسول خليفة رسول الله اليكم ورسول المسلمين ، ألا وإني قد تركتهم معسكرين ليس يمنعهم عن الشخوص الى عدوهم إلا انتظاركم ، فتعجلوا الى اخوانكم بالنصر رحمة الله عليكم أيها المسلمون » .

وكان (أُنس) يَلْقَى هنا وهناك وبلا استثناء حسن الرد والقبول ، وليس فقط من جانب هؤلاء الذين ثبتوا على الإسلام ، وإنما أيضاً استجاب من سبق ان تمرّد وأناب ، وقدمت اليمن جموعها وذراريها .

وهنا قال(الواقدي) في تأريخه : « فما مرّت أيام حتى قدم (أُنس بن مالك) الى أبي بكر يبشره بقدوم القوم ، وقال له : « قد أتاك شعثاً غبراً أبطال اليمن وشجعانها ، وقد ساروا اليك بالذراري والأموال » ، فَسُرَّ أبو بكر بذلك ، وأقام يومه ، حتى اذا كان من غده وقد لاحت غبرة القوم ، ركب أبو بكر وأمر الناس بالركوب لاستقبالهم ، ولما أدرك اليمنيون أبا بكر ومن معه في استقبالهم رفعوا الألوية وأشرقت الكتائب والمواكب يتلو بعضها بعضاً ، قوم في أثر قوم ، وقبيلة في أثر قبيلة ، وكانت أول قبيلة ظهرت قبيلة (حمير) وهم

بالدروع البيض والقسي العربية يتقدمهم (ذو الكلاع الحميري) ، ثم سائر القبائل كـ (مذحج) أهل الخيل العتاق والرماح يتقدمهم (قيس بن هبيرة المرادي) وغيرهم ، ونزل القوم حول المدينة ، وتزايدوا والخليفة لم يأمرهم بالمسير الى الشام ، مما أضرّ بهم ، ولا سيما مع قلة الزاد وعلف الخيل ، فأقبل رؤساؤهم الى (ابي بكر) وقالوا له ، انه قد تكامل جيشنا وفرغنا من أهلنا ، والمقام أضرّ بنا ، لأن بلدك ليس ببلد خف ولا حافر ، وليس فيه عيش لنازل ، فإن لم يكن قد بدا لك ما عزمت عليه فمرنا بالرجوع الى بلدنا ، فقال أبو بكر : يا أهل اليمن ومن حضر من غيرهم والله ما أردت إلا تكاملكم وما أريد الإضرار بكم ، فقالوا انه لم يبق وراءنا احد فاعزم على بركة الله ، فجمع أبو بكر الناس بما فيهم الأوس والخزرج ومن وصل من غيرهم وأمرّ عليهم (خالد ابن الوليد) وساروا الى الشام وكانت لليمنيين مواقف مشرفة . هذا وذكرت روايات اخرى أنّ الذين قدموا من اليمن في اليوم الأول كانوا زهاء واحد وعشرين ألفاً ، وأنّ أبا بكر جهّز أهل اليمن الى الشام والعراق ، فجهز قبيلتي (عك) و(الأشاعر) و(حمير) الى (الشام) ، ثم الحق بجيش الشام من اليمنيين أيضاً (عمرو بن معد يكرب الزبيدي)، و(الأشعث بن قيس الكندي) ومن معهما ، كما ألحق به (عكرمة بن أبي جهل) والجيش الذي قدم معه من اليمن بعد اصلاحه ، واقرار الأمن والاستقرار في ربوعه ، وجهّز قبائل (همدان) و(مراد) و(مذحج) الى (العراق) وألحق به (قيس بن مكشوح المرادي) ومن معه ، وكان اليمنيون في طليعة جيوش المسلمين في موقعتي (اليرموك) في الشام و(القادسية) في العراق وغيرهما .

وعلى الجملة فقد تضافرت كتب المؤرخين على ان اليمنيين اسهموا منذ ظهور الإسلام بنصيب كبير في الدعوة الإسلامية والجهاد في سبيل نشره وتوطيد دعائمه ، وإن كثيراً من العرب الذين استقروا في الشام وفي العراق وفي شمال افريقيا وفي الأندلس هم من أصل يمني لعب اسلافهم دوراً كبيراً وهاماً في نشر الإسلام في تلك الربوع .

ولقد بلغ عدد اليمنيين في الاسكندرية بعد فتح بلاد مصر سبعة وعشرين

ألفاً في عهد (معاوية بن أبي سفيان) كما حكى ذلك المقريزي في كتابه : (البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب) ، بل لقد ذكر أنّ قيام الدولة الأموية تم على أيدي اليمنيين ، وما يزال في (الأندلس) جنوب (اسبانيا) أماكن وقلاع ما تزال تحتفظ بأسمائها اليمنية منذ شارك اليمنيون في فتحها في عهد الأمويين ، ومنها قلعة (همدان) بالقرب من (غرناطة) ، وقلعة (خولان) بين (الجزيرة الخضراء) و(اشبيلية) ، وقلعة (يحصب) في (اشبيلية) وحصن (مراد) بين (اشبيلية) و(قرطبة) وقلعة (بني سعيد) المشهورة في مقاطعة (غرناطة) ، وأشهر مدن الأندلس (قرطبة) و(اشبيلية) و(غرناطة) و(طليطلة) وغيرها وجميعها تكوّن مقاطعات الجنوب في بلاد (اسبانيا) وهي المقاطعات التي استقر الحكم الأموي فيها منذ فتحها القائد (طارق بن زياد) قائد جيوش (موسى بن نصير) أحد كبار الفاتحين في عهد (الوليد بن عبد الملك بن مروان) وذلك بين عامي ٨٤ ـ ٩٤ هجرية .

ومن مشاهير قادة الفتح الإسلامي في الأندلس وفي افريقيا من اليمنيين (عبد الرحمن الغافقي العكي) و(السمح بن مالك الخولاني) ، وكانت أول راية تُنْشرَ لعبد الرحمن الأول الأموي والمعروف بعبد الرحمن الداخل في اشبيلية هي عمامة خضراء لزعيم اليمانية (أبي الصباح يحيى اليحصبي الحميري) وذلك حينما أراد عبد الرحمن الداخل فتح (قرطبة) ولم يكن لجيشه آنذاك راية .

وقد[٢٨] حاول البعض التشكيك في اسباب خروج اليمانية للفتح وقالوا : « انهم خرجوا بحثاً عن الغنائم ومستوى معيشي أفضل » وهذا قول بعيد عن الحقيقة ، ولا تؤيده الأدلة التاريخية ، ذلك أنّ أهل اليمن منذ عصور تأريخية قديمة موغلة في القدم يحبون الهجرة ويتطلعون اليها ، ولم تكن هذه الهجرة أول هجرة لهم ، بل سبقتها هجرات وهجرات ، والبلاد التي دعت الخلافة الى فتحها كالشام والعراق كلها بلاد طرقها اليمانية ، وعاشوا فيها

---

(٢٨) الدكتور عصام الدين عبد الرؤوف الفقي في كتابه (اليمن في ظل الإسلام) ص ٤٥ .

بجاليات كبيرة ، بل كوّنوا بها دولاً كدولة الغساسنة في جنوب الشام ، والمناذرة في جنوب العراق ، إذاً لم يجد اليمانية في نداء الخلافة بالجهاد فرصة للهجرة الى هذه البلاد ، لأنهم يهاجرون اليها بسهولة ويسر ، وبدون حاجة الى نداء الخلافة ، ولكن اليمانية أمنوا بالإسلام الذي يدعو المسلم الى الجهاد ، وكان للحماسة الدينية التي بثها النبي والصحابة في نفوس العرب عامة اثر كبير في دفعهم الى الفتح ، فرأوا في أعناقهم عهداً يجب أن يفوا به وهو تبليغ الدعوة الإسلامية الى من لم تُبلغ له ، ومن ثم عملوا على توجيه جهودهم الى العمل على احياء كلمة الإسلام في غير بلاد الإسلام .

وشجعهم على تحقيق هذه الغاية ما ورد في القرآن الكريم من الآيات البينات التي توضح أنّ الإسلام لم يبعث للعرب فقط ، وإنما بعث للناس كافة ، ومن هذه الآيات :

﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير** ﴾ .

وآية : ﴿ **كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ .

ولكننا لا نغفل العامل الاقتصادي وأهميته في دفع العرب اليمانية الى الاسراع بالانضمام الى حركة الفتوح ، وهذا أمر طبيعي جداً ، فقد تطلعوا كما تطلع غيرهم الى غنائم الحرب التي قد يحصلون عليها من ميدان القتال ، فالمؤمن يضحي بنفسه في سبيل دينه ، وفي نفس الوقت يعمل لدنياه ، ويسعى الى الحياة في رغد من العيش .

والدور الذي قام به اليمنيون في حركة الفتوح في عهد الخلفاء الراشدين يعتبر بحق أجمل فترات تأريخهم وأحلى أيامهم ، فقد ساهموا بدور كبير في فتح البلاد وتمصير الأمصار ، واستقروا في البلاد الإسلامية الجديدة بأعداد كبيرة وانتشروا في بقاع الأرض ينشرون الإسلام ويذودون عنه .

ولما توفي الخليفة الأول (أبو بكر الصديق) وخلفه أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) واصل مسيرة الفتح ناشراً راية الجهاد في سبيل نشر الإسلام ، مركزاً كذلك على الشام والعراق مفتاحي الدولتين الكبيرتين الروم وفارس .

واستدعى[٢٩] (عمر) اليمنيين كما استدعاهم (أبو بكر) عن طريق مبعوثه الى اليمن (سعيد بن قيس بن زيد الحاشدي الهمداني) وذلك لتعزيز جيوش الفتح التي كان فيها الكثير من اليمنيين ، وقد عاد (سعيد بن قيس) من اليمن الى المدينة بجيش يمني قوامه اربعة آلاف مقاتل ،فجهزه عمر،مع من انضم اليه من غيره الى العراق بقيادة (سعد بن أبي وقاص) وفي العراق انضم اليه (المثنى بن حارثة الشيباني) و(جرير بن عبد الله البجلي) ومن معهما من المقاتلين .

كما تتابعت الأمدادات الى العراق من (عمر بن الخطاب) وفيها قبائل يمنية من (كندة) الحضرمية بقيادة (الحصين بن نمير السكوني) وكانوا أربعمائة مقاتل ، و(معاوية بن حديج السكوني) في ستمائة مقاتل ، و(الأشعث بن قيس الكندي) في سبعمائة مقاتل ، كما سحب من الشام وعزز به جيش العراق كلاً من (قيس بن مكشوح المرادي) و(سعيد بن نمران المرادي) وجموعهما .

وكان عمر[٣٠] اثناء إرسال الإمدادات الى الشام والعراق يردد قوله : « والله لأضربنّ ملوك العجم بملوك العرب » فلم يدع رئيساً ولا ذا رأي وشرف ولا خطيباً ولا شاعراً إلا رماهم به ، وسجلت جميع تلك الجيوش النصر في الشام وفي العراق ، وكان بلاء (الأشعث بن قيس) و(قيس بن مكشوح) و(عمرو ابن معدي كرب الزبيدي)،(وشرحبيل بن السمط الكندي) وغيرهم من ابطال المسلمين في القادسية حسناً وعظيما ، ثم تتابعت الانتصارات لجيوش الفتح الإسلامي حتى سقطت فارس وثلّ عرش الروم وتقلص ظله .

---

(٢٩) تأريخ اليمن الإسلامي ص ٧٤ .

(٣٠) ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٤٧ .

ولقد أسهمت المرأة في مساعدة جيوش الفتح الاسلامي في حدود قدراتها وصلاحياتها ، وجاء من النساء الى معركة القادسية وحدها حوالي الألف وسبعمائة امرأة فارغات من الأزواج وجميعهن من المهاجرات ، فصاهر النخع منهنّ سبعمائة امرأة ، وصاهرت بجيلة منهنّ الفاً ، وسميت النخع وبجيلة من يوم ذاك بأصهار المهاجرين .

أما عمال اليمن في عهد امير المؤمنين (عمر بن الخطاب) فهم عماله في عهد الخليفة الأول (أبي بكر الصديق) ومنهم : (يعلي بن أمية) على صنعاء ، و(عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي) على الجند وغيرهما .

وفي عهد (عمر) تم لعامله (يعلي بن أُمية) اجلاء نصارى نجران عنها تنفيذاً لوصية الرسول الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم بأن لا يُترَك في جزيرة العرب دينان . وعملاً بحث أبي بكر عند موته على ذلك ، وذلك لعدم تمكنه هو من تنفيذ وصية الرسول بسبب تزاحم الأحداث ، الأعظم أهميةً في عهده القصير ، وكانت[٣١] تعليمات (عمر) لعامله في اليمن في ذلك أئتهم ولا تفتنهم عن دينهم ، ثم اجل من أقام منهم على دينه ، وأقرر المسلم ، وامسح ارض كل من تجلّى منهم ، ثم خيّرهم البلدان ، ثم تعطيهم ارضاً كأرضهم ، اقراراً لهم بالحق على أنفسنا وفاء بذمتهم فيما أمر الله به من ذلك بدلاً بينهم وبين جيرانهم من أهل اليمن فيما صار لجيرانهم بالريف » .

وزاد في كتاب(اليمن[٣٢] في ظل الإسلام) الأمر إيضاحاً فقال : « أمّا أهل نجران فقد مارسوا الرباء وزاد ثراؤهم وقوي بأسهم وسيطرواعلى البلاد اقتصادياً وضعف أمر المسلمين في هذا البلد ازاء هؤلاء النصارى ، فخاف عمر مغبة ذلك ، فأجلاهم عنها ، ونزل بعضهم بالشام ونزل بعضهم بالنجرانية بناحية الكوفة وبهم سميت ، وكتب عمر الى نصارى نجران عهداً بذلك جاء فيه : « فمن وقّعوا به من أهل الشام والعراق فليوسعهم في حرث الأرض ، وما

---

(٣١) تأريخ اليمن الإسلامي ص ١٠٦ .

(٣٢) ص ٥١ .

اعتملوا من شيء فهو لهم مكان ارضهم باليمن ، فتفرقوا وبذلك عوّضهم (عمر بن الخطاب) عن أرضهم بنجران التي هجروها أرضاً بالشام والعراق ، وجدير بالذكر انهم ندموا بعد ذلك وأتوا (عمر بن الخطاب) وقالوا له : أَقِلْنا فأبى ذلك ، فلما استخلف (علي بن أبي طالب) طلبوا منه أن يعيدهم الى بلادهم ، ولكنه رفض وقال : إنّ عمر كان رشيد الأمر وأنا اكره خلافه » .

ولقد كان عمر حازماً مع عماله وله امثلة كثيرة مع عامله على مصر (عمرو بن العاص) وغيره ، من عمال الولايات الاسلامية والذي يهمنا هنا سرد بعض الأمثلة مع عامله في اليمن (يعلي بن أُمية) ، فقد استقدمه اليه الى المدينة في القضيتين التاليتين :

كما استقدمه في قضية ثالثة ، ولكن (عمر) توفي و(يعلي) ما يزال على مراحل من صنعاء في طريقه الى المدينة ، ولما اتفق به رسول امير المؤمنين (عثمان) يحمل اليه اقراره له على عمله عاد الى صنعاء .

أما الثلاث القضايا التي استقدم فيها أمير المؤمنين (عمر) (يعلي بن أُمية) الى المدينة فتتلخص بالآتي :

(القضية الأولى) أنّ رجلاً من أهل (خفاش ملحان) في اليمن اتى الى يعلي بن أُمية يشكوه مقتل ابنه ، فأمر يعلي نائبه في حفاش وملحان بأن يحضر اليه القاتل ، ولمّا أحضر اليه وتبيّن وجوب القصاص عليه احضر وجوهَ الناس ودفع الى والد المقتول سيفاً وقال له : « اقتله وهؤلاء الشهود » فضربه بالسيف حتى سقط ، وظن الرجل وغيره انه قد مات ، فأخذه أهله ليدفنوه ، فوجدوا فيه رمقاً من الحياة فعالجوه حتى برىء ، وبينما هو ذات يوم يرعى غنماً له ، إذ مر به والد المقتول فعرفه ، فذهب الى (يعلي) وقال له : « إني وجدت قاتل ابني يرعى غنماً » فكتب يعلي الى نائبه في حفاش وملحان (سعيد بن عبد الله الكندي) بأن يحضره اليه ، فأرسله الى يعلي حياً وبه أثر جراحات ضرب السيف ، فأمر يعلي بتقدير أروشها ، فبلغت الدية ، فقال لوالد المقتول : « إن شئت ان تقتله وعليك الدية وإلا فدعه » فغضب الرجل وسار الى عمر يستعديه

على يعلي شاكياً انه حال بينه وبين قاتل ابنه ، فغضب عمر وانفذ (المغيرة بن شعبة) الى صنعاء ، وأمره بأن يبعث اليه بيعلي ، فأتى المغيرة الى يعلي وأشخصه الى عمر بوجه غير مستحسن ، فلما قدم على عمر وشرح لـه القضية ، استفتى عمرُ علياً عما حكم به يعلي ، فقال له علي : « لقد افتى يعلي بالحق » فرده عمر على عمله في اليمن ، وقال المغيرة حين عاد من اليمن الى المدينة : « اقسم ان يعلي خير مني خين عزل وحين ولي » .

أما القضية الثانية : التي استقدم فيها عمرُ يعلي بن أُميَّـة من اليمن الى المدينة فهي ان عبد الرحمن بن أمية أخا يعلي بن أمية اشترى فرسـاً انثى بمائـة قلوص من الإبل ، ولّما تمّ البيع والشراء بينهما ندم البائع ، على فرسه وجاء الى عبد الرحمن بن أمية يستقيله في ذلك ، فلم يقله ، فسار الرجل الى عمر وقال له انّ يعلي واخاه غصباني فرسي ، فكتب عمر الى يعلي يأمُره بالقدوم اليـه ، ولّما قدم عليه ، وشرح له القضيـة كما حـدثت قال لـه عمر : « وهـل تبلغ الخيل عنـدكم هذا الثمن ؟ فقـال له يعـلي : « نعم » فقال عمـر : « نأخـذ من كل اربعين شاة ولا نأخذ من الخيل شيئاً ، خذ عن كل فـرس ديناراً » وردّه عـلى عمله .

وأما القضية الثالثة التي استقدم فيها عمر يعلي من صنعاء الى المدينة فهي ان نفراً من موالي يعلي ضربوا رجلاً ، فسار الرجل الى عمر وقال له : « يا أمير المؤمنين ان موالي يعلي ضربوني » فقال عمر حتى مه ؟ فقـال الرجـل : « حتى احدثت » فكتب عمر الى يعلي ان يأتيه ماشياً ، فخرج يعلي من صنعاء ماشياً ، حتى اذا صار على مراحل منها لقيه رسـول امير المؤمنـين (عثمان بن عفـان) بكتاب منه يخبره فيه بموت عمر ويقره على عمله في اليمن كما سلف . فعاد يعلي الى صنعاء راكباً ، ولم يزل على عمله بصنعاء حتى قتل (عثمان) كما أقر عثمان سـائر عمـال اليمن على أعمـالهم ومنهم عامـل الجند (عبـد الله بن أبي ربيعة المخزومي) والد (عمر بن أبي ربيعة) شاعر الغزل المشهور .

وكانت[٣٣] الفتوحات الاسلامية قد امتدت خلال عهد عمر والسنوات

(٣٣) تاريخ اليمن الإسلامي بتصرف ص ٧٨ .

الأولى من عهد عثمان الى اراضي (الجزيرة) بالعراق و(اذربيجان) و(ارمينية) شمالاً ، والى خراسان وسجستان شرقاً ، والى (برقة) في طرابلس وافريقيا غرباً ، الى بلاد (النوبة) بين مصر والسودان جنوباً ، وتأسست مدن ومعسكرات كمراكز وثغور امامية لجيوش الفتح الإسلامي ، ومنحت للجيوش اقطاعات وممتلكات ليرتبط بها المسلمون الفاتحون ، وتنقطع صلتهم بأوطانهم البعيدة ، ولينطلقوا في التوسع والفتح من مراكزهم الجديدة ، حتى لقد أصدر امير المؤمنين (عثمان بن عفان) في عام ثلاثين للهجرة قراره التأريخي والذي يقضي : « بتملك الفاتحين للأراضي الجديدة في المناطق التي استقروا بها بدلاً عن ممتلكاتهم في أوطانهم التي نزحوا عنها ولم يعودوا يفكرون في العودة اليها بعد ذلك القرار ، وذلك الى جانب الأعطية والأرزاق التي كانت تأتيهم سنوياً منذ عهد (عمر) ، والى جانب اموال الفيء من غنائم الفتوحات .

وأخذت العناصر اليمنية حظها في الاقطاع والاستقرار ، بل لقد تـزعم بعض اليمنيين امر تعديل القبائل وتوزيعها في المناطق الجديدة ، كما أُقطع كل من (أبي موسى الأشعري) و(جرير بن عبد الله البجلي) و(الأشعث بن قيس الكندي) في الكوفة اقطاعات واسعة تقديراً لجهودهم وبلائهم في الجهاد .

واختُطت (البصرة) ووُزعت اراضيها على نحو ما وُزعت به اراضي الكوفة ، وحظي اليمنيون بقدر وفير في اراضيها تقديراً لبلائهم في الجهاد في سبيل نشر الإسلام » .

أما الشام[٣٤] فقد تفرقت العناصر اليمنية في أجنادها ،فكان جند أهل مدينة حمص جميعهم يمنيون من كندة وحمير وهمدان وغيرهم من بطون القبائل اليمنية، كما كان أغلب جند أهل دمشق من أهل ليمن ،وكان الأشعريون هم اغلبية جند طبريا في الأردن ، وغلبت العناصر اليمنية في خطط الفسطاط على غيزها من العرب ، فكان هناك خطط الصدف وتجيب والسكون من كندة ، وحضرموت

(٣٤) نفس المصدر ص ٧٧ .

وخولان ومذحـج ويحصب ورعين والكـلاع والمعافـر من حمير ومهـرة وبلي من قضاعة وغيرهم ، وكان معاوية بن حديج السكوني وعمرو بن قحزم الخولاني وجبير بن ناشرة المعافري ضمن من أقامهم عمرو بن العاص على انزال القبائل في خطط الفسطاط .

ولما قتل امير المؤمنين (عثمان بن عفان) وولي امير المؤمنين (علي بن أبي طالب) عزل كلاً من (يعلي بن أمية) عامل صنعاء وأعمالها ، و(عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي) عـامل الجنـد وأعمالـه بـ (عبيد الله بن العبـاس) على صنعاء وأعمالها و(سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري) على الجند وأعماله ، وغادر (يعلي بن أمية) اليمن على خـوف ووجل من (عـلي) وكان معـه من اليمن أموال كثيرة ، أعان منها (طلحة بن عبيد الله) و(الزبير بن العـوام) و(السيدة عائشة بنت أبي بكر) بستمـائة ألف دينـار وبستمائـة بعير من بينهـا الجمل (عسكر) الذي نسب اليه يوم الجمل المشهور بين علي وعائشة ، وكان (يعلي) قد التقى بهم في مكة اثر منقلبه من اليمن وقد عزموا على الخروج على (علي) وهم في طريقهم الى (البصرة) ، وما أعـانهم به هـو مال الـدولة من الزكوات وغيـرها والتي كان عليه أن يدفعه الى علي .

كما عارض (علياً) معاوية بن أبي سفيان في الشام الذي كان والياً عليه منذ عهد (عثمان) ، ونازعه الأمر في سائر الولايات الاسلامية ومنها (اليمن) الذي انفذ اليه (معاوية)(بسربن أرطاة العامري) والياً عليه من قبله على رأس جيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل من الشام .

ولّما[٣٥] كان (بسر بن أرطاة) قـريباً من صنعـاء جمع (عبيـد الله بن العباس) وجوه صنعـاء وغيرهـا وخطبهم حـاثاً لهم عـلى القتال وصـد عامـل معاوية ، فتقاعسوا عن نصرته ، وردّ عليـه (فيروز الـديلمي) بقولـه : « ما عندنا قتال فأحترز لنفسك » ولّما آيس (عبيد الله بن العباس) عن نصرتهم حزم

(٣٥) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص (٢٠ .

حقائبه وأناب عنه (عمرو بن اراكة الثقفي) ووضع طفليه (عبد الرحمن) و(قثم) عند اخواله من بني عبد المدان وعاد الى (علي) .

أما (بسر) فبسط نفوذه في اليمن باسم (معاوية) وسفك الدماء ، وكان أول من سفك الدماء في اليمن ، في الاسلام بعد القضاء على حركة الردة والتمرد التي حدثت في اليمن في بداية عهد (ابي بكر) ، وقتل (بسر) النائب (عمرو بن اراكة الثقفي) وطفلي (عبيد الله بن العباس) الذين بُني على قبريهما جامع في صنعاء سُمي بجامع الشهيدين ما يزال عامراً الى اليوم ، كما قتل (بسر) من بني عبد المدان (عبد الله بن عبد المدان) وابنه (مالكاً) وسبعين رجلاً من الأبناء وصادر اموالاً كثيرة ومنها اموال (شرحبيل بن ابرهة بن شرحبيل) جزاء رفضه مصاهرته .

ومن[٣٦] الغريب قيام (همدان وانصار امير المؤمنين (علي بن أبي طالب) بمساندة وعون (بسر بن أرطاة العامري) في اليمن،بحجة أنَّ (عليّاً) حوّل راية همدان عن أبي معيد بن حمزة من بني رافع من حاشد الى سعيد بن قيس من آل مرب من حاشد أيضاً ، وقد أرسل (علي) الى اليمن لطرد (بسر) منه (حارثة بن قدامة السعدي) على رأس جيش قوامه أربعة آلاف فارس من البصرة والكوفة وبسط حارثة نفوذه في اليمن باسم امير المؤمنين علي ، وفرّ بسر بن ارطاة من اليمن ، وقبض حارثة على عدد من أنصاره واتباعه وقتل عدداً منهم .

كما[٣٧] ادرك اليمنيون ولدين لبسر بن أرطاة قرب مكة وقتلوهما قصاصاً بطفلي عبيد الله بن العباس اللذين قتلهما بسر .

وكان جمهرة أهل اليمن والحجاز والعراق وخراسان هم أنصار علي ، بينما كان الشام هم انصار معاوية .

---

(٣٦) تاريخ اليمن الإسلامي ص ١٠٨ .

(٣٧) نفس المصدر والصفحة .

أما اليمنيون خارج اليمن فقد انقسموا بين علي ومعاوية ، فهمدان ومذحج تقريباً في صفوف علي ، بينما حمير وعك والأشاعر في صفوف معاوية بحكم انهم كانوا في الشام الذي كان معاوية والياً عليه ومنه انطلق لمعارضة علي باسم المطالبة بدم عثمان .

وكان (الأشتر النخعي) قائد ميمنة جيش علي ، وقد قتل بالسم الذي دُسّ له وهو في طريقه الى مصر ، بينما كان (ذو الكلاع السميفع بن ناكور) الحميري قائد ميمنة جيش معاوية وقد قتل في احدى المعارك التي دارت بين علي ومعاوية .

وبهذا الانقسام بين اليمنيين صار يقتل بعضهم بعضاً (علي) يثير أصحابه على أساس أحقيته بالخلافة ، و(معاوية) يثير اصحابه باسم المطالبة بدم عثمان وأخذ الثأر له ذريعة للوصول الى الحكم ، وما زالت الحرب بين علي ومعاوية حتى أُرغم علي على التحكيم لكل من أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص ، وقد قرأ (الأشعث بن قيس الكندي) صحيفة التحكيم في شهر صفر من عام (٣٧) للهجرة ، وكان من شهودها التسعة ستة من اليمنيين منهم الأشعث بن قيس المذكور وسعيد بن قيس الهمداني وحجر بن عدي الكندي وجابر بن يحيى البجلي وعصمة بن زياد الحضرمي ، وقد تفكك جيش علي على أثر التحكيم وانفصل عنه الفريق الذي لم يرض بالتحكيم الى قرية حروراء بالقرب من الكوفة وعرفوا من ذلك اليوم بالخوارج وبالحرورية ، ثم استشهد (علي) على يد (ابن ملجم) المرادي الخارجي ، في عام (٤٠) للهجرة .

اليمن في عهد الأمويين وعبد الله بن الزبير
(٤١ - ١٣٢ هـ - ٦٦١ - ٧٥٣ م)

استقل بالأمر (معاوية بن أبي سفيان) منذ استشهد امير المؤمنين (علي بن أبي طالب) عام (٤٠) للهجرة (٦٦٠ م) ثم تنازل (الحسن بن علي) لمعاوية ، وقد بعث معاوية ولاته الى جميع الولايات الاسلامية ومنها (اليمن) ، وحتى موته في عام (٦٠) للهجرة ، ٦٨٠ م ، وهم[1] في اليمن على الترتيب :

(عثمان بن عفان الثقفي)

فأخوه (عتبة بن أبي سفيان) وقد جمع له ولايتي (صنعاء) و(الجند) وأعمالها ، وقد أقام (عتبة) في الجند وأناب عنه في صنعاء ، ودامت ولايته سنتين أو ثلاث سنين على اختلاف في الروايات .

ثم لحق بأخيه (معاوية) وأناب عنه في اليمن (فيروز الديلمي) الذي دامت نيابته ثمان سنين ، وكانت لفيروز الديلمي سابقة محمودة بالنسبة لمعاوية منذ خذل عامل علي (عبيد الله بن العباس) إثر وصول عامل معاوية بسر بن ارطاة العامري كما عرفنا ، ولما توفي (عتبة بن أبي سفيان) خلفه معاوية على اليمن بـ (النعمان بن بشير الأنصاري) .

ثم عزله بعد عام واحد بـ (بشير بن سعيد الأعرج) .

فـ (سعيد بن داذويه الفارسي) .

---

(١) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر من صفحة ٢١ .

ولما توفي بعد تسعة أشهر خلفه معاوية بـ (الضحاك بن فيروز الديلمي) ، ودامت ولايته الى موت معاوية .

ولما ولي الأمر (يزيد بن معاوية) ولي على اليمن بمخلافيه صنعاء والجند (بحير بن ريشان الحميري) الذي اقطعه (يزيد) اليمن بمال معلوم يؤديه كل عا م ، وكان بحير من كرام الولاة، كما كان جباراً عاتياً ، كان بحير يأنف أن يُسأل شيئاً يسيراً ، وربما عاقب من يسأله القليل ، فقد ذكر أنّ رجلاً قصده من الحجاز وامتدحه بقصيدة منها قوله :

بحير بن ريشان الذي ساد حمَيراً ونائله مثل الفرات غزير
وإني لأرجو من بحير وليدة وذاك من الحر الكريم كثير

فغضب عليه (بحير) وقال له : « ترحل إليَّ من الحجاز لا ترجو إلا وليدة لأودبنّك » ثم أمر به فضُرب أسواطاً ، ثم بعث له بعشر ولائد وبجائزة سنية ، وقد دامت ولايته في اليمن طيلة الثلاث السنوات التي عاشها (يزيد بن معاوية) .

ولما استولى على الأمر في الحجاز والعراق واليمن (عبد الله بن الزبير) بعد تنازل معاوية بن يزيد بن معاوية عن الحكم عام (٦٤) للهجرة (٦٨٤ م) ولي على اليمن (الضحاك بن فيروز الديلمي) .

ثم عزله بعد عام واحد بـ (عبد الله بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وولاه المخلافين (صنعاء) و(الجند) وأعمالها فيما يبدو لأنـه لم يذكر معه إلا (عمارة بن عمرو بن حزم الأنصاري) على (حضرموت) .

وبعد مدة خلف (عبد الله بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد) بـ (عبد الله بن عبد المطلب بن وادعة السهمي) وبعد اكثر من عام عزله (عبد الله بن الزبير) بأخيه (عبيدة بن الزبير) ، ولم يلبث في ولايته اكثر من خمسة أشهر حتى خلفه بـ (حسن بن عبد الله الفقيه) ولم يلبث هذا بدوره حتى خلفه بـ (قيس بن يزيد السعدي التميمي) وبعد عشرة أشهر عزله واستعمل ولاةً كان الوالي منهم لا يدوم في ولايته اكثر من أربعة أشهر حتى يخلفه بغيره ، ومن

هؤلاء (الضحاك بن فيروز) مرةً أخرى و(خلاد بن السائب الانصاري) وأخيراً (أبو النجود) مولى عثمان بن عفان ، وفي عهده قدمت الحرورية الخوارج الى صنعاء ، فجمع القاضي وهب بن منبه قاضي صنعاء الشرعي الناس لقتالهم ، فقالوا له : لا طاقة لنا بقتال الخوارج ، ونحن نخشى أن يستحلوا دماءنا ، فصالحهم القاضي وهب واعيان صنعاء على مائة ألف دينار مقابل انصرافهم عن صنعاء واستعان أهل صنعاء لتوفير المال باهل المخاليف فأعانوهم ، ثم اضطربت الأمور في اليمن من يومئذٍ ، وما زال الأمر في اليمن مضطرباً كذلك حتى قتل (عبد الله بن الزبير) سنة (٧٣) للهجرة بعد ان استولى على امور المسلمين خليفةً عليهم حوالي تسع سنوات ، وقد قتل عبد الله بن الزبير على يد الحجاج بن يوسف الثقفي قائد جيش عبد الملك بن مروان الذي ولي الحكم بين عامي ٦٥ ـ ٨٦ للهجرة ، وجعل عبد الملك بن مروان لليمن في ولاية الحجاج وهو ولي على اليمن من قبله اخاه (محمد بن يوسف الثقفي) وأعمالها . و(واقد بن سلمة الثقفي) على الجند وأعماله ، و (الحكم بن أيوب الثقفي) على حضرموت وأعماله ، وبعد عام واحد جمع لأخيه (محمد بن يوسف الثقفي مخلافي (صنعاء) والجند ولما مات (محمد بن يوسف الثقفي) خلفه (الحجاج بن يوسف) بإبن عمه (أيوب بن يحيى الثقفي) ودامت ولاية هذا بقية عهد (عبد الملك بن مروان) وطيلة عهد ولده (الوليد بن عبد الملك) .

وهو الذي زاد في جامع صنعاء الكبير بأمر الوليد بن عبد الملك ، وشملت الزيادة الجهة الشمالية بدليل[٢] تكليفه لوهب بن منبه قاضي صنعاء الشرعي بالإشراف على تأسيس القبلة ، قائلاً له : « يا أبا عبد الله اقعد معهم حتى يؤسسوا القبلة » . ولما مات (الوليد بن عبد الملك بن مروان) في عام (٩٦) للهجرة وخلفه (سليمان بن عبد الملك) خلف (أيوب بن يحيى الثقفي) بـ (عروة بن محمد السعدي) واستمرّ عروة في ولايته على اليمن طيلة

---

(٢) تأريخ صنعاء ص ٨٢ .

عهد (سليمان بن عبد الملك) وعهد (امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز) الذي خلف (سليمان بن عبد الملك) في ولاية امور المسلمين بعد وفاته في عام (٩٩) للهجرة (٧١٧ م) .

ولما توفي (عمر بن عبد العزيز) في عام (١٠١ للهجرة) وخلفه (اليزيد بن عبد الملك بن مروان) خلف (عروة بن محمد السعدي) على اليمن بـ (مسعود بن عوف الكلبي) ، وقد استمرّ هذا في ولايته على اليمن طيلة عهد (اليزيد بن عبد الملك) وشطراً من عهد (هشام بن عبد الملك) الذي خلف أخاه (اليزيد) بعد موته في عام (١٠٥) للهجرة ، (٧٢٤م) .

ثم خلف هشام (مسعود بن عوف الكلبي) بـ (يوسف بن عمر الثقفي) وجمع له مخاليف اليمن الثلاثة (صنعاء) و(الجند) و(حضرموت) وأعمالها ، وولى (يوسف بن عمر الثقفي) على حضرموت من قبله .

كما أسند الخليفة (هشام بن عبد الملك) القضاء في اليمن الى (الغطريف بن الضحاك بن فيروز الديلمي) .

وفي عهد الخليفة (هشام بن عبد الملك) ثار في اليمن على الدولة الأموية القيل (عباد الرعيني) وامتدّت ثورته الى عدة نواحٍ في اليمن ، وقامت بينه وبين والي اليمن (يوسف بن عمر الثقفي) عدة معارك تغلبت الدولة في نهايتها ، وانسحب (عبّاد) من المعركة ، ولكنّ ثورته كانت البذرة الأولى لثورات تلتها في اليمن في عهد الأمويين والعباسيين نجحت في اكثرها كما سنرى .

هذا وبعد ثلاثة عشر عاماً من ولاية (يوسف بن عمر الثقفي) في اليمن أمره الخليفة (هشام بن عبد الملك) بالعودة الى العراق والتصدي لخالد بن عبد الله القسري الذي خرج على الدولة الأموية ، فاستناب (يوسف بن عمر) عنه في اليمن ولده (الصلت) وعاد الى العراق ، وقد أقام (الصلت بن يوسف ابن عمر الثقفي) في نيابته على اليمن الى موت الخليفة (هشام بن عبد الملك بن مروان) في عام (١٢٥) هجرية . ولما ولي (الوليد بن اليزيد بن عبد الملك)

ولى على اليمن جميعه (مروان بن محمد بن يوسف الثقفي) ابن أخي الحجاج ابن يوسف الثقفي وهكذا ما زالت الأسرة الثقفية تحكم اليمن في معظم عهد الدولة الأموية وحتى آخر ملوكهم (مروان بن محمد) كما سنرى .

وكأن الأمويين دانوا لهذه الأسرة في تأسيس دولتهم فكافأوهم وسلطوهم عليه .

وللحقيقة التأريخية فإنّ لليمنيين دوراً كبيراً في قيام وتوطيد دولة الأمويين .

ولكنّ نزوح الكثير والكثير من زعماء ورؤساء اليمنيين عن اليمن ، واستيطانهم مواطنهم الجديدة والعديدة في البلدان التي اسهموا في افتتاحها ونشر الإسلام فيها في العراق والشام ومصر وافريقيا وغيرها قلّل من أهمية اليمن في نظر الأمويين وأضعف من هيبة اليمنيين داخل اليمن في نفوسهم ، فسلطوا على اليمن الثقفيين وغيرهم من عتاة الولاة وجبابرتهم لإخماد الحركات المناهضة فيه ، ولكنه أدى الى نتيجة عكسية وزاد في الحركات المناهضة للأمويين وولاتهم في اليمن ، ومنها حركة القيل (عباد الرعيني) الحميري وثورة طالب الحق (عبد الله بن يحيى الكندي) الحضرمي وغيرهما كما سنعلم .

ولما قتل (الوليد بن اليزيد بن عبد الملك) في عام (١٢٥) للهجرة وخلفه (اليزيد بن الوليد بن عبد الملك) ولي على اليمن (الضحاك بن واصل السكسكي) وولى على القضاء في اليمن (يحيى بن شرحبيل بن أبرهة) .

وقد[٣] قتل (الوليد بن اليزيد) في الحرب التي قامت بينه وبين (اليزيد ابن الوليد) والتي ناصر العنصر المصري فيها (الوليد) . وناصر العنصر اليمني فيها (اليزيد) .

ولما استولى على الأمر (مروان بن محمد) آخر خلفاء بني أُمية عام(١٢٧) هـ (٧٤٤ م) ولى على اليمن بمخلافيه (صنعاء) و(الجند) وأعمالهما (القاسم بن عمر الثقفي) ، وولى على (حضرموت) (ابراهيم بن جبلة

---

(٣) اليمن في ظل الإسلام ص ٧٢ . استناداً الى الطبري حوادث عام ١٢٩ للهجرة .

الكندي) .

وقد لقب الخليفة الأموي (مروان بن محمد) بمروان الحمار لكثرة اسفاره وغزواته في سبيل الذود عن الدولة الأموية ومحاربة الخارجين عليها الذين كانوا قد كثروا ، ومنهم الخارج في (حضرموت) وفي اليمن جميعه (طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي الحضرمي) آنف الذكر .

وكان (مروان بن محمد) من أكفأ خلفاء بني أمية ، ومن أقدرهم في الإدارة والسياسة والحرب ، ولكنه جاء وصرح الدولة الأموية منهار ، والثورات والحركات المناهضة للدولة الأموية قائمة في اكثر من ولاية اسلامية من الولايات التابعة للدولة الأموية ، وقد انتهت به الدولة الأموية وقتل هو في (بوصير) من قرى (الفيوم) في (مصر) على ايدي الجنود العباسيين عام ١٣٢ هـ . (٧٥٠ م) وقامت على انقاضها الدولة العباسية .

ثورة طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي الحضرمي في اليمن

أما هذه[٤] الثورة والتي تزعمها (عبد الله بن يحيى الكندي الحضرمي) الملقب بطالب الحق فقد قامت في اليمن ضد الدولة الأموية مستقلةً بحركتها عن العباسيين ، وكان (عبد الله بن يحيى) المذكور زعيم الأباضية الخوارج في اليمن ، وفرع للحركة الأباضية المتمركزة في البصرة ، وقد استأذن (عبد الله بن يحيى) زعماءها في البصرة بالقيام بحركته ، فأذنوا له وبعثوا اليه لمساندته جماعة من زعمائهم ومنهم (أبو حمزة بن المختار بن عوف الأزدي الأسلمي) و(بلج بن عقبة السقوري) .

ولنا[٥] ان نتساءل عن سبب انضمام الحضارمة بالذات الى الخوارج الأباضية ؟ وفي اعتقادي ان بلاد اليمن بما فيها حضرموت لم تتحسن احوالها الاقتصادية في العهد الأموي ، فتطلعوا الى مناصرة الأحزاب المعارضة للحكم

---

(٤) حمزة علي لقمان في كتابه (معارك حاسمة في التاريخ) ص ٣٣ بتصرف .

(٥) اليمن في ظل الإسلام ص ٦٥ .

الأموي ، ووجدوا في مبادىء الخوارج ضالتهم المنشودة ، فالخوارج يرون ان الخلافة حق لكل مسلم حر ، وبذلك فالفرصة متاحة لكل مسلم في توليه لها ، وقد يكون يمنياً ، قد يخلصهم من ظلم وجور بني أمية ، ويسعى جاهداً الى رفع مستواهم الاقتصادي ، ومهما يكن من امر فقد قال (عبد الله بن يحيى) لأبي حمزة المختار : « اسمع كلاماً حسناً لذاك تدعو الى الحق ، فأنطلق معي فاني رجل مطاع في قومي » . فاستجاب أبو حمزة لدعوة ابن يحيى ، وصحبه الى حضرموت ، ودعا الناس الى مذهبه والى مبايعة عبد الله بن يحيى الكندي بالخلافة وخلع مروان بن محمد ، فاستجاب الحضارمة لدعوته ـ وبايعوا ابن يحيى خليفة ولقبوه بطالب الحق وخلعوا واليهم الأموي ابراهيم بن جبلة الكندي) (ولاتعارض فيما جاء في المصدرين لهذا الموضوع) .

وقد بدأ طالب الحق حركته في عام (١٢٩) للهجرة بالاستيلاء على حضرموت ، فهجم على دار الإمارة فيها واسر والي حضرموت للأمويين (ابراهيم بن جبلة الكندي) ثم طرده الى صنعاء ، وما لبث (طالب الحق) ان زحف بجموعه نحو صنعاء واستولى عليها بعد ان انهزم منها واليها للأمويين (القاسم بن عمرو الثقفي) وقتل ابن اخيه (الصامت بن يوسف الثقفي) ثم بسط نفوذه على اليمن جميعه تقريباً وبعث ولاته على مخاليفه ، ودام حكمه لليمن عاماً واربعة أشهر .

وقد ألقى في منبر[٦] صنعاء اثر استيلائه عليها خطبة جاء منها قوله : « ايها الناس اننا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيّه ، واجابة من دعى اليهما ، الاسلام ديننا ، والكعبة قبلتنا ، والقرآن إمامنا ، رضينا بالحلال لا نبتغي به بديلاً ، ولا نشتري به ثمناً قليلاً ، وحرّمنا الحرام ونبذناه وراء ظهورنا ، ندعوكم الى فرائض بينات ، وآيات محكمات ، وآثار مقتدى بها ، ونشهد أن الله صادق فيما وعد ، وعدل فيما حكم ، وندعو الى توحيد الرب ، واليقين بالوعد والوعيد ، والعذاوة لأعداء الله ، أيها الناس أن من رحمة الله ان جعل في

(٦) المصدر السابق حمزة لقمان في كتابه (معارك حاسمة) والصفحة نفسها .

كل فترة بقايا من العلم يدعون من ضلّ عن الهدى ، ويصبرون على الألم في جنب الله ، ويقتلون على الحق شهداء ، فما نسيهم ربهم وما كان ربك نسياً ، وأوصيكم بتقوى الله وحسن القيام على ما وكلكم الله بالقيام به ، فأبلوا لله بلاء حسناً في امره وذكره ، أقول هذا واستغفر الله لي ولكم .

ثم جهّز (عبد الله بن يحيى الكندي) من اليمن جيشاً الى (مكة) بقيادة (ابي حمزة المختار) بن عوف الأزدي آنف الذكر ، وقدّر له ان يصل بحملته (عرفة) يوم عرفة ، وأن يرتفع على الناس ناشراً مع حملته أعلامهم على رؤوس الرماح ، معلنين ثورتهم على الأمويين ، وفعلاً قام أبو حمزة بما رسم له ، الأمر الذي اضطر والي مكة والمدينة (عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك)الى عقد هدنة معه حتى آخر أيام التشريق .

وفي اليوم المحدد لانتهاء الهدنة دخل (أبو حمزة المختار) (مكة) بعد ان غادرها واليها المذكور الى المدينة .

ومن المدينة جهّز قوة لمواجهة (المختار) وقامت حرب بين الجانبين انتهت بانهزام والي مكة والمدينة المذكور .

وفي شهر صفر من عام (١٣٠) للهجرة أناب أبو حمزة المختار عنه في مكة (ابرهة بن الصباح بن عبد الرحمن الصدفي) وتقدم هو على رأس قواته نحو المدينة ودخلها بعد أن خرج منها الوالي (عبد الواحد بن سليمان) المذكور .

ولقد ارتقى (أبو حمزة المختار) منبر مسجد رسول الله ﷺ في المدينة والقى فيه خطبة اوضح فيها سياسة وهدف الثورة التي قام بها الأباضيون ضد الأمويين ، وحكم المدينة أربعة أشهر أحسن فيها معاملة الناس .

ثم جهز أبو حمزة المختار من المدينة جيشاً بقيادة (بلج بن عقبة) نحو الشام بغية الاستيلاء على (دمشق) عاصمة الدولة الأموية ، وهو بهذا التصرف قد تهوّر ولم ينتظر ما تسفر عنه الأيام المقبلة ، ومع ذلك فإنّ الخليفة الأموي لم ينتظر تقدم قوات أبي حمزة المختار ، بل كان قد جهز جيشاً كبيراً بقيادة (عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي) لطرد ابي حمزة المختار والأباضيين من مكة

والمدينة ، ولقيت قوة الدولة الأموية قوة الأباضيين في وادي القرى بين المدينة والشام وتغلبت عليها ، ثم واصلت تقدمها نحو مكة ودخلتها بعد ان تغلبت على ابي حمزة المختار وقتلته ، وأقرّت نفوذ الدولة الأموية في مكة والمدينة ، ثم واصلت تقدمها نحو اليمن للقضاء على نفوذ الأباضيين فيه واعادة نفوذ الدولة الأموية اليه ، وصادف ان التقت بعبد الله بن يحيى الكندي في نواحي الطائف وكان قد تقدم من اليمن على رأس جيشه للأخذ بالثأر لأبي حمزة المختار وقامت حرب بين الفريقين انتهت بمقتل (عبد الله بن يحيى) وانهزام جيشه ، وواصل عبد الملك بن عطية السعدي تقدمه نحو اليمن ودخل صنعاء دون ان يجد مقاومة تذكر وذلك في العام نفسه (١٣٠) للهجرة ، وأقرّ نفوذ الدولة الأموية فيها ، ثم أناب عنه في صنعاء ابن اخيه (عبد الرحمن بن يزيد بن عطية) وتقدم هو على رأس جيشه نحو بلاد حضرموت مركز الأباضية في اليمن ، وأعاد فيها أيضاً نفوذ الدولة الأموية ثم عاد الى صنعاء ، وأقام فيها حتى أمره الخليفة (مروان بن محمد) بالمسير الى الحجاز والحج بالناس فأناب عنه[٧] في صنعاء ابن اخيه المذكور وغادر صنعاء نحو الحجاز ، ولما كان ببلاد مراد في اليمن فاجأته جماعة من الأباضية ، منهم (جمانة) و(سعيد ابني الأخنس) وتمكنوا من قتله أخذاً بالثأر لعبد الله بن يحيى الكندي ولأبي حمزة المختار ولغيرهما من الأباضية الذين قتلهم (عبد الملك بن عطية) المذكور.

ولما علم ابن عطية نائب صنعاء بمقتل عمه ثارت ثائرته وعهد[٨] الى (شعيب البارقي) أحد مشاهير فرسان أهل الشام بقتل الأباضية اينما وجدوا والثأر لمقتل عمه (عبد الملك بن عطية) فمزق البارقي الأباضية ولم يجد احداً منهم إلا قتله ، ولم ينج من بطشه أحد حتى الأطفال والنساء ، واستولى على اموالهم والحق الخراب والدمار بقراهم ، وجعل يتتبع الخوارج اينما وجدوا ويقتلهم ، ولم ينج من بطشه من الأباضية إلا من امعن في التخفي .

(٧) تأريخ اليمن الإسلامي ص ٦٩ .

(٨) نفس المصدر والصفحة .

وقد أقام النائب ابن عطية المذكور في صنعاء حتى قدم عليه (الوليد بن عروة) والياً على اليمن من قبل (الخليفة (مروان بن محمد) .

وفي عهد (عروة بن محمد) هذا قتل الخليفة (مروان بن محمد) في قرية (بوصير) إحدى قرى الفيوم من أرض مصر على ايدي جنود العباسيين ، وبه انتهت الدولة الأموية ، وقامت على انقاضها الدولة العباسية ، وصار اليمن ولاية اسلامية تابعة لمركز الدولة الجديدة (بغداد) في العراق كسائر الولايات الاسلامية .

هذا والأباضية فرقة من فرق الخوارج العديدة وأكثرها اعتدالاً ، وتنسب الى مؤسسها (عبد الله بن اباض الخارجي) المتوفي في عام (٨٥) للهجرة ، وقد كوّنت هذه الطائفة لها مراكز في البصرة واليمن وعمان والجزيرة بالعراق وكرمان وسجستان وغيرها ، وسميت فرق الخوارج بالخوارج لخروجهم على علي بعد التحكيم ، وقد حاربهم علي وأوقع بهم في وقعة يوم (النهروان) وشتّت جموعهم كما هو معروف ، ومن يومئذٍ تفرّقت وكوّنت فرقها ومراكزها في كثير من الأقطار الاسلامية .

اليمن منذ بداية الدولة العباسية وحتى بداية حركات الاستقلال عن الحكم العباسي

تميّزت سياسة العباسيين في اليمن منذ بداية الدولة العباسية في عام (١٣٢) للهجرة (٧٥٠ م) وحتى بداية حركات الاستقلال عن الحكم العباسي في اليمن في عهد الخليفة المأمون ، بانتهاج سياسة كثرة وسرعة تغيير الولاة ، ومن الملاحظ انهم كانوا يعتبرون ذلك عامل ارضاء لليمنيين ، وعامل قمع متجدد للحركات المناهضة لحكمهم في اليمن ، ووسيلة يقظة لهم أي خلفاء بني العباس ، وحائلاً دون تشبث الولاة بولاياتهم .

ولقد كانت الحركات المناهضة في اليمن للحكم العباسي هي البذور الأولى لحركات الاستقلال التي نجحت في القرن الثالث الهجري كما سنعلم .

أمّا ولاة[١] العباسيين في اليمن فهم على الترتيب :

(داود بن عبد المجيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي القرشي) وقد وُلِّيَ اليمن من قبل (داود بن علي بن عبد الله بن العباس) الذي جعل (أبو العباس السفاح) أول خلفاء بني العباس اليمن في ولايته ، والوالي[٢] (داود بن عبد المجيد) المذكور هو الذي بوّب جامع صنعاء ولم يكن له من قبل أبواب غير الباب الرئيسي للدخول اليه .

وقد توفي أو قتل (داود بن عبد المجيد) بعد خمسة أشهر فقط من توليه في

---

(١) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر من صفحة ٢٤ .

(٢) المصدر المذكور والصفحة نفسها .

اليمن .

وخلفه (أبو العباس السفاح) بـ (محمد بن يزيد بن عبد الله بن زيد بن عبد المدان الحارثي النجراني) على صنعاء وأعمالها ، وأخ له على (عدن) وأعمالها ، وقد ذكر المؤرخون انهما أساآ السيرة وتوفيا معاً في يوم واحد في ظروف غامضة ، وخلفهما السفاح بـ (عبد الله بن مالك الحارثي) ، الذي لم يلبث ان خلفه السفاح بعد أربعة أشهر بـ (علي بن الربيع بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي النجراني) ، وله زيادة في الجامع الكبير بصنعاء ، وقد كتب[٣] على حجر محفوظ بخط كوفي ما نصه : (بسم الله الرحمن الرخيم لا إله إلا الله وحده لا شريك له أرسله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، أمر المهدي عبد الله (يعني أبا العباس عبد الله السفاح) باصلاح المساجد وعمارتها على يد الأمير علي بن الربيع أكرمه الله ، في سنة (١٣٦) للهجرة ، أكمل الله له اجر المهدي) .

وفي[٤] عهد الأمير (علي بن الربيع) هذا حدث خلاف بين الأبناء وأهل صنعاء حول حمى الرحبة وكان في جمهرة مُلّاك الأرض التي حول الرحبة (بنو عبد المدان) النجرانيون المذحجيون الذين انتقلوا من نجران الى صنعاء في الوقت الذي جاء فيه الأبناء من الفرس تلبيةً لطلب اليمنيين بزعامة (سيف بن ذي يزن) وهو نفس الوقت الذي جاء فيه بنو شهاب الحميريون من بلاد صعدة الى بلاد صنعاء والذين اشتركوا مع بني عبد المدان في خلافهم مع الأبناء حول حمى الرحبة المذكوز وقد دافع الأبناء عنه مستدلين بحديث الرسول الكريم انه جعله حمى للعاملة وللحامله ثم للشاة ، وبما روي عنه صلوات الله عليه انه نهى عن عضد عضاه ، وكان المسلمون الأوائل يتوقون ذلك ثم اخذ الناس في قطعها وحطبها .

---

(٣) اليمن في ظل الإسلام ص ١٣٢ .

(٤) تاريخ اليمن الإسلامي ص ١١٧ .

وهذا الخلاف بين الأبناء الفرس وبين بني الحارث بن كعب المذحجيين الذين منهم بنو عبد المدان وبني شهاب الحميريين هو امتداد للخلاف القائم بين الفريقين منذ فترة طويلة من الزمن ، حتى لقد ساند بنو كعب وبنو شهاب (قيس بن مكشوح) المرادي في حملته ضد الأبناء في بداية عهد ابي بكر كما علمنا في موضعه ، ولم يُسكن الخلاف عبر التأريخ الا تولي الأبناء الحكم كما حدث في عهد معاوية بن أبي سفيان وبعض خلفاء بني أمية ، أو تولي المضربين أعمال اليمن وقيام هؤلاء بحفظ التوازن بين الجانبين المذكورين .

ولذلك فإنه تجدد الاحتكاك بين الجانبين الأبناء وبني عبد المدان وبني شهاب حينما تولى (علي بن الربيع) من بني عبد المدان ، وحصل الخلاف بين الجانبين حول حمى الرحبة كما عرفنا .

ومع ذلك فالأبناء لم يكونوا من ملاك الأرض ولا من هواة الزراعة في اليمن وإنما اشتغلوا بالتجارة والتعدين وبالحكم في الولاية أو القضاء ، ولقد تجدد الخلاف بين الجانبين في اثناء ولاية (حماد البربري) في اليمن في عهد الخليفة العباسي (هارون الرشيد) وكان سبب هذا الخلاف مقتل أحد الأبناء من قبل رجل من بني الحارث بن كعب ، وقيام قاضي صنعاء آنذاك هشام بن يوسف الأبناوي بأخذ الثأر للأبناوي .

ولما توفي (أبو العباس السفاح) عام ١٣٦ هـ وخلفه أخوه (أبو جعفر المنصور) أقرّ (علي بن الربيع) خمسة اشهر فقط ، ثم خلفه بأخيه (عبد الله بن الربيع) ، وقد غادر[٥] هذا اليمن الى العراق بسبب فشله في اخماد الثورات التي قامت ضد العباسيين في اليمن وأناب عنه في اليمن ابنه الذي أقام في نيابته حتى قدم عليه . (معن بن زائدة الشيباني) الذي أرسله (أبو جعفر المنصور) والياً على اليمن ولإخماد الحركات المناهضة للحكم العباسي ، في اليمن ، ولقمع الخوارج الذين صارت لهم مراكز في بلاد حضرموت .

---

(٥) اليمن في ظل الإسلام ص ٧٣ .

إلا أنّ الدكتور[٦] (محمد أمين صالح) ذكر أنّ المنصور العباسي ارسل معن بن زائدة الشيباني الى اليمن والياً عليه ولقمع الثائـرين في اليمن ، وأمره مع ذلك بأن يقبض على (عبـد الله بن الربيـع) ومصادرة أمـواله لأنـه خشي عصيـانه عليـه ، وأنّ معناً وصـل الى صنعاء في عـام (١٤٢) للهجرة وفعـل ذلك .

وقد أمعن (معن بن زائدة الشيباني) في ظلم اليمنيين وعسفهم ، ومن أولى[٧] سيئاته بعد القبض على عبد الله بن الربيع ومصادرته هو محاربة (عمرو بن زيد الغالبي) من بني سعد بن خولان بن عمرو في بلاد صعـدة وقتله عند المنضج في بلاد وادعة شمال صعدة ، دون أن يُعرَف سبب لذلك الحدث الذي فتح باب الخلاف عليه من خولان جميعاً ، وممن تصدر لحرب (معن بن زائدة) في بلاد صعدة بسبب مقتل الغالبي المذكور (محمد بن أبان الخنفري الحميري) الذي كان العدو الأول للغالبي وكذلك بنو ربيعة برغم الخلاف التقليدي بين بني ربيعة وبني سعد بن خولان ، وكان خـلاف أهل صعـدة هؤلاء هي أول اشارة البدء لإنتفاض اليمن على سلطان ولاة العباسيين فيه ، وقد ضاعف من أسباب انتفاضات اليمنيين ضد معن وولاته في الفـروع تعيينه ولاةً من اسـرته عاملوا الناس بالقسوة والشدة ، ومن أبرز تلك الانتفـاضات عليـه قتل أهـل (المعـافر) الحجـرية لعـاملهم (سليمان الشيبـاني) ابن عم (معن بن زائـدة الشيباني) وانتفاض أهل الجند ، فأهل حضرموت وقتلهم لعامل معن عليهم ، وقـد قام معن ازاء كـل تلك الانتفاضـات بغزو المعـافر والجنـد وحضـرمـوت والتنكيـل بـأهـل هـذه المنـاطق ، وظـلّ يحكم اليمن بـالعسف والـظلم ست سنوات .

ثم نقله (أبـو جعفر المنصـور) من اليمن الى سجستـان ، وفيهـا تمكن (محمد بن عمرو بن عبد الله بن محمد) وأخوه من أهل حضرموت من اللحاق

---

(٦) في كتابه (تأريخ اليمن الإسلامي) ص ١١٢ .

(٧) تأريخ اليمن الإسلامي ص ١١٣ .

به الى سجستان ومن قتله في داره أخذاً بالثأر لأبيهما الذي قتله (معن) فيمن قتل من أهل حضرموت .

كما تمكن الرجلان المذكوران من العودة الى اليمن واستقبلهما أهل حضرموت استقبال الأبطال ، وأقاموا (محمد بن عمرو) قيلاً بحضرموت ولقد استنتج المؤرخون رضى الخليفة (أبو جعفر المنصور) بما فعله (معن بن زائدة) بأهل اليمن من العسف والجور وذلك من القصة التي أوردها الخزرجي[٨] وهي أنّ حضرموت انتفضت على (معن) ، فسار اليهم فمرّ بزبّاب (مجفف الزبيب من العنب) في وادي مسور (لعله في بلاد حضرموت) فعظم في عينه ما رأى ، فقال لنائبه لا تقبل منهم إلا عشرة آلاف ذهباً عن الزبيب ، فلم يزالوا به حتى حطّ لهم ألفا ذهباً ، فجمعوا أعشارهم فجاءت عشرة آلاف ، فأعطوا عامله تسعة آلاف وبنو مساجدهم بألف ، ولمّا وصل معن الى حضرموت أوقع بهم عدة وقعات حتى بلغت قتلاهم خمسة عشر ألفاً ، فأعظم الناس ذلك فتحدثوا به ، حتى قال رجل من قريش لأبي جعفر المنصور الخليفة العباسي : « ألا ترى يا أمير المؤمنين ما فعل (معن) بأهل حضرموت كاد أن يأتي عليهم » فقال له المنصور « يا ابن أخي خبرني عن قوم نُسّاك من قومك من الأنصار كنت أعرفهم بملازمة السواري في مؤخرة مسجد رسول الله ﷺ وقد أصفرّت ألوانهم من العبادة » قال : قتلهم الخوارج يوم قديد » قال المنصور : « فأخبرني عن الرجل الصالح الذي كان يلازم السارية الفلانية حتى كأنه خشبة من العبادة » قال الرجل : « قتل يوم قديد » قال المنصور : « فأخبرني عن أهل البيت الصالح بني فلان ما فعل الدهر بهم ؟ » قال الرجل : « قتلوا يوم قديد » فجعل المنصور يسأله عن قتلى يوم قديد من المهاجرين والأنصار من وجوه أهل المدينة ، وعبادهم ونسّاكهم وساداتهم ، وهو يقول : « قتلوا يوم قديد » أي على أيدي الخوارج ، فقال له المنصور : « يا ابن اخي أفتعيب على معن من قتل من أهل حضرموت ؟ وقد أخذ بثأركم » (يعني

---

(٨) في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٢٦ .

من الخوارج) فسكت القرشي .

فأبو جعفر المنصور في هذه القصة قد رضي لمعن بن زائدة الشيباني عامله على اليمن ما فعله بأهل حضرموت ان لم يكن قد أمره بأن يفعل بهم ذلك ، ولا ذنب لأهل حضرموت إلا انهم حملوا المبادىء التي يحملها الخوارج في مختلف بقاع الولايات الاسلامية وليسوا من خوارج قديد ، ومع ذلك فليس كل أهل حضرموت حملوا مبادىء الخوارج ، ولا ذنب لهم أيضاً إلا أنهم ثاروا على عامل معن عليهم لظلمه لهم وعسفه وجوره فيهم ،

وقد ولىّ (أبو جعفر المنصور) في اليمن خلفاً لمعن بن زائدة الشيباني (الحجاج بن منصور) ، ثم خلفه بـ (الفرات بن سالم العنسي) أو (العبسي) .

ثم خلف هذا بـ (يزيد بن منصور بن عبد الله بن شمر بن يزيد الحميري) خال ولده (المهدي) .

ولما توفي (أبو جعفر المنصور) في عام (١٥٨) للهجرة وخلفه ولده (المهدي) أقرّخاله (يزيد بن المنصور) المذكور عاماً واحداً ، ثم استدعاه الى العراق ليحج بالناس ، وأناب (يزيد بن منصور) عنه في اليمن (عبد الخالق بن محمد الشهابي) .

ولما توفي (يزيد بن منصور) بعد شهر ونصف من مغادرته لليمن ولى (المهدي) عليه (رجا بن روح الجذامي) .

ثم خلفه بعد احد عشر شهراً بـ (علي بن سليمان بن علي بن عبد الله ابن العباس) الذي غادر اليمن بعد عام واحد عائداً الى العراق مستنيباً عنه في اليمن (واسع بن عصمة) الذي خلفه (المهدي) بعد احد عشر شهراً بـ (عبد الله بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس) ، ثم خلفه المهدي بعد سبعة أشهر بـ (منصور بن يزيد الحميري) .

ثم خلف هذا بعد عام بـ (عبد الله بن سليمان النوفلي) ، قال

الخزرجي[٩] : « وكان خيّراً يروي الحديث عن الزهري عن عروّة عن عائشة ، ويروي عن يزيد بن يزيد عن جابر عن مكحول » .

ثم خلفه بعد عام وعشرة أشهر بـ (سليمان بن يزيد بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي) .

ولما توفي الخليفة (المهدي) عام ١٦٩ هـ وخلفه ولده (الهادي) ولى على اليمن(عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس) لمدة عام .

ثم خلفه بـ (ابراهيم بن سليمان بن عقبة بن مسلم الباهلي) .

ولمّا توفي (الهادي) وخلفه ولده (هارون الرشيد)[١٠] في عـام (١٧٠ للهجرة) ولى على اليمن خاله (الغطريف بن عطا) .

وبعد ثلاث سنوات عاد الى العراق مستنيباً عنه في اليمن (عباد بن محمد الشهابي) الذي[١١] يعتبر الرجل الأول في بني شهاب في ذلك التأريـخ ، وله حسنة بناء سقاية جامع صنعاء التي كانت تسقي خلقاً كثيراً من أهل صنعاء ولا سيما بعد ان اشترط (عبّاد بن الغمر الشهابي) الذي يعتبر الرجل الثاني في بني شهاب في عهد العباسيين على عامل اليمن (محمد بن خالد بن برمك) حين اخرج غيل البرمكي ومرّ بأملاكه أي (عبّاد بن الغمر الشهابي) أن يختزل منه شفرة (أي قناة صغيرة) تصب في سقاية (عباد بن محمد الشهابي) المذكور ،

---

(٩) في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٢٧ .

(١٠) وفي عهد هارون الرشيد وصل الى صنعاء الإمام الشافعي وأخذ عن قاضي صنعاء هشام بن يوسف وعن مطرف بن باذان وعن اسحق بن راهوية وعن عبد الرزاق بن همام الصنعاني وعن ابي يعقوب الدبري والذي قال الشافعي عنه :

(لا بد من صنعاء وإن طال السفر ، ونقصد القاضي الى هجرة دبر)

وهذه الهجرة كانت في بلاد سنحان ولم يبق لها اليوم وجود ، بشكل معروف .

(١١) تأريخ اليمن الإسلامي ص ١١٧ .

وكان أهل صنعاء يقولون ان مكرمة (محمد بن خالد) لم تتم إلا بعباد ، أي بالسقاية التي بناها في الجامع ووصلتها قناة من النهر .

ثم خلف (الرشيد) الغطريف بن عطا) بـ (الربيع بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي) .

وبعد عام واحد خلفه بـ (عاصم بن عتبة الغساني) .

ثم خلف هذا بعد عام أيضاً بـ (أيوب بن جعفر بن سليمان العباسي) .

وبعد عام خلف (أيوباً) بكل من (الربيع بن عبد الله الحارثي) على الحرب والصلاة ، و(العباس بن سعيد) مولى بني هاشم على جباية الزكاة ، ثم خلفهما (الرشيد) بعد عامين بـ (محمد بن ابراهيم الهاشمي) وضمّ اليه ولاية الحجاز ، وأقام محمد بن ابراهيم في الحجاز وأناب عنه في اليمن ابنه (العباس) .

ولمّا شكاه الناس الى (الرشيد) خلفه على اليمن بعد ستة أشهر بـ (عبد الله بن مصعب بن ثابت بن الزبير) ، قال الخزرجي[١٢] : « وكان رزق عمال صنعاء (أي الراتب الشهري لعامل اليمن) ألف دينار ، فجعل الرشيد له (أي عبد الله بن مصعب) ألفي دينار فقال له (يحيى بن خالد) « هذا يفسد عليك من توليه بعده من أهل بيتك » فرّد رزقه الى ألف دينار ووصله بصلة جمة » .

وبعد عام خلفه بـ (أحمد بن اسماعيل بن علي الهاشمي) .

ثم خلف (الهاشمي) بعد عام بـ (ابراهيم بن عبد الله بن طلحة بن أبي طلحة) من بني عبد الدار .

ولم يلبث بدوره ان خلفه الرشيد بعد عام بـ (محمد بن خالد بن برمك)

---

(١٢) في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٢٨ .

الأعرج الذي وصل الى صنعاء في عام (١٨٣) هـ وكانت اقامته في الغالب بقرية (منكث) من بلاد يريم لتوسطها بين مخلافي صنعاء والجند .

وكان[١٣] من خيرة ولاة العباسيين في اليمن وهو الذي جرّ الى صنعاء الغيل الذي عرف بغيل البرمكي ، ولما فرغ من اخراجه وشق قنواته ، جمع أهل صنعاء وحلف لهم انه لم يصرف في عمارته شيئاً من مال السلطان ولا من مال حرام ولا شبهة ، ثم أوقفه على المسلمين ، وبنى جامعاً عند سوق اللساسين في صنعاء ، وكان كثير الصدقات من أمواله ، كثير التفقد لأحوال الرعية ، محباً مشفقاً عليهم ، ويحكى انه خرج يوماً الى سواد صنعاء فرأى أهل ذلك السواد عليهم الشمال السوداء فظن انهم سؤالاً ، فقال لخدمه : « تصدقوا على هؤلاء المساكين » فقيل له : إنَّ هؤلاء هم الرعية الذين تؤخذ منهم الزكاة ، فتألمّ لحالهم وقال : « ما ينبغي ان يؤخذ من هؤلاء شيء » فلم يزل يتلطف بهم حتى اراد بعضهم الخروج عليه ، وخرج عن طاعته أهل تهامة ، فبعث الى الرشيد يشكو بأنّ أهل اليمن خالفوا ، فمكث هارون الرشيد يجهّز عليهم ، ثم بعث[١٤] الى مولاه (حماد البربري) ودفع اليه كتاب (محمد بن خالد) وقال له : « قد بعثتك على أهل اليمن فأسمعني أصواتهم » وجهزّه[١٥] بقوة عسكرية وقدم حماد الى اليمن في شوال سنة (١٨٤) للهجرة ، فعامل الناس بالعسف والشدة ، وقتل جماعة من روسائهم ، وشرّد جمعاً كثيراً منهم حتى دانوا له وأطاعوا وسلموا ما يجب عليهم من الزكاة المعتادة وزيادة ، وعمرت اليمن في أيامه وخاصة صنعاء ، وأمنت السبل ورخصت الأسعار وأخصبت اليمن ، إلا أنّ ذلك الخصب أفسده بطش حماد وعسفه ، بالناس ، وامتدّ ظلمه الى الآمنين ، فحجوا الى مكة وشكوه الى الرشيد الذي أدّى نسك الحج في ذلك العام ، فلم يسمع منهم ، فأغلظوا له في الكلام فلم يجبهم الى

---

(١٣) نفس المصدر والصفحة .

(١٤) نفس المصدر ص ٢٩ .

(١٥) تأريخ اليمن الإسلامي ص ١١٤ .

شيء مما سألوه ، فقامت ضده عدة ثورات[١٦] أهمها ثورة (الهيصم بن عبد الحميد البحري الحميري) الذي أعتصم بجبل مسور وانضم اليه (عمر بن أبي خالد الحميري) وكذلك (الصباح) بحراز ، وتضامنوا وتعاضدوا على مقاومة الوالي العباسي (حماد البربري) ومحاربته وطرده من البلاد ، وتخليص اليمن من ويلاته ، وظلمه وجوره ، واشتبكوا معه في عدة معارك قتل فيها الوف الناس ، وظلت المعارك قائمة بين حماد واليمانية والثوار تسع سنوات إلى ان دخل الهيصم وادي بيش من مخلاف الحَكْم بن سعد العشيرة (المخلاف السليماني)وقبض عليه حماد ، وأسر وسيق الى الرشيد ، (وأوحى حماد الى الهيصم بأن يعترف لدى الرشيد حتى يخفف من عقوبته وذلك لئلا يكشف الهيصم للرشيد السبب الأول لثورته هو اغتصاب (حماد البربري) لجارية مولدة حسناء على أخته أي (الهيصم) ، فأجرى الرشيد محاكمة عاجلة كعادته للهيصم ورفاقه فأعترف الهيصم عملاً بوصية (حماد) فأمر الرشيد بقتله)

كما قبض حماد على (الصباح) وعلى ستمائة من رجاله ورجال الهيصم وسيقوا الى الرشيد ونكل بهم ، وبذلك هدأت الأحوال في اليمن ولكن الى حين ، وظل (حماد البربري) يستبد باليمانية ، ويسوم معارضيه سوء العذاب حتى تطلع اليمانية الى التخلص منه ، وصاح قوم من اليمانية « بالرشيد وهو بمكة ، لإداء فريضة الحج سنة (١٩٢) للهجرة طالبين منه ان يمنع عنهم ظلم وجور حماد ، وقالوا له : « نعوذ بك يا أمير المؤمنين اعزل عنا حماد البربري إن كنت تقدر » .

وبالرغم من لجوء اليمنيين بالرشيد فإنه لم يُزل جور حماد ولم يرفعه عنهم إلا ولده (الأمين) الذي خلف الرشيد بعد موته عام ١٩٣ هـ وبعد[١٧] توسط اليمنيين بوزيره (الفضل بن الربيع) ،حيث خلفه (الأمين) بـ (محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي) الذي[١٨] أحسن السيرة في اليمن وصادر عمال سلفه

(١٦) اليمن في ظل الإسلام ص ٧٧ .

(١٧) اليمن في ظل الإسلام ص ٧٨ .

(١٨) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر من صفحة ٢٩ .

(حماد البربري) وأخذ منهم اموالاً جليلة ، وقد أحبه الناس واستقرت الأحوال اثناء ولايته في اليمن ، ولكن (الأمين) خلفه بعد عام واحد بـ (محمد بن أبي السرح الكناني) .

وفي اثناء ولاية هذا في اليمن استولى (المأمون) على الحكم بعد مقتل اخيه (الأمين) وذلك في عام (١٩٨) للهجرة .

وجعل (المأمون) اليمن في ولاية وزيره وقائد جيوشه (طاهر بن الحسين) وهو ولى عليه (يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري) .

ولّما شكاه اليمنيون الى (المأمون) خلفه بـ (عمر بن ابراهيم بن واقد بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وجاء الى[١٩] صنعاء من عند اخواله في أرحب في شهر صفر من عام (١٩٨) للهجرة وقام باعتقال (يزيد ابن جرير القسري) .

ثم لم يلبث (عمر بن ابراهيم) ان خلفه المأمون بـ (اسحق بن موسى ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس) وقد أساء السيرة في الناس باليمن ، واثناء ولايته في اليمن ظهر فيه دعاة الطالبيين وعلى رأسهم (ابراهيم بن موسى ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب) وتلقب بالجزار لكثرة ما سفك في اليمن من دماء ، وقد وصل الى اليمن يدعو لمحمد بن ابراهيم الملقب بطباطبا بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الذي ظهر في الكوفة يدعو للرضا من آل علي ، واستطاع (محمد بن ابراهيم) ان يتغلب على الكوفة وعلى سواد العراق بمساندة (أبي السرايا السري بن منصور بن ربيعة بن ذهل الشيباني) يشجعه وغيرَه من الطالبيين على الظهور والدعوة لأنفسهم دون ما تستر أو حرج ، تسامح الخليفة (المأمون) معهم ، وتغييره شعار العباسيين (السواد) الى شعار الطالبيين (الأخضر) ، بل لقد كان عمل بمشورة وزيره (الفضل بن سهل) واسند

(١٩) تاريخ اليمن الإسلامي ص ١١٩ .

ولاية العهد الى (الرضا علي بن موسى) اخو (ابراهيم بن موسى) المذكور ، اقتناعاً منه بأنه احق بالخلافة بعده من كل العباسيين ، ولكنه لمّا وجد معارضةً شديدةً من العباسيين ومن أهل بغداد ومن كثير من قادة جيوشه ، بل وخروج بعض الأقاليم على دولته عدل عن فكرة اسناد ولاية العهد الى الرضا المذكور وتخلص منه ، وأعلن للناس ذلك ، الأمر الذي اعاد له مركزه وجمع الناس على الولاء له .

وكان عامل اليمن (اسحق بن موسى) قد غادر اليمن بعد قدوم (ابراهيم بن موسى) الأمر الذي أتاح لأبراهيم بن موسى ان يبسط نفوذه في اليمن ويولي على كثير من مخاليفه وفروعه تسانده[٢٠] قبيلة بني فطيمة من سحار ابن خولان وبنو سعد بن خولان وعلى رأس هؤلاء (يعلي بن عمرو بن يزيد) بهدف استعانة هاتين القبيلتين به على اعدائهما التقليديين من الأكيليين بني ربيعة من خولان بن عمرو أيضاً ، وهو الأسلوب الذي قام به أيضاً (بنو فطيمة) و(بنو سعد بن خولان) مع الإمام الهادي (يحيى بن الحسين) كما سنعلم .

وقد قام (ابراهيم بن موسى) بالقبض على مائة وخمسين رجلاً من الأكيليين ومن حلفائهم من (آل أبان الحميريين) و(بني شهاب) ولمّا كان في صنعاء قتلهم جميعاً ولم ينج منهم إلا (أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن القشيري) الذي استطاع ان يفلت من الأسر .

أمّا المأمون فإنه بعد تحوّل موقفه مع الطالبيين ارسل الى اليمن جيشاً بقيادة (حمدويه بن عيسى بن ماهان) لمحاربة (ابراهيم بن موسى) وطرده من اليمن ، وقد احسن منافسو (ابراهيم بن موسى) استقبال (حمدويه بن ماهان) وساندوه في حربه لابراهيم بن موسى ، وقامت عدة معارك بينهما كانت آخر معركة عند قرية جدر في الضاحية الشمالية لصنعاء انهزم ابراهيم بن موسى على اثرها ، ولم يستقم له أمر بعدها ، ثم صار يتردد بفلول جيشه ، من العلويين ومناصريه من اليمنيين بين المدن والقرى يقتل ويدمر وأخرب أثناء

---

(٢٠) تاريخ اليمن الإسلامي ص ١٢١ .

ذلك سور مدينة صعدة وبساتينها وسد الخانق فيها والذي يرجع بناؤه الى (نوال بن عتيك) عامل الملك (سيف بن ذي يزن) في المنطقة ، وكان ابراهيم بن موسى اثناء نفوذه في اليمن قد جهّز جيشاً من اليمن الى الحجاز بغية الاستيلاء على مكة، ولكن أهلها صدوه عن دخولها ومع ذلك فقد جهزت الدولة العباسية جيشاً بقيادة (أبي إسحق بن هارون الرشيد) الذي قدم[21] في وقت عسكرت فيه قوات ابراهيم بن موسى في بستان ابن عامر بالقرب من مكة ، وتعرّضوا لقوافل الحجيج بالسلب والنهب ، بل استولوا على كسوة الكعبة ، وقدم الحجيج الى مكة في اسوأ حال عراة جائعين ، فأرسل القائد العباسي جنداً نكل باليمانيين (يعني جيش ابراهيم بن موسى القادم من اليمن) وأسر أكثرهم واستردّ كسوة الكعبة ، واموال التجار والحجيج ، وأنزل بانصار ابراهيم بن موسى اشد انواع العقاب ، وخلى سبيلهم ، فعادوا الى اليمن في أسوأ حال ، يستطعمون في الطريق حتى هلك معظمهم جوعاً وعرياً .

وقدكان لانهزام جيش ابراهيم بن موسى الذي جهزه الى الحجاز اثره في انهزامه في اليمن ، الى جانب صمود (ابن ماهان) في وجهه ، باليمن ، والى جانب تحرك مناوئيه من اليمنيين ضده ، كما ساعد على انهزامه أيضاً موت (محمد بن طباطبا الذي كان يدعو له ، وقتل المأمون لخلفه (محمد بن زيد) .

وقد غادر (ابراهيم بن موسى) اليمن حيث انضم الى (ابي السرايا) في خراسان وقتل هنالك كما تذكر احدى روايات المؤرخين ، أو أنّ (علي الرضا) استأمن له (المأمون) فأمنه وعاد الى بغداد حيث عاش فيها الى موته عام (٢١٠) للهجرة كما تذكر رواية اخرى .

وقد ولى (المأمون) بعد قضاء ابن ماهان على ابراهيم بن موسى (عيسى ابن زيد الجلودي) .

---

(٢١) اليمن في ظل الإسلام بالنص ص ٢١

ولم يرق لابن ماهان تولية الجلودي بدلاً عنه ، فجهّز جيشاً بقيادة ابنه (عبد الله بن حمدويه بن ماهان) لصد الجلودي عن الوصول الى صنعاء ، ولكنّ الجلودي هزمه ودخل صنعاء وقبض على ابن ماهان وأودعه السجن ، ثم وزّع عماله على المخاليف .

ولّما استقرّت الأحوال في اليمن غادره عائداً الى العراق مستنيباً عنه في اليمن (الخضر بن منهال) من بني عبد المدان الحارثيين المذحجيين .

وأقام نائبه حتى قدم عليه (ابراهيم الأفريقي الشيباني) والياً على اليمن من قبل (المأمون) .

وفي عهده اضطربت الأحوال في تهامة وغيرها الأمر الذي حمل المأمون على التفكير بفصل تهامة اليمن عن نجده بوالٍ مستقل يحزم أمرها ويقرّ الأمن والاستقرار في ربوعها ، وفعلاً بعث الأمير (محمد بن عبد الله بن زياد) والياً على تهامة وما استولى عليه من الجبال (أي المحيطة بتهامة) كما جاء في مرسوم توليته ، ووصل ابن زياد الى تهامة في عام (٢٠٥) للهجرة وأسس فيها امارة آل زياد التي تعتبر أول امارة شبه مستقلة في اليمن كما سنعرف في الفصل الخاص بتأريخها .

وبالرغم من انفصال تهامة اليمن عن نجده بامارة (آل زياد) فإنّ الأمر في نجد اليمن لم يستتب لعامله (ابراهيم الأفريقي الشيباني) الأمر الذي حمل المأمون على ان يقسم نجد اليمن الى ولايتين بواليين وهما (نعيم الوضاح الأسدي) على صنعاء وأعمالها ، و(المظفر بن يحيى الكندي) على الجند وأعماله ، وقدم الأميران معاً الى اليمن في عام (٢٠٦) للهجرة .

ولكنّ (المظفر الكندي) مات عقب توليه واضطلع (نعيم الوضاح) بالولايتين حتى خلفه (المأمون) بـ (محمد بن عبد الله بن محرز) مولى المأمون . ولّما تمرّد عليه أهل الجند عاد الى العراق مستنيباً عنه في اليمن (عباد بن الغمر الشهابي) الذي يعتبر الرجل الثاني في بني شهاب في عهد العباسيين بعد (عباد

ابن محمد الشهابي) الذي أنابه الغطريف بن عطا خال هارون الرشيد وعامله على اليمن كما عرفنا . وقد أقام (عباد بن الغمر الشهابي) في نيابته حتى قدم عليه (اسحق بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس) والياً على اليمن للمرة الثانية ، وقد أساء السيرة كعادته . قال الخزرجي[٢٢] عنه « فأساء السيرة وظلم الناس وغشمهم ، وظهرت منه اخلاف منكرة وعظيمة ونال من اليمانية كل منال ، وتغضب عليهم تغضباً لم يفعله أحد قبله ، وكان لا يسأل احداً عن نسبه فينتسب اليهم (أي اليمانية) إلا قتله » (وقد يكون في هذا شيء من المبالغة ولكنه لا يخلو من الحقيقة في بعضه) وأضاف الخزرجي قائلاً : « ولم يترك لحمير ذكراً حتى أمر بقلع الخوخ الحميري بما أسرف في التحامل عليهم » .

وذكر نحوه (تاج الدين عبد الباقي بن عبد[٢٣] المجيد اليماني) فقال : « فأساء السيرة وظلم الناس ونال من التهامية كل منال ، فكان لا يسأل أحداً عن نسبه فينتسب إلا ضرب عنقه حتى كان من سأله بعد ذلك عن نسبه قال : مولى بني العباس ، ولم يترك بحمير ذكراً ولا رسماً ، ولم يزل كذلك حتى مات سنة ست عشرة ومائتين » أي أنه أقرّ من قبل المأمون على عمله في اليمن لظلمه وجوره حوالي تسع سنوات وهو ثالث ولاة العباسيين الذين أقروا على اعمالهم في اليمن مدداً طويلة ، لقسوتهم وظلمهم .

أما الأول فهو والي أبي جعفر المنصور (معن بن زائدة الشيباني) الذي أقام على ولايته ست سنوات ، وأما الثاني فهو (حماد البربري) مولى المأمون وعامله على اليمن والذي أقام في اليمن تسع سنوات ، وهذا الثالث كما علمت .

---

(٢٢) في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٣١ .

(٢٣) في كتابه (بهجة الزمن في تأريخ اليمن) ص ٣٢ .

وأضاف المؤرخ تاج الدين الى ما ذكره عن (اسحق بن موسى) قوله : « وقيل انّ أهل صنعاء شكوه الى المأمون فأمر باشخاصه فلما مثل بين يديه قال له المأمون : « ضع يدك على رأسي » ففعل قال : « قل وحياتك رأسك لا ضربت عنقاً » ، فقال ، فقال له : « عد الى عملك » فعاد فكان بعد ذلك يوسط الناس أي يضرب أوساطهم فيقطعهم نصفين » .

وبالرغم من عسفه وجبروته فإنه اقام على عمله الى موته في عام (٢١٠) للهجرة .

ثم خلفه بابنه الذي عامل الناس في اليمن بالشدة كأبيه ، فحاربه أهل الجند ، كما حاربه أهل صنعاء وهزموه الى ذمار فخلفه المأمون بـ (عبد الله بن عبيد الله) من أولاد العباس ، وقد أقام في اليمن والياً على نجده حتى توفي (المأمون) في عام (٢١٨) هـ ، فعاد الى العراق مستنيباً عنه في ولايته باليمن (عبّاد بن الغمر الشهابي) ، آنف الذكر والذي أقره المعتصم لمدة عامين ، ثم خلفه بـ (عبد الرحيم بن جعفر بن سليمان بن علي الهاشمي) ، وهو أناب عنه في اليمن (عبد الرحيم بن ابراهيم الحوالي) جد آل يعفر الحواليين الذين استقلوا بحكم نجد اليمن منذ الأمير (محمد بن يعفر بن عبد الرحيم الحوالي) كما سنعلم .

أو أن (الهاشمي) أناب عنه في اليمن (يعفر بن عبد الرحيم الحوالي) بعد[٢٤] ان تصافى معه على حساب (عبّاد بن الغمر الشهابي) وأولاده لتسهيل القبض عليهم واعتقالهم لديه في (بيت منعين) بـرأس جبل (ذخـار) (ضلع كوكبان) .

وفي عا م (٢٢٥) للهجرة) جعل الخليفة المعتصم ولاية نجد اليمن بقسميه (الجند وأعماله وصنعاء وأعمالها ، الى مولاه (جعفر بن دينار) ، وهو

---

(٢٤) تاريخ اليمن الإسلامي ص ١٤٠ .

أناب عنه في اليمن (منصور بن عبد الرحمن التنوخي) .

وقد[٢٥] جهّز (يعفر بن عبد الرحيم) حليفه (طريف بن ثابت الكباري) لصده عن دخول صنعاء ، ولكن حامية صنعاء صمدت فيوجه قوة الأمير يعفر ، وقام التنوخي مع ذلك بضرب قوة الأمير (يعفر) ، وقتل وأسر عدد من افرادها ، واضطر الأمير يعفر الى تسوير مدينة شبام للدفاع عنها .

ثم قدم الى اليمن (عبد الله بن عيسى بن ماهان) واشترك مع التنوخي في الولاية .

وبعد عامين نقل (المعتصم) ما كان بنظر مولاه (جعفر بن دينار) في نجد اليمن الى مولى له آخر هو (ايتاخ التركي) (وكان العنصر التركي قد سيطر على مقاليد الأمور في الخلافة العباسية منذ عهد المعتصم) .

وقد أقرّ (ايتاخ التركي) النائبين المذكورين على نيابتهما في نجد اليمن حتى توفي (المعتصم) في عام (٢٢٧) هـ ولّماولى (الواثق) خلفاً للمعتصم أقر (ايتاخ التركي) على ولايته في اليمن ، وخلف ايتاخ النائبين المذكورين (بأبي العلاء أحمد بن العلاء العامري) ، وما ان وصل هذا الى صعدة حتى كان الأمير (يعفر بن عبد الرحيم الحوالي) قد جهز جيشاً بقيادة مولاه (طريف ابن ثابت الكباري الحاشدي) نحو صنعاء بغية الاستيلاء عليها ، قبل وصول العامري اليها ، ولكنّ النائب (منصور التنوخي) وحامية صنعاء صمدوا في وجه جيش الأمير يعفر وصدوه عن دخول صنعاء بعد حرب قامت بين الجانبين ، ووصل العامري صنعاء وأقام والياً فيها حتى توفي وخلفه أخوه(عمرو ابن العلاء العامري) .

ولكنه ما لبث ان خلفه (ايتاخ التركي) بـ (هرثمة بن بشير) احد موالي المعتصم ، وقدم هرثمة الى صنعاء في أواخر المحرم من عام (٢٣٠) للهجرة .

---

(٢٥) نفس المصدر ص ١٤١ .

وفي أثناء ولايته حدث بينه وبين (يعفر بن عبد الرحيم الحوالي) قتال في وادي ضلع بالقرب من شبام كوكبان مقر الأمير يعفر لم تسجل انتصاراً حاسماً لأيهما .

ويدل قيام الحرب بين الجانبين في منطقة (شبام كوكبان) مقر الأمير (يعفر) على ان الوالي (هرثمة بن بشير) هو الذي انشأ الحرب وغزا الأمير يعفر بغية حسم الموقف لصالح الدولة العباسية في اليمن ووضع حد لمطامع الأمير يعفر في زعم الأمير هرثمة ، ولكنه لم يحقق الغاية التي هدف اليها ، الأمر الذي حمل الخليفة العباسي (الواثق) على ان يعيد امر اليمن الى (جعفر[٢٦] ابن دينار) احد موالي المعتصم آنف الذكر ، وأمره بالمسير الى اليمن على رأس قوة قوامها اربعة آلاف فارس وألفا راجل ضمها الى قوة والي اليمن للعباسيين ، وفعلاً قامت الحرب بين الجانبين ومع ذلك فلم يحسم الموقف لصالح الدولة العباسية في اليمن ، بل لقد أدرك (جعفر بن دينار) قوة الحواليين وضعف مركز العباسيين في اليمن ، فصالح الأمير يعفر على ان يستقل أي الأمير يعفر ببلاد كوكبان وغيرها مما هو تحت نفوذه ، ثم استقرّ (جعفر بن دينار) في صنعاء ولم يحارب آل الحوالي بعد ذلك .

كما أنّ الأمير يعفر الحوالي أدرك في نفس الوقت ان الوقت لم يحن بعد لمناجزة ولاة العباسيين على نجد اليمن صنعاء وأعمالها والقضاء على نفوذهم عليها فجنح للصلح واكتفى بنفوذه على ما هو بيده ، بل وقبل[٢٧] اتاوة سنوية للعباسيين كدليل على بقاء ارتباطه بهم وعدم الخروج نهائياً عليهم .

ولمّا توفي الخليفة العباسي (الواثق) في عام (٢٣٢) هـ وخلفه المتوكل العباسي أقرّ (جعفر بن دينار) على ولايته في اليمن صنعاء وأعمالها والجند

---

(٢٦) نفس المصدر ص ١٤٢ .

(٢٧) نفس المصدر والصفحة .

وأعماله وهذا ما أجمعت عليه روايتا المؤرخين (الجندي) و(الخزرجي) في تأريخيهما ولكنهما اختلفا فيما تلا ذلك من احداث .

فأمّا الجندي فذهب الى أنّ (المتوكل العباسي) إنما أقرّ (جعفر بن دينار) على ولايته في اليمن مدة ، ثم خلفه بـ (حمير بن الحارث) ، وانه لم يستتب الأمر لهذا في اليمن بسبب انتقاض الصلح الذي عقده (جعفر بن دينار) مع الأمير (يعفر بن عبد الرحيم الحوالي) ، ولقوة جانب الأمير يعفر ، مما اضطر (حمير بن الحارث) الى العودة الى بغداد واستيلاء الأمير يعفر على صنعاء بعد ذلك ، وأنه صادف مع ذلك حدوث مقتل الخليفة (المتوكل) العباسي وذلك في عا م (٢٤٧ هـ) مما وطد مركز الأمير يعفر في اليمن ، ولم يذكر (الجندي) أنّ احداً من العباسيين الذين خلفوا (المتوكل) ولوا احداً على اليمن .

وإنما ذكر أنّ الخليفة العباسي (المعتمد) عند توليه امر الدولة العباسية بعث بمرسوم النيابة على نجد اليمن صنعاء وأعمالها للأمير (محمد بن يعفر) لما قام به هذا من أخذ البيعة له في اليمن ، وأن الأمير (محمد بن يعفر) كان يوالي (ابن زياد) حاكم تهامة لشرعية ولايته من قبل العباسيين .

وأمّا (الخزرجي) فذهب الى أنّ (المتوكل العباسي) أقرّ (جعفر بن دينار) على ولايته في اليمن ولم يعزله ، وأنّ (جعفر بن دينار) استمر في ولايته في اليمن حتى قتل (المتوكل العباسي) في العام المذكور ، وخلفه ولده (المنتصر) العباسي الذي أقرّ (محمدبن جعفر بن دينار) الى وفاته أي المنتصر عام توليه ، وخلفه ابن عمه (احمد المستعين) الذي أقرّ كذلك (محمد بن جعفر بن دينار) حتى خلع (المستعين) في عام (٢٥١) هـ ، وخلفه ابن عمه (المعتز بن المتوكل) الذي أقرّ كذلك (محمد بن جعفر بن دينار) الى ان خلع (المعتز) وقتل في عام (٢٥٥ للهجرة) وخلفه ابن عمه (محمد المهتدي) الذي أقرّ كذلك (محمد بن جعفر بن دينار) على ولايته في اليمن ، الى ان قتل

(المهتدي) في عام (٢٥٦ هـ)، وخلفه ابن عمه (المعتمد) الذي أقر كذلك (محمد بن جعفر بن دينار) .

ولكنه لمّا كانت السلطة الفعلية في عهد المعتمد العباسي (احمد بن جعفر ابن المتوكل) هي بيد ابن عمه (الموفق طلحة بن المتوكل) فإنه أي الموفق ولى الأمير (محمد بن يعفر) على صنعاء وأعمالها وذلك في عام (٢٥٦ هـ) أو في عام (٢٥٨ هـ) على اختلاف في الروايات ، ووجّه (محمد بن يعفر) عماله على الأعمال التابعة لصنعاء ، وأخضع حضرموت التي كانت قد امتنعت على من قبله منذ وفاة الأمير (محمد بن عبد الله بن زياد) حاكم تهامة .

وقد[٢٨] استقرت الأمور وهدأت الأحوال في نجد اليمن صنعاء وأعمالها منذ قدوم (جعفر بن دينار) المعروف بالخياط) الى اليمن في عام (٢٣١ للهجرة) وحتى عهد للأمير (محمد بن يعفر بأمر النيابة في نجد اليمن في عا م (٢٥٦) للهجرة ومهما اختلفت روايتا أو رأياً (الجندي) و(الخزرجي) فإنهما تؤديان حقيقة واحدة وهي :

أنّ مركز العباسيين في اليمن كان قد ضعف منذ عهد المتوكل (العباسي) ، وأنّ نفوذ (آل يعفر) بنجد اليمن صنعاء وأعمالها قوي منذ ذلك الحين ، وانّ الأمير (محمد بن يعفر) اصبح أميراً معترفاً به لدى الدولة العباسية منذ عهد الخليفة المعتمد الذي انتهت اليه الخلافة العباسية في عام (٢٥٦) للهجرة .

هذا ويعتبر الأمير (يعفر بن عبد الرحيم) هو المؤسس لدولة (آل يعفر) في نجد اليمن صنعاء وأعمالها وفي حضرموت وهي أول دولة مستقلة في اليمن إلا من انتماء شكلي الى العباسيين ، لأنه هو الذي صمد في وجه العباسيين ومهد لخلفه الاستقلال بالحكم وهيّأ لفرض اعتراف هؤلاء بآل يعفر كما عرفنا .

---

(٢٨) تأريخ اليمن الإسلامي ص ١٤٢ .

وضع اليمن العام منذ صدر الإسلام
وحتى بداية حركات الاستقلال

الوضع السياسي

كان اليمن منذ صدر الإسلام وحتى بداية حركات الاستقلال من الحكم العباسي في القرن الثالث الهجري ينتمي الى الدولة الاسلامية كسائر الولايات الاسلامية في مركزها (الحجاز) في عهد الرسول وعهد خلفائه الثلاثة (أبي بكر) و(عمر) و(عثمان) و (عبد الله بن الزبير) أو في (الكوفة) في عهد أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب) ، أوفي (الشام) في عهد (معاوية بن أبي سفيان) و(الأمويين) أو في (العراق) في عهد (العباسيين) .

ولقد ساد الهدوء والاستقرار والرخاء مختلف ربوع اليمن في عهد الرسول الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم وعهد خلفائه الأربعة (أبي بكر) و(عمر) و(عثمان) و(علي) ، ، حتى لقد عاتب امير المؤمنين (عمر بن الخطاب) احد ولاته في اليمن على ارساله الى المدينة لواجبات اليمن ، فردّعليه بقوله : « والله لو وجدت من يأخذها في اليمن ما بعثت بها اليك » .

وذلك الاستقرار الذي ساد اليمن في عهد الرسول وعهد خلفائه الأربعة هو باستثناء فترات قليلة حدث فيها بعض التمرد والاضطراب في اليمن كحركة التمرد التي قام بها الأسود العنسي (عبهلة بن كعب) في آخر عهد الرسول .

وحركة (قيس بن مكشوح المرادي) التي قام بها في بداية عهد ابي بكر والتي تعتبر امتداداً لحركة الأسود العنسي .

وحركة التمرد والردة التي قام بها بعض اليمنيين في عهد أبي بكر أيضاً .

وحركة خلاف (معاوية بن أبي سفيان) على أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب) اثناء توليه وإرسال معاوية الى اليمن (بسر بن أرطاة العامري) عاملاً عليه فسفك الدماء وأقلق الأمن فيه كما عرفنا كـل ذلك في مـواضعه من هـذا الكتاب .

إذاً فاليمن ساده عموماً الأمن والاستقرار والرخـاء منذ دخـل ابناؤه في الإسلام طواعية ودون حرب تشنّ عليهم ، ووحّد الإسلام بين ابنائه في جميع منـاطقه ، وقضى عـلى الطبقيـة وحكومـات الأقاليم والأقيـال فيه ، واشتغـل اليمنيون مع ذلك عن خلافاتهم الداخلية بتلبية نداء الرسول الكريم ، ونـداء أبي بكـر وعمر بن الخـطاب للإسهـام في القضاء عـلى التمردات الـطارئة التي حدثت في اليمن في آخر عهد الرسول وفي بداية عهد أبي بكر ، ثم للإسهام في نشر الإسلام في الشام والعراق ومصر وافريقيا وغيرها كما عرفنا أيضاً .

وما زالت جحافل اليمنيين تفد الى مراكز الدولة الاسلاميـة طيلة عهود الفتح في العصرين الأولين من عصور الإسلام .

ولقد أتسّم اليمن منذ صدر الإسلام بالوحدة الدينيـة ، عزّز من ذلـك قيام أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) باخراج نصارى نجران عن طريق عامله على صنعاء (يعلي بن أمية) ، تنفيذاً لوصية الرسول الكريم عند موته بأن لا يُترك في جزيرة العرب دينان ، وحث أبو بكر عند موته على ذلك ، لتعذر قيامه بذلك بسبب تزاحم الأحداث الأهم من ذلك في عهده القصـير ، وكما عـرفنا عند بحث الأوضاع في اليمن أثناء عهد (عمر) .

كما اتّسم اليمن في عهد الخلفاء الأربعة وبالذات في عهد (عمر) وكغير اليمن من الولايات الإسلامية بالعدل مع الرعية والحزم مع الولاة ، ولنا امثلة مرّت بنا لعمر مع عامله في اليمن (يعلي بن أمية) وله امثلة مع غيره من العمال في غـير اليمن كعمرو بن العـاص عامله عـلى مصر وغيـره مما هـو معروف في التواريخ الإسلامية .

ولقد كان في اليمن وكأي ولاية اسلامية اخرى في صدر الإسلام في عهد الرسول وعهد خلفائه الأربعة ولايات عامة يجمع الوالي بموجبها كافة الصلاحيات من امامة الناس في الصلاة ، وحشد الجيوش وتمويلها ، وتسيير المواكب للحج ، والنظر في الأحكام الشرعية واقامة الحدود ، وجمع الزكاة والصرف منها في مصارفها الشرعية ، وفي أوجه الإنفاق الأخرى التي استلزمها قيام الدولة واتساع شؤونها ، وولايات خاصة توزع فيها تلك الصلاحيات على عدد من الولاة في البلد الواحد وفي وقت واحد ، فيكون كل والٍ ذا ولاية خاصة .

ولقد قسم الرسول الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم اليمن بعد موت (باذان الفارسي) الى ثلاث ولايات ، وتبعه في ذلك الخلفاء الأربعة ، وهي ولاية (الجند) وهي أكبرها ، وولاية (صنعاء) و(حضرموت) ، ولكل ولاية من هذه الولايات الثلاث أعمالها وفروعها .

أما اليمن في عهد (الأمويين) فانه اتسم بالاضطراب وعدم الاستقرار ، وبتدهور اقتصاد البلاد ، أدى الى ذلك قسوة وعنف ولاة الأمويين في اليمن ، والذين جلهم من الثقفيين ، واهتمامهم فقط بفرض الضرائب على الموا طنين وظلمهم ، وأدى بالتالي الى قيام الحركات اليمنية المناهضة للحكم الأموي ، والتي كان من ابرزها حركة (القيل عبّاد الرعيني) وحركة طالب الحق (عبد الله بن يحيى الكندي الحضرمي) كما عرفنا .

وقد أجمل[1] ذلك الدكتور (عصام الدين عبد الرؤوف) فقال : « وقد قاسى اليمنيون من الولاة الثقفيين الكثير من الشدائد ، فعامل هؤلاء الولاة الأهلين معاملة تنطوي على الجور والظلم ، وتطلع اليمنيون الى الخلاص من الحكم الأموي وولاته الجبابرة العتاة ، لذلك اصبحت اليمن أرضاً خصبة للحركات المناهضة للحكم الأموي » .

---

(١) في كتابه (اليمن في ظل الإسلام) ص ٦٠

ونحو ذلك كان حال اليمن في العهد العباسي من الإضطراب وعدم الاستقرار ، وبسبب عسف وجور ولاة العباسيين ، باستثناء عدد قليل جداً من الولاة المصلحين امثال (محمد بن خالد بن برمك) الذي نهج في اليمن منهج الاصلاح والعدل .

كما تميّز الحكم العباسي في اليمن بسياسة سرعة تغيير الولاة فيه كعامل قمع متجدد للحركات المناهضة لحكمهم دون جدوى فكان الوالي في العهد العباسي كما علمنا لا يقيم في ولايته أكثر من عام واحد حتى يُستبَدل بغيره . وهذا باستثناء ثلاثة من الولاة طال امد حكمهم في اليمن وهم : (معن بن زائدة الشيباني) عامل اليمن في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور وقد دامت ولايته في اليمن ست سنوات ، و(حماد البربري) مولى الخليفة العباسي (هارون الرشيد) وعامله على اليمن ، وقد دامت ولايته في اليمن تسع سنوات ، و(اسحق بن موسى العباسي) في ولايته الثانية في اليمن للعباسيين وقد دامت ولايته تسع سنوات أيضاً ومات وهو في ولايته باليمن ، وقد اطال مدد ولايات هؤلاء الولاة الثلاثة في اليمن جورهم وعسفهم اللذان مارسوهما في اليمن كوسيلة لإخضاع اليمنيين وقمع الحركات المناهضة لحكم العباسيين في اليمن ، ولم تفلح سياستهم تلك بل وجاءت بنتيجة عكسية ، واستمرّت الحركات المناهضة للحكم العباسي في اليمن حتى فكر (المأمون) بفصل تهامة اليمن عن نجده بوالٍ يحزم امرها ويقرّ الأمن والاستقرار في ربوعها ، فأقام لذلك امارة (آل زياد) في تهامة، ومع ذلك وبعد أن أقرّ (محمد بن عبد الله بن زياد) أمور تهامة بعد حروب شديدة مع أهلها دامت ثلاث سنوات ، قامت الاضطرابات في نجد اليمن (الجند) وأعماله و(صنعاء) واعمالها فقسم العباسيون نجد اليمن الى ولايتين بواليين ، ولم تستقر الأمور للعباسيين مع ذلك واضطروا الى الاعتراف بآل يعفر كولاة على صنعاء وأعمالها ، وكانت دولة آل يعفر في اليمن أول دولة يمنية مستقلة عن حكم العباسيين إلا من انتماء شكلي لإضفاء الصبغة الشرعية لحكمهم .

الوضع الإجتماعي

احتفظ اليمنيون في الداخل والخارج ، بعد دخولهم في الإسلام وإسهامهم في نشره بوضعهم القبلي ، وليس احتفاظ معظم المناطق والأماكن والدول بأسماء القبائل إلا دليل على قوة النظام القبلي وعمق جذوره ، بالرغم من انتشار الإسلام ومبادئه ، وبالرغم من تطور اليمنيين اقتصادياً بما ملكوه خارج اليمن اثناء الفتوحات الاسلامية ، ذلك انهم احتفظوا بأنسابهم وبتقسيمهم القبلي الى بطون وعشائر تنتمي الى أصولها ، وان انتقلت عن مساكنها الأصلية في اليمن ، وتغيرت ظروفها ، وتعددت طبقاتها وفئاتها بتطور وعيها وثقافتها ، كطبقة الزراع والصنّاع ، وطبقة الفقهاء والأدباء ، وطبقة التجار ، والمهنيين ، واليمنيون مع كل ذلك التنوع والتطوّر حملة سلاح وجنود حرب قبل الإسلام وبعده لم يزدهم التجنيد العام في أي ظرف وأي زمان إلا مضاء وعزيمة ، يزيد من روعتها وكفاءتها التدريب بما يتلاءم وتطوّر فنون القتال .

واليمنيون يتمسكون دائماً بتقاليدهم وأعرافهم التي بعضها موروثة عبر تأريخ اليمن الطويل ولم يمحها الإسلام من نفوسهم بصورة نهائية كالأخذ بالثأر ، وبعضها موروثة أيضاً زاد الإسلام في ترسيخها وتعميقها في النفوس كالمروءة والوفاء والكرم والنجدة والدفاع عن العرض والشرف والكرامة والممتلكات والحقوق ، ومن ثمة بالنسبة لعادة الأخذ بالثأر كثرت في اليمن حوادث القتل ولا سيما في فترات غياب الدولة أو ضعفها ، ولذلك اتخذ اليمنيون للحد من اراقة الدماء عادة تهجير بعض القرى ليلجأ اليها الخائف ويأمن فلا يؤخذ إلا بحكم شرعي أو عرفي ، وعادات الترفيق للمسافر الغريب وعادات الاجارة وغيرها وبما لا يبعد عن مبادىء الإسلام .

ولقد نبغ في اليمنيين في ظل الإسلام وبالذات في العصرين الأولين من عصور الإسلام علماء مبروزن اخذ عنهم كبار الأئمة كالشافعي واحمد بن حنبل

وغيرهما ، ومن أولئك العلماء القاضي أبـو يعقوب الـدبري ، والقـاضي عبد الرزاق بن هشام بن نافع الحميري ووهب بن منبه وطاووس بن كيسان وعطاء ابن أبي رباح وغيرهم كثيرون من اليمنيين والأبناء المولدين من فرس ويمنيين .

كما نبغ في الفترة نفسها ادباء وشعراء ومؤرخون ومنهم (عُبيد بن شربة) نديم معاوية ، وصاحب كتاب التيجان الذي يُعتبر من أول ما ألّف في اليمن في موضوعه ، وعلقمة بن ذي جدن الحميري الشاعر المخضرم والذي عده الهمداني احد شعراء ثلاثة يمنيين وهم علقمة هذا ومحمد بن أبان وأحمد بن يزيد القشيري اشعر شعراء حمير وغيرهم .

ولقد منح الاسلام اليمنيين المكانة الاجتماعية التي تليق بهم كجند من جند الإسلام الذين آمنوا به طواعيةً ولبوا نداءه وضحوا في سبيل نشره ، وكأبناء حضارة عريقة صقلتهم مع ذلك حضارة الإسلام ومبادؤه السامية ، كما أُعطي اليمنيون الفاتحون المراكز الهامة في المجتمعات الجديدة التي اسهموا في نشر الإسلام فيها في الشام والعراق ومصر وافريقيا وغيرها .

فتأسست[٢] مثلاً مدينة (البصرة) في العراق عام (١٦) للهجرة ومدينة (الكوفة) في العراق أيضاً عا م (١٧) للهجرة و(الفسطاط) في مصر عام (٢١ للهجرة) كمراكز أو ثغور امامية يعسكر فيها الجند العرب للجهاد فيما يليهم من أرض العدو ، واختطت كل قبيلة معسكرها بعد أن منحت اراضيها وأخذت العناصر اليمنية نصيبها في الاستقرار وامتلاك الأرض كما مُنح لهم العطاء من بيت المسلمين .

ففي الكوفة مثلاً قام نساب العرب وذو الرأي فيهم (سعيد بن نمران الهمداني) بتعديل القبائل وجعلهم اسباعاً ، فكانت بجيلة وخثعم وكندة وحضرموت والأزد سبعاً ، وصارت مذحج وحمير وهمدان وحلفاؤهم سبعاً ،

---

(٢) تأريخ اليمن الإسلامي ص ٧٦ .

وكان العطاء يمنح الى امراء الأسباع ، فيدفعونه الى العرفاء والنقباء والأمناء ، فيدفعونه الى أهليهم وذويهم ، وأقطع من أرض الكوفة أبـو موسى الأشعري وجرير بن عبد الله البجلي ، والأشعث بن قيس الكنـدي ، واختطت البصـرة على نحو ما اختطت الكوفة به ، وتولى أبو الجرباء عاصم بن الـدلف من تميم انزال القبائل فكان كعب بن سـور الأزدي (من كبار سـادات اليمن) بجوار المنذر بن ربيعة من ربيعة والأحنف بن قيس من مضر .

أمّا الشام فقد تفرقت العناصر اليمنية في اجنادها ، فكان معسكر مدينة حمص جميعاً يمنيين من كندة وحمير وهمدان وغيرهم من بطون القبائل اليمنية ، كما كان الأغلب في معسكر مدينة دمشق أهل اليمن ، كذلك كان الأشعريون الأغلبية في معسكر مدينة طبريا من جند الأردن وكندة وقيس وكنانة ، وغلبت العناصر اليمنية في خطط الفسطاط في مصر عن غيرها من القبـائل العـربية ، فكان هناك خطط الصدف وتجيب والسكـون من كندة ، وحضـرموت وخـولان ومذحج ثم يحصب ورعين والكلاع والمعافر من حمير ، ومهرة وبلي من قضاعة ، وبني يشكر وبني عبد ربه وبني راشدة من لخم وغافق ، وبني بحر وبني سلامات من الأزد ، وكان معاويـة بن حديـج السكوني وعمرو بن قحزم الخـولاني ، وحيوة بن ناشرة المعافري ضمن من أقامهم عمرو بن العاص على انزال القبائل خطط الفسطاط .

« ثم إنّ سـائر العـرب سكان تلك الأمصـار حـازوا لأنفسهم الأمـلاك العقارية في جهات استقرارهـم ، وكان البدء في ذلـك هو القـرار (التأريخي) الذي أصدره أمير المؤمنين (عثمان بن عفان) عام (٣٠) للهجرة بـالسماح لهم باستبدال أملاكهم القديمـة في بلاد العـرب بأخرى جديـدة من تلك التي تملّكها كبار المهاجرين والأنصار في الأمصار ، وفيـما يخص أهل اليمن لم يـذكر الطبري غير مثال واحـدهوشراء الأشعث بن قيس الكنـدي بما كـان يملكه في حضرموت املاك طلحة بن عبيـد الله في نواحي (طبـرنا بـاذ) وهذا لا يعني اقتصار الأمر على الأشعث فقط دون سائر أهل اليمن بـالأمصار المختلفـة التي

ربطوا أنفسهم وارتبطوا بها ، فهو (أي قرار عثمان) قرار عام استفاد به العرب جميعاً داخل بلادهم وخارجها ، وفتح عليهم باباً لم يكن في حسبانهم .

ونخلص من ذلك ان العناصر اليمنية وكذا مضر وربيعة المنطلقة من بلادها لقيت مناطق استقرار جديدة لها ، وحازت نصيبها من الغنيمة ، مالاً وعقاراً ازداد باطراد الفتح الإسلامي الذي امتدّ طوال عهد عمر بن الخطاب والسنوات الأولى من حكم عثما ن بن عفان الى خراسان وسجستان شرقاً ، والى برقة وافريقيا غرباً ، والى أرض الجزيرة واذربيجان وارمينية شمالاً ، والى النوبة جنوباً ، هذا بجانب ما كان يأتيهم من اموال الفيء من عطاء سنوي ، وأرزاق شهرية لهم ولنسائهم وذراريهم حسب النظام الذي وضعه عمر بن الخطاب ودوّن الدواوين

الوضع الاقتصادي

لمّا كانت الزراعة هي العمود الفقري في الاقتصاد القومي في اليمن عبر التأريخ فإنّ اليمنيين ظلوا حتى بعد الاسلام ونزوح الكثير منهم الى خارج اليمن للإسهام في نشره، يعتمدون على الزراعة بصورة اساسية ، الى جانب تربية المواشي ، وموارد الرزق الأخرى ، كالتجارة والصناعة والتعدين وبما يتلاءم وازمنتهم .

إلا[٣] أن أسر الفرس كاسرة باذان واسر بني سردويه وبني مهرويه وبني زنجويه وبني بزرج وبني فيروز وغيرهم كانوا جميعاً في صنعاء واقتصر نشاطهم على التجارة والتعدين ، ولم يشتغلوا بالزراعة إلا قليلاً ، كما انتشرت اسر أخرى فارسية في المدن الرئيسية والمراكز الاقتصادية ، مثل عدن والجند ورداع وثات ، كما انتشروا في ذمار والبون وفي صعدة ونجران ، وقد سميت قرى في بلاد بني حشيش احدى النواحي التابعة لصنعاء بأسماء فارسية كقرية الفرس وغيرها .

---

(٣) اليمن في ظل الإسلام بتصرف ص ٨٥ .

والاسلام لم ينزع ملكية الأرض عن اليمنيين لأنه لم يعتبرها ارضاً خراجية وانما اعتبرها ارضاً زراعيةً بسبب دخولهم الطوعي في الإسلام،واليمنيون كما هو معروف شديدو الارتباط بأراضيهم برغم ما تكلفهم زراعتها وبناء مدرجاتها ولا سيما عند خرابها من جراء الأمطار من نفقات باهظة في الحرث والري وبناء السدود الذي استلزمه انتظام الامطار،في بعض المناطق وعدم وجود أنهار دائمة وكبيرة في اليمن ، أمّا الذميون فاعتبر الرسول الكريم ارضهم خراجيّة ، ومنعوا مع ذلك في صدر الإسلام من شراء ارض المسلمين في اليمن لئلا تزيد ثروتهم عما كانت عليه .

ولكنهم[٤] من عهد الأمويين وبداية عهد العباسيين استطاعوا ان يشتروا كثيراً من الأرض ، ولمّا جاء الإمام الهادي (يحيى بن الحسين) الى اليمن وأسّس فيه حكم الأئمة ، كما سنعرف اعتبر أرض الذميين بين الأرض العُشْرية والأرض الخراجية ، وسنّ فيها التسع من حاصلاتها .

وبفضل الإستقرار الذي نَعِمَ به اليمن في عهد الرسول الكريم وخلفائه الأربعة فانّ اليمن عمّ فيه الرخاء ، ولقد علمنا ما ردّ به احد عمال اليمن في عهد عمر بن الخطاب عليه حين عاتبه على ارسال واجبات الدولة من اليمن الى المدينة وهو قوله : « والله لو وجدت من يأخذها لما بعثت بها اليك » .

ولقد كان[٥] (عمر بن الخطاب) هو أول من أسّس دواوين العطاء للمسلمين في كافة الولايات الإسلامية ، ومنها اليمن ، حيث فرض لأهله لكل رجل قادر على الحرب ما بين الألفين الى الف الى تسعمائة الى خمسمائة الى ثلاثمائة ، ولم يُنقِص احداً عن الثلاثمائة ، وقال : لئن كثر المال لأفرضنّ لكل رجل أربعة آلاف ، ألف لسفره ، وألف لسلاحه ، وألف لفرسه ، وألف يخلفه

---

(٤) علي بن محمد العباسي العلوي في (سيرة الهادي) ص ٧٢ .
(٥) اليمن في ظل الإسلام ص ٥٣ .

لأهله ، ولم يوضح المصدر أكان ديناراً ام درهماً .

وكان[٦] في شروط اثبات اسم الشخص في الديوان ان يكون حراً ، فلا يُثْبَت في الديوان عبد تابع لسيده داخل في عطائه ، ولا يجوز اثبات الصبي في الديوان بل يكون جارياً في جملة عطاء الذراري ، والشرط الثالث الإسلام ليدافع عن الدِّين باعتقاده ، والرابع السلامة من الآفات المانعة من القتال ، والخامس ان يكون فيه اقدام على الحرب ، فاذا ضعفت همته على الإقدام أو قلّت معرفته به حذف اسمهُ من الديوان ، وكان على أهل العطاء أن يجهّزوا انفسهم بالأسلحة ويذهبوا للقتال حينما يؤمَرون بذلك ، واذا لم يلبوا الدعوة للقتال فإن أسمهم يُحَذَف من الديوان .

ومَنَحَ الإسلام اليمنيين الفاتحين مع ذلك (وكما عرفنا) ملكيات خارج اليمن في الأرض التي أسهموا في افتتاحها ، وبالطبع فإنّ أهلهم المقيمين داخل اليمن وبالذات آباءهم والمسنين من قرابتهم لم يحرموا من الخير العميم الذي أصابهم خارج اليمن .

ولضمان انعاش التجارة في موانىء ومدن اليمن فإنّ بعض الولاة في العصرين الأولين من عصور الإسلام أنشأوا معسكرات الحراسة لقوافل التجارة في جميع المدن والموانىء ، وفي طرق القوافل البرية ، ومراكب النقل البحرية ، وان كان عدم الاستقرار في العهدين الأموي والعباسي قد أثرّ تأثيراً سيئاً في الأوضاع الاقتصادية في اليمن ، كما بنوا في الكثير من المراحل البرية بيوتاً لإيواء المسافرين ، وحفروا الآبار وبنوا المساجد ، وعيّنوا المحتسبين في الأسواق لمراقبة الأسعار والمكايل والموازن وحركة التجارة ونشاطها ، ومنع الغش والمغالاة وكل ما يفسد التعامل التجاري ، وضمنوا بذلك الى جانب انتعاش التجارة في الداخل حسن التبادل التجاري مع الخارج ، وكان اليمن يصدر الى الخارج منتجاته من الحبوب بأنواعها والتمر والزبيب والمرُ وأنواع البخور والعطور

---

(٦) اليمن في ظل الإسلام ص ٥٣ .

والصمغ ، ويستورد منتجات البلدان الأخرى ، ولقد كانت هناك أسواق دائمة في صنعاء وحضرموت والجند وعدن والموانىء اليمنية في تهامة ، وكانت عدن ملتقى تجارة البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر ، وبحر الهند والمحيط الهندي ، وزاد من ازدهار التجارة البحرية قيام امير المؤمنين (عمر بن الخطاب) بحفر القناة التي أوصلت النيل بالبحر الأحمر ، والتي عرفت بقناة عمر ، وقد تهدمت منذ زمن بعيد بسبب عدم صيانتها والمحافظة عليها .

أمّا الصناعة في اليمن في الفترة المذكورة فقد ازدهرت صناعة الأدوات الحربية اليدوية من رماح وسيوف وخناجر وأقواس وغيرها واشتهرت السيوف اليمانية بجودتها ، وتميّز اليمن بالخناجر التي يحملها اليمنيون وحتى اليوم لا للقتال فقط بل وللزينة .

كما ازدهرت صناعة النسيج في اليمن واشتهرت[٧] في اليمن الثياب السحولية والمعافرية والشرعبية والحضرمية والجيشانية (نسبة الى مدينة جيشان التي كانت في سفح جبل العود بينه وبين بلاد قعطبة وقد تهدّمت) وبز صنعاء والعمائم العدنية والقلانس اليمنية ، والثياب النجرانية وغيرها ، كما اشتهرت منسوجات تهامة وبالذات (بيت الفقيه) التي اشتهرت فيها اللحف والأغطية وغيرها ، وقد علمنا أنّ الرسول الكريم اشترط على نصارى نجران في الاتفاق الذي عقده معهم الفي حلة تدفع على وجبتين الأولى في رجب والثانية في صفر كما سبق في موضعه .

كما ازدهرت في اليمن صناعة الجلود والأثاث والمفروشات والمجوهرات ومختلف السلع الأخرى التي ضعفت صناعة الكثير منها اليوم لعدم حمايتها باستيراد مثيلاتها من الخارج .

وبناء على ذلك فإن موارد الدولة في الفترة المذكورة اعتمدت أساساً على

---

(٧) نفس المصدر ص ٥٥ .

الزراعة وعلى التجارة وعلى التعدين المحدود بالنسبة لليمن ، ولذلك كان كل همّ ولاة الأمويين والعباسيين هو فرض الضرائب الزكوية وغيرها وظلم اليمنيين لتغطية مصروفاتهم ولإخضاع وقمع الثورات في الداخل ، ولإرضاء مراكز الدولتين وخلفائهما ووزرائهما بما يبعثونه من اليمن من اموال وهدايا ومن نفائس ومجوهرات حفاظاً على مراكزهم فيه .

أبرز حركات الاستقلال في اليمن

يعتبر القرن الثالث الهجري عصر ابرز حركات الاستقلال عن حكم العباسيين في اليمن ، وإن كانت قد احدثت صراعاً عقائدياً بين السنة والشيعة ، أحدث ذلك الصراع حروباً مريرةً سيأتي تفصيل ذلك في فصل (وضع اليمن العام بين استقلاله وحكم الأيوبيين فيه) ، فمن تلك الحركات الاستقلالية ما هو يمني بحت ، ومنه ما هو غير يمني في نبعه ولكنه وجد في اليمن التربة الخِصْبة لنشأته ، والمناخ الصالح لنموه وترعرعه .

ولقد ساعد اليمنُ ارضاً وبشراً على قيام الحركات التحررية من حكم العباسيين ، سواء ما كان يمنياً ، أو ما كان مصدره قد وفد عليه من خارج اليمن .

فأمّا الأرض فلطبيعة اليمن الجبلية في معظمها فإنّ الدعاة وقادة حركات الاستقلال يتمركزون في قممها العالية حيث يصعب على العباسيين الوصول اليهم ، ومنها ينطلق الدعاة لنشر دعوتهم وتوطيد دعائم حكمهم في أوسع رقعة يمكنهم من اليمن ، فاذا ما تقدمت جيوش ولاة العباسيين ، أو مدد العباسيين وقواتهم ، انسحب الدعاة وقادة حركات الاستقلال الى الجبال وامتنعوا بها ، وصمدوا منها للدفاع عن أنفسهم ، وليس للدولة العباسية الوسائل التي تمكنهم من الوصول اليهم كما هي اليوم ، وأمّا البشر فبسبب إيمان اليمنيين وقيام الدعاة ببناء دعواتهم على أساس من الدين فإنّ اليمنيين يلبون دعاتهم ويلتفون حولهم ويجاهدون في صفوفهم حتى يمكنوهم من نشر دعواتهم ومن بسط نفوذهم ،

وحسب مـا يمكنهم ويتلاءم مـع الظروف المحيـطة بهم ، ولا أدلّ عـلى هـذين الأساسين لنجاح حركة الدعاة في اليمن من وصية الإمام (احمد بن الحسين) لداعيته (الحسن بن حوشب بن زادان الكوفي) حين بعثه مع زميله (علي بن الفضل اليمني) للدعوة لابنه (عبيد الله) الفـاطمي وهي قولـه : « الى عدن لاعة » (ذات الجبال العالية في بلاد مسور حجة) فأقصد ، وعليها فاعتمد ، فمنها يظهر أمرنا ، وفيها تعزّ دولتنا ، ومنها يفترق دعاتنا » .

وقـوله بعـد ذلك : « واجمـع المال والـرجال ، والـزم الصـوم والصـلاة والتقشف » ثم قوله للداعيتين المذكورين معاً : « انني ابعثكما الى اليمن تدعوان لابني هذا فسيكون له ولذريته عز وسلطان ، وانّ الله قسم لليمانيين أن لا يتمّ أمر في هذه الشريعة إلا بنظرهم » . وفعلاً تمركز احد الداعيتين وهو (الحسن ابن حوشب) في عدن لاعة بجبال مسور العالية المنيعة في الشمـال الغربي من اليمن ، وتمركز زميله في الدعوة الفـاطمية (عـلي بن الفضل) في جبـال يافـع العالية المنيعة كذلك في الجنوب الشرقي تقريباً من اليمن ، وانطلق كل منهما في الدعوة بعد استمالة ابناء المنطقة أولاً بملازمة العبادة والصوم والصلاة والزهـد والتقشف حتى اقاما دولـة الإمام (عبيـد الله بن الحسين) الفـاطمي في اليمن والتي حـافظ الداعيـة(منصور اليمن الحسن بن حـوشب) المذكـور عليها الى موته ، بينما تخلى الداعية الثاني (علي بن الفضل) عنها ، واستقلّ بحكم اليمن كما سنعرف تفصيلاً في الفصل الخاص بتأريخ (دعاة الفاطميين في اليمن) .

أمّا مجمل الحركات التحررية من حكم العبـاسيين والتي استـطاعت أن تنشىء حركاتها وتقيم حكمها في اليمن فهي :

حركة آل يعفر .

وحركة الإمامة الزيدية .

وحركة دعاة الفاطمية .

فأمّا آل يعفر فقد بدأت حركتهم بالأمير (يعفر بن عبد الـرحيم الحوالي الحميري) وذلك في عهد الخليفة (الواثق) العباسي الذي خلف (المعتصم) العبـاسي في عام (٢٢٧) للهجـرة ، وقد لاقت حـركة (آل يعفـر) مقاومـة شديدة من العبـاسيين عن طـريق ولاتهم في اليمن ، وجحافـل جيوشهم التي سَيَّروها الى اليمن لتعزيز قوات ولاتهم لإخضاع مـا كانـوا يسمونـه بحركـات التمرد وبحركات الخارجين في اليمن ، ولم يرضخ (العباسيون) للأمر الواقع ويعترفوا بحكم (آل يعفر) في اليمن إلا في عهد الخليفة (المعتمد) العباسي الذي اسند أمر النيابة على نجد اليمن (صنعاء) وأعمالها للأمير (محمـد بن يعفر) في عام (٢٥٦) للهجرة .

وقد تلافى الخليفة (المعتمد) الأمر باصدار مرسوم النيابة للأمير (محمد ابن يعفر) حفاظاً على نفـوذ العباسيـين في اليمن ولو الى حـد ما ، ومنعـاً من تسرب عدوى التحرر والإنفصال كليةً عن بغداد في اقطار اسلامية اخرى .

وقبل الأمير (محمد بن يعفر) أمر النيابة كانتماء شكلي الى خلافة اسلامية هي الخلافة العباسية ، لإضفـاء الصبغة الشـرعية عـلى حكمه في عـرف ذلك العهد الذي كان فيه بقية اعتبار للخلافة ولو أنها لم تعد خلافة اسلامية بمضمونها الحقيقي .

وعليـه فإنّ أمـارة (آل يعفر) في نجـد اليمن صنعـاء وأعمـالها ثم في (حضـرموت) والجنـد وأعمـالهـا تُعَتبـر أول امـارة يمنيـة مستقلة في اليمن ، وحركتها أسبق الحركات التحـررية الثـلاث آنفة الـذكر ، وأبـرزها نشـاطاً في بدايتها بالنظر الى قوة مركز العباسيـين نسبياً عنـد قيامهـا ، أما مـواقف (آل يعفر) إزاء الحركتين الأخريين (حركة ائمة الزيدية) و(حركة الفاطمية) فقد كانت مناهضةً لكل منهما ، ولو أنّ الأمير (اسعد بن أبي يعفر ابراهيم بن محمد ابن يعفر) قد أذعن مرغماً لـ (علي بن الفضل) بعد انفصالـه عن الفاطميـين واستقلاله بحكم اليمن كما سنعرف ، ولكنه أي الأمير (اسعد بن أبي يعفر) ما

أن نجحت مؤامرة قتل علي بن الفضل بالسم حتى جمع قواته وزحف بها نحو المركز الرئيسي لعلي بن الفضل ومعقله المنيع في المذيخرة وحاصره عاماً كاملاً حتى استولى عليه وقبض على اتباعه وقضى فيه وفي عموم اليمن على كل أثر له كما سنعلم أيضاً .

وأمّا (الإمامة الزيدية) فقد بدأت حركتها في اليمن بالإمام الهادي (يحيى بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم) الذي قدم الى بلاد صعدة من مقره في جبل الرس بالحجاز بالقرب من المدينة المنوّرة عام (٢٨٤) للهجرة ، تسانده قبيلتا (سعد بن سعد بن خولان) ، و(آل أبي فطيمة) ، وكلاهما من سحار من ابرز قبائل خولان بن عمرو القضاعية في بلاد صعدة) .

وكان الإمام الهادي قد وصل الى (الشَّرفَة في بلاد نهم) عام (٢٨٠) للهجرة في رحلة استطلاعية عرض نفسه خلالها على القبائل اليمنية في المنطقة يدعوهم الى مساندته في دعوته لإقامة الحق ونصرة المظلوم وتنفيذ احكام الشريعة (كما جاء في خُطَبِهِ التي كان يلقيها ويراسل القبائل بها) ولكنه لم يلق الاستجابة التي كان ينتظرها فعاد الى الحجاز ، حتى دعته القبيلتان المذكورتان للمرة الثانية في عام (٢٨٤) هـ كما علمنا .

وأمّا (دعاة الفاطمية) في اليمن فقد بدأت بالداعيتين (علي بن الفضل الخنفري الحميري) و(حسن بن حوشب بن زادان الكوفي) الذي لقب بمنصور اليمن ، واللذين أوفدهما من الكوفة الى اليمن الإمام (أبو عبيد الله الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب) للدعوة لابنه الإمام (عبيد الله محمد ابن الحسين الفاطمي) وذلك في عام (٢٦٤) للهجرة ، ولكنهما لم يبدآ نشاطهما العسكري إلا في عام (٢٩١) للهجرة .

ولقد سارت كل حركة من الحركات الثلاث (اليعفرية) و(الزيدية) و(الفاطمية) في طريقها الذي رسمته لنفسها ، وفي اتجاهها الخاص بها ،

وحدثت حروب فيما بينها غـذتها الـزعامـات المحلية الأقـل شأنـاً منها كـ (آل الضحاك الحاشديين) و(آل الـدعام الأرحبيـين) و(آل الرويـة المذحجيـين) و(آل طريف) بن آل ذي كبار الحاشديين) حلفاء آل يعفر وغيرهم من القبائل ذات النفوذ المحدود في الساحة اليمنية ، والتي كان لها أثرها في ترجيح كفة هذا الفريق أو ذاك من الفرقاء الثلاثة السالف ذكرهم .

وقد كانت حركة (آل يعفر) (أولى الحركات الثلاث) هي وحدها التي واجهت المقاومة العنيفة من العباسيين كما أشرنا ، وبما أنّ حركة (الفاطميـة) هي آخر الحركات بروزاً ونشاطاً فإنّ الزعيم اليمنـي (علي بن الفضل) احد داعيتيها صار ابرز وأقوى منافسيه من قـادة الحركـات الثلاث ، واستـطاع أن يُخضع الأمير اسعـد بن ابراهيم بن محمـد بن يعفر لحكمـه ، وأن يردّ الإمـام الهادي عن صنعاء الى صعدة ، ويحصر نشاطه فيها ، ثم استقلّ أي (علي بن الفضل) حتى عن الفاطميين الذين كان يدعو لهم ، وحارب زميله في الدعوة (منصور اليمن الحسن بن حوشب) وحاصره في معقله بجبـل مسور في بـلاد حجة عاماً كاملاً ، وأضطرّه الى ان يرهن عنده ابنـه لضمان دوام ولائـه له ، وعدم القيام بحركة مناوئة له ، وأقام (علي بن الفضل) في عموم اليمن تقريباً حكماً يمنياً موحداً دام الى موته بالسم اكثر من عشرين عاماً .

واذا كانت هذه الحركات الثـلاث هي ابرز حـركات التحـرر في اليمن والتي كتب لها النجاح ، فإنّ هناك حركات تحرر سبقتها إلا انها كانت أقلّ شأناً منها ، ولم يكتب لها النجاح لظروف خاصة بهـا ، ولكنها كـانت البذور الأولى لحركات التحرر الناجحة التي تلتها ، وقد رأينا شيئاً من تأريخ تلك الحركـات الأولى في فصلي الأمويين والعباسيين .

هذا وقد عقدت لكل من (آل يعفر) و(الزيدية) و(دعاة الفاطميـة) فصلاً مستقلاً ، وبحسب هذا الترتيب بعد فصل (امارة آل زياد ومواليهم) ، وذلك لتقدم قيام هذه الإمارة على قيام دول تلك الحركات الثلاث ، ووفقاً لما التزمته من ترتيب فصول الكتاب .

امارة آل زياد ومواليهم

٢٠٤ - ٤١٢ هـ (٨٢٩ - ١٠٢١ م)

لما اضطرب الأمر في تهامة واختلّ أمنها بخروج عك والأشاعر فيها ، واستعصى على عامل المأمون في اليمن (ابراهيم الأفريقي الشيباني) اقرار أمورها ، أمر المأمون وزيره (الفضل بن سهل) بأن ينظر له من يبعثه الى اليمن لسد خللها ، وأقرار الأمن والاستقرار في ربوعها ، وكان المأمون قد قبض على (محمد بن عبد الله بن زياد) من أولاد زياد بن أبيه ، وعلى (محمد بن هارون التغلبي) و(سليمان بن هشام بن عبد الملك) حين وشي بهم اليه بأنهم يحاولون الخروج عليه ، ثم عفى عنهم ، وأمر الفضل بن سهل بأن يضمهم اليه .

ولما طلب المأمون من الفضل بن سهل بأن ينظر له من يبعثه الى اليمن والياً على تهامة فيه ، اثنى الفضل على هؤلاء الثلاثة وقال : يكون (ابن زياد) اميراً ، و(ابن هشام) وزيراً ، و(التغلبي) قاضياً فوافقه المأمون على ذلك .

ولمّا[1] أتمّ ابن زياد الدور الذي طلب منه في مساندة الخليفة المأمون الذي سار على رأس جيشه من (مرو خراسان) الى بغداد لاستعادتها من (ابراهيم ابن المهدي)[2] ، غادر (اي ابن زياد) بغداد على رأس القوة التي جهزها معه

(١) اليمن في ظل الإسلام ص ٨٨ .

(٢) كان العباسيون قد بايعوا (ابراهيم بن المهدي العباسي) وخلعوا المأمون بسبب اسناده ولاية العهد الى الرضاء على بن موسى العلوي) وقد الغى المأمون ولاية العهد للمذكور وتمكن من طرده من بغداد ، واستعاد هو مركزه واجمع الناس على الولاء له بعد ذلك .

المأمون الى اليمن ووصله في عام (٢٠٣) أو (٢٠٤) للهجرة ، (على خلاف بين المؤرخين) ، وبسط نفوذه باسم العباسيين في تهامة ، بعد حروب شديدة مع أهلها استمرت ثلاث سنوات ، واختطّ مدينة زبيد في وادي زبيد في عام (٢٠٤) للهجرة ، واتخذها عاصمة لإمارته التي تعتبر أول امارة شبه مستقلة في اليمن عن العباسيين .

وفي عام (٢٠٦) للهجرة تلقى من المأمون مدداً عسكرياً يتألف من الفي فارس عرباً وخراسانيين ، بناء على طلبه الذي وجهه ابن زياد مع هدية جليلة واموال عظيمة صحبة مولاه جعفر في عام (٢٠٥) هـ ، فتمكن ابن زياد من مواصلة حربه للخارجين على الدولة العباسية في تهامة اليمن ، حتى وصل الى (حلي بن يعقوب) في شمال تهامة ، والى عدن وابين ، والى الشحر وحضرموت ونجران ، كما اخضع لنفوذه بيحان والجنوب ، ومخلافي الجند وجعفر من بلاد اب ، وولى على مخلاف جعفر مولاه جعفر الذي نسب[٣] المخلاف المذكور اليه ، واختط فيه في جبل ثومان مدينة المذيخرة ، وكان فيه كفاءة ودهاء ، حتى لقد كان يقال (ابن زياد بجعفره) ، ووالى امراء صنعاء (ابن زياد) وخُطب له فيها بعد العباسيين .

أمّا الخزرجي[٤] فذكر أنّ ابن زياد ملك فيما ملكه في اليمن صنعاء والحجاز ، والظاهر ان نفوذه على صنعاء والحجاز كان نفوذاً أدبياً بحكم الولاية الشرعية التي اسندها اليه العباسيون والتي جاء في مرسومها النص على تهامة وما استولى عليه من الجبال بدليل أنّ ولاة العباسيين ظلوا يتتابعون على نجد اليمن صنعاء وأعمالها والجند وأعماله ، حتى استقلّ به بنو يعفر ، وقد عظم نفوذ آل زياد وامتد سلطانهم أكثر منذ بدأ بنو العباس ينقسمون على أنفسهم بعد موت

(٣) بينما يرى الجندي ان مخلاف جعفر انما نسب الى الأمير جعفر بن ابراهيم المناخي لا الى غيره ، وهذا اصح لأن جعفر المناخي استقر فعلاً في بلاد المذيخرة واتخذها دار اقامته ومركز ولايته اثناء نيابته عن آل زياد حتى غزاه اليها علي بن الفضل وقتله اثناء حرب قامت بينهما ، واستولى على المنطقة . فيما استولى عليه في اليمن ، كما سيأتي تفصيله عند التأريخ له .

(٤) في (العسجد المسبوك) مخطوط قامت وزارة الاعلام والثقافة بتصوير فوتوغرافياً ولنسخ محدودة .

الواثق عام ٢٣٢ هـ .

ويبدو أنّ الأمير (محمد بن عبد الله بن زياد) بسبب العون المادي والمعنوي له من الدولة العباسية ، وبسبب طول فترة امارته الى موته في عام ٢٤٥ للهجرة ، أقام دولة قوية مزدهرة بسطت نفوذها على معظم اجزاء اليمن الطبيعية ، بما فيها حضرموت والشحر ومهرة وغيرها .

يدل على ذلك ضخامة موارد دولة آل زياد برغم تقاصرها في عام (٣٦٦ هـ) والتي اشار اليها الخزرجي(٥) استناداً الى عمارة في المفيد حيث قال : « رأيت مبلغ ارتفاع اعمال ابن زياد بعد تقاصرها وذلك في سنة ٣٦٦ هـ من الدنانير الف ألف دينار » . وهذا مبلغ كبير بالنسبة لذلك العهد ، اضافة الى ما ذكره المصدر المذكور بقوله : « خارجاً عن ضرائبه على مراكب الهند من الأعواد المختلفة ، والمسك والكافور والسنبل وما أشبه ذلك ، وخارجاً عن ضرائب السواحل من باب المندب الى الشحر ، وخارجاً عن ضرائبه على معادن اللؤلؤ ، وعن ضرائبه على جزيرة دهلك وهي خمسمائة وصيف وخمسمائة وصيفة من النوبة والجبش في العام » .

ولمّا توفي محمد بن عبد الله بن زياد في التأريخ المذكور خلفه ولده (ابراهيم) الى موته عام ٢٨٩ هـ . وقد استغلّ هو انقسام العباسيين على انفسهم فحدّ من علاقته بهم ، وركِب بالمظلة وتشبه بالملوك ، وشهدت الإمارة في عهده أيضاً ازدهاراً ونمواً .

ثم خلفه بعد موته في التأريخ المذكور ولده (زياد) الى موته في عام (٢٩١) هـ . وهذا خلفه اخوه (أبو الجيش اسحق بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن زياد) ، والذي طالت مدة حياته الى عام (٣٧١ هـ) .

ومنذ آخر عهده الطويل وبسبب عجزه عن الحركة والنهوض للذب عن الإمارة استقلّ عنه كثير من نوابه بما في أيديهم ، ومنهم : (بنو معن

---

(٥) في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٩٩ .

الحميريون) نوابه على عدن ولحج وأبين والشحر وحضرموت ، ومنعوا الأتاوة التي كانوا يؤدونها اليه و(سليمان بن طرف الحَكْمي) الذي استقل بالمخلاف السليماني المنسوب اليه في شمال تهامة ، وكان يعرف قبله بمخلاف (الحَكْم بن سعد العشيرة) من مذحج ، وبمخلاف (عَثَّر) ، وهو يمتدّ من (الشرجة) في جنوبه حتى (حلي بن يعقوب) في شماله ومعظمه في لواء جيزان .

واستقلّ كذلك الأمير يعفر بن أحمد (الكرندي)[٦] بمخلاف المعافر ، وذو المثلة جعفر بن ابراهيم بن ذي المنار المناخي بمخلاف جعفر المنسوب اليه .

ولمّا لم يكن للأمير أبي الجيش عند موته إلا ابنه الطفل عبد الله فإنه اضطلع بالأمر عنه مولاه (رشيد) ، ولكنه توفي عقب ذلك فخلفه بادارة شؤون دولة آل زياد مولاه (الحسين بن سلامة) من عبيد النوبة احسن مولاه رشيد تربيته منذ صغره ، فنشأ عفيفاً مستقيماً ، واضطلع بالأمر بكفاءة وحزم ، واستطاع ان يعيد للأمارة هيبتها ، وأن يسترجع الأقاليم التي كانت قد انفصلت عنها ، فغزا المتغلبين من الولاة وقادة الحصون حتى دانوا للأمارة بالطاعة ، وحملوا اليها الأتاوة التي كانوا يؤدونها اليها في عهد عزتها .

ودامت[٧] ولاية الحسين بن سلامة الى موته في عام (٤٠٢ هـ) .

ثم استقلّ النواب مرة ثانية بمافي ايديهم بعد موت الحسين بن سلامة ،

---

(٦) بنو الكرندي من نسل (الأبيض بن حمال) الذي وفد على رسول الله كما عرفنا في موضعه .

(٧) للحسين بن سلامة مآثر عمرانية كبيرة، فقد ذكر المؤرخون انه بنى على طريقي الساحل والجبال بين اليمن ومكة في نهاية كل مرحلة مسجداً وبيتاً يأوي اليه المسافرون ، وانه حفر فيها بئراً ، وانه أول من جدد عمارة الجند ووسعه ، وأول من سور مدينة زبيد ، وانه الذي اختط مدينة الكدراء في وادي سهام بين مدينتي المنصورية والمراوعة ومدينة (المهجم) . في وادي سردد من قضاء الزيدية . ومدينة القحمة بالقرب من جبل القحمة المعروف في بلد المحاملة شمال بيت الفقيه على مسافة ساعة للماشي ومدينة المعفر في وادي دوال وجميعها في تهامة ، وله مسجد في جبل الرحمة بعرفات ، وبنى عقبة الطائف في الحجاز بحيث تمشي في عرضها ثلاثة اجمال باحمالها وانه جدد في جامع عمر بن عبد العزيز في عدن .

ولم يبق في ايدي موالي آل زياد إلا تهامة فقط ، حيث قام بالأمر عنهم مولى آخر من مواليهم ويدعى مرجان كما سيأتي .

قال المؤرخ (تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني) في تأريخه[٨]«وقد كان حين توفي(الحسين بن سلامة) واختلف عبيده وهرب ملوك الجبال من سجنه ولحقوا ببلادهم ، تغلب (بنو معن) على عدن ولحج وأبين والشحر وحضرموت ، وغلب (بنو الكرندي) وهم قوم من حمير كانت لهم سلطنة قاهرة ومكارم ظاهرة ، وتفاخر على (السوى)[٩] و(السمدان) و(الدملوة) و(حصن صبر) و(حصن ذخر) ومخاليفها (المعافر) و(الجندية) و(الجعفرية) (مخلاف جعفر في لواء اب) آنف الذكر . وتغلب على (حب) و(حصن الشعر) رجل يعرف بالحسين التبعي (هو أبو عبد الله الحسين التبعي) . و(بنو عبد الواحد) على (برع) .

كما تغلب قوم من بكيل على حصون آنس ووصاب وعتمة ، وتغلب بعد موت (الحسين بن سلامة) أيضاً (بنو وائل الحميريون) على وحاظة وحصونها وأعمالها في بلاد حبيش وبلاد الحزم من لواء اب . وقد غزا هؤلاء جميعهم الملك الكامل أبو الحسن (علي بن محمد الصليحي) عند تملكه ووحد اليمن تقريباً تحت راية حكمه كما سيأتي .

وكان الدافع لكل النواب على الانفصال عن الدولة الزيادية والاستقلال بما تحت أيديهم هو نزعة الاستقلال لدى اليمنيين ، والرغبة الجامحة لديهم لحكم أنفسهم بأنفسهم ، كما هي عادة اليمنيين كلما سنحت لهم فرصة المحاولة والاستقلال ، أمّا موالي آل زياد الذين احتفظوا بتهامة فقط من إمارة (آل زياد) ، بعد موت الأمير الجليل (الحسين بن سلامة) فهم : أولاً :

---

(٨) بهجة الزمن في تأريخ اليمن ص ٣٠ .

(٩) حصن السوي في ناحية جبل حبشي من اعمال قضاء الحجرية لواء تعز ، ويعرف الحصن المذكور بقلعة خولان . والسمدان حصن عال في بلاد الرجاعية من الشمايتين قضاء الحجرية ايضاً ، والدملوة قلعة منيعة فوق قرية المنصورة من بلاد الصلو من اعمال قضاء الحجرية ، وهو اليوم ادارياً يتبع قضاء تعز مباشرة .

(مرجان وكان له عبدان حبشيان أحدهما اسمه (نفيس) وكان يعمل عنده في زبيد في ديوان الإمارة ، والآخر نجاح وكان يعمل والياً على أعمال (الكدراء) و(المهجم) و(مور) وغيرها في شمال تهامة الوسطى جنوب المخلاف السليماني ، وكانت بين نفيس ونجاح منافسة شديدة ، عمقها ميول الأمير (عبد الله بن أبي الجيش اسحق بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن زياد) وعمته الى الأمير (نجاح) ، وميول (مرجان) الى (نفيس) الذي استغلّ قربه من مرجان ، وبُعْد نجاح عن الأمير عبد الله الذي لم يكن مع ذلك يتمتع بشيء من النفوذ فأغرى نفيس مرجاناً على الأمير عبدالله وعلى عمته فقبض عليهما وبنى عليهما جداراً وهما حيان يستغيثانه ويناشدانه الله حتى ختمه عليهما ، وكان ذلك آخر العهد بهما .

ولّما بلغ ذلك (نجاح) استنفر الناس اسودهم وأبيضهم ، وتقدم بمن التفّ حوله نحو زبيد معلناً حربه لمولاه مرجان ولمنافسه نفيس شريك نجاح في الجريمة البشعة التي لم يسبق لها في التأريخ مثيل ، وما زال يضم اليه الجموع من القبائل التي يمر بها حتى دنا من زبيد ، وبدأت الحرب بينه وبين مرجان ، واستمرت ثلاث سنوات ، أسفرت في نهايتها عن انتصار الأمير (نجاح) ومقتل نفيس على أبواب زبيد ،ودخل (نجاح) زبيد دخول الظافر المنتصر ، وقبض على مرجان ، وذكر المؤرخون ان نجاحاً أخرج جثتي الأمير عبد الله آل زياد وعمته وأمر بدفنهما ، وبنى عليهما مشهداً خارج زبيد ، ووضع جثة نفيس ومرجاناً حياً مكانهما وبنى عليهما الجدار حتى ختمه عليهما ، وكان مرجان يستغيثه فيجيب نجاح عليه بقوله : « وأين مولاك عبد الله وعمته ؟ » وأسس الأمير نجاح امارة (آل نجاح) في تهامة على انقاض امارة (آل زياد) كما سنعلم في الفصل الخاص بذلك .

نظرة عامة في امارة آل زياد ومواليهم

لّما خرجت عك والأشاعر في تهامة اليمن على عامل اليمن للعباسيين (ابراهيم الأفريقي الشيباني) انشأ الخليفة العباسي (المأمون بن هارون الرشيد) في تهامة امارة (آل زياد) بهدف حزم امورها ، واقرار الأمن

والاستقرار في ربوعها .

ووصل الأمير (محمد بن عبد الله بن زياد) الى اليمن في عام (٢٠٣) أو (٢٠٤) هـ . وبفضل العون المادي والمعنوي المستمرين له من قبل الدولة العباسية ، وطول فترة حكمه الى موته لأكثر من اربعين عاماً ، وكفاءة وجهود مولاه (جعفر) ، استطاع ان ينشيء امارة شبه مستقلة عن العباسيين ، مرهوبة الجانب ، قوية النفوذ امتدّ سلطانها في اليمن حتى لواء جيزان في الشمال الغربي ، وحتى نجران في الشمال الشرقي ، وفي الجنوب حتى عدن وأبين ولحج وأعمالها وسائر مناطق الجنوب اليمني ، وحتى حضرموت والشحر ومهرة وغيرها من مناطق وجزر جنوب اليمن الشرقي .

ولم تخرج عن امارة (آل زياد) في اليمن إلا بلاد صعدة بعد قدوم الإمام الهادي (يحيى بن الحسين) في عام (٢٨٤ هـ) والتي دعا فيها واتخذها المقر الرئيسي لحكمه .

وإلّا بلاد حجة التي تنازعها (آل يعفر الحواليون) ودعاة الفاطمية (منصور اليمن الحسن بن حوشب بن زادان الكوفي) و(علي بن الفضل الخنفري اليمني) ، والذي استطاع مع ذلك وبعد ان بدأ الضعف والوهن يدب في جسم امارة آل زياد ، منذ آخر حكم آخر امرائهم (أبي الجيش اسحق ابن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن زياد) ان يتغلب على بعض نوابه ، كآل الكرندي في مخلاف الجند وجعفر ، وجعفر بن ابراهيم المناخي في المخلاف نفسه وفي بلاد المذيخرة بالذات ، وكمحمد بن ابي العلاء في عدن وأبين ولحج وأعمالها ، وأن يحصر نفوذ ابي الجيش آل زياد في تهامة ، وأن يغزو مع ذلك مدينة زبيد عا صمة امارته مرتين كان أبو الجيش يبتعد عنها أثناءهما ، وولى علي ابن الفضل عليها في المرتين من قِبله ، ولكن أبا الجيش كان لا يلبث ان يعود الى عاصمة امارته ، وظلت امارة آل زياد هي القوة الوحيدة التي استطاعت الصمود امام القوى المختلفة ، والموئل الوحيد لآل يعفر الذين والوا الأمير أبا الجيش يخطبون وده ويخطبون له في منابرهم ، واستطاع أبو الجيش ان يصمد

امام القوة العاتية الفتية الجديدة المتمثلة بدعاة الفاطمية ، وأن يقنع (بتصميمه على استرجاع عاصمة امارته زبيد مرتين) علي بن الفضل بالعدول عن فكرة الاستيلاء الدائم عليها ، وأن يكتفي بغزوها المتكرر لمجرد تحذير آل زياد من مساعدة القوى الأخرى في الساحة اليمنية في حربه معها .

ولقد سلك آل زياد مسلكاً شبه مستقل عن العباسيين منذ انقسام هؤلاء على أنفسهم بعد وفاة الخليفة (الواثق العباسي في عام (٢٣٢) هـ ، وذلك بسبب سيطرة العنصر التركي على شؤون الدولة العباسية ، واستئثارهم بالسلطة والنفوذ والتركيز على عاصمة الدولة العباسية وملحقاتها المرتبطة بها دون الاهتمام بالأقاليم البعيدة عنها ، وصار انتماء (آل زياد) بالعباسيين شكلياً ، كل حظ العباسيين منه هو ذكر اسمائهم في الخطبة ، ونقشها في السكة (العملة النقدية) .

ومع ذلك فإن ضعف ارتباط آل زياد بالعباسيين كان عامل اضعاف لآل زياد امام القوى الجديدة والمتعددة التي ظهرت في اليمن والتي لم ينتم معظمها الى العباسيين اصلاً ، كدعاة الفاطمية والإمام الهادي ، أو كان لها انتماء لهم ولكنه انتماء شكلي كآل يعفر الذين كانت لهم نزعة قوية للإستقلال باليمن عن العباسيين اكثر من آل زياد ، منذ بدأوا النضال في سبيل ذلك ، وذلك بسبب يمنيتهم التي لا يتمتع بها آل زياد .

أمّا النواحي الأخرى الاقتصادية والعمرانية وغيرها فإن ما بأيدينا من مصادر لم تسمح بالمعلومات التفصيلية عنها ، سوى ما سبقت اليه الاشارة مما ذكره عمارة في مفيده عن ارتفاع دخل الإمارة الزيادية في عهد تقاصرها ، والذي يعطينا دليلاً على وفر دخل الامارة في عهد ازدهارها ،ووفرة الدخل القومي بالتالي بحكم ذلك .

ومن قيام الأمير الجليل (الحسين بن سلامة) نائب الإمارة والقائم على شؤونها بعد موت مولاه رشيد ، مولى آخر امراء آل زياد (أبي الجيش اسحق ابن ابراهيم) المذكور ، من عمران واصلاح على طول طريقي الجبال والساحل

بين اليمن ومكة والطريق التجاري بين عدن وموانىء الحجاز ، وفي مناطق كثيرة اخرى في اليمن والحجاز ، والذي يعتبر مدداً للإصلاح الذي قام به أبو الجيش آل زياد .

وكان الأمير الحسين بن سلامة بحزمه وكفاءته قد أعاد للإمارة هيبتها ، واستعاد اليها ما كان قد انفصل عنها ، وكانت امارته التي دامت ثلاثين عـاماً عامرة بالحزم والعدل والإصلاح بمثابة صحوة الموت لإمارة آل زياد .

امارة آل يعفر الحواليون
(٢٥٦ - ٣٩٢ هـ)-(٨٧٠ - ١٠٠٢ م)

بدأ أمر (آل يعفر الحواليين) في نجد اليمن (صنعاء وأعمالها) بالأمير (يعفر بن عبد الرحيم بن كريب بن ثابت الحوالي) من آل (عامر ذي حوال الأصغر الحميري) .

وكان (يعفر بن عبد الرحيم الحوالي) في بداية عهده زعيماً محلياً في بلده شبام كوكبان ، وكان من أكرم رجال حمير ، في الإسلام ، فقد[1] ذكر مثلاً ان قبيلة كندة قصدته لمساعدتها في دفع عشر ديات لزمها من ثلاثين دية لحضرموت في حرب بينهما ، فبالغ في اكرام الوفد ، وتحمل الثلاثين دية جميعها ، ومثل هذا الكرم هو الذي امال اليه القلوب وجمع الناس حوله ، وساعده على مقاومة ولاة العباسيين في سبيل تحقيق الاستقلال باليمن عنهم ، حتى حصل عليه إلا من انتهاء شكلي كما سنرى .

كما كان والده (عبد الرحيم بن كريب الحوالي) قد ولي للعباسيين في عهد الخليفة المعتصم العباسي صنعاء وأعمالها كما مرّ بنا ، ولعلّ ذلك كان الحافز الأول لأبنه الأمير (يعفر) في محاولته الوصول الى الحكم وتحقيق الاستقلال عن العباسيين .

وقد بدأ الأمير يعفر محاولته الجادة لإقامة حكم مستقل عن العباسين في صنعاء واعمالها في عهد الخليفة العباسي (الواثق) الذي ولي الخلافة بعد

(١) تأريخ اليمن الإسلامي ص ١٤٠ .

موت المعتصم عام (٢٢٧) هـ .

ولكن العباسيين لم يعترفوا لـ (آل يعفر) بالنفوذ إلا في عهد الخليفة العباسي (المعتمد) احمد بن المتوكل جعفر الذي خلف ابن عمه (المهتدي) محمد ، وذلك باسناد (الموفق طلحة بن المتوكل) صاحب النفوذ الفعلي في دولة ابن اخيه (المعتمد) المذكور ، أمر النيابة على نجد اليمن صنعاء واعمالها ، الى الأمير (محمد بن يعفر) في عام (٢٥٦ هـ) وأضفى على ولايته الصبغة الشرعية ، فانتمى الى العباسيين وخطب لهم ، وللأمير (ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن زياد) حاكم تهامة ، بحكم ولاية هذا الشرعية المستمدة من العباسيين ، ولعدم قدرته على مقاومته ، واضطلع (محمد بن يعفر) بالأعباء في حياة أبيه الذي كان قد ترك لولده مهمة المضي في مهمة محاولة الاستقلال عن العباسيين ، أو انه ارغم من قبل ولده على التخلي عن نشاطه ، وربما قبل ان ينال (محمد بن يعفر) امر النيابة من العباسيين .

وقد يستأنس لهذا الفرض بما حدث بعد ذلك من مقتل الأمير (محمد بن يعفر) واخيه (أحمد بن يعفر) من قبل الأمير (ابراهيم بن محمد بن يعفر) بأمر جده الأمير يعفر بن عبد الرحيم كما في بعض روايات المؤرخين كما سيأتي .

وقد[٢] استعان (محمد بن يعفر) في امارته بكثير من رجال حمير وهمدان ، فكان نائبه على صنعاء (احمد بن حفص) من الأصابح من حمير ، وكان صاحب شرطته (أبو قبيح محمد بن يونس) من الأصابح أيضاً ، وكان شاعراً جواداً ، وكان ابنه (الأشعث) وزيراً لـ (اسعد بن أبي يعفر ابراهيم بن محمد بن يعفر) ومن كبار رجاله أيضاً : (عبد الله بن محمد بن اسماعيل) من آل ذي أوسان من حمير ، و (ابراهيم بن يوسف بن محمد بن اسماعيل) من (آل ذي لعوة) ، من بكيل همدان و (الدعام بن ابراهيم) كبير ارحب وسيد همدان ، و(طريف بن ثابت) وبنوه من آل ذي كبار الحاشديين

(٢) نفس المصدر ص ١٤٣ .

وغيرهم .

ثم اعتزل الأمير (محمد بن يعفر) الأمر بدوره ، واضطلع به ابنه الأمير (ابراهيم أبو يعفر) آنف الذكر ، وذلك منذ عام (٢٦٥ هـ) ، ومال (محمد بن يعفر) الى النسك والعبادة ، وسمع كتب (عبد الرزاق الصنعاني) وغيره ، وجدّد عمارة جامع صنعاء الكبير بعد أن هد م السيل الكبير الذي نزل في عام (٢٦٢ هـ) جانباً منه ، واسمه مكتوب على بعض ألواح سقفه ، وقد[٣] ذكر المؤرخ (الخزرجي) أنّ ذلك السيل يعتبر ثاني سيل كبير نزل بصنعاء في الإسلام ، وانه نزل في شهر ذي الحجة من العام المذكور ، وانه هدم نحواً من ستة آلاف منزل في صنعاء .

كما تفرغ الأمير (محمد بن يعفر) لبناء جامع شبان كوكبان على نحو فخم وكما هو عليه اليوم ، وفي عام (٢٧٠ هـ) حدث مقتله ومقتل اخيه (احمد بن يعفر) في حياة أبيهما بجامع شبام بعد صلاة المغرب ،ويعزو الهمداني[٤] ذلك العمل من الأمير ابراهيم بن محمد بن يعفر الى عربدة سكر .

وأكد الخزرجي[٥] صدور ذلك الفعل من الأمير ابراهيم المذكور ، مضيفاً أنّ جده الأمير يعفر هو الذي أمره بذلك ، بينما ذكر الحادث في زمانه ومكانه يحيى بن الحسين في أنباء الزمن (مخطوط) ولكنه ذهب الى ان الأمير (ابراهيم بن محمد بن يعفر) هو الذي أمر جده بذلك ، والرأي الأول اقرب الى المعقول ، لأن الأمير ابراهيم هو صاحب النفوذ يومئذٍ ، وبيده السلطة والحكم ، وأقل ما تدل عليه الروايات المختلفة حول مصدر الحادث هو التواطؤ عليه بين الأمير ابراهيم وجده الأمير يعفر بن عبد الرحيم ، ولا يستبعد المتأمل ذلك اذا عرف ان الأمير (محمد بن يعفر) استبدّ بالحكم لنفسه في حياة أبيه ، وأنّ الأمير ابراهيم اضطلع بالحكم في حياة أبيه كذلك ، وربما يكون ذلك لا

---

(٣) في العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام والثقافة ص ١٤٣ .

(٤) في الاكليل ج ٢ ص ٦٧ .

(٥) في العسجد المسبوك آنف الذكر ص٣٤ .

عن رضى واقتناع من أبيه مما احدث الوحشة بينهما ، نحو ما حدث بين الأمير محمد بن يعفر وأبيه ، وأن الولاة خالفوا على الامير ابراهيم بسبب ما ساد من تواطؤه مع جده على قتل ابيه وعمه ، فخالف عليه (الفضل بن يونس المرادي) في الجوف ، و(الدعام بن ابراهيم بن عبد الله الأرحبي) البكيلي في ارحب ، و(ابراهيم) و(يوسف) ابنا طريف بن ثابت الكباري الحاشدي في بلاد يحصب وذي رعين ، و(المكرمان) ببيحان ، وغيرهم ، ومالوا الى الأمير (جعفر بن ابراهيم بن ذي المنار المناخي) نائب آل زياد في (ريمة الأشاعر ببلاد المذيخرة) من بلاد العدين والحاكم الفعلي لها ، ولم يتمكن الأمير ابراهيم بن محمد بن يعفر من اخضاع الخارجين عليه ، في الحروب التي قامت بينه وبينهم ، كما انضم الى الدعام بن ابراهيم في الحرب التي قامت بينهما في ورور حاشد ، وفي بلاد خيوان وخمر قبيلتا بكيل وحاشد ، وكتب النصر للحلفاء .

وقد[٦] اثار قبيلة حاشد على الأمير ابراهيم آل يعفر مقتل رئيسهم (محمد ابن الضحاك بن العباس المعيدي الحاشدي) من رؤساء بلاد ريدة على يد مسعود غلام الأمير ابراهيم غيلة وبأمره .

ويبدو من قيام الحرب في بلاد حاشد ان الأمير ابراهيم آل يعفر هو الذي غزاهم اليها ، حينما علم بتجمعهم ضده ، ولكن الحرب كما عرفنا انتهت لصالح الحلفاء ، واستولى (الدعام بن ابراهيم) بعدها على صنعاء ، وساعده مع ذلك الأبناء وبنو شهاب المقيمون في صنعاء ، والذين كانوا قد خرجوا على الأمير ابراهيم وطردوا عامله على صنعاء وأحرقوا بيت الأمير ابراهيم فيها ، وبذلك فيما يبدو تكون قد قامت ثورة عارمة ضدهُ بسبب مسلكه العنيف والمستمر ، وبسبب قتل ابيه وعمه .

وقد أغضب الدعام بن ابراهيم عليه الى جانب حادث القتل المذكور أنّ الدعام وصل اليه الى شبام كوكبان معزياً ، وانه لما دخل عليه صادفه مخموراً ،

---

(٦) تأريخ اليمن الإسلامي ص ١٤٥ .

فعاتبه على قتل أبيه وعمه وحدثت بينهما مشادة كلامية لطم الأمير ابراهيم الدعام أثناءها ، فخرج الدعام من عنده غاضباً وقد عزم على الخلاف عليه ، ولم يثنه عن ذلك اعتذار الأمير ابراهيم اليه في اليوم التالي عما صدر منه قائلاً : « لن ترفع كرامة اليوم هوان الأمس ، ولن تعلق قادمة الخير ذنابة الشر » ثم تظاهر بالرضى حتى يخرج من صنعاء ، ولما وصل الى بلده همدان اظهر الخلاف ، واجتمعت اليه بكيل وحاشد كما عرفنا .

وفي خلاف الدعام واستيلائه على صنعاء قال شاعر ارحب :

غلبنا من حوال الملك قسراً بلطمة شيخ كهلان الدعام

ويستفاد[7] مما ذكره الخزرجي عن حادثة القتل تلك وما سرده من الأحداث التي تلتها ان العباسيين فور علمهم باضطراب الأمور في صنعاء على الامير ابراهيم بن محمد بن يعفر واعتزاله ، حاولوا تدارك الموقف ، فأسند ذو الوزارتين (صاعد بن مخلد) وزير المعتمد العباسي الأمر الى الأمير (يعفر بن ابراهيم) فأفسد الأمير ابراهيم خطة العباسيين لإصلاح الأمور ، وتظاهر بقبول اسناد الأمر الى ولده يعفر فترة ، ولكنه لم يلبث ان عزله بولده الآخر (عبد الواحد بن ابراهيم بن يعفر) الذي لم يلبث ان عزله ، ووصل الى صنعاء من مقره بشبام كوكبان ، مثبتاً بذلك تمسكه بحقه الشرعي في الحكم ، وذلك حوالي عام (٢٧٢ هـ) الأمر الذي حمل أهل صنعاء والأبناء وبني شهاب على الهجوم على عامله على صنعاء ، وقتله بعد مغادرة الأمير ابراهيم لها ، ثم نهب دار الأمير ابراهيم واحراقه كما علمنا .

ودخل الدعام بن ابراهيم الأرحبي صنعاء مستولياً عليها ، وظل الحال كذلك الى مقتل الأمير ابراهيم في شبام عام (٢٧٩ هـ) ولما قتل الأمير (ابراهيم بن محمد) بن يعفر في التاريخ المذكور اضطلع بالأمر الأمير (عبد القادر بن أحمد بن يعفر) الذي دعمه اليمنيون بسبب مقتل ابيه على يد الأمير

---

(٧) في العسجد ص ٣٤ .

(ابراهيم بن محمد) المذكور ، كما أيدته الدولة العباسية بقوة على رأسها الأمير (علي بن الحسين) الملقب بـ (جفتم) ، وقد هدف العباسيون من ذلك الدعم العسكري مع ذلك الى الحفاظ على نفوذهم في اليمن ومنع خروجه عنهم ، ووصل (جفتم) الى اليمن في نفس العام (٢٧٩ للهجرة) ، واستطاع بالقوة التي وصل بها من بغداد وبدعم القبائل اليمنية المنافسة لـ (الدعام بن ابراهيم الأرحبي) كآل الروية المذحجيين وعلى رأسهم (محمد بن الروية) وغيرهم ان يدخل صنعاء بعد خروج الدعام منها الى خيوان في بلاد حاشد ، واقتصر نفوذه عليها وعلى بلاد البون من حاشد أيضاً ، بينما استقر الأمير (عبد القادر آل يعفر) في شبام كوكبان كأسلافه ، وقد ركز الأمير (جفتم) اثناء اقامته في صنعاء على اعادة الأمن والنظام اليها ، حتى كان كما ذكر (الخزرجي)[٨] لا ينام الليل بل يكون بارزاً ومفاتيح ابواب صنعاء بين يديه ، والعسس تختلف اليه ، وأصحاب الحاجات يترددون عليه ، ويقضون حوائجهم حتى يطلع الفجر ، فيصلي الصبح ثم يقعد للناس الى وقت الغداء (الفطور) فيتغذى مع خاصته ونوابه ، ثم ينام الى الظهر ، فإن استيقظ عند الاذان لصلاة الظهر ، وإلا اجتمع الصبيان وكبروا حتى يستيقظ ، وقد اقام في صنعاء الى عام (٢٨٢) للهجرة ، ثم غادرها عائداً الى العراق تاركاً في صنعاء عسكره الذين عرفوا بالجفاتم ، واستولى الأمير (أبو حسان اسعد بن أبي يعفر ابراهيم بن محمد بن يعفر) على الأمر يعاونه ابن عمه (عثمان بن أبي الخير احمد بن يعفر) وتأيد الأمير اسعد بمرسوم النيابة من (نجح بن نجاح) الذي اسند اليه الخليفة (المكتفي بن المعتضد) العباسي أمر الإشراف على شؤون اليمن ، وأقام (أسعد)[٩] في (شبام كوكبان) مستنيباً عنه في صنعاء حليفه (ابراهيم بن خلف بن طريف الكباري الحاشدي) .

ولكن الخليفة (المكتفي) اعاد الأمير (جفتم) الى اليمن ، ولما كان في

---

(٨) في العسجد ص ٣٤ .

(٩) ابن عبد المجيد في (بهجة الزمن) ص ١٥ .

بني شهاب احدى نواحي صنعاء في طريقه الى صنعاء ، وصل اليه (ابراهيم بن خلف) وغيره متظاهرين بالولاء له واستقباله والسلام عليه ، وكا ن (جفتم) في قلة من عسكره ، الأمر الذي مكن (ابراهيم بن خلف) من القبض عليه وعلى عدد من اتباعه واعتقالهم في بيت بوس من بني شهاب ناحية بني مطر صنعاء .

وقد قام الأميران (اسعد بن ابراهيم) و(عثمان بن أبي الخير احمد بن يعفر) بالإفراج عنهم ، ولكنهما ظلا يترددان على (جفتم) في الظاهر للسلام عليه ، ولمراقبة تحركاته ولقاءاته وما سيبدر منه في سبيل استعادة نفوذه في حقيقة الأمر ، وغادر (ابراهيم بن خلف) بعد الإفراج عن جفتم المنطقة الى مدينة الكدراء في امارة (آل زياد) مستاءً من الإفراج عن (جفتم) ، بل[10] لقد قام بالزحف بقوة من الكدراء نحو جبل ذخار (ضلع كوكبان) بغية الاستيلاء عليه ، وذلك في عام (٢٩٢) للهجرة ، ولما كان في طرف الجبل في موضع يقال له (الجراني) لقيه عبيد لعدنان صاحب الموضع المذكور وقتلوه وهزموا من كان معه وبعث (الجراني) برأسه الى مواليه (لعلهم آل يعفر) ، ولما تحرك (جفتم) بمن التف حوله من اتباعه ومن القبائل المنافسة لآل يعفر نحو صنعاء بغية استيلائه عليها واستعادة نفوذه فيها تصدى له (آل يعفر) وقامت معركة بين الجانبين اسفرت عن مقتل (جفتم) وانهزام قوته ، واستتب الأمر للأميرين (اسعد بن ابراهيم) و(عثمان بن أبي الخير) المذكورين في نجد اليمن صنعاء وأعمالها ، ومناطق اخرى امتد نفوذهما اليها ، واستقر الأمير اسعد في حصن[11] كحلان يريم ، بينما استقر الأمير (عثمان) في مدينة (شبام كوكبان) ، وأنابا عنهما في صنعاء ، وظلّ الحال بينهما من التعاون عاماً كاملاً ، تخوّف الأمير (اسعد) بعده من تمركز الأمير عثمان في حصن كوكبان المنيع والمسيطر على شبام وعلى المنطقة بأسرها ، ففاجأه وقبض عليه واستولى على كوكبان واستقل بالأمر لنفسه ، وتلقى مرسوم النيابة من الخليفة العباسي

---

(١٠) تأريخ اليمن الإسلامي ص ١٧٩ .

(١١) الاكليل ج ٢ ص ١٦٨ .

(المقتدر) والذي جاء فيه ما نصه : « وقلدناه اعمال الحرب والأحداث بصنعاء وأعمالها ، والمذيخرة واعمالها ، وعدن وأبين ولحج وما اتصل بها » وهذا المرسوم هو تأكيد للمرسوم الذي تلقاه الأمير (اسعد) من الخليفة العباسي (المكتفي بن المعتضد) كما سلف ، إلا ان هذا المرسوم نص على تولية الأمير اسعد لمناطق عديدة مما هو تحت نفوذ (آل زياد) ولعلّ هذا ناشيء عن عدم رضى العباسيين عن الأمير (ابي الجيش اسحق بن ابراهيم آل زياد) الذي استغل ضعف الدولة العباسية فاستقلّ عنها إلا من انتماء شكلي كل حظ العباسيين منه ذكر اسمائهم في الخطبة ونقشها في السكة (العملة) كما أسلفت في فصل (آل زياد) قبل هذا .

وقد أقام الأمير (اسعد) بعد استقلاله بالأمر في مدينة (شبام) كوكبان متنقلاً بينها وبين حصن كحلان يريم ، وأناب عنه في صنعاء ، وفي عهده استطاع الإمام الهادي (يحيى بن الحسين) أن يدخل صنعاء بمساعدة عامل الأمير اسعد عليها (أبي العتاهية عبد الله بن بشر بن الروية المذحجي) ، كما سنعلم تفصيل ذلك ومزيداً من الأحداث التي قامت بين الإمام وأسعد في الفصل الأول من فصول (حكم الأئمة في اليمن) .

وفي عهد الأمير (اسعد) أيضاً أظهر دعاة الفاطمية في اليمن حركتهم واستطاع احد الداعيتين (علي بن الفضل) بعد ان تخلى عن الدعوة للفاطميين ان يبسط نفوذه في معظم انحاء اليمن بما في ذلك صنعاء ، وأن يخضع الأمير أسعد لحكمه الى موته أي علي بن الفضل بالسم كما سنعلم تفصيل ذلك ومزيداً من الأحداث التي جرت بين الجانبين في فصل (دعاة الفاطمية في اليمن) .

ولما توفي (أبو حسان اسعد بن أبي يعفر) بكحلان[١٢] يريم عام (٣٣٢ هـ) خلفه ابنا اخيه (أبو الخير) و(أبو الخطاب) آل يعفر الى عام (٣٥٢ هـ)

---

(١٢) ونقل جثمانه في تابوت الى (شاهرة) في ضلع همدان ودفن فيها ، وهي التي اوقف اراضيها على جامع صنعاء ، وقد وصف الأمير اسعد معاصره الهمداني في الاكليل(بحسن السياسة وعظم الدهاء وبعد الغور وكتمان ما في النفس ، وانه اذا غضب غضب واذا رضي رضي ، ولا بعدة له على قومه ولا عصبية له .

وقد[13] اتسم عهدهما بالضعف وسيطر (احمد بن محمد بن الضحاك) على صنعاء في فترتين : « احداهما باسم الإمام (المختار بن الناصر بن الهادي) ، والثانية باسم (آل زياد) بعد ان قطع الخطبة للإمام المذكور وذلك في عهد آخر امراء آل زياد (أبي الجيش) ، (اسحق بن إبراهيم) .

ومنذ عام (٣٥٢ هـ) استولى على الحكم في امارة آل يعفر الأمير (عبد الله بن قحطان بن عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن يعفر) ، وقد أعاد للإمارة هيبتها ، وكانت له نزعة قوية بالاستقلال عن العباسيين وحتى عن مجرد الانتماء الشكلي اليهم ، ذلك انه ارتبط بهم في بداية عهده تبعاً لأسلافه ، ثم لم يلبث ان انفصل عنهم وقطع الخطبة لهم وارتبط بالخليفة الفاطمي في مصر (العزيز بن المعز الفاطمي) وخطب له لإضفاء الصبغة الشرعية لحكمه ، ريثما ترسخ اقدامه في الحكم ، ولما دعا الإمام قاسم بن علي العياني في اليمن وقوي جانبه انتمى اليه شكلياً وخطب له وقطع الخطبة للإمام الفاطمي المذكور ، وبعد فترة قطع الخطبة للعياني ولم يخطب لغيره ، ولم ينتم الى احد .

وهذا يرد ما ذهب اليه بعض المؤرخين من ان تنقله في الانتماء إنما هو تردد ، وليس وسيلة ضرورية واجراء آنياً استلزمته الظروف للاستقلال بالحكم .

كما كان للأمير (عبد الله بن قحطان) طموح واسع لمد سلطانه على رقعة اوسع في اليمن ، وفعلاً فإنه وسع نفوذه على حساب نفوذ (آل زياد) فاستولى على مخلافي (الجند) و(جعفر) وأناب عنه فيهما (آل الكرندي) الذين كانوا هم النواب فيهما لآل زياد ، وقد شجعه على ذلك اطمئنانه الى عدم قدرة الدولة العباسية على مساندة آل زياد التابعين لهم بسبب ما كان العباسيون يعانونه من انقسام واختلاف ، ولم يكتف الامير عبد الله بن قحطان باقتطاع المخلافين المذكورين من الإمارة الزيادية ، وإنما قام بغزو مدينة (زبيد) عاصمة الإمارة في عام (٣٧٩ للهجرة) بعد ان ابتعد عنها القائم فيها الحسين بن سلامة) وقد

---

(١٣) يحيى بن الحسين في (غاية الأماني) ص ٢٣٢ .

دخل زبيد بعد معركة قامت بينهما في (حجرة حراز) بين حراز والحيمة الخارجية وكان (أبو الجيش قد توفي ، وأقام الأمير (عبد الله بن قحطان) في زبيد ستة أيام غادرها بعدها الى مخلاف جعفر في لواء اب وكان ضمن مناطق نفوذ (آل زياد) وبسط نفوذه عليه ، ودخل مدينة اب عاصمة المخلاف المذكور يومئذٍ (عاصمة اللواء المذكور اليوم) في مستهل عام (٣٨٠) للهجرة ، وضمه الى امارته منذ ذلك التأريخ ، وأناب فيه عنه (بني الكرندي) وكانوا هم نواب آل زياد فيه، أيضاً مكتفياً بذلك عن الإستيلاء على زبيد أو غيرها في تهامة المنطقة الرئيسية لآل زياد .

وصار مخلافا الجند وجعفر هما الحد بين الأمارتين (الزيادية) و(اليعفرية) ومسرح الخلاف والحرب أحياناً بين الأمارتين ، ثم انصرف الأمير (عبد الله بن قحطان) الى حصن كحلان في بلاد يريم واتخذه مركزاً رئيسياً لإقامته لتوسطه بين مخلافي صنعاء وجعفر ، وكان أسلافه قد عمروه وسكنوه قبله منذ الأمير (اسعد بن أبي يعفر) ، كما علمنا ، وأناب عنه في صنعاء ، كما ولى الشيخ (اسعد بن أبي الفتوح الخولاني) حصن الهان وأعماله في بلاد آنس ، وكان هذا عُدّة الأمير عبد الله بن قحطان وساعده الأيمن وكبير أعوانه للذود عن امارته ، وقد أقام الأمير عبد الله بن قحطان في (حصن كحلان) المذكور الى موته في عام (٣٨٧) للهجرة .

واختلف المؤرخون فيمن خلفه بعد موته ، فذهب الكثير منهم الى انه لم يخلفه احد من امراء (آل يعفر) وأنّ امارتهم انتهت بموته .

بينما ذهب القليل من المؤرخين ومنهم (الخزرجي) و(الديبع) في تأريخيهما الى انه خلفه ابنه (اسعد) الثاني وأنه والى الإمام العياني وخطب له ، وأضاف الخزرجي(١٤) أنّ امر صنعاء اضطرب منذ عهده فتارة كان يغلب عليها (آل الضحاك الحاشديون) ، وتارة كان يغلب عليها الإمام (قاسم

---

(١٤) في العسجد المسبوك ص ٤٨ .

العياني) يسانده ابن ابي الفتوح الخولاني ، وأضاف أيصاً قائلاً : « وكانت العرب من همدان وحمير وخولان وبني شهاب مفترقة بينهما من كثر جمعه غلب على صنعاء » ، وأن الأمير (اسعد بن عبد الله قحطان) توفي في (كحلان) أي كحلان يريم آنف الذكر وذلك في عا م (٣٩٢ للهجرة) .

وخلفه الأمير (احمد بن يعفر) وهو آخر من عُرِف من امراء آل يعفر .

هذا وفي الوقت الـذي كان فيـه (آل يعفر) يحكمـون صنعاء وأعمـالها ومخلافي الجند وجعفر واعمالها كان نفـوذ (آل زياد) محصـوراً في تهامـة ، ثم خلفهم الأمير نجاح احـد موالي مـواليهم وأسّس فيها امـارة (آل نجاح) كـما سنعلم ، وكان نفوذ الأئمـة محصوراً في صعـدة وأعمالهـا ، وفي بعض اعمال صنعـاء في بعض فترات حكمهم ، واستقـل مع ذلـك آنـذاك امـراء آخـرون استقلالاً مزعزعاً كما عرفنا ، ومن أولئك الأمراء (بنو الكـرندي) في مخـلاف جعفر ومخلاف الجند ومخلاف المعافر (الحجرية) .

و(بنو وائل بن عيسى الحميريون) في وحاظة وأعمـالها في بـلاد حبيش والحزم في مخلاف جعفر أيضاً ، ولما برز (علي بن الفضل) الخنفري الحميري أحد داعيتي الفاطمية في اليمن وانفصل عنهم واستقلّ بالحكم لنفسه استطاع ان يوحد اليمن تقريباً تحت راية حكمه وان يقضي على استقلال أولئك الأمراء وأن يضيق حكم الإمام الهادي في صعدة كما سنعلم .

وقد عاد أولئك الأمراء الى ما كانوا عليه من النفوذ على المناطق المذكورة بعد موت (علي بن الفضل) بالسم ، وبسبب ضعف وعجز آخر امراء آل زياد (ابي الجيش اسحق بن ابراهيم) في آخر عمره الطويل ، ثم بموت القائم على امارة آل زياد (الحسين بن سلامة) واستمر خلفهم مسيطرين عليها حتى ثـار (أبو الحسن) علي بن محمد الصليحي ، وقضى على كل الامارات القائمة في اليمن ، ووحد اليمن من جديد تحت راية حكمه كما سنعلم في الفصل الخاص بتأريخه .

نظرة عامة في إمارة آل يعفر

ناضل اليمنيون في سبيل الاستقلال عن العباسيين بنجد اليمن صنعاء وأعمالها بعد انشاء هؤلاء امارة آل زياد في تهامة اليمن ، في عهد المأمون .

وقد هدف المأمون من فصل تهامة اليمن عن نجده الى فرض سيطرة الدولة العباسية على اليمن جميعه ، ولكنه لم يحقق الغاية المرجوة من ذلك ، بل ولم يُجْدِهم حتى تقسيم نجد اليمن الى ولايتين بواليين ، واستمرت الاضطرابات فيه .

وقام آل يعفر بمواصلة نضال اليمنيين في سبيل الاستقلال المذكور ، حيث اضطلع الأمير يعفر بن عبد الرحيم الحوالي بمسؤولية النضال منذ عهد الخليفة العباسي الواثق الذي ولي في عام ٢٢٧ للهجرة .

وقد استمرت الإضطرابات حتى اضطر العباسيون الى الاعتراف بنفوذ آل يعفر في عهد الخليفة العباسي المعتمد وذلك باسناد نيابة صنعاء وأعمالها الى الأمير محمد بن يعفر في عام ٢٥٦ هـ . بهدف ابقاء شيء من نفوذهم في القسم الأعلى من اليمن دون ان ينفصل كلية عنهم ، يدفعهم الى ذلك انقسام العباسيين واختلافهم فيما بينهم ، ولئلا تسري عدوى محاولة الانفصال الى ولايات اخرى من الولايات التابعة للدولة العباسية ، وعلى أمل أن والياً يمنياً سيكون اقدر من غير اليمنيين على حسم الاضطرابات في اليمن، وإقرار الأمور فيه .

ومع انحسام الاضطرابات بين آل يعفر والعباسيين بإسناد امر النيابة الى الأمير محمد بن يعفر ، فإن ذلك لم يحسم التنافس بين آل يعفر فيما بينهم ، والذي أدى الى حرب بل والى قتل بعضهم لبعض ، وكان لمراكز القوى القبلية كآل الضحاك الحاشديين ، وآل أبي الفتوح الخولانيين وآل الدعام الأرحبيين ، أثر على الأحداث بشكل عام .

كما صارت تلك المراكز تغذي النزاعات التي قامت بين آل يعفر ،

وزعامات الحركات الجديدة المتمثلة بائمة الـزيديـة ودعاة الفـاطمية ، وكـانت صنعاء هي بالطبع مسرح تلك النزاعات التي كانت عقائدية وسياسية معاً .

عقـائديـة بين السنيـة المتمثلة بآل يعفـر ، والشيعية المتمثلة بـالـزيـديـة وبالفاطمية ، وكانت هناك مع ذلك نزاعات بين الفريقين الشيعيين المختلفين ، شيعة العلويين ، وشيعة الفاطميين ، ودعاتهم في اليمن .

ولقد حاول العباسيون وضع حد للاضطرابات القائمـة في صنعاء والتي سبّبها تعدد الزعامات مختلفة الاتجاهات ، فأرسلوا اليها الأمير علي بن الحسين الملقب بجفتم ، على رأس قوة من الفرسان في الظاهر كمساعد لآل يعفر الذين ينتمون اليهم ، ولو انـه مجرد انتماء شكلي كـما أسلفنا ، ولتـوطيـد نفـوذ دولـة العباسيين في اليمن ، والحد من نفوذ مراكز القوى الأخرى في حقيقـة الأمر ، وركز جفتم على حفظ الأمن وتوفير الاستقرار في العاصمة صنعاء بأن فرض على نفسه نظاماً خاصاً يتمثل بالسهر في الليل وبروزه للناس حتى الصباح .

وفعلاً أقرّ الأمور ووفر الأمن والاستقرار فيها ، وكان لذلك تأثيره عـلى المنطقـة التابعـة لهـا ، لأن العـاصمـة كـانت دائـماً محـور الاضـطرابـات والتقلبات .

ولكن ذلـك لم يرض آل يعفـر ، لأن وجود (جفتم) بقـوتـه اشعـرهم بضعف نفوذهم بل وهدد مركزهم في اليمن ، فما أن عاد جفتم الى بغداد بعد عامين من وصوله اليمن حتى استعادوا نفوذهم ، وحـدوا من نفوذ اتباع جفتم الذين تركهم في صنعاء والذين كانوا يُعرَفون بالجفاتم ، وأناب الأمير اسعد بن أبي يعفر عنه في صنعاء (ابراهيم بن طريف بن ثابت الكباري الحاشدي) .

وقد أعاد الخليفـة العباسي المكتفي الأمـير جفتم الى اليمن بعد فتـرة ، كمحاولة أخرى لتوطيد نفوذ دولته في اليمن ولكـن الأمير اسعد بن أبي يعفر دبّر (في ارجح الروايات) خطة للقبض على الأمير جفتم عن طريق نائبه أي الأمير أسعد (ابراهيم بن خلف) وتمكن هذا من القبض على جفتم وعـلى عدد من اتباعه واعتقالهم في قلعة بيت بوس من بلاد بني مطر احدى النـواحي التابعـة

لصنعاء .

ثم قام الأمير اسعد بعد فترة بالافراج عنه مظهراً ولاءه للعباسيين ، وظل مع ذلك يرقب تحركاته .

ولما ادرك عزمه على استعادة نفوذه جهز قوة لصده وقامت حرب بين الجانبين اسفرت عن مقتل جفتم ، ولم يقم الخليفة العباسي بأي عمل ضد آل يعفر ازاء ذلك ، للضعف الذي كان قد دبّ الى الخلافة العباسية بسبب سيطرة العنصر التركي عليها ، وقد كان همهم السيطرة على مركز الخلافة دون سائر الأقاليم التابعة لها ، الى جانب قوة مركز آل يعفر في عهد الأمير اسعد المذكور .

وقد ضعفت امارة آل يعفر بعد موت الأمير اسعد .

ولكنها استعادت مكانتها وقوتها في عهد الأمير (عبد الله بن قحطان) بن عبد الله بن أبي يعفر ابراهيم بن محمد بن يعفر) .

ولما توفي هذا ضعفت من جديد ، وقوي نفوذ مراكز القوى القبلية على حسابها ، حتى ثار (أبو الحسن علي بن محمد الصليحي) مجدد الدعوة الفاطمية ودولتها الثانية في اليمن ، وقضى على كل مراكز القوى وعلى جميع الزعامات والامارات ووحد اليمن تحت راية حكمه كما سيأتي .

عموماً فإنّ عهد آل يعفر من اصعب عهود الحكم في اليمن ، لأن آل يعفر أول اسرة فرضت وجودها كقوة ذات شأن في نجد اليمن بعد فصل تهامة بإمارة آل زياد ، وأجبرت العباسيين على الاعتراف بمركزهم ونفوذهم ، مع وجود نائبهم الشرعي على تهامة الأمير محمد بن عبد الله بن زياد ، ووجود نائب ونائبين في بعض الفترات في نجد اليمن صنعاء وأعمالها ، ولأن آل يعفر فرضوا استقلالهم بحكم المنطقة وليس مجرد نيابة عن العباسيين ، وكان انتماؤهم بالعباسيين شكلياً ، وقد تطلب منهم ذلك جهداً كبيراً وتضحيات جساماً كما عرفنا في غضون الفصل الخاص بتأريخهم . بدليل قيامهم بحرب

الأمير جفتم ممثل الدولة العباسية في صنعاء في عهد الخليفة المكتفي وغيره من نواب العباسيين في اليمن .

ولأن آل يعفر وقعوا في محنة الخلاف فيما بينهم ، مما أدى الى حرب بل وقتل بعضهم لبعض كما عرفنا . ولأنهم صادفوا منذ بداية عهدهم تقريباً قيام حركات كبيرة وقوية نافسوها في نفس المنطقة ودخلت معهم في حروب مريرة وقاسية ، ومنها حركة الزيدية بزعامة الإمام الهادي يحيى بن الحسين ، وحركة دعاة الفاطمية بزعامة الزعيم اليمني علي بن الفضل ، ومنصور اليمن الحسن ابن حوشب بن زاذان الكوفي كما عرفنا ايضاً ، حتى لقد اذعن (اسعد بن يعفر) مرغماً لعلي بن الفضل الى موته كما سنعلم)

ومع كل تلك النزاعات التي واجهها آل يعفر اثناء حكمهم ، ومع تلك الحركات الجديدة ، فقد واجهوا زعامات قبلية قوية عانى آل يعفر منها الكثير وكان آل زياد النواب الشرعيون للعباسيين في تهامة وما تغلبوا عليه من الجبال (كما جاء في مرسوم النيابة من الخليفة المأمون لمؤسس امارة آل زياد محمد بن عبد الله بن زياد) كانوا قوة لا يستهان بها وكثيراً ما واجهوا آل يعفر بالحرب بصورة مباشرة أو غير مباشرة كما عرفنا ذلك أيضاً .

وعلى كل فقد كان الفضل لآل يعفر بتأسيس أول امارة مستقلة في اليمن من الحكم العباسي ، إلا من انتماء شكلي لإضفاء الصبغة الشرعية على حكمهم ، كما كان متبعاً في ذلك العهد .

وقامت على اثرها امارات ودول يمنية بحتة مستقلة عن كل نفوذ خارجي .

لأن ما كان يسمى بالخلافة الإسلامية لم يعد له مكانته التي كانت الخلافة تتمتع به في صدر الإسلام . ولأن تلك الخلافة لم تحكم سائر الأقاليم والولايات الإسلامية بالعدل .

وقد علمنا نوعية الولاة الذين كان الأمويون وكذلك العباسيون يرسلونهم

الى اليمن ، لفرض سيطرة الخلافة الإسلامية عليه ، وكذلك غير اليمن من الولايات الإسلامية .

ولذلك قامت الانتفاضات ، وثارت الشعوب في جميع الولايات الاسلامية ومنها اليمن ، ضد الدولتين الأموية والعباسية .

وكان العصر الثالث من عصور العهد الإسلامي هو عصر ابرز حركات التحرر والاستقلال .

وكانت حركة آل يعفر هي من ابرز حركات التحرر والاستقلال في اليمن في العصر المذكور .

الناحية الاجتماعية والاقتصادية

أمّا الناحية الاجتماعية في عهد آل يعفر فإنها لا تختلف عنها في عهود مماثلة سبقتها أو تلتها في تلك العهود الوسطى ، وقد كانت البيئة الاجتماعية قبلية في معظمها وبالذات في الريف ، ومن فئات العلماء والتجار وأصحاب المهن الحرة وهذه كانت تتمركز وتبرز في المدن والتي ربما تلاشت فيها العصبية القبلية .

وكان المستوى الثقافي وفي المدن غالباً يتمثل بتعلم علوم الشريعة الإسلامية في الفقه والحديث ، وكان الفقه في القسم الأعلى من اليمن هو فقه الزيدية بعد دخول المذهب الزيدي عليها منذ اسس الإمام الهادي يحيى بن الحسين حكمه ومذهبه الهادوي الزيدي فيه ، الى جانب علم أصول الفقه وأصول الدين (التوحيد) وكان في المنطقة هو المذهب المعتزلي ، وعلوم العربية من نحو وصرف وبيان وبديع ، وعلم تفسير القرآن وغيره .

أمّا الناحية الاقتصادية فحيثما يتوفر الأمن والاستقرار ينمو الاقتصاد وتزدهر التجارة والزراعة ، ويتوفر الرخاء .

وحينما تضطرب الأوضاع ، وتكثر الحروب ، فإن الاقتصاد يتدهور وتكسد التجارة ، وتتخلف الزراعة ، وتنقطع الطرق وتسوء الأحوال .

وكذلك كان الحال في عهد دولة آل يعفر ، في الحالتين .

وكثيراً ما ساءت الأحوال في عهد هذه الدولة وصنعاء بالذات ، بسبب الاضطرابات التي اصابتها منذ بداية صراع آل يعفر مع نواب العباسيين ، أثناء نضالهم في سبيل الإستقلال باليمن عن حكمهم وأثناء صراع آل يعفر فيما بينهم .

وأثناء صراعهم مع مراكز القوى القبلية ، ومع مختلف الزعامات التي نافستهم في المنطقة ، وبالذات في عهد الزعيم اليمني علي بن الفضل الذي عانى منه أهل صنعاء قسوة وعنفاً بالغين بسبب تعاونهم مع آل يعفر ومع الإمام الهادي ، ولأنه أشاد حكمه بدون قاعدة شعبية فإنه انهار عقب وفاته بالسم كما سنعلم .

ومن أفضل فترات حكم آل يعفر ، الفترة التي كانت بين وفاة علي بن الفضل ووفاة الأمير اسعد بن أبي يعفر ، ذلك أنّ الأمير اسعد بن أبي يعفر قضى على اتباع علي بن الفضل بعد موته ، في عام ٣٠٣ هـ ، وأقام حكماً يمنياً مستقراً الى موته في عام ٣٣٢ هـ .

الفصل الأول من تأريخ حكم
الأئمة الزيدية في اليمن
(٢٨٤ ـ ٤٤٤ هـ) (٨٩٨ ـ ١٠٥٣ م)

عقدت لحكم الأئمة الزيدية في اليمن عدة فصول ، وهذا هو الفصل الأول منها .

ويبدأ هذا الفصل بالإمام الهادي (يحيى بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب) مؤسس الدولة الزيدية الأولى في اليمن .

وكان[1] العلويون قد ناضلوا في سبيل الوصول الى الإمامة عبر تأريخهم كحق شرعي ورثوه من الإمام (علي بن أبي طالب) الذي قُتل إماماً ، ومن ابنه (الحسين) الذي قُتل كذلك ولم يعتبروا تنازل (الحسن ابن علي) شرعياً .

وادعى الإمامة عدد من الشخصيات الطموحة في عهدي الدولتين الأموية والعباسية ، وكان آخرهم قبل الإمام الهادي هو جده (القاسم الرسي بن ابراهيم) ، ولكنه تخلى عن دعوته اثر اعلانها واقام في جبل الرس بالقرب من المدينة المنورة ، الى موته في عام (٢٤٦) للهجرة .

وقد نشأ حفيده الإمام الهادي متأثراً متطلعاً الى الدعوة ، وجاء الى

---

(١) تاريخ اليمن الإسلامي ص ١٤٧ بتصرف .

اليمن في عام (٢٨٤) للهجرة وأسس فيه حكم الأئمة الزيدية في اليمن كما سنعلم .

كما ادخل الى اليمن المذهب الهادوي في فروع الفقه والذي نسب اليه ، كما يسمى بالمذهب الزيدي نسبة الى الإمام (زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب) لموافقته أي المذهب الهادوي له أي المذهب الزيدي في أصول الفقه ، وفي آرائه السياسية في الإمامة وتتلخص في خمس نقاط اساسية هي[1] :

١ ـ جواز ولاية المفضول مع ولاية الأفضل اذا كان في ذلك مصلحة عامة للمسلمين ، وقد أباح هذا الرأي جواز تعدد الولاة من الأئمة في البلد الواحد والزمن الواحد ، ولو كان احدهما أقلّ صلاحية من الآخر ، اذا اقتضت المصلحة العامة ذلك ، ولكنه فتح أو شجع على الأقلّ النزاع بين الدعاة ، كما اتاح للطامعين في الحكم استغلاله، ولو لم يكن هنالك مصلحة عامة ،ولا موجب ولا ضرورة ولا كفاءة أكثر من كفاءة القائم في الأمر .

٢ ـ اشترط في الإمام ان يكون علوياً فاطمياً ، مخالفاً بذلك رأي (الكيسانية) التي تحصر الإمامة في أولاد (محمد الحنفية) (محمد بن علي بن أبي طالب) ، ولرأي الإمامية التي تحصر الإمامة في أولاد الحسين بن علي بن أبي طالب) خاصة .

٣ ـ عدم عصمة الأئمة ، مخالفاً بذلك رأي الإمامية التي تجعل الإمام معصوماً من الخطأ .

٤ ـ جواز دعوة إمامين في وقت واحد ، وذلك نظراً لامتداد البلاد الإسلامية ، وهذا قريب من الشرط الأول ومسوّغ لتعدد الأئمة في البلد الواحد لأن الشرط هذا لم يحدّد البلد الذي لا يسوّغ فيه دعوة إمامين في

---

(١) تاريخ اليمن الإسلامي ص ١٤٧.

وقت واحد .

٥ ـ جواز الخروج على الظلمة ، وهذا من أفضل أسس المذهب الزيدي ، لأنه يسوّغ الخروج على الولاة الظلمة ، ولكنّه يتيح فرص تعدّد الولاة ، والخروج على غير الظالم بزعم انه ظالم .

٦ ـ عدم الاعتراف بنظرية المهدي المنتظر التي يؤمن بها (الاثنا عشرية) إحدى فرق (الإمامية) آنفة الذكر ، وعدم الإعتراف بالإمام المستور كما هو عند الأسماعيلية (احدى فرق الإمامية) أيضاً .

وقد كا ن مقدم الإمام الهادي الى اليمن من مقره في جبل الرس بالحجاز وللمرة الأولى في عام (٢٨٠ هـ) حيث وصل الى (الشرفة) من بلاد (نهم) في لواء صنعاء في رحلة استطلاعية ، عرض خلالها نفسه على القبائل اليمنية في المنطقة طالباً منهم مساندتهم في دعوته لنصرة الحق ، وإقامة العدل على حد ما جاء في رسائله ، ولكنه لم يلق الاستجابة التي كان ينتظرها لمبايعته ومتابعته ونصرته فعاد الى مقره في جبل الرس المذكور .

وفي عام (٢٨٤) للهجرة عاد الى اليمن مع وفد من بني (سعد بن سعد بن خولان) و(آل فطيمة) من نسل (سعد بن حاذر بن صحار) (سحار) بن خولان بن عمرو الذين وصلوا اليه الى مقره في جبل الرس المذكور لدعوته معربين له عن استعدادهم لنصرته (في الظاهر) وللاستعانة به (في الحقيقة) للنكاية بأعدائهم التقليديين (الأكيليين) سادة (بني ربيعة) من خولان صعدة أيضاً ، والذين ظلوا على ولائهم للعباسيين ، وهو نفس ما فعله (بنو سعد بن سعد) و(آل فطيمة) عند قدوم (ابراهيم ابن موسى) الملقب بالجزار الى اليمن من قبل الهادي في عهد الخليفة (المأمون العباسي) ، كما سلف في موضعه .

ووصل الهادي الى اليمن مع وفدهم لستة أيام خلون من شهر صفر من العام المذكور ، تمكن فور وصوله الى صعدة من حسم خلافات الفريقين وأخذ العهد من بعضهم لبعض ، ثم أخذ منهم البيعة له على

طاعته ونصرته ، وبدأ في صعدة بتأسيس أول حكم للأئمة الزيدية في اليمن ، بفضل :

١ ـ قيامه بحسم الخلافات المحلية التي كانت قائمة بين القبائل المتنافسة والمتناحرة في المنطقة ، والتي سببت قيام حروب كثيرة بينها ، وأطاحت بالكثير من رجالها دون ان تفلح الدولة العباسية ولا آل يعفر بانهائها وحسمها .

٢ ـ ضعف مركز الدولة العباسية بشكل عام وفي اليمن بصورة خاصة وذلك منذ عهد (المعتصم) بسبب سيطرة العنصر التركي في الجيش وفي المراكز القيادية والسياسية في الدولة العباسية ، وإن كانت قد استعادت نفوذها بصورة افضل نسبياً في عهد (المعتمد) وأخيه (الموفق) (٢٥٦ ـ ٢٧٩) للهجرة ، ثم (المعتضد) (٢٧٩ ـ ٢٨٩) للهجرة ، إلا أنّ الثورات التي قامت ضدها في عدة أماكن كثورة الزنج في البصرة وثورة القرامطة في البحرين وغيرهما في مصر وفارس وأماكن اخرى لم تسمح لها أن تمنع قيام دولة ائمة الزيدية في اليمن .

كما أن قيام دولة (آل يعفر) في نجد اليمن صنعاء وأعمالها وفي غيرها دون ان يبسطوا نفوذهم في بلاد صعدة بصورة ثابتة ساعد ايضاً الإمام الهادي على تأسيس دولته فيها واتخاذها المنطلق الرئيسي لحكمه ، ووفّرت كل تلك الأسباب المناخ الملائم له لذلك .

ومن بلاد صعدة بثّ الإمام الهادي رسله ورسائله الى مختلف مناطق القسم الأعلى من اليمن ، وولى على الأماكن التي والته في القسم المذكور .

وكان (نص)[٢] عهده لولاته كالآتي :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهده الهادي الى الحق أمير

---

(٢) علي بن محمد العباسي العلوي في سيرة الهادي ص ٤٤ .

المؤمنين (يحيى بن الحسين) ابن رسول الله ﷺ وعلى أهل بيته، لفلان ابن فلان اني وليتك جبايات قرية كذا وكذا ، وضمّ ما أوجب الله علينا ضمه من اعشارهم ، واستأمنتك على ذلك ، وقلدتك إياه بأمانة الله تبارك وتعالى ، وأمانة رسول الله ﷺ ، فأنظر أعانك الله وأحاطك اذا وصلت الى البلد الذي وجهتك اليه ان تدخله بالسكينة والوقار ، والذكر لله الواحد الجبار ، وأمر بمنزل يكتري لك بكراه فاسكن فيه ، ولا تجشمنّ احداً من أهل البلد من مؤونتك شيئاً قليلاً ولا كثيراً ، ولا تقبلنّ لأحد منهم هدية ، فمن قبل من احد ممن يستعمل عليه فتلك الهدية لبيت مال المسلمين ، لأنها أهديت له في عمله وعلى ولايته ، وبذلك مضى الحكم من امير المؤمنين علي بن أبي طالب رحمة الله عليه وصلواته ، فاذا قرّ قرارك فليكن أول ما تبتدىء به ان شاء الله من العمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتعليم الناس اقامة صلواتهم والاتمام لركوعهم وسجودهم ، ومن علمت منهم من بواديهم ممن يرّد عليك أو ممن معك في البلد انه لا يفهم من القرآن ما يصلي به فعلّمه ما قدر عليه وقوي من مفصل القرآن ، وعلمهم ما قدرت عليه من أصول الدين ، وفضل الجهاد والمجاهدين ومعرفة الحق والمحقين ، والولاية لمن امر الله تعالى بولايته من أهل بيت نبيه المطهرين ، ثم انظر في عملك فما كان من الزرع يسقى سيحاً أو بماء السماء فخذ عشره كاملاً ، وما كان من ذلك يسقى بالسواني والدوالي فخذ نصف عشره ، وكذلك اذا كان العثري (ما يسقى بماء المطر وبالسيول النازل من مياه الأمطار بكلام أهل اليمن) ثلاثة وثلاثون فرقاً وثلث الفرق وهو خمسة أوسق كاملة ، فإن قصرّ شيئاً مما يجب فيه العشر أو نصف العشر عن هذه الثلاثة والثلاثين فرقاً وثلث فسلمه الى صاحبه ولا تأخذ منه عشراً ولا نصف عشر ، فإنّ الله تبارك وتعالى لم يوجب في ذلك شيئاً .

وانظر ان كان للرجل أقلّ مما سمينا من الكيل شعيراً أو أقلّ من الكيل براً فسلم الصنفين جميعاً لصاحبها ، ولا تضمّ احدهما الى صاحبه

فـإنـه لا يجب في شيء من ذلـك زكـاة حتى يبلغ كـل صنف من هـذه الأصنـاف هذه المكيلة المسمـاة » . (وقد أبـطل العمـل بـالنصـاب بيت القـاسم من الأئمـة الـذين حكمـوا في اليمن منـذ القـرن الحـادي عشـر للهجـرة وأوجبوا الـزكاة في القليـل والكثير واستمـر عليه العمـل حتى قيام الثورة اليمنية) وما يزال العمل به ايضاً في عهد الثـورة إلا انه بنـاء على أمانة المزكي ودون خرص و تخمين) .

وأضاف النص : « وانظر أن تسـأل عن اشراك النـاس فمن علمت له شركاء في قِطَع متفرقة كَثُر ذلك أو قلّ فَلُمَّ بعضه الى بعض ، فإن كان جميع ما أخرج الله سبحانه وتعالى لصاحب هذا الـطعام في مـوضع واحـد أو مواضـع مختلفة يبلغ الخمسة الأوسق ، وهي ثـلاثة وثـلاثون فـرقاً وثلث الفـرق الذي ذكرت لك فخذ منه زكاته عـلى ما شـرحت لك ، وإن لم يفِّ فـلا سبيل لـك عليه .

فإذا ضممت جميع ما قبلك ان شاء الله تعالى من حق الله تبارك وتعالى فقدم في ذلك وفي حفظه النية والأمانة ، واعلم ان الله تعالى المطلع عـلى فعل كل فاعل ، والمجازي على عمل كل عامل وذلك في قوله تعالى : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾ .

وأخرج مما تحتاج اليه من مؤ ونتك وأسبابك ومؤ ونة من تحتاج الى معونته وقيامه معك ، فإن الله تعالى قد جعل لك اخراج ذلك بالمعروف .

ثم انظر ان تكتب أسماء فقراء البلد الذي انت به ومساكينـه ولا تكتب من أهله إلا كل من لا حيلة له الى التحرف والاستغناء عن ذلك فإنك ان كتبت جميع من يحتاج ومن له حيلة اضررت بمن لا حيلة له ، فآثر أهل المتربة ، وأهل المتربة من لا حيلة له .

وازح من كانت له حيلة في الرزق حتى يوسع الله علينا وعليه فنُصيِّر ما أمرنا الله بتصييره اليهم من اموال الله تبارك وتعالى إن شاءالله تعالى ، فـإذا أثبتَّ عِدتهم فأعزل لهم رُبع جباية بلدهم ، ثم اكتب اليَّ بعددهم ، وبكل ما جعل

الله لهم حتى اكتب اليك برأيي وكيف تفرقه ان شاء الله تعالى .

وانظر ان جاز بك ابن سبيل وشكا اليك حاجة أن تُقَوي أمره وتلمّ شعثه ، وتجري في جميع امورك ما يقربك الى الله تعالى ، فإنّ ذلك انفع لك في الدين والدنيا والسلام عليك) .

أمّا نص[3] دعوته فكان كالآتي :

« أيها الناس ادعوكم الى ما أمرني الله ان ادعوكم اليه ، الى كتاب الله وسنة رسوله ، والى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فما جاءنا به الكتاب اتبعناه ، وما نهانا عنه اجتنبناه ، والى أن نأمر نحن وأنتم بالمعروف ونفعله وننهي نحن وانتم عن المنكر جاهدين ونتركه .

وإني اشترط لكم على نفسي اربعاً : الحكم لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، والأثرة لكم على نفسي فيما جعله الله بيني وبينكم ، أؤثركم ولا أتفضّل عليكم ، وأقدّمكم عند العطاء قبلي ، واتقدم أمامكم عند لقاء عدوي وعدوكم بنفسي ، واشترط لنفسي عليكم اثنتين : النصيحة لله سبحانه والِيَّ في السر والعلانية ، والطاعة لأمري على كل حالاتكم ما أطعت الله ، فإن خالفت طاعة الله فلا طاعة لي عليكم ، وإن مِلتُ أو عدلتُ عن كتاب الله وسنة رسوله فلا حجة لي عليكم ﴿ **قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾ .

وكان الإمام الهادي معتداً بنفسه مبالغاً في ذلك قال مؤلف سيرته وأحد اتباعه منذ خروجه الى اليمن : (علي بن محمد بن عبيد الله العلوي العباسي)[4] ما نصه : « وسمعته ما لا أحصيه اذا اجتمع عنده الناس يقول : والله لئن اطعتموني لا فقدتم من رسول الله ﷺ إلا شخصه » .

وقد ظل حتى في اقوى فترات حكمه في حرب مع (آل يعفر)

---

(٣) سيرة الهادي ص ٤٨ .

(٤) نفس المصدر ص ٤٩ .

و(آل طريف) حلفاء آل يعفر و(آل الروية) باستثناء (أبي العتاهية عبد الله بن بشر بن الروية المذحجي) عامل آل يعفر على صنعاء كما سيأتي ، ومع الخارجين عليه كالأكيليين في بلاد صعدة وعلى رأسهم (احمد بن عبد الله بن محمد بن عبّاد) الأكيلي ومع آل الضحاك في بلاد حاشد وعلى رأسهم (احمد بن محمد الضحاك الحاشدي) ومع بني عبد المدان وبني الحارث في بلاد نجران ، و(ابن بسطام) و(حنيش الوادعي) في بلاد نجران أيضاً ، ومع (آل الدعام الأرحبيين) وعلى رأسهم (الدعام بن ابراهيم) في بلاد حاشد أيضاً .

وكانت حروبه مع كل أولئك المخالفين والثائرين عليه وغيرهم من أهل برط وبلاد وشحة وغيرهم سجالاً قبل دخوله صنعاء في عام (٢٨٨ للهجرة) بمساندة عاملها لآل يعفر (أبي العتاهية) آنف الذكر وبعد دخوله اليها حتى اضطرّ اخيراً بسبب تخلي أهل صنعاء عن مساندته وبسبب شدة وطأة (علي بن الفضل) وقوة جانبه ان ينصرف عن صنعاء كلية وأن يعود الى صعدة ، ولقد اصيب في بعض حروبه مع الخارجين عليه بجراحات أثرت في نفسيته ، كما أثر في معنويته اكثر أسرُ ابنه المرتضى والتشهير به في صنعاء ، ولم يفرج عنه إلا الأمير اسعد بن أبي يعفر وأرفقه اليه الى صعدة ولم يحاول العودة بعدها الى صنعاء ، كما سيأتي تفصيل ذلك .

وقد كان يقطع اعناب الخارجين ويهدم مزارعهم ومنازلهم مبرراً فعله ذلك بما فعله[٥] الرسول الكريم مع يهود بني النضير في قطع نخيلهم ، وأن الله انزل عليه قوله : ﴿ **ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على اصولها فبأذن الله وليجزي الفاسقين** ﴾ ولقد أسرف في التشبيه وفي الفعل سامحه الله .

ولقد كان بنو فطيمة وسعد بن سعد بن خولان بن عمرو وبنو حي واليرسميون وكذلك الطبريون القادمون من طبرستان هم جمهرة جيش الإمام الهادي وعدته طيلة عهده .

---

(٥) سيرة الهادي ص ١٣٠ .

أما زعيم الأكيليين (أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبّاد) أكبر خصومه فقد سافر الى بغداد مستنجداً بالخليفة العباسي (المكتفي) الذي بويع في شهر ربيع الثاني من عام ٢٨٩ هـ طالباً نجدته على الإمام الهادي وقد قابل الخليفة[٦] وأقام في بغداد عاماً كاملاً ينتظر تجهيز قوة كبيرة معه لحرب الإمام واخراجه من اليمن كما كان يأمل ، وقد قصّ (ابن عبّاد) خبر مقابلته للخليفة فقال : « دخلت على الخليفة فبثثت له خبري ، وأعلمته بما قصدته من نجدته لي ، فقال : « أَثْبِتَ على حاجتك وبلغت أقصى مرادك » ثم دخلت عليه بعد ذلك ليتأكد عليَّ في بعثه الذي يبعثه معي وأُلِحُّ في ذلك له فقلت له : « يا أمير المؤمنين انهم خدمك يصيرون الى بلدك والى جوار رعيتك وطاعتك » فقال الخليفة : « انَّ لأهل اليمن وثبات كوثبات السباع النهمة » فما اقمت أياماً حتى أتى كتاب (عج) بن حادج والذي جعل الخليفة أمر الإشراف على شؤون اليمن اليه ، يذكر فيه للخليفة اخراج العلوي (يعني الإمام الهادي) من صنعاء ، فقال لي الوزير : « كيف رأيت امير المؤمنين » فقلت : « الله اعلم حيث يجعل رسالته » .

وتوقف الخليفة عن تجهيز قوة لحرب الهادي بعد وصول خبر خروجه من صنعاء .

دخول الإمام الهادي صنعاء وما تلا ذلك من احداث

تمكن الإمام الهادي الى الحق (يحيى بن الحسين) من دخول صنعاء في المحرم من عام (٢٨٨) للهجرة بمساعدة عاملها لآل يعفر (أبي العتاهية عبد الله بن بشر بن الروية المذحجي) وقد عمل (أبو العتاهية) الحيلة لدخول الإمام صنعاء بأن أظهر لكبار معاونيه ومعظمهم من (آل الروية) انه خارج لحرب الإمام ، وأمرهم بالخروج الى (السر) في بني حشيش ككمين له ضد الإمام ، ثم خرج هو لملاقاة الإمام الى (حدقان) من بلاد (همدان صنعاء) ، وألحَّ على الإمام أن لا يبيت يومه إلا في صنعاء لئلا تنكشف حيلته ، وفعلاً

---

(٦) تأريخ اليمن الإسلامي ص ١٦١ .

دخل الإمام معه صنعاء ، وسلمه أبو العتاهية مقاليد الأمور فيها ، ومكنه من التصرف بكل ما يريد التصرف فيه وجاء الكمين من بني حشيش في اليوم الثاني لدخول الإمام وقصدوا مع من انضم اليهم من أهل صنعاء والجفاتم وغيرهم الإمام الى الجامع وصادفوه وهو يخطب للجمعة وتظاهروا ضده وكانوا يصيحون : « لا نريد العلوي[7] يدخل بلدنا» وكذلك كان قول بني طريف وغيرهم ونهبوا اثقال الإمام وحاربوه ولكنه تغلب على الموقف بالترهيب والترغيب والعطاء من خزائن صنعاء ، وأقام في صنعاء أياماً غادرها بعدها الى شبام كوكبان مقر آل يعفر وارتفع منها الى مدينة كوكبان المطلة عليها وبسط نفوذه فيها وولى عليها ثم عاد الى صنعاء وأقام فيها أياماً ثم غادرها الى المنطقة الوسطى بعد أن أناب عنه في صنعاء أخاه (عبد الله بن الحسين) ووصل الى ذمار فمنكث فمدينة جيشان فبلاد رداع ثم عاد الى صنعاء ، وتعتبر هذه الفترة هي ازهى فترات حكمه .

ولما كان فيها استجمع (آل طريف) و(آل يعفر) قواهم وقصدوا بجموعهم الإمام الى صنعاء لحربه واضطروه الى مغادرتها الى مدينة كوكبان ، فساروا بإثره اليها وساعدهم أهلها وأهل شبام وغيرهم في المنطقة واضطروه الى الانسحاب الى بلاد حاشد ، ولما كان في البون من بلاد حاشد تصدى له أهلها واضطروه الى مواصلة انسحابه الى (درب صريم) من بلاد حاشد ايضاً وفيها انـزل أهله ، ثم انتقل منها الى (ريدة) في بلاد حاشد أيضاً ، فقصده المتحالفون ضده اليها ايضاً وفتحوا الحرب عليه وكانت كفتهم هي الراجحة ، وكان (ابن محفوظ) قد استولى على صنعاء بعد خروج الإمام الأخير منها وأخرج من كان فيها في السجون من آل يعفر وآل طريف ممن اعتقلهم الإمام .

ولما وصل للإمام مدد من الطبريين ومن الحجاز عزز من قواته التي كان فيها الدعام بن ابراهيم وأبو العتاهية واستطاع الإمام ان يعود الى صنعاء في العام نفسه (٢٨٨) للهجرة وأن يكسب المعركة .

---

(٧) سيرة الهادي ص (٢٠٧) .

ومع ذلك فلم يستتبّ الأمر للإمام فيها اذ قصدته جموع (آل طريف) و(آل يعفر) بعد ان نصبوا الأميرين (اسعد بن أبي يعفر) وابن عمه (عثمان بن أحمد بن يعفر) وأستمرت الحرب بين الفريقين بقية عام (٢٨٨) للهجرة ، وكانت الحرب سجالاً بينهما ، وكان لكل مقر يرجع اليه ، الإمام يرجع الى صنعاء وخصومه يرجعون الى بيت بوس من بني شهاب احدى نواحي صنعاء ، وقد قتل في هذه الحرب الكثير من اليمنيين الذين هم للأسف وقود الحرب بين المتنافسين والطامعين في الحكم والنفوذ ، وممن قتل من انصار الإمام (أبو العتاهية) ونائب الإمام على صنعاء الشريف (علي بن سليمان) وغيرهما .

ولما وصل للإمام مدد آخر من طبرستان التي كان العلويون قد تمركزوا فيها واصل الإمام حربه لمناوئيه وامتدت الحرب الى عام ٢٨٩ هـ وكان على رأس جيش الإمام أخوه (عبد الله بن الحسين) و(الربيع بن الروية المذحجي) ، وكان عسكر الإمام يرجعون الى (صل) أو (صبل) في بني بهلول ، وخصومه يفيئون الى (غيمان) في بني بهلول ايضاً ، ولمّا لم تسجل تلك الحرب النصر الذي كان يرجوه الإمام لقواته خرج من صنعاء ليقود جيشه بنفسه ، وقامت معركة بين الجانبين اسفرت عن انهزام جيشه وسقوطه هو من على فرسه من جراء ضربات اصابته ، ولكن عدداً من الطبريين صمدوا بجانبه وأعادوه على فرسه ثم عادوا به الى صنعاء وقتل الكثير من اتباعه .

ومع ذلك فإن الحرب استمرت بين الجانبين وكان على رأس جيش الإمام ابنه (المرتضى) وأخوه عبد الله بن الحسين ، وأبو العشيرة بن الروية وغيرهم ، وظلت الحرب بينهما سجالاً بين الجانبين ، ثم رجحت كفة خصوم الإمام بسبب كثرة جموعهم وتناقص انصار الإمام ، وتتابعت الهزائم على جيش الإمام حتى اضطرّ الى مغادرة صنعاء قافلاً الى صعدة ، وذلك في شهر جمادي الآخرة من العام المذكور ، (٢٨٩ هـ) ، وقد أقام الإمام فيها أياماً ثم غادرها الى نجران ، ثم صار يتنقل بين صعدة ونجران ، وحارب في كل منهما المخالفين عليه ، ثم تقدم الى البون من بلاد حاشد عاقداً العزم على مواصلة تقدمه الى صنعاء لإستعادتها ، ولكن ابراهيم بن خلف آل طريف حليف (آل يعفر)

تقدم بجموعه لصد الإمام عن دخوله صنعاء وقامت حرب بين الجانبين سجلت النصر في معظمها لإبراهيم بن خلف، الأمر الذي منع الإمام من مواصلة تقدمه نحو صنعاء ، وظل يتردد في بلاد حاشد محاولاً تجميع أنصاره الذين تفرقوا عنه وملوا الحرب دون جدوى ، ثم استأذنه من بقي منهم بجانبه العودة الى مناطقهم في همدان وخولان صعدة ونجران فأذن لهم ، وانتقل هو إلى أتوه من بلاد أرحب وذلك في شهر رجب من عام (٢٩٠) للهجرة .

واليها قصده أعداؤه التقليديون من (آل طريف) وهو في قلة من عسكره وأحاطوا به ولكنه أفلت باعجوبة بعد أن استبسل الطبريون في الدفاع عنه ، وأسروا عدداً من انصاره كما أسروا ابنه (المرتضى) ودخلوا بالأسرى الى صنعاء وطافوا بهم في شوارعها تشهيراً بهم ، ثم اعتقلوهم في صنعاء فترة ثم نقلوهم الى قلعة بيت بوس في بني شهاب ، وكان لاعتقالهم أثر سيىء في نفس الإمام ضاعف من ذلك قلة انصاره وانسحاب الكثير منهم وانقطاع المدد له من الأمير جعفر بن ابراهيم المناخي عامل المذيخرة ومخلاف جعفر لآل زياد ، ثم وصول الأمير (علي بن الحسين جفتم) من بغداد للمرة الثانية ، وأضطرّ الى الرجوع الى صعدة ، وكان (ابراهيم بن خلف) قد سيطر على صنعاء بعد عودة جفتم الى العراق .

وقد ظل الأمير المرتضى بن الإمام ومن اليه في الأسر حتى تمكن الأمير (اسعد بن أبي يعفر) بعد استيلائه على امر آل يعفر من الإفراج عنهم ونقلهم الى سجن شبام ، ثم أفرج عنهم وساروا محفوظين من قبله الى بلاد الدعام بن ابراهيم في بلاد حاشد ، حيث ارفقهم هو بدوره مع ابنه محمد بن الدعام الى الإمام الهادي بصعدة وذلك في أوائل المحرم من عام (٢٩١ هـ) . ويرى[٨] بعض المؤرخين ان افراج الأمير (اسعد بن أبي يعفر) عنه ربما كان عن اتفاق مسبق بينه وبين الإمام الهادي بعدم عودة الإمام الى صنعاء وعدم التعرض لحكم آل يعفر ، وهو ما حافظ عليه الإمام حتى وفاته في عام (٢٩٨) للهجرة

---

(٨) تأريخ اليمن الإسلامي ص ٢٦٣ .

مكتفياً بسيادته على بلاد صعدة وبلاد نجران .

إلا أن له[9] عودة الى صنعاء في جمادي الآخرة من عام (٢٩٣ هـ) حينما استدعاه أهل صنعاء للصمود بجانبهم ومنع عودة (علي بن الفضل) الى صنعاء ، ودخل الإمام صنعاء في التاريخ المذكور مع آل يعفر والدعام بن ابراهيم وولده وأبناء جعفر بن ابراهيم المناخي ووجوه اليمن ، ومن صنعاء بعث الإمام ابنه المرتضى الى ذمار لبسط نفوذه على المنطقة كجبهة امامية ضد ابن الفضل ، ولكن المرتضى انسحب من ذمار الى ابيه في صنعاء حينما قصده (عيسى بن المعان اليافعي) على رأس جيش ابن الفضل ، وانسحب الإمام كذلك من صنعاء حينما قصده (ابن كيالة) على رأس جيش (آل يعفر) وعاد الإمام وابنه الى صعدة ، واستدعى ابن كيالة وجراح بن بشر بن الروية الأمير اسعد بن أبي يعفر الى صنعاء للسيطرة عليها ، ووصل اسعد اليها ولكنه انسحب من وجه (علي بن الفضل) الذي قصد صنعاء لاستعادتها بجيش لا قبل لآل يعفر به ، وأقام (ابن الفضل) في صنعاء ثلاث سنوات متوالية شدد وطأته على أهل صنعاء اثنائها وذلك بسبب خروجهم عليه وإخراج قواته من صنعاء كلما غاب عنها .

وفي شهر شعبان من عام (٢٩٧ هـ) لبى الإمام طلب أهل صنعاء للقدوم اليها مرة أخرى لمساندتهم ضد عودة ابن الفضل اليها ، ولكنه لم يصل اليها بنفسه وإنما بعث اليها قوّة من خولان صعدة وهمدان بقيادة ابنه المرتضى اثر خروج ابن الفضل منها ، كما بعث الإمام قبل ابنه المذكور (علي بن محمد ابن عبيد الله العباسي العلوي) في جماعة من عسكره ودخل صنعاء مع الدعام ابن ابراهيم في شهر رجب من العام المذكور وأخرجوا من صنعاء من بقي من أصحاب ابن الفضل .

ولكن (ابن كيالة) جهز قوة من حراز باسم (آل يعفر) اضطرت الأمير

---

(٩) سيرة الهادي ص ٣٩١ .

المرتضى ومن معه الى الخروج من صنعاء وجاء اسعد بن أبي يعفر اليها يسانده ابن كيالة في صنعاء وجراح بن بشر بن الروية في ذمار .

أما الإمام الهادي فإنه بعد رجوعه الأخير من صنعاء الى صعدة صار يتردد بينها وبين نجران ، وكانت له حرب في نجران مع الخارجين عليه وفي مقدمتهم (بنو الحارث بن كعب)(١٠) بزعامة (الحارث بن حميد) و(مرزوق بن محمد) و(علي بن الربيع المداني) و(يزيد بن الأسود الكعبي) و(منصور بن هشام الدهمي) وغيرهم ، وكان سلاح الإمام الأخير لكسر شوكتهم وقمع تمردهم هو قطع أعنابهم ونخيلهم وهدم مزارعهم ومنازلهم . وآخر حرب له معهم كانت في عام (٢٩٨) للهجرة ، وكان هو آنذاك في بلاد نجران ، ولّما كان في قرية الحضن منها اقعده المرض عن الخروج ، وحدث ان حمل المخالفون على جنوده وهزموهم وقتلوا عدداً كبيراً منهم أضطره ذلك الى الخروج وجمع فلولهم وتقوية عزائمهم والعودة بهم الى صعدة ، وفيها اشتد مرضه الذي توفي فيه ، وذلك في اليوم العشرين من شهر ذي الحجة من العام المذكور (٢٩٨) للهجرة عن عمر لم يتجاوز الثالثة والخمسين ، وكان له من الأولاد الذكور عند موته : (المرتضى أبو القاسم محمد) و(الناصر محمد) و(حسين) .

وقد وصف الإمام بالعزم والصبر والجلد والنهضة ومشاركة رجاله في الحرب ، كما وصف بالتواضع والبساطة ، كما كان مثالاً للإستقامة والعفة والنزاهة ، وقد وصفه مؤلف سيرته (علي بن محمد بن عبيد الله العباسي العلوي من أولاد العباس بن علي بن أبي طالب) في السيرة بأوصاف جمة منها قوله(١١) : « وحدث محمد بن سعيد قال : لّما نزل الهادي الى الحق صلوات الله عليه صعدة وكان محله دار الإمارة ، فكان يصلي بالناس الصلوات بالجماعة ، فلا يقطع ليلاً ولا نهاراً ، ويجلس ما بين الصلوات فيعظ الناس ويعلمهم فرائض الدين وفرائض المواريث ، ويتحاكمون اليه ، ويبين لهم في رفق ، ثم

---

(١٠) سيرة الهادي ص ٣٣٠ .

(١١) السيرة ص ٣٨٦ .

ينهض فيدور في الأسواق، والسكك ونحن معه، فإن رأى جداراً مائلاً أمر أهله باصلاحه أو طريقاً فاسداً أمر بتنقيته ، أو خلفاً مظلماً أمر أهله أن يضيئوا فيه بالليل للمارة والسالك الى المساجد وغيرها ، وإن رأى امرأة امرها بالحجاب ، وإن كانت من القواعد امرها بالتستر ، وهو الذي أحدث البراقع للنساء باليمن وأمرهنّ بذلك ، وكان يقف على أهل كل بضاعة فيأمرهم بأن لا يغشوا بضائعهم ، ويأمرهم بتنقيتها من الغش ، وتفصيل ما يبيعون ، وإيفاء ما يسمون ، فقالوا له : « اليس التسعير حراماً ؟ فقال : أوليس الظلم والغش حراماً ؟ قالوا : بلى ، قال : فإنما نهى عن التسعير على أهل الوفاء وأهل التقوى ، فاذا ظهرت الظلامات في البيوع وجب على أولياء الله ان ينهوا عن الفساد كله ، ويردوا الحق الى مواضعه ، ويزيحوا الباطل من مكانه ، ويأخذوا على يد الظالم في ظلمه » .

وكان يقف على الحبس ثم يدخله فيأمر بتنقيته ، ويأمر من كان فيه قارئاً بأن يعلّم من كان فيه لا يقرأ ، ويسأل عن ذنوبهم وحبسهم ، فمن كان في دين نظر في جِدَته وإفلاسه ، ومن كان في ذنب تفقد حرسه وأمره ، ويفحص عن احوالهم ، ثم يرجع وقد امر ونهى في جميع القرية ، وأقام على ذلك وقتاً لم يتغير مع مواعظ وصدقات وعيادة للمرضى ومداواة للقلوب ، ودعاء الى الله في السر والعلانية .

ثم ذكر حدوث محاولة لاغتيال الإمام ثم رميه بالنبل وهو داخل المسجد الأمر الذي جعله ينقبض عن الناس قائلاً : « اللهم إني ملت أن اسير فيهم بسيرة الاختلاط بهم ، وأن أصل بنفسي ولاية امرهم حتى اكون فيهم كأحدهم ولا احتجب عنهم ، ولا أغيب شخصي عن محاضرتهم ، ولا أترك صلاة بهم ولا أكلهم الى غيري ، فبدأوا في المكيدة فيَّ ، وأرادوا النفس ، وإني ضارب الحجاب ، ومتحرز عنهم حتى يحكم الله بيني وبينهم »

الإمام المرتضى بن الإمام الهادي وتخليه

وقد بويع (أبو القاسم محمد المرتضى بن الإمام الهادي) عقب موت أبيه

إماماً بعده . ولم يكن في مستوى ابيه في القدرة والصلابة والعزم وقوة الاحتمال .

وفي اليوم الحادي والعشرين من شهر ذي القعدة من عام (٢٩٩) للهجرة جمع (المرتضى) الناس وأعلمهم بتخليه عن الأمر ، ولزم منزله في مدينة صعدة حتى توفي في عام (٣١٠) للهجرة وكانت وفاته عن اثنتين وثلاثين سنة من العمر .

وقد خطب الناس[١٢] عند ابلاغهم تخليه عن الأمر ومما جاء في خطبته تلك قوله : « إنكم معاشر المسلمين اقبلتم إليَّ عند وفاة الهادي رضي الله عنه ، وأردتموني على قبول بيعتكم فامتنعت مما سألتموني ودافعت ولم أؤ يئسكم من اجابتكم الى ما طلبتم مني خوفاً من استيلاء القرمطي (يقصد علي بن الفضل) على بلادكم) وتعرضه للضعفاء والأيتام والأرامل منكم ، فأجريت أموركم على ما كان الهادي يجريها ، ولم أتلمس بشيء من عرض دنياكم ، ولم اتناول قليلاً ولا كثيراً من اموالكم ، فلما اخزى الله القرمطي وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً تدبرت امري وأمركم ، ونظرت فيما أعرضه من خلالكم ، فوجدت أموركم تجري على غير سننها ، وألفيتكم تميلون الى الباطل وتنفرون عن الحق ، وتستخفون بأهل الصلاح والخير والدين والورع منكم ، لا تتناهون عن منكر تفعلونه ، ولا تستحيون من قبيح تأتونه ، وذنب عظيم ترتكبونه ، ولا تتعظون بوعظ الواعظين ، ولا تقبلون نصح الناصحين، بل تجرون في غيكم » .

وأضاف قائلاً : «فلمّا لم أجد فيكم من يعين الصادق المحق ، ويأمر بالمعروف ويرغب في الجهاد ، ويختار رضاء الله على رضاء المخلوقين ، إلا القليل من القبيلة واليسير من الجماعة ، انزلت هذه الدنيا من نفسي اخس المنازل وآثرت الآخرة ، واخترت الباقي الدائم على الفاني الزائل » الى قوله : « وايقنت مع الأحوال التي وصفتها ، والموانع التي ذكرتها أنّ السلامة عند الله

---

(١٢) محمد بن محمد زبارة في (ائمة اليمن) ص ٥٦ .

في الـزهد في الـدنيا والاشتغـال بعبـادة رب العـالمين ، والاعتـزال عن جميـع المخلوقين ، وذلك بعد رجوعي الى كتـاب الله تعالى » إلى آخـر خطبتـه ، ثم صرف عماله عن بلاد همدان ونجران وغيرهما .

الإمام الناصر احمد بن الإمام الهادي

كـان (احمـد بن الإمـام الهـادي) عنـد اعتـزال اخيـه (المـرتضى) في الحجاز ، ولما عاد الى اليمن بويع إماماً وذلك في شهر صفر من عـام (٣٠١) للهجرة ، ولقب بالناصر واتخـذ مدينـة صعدة مـركزاً رئيسيـاً لإقامتـه ، وكان انصاره الدائمون هم انصار ابيه (الهمدانيـون) و(بنو فـطيمة وبنـو سعد بن سعد بن خولان بن عمرو) في بلاد صعدة .

وكـانت له حـروب مع (عبـد الحميـد بن محمـد بن الحجـاج المنتـاب المسوري) قائد جيش (عبد الله بن عباس الشاوري) خليفـة منصور اليمن (الحسن بن حوشب بن زادان الكوفي) احد داعيتي الفاطميين في اليمن) وكان مركز هذا الداعية وخليفته في بلاد مسور حجة كما سنعلم في الفصـل الخاص بتأريخ دعاة الفاطميين في اليمن .

وأهم تلك[١٣] المعـارك معركـة (نغـاش) في بـلاد الأشمـور من لـواء حجـة ، والتي وقعت في عام (٣٠٧ هـ) . ووقعـة المصانـع في بلاد كـوكبـان بعدها ، وكانت الغلبة فيها للإمام .

ودخل[١٤] عدن بثمانين الفاً من المقاتلين ودانت له منطقتها في الجنوب ، ولم يدخل صنعاء لقوة جـانب الأمير (اسعـد بن أبي يعفر الحـوالي) فيها ولأن العلاقة بينهما كانت حسنة ، حتى لقد كان الأمير اسعد يلتزم جـانب الحياد في النزاع الذي كان يقوم بين الإمام الناصر وبين الأمير (حسان بن عثمان بن احمد آل يعفـر) الذي كـان يمارس نفـوذاً مستقلاً في القسم الأعـلى شمـال صنعـاء

---

(١٣) ائمة اليمن ص ٦٣ . وسيرة الهادي ص ٤٠٤ .

(١٤) ائمة اليمن ص ٦١ .

وأنشأ (احمد بن المختار قصيدة بتلك المناسبة جاء منها قوله[١٦] :

علام اللوم يا سلمى علاما عداني اللوم فاطّرحي الملاما
ألمّا تعلمي فتكي جهاراً عشية لم تهب نفسي الحماما
وطعني غير ما وجل وضربي كلا وطلاً وأحشاء وهاما
بردت الغل ثم شفيت نفسي بقتلي للأولى قتلوا الإماما
فتى في السلم كان هدى ونوراً وسيفاً في الوغى ذكراً حساما

الى آخرها .

هذا[١٧] وكان لسان اليمن (أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني) رفيقاً حميماً لمحمد بن احمد بن الضحاك المذكور في السلم وفي الحرب ، حتى لقد ذكر انه شهد معه مائة وقعة وست وقعات في الحروب التي خاضها ابن الضحاك ، ولقد سجن الهمداني مرتين الأولى في صعدة سجنه فيها الإمام الناصر بن الهادي ، والثانية في صنعاء سجنه الأمير (اسعد بن أبي يعفر) بإيعاز من الإمام الناصر الذي كان على علاقة حسنة مع الأمير اسعد ، وانشأ الهمداني قصيدته الرائية التي اسماها قصيدة (الجار) وعددها تسعة وتسعون بيتاً ، ومطلعها :

خليليّ اني مخبر فتخبّرا بذلة كهلان وخَيْرة حميرا

ومنها :

ويسقط مني ذاك عن حي حمير وسيدها المنظور فيها ابن يعفرا
انخت به خوف العداة وغدرهم فألفيته فيهم على الأمن أغدرا
ولكنه أغضى على الذل عينه وفرّط في حق الجوار وقصّرا
وأصلح بي ما كان من قبل بينه وبين قريش الأكرمين تغيّرا
وقد ذل من جاري بذمة جاره وأسلمه مما يخاف وقصرّا
وكل فعال ما ولاخفر ذمّة لمن لاذ مذعوراً بركنك منفرا

(١٦) محمد بن محمد زبارة في تأريخه (ائمة اليمن) ص ٦٦ .

(١٧) القاضي محمد بن علي الأكوع في مقدمته على الجزء الأول من الأكليل للهمداني الذي قام بنشره وتحقيقه .

الإمام يوسف الداعي بن المنصور وأثر الزعامات القبلية في الأحداث

دعا[١٨] (يوسف بن المنصور يحيى بن الناصر احمد بن الهادي يحيى بن الحسين) في مدينة ريدة من بلاد البون من حاشد عام (٥٦٨) للهجرة وتلقب بالداعي .

وقامت بينه وبين الشيخ قيس بن محمد بن احمد الضحاك حروب كانت صنعاء مسرحاً لها ، وكان اليمنيون هم وقودها في الجانبين ، وكان ابن الضحاك أقوى في الغالب بسبب الدعم الذي كان يتلقاه من (آل زياد) ومن الشيخ (اسعد بن الحسن بن أبي الفتوح الخولاني) ، وكان الإمام الداعي اذا استولى على صنعاء لا يلبث ان يغادرها .

ولّما فسد ما بين الحليفين (ابن الضحاك) و(ابن ابي الفتوح الخولاني) انحاز هذا الى الإمام الداعي ، كما انحاز اليه الشريف (الحسن بن يحيى بن الحسين بن الهادي) قائد مدد (آل زياد)ورجحت كفة الإمام ، واستولى على صنعاء من عام (٣٦٩) الى سنة (٣٧١) للهجرة .

وفي هذا التأريخ خالف على الإمام يوسف الداعي أهل همدان ، وكان مع ذلك قد فسد ما بينه وبين اسعد بن أبي الفتوح الخولاني مما أضعف جانبه واضطرّه الى الاتفاق تارة مع ابن أبي الفتوح وتارة مع ابن الضحاك ، وجعل شطر حاصلات صنعاء لمن كان على اتفاق معه ، ثم بنى له بيتاً في مدينة حوث من بلاد حاشد ونقل اليه اهله واستقرّ فيه ، وكان اذا غادره رجع اليه .

هذا وفي فترة من فترات التحالف بين الإمام الداعي وبين ابن ابي الفتوح دخل هذا صنعاء وخطب فيها للداعي وللأمير (عبد الله بن قحطان آل يعفر) فلامه الداعي على ذلك فقطع الخطبة عنهما معاً ، الأمر الذي يدلّنا على ضعف مركز الإمام وقوة الزعامات المحلية في عهده .

ولما وصل الإمام العياني الى صعدة وأعلن دعوته لنفسه إماماً وأجابه

---

(١٨) زبارة في تأريخه (ائمة اليمن) من ص ٧١ .

الناس كما سنعلم بعد هذا،خلد الإمام الى السكينة محتفظاً بدعوته .

الإمام القاسم بن علي العياني

قدم[١٩] القاسم بن علي بن عبد الله بن محمد من أولاد القاسم الرسي الى صعدة من تبالة في بلاد عسير في شهر المحرم من عام (٣٨٩) للهجرة ، وأعلن نفسه إماماً وتلقب بالمنصور بالله .

وكان رجال من البون والخشب في بلاد حاشد وغيرهم قد مهدّوا للدعوة له وجمع الزكاة من الناس ونقلها اليه الى بلاد عسير ، الأمر الذي شجّعه على الإنتقال منها الى بلاد صعدة ، ومنها الى مدينة (عيان) في بلاد سفيان واتخذها مركزاً رئيسياً لإقامته ومنطلقاً لدعوته ، وكان اذا غادرها عاد اليها ، ولذلك نسب اليها .

وأول عمل قام به في سبيل مدّ نفوذه داخل اليمن هو تحرّكه الى بلاد نجران واخضاعها والتولية عليها ، ثم العودة الى تبالة في بلاد عسير .

وفي اثناء وجوده فيها خالف عليه أهل صعدة مساندة للإمام الداعي يوسف بن المنصور ، فأسرع العياني الى مدينة عيان وجمع قوّاته وتقدم الى صعدة والحق بها الخراب والدمار واضطرّ الداعي الى الخروج منها ، ثم عزز فيها نفوذه بتولية ابنه (جعفر) عليها ، وجعل بنظره نصف حاصلات بلاد صعدة .والنصف الآخر جعله لأولاد الهادي بما فيهم الإمام الداعي لإصلاح احوالهم ، واشترط عليهم انتزاعه منهم اذا استغنوا عنه ، وكان ذلك مقابل تنحي الإمام الداعي له عن دعوته ومناصرته، والإقامة في مدينة صعدة ، كما خالفت عليه بلاد نجران مراراً وغزاهم هو مراراً وقتل الكثير منهم واقتلع أعنابهم وهدم مزارعهم ومساكنهم وكان ذلك هو السلاح الذي يلجأ اليه بعض الأئمة في حالة عجزهم عن اخضاع الخارجين عليهم من اليمنيين،ومع ذلك فلم تكن تلك الوسيلة القمعية فعّالة ،بدليل تكرر خروج أهل نجران على الإمام بعد اصلاح

---

(١٩) نفس المصدر من ص ٧٥ .

منازلهم ومزارعهم ، وكانوا هم المنطقة التي عانى منها هو وغيره من الأئمة اكثر من غيرها ، بل وقتل العديد من العمّال فيها .

وفي عهد ازدهار نفوذه وهو العام الذي تلا عام قدومه من بلاد عسير الى صعدة (أي عام (٣٩٠) للهجرة ،امتدّ نفوذه الى بلاد المغارب في بلاد حجة وولى عليها ، واستدعاه أهل صنعاء ووصل اليها وولى عليها ، كما والته بلاد ذمار وبلاد عنس وولى عليها الشريف قاسم الزيدي ، ووالاه الأمير (اسعد بن قحطان آل يعفر) وخطب له كما عرفنا في الفصل الخاص بتأريخ آل يعفر .

تقلص نفوذ الإمام العياني وانعزاله وموته

بدأ جانب الإمام العياني يضعف منذ خالف عليه أولاد الإمام الهادي في بلاد صعدة وذلك بسبب قطع الإمام عنهم لما كان أجراه لهم وهو نصف حاصلات بلاد صعدة ، وعزلهم عما كان بنظرهم في بلادها ، وقامت حرب بينه وبينهم كانت سجالاً بينهما ، لتكافؤ قوتي الجانبين ، وبسبب تخلي الكثير من اليمنيين عن الإمام العياني .

ومع ذلك فقد استطاع أولاد الهادي ان ينقلوا المعركة بينهم وبين الإمام الى بلاد نجران ، حيث انضم اليهم اهلها المعروفون بعدائهم الشديد للإمام العياني ، وبذلك قوي جانب خصومه ، وانهزم جيش الإمام بعد ان قتل فيه الكثير .

وحدث مع ذلك ان الحّ أهل همدان على الإمام في طلب ارزاقهم ، فأمر لهم الإمام الى ابن أبي الصيح عامله على صنعاء بذلك ، ولما لم يجدوا عنده ما يطلبونه انحازوا الى (اسعد بن أبي الفتوح الخولاني) و(يحيى بن أبي حاشد ابن العباس بن الضحاك الحاشدي) وحالفوهما ضد الإمام ودخلوا بهما صنعاء وأخرجوا منها عامل الإمام المذكور ، وكان ذلك في عام (٣٩١) للهجرة .

ومنذ هذا التأريخ بدأ نجم الشريف (قاسم الزيدي) عامل الإمام على ذمار وأعمالها يلمع ، وجانبه يقوى على حساب الإمام ، ذلك أنّ (الزيدي) لمّا

علم باستيلاء (ابن أبي الفتوح) و(ابن الضحاك) على صنعاء قام بعمل ضغط عليهما لخروجهما من صنعاء بأن قام على رأس جموعه بغزو قرية (نَعِض) في بلاد سنحان وهدمها وكانت مما يقع تحت نفوذ ابن أبي حاشد واضطره الى الخروج من صنعاء،وغزى لابن أبي الفتوح الخولاني بلاداً في جنوب صنعاء، وقطع ما كان له من أعناب فيها واضطره الى عقد صلح معه ينص على اعتراف الخولاني بالولاء للإمام العياني ، و ن تكون بلاد خولان من جملة بلاد الإمام وغير خارجة عن طاعته ، وأن يحمل الى الإمام مبلغاً من المال تأكيداً لولائه للإمام وأن يخرج مع ذلك من صنعاء ، ووفى كل للآخر بما صالحه عليه .

قال الخزرجي[٢٠] : « وحمل اسعد بن أبي الفتوح الخولاني الى الشريف الزيدي خمسة وسبعين ألف درهم ،وعاد عامل الإمام الى صنعاء » .

ثم وصل الشريف الزيدي الى صنعاء ، وبدأ يخالف أوامر الإمام ، وجرت مراسلات بينه وبين الإمام تمّ التقاؤهما في (مدر) من أرحب واعتذر للإمام ، ولكنه أصابه الغرور وبدأ خلافه للإمام يبرز بصورة علنية ، وكانت صنعاء مسرحاً للخلاف بينهما .

اذ كان الإمام يولي عليها ، فيعارضه الزيدي ويخرج عامل الإمام منها ويولي هو عليها من قبله .

وقد أراد الإمام حسم خلافه مع الشريف الزيدي ووضع حد لمعارضته له فأنفذ ابنه الأمير جعفر الى صنعاء والياً عليها ، وأمره بأن يعيد الى ابن أبي الفتوح الخولاني نفوذه على ما كان في خولان وغيره وان يتعاون معه على منع تطاول الشريف الزيدي ومدّ نفوذه من ذمار الى صنعاء .

ولكنّ الزيدي كان اسرع وأقوى من الإمام ومن ابنه وادرك نوايا الإمام نحوه ، فما ان وصل الأمير جعفر بن الإمام الى صنعاء حتى غزاه الشريف الزيدي اليها وقبض عليه وعلى اخوته واعتقلهم في قلعة بني شهاب من بلاد

---

(٢٠) في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٤٩ .

البستان ، احدى نواحي صنعاء ،وخطب للإمام الداعي يوسف بن المنصور بن الناصر بن الهادي بالإمامة ولنفسه بالإمارة ، ويكون الزيدي بـذلك قـد اعلن خروجه عن الإمام العياني وولائه للإمـام الداعي ، وهـدف مع ذلك الى شق العصى بين الإمامين ، والحيلولة في نفس الوقت دون استعانة العياني بالداعي في حربه للزيدي لو أراد أن يشنّ حرباً عليه ، ثم قصد الزيدي بـلاد ابن أبي الفتوح الخولاني مرة اخرى وهدم بعضها ، الأمر الذي اضطر الإمام العياني الى مراسلة الزيدي وان ينزل على حكمه ، واتفق معه اتفاق الضعيف مـع القوي بعد ان اجتمعا في مدينة ريدة ، وولى الإمام العياني الشريف الزيدي ولاية عامة من نقيل عجيب في بلاد حاشد الى عدن بما فيها عدن وصنعاء وكان ذلك عام (٣٩١ هـ) العام المذكور .

وتبينَ للإمام العياني تغيّر الأحوال عليه وقلة الأنصار حوله ، ثم انتقل الى مقره في مدينة (عيان) ببلاد سفيان ، واعتـزل الأمر وخلد الى السكينـة حتى وافاه اجله فيها في شهر رمضان من عام ٣٩٣ هـ عن عمر دام ثمانية وسبعين عاماً ، وعن حكم دام حوالي ثلاثة أعوام فقط .

عودة الإمام الداعي الى الظهور

ولما توفي الإمام قاسم العياني عاد الإمام الداعي (يوسف بن المنصور بن الناصر بن الهـادي يحيى بن الحسين) الى الـظهور ، وتجـوّل في مختلف مناطق القسم الأعلى من اليمن ينشر دعوته ويبثّ دعـاته عـلى ضعف ، وذلك بسبب تنافس الزعامات القبلية القوية وتأثيرها على الأحداث في المنطقة .

وحدث مع ذلك ان دعا لنفسه كل من الشريف قـاسم الزيـدي آنف الذكر ، والأمير حسين بن قاسم العياني ، واعلن كـل منهما معـارضته لـلإمام الداعي ، ومعارضة كل منهما للآخر .

الإمام قاسم بن حسين الزيدي ووفاته

وكانت دعوة هذا في عام وفـاة الإمام العيـاني وهو عـام (٣٩٣ هـ) ،

وكانت علاقته مع الإمام الداعي حسنة ، وقد والى الإمام قاسم الزيدي (ابن أبي حاشد) ، ودخل صنعاء باسم الزيدي وخطب له فيها ، ولكنه وجد مقاومة من أهل صنعاء فغادرها ، وتوفي الزيدي في العام الذي تلا عام دعوته ، أي في عام ٣٩٤ هـ ، وكان قد وصل الى اليمن من مقره في الطائف بالحجاز في عهد الإمام قاسم العياني كما عرفنا ، وهو الذي اخرج غيل الاف جنوبي صنعاء في عهد الإمام العياني المذكور .

الإمام حسين بن قاسم العياني

كما كانت دعوة هذا لنفسه بعد موت والده الإمام العياني في عام ٣٩٣ هـ ولقب نفسه المهدي ، وادعى انه المهدي[٢١] المنتظر الذي بشرّ به الرسول على حد زعم مختلقي احاديث المهدي المنتظر ، والراجح انّ ما زعم للحسين بن قاسم العياني انما هو من قبل غلاة شيعته لا من قبله هو ، والذين أشاعوا عقب مقتله انه لم يقتل ، وانه ما يزال حياً يرزق ، وانه سيبعث لتجديد الدين الإسلامي ، وقد[٢٢] رد عليهم مؤلف (الحدائق الوردية) برسالة اسماها (الزاجرة في النهي عن الغلو في ائمة الهدى) ، كما ردّ عليهم القاضي احمد بن صالح أبو الرجال في كتابه (مطلع البدور ومجمع النحور) والسيد صارم الدين الوزير في (البسامة) وغيرهم .

وقد اجابت الإمام حسين العياني قبائل همدان وحمير والمغارب في بلاد حجة ، وبلاد شبام وكوكبان ومسور بلاد حجة ايضاً .

وكان حكم اتباع داعية الفاطميين (منصور اليمن الحسن بن حوشب بن زادان الكوفي) قد انهار من المنطقة في ذلك التأريخ .

الإمام محمد بن قاسم الزيدي

ودعا هذا بعد موت والده الشريف(قاسم الزيدي) في عام (٣٩٤ هـ) .

---

(٢١) اليمن في ظل الإسلام ص ١٢٤ .

(٢٢) ائمة اليمن ص ٨٥ . والخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٥١ .

فهو قد عارض في دعوته الإمام (حسين بن قاسم العياني) .

وقد بايع الإمام محمد بن قاسم الزيدي أهل بلاد ذمار ، وكانت هذه المنطقة هي منطقة نفوذ والده منذ ولاه فيها الإمام قاسم بن علي العياني ، ثم بعد دعوته أي الإمام قاسم الزيدي . كما عارض الإمامان المتعارضان (حسين بن قاسم العياني) و(محمد بن قاسم الزيدي) الإمام الداعي (يوسف بن منصور بن الناصر بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين) الذي احتفظ بدعوته كما علمنا منذ تصالح مع الإمام قاسم العياني بعد دعوة هذا ، ثم جدد دعوته بعد موته أي العياني .

ولكن الإمام محمد بن قاسم الزيدي استطاع ان يجدد العلاقة الحسنة التي كانت قائمة بين والده وبين الإمام الداعي وكوّنا جبهة واحدة واستوليا على صنعاء .

ومع ذلك فقد غادراها بعد نصف شهر تقريباً ، بسبب زحف القبائل الموالية للإمام حسين العياني ، نحوها ، ووصل اليها الإمام العياني المذكور وذلك في عام ٣٩٤ هـ .

ثم ولى[٢٣] عليها اخاه الأمير (جعفر بن قاسم العياني) ومع ذلك فلم يستتب الأمر للأمير جعفر العياني بسبب ثورة أهل صنعاء عليه .

وجاء الإمام حسين العياني منجداً لأخيه الأمير جعفر ، وهدم دور مناوئيه واستصفى اموالهم ، وبالرغم من الاجراءات العنيفة والقاسية التي اتخذها الإمام العياني ضد مناوئيه فإنها لم تخمد ثورة أهل صنعاء عليه ، وراسلوا الإمام محمد بن قاسم الزيدي يطلبون وصوله الى صنعاء لتخليصهم من آل العياني ، وجاء الزيدي الى صنعاء وانتقم بدوره من مناصري وشيعة آل العياني انتقاماً شديداً .

---

(٢٣) اليمن في ظل الإسلام ص ١٢٤ . استناداً الى غاية الأماني ليحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد ص ٢٣٩ .

ومع ذلك فلم يستتب الأمر له في صنعاء ، وظلت كعادتها مسرحاً للحرب والنزاع بين الإمامين العياني والزيدي ، وكان موالي آل زياد القائمون على شؤون دولتهم هم وراء ذلك الصراع بين الإمامين ، بهدف اضعافهما معاً ، كما كان للزعامات القبلية في المنطقة أثرها في زيادة الاضطرابات واستمرارها .

واستمرّت الحرب بين الأمامين المتعارضين حتى قتل الإمام الزيدي في حقل صنعاء عام (٤٠٣ هـ) .

أمّا الإمام (حسين بن قاسم العياني) فإنه استطاع ان يحافظ على مركزه حتى خالف عليه الشيخ (منصور بن أبي الفتوح الخولاني) ، الذي انضمت اليه ضد الإمام العياني قبائل بني شهاب في بلاد البستان ، وبنو صريم ووادعة في حاشد ، وتجمعوا لحربه ، واضطروه الى الانسحاب من صنعاء الى ريدة ، ثم واصل انسحابه نحو بلاد الجوف ، ودخل (احمد بن قيس بن الضحاك الحاشدي) صنعاء اميراً عليها .

وبعد فترة تحرك الإمام حسين العياني الى بلاد حاشد محاولاً استعادة صنعاء ، فحاربته القبائل المناوئة له في بلاد ريدة من بلاد حاشد ، واسفرت تلك الحرب عن مقتله وذلك في عام (٤٠٤ هـ) .

وكان الإمام الداعي يوسف بن المنصور بن الناصر ، قد اضطر في خضم تلك الأحداث والاضطرابات الى ان يلزم منزله في بلاد صعدة الى وفاته عام (٤٠٣ هـ) .

هذا وبالرغم من أنّ الفترة التي مرت بين مقتل الإمام حسين العياني في التأريخ المذكور (٤٠٤ هـ) وبين قيام الملك الكامل (أبي الحسن علي بن محمد الصليحي) في عام (٤٣٩ هـ) بثورته التي استطاع ان يوحد بها اليمن في ظل رايته لم يتعارض فيهاإمامان يشعلانها حرباً مريرة مسرحها القسم الأعلى من اليمن ، ووقودهااليمنيون، الا انها مع ذلك كانت فترة قلقة مضطربة كما رأينا ، تنازع فيها السلطة في المنطقة المذكورة عدد من رؤساء القبائل اليمنية،وكانت

صنعاء وأعمالها هي مسرح تنافسهم وتنازعهم وحربهم ، وكان أبرز هؤلاء المتنافسين هم (آل الضحاك) الحاشديون وعلى رأسهم (يحيى بن ابي حاشد) وقبيلة (خولان العالية) وعلى رأسهم (منصور بن أبي الفتوح الخولاني) وكان الأمير (جعفر بن قاسم العياني) مع هؤلاء تارة ومع أولئك تارة أخرى ، ومرة يدخل صنعاء ، ومرة يخرج منها ، وكثيراً ما كانت صنعاء تتعطل عن الإمارة ، وأصابها بسبب ذلك الاضطراب والدمار والخراب .

الإمام أبو هاشم ووفاته

دعا[٢٤] (أبو هاشم بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم) في ناعط من بلاد حاشد ، (المنطقة الأثرية المشهورة) في عام (٤١٨) للهجرة ، إثر مقدمه من الحجاز الى اليمن ، وتلقب بالنفس الزكية ، وكان معه ولده (حمزة) الذي نسب اليه السادة الحمزات في اليمن .

وقد انتقل الإمام أبو هاشم من ناعط الى (مأرب) حيث استقبله فيها الشيخ عبد المؤمن بن أبي الفتوح الخولاني الذي كان مقيماً فيها ، وسانده في دعوته التي كان يصدرها بقوله : « من عبد الله المعيد لدين الله الداعي الى طاعة الله الدامغ لأعداء الله » .

وحدث ان كتب القائد مرجان القائم على امارة (آل زياد) في تهامة الى الشيخ (منصور بن أبي الفتوح) يلومه على مساندة اخيه الشيخ (عبد المؤمن) للإمام أبي هاشم ، فغضب منصور لاعتراض مرجان ، واعتبره تدخلاً في شؤونهم المستقلة عن آل زياد إلا من ولاء شكلي، وقام بالفعل مع اخيه بمساندة الإمام المذكور ودخلا به (صنعاء) . وامتدّ نفوذه في بعض مناطق القسم الأعلى من اليمن ، كما والاه الشيخ (يحيى بن أبي حاشد) ، وأقام الإمام في صنعاء أياماً غادرها بعدها الى بلاد ذمار ، ووصل الى بلاد

---

(٢٤) الخزرجي في (العسجد المسبوك) آنف الذكر ص ٥٤ .

ألهان من بلاد آنس من أعمال ذمار أيضاً ، ثم عاد الى مدينة ذمار ، وبنى له منصور بن أبي الفتوح ، حصن هران في الضاحية الشمالية لمدينة ذمار ، واستمال لولائه الأمير (احمد بن يعفر) صاحب حصن كحلان يريم ، وهذا الأمير هو آخر من عرف من امراء آل يعفر ، وسار الأمير احمد بن يعفر مع الإمام ومع ابن أبي الفتوح الى مخلاف جعفر ودخلوا عاصمته مدينة (اب) حيث التقوا بحاكمه الأمير (احمد بن يعفر الكرندي) ثم عاد الإمام الى ذمار ، ولمّا فسد ما بينه وبين الشيخ منصور بن أبي الفتوح والشيخ يحيى بن أبي حاشد انصرف الإمام أبو هاشم عن حصن هران نحو بلاد حاشد ، وعاد أبن أبي الفتوح وابن أبي حاشد الى ولائهما للقائم على امارة آل زياد في تهامة .

ثم فسد ما بين الشيخين الخولاني والحاشدي وساءت الأحوال في القسم الأعلى من اليمن ، وبالذات مدينة صنعاء ، التي كانت دائماً مسرح الحرب بين المتنافسين .

وقد دخل الامام مدينة صنعاء بعد ذلك مرتين، مرة في عام (٤٢٦ هـ) ومرة في عام (٤٣٣ هـ) ، ولكنه كان لا يلبث ان يغادرها فور دخولها ، بسبب اختلاف رؤساء القبائل أصحاب النفوذ في المنطقة فيما بينهم وتحكمهم في الأحداث .

ثم انتقل الإمام أبو هاشم الى (ريدة) من بلاد حاشد وأقام فيها الى وفاته فيها أو في ناعط عام (٤٣٣ هـ) ودفن في ناعط .

الإمام أبو الفتح الديلمي ومقتله

قدم[٢٥] (أبوالفتح بن الحسين بن محمد) المعروف بالديلمي من بلاد الديلم في الأيران في عام (٤٣٧) للهجرة . وكان مقدمه الى بلاد البون

(٢٥) زبارة في (ائمة اليمن) ص ٩٠ .

من بلاد حاشد ، ومنها بثّ دعاته الى مختلف المناطق في القسم الأعلى من اليمن ،وكان يصدّر كتب دعوته بالأبيات التالية :. « بعد قوله : « هذا من عبد الله الناصر لدين الله إلى كافة الناس » وهي :

ألا يا لهمدان بن زيد تعاونوا	على نصرنا فالدين سرب مضيّع
ونادوا بكيلاً ثم وادعة التي	لها المشهد المشهور ساعة تجمع
ولا بدّ من يوم يكون قتامه	لوقع القنا والمشرفية ادرع
سينقاد لي من كان بالأمس عاصياً	ويقرب مني النازح المتمنع
أنا الناصر المنصور والملك الذي	تراه طوال الدهر لا يتضعضع
سنملأ دنيانا من العدل بعد ما	مضت حقباً بالجور والظلم تترع

وقد تابعته همدان وخالفته بلاد خولان الشام في بلاد صعدة ، وكانت له معارك معهم داخل صعدة وخارجها . قال الخزرجي[٢٦] : « ثم غادرها ووصل الى صنعاء بمساندة الشيخ منصور بن أبي الفتوح ويحيى بن أبي حاشد حيث أقام بها أياماً غادرها بعدها الى ذيبين من بلاد حاشد ، وأقام فيها الى عام (٤٣٨) للهجرة .

ثم انتقل منها الى حصن (علب) في ضاحية صنعاء الجنوبية والذي بناه[٢٧] له منصور بن أسعد بن أبي الفتوح بالآجر والجص . وأقام فيه ، واستمال ابن أبي الفتوح لطاعة الإمام قبائل عنس في بلاد ذمار ، كما استمال كذلك الأمير (جعفر بن قاسم العياني) ووصل هذا الى الإمام في الحصن المذكور وقلده الإمام منصب امير الأمراء .

ولكنّ ابن أبي الفتوح والأمير جعفر لم يلبثا أن خالفا على الإمام الديلمي في نفس العام،وانضمّ اليهما ابن أبي حاشد وأجمعوا أمرهم على حربه ، واستولوا على صنعاء التي كانت تحت نفوذ الإمام بعد ان أخرجوا

---

(٢٦) في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٥٥ .

(٢٧) المصدر المذكور والصفحة نفسها .

نـائبه منهـا ، ثم اكملوا استعدادهم لحـربه وتقدموا نحـوه في مقره في الحصن المذكور ، ولكنهم وجدوه قد غادره الى الجوف ، فسـاروا في أثره ، ولم يبلغـوا الجـوف حيث التقوا بعسكـره في بلاد حـاشد وقـامت حرب بـين الجـانبـين لم تسفر عن انتصار حاسم لأيهما ، وانصرف كل عن الآخر .

وفي عـام (٤٣٩) للهجرة ثـار أبو الحسن عـلي بن محمد الصليحي في جبـل مسار من بـلاد حراز ، وتـوالت انتصاراتـه على كثـير من امـراء اليمن ورؤ سائها كما سنعلم في الفصل الخاص بتأريخ الصليحيين .

ولمـاً كـان عـام (٤٤٤) للهجـرة تقـدم أبـو الحسن الصليحي لحـرب الإمام أبي الفتح الديلمي ، والتقى الفريقان في موضـع ردمان شـرقي ذمار ، وقامت معركـة بينهما اسفـرت عن مقتل الإمـام وانهزام جيشه ودفن الإمـام في المكان المذكورالذي عرف من يومئذٍ بـ (قاع الديلمي) شرقي ذمار .

عرض عام في عهد الدولة الزيدية الأولى

اتسم عهد الدولة[1] الزيدية الأولى والتي بدأت بالإمام الهادي (يحيى بن الحسين) في عام (٢٨٤) للهجرة، وانتهت بالإمام (أبي الفتح الديلمي) الذي قتل في حربه مع الملك (أبي الحسن علي بن محمد الصليحي) في عام (٤٤٤) للهجرة بالاضطراب وعدم الاستقرار في منطقة نفوذهم ، التي كانت غالباً بلاد صعدة وما امتدّ منها الى بلاد نجران والى بعض مناطق القسم الأعلى من اليمن ، وذلك بسبب مقاومة اليمنيين المستمرة لحكمهم وعدم رضوخهم له ، وبسبب عدم التفاف القبائل الموالية لحكمهم حولهم بصورة ثابتة ومستمرة .

ذلك أنّ رؤساء القبائل اليمنية وسلاطين وامراء القسم الأعلى من اليمن كآل يعفر الحواليين ، وآل الضحاك الحاشديين دخلوا في حروب مستمرّة مع الأئمة ، وكانت هاتان الأسرتان (اليعفرية الحميرية) و(الحاشدية الهمدانية) هما ابرز الأسر التي كانت تتمتع بنفوذ فعّال في المنطقة ، الى جانب أسر اخرى أقل شأناً ونفوذاً ، ولكنها مع ذلك لعبت ادواراً هامة في التأثير على الأحداث في المنطقة أيضاً .

وكان وراء هؤلاء وأولئك (آل زياد) نواب العباسيين في تهامة .

ثم جاءت دولة الفاطميين الأولى في اليمن والمتمثلة بالداعيتين (علي

---

(١) اتّبعت الدكتور عصام الدين عبد الرؤوف في كتابه (اليمن في ظل الإسلام) ص ١٢٦ . وذلك في تعريف هذه الدولة بالدولة الزيدية الأولى .

بن الفضل اليمني) و(الحسن بن حوشب الكوفي) وقاما بدورهما في محاربة كل من الأئمة وآل يعفر بل وآل زياد أيضاً ، واستطاع (علي بن الفضل) أن يوحد اليمن تقريباً في ظل راية واحدة ولكن بقوته وجبروته وبطشه ، ولذلك فإن دولته انهارت بعد موته بالسم الذي دس له كما سنعلم في الفصل الخاص بتأريخ دولة الفاطمية الأولى في اليمن بعد هذا .

وحتى قبائل بلاد صعدة الأنصار التقليديين للأئمة فإنهم كثيراً ما خرجوا على الأئمة بما فيهم الإمام الهادي نفسه وحاربوهم .

وهنا يجدر بنا ان نتساءل عن سر تلك التحوّلات التي كانت تحدث بين قبائل بلاد صعدة ضد الأئمة وهم انصارهم التقليديون ، والتفسير المقبول لذلك هو اختلاف قبائل بلاد صعدة فيما بينهم اختلافاً قديماً ادى الى كثير من الحروب حتى صار لكل قبيلة عند الأخرى قتول وثارات، الأمر الذي عمق تلك الخلافات وأطال أمدها ، ومن ابرز تلك القبائل المتناحرة قبيلة الأكيليين مع قبيلة بني فطيمة من نسل سعد بن حاذر بن خولان بن عمرو ، ومع قبيلة سعد بن سعد بن خولان بن عمرو وغير هؤلاء وأولئك من قبائل بلاد صعدة المتقاتلة المتناحرة ، ولم ينجح الإمام الهادي عقب وصوله الى صعدة في حسم خلافاتها بصورة دائمة وان يجمعها كلها على الولاء الدائم له ، وصارت القبيلتان المنافستان للأكيليين الى جانبه لضرب الأكيليين الأمر الذي أدى الى خلاف الأكيليين في بلاد صعدة له ، وبالطبع فإنّ لهؤلاء انصارهم من القبائل الأخرى في بلاد صعدة نفسها ، وفي خارجها ، مما أدى الى عدم استقرار نفوذ الإمام الهادي ومن تبعه من الأئمة حتى في بلاد صعدة نفسها .

وحتى حينما تنتفي الخلافات بين القبائل ذات االنفوذ في المنطقة فإنهامع ذلك لم تجتمع بصورة مستمرة على الولاء لأي إمام من الأئمة الذين جاؤ وا الى المنطقة في عهدها الأول الذي نحن بصدد التأريخ له ،وكانت

القبيلة ما ان تساند الإمام وتنصره حتى تتخلى عنه وتخذله بل وتحاربه ، ولم ينجح أي إمام في جمع كلمة اليمنيين ولو في منطقة نفوذه على الولاء له ، ونفس ما حدث للأئمة حدث لآل يعفر ولغيرهم من سلاطين وامراء اليمن عبر التأريخ إلا من أوتي من الحكمة والحنكة وفهم النفس اليمنية كالملك علي بن محمد الصليحي ،ومع ذلك فإن الوحدة اليمنية لم تتحقق إلا في عهده تقريباً لأن اليمنيين لم يألفوا عبر تأريخ اليمن الطويل ان يذعنوا لسلطة مركزية واحدة إلا في القليل من فترات الحكم قبل التأريخ الإسلامي وفي صدر الإسلام كما سيأتي .

هذا وقد جاء الإمام الهادي الى اليمن كما علمنا وأسس حكم الأئمة الزيدية في اليمن ، وقام غيره من العلويين قبله وبعده في اليمن وغير اليمن في عهد الدولتين الأموية والعباسية على أساس حقهم الشرعي في الإمامة التي ورثوها من الإمام (علي بن أبي طالب) ومن ابنه الحسين بن علي ، ولم يعتبروا تنازل الحسن بن علي لمعاوية في الحكم تنازلاً شرعياً كما هو معروف في كتب التأريخ الإسلامي .

هذا من الناحية السياسية ، أمّا من النواحي الأخرى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في عهد الدولة الزيدية الأولى فيمكن ان يلخص بالآتي :

الناحية الاقتصادية

الموارد القومية في العهد الماضي كانت من الزراعة التي كانت تعتبر المرفق الأساسي للدخل القومي بل وللدولة أيضاً ، الى جانب المرافق الأخرى التقليدية كالتجارة والصناعة اليدوية والتعدين في بعض المناطق وفي بعض المعادن اللازمة لإنتاج ادوات الزراعة والحرب والأثاث المنزلية ، وبالطبع فإنّ النشاط في الزراعة أو غيرها ينمو ويزدهر في الأحوال التي يتوفر فيها الإستقرار ، ويتخلف حينما تضطرب المنطقة وتكثر فيها الخلافات

والقلاقل والحروب وهذا أمر طبيعي في كل زمان ومكان ، وكما عرفنا فإن منطقة نفوذ الأئمة في القسم الأعلى من اليمن لم تنعم بالاستقرار الأمر الذي حتم تدهور الاقتصاد القومي فيها .

الناحية الاجتماعية

أما الناحية الاجتماعية فالتكوين في المجتمع اليمني وبالذات في منطقة القسم الأعلى من اليمن كان قبلياً بصورة اساسية وثمة فئات اخرى تلاشت منها النزعة القبلية كفئات العلماء والمثقفين والتجار والصناع وغيرهم .

عموماً فإن الناحية الإجتماعية لا تختلف من زمان الى آخر ، وذلك بسبب احتفاظ اليمنيين بأنسابهم واعتزازهم بقبليتهم وتأثير هذه الناحية على النواحي الأخرى ، وحتى لدى بعض الفئات التي لا تبعدها مهنها ووظائفها عن النزعة القبلية وبالذات في مناطق القسم الأعلى من اليمن ، والسر في احتفاظ هؤلاء بقبليتهم وانسابهم هو قلة اختلاط غير اليمنيين بهم كما حدث في المناطق الأخرى كتهامة وغيرها من المناطق اليمنية .

الناحية الثقافية

كانت الثقافة مقصورة في ذلك العهد وفي منطقة القسم الأعلى باليمن وكغيرها من بقية مناطق اليمن،على علوم العربية والشريعة وعلوم القرآن ، إلا ان الفارق بين مناطق القسم الأعلى من اليمن وغيره من المناطق اليمنية أنّ مناطق القسم الأعلى تمذهبت بمذهب الهادوية الذي أدخله اليها الإمام الهادي ، واعتنقت مذهب الشيعة اعتناقاً غير راسخ ، بينما احتفظت سائر المناطق اليمنية بمذهب الإمام الشافعي في أغلبها وبمذهب ابي حنيفة في تهامة ، واعتنق كل هؤلاء المذهب السني المنافس لمذهب الشيعة ، وبالطبع فإن اختلاف اليمنيين في المذهب أو العقيدة السنية أو الشيعية لم يكن السبب في تفرق اليمنيين ، لأنهم جميعاً يعتنقون الإسلام الذي تستقي منه كل المذاهب والعقائد مذاهبها وعقائدها ، وإنما كانت تفرق بينهم وتثير

حرب بعضهم لبعض اختلاف اهواء زعمائهم ، واختلاف انتماءاتهم لهذا أو ذاك انتماء مصلحياً آنياً لا انتماء عقائدياً ، اللهم إلا ما حدث بين الدولتين المختلفتين مذهبياً وعقائديا من حروب وتطاحن كما حدث مثلاً بين آل يعفر السنيين بحكم انتمائهم الى العباسيين السنيين وبين الأئمة الزيدية الشيعية أو بينهم وبين دعاء الفاطمية الشيعية أيضاً ، وإن اختلفت شيعية الزيدية التي تنتمي الى الشيعية العلوية حسنية أو حسينية ،عن الشيعية الفاطمية التي تنتمي الى الشيعية الإسماعيلية الحسينية فقط ، وكانت هناك حروب ونزاعات بين الفئتين الشيعيتين المختلفتين الزيدية والفاطمية أيضاً .

وحتى مع هذا الأساس للخلاف العقائدي والمذهبي بين السلطات التي كانت قائمة في العهد الذي نحن بصدد التأريخ له فإنه لم يكن السبب الرئيسي والوحيد لتلك النزاعات والحروب ، وإنما كان السبب الرئيسي لها هو النزاع على السلطة والحكم .

دعاة الفاطمية في اليمن

علمنا من فصل (ابرز حركات الاستقلال في اليمن) أنّ القرن الثالث الهجري يعتبر عصر ابرز حركات التحرر والاستقلال ، التي كتب لها النجاح عن حكم العباسيين في اليمن ، ومنها حركة (دعاة الفاطمية) التي نحن بصدد التأريخ لها ، وقد بدأت هذه الحركة بالداعيتين (علي بن الفضل) الجدني نسباً الجيشاني سكناً الخنفري مولداً ، وبالحسن بن حوشب ابن زادان الكوفي من ولد عقيل بن أبي طالب .

وتعتبر دولتهما (الدولة الفاطمية الأولى في اليمن) .

وقد ظلّ (الحسن بن حوشب) الذي تمركز في بلاد مسور حجة على ولائه للفاطميين الى موته . ثم خلفه (عبد الله بن عباس الشاوري) ، ولكن (ابا الحسن بن حسن بن حوشب) وثب عليه بعد بضع سنوات من حكمه وقتله بسبب عدم تولية الإمام عبيد الله الفاطمي له بعد أبيه .

ثم خرج أبو الحسن عن الدعوة الفاطمية ومال الى مذهب أهل السنة ، ولكن ابناء المنطقة استرابوا في أمره الى جانب شعورهم بعدم يمنيته ووثب عليه (ابن العرجاء) احد سلاطين المنطقة وقتله ، واقتسم البلاد مع نائب ابن حوشب (ابراهيم بن عبد الحميد التباعي) وقاما بتعزيز العقيدة السنية التي بدأ تجديدها أبو الحسن بن حسن بن حوشب ، وبتتبع الشيعة الفاطميين في المنطقة والتنكيل بهم .

وانتهت الدعوة والدولة الفاطمية الأولى في بلاد حجة (مركزها الأول) ، إلا من دعاة تستروا واختفوا محتفظين بالدعوة الفاطمية الى قيام (أبي الحسن علي بن محمد الصليحي) الذي اضطلع بها في عهدها الثاني كما سيأتي .

أما (علي بن الفضل) فإنه قام بالدعوة الفاطمية في اليمن مشاركاً فيها (الحسن بن حوشب) ، ولكنه تخلى عن الدعوة لها واستقلّ بالحكم ، ووحد اليمن تقريباً في ظل راية يمنية بزعامته حتى قتل بالسم كما سيأتي أيضاً .

وقد جدّد الدعوة الفاطمية في اليمن الملك الكامل (أبو الحسن علي ابن محمد الصليحي) بعد ان وكل اليه امر دعوتها آخر دعاتها (سليمان بن عبد الله الزواحي) عند موته ، واضطلع أبو الحسن الصليحي بالأمر دعوة وحكماً ، واستطاع بحكمته وحنكته ودرايته ان يوحد اليمن في ظل راية حكمه ، ولكنه مع ذلك لم يتعرض للحرية المذهبية ، وإن كان يحث ولاته على الترويج للدعوة الفاطمية في مناطق ولاياتهم وتعليم الخاصة منهم أصولها وقواعدها ، وتعتبر دولة الصليحيين الدولة الفاطمية الثانية في اليمن ، وتعتبر إمارة آل زريع في عدن واعمالها امتداداً لها وجزءاً من دولة الفاطميين الثانية في اليمن أيضاً . (أما آل حاتم) الهمدانيون الذين خلفوا الملك سبا بن أحمد الصليحي في صنعاء وأعمالها فقد تخلوا عن التبعية للفاطميين وان ظلوا متعاطفين مع دعاتها الصليحيين وآل زريع) .

ولما قتل أبو الحسن الصليحي (على يد (سعيد الأحول بن نجاح) حاكم تهامة والذي دخل هو وخلفه من آل نجاح في صراع مع الصليحيين خلف ابا الحسن الصليحي ولده الملك المكرم (احمد بن علي بن محمد الصليحي) ، ولما توفي المكرم اقتسم حكم اليمن بعده الملك (سبأ بن أحمد ابن المظفر الصليحي) في القسم الأعلى من اليمن ، والملكة (أروى بنت

أحمد بن محمد الصليحي) على اليمن الأسفل وتهامة والمناطق الجنوبية والشرقية في اليمن ، أمّا الدعوة فقد اضطلع بها بعد موت الملك المكرم الملك (سبأ بن أحمد الصليحي) المذكور ، ولما توفي اضطلعت الملكة أروى بالدعوة الى جانب نفوذها على ما بنظرها ، وخلفه في حكم صنعاء وأعمالها نوابه عليها ، آل حاتم الهمدانيون .

وقد انتهت الدولة الصليحية بموت الملكة اروى حيث لم تعهد الى احد من آل الصليحي ، وانتهى امر الدعوة الفاطمية الثانية في اليمن بموتها ، وإن بقي (آل زريع) على انتمائهم الى الفاطميين طيلة عهدهم .

حتى جاء الأيوبيون الى اليمن وقضوا على امارة آل زريع فيما قضوا عليه من امارات يمنية بعد قضائهم على الفاطميين انفسهم في مصر والشام وغيرها كما سيأتي .

هذا وقبل ان نبحث حركة الفاطميين في دعوتهم ودولتهم الأولى في اليمن بصورة مفصلة يجدر بنا ان نبحث أولاً الحركة الفاطمية ذاتها ، والتي انبثقت منها حركة دعاتها في اليمن .

الحركة الفاطمية الإسماعيلية وعلاقة الحركة القرمطية بها

الحركة[1] الفاطمية هي الحركة الشيعية الاسماعيلية نفسها ، والتي أسسها الإمام اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ونسبت اليه ، وكان الإمام عبيد الله بن الحسين بن احمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل المذكور هو الذي عدّل اسمها من الاسماعيلية الى الفاطمية عند انتقاله من مدينة (سلمية) من اعمال حمص في سوريا الى المغرب لإبعاد صفة القرمطة عنها والتي ألصقها بها أعداؤ ها .

وكانت الاسماعيلية إحدى فرق الإمامية العديدة ، والتي من ابرزها (الكيسانية) و(الإثنا عشرية) و(الإسماعيلية) . (فالكيسانية) هي التي تحصر الإمامة بعد الحسين بن علي بن أبي طالب في (محمد بن الحنفية) نسبة الى امه من غير (فاطمة الزهراء) بن علي بن أبي طالب ، ثم في أولاد الحسين بن علي ، وقد استدلّ هؤلاء على إمامة (محمد بن الحنفية) بالوصية له بالإمامة من الحسين بن علي بن أبي طالب ، حين فرّ من المدينة الى مكة بعد ان طلب منه يزيد بن معاوية مبايعته خليفةً للمسلمين بعد موت معاوية ، وسميت بالكيسانية نسبة الى (كيسان) مولى علي بن أبي طالب ، أو نسبة الى مؤسسها (المختار بن أبي عبيد الثقفي) الذي كان

(١) مرجع هذا الفصل الاستاذ عارف تامر في كتابه (القرامطة) وغيره من المراجع مما قد يذكر معه .

يلقب بالكيساني ، والذي قام بالأخذ بـالثأر للحسـين بن علي وقتـل عدداً من الذين قتلوا الحسين بن علي بكربلاء .

و(الاثنا عشريـة) هي التي تحصر الإمـامة بـاثني عشر إمـاماً فقط من أولاد الحسـين بن علي آخـرهم (المهدي المنتـظر) كما يـزعمون وهـو (محمـد المنتقي بن الحسن العسكـري بن علي الهـادي بن محمـد الجـواد بن عـلي الرضا ابن الحسين بن علي بن ابي طـالب ، والتي تزعـم انـه دخل سـرداباً في سـامراء بالعراق عام (٢٦٠) للهجرة واختفى ، وانه سيظهـر ويملأ الأرض عـدلاً كما مُلئت جوراً .

و(الإسماعيلية)وهي التي ترى الإمامـة في اسماعيـل بن جعفر الصـادق آنف الذكر الأبن الأكبر لوالده والموصى لـه من أبيه بـالإمامـة دون اخوتـه ثم في اعقابه ، وقد استدلوا على حصـر الإمامـة في اعقاب اسمـاعيل بن جعفـر بـأن الإمامـة آلت الى الحسين بن عـلي بعد تنـازل الحسن بن علي لمعـاويـة ، فهي حق بعـد الحسين بن عـلي لأولاده فقط ، وأمّـا سقـوطهـا عن الأخـوة فـلأنها سقـطت عن الحسن بتنـازلـه ، فـلا تنتقـل بعـد ذلـك الى الأخـوة الأخـوة وإنما تبقى في الأعقـاب ، ومن الصفات التي تُمَيِّـز الأسمـاعيليـة عن بقية طوائف الإمامية رأيها بوجـوب تستر الإمـام واختفائه واتخـاذ دعاة يَدْعون لإمـام مستور ، ولـو كان الإمـام نفسه هـو الذي يـدعـو لإمام مستـور ويعني نفسه ، وذلك اذا لم تكن للإمام قـوة يظهـر بها ، وخشي الـوقوع في ايـدي اعدائه .

وقد لقيت حركـة الاسماعيليـة نجاحـاً بسبب رغبة الكثـير من الأقاليم التي كا نت خاضعة لحكم العباسيين في الإستقلال عنهم وكـانت هذه الحـركة السياسية اشتراكية في اتجاهها الاقتصادي .

ويـرجـع امـر تخـطيـطهـا الى الإمـام (جعفـر الصـادق) الـذي تـزعّم العلويين في آخر العهد الأموي .

وكان الإمام اسماعيل بن جعفر هو ابرز اعضاء الحركة ، وقد توفي في حياة أبيه ، فبايع الأسماعيلية ولده (محمد بن اسماعيل) الذي يعتبر صاحب فكرة الاستتار ، ومبدع طريقة التسمية بأسماء مستعارة للتضليل وابعاد الشبهة عن الإمام ، وقد عمل الإمام (محمد بن اسماعيل) على نشر دعوته بنشاط تحت اسم مستعار هو (ميمون القداح) وذلك لتضليل العباسيين وكان يدعو لإمام مستور هو (محمد بن اسماعيل) ويعني نفسه ، وقد خفي هذا حتى على اقرب المقربين اليه من دعاته المخلصين ، اذ لم يكونوا يعلمون شيئاً عن حقيقته ، كما انه استطاع التضليل على الخلفاء العباسيين (المهدي) و(الهادي) و(الرشيد) والإفلات من قبضتهم، واستطاع نشر الحركة في سواد الكوفة وسوريا والبحرين،ولما توفي الإمام محمد بن اسماعيل في تدمر بسوريا عام (١٩٣) للهجرة خلفه ولده (عبد الله) الذي عاصر الرشيد والأمين والمأمون العباسيين ، وقد قام بالدعوة الأسماعيلية على أكمل وجه ، دون ان يمكن احداً من معرفة هويته حتى دعاته أنفسهم ، وفي فترة من فترات حياته اعتزل الأمر وانتقل الى معرة النعمان السورية متخفياً ، وفيها اعتكف على التأليف والتأمل ، وقد اهتدى اليه دعاته وجاؤ وا اليه وحملوه على الانتقال معهم الى مدينة (سلمية) السورية التي اتخذها الأئمة الأسماعيلية دار هجرة لهم ، وفي مدينة سلمية الف عبد الله مع بعض دعاته (رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا) في الفلسفة الشيعية الأسماعيلية ، ومنذ عهده وصفت الحركة الأسماعيلية بالقرمطية تشويهاً لها ، الصق بها ذلك اعداؤ ها من العباسيين وغيرهم .

وكانت قد ساندت الحركة الأسماعيلية دولة القرامطة التي قامت بالبحرين ، والتي كونتها أسرتان ، الأسرة الأولى أسرة (آل مهروية) وكانت دولتهم تُعرف بدولة القرامطة الأولى ، وثانيهما أسرة (آل الجنابي) وكانت دولتهم تعرف بدولة القرامطة الثانية ، وقد أسس آل الجنابي دولتهم هذه في سواد الكوفة ، وكان على رأسها (أبو سعيد الحسن بن بهرام

الجنابي) ، ولما مات خلفه (أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنابي) وهو الذي غزا الكعبة في عام (٣١٧) للهجرة ونقل منها الحجر الأسود الى مدينة الهجر القريبة من الاحساء ، ولم يعده إلا احمد بن سعيد الجنابي بأمر الخليفة الفاطمي المنصور اسماعيل بن محمد القائم بأمر الله بن الإمام عبيد الله بن الحسين بن احمد بن عبد الله المذكور بعد واحد وعشرين عاماً .

ويبدو ان انحراف (ابي طاهر الجنابي) هذا هو الذي أساء الى سمعة هذه الأسرة وشوّه حركتها وحركة الأسماعلية ذاتها ، لمجرد مساندة هذه الأسرة للأسماعيليين والخضوع أدبياً لأوامرهم ، على ان عمل (أبي طاهر) في الحقيقة عمل مشين حقاً » .

وقد انتقل الإمام عبيد الله بن الحسين بن احمد بن عبد الله من مدينة سلمية السورية الى المغرب وأسّس دولته فيها وأسماها بالفاطمية ابعاداً لها عن وصمها بالقرمطية التي هي عنها براء ، كما وان دولة الإمام عبيد الله في المغرب هي الدولة الأولى ذات السلطان منذ تأسست الحركة الأسماعيلية ، والتي كان يكتفي ائمتها بالدعوة لأنفسهم متسترين دون ان يكون لهم سلطان أو نفوذ سوى النفوذ الأدبي على دعاتهم وأتباعهم .

ولما توفي الإمام (عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق) في مدينة سلمية عام (٢١٢) للهجرة خلفه ولده احمد ، الذي ظلّ في سلمية السورية أيضاً والذي ألف رسالته (الجامعة لإخوان الصفا وخلان الوفا) .

ولما مات في رمضان من عام (٢٦٥) للهجرة اضطلع بالدعوة ابنه (الحسين) الذي أرسل الداعيتين (علي بن الفضل) اليمني و(الحسن بن حوشب) الكوفي الى اليمن للدعوة لابنه عبيد الله .

ولما توفي(الحسين بن أحمد) في مدينة سلمية السورية ايضاً خلفه ولده الإمام المهدي عبيد الله الذي انتقل الى المغرب ، في عام (٢٩٦) للهجرة فراراً من عيون الخليفة المكتفي ، وأظهر لأتباعه وخاصته عند مغادرته لمدينة

سلمية انه يريد اليمن ولما وصل الى مصر غيّر وجهته الى المغرب ، وكان قد مهد له فيها دعاة سيأتي ذكرهم عند الكلام عن (أبي القاسم الحسن بن حوشب) احد داعيتيه في اليمن ، وقد أغضب تحول الإمام الفاطمي عبيد الله عن اليمن الى المغرب احد كبار خاصته وداعي دعاته (فيروز) ، وتخلف عن الإمام في مصر ثم سافر الى اليمن ، لإفساد دعاته على الإمام ، ونجح مع (علي بن الفضل) دون ان ينجح مع (الحسن بن حوشب) كما سيأتي تفصيله أيضاً .

ولقد فاق الإمام (عبيد الله) الفاطمي اسلافه واحفاده عزماً ونهضة وحكمة وتدبيراً حتى قيل ان الحركة الأسماعيلية لم تنجب في عصورها الأولى والأخيرة مثله ، لأنه منشيء أول دولة فاطمية كبرى ، وأكبر عقلية عرفتها العصور الأسلامية ، فقد استطاع بفضل ما أوتيه من قوة شخصية ، وما جبل عليه من صفات عالية ان يوطد اركان عقيدة آمن بها كثير في ارجاء العالم الإسلامي ، كما استطاع ان يقضّ مضاجع الخلفاء العباسيين وان يجعلهم فريسة للمخاوف وقضى على دولة الأغالبة في المغرب ، وهي التي اعتمد عليها العباسيون للوقوف في وجه الأدارسة الحسينيين ، وأقام دولة مهيبة الجانب استطاعت ان تبسط نفوذها في المغرب وفي اجزاء من الشام وفلسطين واليمن والحجاز وغيرها ، وقد انتقل الى المغرب كما عرفنا حيث أسس دولة الفاطميين فيها ، وهو كما سبق أول من اسمى الحركة الأسماعيلية بالفاطمية ابعاداً لها عن صفة القرمطة التي ألصقها بهاأعداؤها لتشويهها .

وكان قد ولد بمدينة (سلمية) السورية سنة(٢٦٠) للهجرة وتوفي بمدينة (المهدية) بالمغرب عن حكم دام اربعة وعشرين عاماً وعمر بلغ اثنتين وستين عاماً ، وقد اخفى ولده (محمد) موته عاماً كاملاً .

ومن احفاده الإمام (المعز لدين الله) بن اسماعيل المنصور بالله بن محمد القائم بالله بن الإمام عبيد الله المذكور ، والإمام المعز لدين الله هو

فاتح مصر ، ومؤسس دولة الفاطميين فيها بقيادة مولاه (جوهر الصقلي) والأمير (جعفر بن فلاح الكتامي المغربي) اللذين وجههما بجيش قوامه مائة الف محارب معززاً بأسطول بحري كبير .

وفي عهد الإمام المعز الفاطمي هذا اختطت القاهرة وبنيت وسميت بقاهرة المعز ، وذلك بالقرب من مدينة الفسطاط القديمة التي صارت اليوم حياً من احياء القاهرة بالقرب من الطريق الى المعادي الذي هو أيضاً حي من احياء القاهرة .

وفي عهد المعز أيضاً انشىء (الجامع الأزهر) جامعاً وأول جامعة اسلامية في تأريخ انشائه .

وخضعت للمعز الحجاز والشام والكثير من افريقيا ، وقد جاء هو الى مصر في عام (٣٦١) للهجرة انقاذاً لها من زحف القرامطة الذين كانوا قد انفصلوا عن الفاطميين بقيادة (الحسن الأعصم بن احمد بن سعيد الجنابي) الذي كان يسانده الأخشيديون حكام مصر من قبل العباسيين ، والحمدانيون حكام الشام من قبل العباسيين أيضاً ، والعباسيون من وراء الجميع ، وقد نقل المعز لدين الله جثث آبائه من المغرب الى مصر بتوابيت ذهبية ، وتوفي هو في شهر ربيع الآخر من عام (٣٦٥) للهجرة ، عن حكم دام اربعة وعشرين عاماً ، وعن عمر دام ثمانية وأربعين عاماً .

ولقد توالت الانتصارات للفاطميين ضد القرامطة والعباسيين حتى خطب للمستنصر الفاطمي في بغداد نفسها عام (٤٥٠) للهجرة وانتهى امر القرامطة نهائياً في عهده .

هذا والإمام المستنصر الفاطمي معد بن الظاهر هذا هو الذي دعا له (أبو الحسن علي بن محمد الصليحي) في اليمن وانتمى اليه وأسس باسمه الدولة الفاطمية الثانية في اليمن كما سنعلم .

حركة دعاة الفاطمية في اليمن

وبعد ان عرفنا شيئاً عن الحركة الأسماعيلية الفاطمية بشكل عام ، امكننا ان نتعرف على حركة الفاطميين في اليمن ، وهي تتلخص بالآتي :

اضطلع بالحركة الفاطمية في اليمن دعوة وحكماً الداعيتان (علي بن الفضل) الجدني[1] (نسباً) الجيشاني (منشأ) الخنفري (مولداً) ، وأبو القاسم (الحسن بن حوشب بن زادان الكوفي) والذي منحه الإمام (أبو عبيد الله الفاطمي) لقب (منصور اليمن) اثناء انتصاراته في سبيل نشر الدعوة وتوطيد حكمها في اليمن .

وقد بدأت حركتها للتمهيد للدعوة الفاطمية وإقامة دولتها الأولى في اليمن في عام (٢٦٨ هـ) ، حيث انفذهما في العام المذكور الإمام (الحسين بن احمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب) الى اليمن للدعوة لابنه (عبيد الله) .

وكان الإمام الحسين قد اخفى هويته للتستر كأسلافه ، وتسمى بميمون القداح . وكان وصول الداعيتين الى اليمن في العام المذكور.

---

(١) (الجدني) نسبة الى جدن الأكبر علقمة بن سبأ بن الحارث بن زيد بن الغوث بن سعد بن الحارث بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة (حمير الأصغر) من ولد الهميسع بن حمير بن سبأ) وجيشان مدينة قديمة قد اندثرت وكانت تقع في اسفل جبل العود بينه وبين بلاد قعطبة .

وقد وقع اختيار الإمام (الحسين بن احمد) على اليمن للدعوة فيه لابنه عبيد الله لاعتبارات أهمها :

١ ـ اضطراب الأوضاع في اليمن والذي أدى الى قيام امارة (آل زياد) في تهامة اليمن ، و(آل يعفر) في نجده ودون ان يحسم قيام الأمارتين المذكورتين ذلك الاضطراب ، ويوفر الاستقرار في اليمن .

٢ ـ وعورة مسالك اليمن الجبلية وصعوبة حرب العباسيين وولاتهم للدعاة المعتصمين في حصونها العالية المنيعة .

٣ ـ محافظة الشعب اليمني وتدينه بشكل عام ، الأمر الذي يوفر للدعاة المناخ لنشر دعواتهم ومذاهبهم باسم الدين ،ويضمن لهم الحماية والمساندة من اليمنيين ، ولو كان مظهر الدين لدى الدعاة مجرد وسيلة للوصول الى الحكم . وغالباً ما يحصل الدعاة على العون والمساندة من عامة اليمنيين البسطاء الذين يجهلون حقائق الأمور وأغراض الدعاة ، ولذلك فإن (علي بن الفضل) حينما عرض عليه الإمام (الحسين بن أحمد) امر المشاركة في الدعوة لابنه عبيد الله في اليمن قال له : « والله ان الفرصة ممكنة في اليمن ، وان الذي تدعون اليه جائز هناك »

فأمّا (علي بن الفضل) فإنه أقام على ولائه للإمام عبيد الله الفاطمي ريثما رسخت اقدامه في الحكم ، وقوي جانبه وعظم شأنه ، ثم استقلّ عن الفاطميين ، وتخلى عن الدعوة لهم والانتهاء اليهم ، بل وحارب زميله في الدعوة (منصور اليمن الحسن بن حوشب) وحاصره في معقله بجبل مسور طيلة ثمانية أشهر حتى أرغمه على ان يرهن ولده عنده لضمان عدم مناوأته وعدم مساندة مناوئيه ، وأقام حكماً يمنياً موحداً تقريباً ، ولكن بالشدة والقسوة والعنف ، ولذلك فإن حكمه انهار عقب وفاته مسموماً كما سيأتي تفصيل ذلك في فصل (الدعوة الفاطمية الأولى في اليمن) .

وأما (أبو القاسم الحسن بن حوشب) فإنه ظل على ولائه للإمام

عبيد الله الفاطمي الى موته .

ثم خلفه بالدعوة والحكم (عبد الله بن عباس الشاوري) الذي حظي بالولاية من الإمام (عبيد الله) .

ولكن (أبا الحسن بن حسن بن حوشب) الذي لم يحظ من الإمام عبيد الله بتوليته خلفاً لأبيه استغفل الشاوري الذي كان لا يحتجب عنه وعن اخوته وقتله ، واستبدّ بالحكم لنفسه ووالى العباسيين وقطع الخطبة للفاطميين ، وتعقب دعاتهم وشيعتهم في المنطقة وشرّد بهم .

ومع ذلك فقد استراب من لم ينتم الى شيعة الفاطمية في المنطقة في امر تحوله عن تشيعه الى السنية ، بعد ان كان من انصار الشيعة وابن مؤسسها في اليمن ، وتحين جماعة منهم الفرصة للانقضاض عليه وقتله ، وذلك حينما نزل أبو الحسن بن حسن بن حوشب (المذكور ذات يوم من مقره في جبل مسور الى جبل (عبر محرم) في بلاد مسور أيضاً حيث وثب عليه نائبه فيه ابن العرجاء وقتله .

ثم اقتسم حكم البلاد في مغارب اليمن من لواء حجة مناصفة بينه وبين نائب ابي الحسن في جبل مسور (ابراهيم بن عبد الحميد التباعي) كل على ما هو تحت يده ونفوذه ، وتتبعا بقية دعاة الفاطمية في المنطقة ونكلا بهم ، وبذلك انتهى امر الدعوة الفاطمية الأولى في اليمن ، إلا من دعاة احتفظوا بها متسترين .

حتى قام بتجديدها دعوة وحكماً (أبو الحسن علي بن محمد الصليحي) كما سنعلم .

وكان انفصال (علي بن الفضل) عنها قد أثرّ عليها تأثيراً سيئاً واضعفها ، وشجع الحركات المناوئة لها ابتداء من (أبي الحسن بن حسن ابن حوشب) وانتهاء بابن العرجاء ومن اليه . ومن أولئك الدعاة الذين

احتفظوا باخلاصهم للفاطمية والدعوة لها في اليمن متسترين ودون ان يكون لهم سلطان أو نفوذ :

(ابن أبي الطفيل ، وجعفر بن احمد بن عباس الشاوري ، وعبد الله ابن محمد بن بشر ، ومحمد بن احمد بن عباس الشاوري ، وهارون بن محمد ابن رحيم ، وكلهم من بلاد قدم حجة ، فيوسف بن احمد بن الأسد من شبام كوكبان ، فعامر بن عبد الله بن سليمان الزواحي من ضلع كوكبان ، وكان يقيم في حصن كوكبان .

وقد وكل هذا امر الدعوة الفاطمية الى ابي الحسن علي بن محمد الصليحي ، وأوصى له بكتبه وبمال وفير ساعده في نشر الدعوة الفاطمية ، وكان عامر بن عبد الله الزواحي هذا يتردد على أبيه (القاضي محمد الصليحي) كما سيأتي .

وخلف أبا الحسن الصليحي بعد موته ولده (المكرم احمد بن علي الصليحي) .

ولما توفي خلفه السلطان سبأ بن احمد بن المظفر الصليحي على القسم الأعلى من اليمن ، والملكة السيدة أروى بنت احمد الصليحي على القسم الأسفل وتهامة والمنطقة الجنوبية من اليمن كما سيأتي أيضاً .

وكان نوابها في عدن والجنوب هم (آل زريع) الذين احتفظوا باخلاصهم للدعوة الفاطمية وانتمائهم الى الفاطميين ، وكانوا قد قطعوا ولاءهم للملكة أروى في آخر عهدها ، وبعد قطع ولائها هي للإمام الفاطمي الحافظ ، واعلنت ولاءها للإمام الطفل المستور (الطيب بن الإمام الآمر بن الإمام المستعلي بن المستنصر معد بن الطاهر) الذي عاصر الملك ابا الحسن علي بن محمد الصليحي كما سنعلم .

أما (آل حاتم) نواب الملك احمد بن سبأ على صنعاء وأعمالها فإنهم

تغلبوا على حكم هذه المنطقة بعد موت احمد بن سبأ ، وقطعوا ولاءهم للفاطميين والانتماء اليهم، ولكنهم ظلوا متعاطفين مع اتباعها (آل زريع) وتكاتفوا معهم ضد (علي بن مهدي الرعيني) كما سيأتي أيضاً .

الـدولـة الفاطمية الأولى في اليمن

(٢٩١ - ٣٢٢ هـ) - (٩٠٨ - ٩٣١ م)

انشأ هذه الدولة الداعيتان (علي بن الفضل) الجيشاني اليمني ، وأبو القاسم الحسن بن حوشب بن زادان الكوفي ، وقد سبق التعريف بهما في فصل (حركة دعاة الفاطمية في اليمن) قبل هذا .

وقد نشأ (علي بن الفضل) في مدينة جيشان خامل الذكر ، إلا أنه كما ذكر المؤرخون[١] كان ذكياً جريئاً لَسناً فصيحاً ، كما كان شيعياً اثنا عشرياً ، فرحل الى الكوفة في العراق وتعلم اصول الدعوة ، ولما تعرف عليه الإمام (الحسين بن احمد الفاطمي) وأدرك استعداده للاضطلاع بحمل رسالة الدعوة ونشرها طمع به ، وأقنعه[٢] بالتحول من الأثنا عشرية الى الأسماعيلية ، والمشاركة في القيام بالدعوة في اليمن مع (أبي القاسم الحسن بن حوشب) لابنه (عُبيد الله الفاطمي) لأن (ابن الفضل) يمني وعارف بطبيعة بلاده وأهلها .

ووصفه[٣] (القاضي النعمان) في كتابه (افتتاح الدعوة) بقوله : (وكان ابن الفضل) شاباً جميلاً من أهل بيت تشيع ونعمة ويسار ، ويقال له « أبو الحسن علي بن الفضل » .

---

(١) الخزرجي في العسجد ص ٣٤٨ .

(٢) اليمن في ظل الإسلام ص ١٢٩ .

(٣) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٣٠ .

وكان الإمام (الحسين بن أحمد) وولداه (عبيد الله) و(محمد) الذي توفي في حياة والده وكان اكبر من عبيد الله كما تذكر كثير من الروايات ، كانوا جميعاً على ضريح الإمام علي بن أبي طالب في النجف بالعراق .

أما (أبو القاسم الحسن بن حوشب بن زادان الكوفي) فقد نسبه كثير من المؤرخين الى (عقيل بن أبي طالب) وقد لقبه (الإمام الحسين بن أحمد) اثناء انتصاراته في اليمن في سبيل نشر الدعوة لابنه (عبيد الله بن الحسين) بمنصور اليمن ، وصار يعرف به وبالمنصور .

وذكر[٤] القاضي النعمان في افتتاح الدعوة أنّ (الحسين بن احمد) والد الإمام (عبيد الله) قال لمنصور اليمن : « الى عدن (يعني عدن لاعة في بلاد مسور لا عدن أبين) فاقصد ، وعليها فاعتمد ، فمنها يظهر أمرنا ، وفيها تعز دولتنا ، ومنها يفترق دعاتنا » . وانه امره بالتستر والاعتماد على التأويل ، واتخاذ التشيع وسيلة لتحقيق غرضه ، وأن يقول بقرب ظهور المهدي ، ثم قال له : « واجمع المال والرجال ، والزم الصلاة والصوم والتقشف ، واعمل بالظاهر ، ولا تظهر الباطن ، وقل لكل شيء[٥] باطن ، وان ورد عليك ما لا تعلمه فقل لهذا من يعلمه وليس هذا وقت ذكره » وقال[٦] أيضاً : « يا ابا القاسم البيت يماني والركن يماني والكعبة يمانية ولن يقوم هذا الدين ويظهر إلا من قبل اليمن ، ثم قال له : « اصبر كأني برجل قد اقبل الينا من اليمن يعني (علي بن الفضل ، وكأنه كان لديه علم مسبق بقدومه من شيعته فيه) وما لليمن إلا انت » . وانه لما وصل (ابن الفضل) الى الكوفة والتقى بالإمام الحسين قال لابن حوشب :

---

(٤) ص ٣١ .

(٥) ولقد كانت هذه المعميات والألغاز التي اشاعها الفاطميون حولهم وحول امام مستور هي من اسباب قلق وعدم استقرار حكمهم ، الى جانب احتكارهم اي الاسماعيلية الأمر لإمام ظاهر أو مستور .

(٦) اليمن في ظل الإسلام ص ١٢٩ . استناداً الى الحمادي في كشف اسرار الباطنية ص ٢٢ .

« يـا أبا القـاسم هذا الـذي كنـا ننتـظره ، فكيف رأيـك في الـذي عـرضتـه عليـك من امر اليمن ؟ » ثم أوصـاه بزميله (عـلي بن الفضـل) خيـراً وقـال له : « انه شاب قريب عهد بالأمر فانظر كيف تسـوسه » ثم تـوجه الى عـلي ابن الفضل وقال له : « ان هذا الـرجل الـذي نبعثه معـك بحر علم » وقـال له : « الله الله بصاحبك وقره واعرف له حقه ، ولا تخالفـه فيما يـراه لك وان تخـالفه لم تـرشد » ثم قـال لهما معـاً : « انني ابعثكما الى اليمن تـدعـوان لابني هـذا فسيكون لـه ولذريتـه عز وسلطان ، وان الله قسم لليمـانيـين أن لا يتم أمر في هذه الشريعة إلا بنظرهـم » .

وغـادر الـداعيتـان العـراق الى مكـة لأداء نسـك الحـج عـام (٢٦٧) للهجـرة ، ثم سـافـرا من مكـة الى اليمن في صحبـة مجمـوعـة من الحجـاج اليمنيـين ، ووصلا مينـاء غلافقـة احد مـوانىء اليمن الرئيسيـة يومئـذٍ مقابـل زبيـد ، في المحـرم من عـام (٢٦٨ هـ) ومنهـا افتـرقـا ، فســار (عـلي بن الفضل) نحو بـلاد يافـع ، واستقر في جبـالها الشـرقية ، وسـار (الحسن بن حـوشب) مع جمـاعة من التجـار نحو بـلاد مسور حجـة ، واستقـر في عـدن لاعـة منها ، في دار من دور الـداعي (احمد بن عبـد الله خليع) الـذي كـان قائماً فيها بالدعوة الأسماعيلية وتزوج ابنته ، (وكان الأمير محمـد بن يعفر قـد اعتقله حتى تـوفي في السجن) واضطلع الحسن بن حـوشب بالـدعـوة في بـلاد مسور للإمام الفاطمي عبيد الله بن الحسين وهـذا سر اختيـار الإمام الحسـين لعدن لاعة من بلاد مسور حجة لانشاء الدعوة فيها لابنه المذكور .

مسلك علي بن الفضل

اتسم مسلك (عـلي بن الفضـل) في احـد جبـال يـافـع بـالـزهـد والتقشف ، مـع التـظاهـر بمـذهب أهــل السنـة ، وبنى لــه في رأس الجبـل مسجداً لازم فيه العبادة والورع والزهد ، وكـان يصوم النهـار ويقوم الليـل ، الأمر الذي جعل الكثير من أهل بلاد يافع يلتفـون حولـه ، ويطلبـون منه أن

ينزل من الجبال ويقيم بينهم ، فاشترط لتلبية طلبهم مبايعته على الجهاد في سبيل اقامة المعروف والنهي عن المنكر ، وأخذ عليهم العهود والمواثيق في الوفاء بذلك ثم أمرهم بعمارة قلعة (صناع) في احد جبال يافع ، فعمروها وصاروا يجمعون اليه الأموال من الزكاة، والعتاد والرجال ، ثم أمرهم بعمارة غيرها من الحصون في المنطقة ، مما ابرزه في المنطقة الجنوبية الشرقية من اليمن ذا قوة وشأن ، وقد برز له منافسان قويان في المنطقة عند بداية حركته الحربية لتوسيع نفوذه وهما (محمد بن أبي العلاء الأصبحي حاكم لحج وأبين والمنطقة التابعة لهما)، و(جعفر بن ابراهيم بن ذي المنار المناخي) حاكم المذيخرة والمنطقة التابعة لها ، وكلاهما نائبان لآل زياد حكام تهامة ونواب العباسيين فيها ، وكانت بينهما منافسة ساعدته على استغلالها لصالحه .

فحالف (المناخي) ضد (ابن ابي العلاء) على أساس اقتسام الغنائم مناصفة بينهما .

وقامت الحرب بين الحليفين وابن أبي العلاء في مدينة (خنفر) من بلاد أبين ، ودارت الدائرة على ابن أبي العلاء ، وكان النصر حليف الحليفين (علي بن الفضل) و(جعفر بن ابراهيم المناخي) .

ولما تمكن (ابن الفضل) من القضاء على (محمد بن أبي العلاء) حاكم لحج تحول واتجه نحو منافسة الآخر وحليفه بالأمس (جعفر بن ابراهيم المناخي) المذكور ، وقصده للحرب الى مدينة المذيخرة وذلك في عام (٢٩١) للهجرة .

وقد برر ابن الفضل حربه للمناخي بأن انتحل مطالبته بديات أيدي ثلاثمائة شخص من أهل دلال في بلاد بعدان من لواء اب كان المناخي قد قطعها ، وان مما تضمنه كتاب (ابن الفضل) لـ (ابن ابي العلاء) قوله : « بلغني ما انت عليه من ظلم المسلمين وأخذ اموالهم ، وإنما قمت لإقامة

الحق وإماتة الباطل ، فادفع لأهل دلال ديات ما قطعت من اموالهم ، وكان (جعفر[٧] المناخي) قد قطع منهم على حجر في المذيخرة ثلاثمائة يد وظل اثر الدم على تلك الحجر زماناً طويلا .

وحشد المناخي جموعه وتقدم على رأسها لمنازلة ابن الفضل ، وقامت معركة بينهما حالف النصر فيها الأمير (جعفر بن ابراهيم المناخي) وانسحب (علي بن الفضل) الى يافع وذلك في شهر رمضان من العام المذكور (٢٩١ هـ) . ولكن (ابن الفضل) ما لبث ان غزا مدينة المذيخرة في شهر صفر من العام الذي تلا العام المذكور وقامت حرب بين الفريقين انهزم فيها (ابن المناخي) الى تهامة حيث وصل اليها للإستعانة بـ (آل زياد) واستولى (ابن الفضل) على مدينة المذيخرة من بلاد العدين المركز الرئيسي لجعفر المناخي وهو الذي اختطها ونسب اليه مخلاف جعفر في ارجح آراء المؤرخين .

واستولى (ابن الفضل) أيضاً على حصن التعكر احد حصون المخلاف المذكور المنيعة .

أما (جعفر المناخي) فإنه استمد العون كما عرفنا من (ابي الجيش اسحق بن ابراهيم آل زياد) وكرَّ بجموعه على (علي بن الفضل) لحربه ، وبالرغم من ذلك فإن النصر حالف (ابن الفضل) مرة اخرى وذلك في المعركة التي قامت بينهما في وادي نخلة الكائن بين بلاد العدين وتهامة ، واسفرت عن مقتل (جعفر بن ابراهيم المناخي) في شهر رجب من نفس العام المذكور (٢٩٢) للهجرة ، ثم استولى ابن الفضل على جميع البلاد التي كانت واقعة تحت نفوذ المناخي . ومن ثمة قويت شوكة (ابن الفضل) وحصن مدينة المذيخرة ، واتخذها مركزاً رئيسياً له لمناعتها ووعورة المسالك

---

(٧) الخزرجي في العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام والثقافة ص ٣٩ .

والطرق الجبلية اليها ، وفرَّ أولاد جعفر بن ابراهيم المناخي الى صنعاء لائذين بالأمير (اسعد بن أبي يعفر) إلا (علي بن جعفر بن ابراهيم المناخي) فإنه قصد الخليفة المكتفي العباسي الى بغداد مستنجداً به ومعه اربعة احمال محملة بالنقود والأموال ، فاعترضه (زكروية بن مهروية) زعيم القرامطة في البحرين وانتهبه[8] واستولى على ما معه من نقود واموال .

مسلك المنصور ابي القاسم الحسن بن حوشب

كما اتسم مسلك زميلهِ في الدعوة الفاطمية في اليمن (المنصور أبي القاسم الحسن بن حوشب الكوفي) في بلاد مسور كذلك بالزهد والتقشف ، وبالتظاهر بمذهب أهل السنة الذي كان يعتنقه أهل اليمن عموماً قبل دخول مذهب أهل الشيعة عن طريق الفاطمية والزيدية ، وصار اتباعه يجمعون اليه الأموال من الزكاة والعتاد والرجال وبنى حصن (عبر محرم) في جبل مسور بعد موافقة اصحابه بني العرجاء سلاطين المنطقة يومئذٍ ، استعداداً للإنطلاق منه في نشر الدعوة الفاطمية للإمام عبيد الله الفاطمي وبسط سلطانها ، وأول من قصده لحربه (اسحق بن طريف بن ثابت الكباري الحاشدي) حليف (آل يعفر) وقتل من اتباعه اثني عشر رجلاً ، وتحصن هو وعدد من اتباعه في الحصن المذكور ، وكان ذلك في عام (٢٩٠) للهجرة ، ولما اكمل (الحسن بن حوشب) استعداده استولى على جبل الجميمة في بلاد مسور أيضاً . ثم[9] على جبل مسور من عامل (آل يعفر عليه) وعمره وتحصن به مع رجاله الذين كان قد بلغ عددهم ثلاثة آلاف رجل ، وعمر (بيت ريب)[10] في اعلى جبل مسور ، واتخذه دار

---

(٨) الأكليل ج ١ ص ٢٤٩ .

(٩) الصليحيون ص ٣٣ .

(١٠) العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٣٧ .

إمارته ، كما بنى الى جانبه دارا للهجرة ، وبنى سوراً على جبل مَسْور الذي صار يجمع دار الإمارة ودار الهجرة وغيرهما ، وأخذ يغير منه على القبائل التي لم تعلن ولاءهـاله في المنطقة من مغارب اليمن في لواء حجة حتى أخضعها ، ثم غزا بلد بني شاور في بلاد حجة أيضاً وتعرف اليوم ببلاد كحلان عفار ، وأخضعها .

وكتب للإمام عبيد الله الفاطمي يعلمه بانتصاراته ودخول الكثير من المناطق في الدعوة الفاطمية .

وكان (علي بن الفضل) قد تقدم نحو صنعاء في بداية العام المذكور واستولى عليها بعد معارك قامت بينه وبين (أسعد بن يعفر) اضطر هذا الى الانسحاب من صنعاء إلى شبام ، ثم جاءه (أبو القاسم الحسن بن حوشب) بجموعه اليها لحربه كما عرفنا واضطره الى الانسحاب من شبام الى الدعام بن ابراهيم الأرحبي الذي انزله وذويه في منازله بورور من بلاد حاشد .

وهكذا نسق الداعيتان فيما بينهما بحركتهما في سبيل الدعوة الفاطمية في اليمن وإقامة دولتها فيه من بداية وصولها الى اليمن ، فاتخذ (علي بن الفضل) جبال يافع في المناطق الجنوبية الشرقية للإعتصام بها والانطلاق منها ، واتخذ (الحسن بن حوشب) جبال مسور في المناطق الشمالية الغربية للإعتصام بها والانطلاق منها ، ثم عملا معاً كل في موقعه على استمالة الناس بمختلف الوسائل ، وعمارة الحصون وتقوية مراكزهم وتحركا عسكرياً لإخضاع المناطق الأخرى وسلاطين اليمن القائمين آنذاك في وقت واحد تقريباً ، وكان (آل يعفر) هم ابرز حكام اليمن يومئذٍ بعد (آل زياد) نواب العباسيين في تهامة ، فركز الداعيتان على (آل يعفر) لاحتكاكهم بهم اكثر في القسم الأعلى من اليمن . ولأنهم الحاكمون في العاصمة (صنعاء) والمتمركزون في بلاد شبام كوكبان (المنطقة الفاصلة بين صنعاء ومسور) ، فجاء (علي بن الفضل) اليهم

من المنطقة الوسطى في المذيخرة ومخلاف جعفر واستولى على صنعاء وأضطر الأمير (أسعد بن يعفر) الى الانسحاب منها الى بلاد (شبام كوكبان) . ولم يلبث ان جاءه (الحسن بن حوشب) من بلاد مسور كما عرفنا وأطبق عليه في (شبام كوكبان) واضطره واسرته وذويه الى اللجوء بالأمير (ابراهيم بن الدعام الأرحبي) صاحب النفوذ في بلاد حاشد وغيرها ، وما زال التنسيق والتعاون بينهما قائماً حتى استقل (علي بن الفضل) عن الدعوة الفاطمية واستبد بحكم اليمن لنفسه كما سنعلم .

وقد واصل (ابن حوشب) تقدمه من شبام الى صنعاء واجتمع بزميله (علي بن الفضل) وحاول عبثاً ان يقنعه بالتريث عن غزو آل زياد في تهامة حتى ترسخ أقدامهما في المناطق التي قد بسطا نفوذهما عليها وأهمها صنعاء عاصمة اليمن . ولما أصرَّ (ابن الفضل) على غزو تهامة من صنعاء وقع في كمين نصبه له أهل الجبال الذين مر بهم الى تهامة والموالين لآل زياد ولم ينقذه منه إلا (الحسن بن حوشب) حيث انجده بقواته واخرجه من المأزق الذي كان قد وقع فيه .

سبب تأخر النشاط العسكري في الحركة الفاطمية في اليمن

وهنا يبرز سؤال هام عن السبب في تأخر النشاط العسكري في الحركة الفاطمية في اليمن اذا علمنا ان وصول الداعيتين علي بن الفضل والحسن بن حوشب الى اليمن كان في عام (٢٦٨) للهجرة ، بينما لم يبدأ حركتهما العسكرية إلا في عام (٢٩٠) للهجرة تقريباً ، في حين ان الإمام الهادي (يحيى بن الحسين) قدم الى بلاد صعدة للدعوة لنفسه في عام (٢٨٤) للهجرة وبدأ نشاطه السياسي والعسكري في نفس العام فور وصوله الى اليمن .

والتفسير المقبول لتأخر النشاط العسكري للداعيتين الفاطميتين انهما أرسلا من الكوفة بالعراق إلى اليمن موفدين من قبل لإمام (الحسين بن احمد) للدعوة لأبنه (عبيدالله). ومقيدين بتعليمات وخطط مرسومة لهما ربما تناولت

موعد الانطلاق والتحرك وفي وقت واحد تقريباً وبعد ان يكونا قد اكملا استعدادهما السياسي والعسكري ، واستمالا الى جانبهما الأنصار المؤمنين بالدعوة الفاطمية المتفانين بالجهاد في سبيل نشرها وترسيخها ، فهما قد قدما اليمن غير كاملي الصلاحية ولا مستكملين للعدة والعتاد ، وقام (أبو القاسم ابن حوشب) مع ذلك خلال الفترة التي مرت بين قدومه الى اليمن والبدء بنشاطه العسكري فيه بتدريب عدد من الدعاة أرسلهم اليه الإمام (عبيد الله الفاطمي) لتعليمهم أصول وقواعد الدعوة وبعثهم الى مختلف الأقطار الإسلامية لنشر الدعوة الفاطمية ، ومن أولئك[١١] الدعاة الذين دربهم (الحسن بن حوشب) في اليمن (أبو عبد الله الحسين بن احمد بن زكريا المعروف بالشيعي الصنعاني) الذي ارسله (الحسن بن حوشب) بعد تدريبه الى المغرب مع ابن الملاحف الذي دربه كذلك خلفاً للحلواني وأبي سفيان اللذين توفيا في المغرب أثناء دعوتهما للإمام عبيد الله الفاطمي ، كما درب (أبو القاسم الحسن بن حوشب) للدعوة الفاطمية وهو في اليمن (ابراهيم بن الحسن الزبيدي) الذي بعثه الى المغرب خلفاً لأبن ملاحف الذي عاد الى اليمن بسبب مرض والدته ، و(الهيثم) ابن أخي (ابراهيم بن الحسن الزبيدي) المذكور الذي بعثه (الحسن بن حوشب) الى الهند للدعوة الفاطمية أيضاً ، و(أبو محمد عبد الله ابن العباس) الذي بعثه (الحسن بن حوشب) بعد تدريبه الى مصر ، وغيرهم ، أما الإمام الهادي فإنه وصل الى اليمن داعية لنفسه ، وبكامل الصلاحيات ، وليس مقيداً بغيره ، ولذلك فإنه بدأ نشاطه السياسي والعسكري فور وصوله الى اليمن ، منطلقاً من ارادته هو ، لا بتوجيه خارجي ، الى جانب ان الإمام الهادي هو الإمام نفسه صاحب الدعوة والحركة ، رآه الناس والتصقوا به وعرفوا نهجه ، بينما الإمام عبيد الله الفاطمي لم يدع في اليمن لنفسه بنفسه ، وكان منهج دعوته مع ذلك غامضاً ، وغير

(١١) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٣٨ .

واضح المعالم ، مما استلزم وقتاً للتهيئة له ، والاعداد لقبوله والجهاد في سبيل نشره وبسط نفوذ حكمه في اليمن .

حركة علي بن الفضل التوسعية

لمّا تمّ لعلي بن الفضل القضاء على المنافسين البارزين له في المنطقتين الجنوبية والوسطى من اليمن ، وهما(محمد بن أبي العلاء) حاكم لحج وأبين وعدن واعمالها ، و(جعفر بن ابراهيم بن ذي المنار المناخي) حاكم مخلاف جعفر في المنطقة الوسطى ونائبي آل زياد فيهما ، وحصّن مدينة المذيخرة التي اتخذها مركزاً رئيسياً لإقامته ، ينطلق منه ويفيىء اليه تحرك نحو صنعاء وذلك في المحرم من عام (٢٩٣ هـ) . ولما وصل الى بلاد يحصب العلو دخل منكث فيها والتي كان لها شأن يومئذٍ ، وهدم سورها ، ثم واصل تقدمه ، ولمّا كان ببلاد ذمار من يحصب العلو أيضاً تلقاه جيش الأمير (أسعد بن أبي يعفر)الحوالي بقيادة عامله على ذمار (عيسى بن معان اليافعي) ، ولم تقم حرب بينهما ، بل لقد ذكر (الخزرجي) [١٢] ان (علي بن الفضل) لما وصل الى ذمار وجد جيشاً عظيماً بهرّان من اصحاب الحوالي (يعني اسعد بن أبي يعفر الحوالي) فكتب الى والي هران (حصن خارج ذمار) (عيسى بن المعان اليافعي) يستميله ، فأجابه ودخل في طاعته ، وواصل بن الفضل تقدمه نحو صنعاء وعسكر في موضع بضبوة في ضاحية صنعاء الجنوبية ، وخرج الأمير (اسعد آل يعفر) من صنعاء لمنازلته ، وقامت حرب بين الجانبين يوم الثلاثاء لست خلون من المحرم من عام (٢٩٣ هـ) . وأنصرف اسعد بجيشه آخر اليوم المذكور ، في حين تقدم (ابن الفضل) بجموعه نحو صنعاء ، وعسكر بالقرب من جبل نقم في الضاحية الجنوبية لصنعاء أيضاً ، وأقام في معسكره ثلاثة أيام فقط ، تمكن بعدها من دخول صنعاء من ناحية سكة الشهابيين ، ساعده[١٣] في ذلك (مهلب الشهابي)

---

(١٢) في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٣٩ .

(١٣) سيرة الهادي ص ٣٩٠ .

وقصد غمدان وذلك في يوم عاشوراء من المحرم من العام المذكور ، وقاتله اسعد بن أبي يعفر وأهل صنعاء الى بعد العصر من يوم السبت عاشر المحرم المذكور ، غادر اسعد صنعاء بعد ذلك الى مقره في شبام كوكبان ، ولم يلبث (أسعد) ان زحف نحوه (الحسن بن حوشب) زميل ابن الفضل في الدعوة الفاطمية ، من بلاد مسور ، وبعد معارك قامت بينهما ، انسحب الأمير اسعد الى (الدعام بن ابراهيم) الأرحبي الذي انزله وذويه في منازله بورور حاشد كما سلف ، واستولى (الحسن بن حوشب) على شبام كوكبان ، ثم واصل تقدمه الى صنعاء واجتمع بزميله (علي بن الفضل) وأقام لديه فترة حاول ان يثنيه عن غزو (آل زياد) الى تهامة سنة على الأقل ، حتى ترسخ اقدامهما على ما قد بسطا نفوذهما عليه .

ولكن ابن الفضل اصرّ على رأيه ، وخرج من صنعاء نحو تهامة لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر من العام المذكور (٢٩٣ هـ) بثلاثين ألف مقاتل بين فارس وراجل ، وسار[١٤] على طريق اللجب ، ولمّا توسط مضايق الجبال ثار عليه أهلها ، ولزموا الطريق ، فلم يقدر على التخلص ، ولم يخلصه من المأزق الذي وقع فيه إلا زميله (الحسن بن حوشب) الذي تحرك على رأس قواته فور علمه بالأمر ، وعاد ابن الفضل بقواته الى صنعاء .

ثم قام بغزو تهامة مرة أخرى من صنعاء ، في نفس العام عن طريق بلاد حراز ، وبعد ان اخذ للأمر عدته مستفيداً من الدرس السابق ، ونزل المهجم (إحدى مدن تهامة الوسطى) وقتل واليها لابن زياد ، ثم تقدم الى الكدراء كذلك ، ومنها نحو زبيد عاصمة آل زياد ودخلها بعد ان انسحب منها الأمير (أبو الجيش اسحق بن ابراهيم آل زياد) وأقام فيها ثلاثة أيام غادرها بعدها الى مركز اقامته (المذيخرة) وعاد أبو الجيش الى زبيد .

---

(١٤) الخزرجي في العسجد المسبوك ص ٤٠ .

هذا وقد غزا (علي بن الفضل) (آل زياد) الى تهامة مرة أخرى في عام (٢٩٧) للهجرة ، وقتل[١٥] في إحدى مدنها الكبرى واليها (المظفر بن حاج) الذي فقدت بغداد بقتله اكبر ممثل لها في إمارة آل زياد ، وأقام في تهامة أياماً عاد بعدها الى مقره في (مدينة المذيخرة) ، وأقام فيها الى عام (٢٩٩) للهجرة ، ويبدو ان (علي بن الفضل) لم يهدف من غزوه المتكرر لإمارة آل زياد في تهامة إلى القضاء على امارتهم نهائياً، لئلا يفتح على نفسه جبهة مع العباسيين الذين كان آل زياد ينتمون اليهم وعلى صلة بهم ، وهو يعتزم الانفصال عن الفاطميين ، ويستقل بحكم اليمن ، فيكون إذا فعل ذلك قد فتح عليه جبهتين رئيسيتين في آن واحد ، أو لأنه ليس في مقدوره القضاء النهائي على آل زياد ، وهو يعتزم القضاء النهائي على نفوذ سائر الامارات الأخرى في اليمن ، وبالذات آل يعفر المتمركزين في صنعاء وأعمالها ، والحد من نفوذ زميله (الحسن بن حوشب) وبذلك يكون غزوه المتكرر لآل زياد إنما هو لمجرد اظهار تفوقه عليهم عسكرياً ، ولتحطيم معنوياتهم ، ولتحذيرهم من مساندة مناوئيه الرئيسيين ، أو معارضته في البلاد التي كان قد بسط نفوذه عليها ، كعدن ولحج وأبين ومخلاف جعفر وغيرها مما كان تحت نفوذ (محمد بن أبي العلاء) و(جعفر بن أبراهيم المناخي) حاكمي هذه المناطق بالنيابة عن (آل زياد) .

صنعاء مسرح النزاع بين القوى المتنافسة

لما[١٦] غادر (علي بن الفضل) صنعاء لغزو تهامة في عام (٢٩٣) للهجرة وخلت صنعاء إلا من حامية له انتهزت القوى المنافسة له والمتنافسة فيما بينها ذلك ، ووحدوا كلمتهم وجمعوا شملهم ضد (علي بن الفضل) ، وقصدوا صنعاء واستولوا عليها ،وأخرجوا منها حامية ابن الفضل ونائبه عليها ، وكان أولئك المتكاتفون هم الإمام (الهادي يحيى بن الحسين) الذي بعث عنه

---

(١٥) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٣٧ .

(١٦) سيرة الهادي ص ٣٩ .

ابنه الأمير محمد المرتضى ، ثم جاءها بنفسه ودخلها بعد استيلاء الحلفاء عليها ، والأمير (اسعد بن أبي يعفر) الذي بعث احد مواليه ويعرف بابن كيَّالة بقواته ، والدعام بن ابراهيم الأرحبي ، الذي بعث عنه ولده الحسين بقواته أيضاً ، يساند الجميع ويتعاون معهم أهل صنعاء و(آل الروية المذحجيون) حلفاء آل يعفر ، والأمير محمد بن جعفر المناخي الذي كان قد لجأ مع بعض قواته بعد مقتل أبيه الى الأمير اسعد بن أبي يعفر وتمكن الحلفاء من استيلائهم على صنعاء وطرد اتباع (علي بن الفضل) منها .

ولكنهم اختلفوا فيما بينهم ، فوثب (ابن كيَّالة) بقواته على الإمام الهادي الذي كان ما يزال في صنعاء بعد خروج جمهرة قواته مع ولده الأمير المرتضى من صنعاء الى بلاد ذمار لبسط نفوذ الإمام فيها ، واضطر ابن كيالة الإمام الهادي الى مغادرة صنعاء عائداً الى صعدة ، وجاء الى صنعاء (الامير (اسعد بن أبي يعفر) حاكماً لها ، أما (علي بن الفضل) فإنه ما ان علم بذلك التحالف ضده واستيلاء الحلفاء على صنعاء حتى تحرك من مقره في مذيخرة على رأس جيش كبير نحو صنعاء لاستعادتها وذلك في عام ٢٩٤ هـ ودخلها في شهر رجب من العام المذكور ، بعد ان غادرها (اسعد بن أبي يعفر) ، وأقام ابن الفضل في صنعاء ثلاث سنوات متوالية عامل أهل صنعاء خلالها بالقسوة والعنف لتعاونهم مع منافسيه .

ثم غادرها نحو تهامة في غزوه الثاني لآل زياد وذلك في عام ٢٩٧ هـ .

ولم(١٧) يلبث الأمير (اسعد بن أبي يعفر) ان عاد الى صنعاء بعد مغادرة ابن الفضل لها ، كما بعث الإمام الهادي لمساندته مرة أخرى قوة بقيادة علي بن محمد العلوي ، ثم عززه بقوة اخرى بقيادة ابنه الأمير المرتضى ، كما ساند الجميع الدعام بن ابراهيم الأرحبي ، ومع ذلك فقد عاد المتحالفون الى

---

(١٧) الخزرجي في العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام ص ٤١ .

الاختلاف فيما بينهم حيث ولى الأمير المرتضى على صنعاء (علي بن جعفر العلوي) وولى اسعد بن أبي يعفر عليها مولاه ابن كيالة وخرج هو منها بقواته لاستعادة (شبام كوكبان) من اتباع (الحسن بن حوشب) ولكن قوة هؤلاء صمدت للأمير (اسعد بن أبي يعفر) في المعركة التي قامت بين الجانبين وقتل في المعركة الأمير (عبد القاهر بن احمد بن يعفر) وذلك في شهر ربيع الأول من عام (٢٩٨) للهجرة ، ثم تجددت الحرب بين الجا نبين في شهر ذي الحجة من نفس العام وتمكن (اسعد بن أبي يعفر) من الاستيلاء على شبام وقد تحرك (علي بن الفضل) من المذيخرة فور علمه بالأمر وذلك في المحرم من عام (٢٩٩) للهجرة ، ودخل صنعاء ، وأقام بها احد عشر يوماً غادرها بعدها نحو شبام المقر الرئيسي لآل يعفر واستعادها ، ومنها طلع جبل ذخار (ضلع كوكبان) في حين انسحب الامير (اسعد بن أبي يعفر) الى بلاد قدم حجة ، وفي الثاني والعشرين من شهر صفر من نفس العام غادرها الى بلاد ذمار وولى عليها وعلى صنعاء (علي بن الحسن الوادعي) منتهزاً خلوها من (ابن الفضل) واشتغاله باعلان استقلاله عن الدعوة الفاطمية التي اعلنها من اعلى جبل (كوكبان) .

استقلال (علي بن الفضل) عن الفاطميين

اعلن (علي بن الفضل) استقلاله عن الإمام عبيد الله الفاطمي من اعلى جبل (كوكبان) وقطع الدعوة له ولم يوال العباسيين ، واعلن استقلاله بحكم اليمن وذلك في عام (٢٩٩) للهجرة .

وكان الإمام (عبيدالله الفاطمي) بن الحسين بن احمد قد انتقل من مدينة (سلمية) في سوريا الى المغرب وأسس فيها دولته التي أسماها بالفاطمية ، ابعاداً لها عن صفة القرمطة التي الصقها بها أعداؤ ها لتشويهها ، وكان انتقال الإمام عبيد الله الى المغرب في عام (٢٩٦) للهجرة ، ويذكر انه كان يعتزم الإنتقال الى اليمن ، وكان دعاته ولا سيما الحسن بن حوشب يشيعون ان

المهدي سيظهر من اليمن ، ولكنه لما وصل الى مصر من سوريا حوّل وجهته الى المغرب لما بلغه من اضطراب الأمور في اليمن بعْد وصول الإمام الهادي اليه ودعوته فيه ، ولعدم اخلاص (علي بن الفضل) للدعوة وسوء نواياه نحوها ، كما بلغه ذلك من (الحسن بن حوشب) الذي ظل مخلصاً للدعوة الفاطمية الى موته كما عرفنا . كما شجعه على الانتقال الى المغرب وتأسيس دولته فيه ما كانت عليه احواله من التجزؤ الى امارات صغيرة متفككة (الأدارسة) في فاس ، و(الأغالبة) في رفادة ، وغير هؤلاء في غير هاتين الأمارتين في المغرب ، وجميع تلك الأمارات مع ذلك كانت قد بلغت مرحلة من الشيخوخة لم تعد معها تقوى على مناهضة الإمام عبيد الله ودولته الفتية ، التي مهد لها رجال افذاذ ، بعثهم الحسن بن حوشب بعد تدريبهم الى المغرب كالحلواني وابي سفيان وأبي عبيد الله الشيعي الصنعاني وغيرهم كما عرفنا .

وقد بويع (عبيد الله بن الحسين بن احمد) في المغرب بإمارة المؤمنين في شهر ربيع الآخر من عام (٢٩٧) للهجرة ولقد حقق (علي بن الفضل) باستقلاله عن الفاطميين واقامة دولة مستقلة في اليمن حلماً ظل يراوده طويلاً ، كما شجعه[١٨] على ذلك داعي دعاة الإمام عبيد الله (فيروز) الذي تغير عليه بسبب تحوله عن اليمن الى المغرب ، وتأخر على الإمام في مصر ، وجاء الى اليمن لإفساد دعاتها ضد الإمام عبيد الله ، ولم ينجح مع (الحسن بن حوشب) وكاد هذا ان يقتله لولا انه فر منه الى(علي بن الفضل) الذي نجح معه في فكرة الإستقلال عن الإمام الفاطمي ، وقد[١٩]ظفر به (الحسن بن حوشب) وقتله .

ثم بدأ(علي بن الفضل) من اعلى جبل كوكبان ، يراسل زميله في الدعوة طالباً منه ان يتابعه في الإنفصال عن الدعوة الفاطمية ويعلن ولاءه له ،

---

(١٨) و(١٩) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٤١ الطبعة الأولى .

ولكن (ابن[٢٠] حوشب) امتنع عن ذلك ورد عليه بقوله « كيف تخلع طاعة من لم تنل الخير إلا ببركة الدعاء له ، أما تذكر ما بينك وبينه من العهود والمواثيق ، وما أخذه علينا من الوصية بالإتفاق وعدم الإفتراق ، فكتب اليه (ابن الفضل) مرة أخرى قائلاً له : « إن لي بأبي سعيد الجنابي اسوة وقد دعا الى نفسه ، وأنت ان لم تدخل في طاعتي نابذتك الحرب » فعزز (الحسن بن حوشب) من تقوية حصن مسور وعبأه بالعتاد والرجال والمؤن استعداداً لمقاومته وقال : « إنما احصن هذا الجبل من هذا الطاغية وامثاله » ولقد عرفت الشر في وجهه عند اجتماعنا بصنعاء» ويعني (علي بن الفضل) بأبي سعيد الجنابي الذي اقتدى به في الاستقلال باليمن (ابا سعيد الجنابي) زعيم القرامطة ورئيس الدولة القرمطية في سواد الكوفة الذي استقل عن الأسماعيليين الفاطميين مخالفاً اسلافه (آل الجنابي) وقبلهم (آل مهروية) الذين ظلوا على الولاء للفاطميين والانتهاء اليهم .

ولقد كان رد الفعل لدى (علي بن الفضل) ازاء اصرار (الحسن بن حوشب) على استمرار ولائه للإمام عبيد الله الفاطمي ، وعدم متابعته والولاء له هو أي (ابن الفضل) غزو ابن الفضل لأبن حوشب الى بلاد مسور بعشرة آلاف مقاتل من المعروفين بالشجاعة والإقدام من عسكره ، ومحاصرته طيلة ثمانية اشهر أو عام كامل (على اختلاف في الروايات) حتى اضطر ابن حوشب الى ان يرهن ولده لديه لضمان دوام الولاء له وعدم القيام بحربه أو مساندة مناوئيه ، وعاد (ابن الفضل) بالرهينة الى صنعاء .

وذكر بعض[٢١] المؤرخين ان (الحسن بن حوشب) راسل (علي بن الفضل) اثناء الحصار الذي ضربه (ابن الفضل) على جبل مسور المعقل الرئيسي لأبن حوشب يعرض عليه الصلح ، فرد (ابن الفضل) قائلاً : « لا

(٢٠) الخزرجي في العسجد المسبوك ٤١ .

(٢١) الصليحيون والحركة الفاطمية ص٤٦ .

أفعل إلا ان يرسل إليَّ بعض ولده يقف معي على الطاعة ، ويشيع عند العالم اني إنما تركته تفضلاً لا عجزاً » ، فأرسل (الحسن بن حوشب) أحد أولاده فطوقه (علي بن الفضل) بطوق من ذهب وسار به الى صنعاء ، ثم اعاده الى ابيه بعد عام مكرماً .

ومنذ هذا التاريخ سلَّم الأمير (اسعد بن أبي يعفر الحوالي) بقوة جانب (علي بن الفضل) ، وأعلن ولاءه له مرغماً ، وحكم صنعاء نائباً عنه في حين انتقل (ابن الفضل) الى مركز اقامته في المذيخرة بمخلاف جعفر بلواء اب ، واستقرّت الأحوال ، ويرى بعض[٢٢] المؤرخين أنّ (أسعد بن أبي يعفر) عقد صلحاً مع (علي بن الفضل) يقضي بأن يحكم (أسعد) صنعاء نيابة عن (ابن الفضل) ، وأنْ يخلع طاعة العباسيين ، وأنّ يلبس البياض بدلاً من السواد شعار العباسيين .

وقد حدد الدكتور (حسين الهمداني) وزميله الدكتور (حسن سليمان محمود) في كتابها (الصليحيون[٢٣] والحركة الفاطمية في اليمن) الفترة التي ظل فيها (علي بن الفضل) على ولائه للفاطميين بما لا يقلّ عن عشرين عاماً ، وأضافا قائلين بعد ذكر الأتهامات التي كالها له اعداؤه ما نصه : « ولا تفيدنا المصادر التي تحت ايدينا عن حياة ابن الفضل وأمور مملكته إلا انه استقل عن الدعوة الفاطمية وخرج عن الدين الحنيف » (يعني الدعوة الفاطمية لا الاسلام بدليل ما بعد هذا وهو قولها » وبالرغم من انه كان شخصية بارزة ، وقائداً بارعاً ، وحاكماً ناجحاً ووطنياً متحمساً ، فخوراً بقحطانيته ، بالغ المؤرخون في انتسابهم اليه احلال المحارم ، وارتكاب الفواحش ، ولم يأتوا بأدلة تثبت اتهاماتهم ، إلا أن الحمادي ألدّ أعداء الدعوة لم يستطع ان يطمس الحقائق عن سياسته البارعة في السلم والحرب وعن شهامته واقدامه ، وايفائه العهود

---

(٢٢) اليمن في ظل الإسلام ص ١٢٠ . استناداً الى غاية الأماني .

(٢٣) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٤٢ .

والمواثيق ، وحمايته المظلومين ونصرته لمبادىء الإسلام ، ولم يستطع أبو القاسم منصور اليمن ان يعزله أو يطرده عن الدعوة وهـو يعلم علم اليقين ميـول ابن الفضل الإستقلالية بل ساعده في حروبه وهنّاه على انتصاراته الى ان اعلن (ابن الفضل) نفسُه ثورتّه وخروجَه عن الدعوة ، ولا نتصورّ ان المجتمع اليمني يقبل برئاسة (ابن الفضل) لمدة عشرين سنة بل اكثر لو كان قد ارتكب في أواخـر عهده ما نُسب اليه من الفواحش طوال هذه المدة » .

وأضاف قائلاً : « فإنّ ابن الفضل بعد هذا في رأي علماء الدعوة قدنكث عهده واستهواه الشيطان وأضله ، ففارق الدعوة وخرج عن الملة » إلى آخر ما حكاه المصدر استناداً الى (عيون الأخبار) لإدريس عمـاد الدين بن عـلي بن عبد الله الحمزي » .

وبهذه الإشارة العابرة التي أعرب بها المصـدر عن زأي علماء الدعـوة في تكفيره وغيره ممن حاد عن الدعوة الفاطمية ، نجد التفسير الواضـح لما أُشيـع ضده من قِبَل شيعة الفاطميين في اليمن ، ومن قِبَل منافسيه في الحكم بما ليس من السهـل قبولـه والتسليم به ، وبمـا لا يقوى عـلى الصمود أمـام التمحيص العلمي ، ولـو لم يكن إلا هذا السبب وهـو خروجـه عن الدعـوة الفاطميـة لتشويه سمعته والتشنيع بسيرته من قبل شيعة الفاطميين في اليمن بعد موته (وقد كـانوا متستـرين في انحاء كثيـرة من اليمن في عهـد (عـلي بن الفضـل) قبـل استقلاله عن الفاطميين وبعده وبعد موته) لكان كافياً للتفسير ، فكيف وثمة اكثر من سبب لذلك ، من الصعب معها التسليم بالإتهامات التي وُجهت اليه وتصديقها ؟ .

ومن تلك الأسباب انتهاجه لتوطيد حكمه المستقل في اليمن سبيل العنف والشدة حتى نآء اليمنيون بشدة وطأة حكمه وكرهوا وجوده أي (علي بن الفضل) وصدّقوا (ولا سيما المتأخرون) ما نسب اليه من الكفر والإلحاد) وانهارت دولته بعد موته بسبب قسوته ، لأنها لم تجد القاعدة التي تحميها وتدافـع عنها وتـطيل

بقاءها   ومع ذلك فقد صمد ولده محمد في المذيخرة في وجه أسعد بن أبي يعفر عاماً كاملاً .

ومنها محاربة (علي بن الفضل) لجميع حكام اليمن في عهده وقضاؤه على نفوذهم بما فيهم (محمد بن أبي العلاء) حاكم لحج وأبين ، و(جعفر بن ابراهيم المناخي) حاكم مخلاف جعفر ، وكلاهما كانا نائبي (آل زياد) والأمير (اسعد بن أبي يعفر الحوالي) حاكم صنعاء وأعمالها ، والإمام الهادي (يحيى ابن الحسين) و(أبو الجيش اسحق بن ابراهيم آل زياد) حاكم تهامة ونائب العباسيين فيها ، كما حارب ابن الفضل زميله في الدعوة للفاطميين (ابا القاسم منصور اليمن الحسن بن حوشب) وحاصره في معقله بجبل مسور حجة ، كما حدّ من نفوذ القوى المحلية كآل الضحاك الحاشديين وآل أبي الفتوح الخولانيين وغيرهم ، وبالطبع فإن لكل أولئك الحكام واصحاب النفوذ شيعة وانصار ، وأصحاب مصالح لم يرق لهم استئثار ابن الفضل بالسلطة ، ولمّا عجزوا عن القضاء عليه بالمواجهة العسكرية دبروا قتله بالسم ، وأشاعوا بعد موته ما نسبوه اليه من الالحاد والكفر .

وحتى مع غض النظر عن كل هذه الدوافع للنيل من الزعيم اليمني (علي ابن الفضل) فإنه ليس من السهل قبول مانُسب اليه من الكفر والإلحاد والدعوة الى التحلل من ربقة الدين وهو لم يشيِّد حكمه إلا على أساس من مبادىء الدين والدعوة اليه والجهاد في سبيله منذ اليوم الأول لحركته ، مع ما كان محكوماً به من الظروف المحافظة في اليمن في عهده ، ولن يناصره اليمنيون قبل استقلاله عن الفاطميين وبعده لو كان قد خرج عن الإسلام ودعا الى الإلحاد ، ولخذلوه على الأقل إن لم يقوموا بحربه والتكاتف ضده .

أمّا القصيدة التي نُسِبت لشاعر من شعراء (علي بن الفضل) والتي مطلعها : (خذي الدف يا هذه واضربي) . فقد[٢٤] قال القاضي (نشوان الحميري) في كتابه (الحور العين) بجواز كون قائلها شاعراً من الخطّابية

(٢٤) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٤٢ .

المعروفين بتشيعهم للفاطميين ، أي انها ليست لشاعر (علي بن الفضل) كما زُعم ، وهذا كافٍ لتفنيدها ، على أنّ من نسب هذه القصيدة لعلي بن الفضل أو لأحد شعرائه أو صدَّق في نسبتها إلى احدهما لم ينتبه الى ان البيتين الأخيرين فيهما يؤكدان افتراءهما على (علي بن الفضل) وعلى شاعره وهما :

وصـل الهـي عـلى أحمـد   وأخـز الـفـويسق مـن يعـرب
وحـرم عـليـه جنـان الـنعيـم   فقـد بـاح بـالكـفـر لم يـرقب

لأن القصيدة الإلحادية المذكورة لو كانت لعلي بن الفضل أو لأحد شعرائه لم يختمها بالصلاة على النبي ويثلب نفسه فيها ومع ذلك فلم تذكر في شيء من كتب التاريخ التي عاصرت ابن الفضل كتاريخ ابن الأثير وغيره ، وإنما ذكرت في تواريخ متآخرة عنه باكثر من مائتي عام ، ولو كان ابن الفضل قد قالها أو شاعره لذكرها العلوي مؤلف سيرة الإمام الهادي يحيى بن الحسين المعاصر لابن الفضل والذي ذكر تاريخ ابن الفضل ناقماً عليه معارضته وحربه للهادي ، ولم يذكر شيئاً عنها .

على ان مما يؤكد افتراء ما نسب لعلي بن الفضل من الخروج على الدين الإسلامي واعلان خروجه عنه للناس حفاظه على سمعته حينما عجز عن اخضاع (الحسن بن حوشب) بعد حصاره له في جبل(مسور حجة)طيلة ثمانية أشهر ، فطلب منه أن يرهن عنده ولده لا لضمان عدم مناوأته في الحقيقة ، وإنما كما قال هو أي ابن الفضل : (« لست أبرح وقد علم أهل اليمن تصديَّ لمحاربته (أي الحسن بن حوشب) إلا ان يرسل بعض ولده فيكون ذلك مخرجاً عند الناس ويعلمون انه قد دخل في طاعتي) » .

فهل من المعقول والمقبول ان يتحاشى ابن الفضل امام اليمنيين رجوعه من حصار عدوه غير ظافر ، ولا يتحاشى من ارتكاب المحرمات جهاراً نهاراً كما اشاع ذلك أعداؤه .

لا ، لن يقبل بهذا من يملك قدراً من النزاهة عن الغرض وذرة من الفهم

الصحيح .

هـذا ومن احسن ما ردَّ بـه المنصفـون من المؤرخـين المعـاصـرين عـلى الإفتراءات التي نسجت ضد الزعيم اليمني (علي بن الفضل) ما ذكره الدكتور (عصام الدين عبد الرؤوف) في كتـابه (اليمن[٢٥] في ظـل الإسلام) حيث قال : « وبذلك لم يستطع المنصـور النيل من ابن الفضـل ، وظلّ يحكم دولـة كبيرة في اليمن ، وكان جباراً غاشماً قاسى الناس الكثير من ظلمه وبطشه حتى انهم نسبوا اليه تحليل ما حرَّم الله ، مثل شرب الخمر ونكاح الأمهات والأخوات وارتكاب الفواحش، ولكننا نرى ان هذه المبالغـات من نسج اعـدائه السنيـين والأسماعيليين على السواء ، فلا يُعقَل ابداً ان يظلّ الناس على طاعته ، وهـو يحاربهم في دينهم وعقيدتهم ، ويحلل نكاح نسائهم ، ولكنّ ابن الفضل كان له اعداء كثيرون السنيون أولاً ، والأسماعيليون بعد ان ارتدّ عنهم ثانياً ، يضاف الى ذلـك جوره وقسـوته عـلى الناس ، فنسبـوا اليه تحـريم الصـلاة والصيـام والحج ، وتحليل المحرمات ، وكل ما نستطيع ان نصفه انه نجح في اقامة ملك عريض في بلاد اليمن ، حكمه بالعنف والشدة ، ثم أورد بعض الأبيات التي نُسِبت الى شاعر عـلي بن الفضل والتي زُعِم انـه القاهـا على منبـر الجند والتي مطلعها :

خـذي الـدف يـا هـذه والعبي وغـني هزارك ثـمَّ اطـربي

وقال عنها ما نصه : « نرى ان هذه الأبيات مشكوك في نسبتها الى علي بن الفضل ، لأنه لو قالها شاعر ابن الفضل وهي تدعو الى الكفر كلية بالإسلام ، لقتل الناس علي بن الفضل ، وشاعره ، أو على الأقل لقـامت ثورة ضـد ابن الفضل وحكمه ، وقد عرفنا من دراساتنا لتأريـخ اليمن مدى تمسـك اليمانيـة بدينهم وعقيدتهم » .

---

(٢٥) ص ١٢٥ .

وأضاف قائلاً : « ونسب المؤرخون الى ابن الفضل انه قرمطي ، وهذا غير صحيح ، فهو اسماعيلي مرتد (أي عن الأسماعيلية) وربما نسبوا اليه ذلك لأنه قال في احدى رسائله الى (ابن حوشب) بأنه يقتدي بأبي سعيد الجنابي ، وكان يقصد بذلك الإغارة على البلاد والاستيلاء عليها بالعنف ، أما ابن الفضل فلم يكن قرمطياً ، والحقيقة ان المؤرخين نسبوا ابن الفضل الى القرامطة لأنه اقتدى بأبي سعيد الجنابي القرمطي ، في الخروج عن الولاء للإمام (عبيد الله الفاطمي) وقطع الإنتهاء اليه ، وفعل هو مثل ما فعل ، واستولى على الحكم في اليمن ، بالقوة والقسوة والعنف ، وأقام ابن الفضل حكماً يمنياً موحداً ولكن بدون قاعدة شعبية سرعان ما انهار بعدموته بالسم كما عرفنا .

على أن التهمتين الآتيتين تزيدان في اقتناعنا بكذب جميع التهم التي نسبت لعلي بن الفضل ، والتي من المؤكد ان اعدائه كالوها ضده بعد موته جزافاً وبسذاجة بالغة ، ونقلها بعض المؤرخين المتأخرين عن عصر (علي بن الفضل) دون تمحيص علمي أو نقلي .

والتهمتان ذكرهما الدكتور (محمد امين صالح) في كتابه : (تأريخ اليمن الاسلامي[٢٦]) استناداً الى (السلوك) للجندي في التهمة الأولى ، وإلى ابناء الزمن ليحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد في التهمة الثانية .

في التهمة الأولى : (والى (انباء الزمن) ليحيى بن الحسين بن القاسم ابن محمد) في التهمة الثانية .

والتهمتان هما : (ان علي بن الفضل عند عودته من حصار زميله (ابن حوشب) في رمضان عام (٢٩٩) للهجرة نزل بجامع صنعاء ، وأنه حصل بقدومه مطر عظيم ، فأمر بسد الميازيب التي الى الجامع وأطلع النساء اللواتي سبين من صنعاء أو غيرها وطلع المنارة ، ثم جعلوا يلقوهنّ الى الماء متكشفات عرايا ، فمن أعجبته أخذها الى المنارة وافتضها ، حتى قيل انه افتضّ عدة من البكور

(٢٦) ص ١٧٥ .

وانه اي علي بن الفضل اتخذ جامع صنعاء اصطبلاً للخيل .

والرد على هذه التهم من ابسط الردود على التهم التي نسبت اليه .

أفلم يجد علي بن الفضل داراً ينزلها في صنعاء وهو يحكمها منذ عام (٢٩٣) للهجرة حتى ينزل في جامع صنعاء ؟ ثم أين الموقع العميق الذي يمكن ان تفتح اليه ميازيب السطوح بعد سدها ليمتلىء ويلقي فيه النساء عاريات وهو ينظر اليهن ، ويأخذ التي تعجبه الى المنارة ويفتضها ؟

وكم تطيق قدرته البشرية افتضاضهنَّ من البكور في عملية مكشوفة وعلى مرأى ومسمع من الحاضرين ، وبصورة تتقزز النفس البشرية حتى من مجرد سماعها ، ويأبى العقل النزيه من تصديقها ؟

وهل تخلى علي بن الفضل عن آدميته حتى صار مجرد بهيمة ينزو على النساء علناً فيفتضهنَّ جهاراً نهاراً ، وبطاقة تفوق القدرة الآدمية بل والبهيمية ؟

وأين المكان في المنارة الذي يمكنه افتضاض النساء فيه ؟

وهل يعجز (علي بن الفضل) وهو الحاكم المطلق أن يجمع النساء لو صحّ ذلك الى داره التي تتوفر فيها بالطبع وكأي دار امارة كل مظاهر الأبهة والسلطان ، وكل شروط ومستلزمات الترف والاستهتار ، فيتمتع بمن شاء منهنَّ لو اراد وبحرية تامة ودون ما رقيب أو حسيب من الناس ؟

وهل بلغ ابن الفضل من الوقاحة وعدم الحياء من الناس هذا الحد وهو لم يقم حكمه إلا على اساس من الزهد والورع والتقشف ؟

وحتى لو كان ذلك السلوك الديني منه في بداية امره مجرد وسيلة للوصول الى الحكم لو سلمنا جدلاً ذلك ، أفلم يتحلل من سلوكه ذلك وينخرط في اللذات إلا بتلك الصورة السافرة البشعة التي رسمها أعداؤه ، والتي لا يرتكبها حتى الرجل العادي وفي أي زمان أو مكان من التأريخ .

وهل لم يجد ابن الفضل اصطبلاً لخيله إلا جـامع صنعاء ؟

وهل يقبل بذلك أهل صنعاء والـذين كان لهم آنـذاك أثرهـم الكبـير في النضال والجهاد حينما يذعوهم الواجب الى ذلك ؟ وهل يذعن الأمير (اسعد بن أبي يعفر الحوالي) لحكمه ويحكم صنعاء باسمه ولو على مضض لو كان قد بلغ به تحدي المشاعر اليمنيـة والمقدسات الإسـلامية الى الحـد الذي صـوّره اعداؤه بمنتهى السذاجة والغباء والحقد ؟ بعيد كل البعد ان يقبل أي عاقل نزيه مجـرد عن الغرض والهوى ما نسب للزعيم اليمني (علي بن الفضل) من تلك التهم والأباطيل وأنّ كل منصف ليقف من كل تلك التهم والأكاذيب موقف الشـاك والمتردد على الأقل ، إنْ لم يقف موقف المنكر لها والمكذب لكل ما جاء فيها .

والشك والتردد في قبـولها اسلم بـالطبـع للمرء من تصـديقها والتسليم بصحتهـا ، وفي الحديث الشـريف : (كفى بالمـرء إثماً ان يحـدّث بما سمـع) والأكثر إثماً من التحدث بالخبر بمجرد سماعه تصديق الخبر على علاته وقبولـه وروايته ، مع العلم بأنه لا ذنب للزعيم اليمني (علي بن الفضل) أمام اعدائه إلا انـه استقلّ عن الـدعوة الفـاطمية ، والتبعيـة للفاطميـين وأقام حكـماً يمنياً مستقلاً موحداً أو في طريقه الى الوحدة الوطنية لو لم يدبر أعداؤه قتله بالسم كما سنعلم ، وانه حارب في سبيل توحيد اليمن تحت راية يمنية واحدة كل الإمارات والزعامات والطامعين ومراكز القوى المحلية المتعددة التي كانت قائمة في عهده على تعددها واختلاف اتجاهاتهـا والتي نشرت الفـوضى والإضطراب في اليمن بتنازعها وتناحرها ، واليمنيون عامة اليمنيين هم وقودها .

موت علي بن الفضل

ولقد دبّر أعداؤه موته بالسم ، حينما عجزوا عن قتله في خضم المعارك الحـربية التي خـاضهـا معهم ، وتفصيـل الحـادث كـما تضـافـرت عليـه كتب المؤرخين : « انه اراد يوماً ان يفصد لما كان يعانيه من ارتفاع في ضغط الدم ، وكان بعض المقربين لديه من المشتركين في تدبير المؤامـرة ، أو ممن هـم بعيدون

عنها قد أكثروا لديه من ذكر طبيب قدم من بغداد ويدعى الشريف (علي البغدادي) الذي عهد اليه بتنفيذ المؤامرة ، وحبّذوا لابن الفضل ان يختصه لنفسه ، فاستدعاه (علي بن الفضل) ليفصد له ، ولما دخل عليه البغدادي أمره بخلع ملابسه ويلبس غيرها ، ثم غسل البغدادي المبضع ومضغه مبالغة في التأكيد من خلوه من السم ، ثم جففه بشعر لحيته الكثة أو بشعر رأسه الذي كان قد وضع فيه السم ، فعلق السم بالمبضع ، وفصده ، وخرج من عنده هارباً ، ولم تمض ساعات حتى شعر ابن الفضل بالموت ، فأمر باحضار الطبيب البغدادي فلم يجدوه في المذيخرة ، فأمر بالبحث عنه والقبض عليه ، فأدرك عند قرية (قينان) في سحول اب وقتل حيث أدرك .

ومات (علي بن الفضل) في مدينة المذيخرة في منتصف شهر ربيع الآخر من عام (٣٠٣) للهجرة .

قال في « سيرة الهادي[٢٧] للعلوي » وقام من بعده ابنه بالمذيخرة وقتل نفراً كثيراً من اصحاب ابيه ، وكان يعرف بالفأفأ ، وهو (محمد) أكبر ولديه اللذين مات ابن الفضل عنهما » .

ولما تأكد للأمير (اسعد بن أبي يعفر الحوالي) موت (علي بن الفضل) زحف بجموعه نحو المذخيرة وضم الى جموعه الكثير من القبائل اليمنية ، وحاصر المذيخرة عاماً كاملاً وضربها بالمنجنيق حتى استسلمت له في رجب من عام (٣٠٤ هـ) ، وقبض على ولدي (علي بن الفضل) يساعده اختلاف كبار رجال دولته بعد موته ، وقتل الأمير اسعد ولدي (علي بن الفضل) والعديد من رجال دولته ، وأرسل برؤ وسهم الى مكة حيث نصبت في موسم الحج ، وغنم من مذيخرة اموالاً عظيمة وأسر بنات (علي بن الفضل) الثلاث انكح احداهن وهي معاذة ابن اخيه (قحطان بن عبد الله بن أبي يعفر) وولدت له الأمير

---

(٢٧) ص ٤٠٣ .

(عبد الله بن قحطان) ، ثم استقلّ بالأمر وبالذات في نجد اليمن صنعاء وأعمالها ومخلاف الجند ومخلاف جعفر واستقرّ في كحلان يريم ، وأناب عنه في صنعاء أخاه (عبد الله بن أبي يعفر) الى موت الأمير اسعد في عام (٣٣٢) للهجرة ، كما علمنا في فصل (آل يعفر) .

وفاة المنصور أبي القاسم الحسن بن حوشب الداعية الثاني للفاطميين

أمّا (المنصور أبو القاسم الحسن بن حوشب) الداعية الثانية للفاطميين في اليمن ، فانه ظلّ على ولائه لهم الى موته في عام (٣٠٢) للهجرة ، وكانت وفاته في معقله الرئيسي (جبل مسور) من بلاد حجة ، وكان قد أوصى قبل موته كلا من ولده (أبي الحسن) و(عبد الله بن عباس الشاوري) بأن يتعاونا في شؤون الدعوة والدولة حتى يصدر أمر تعيين احدهما من قبل الإمام (عبيد الله الفاطمي) ، وأوصاهما بأن يذعن من لم يوله الإمام لمن ولاه منهما ، وبالرغم من أنّ (أبا الحسن بن حسن بن حوشب) سافر الى الإمام الى المغرب في تونس وقابله في مدينة (المهدية) من بلاد تونس وطلب منه توليته بعد أبيه ، إلا ان الإمام كان قبيل وصوله اليه قد بعث رسوله الى الشاوري يحمل له مرسوم توليته ورايات وألقاباً ، لأنه كان قد عرفه منذ أوفده اليه (الحسن بن حوشب) أثناء حكمه ، وكان له دور فعّال في نصرة الدعوة الفاطمية في حياة (الحسن بن حوشب) .

أما (أبو الحسن بن حسن بن حوشب) فعاد من عند الإمام عبيد الله حاقداً على الإمام وعلى الدعوة الفاطمية وعلى الشاوري المذكور ، وصار يظهر ولاءه للشاوري والتعاون معه ، ولكنه يضمر الشر ويتحيّن الفرص لاغتياله والانقضاض على الدعوة الفاطمية ، وكان الشاوري يجله وجميع أخوته ولا يحتجب عنه ، ورغم تحذير اخيه (جعفر بن الحسن بن حوشب) له من مغبة الخلاف مع الشاوري وافتراق الكلمة ، لما قد يترتب على ذلك من اضعاف امر الدعوة ، ومن زوال ملك (آل حوشب) في اليمن ، إلا أن ابا الحسن بن

الحسن بن حوشب أصرّ على النيل من الشاوري والقضاء عليه عند سنوح الفرصة قائلاً لأخيه جعفر : « أنت تعلم انه غرس أبينا ، وأنه لا يقوم عليه سوانا ، والله لا تركته يتنعم في ملك عني به غيره ، ونحن أحق به منه » .

واضطلع (عبد الله بن عباس الشاوري بأمر الفاطمية في بلاد مغارب اليمن من بلاد حجة دعوة وحكماً ، وحصر نشاطه بمنع امتداد نفوذ الإمام الناصر بن الإمام الهادي اليها ، بعد ان قامت بينهما عدة معارك حربية أهمها وأكبرها المعركة التي عرفت بمعركة (نغاش) باسم المكان الذي قامت فيه من بلاد حجة ، والتي انتصر الإمام الناصر فيها ، وكان قائد قوات الشاوري فيها هو (عبد الحميد بن محمد بن الحاج المسوري) ، واضطرّ الشاوري الى عقد هدنة مع الإمام الناصر في عام (٣١٠) للهجرة .

ولقد استفاد (الشاوري) من الهدنة ولم يدخل في حرب بعدها فيما يبدو مع الإمام المذكور ، واكتفى بالاضطلاع بمسؤ ولياته في منطقة نفوذه .

مقتل عبد الله بن العباس الشاوري

الى مقتله في عام (٣٢١) للهجرة اغتيالاً من قبل (أبي الحسن بن حوشب) الذي انتهز فرصة وجوده بمفرده دون حراس فوثب عليه وقتله ، وكان الشاوري كما عرفنا لا يحتجب عنه وعن إخوته .

أبو الحسن بن الحسن بن حوشب

واستولى أبو الحسن بن الحسن بن حوشب على الأمر ، وأعلن للناس في اجتماع عام في العام المذكور قطع الدعوة الفاطمية ، وتحوّل الى مذهب أهل السنة ، وتتبع دعاة الفاطمية ، يشجعه قطع علي بن الفضل لها أي الدعوة الفاطمية ، وعدم وجود شوكة لها في اليمن قائمة تُبقي لها هيبتها ، ووالى العباسيين ، وأحبه الناس وبايعوه .

أما أخوه (جعفر بن الحسن بن حوشب) فإنه غضب لما قام به اخوه من

قتل الشاوري والخروج عن الدعوة الفاطمية وغادر اليمن الى الإمام (عبيد الله الفاطمي) ولكنه لم يصل مدينة المهدية إلا بعد وفاة الإمام عبيد الله حيث كان قد توفي في عام (٣٢٢) للهجرة ، وخلفه ابنه (القائم بأمر الله محمد) بعد ان اخفى موته عاماً كاملاً حتى رسخت اقدامه في الحكم ، وقد أحسن الإمام القائم استقبال (جعفر بن الحسن بن حوشب) وصار موضع اعزازه وتكريمه حتى صار من كباردعاة الإسماعيلية الفاطمية ومن المنظِّرين لمذهبها .

مقتل أبي الحسن بن الحسن بن حوشب

وبالرغم أيضاً من اخلاص (أبي الحسن بن حسن بن حوشب) لمذهب أهل السنة إلا ان الناس في المنطقة استرابوا في امر تحوُّله من مذهب الشيعية الاسماعيلية الفاطمية الى مذهب السنية وهو ووالده من انصار الشيعة ومن كبار دعاتها وغرسها في اليمن .

فما أنا نزل من مقره في جبل مسور مستنيبا عنه فيه (ابراهيم بن عبد الحميد بن محمد التباعي المسوري) الى (عبر محرم) الجبل الصغير الكائن تحت جبل مسور حتى وثب عليه نائبه فيه (ابن العرجاء) وقتله ، واقتسم البلاد بينه وبين نائب جبل مسور التباعي المذكور كل له ما بنظره وتحت يده ، وتتبعا بقية دعاة الفاطمية ونكلا بهم إلا من افراد قليلين احتفظوا بالدعوة متسترين في بلاد مسور والبلاد التابعة لها حتى قام بالدعوة وأعاد لها نفوذها ومركزها في اليمن (ابو الحسن علي بن محمد الصليحي) وقد سلف ذكر اسماء أولئك الدعاة الذين احتفظوا بالدعوة الفاطمية في اليمن في فصل (دعاة الفاطمية في اليمن) .

نظرة عامة في امر الدعوة الفاطمية ودولتها الأولى في اليمن

بدأت الدعوة الاسماعيلية والتي عرفت فيما بعد بالفاطمية في اليمن منذ ما قبل قيام الداعيتين البارزين (علي بن الفضل) اليمني و(الحسن بن حوشب) الكوفي .

فقد عرفنا أنّ (الحسن بن حوشب) وصل الى بلاد مسور في بلاد حجة ونزل في بيت الداعية الأسماعيلي (احمد بن عبد الله خليع) الذي اعتقله الأمير (محمد بن يعفر الحوالي) حتى مات في سجنه ، وتزوّج الحسن بن حوشب ابنته ، وهذا هو سر وصية الإمام (الحسين بن أحمد) للحسن بن حوشب حين بعثه الى اليمن بأن يقصد عدن لاعة في بلاد مسور وينشر دعوته منها ، لأنها البلاد التي كانت قد بذرت فيها البذور الأولى للحركة الأسماعيلية الفاطمية في اليمن وعرفنا ان الحسين بن أحمد الإمام المذكور قال للحسن بن حوشب حين عرض عليه امر بعثه الى اليمن للدعوة لابنه عبيد الله الفاطمي : « كأني برجل قد أقبل الينا من اليمن » ، وأنه لما قدم (علي بن الفضل) من اليمن الى الكوفة قال الإمام الحسين بن احمد للحسن بن حوشب : « يا أبا القاسم هذا الذي كنا ننتظره » أي انه كان لدى الإمام الحسين علم سابق من دعاته الأولين في اليمن بأنه سيقدم اليه رجل من اليمن يعتنق المذهب الشيعي يمكن الإستفادة منه في الدعوة الفاطمية في اليمن ، وهو (علي بن الفضل) الذي علمنا انه وصل من اليمن الى الكوفة مُعْتنقاً مذهب الشيعة الأثنا عشرية ، فحوّله الإمام الحسين بن احمد الى مذهب الشيعة الأسماعيلية ، وعرض عليه امر المشاركة في نشر الدعوة

الفاطمية في اليمن فقبلها ، مشجّعاً الإمام (الحسين بن احمد) على المضي في الأمر ، قائلاً له : « والله إن الفرصة ممكنة في اليمن » وواصل الداعيتان (ابن الفضل) و(ابن حوشب) الى اليمن وسار كل في الطريق الذي رُسِم له .

ولكنّ انتشارها فيما يبدو في اليمن كان بطيئاً لأنّ اليمنيين عموماً سنيون حتى جاءتهم شيعة الفاطمية بوصول الداعيتين المذكورين ، في عام (٢٦٨ للهجرة) وشيعة الزيدية بوصول الإمام الهادي يحيى بن الحسين في عام (٢٨٤) للهجرة .

ومع ذلك فلم يتغلغل المذهب الشيعي في نفوس اليمنيين ، وكانت مساندتهم لكلا الدعوتين الشيعيتين كلما ارتبطت مصالحهم بها ، ولذلك فإنهم كانوا يتخلون عنهما كلما اقتضت مصالحهم ذلك ويعودون الى استقلاليتهم التي ينزعون اليها كلما زالت عنهم الظروف التي أبعدتهم عنها وهذا باستثناء العامة من قبيلة همدان التي تشيعت لعلي ونسله ومنذ خرج علي بن أبي طالب اليهم في عهد الرسول الكريم .

ولقد ضاعفت المعميات والألغاز التي احاطت الدعوة الأسماعيلية نفسها بها من تأخر انتشارها في اليمن وقبول اليمنيين لها ، ولذلك فلم يبدأ النشاط السياسي والعسكري لكلا الداعيتين (علي بن الفضل) و(الحسن ابن حوشب) إلا في عام (٢٩٠) للهجرة تقريباً ، بينما كان وصولهما الى اليمن في عام (٢٦٨) للهجرة .

ولقد أشاع اليمنيون مع ذلك ضد الدعوة الأسماعيلية والإسماعيليين في اليمن مختلف التهم والاختلاقات التي لا تمتّ الى الحقيقة بصلة ، كدليل آخر على عدم قبول جمهرة اليمنيين بمبادئها وتمذهبها .

وحتى بعد قيام الملك الكامل أبي الحسن علي بن محمد الصليحي الذي أعاد للدعوة الفاطمية هيبتها في اليمن ، وأقام دولتها الثانية فيه ، فإن اليمنيين ناصروه وساندوه في حربه لكل الإمارات والزعامات التي كانت

قائمة عند قيامه لا حباً في المذهب الأسماعيلي الذي اعتنقه ، وإنما رغبة في توفير الاستقرار لليمن ، ووضع حد للفوضى التي سببتها النزاعات والحروب بين القوى المتصارعة في اليمن .

وهو أي (أبو الحسن الصليحي) مع ذلك لم ينهج سبيل نشر المذهب الأسماعيلي بالقوّة ، ولم يضطهد المذهب السني وإنما ترك للناس حرية اختيار المذهب والعقيدة اللذين يرتضونها ، وإن كان يحث ولاته على نشر الدعوة في مناطق ولاياتهم ولكن بالحسنى وبالدعوة وبالسلوك الحسن والاستقامة الفضلى حتى يحببوها الى النفوس .

ولنا دليل آخر على تمسك اليمنيين بمذهب أهل السنة وتفضيله على المذهب الشيعي في ذلك العهد وهو ما ذكره المؤرخ عمارة اليمني وغيره من أنّ الناس في تهامة حينما يعود (آل نجاح) السنيون الى الحكم فيها ويرتفع الصليحيون الشيعة الى الجبال المطلة على تهامة كانوا يبتهجون وتنشر المصاحف ويبتهلون بالدعاء .

هذا عن الدعوة الفاطمية عقيدة وسلوكاً .

أمّا من ناحية الوضع السياسي العام في اليمن في عهد الدولة الفاطمية الأولى فإنه كان طافحاً بالحروب بين الدعاة وانصارهم من جانب ، وبين الأغلبية اليمنية التي عارضت الدعاة وحركتهم ومذهبهم من جانب آخر .

ولقد أقام الداعيتان علي بن الفضل والحسن بن حوشب دولتيهما بالقوة والقسوة وبالشدة والعنف . ولذلك فإنه بسبب عدم وجود القاعدة الشعبية للمُحْكمين في منطقتي نفوذهما سرعان ما انهارا بالنسبة للنفوذ الفاطمي بانفصال علي بن الفضل عن الدعوة الفاطمية ، وانقضاض (أبي الحسن بن حسن بن حوشب) عليها وتحوله الى مذهب أهل السنة في بلاد

مسور حجة كما عرفنا .

وحتى هذا فإنَّ اليمنيين استرابوا في امر تحوّله من الشيعية الى السنية وتحينوا الفرصة للإنقضاض عليه ، وقتله نائبه في (عبر محرم) ببلاد مسور أيضاً ، وتتبع بقية دعاة الفاطمية في المنطقة كما علمنا .

ولذلك فإنّ عهد الدولة الفاطمية الأولى في اليمن اتسم بالاضطراب وعدم الاستقرار ، وكل عهد يتسم بالقلق والاضطراب تتدهور بالطبع فيه الأوضاع الاقتصادية وتتخلف الزراعة وتركدُ التجارة وتُصاب كبار المدن بالخراب والدمار وصنعاء بالذات .

امارة آل نجاح ودولة الصليحيين بُناة الدولة الفاطمية الثانية في اليمن
(٤١٢ - ٥٤٤ هـ)
(١٠٢١ - ١١٥٠ م)

عقـدت هذا الفصـل لإمارة (آل نجـاح) ، الذين خلفـوا (آل زياد) في تهـامة ، ولـدولة الصليحيـين الذين كـوّنـوا الـدولـة الفـاطميـة الثـانيـة في اليمن ، وقـد جريت في تعـريف حركتي الفـاطميـة الأولى والثـانيـة في اليمن بدولتي الفاطمية الأولى والثانيـة على منـوال بعض المؤرخين المعـاصرين ، وإن كان نفوذ الفاطميين في اليمن في كلتا الحركتين لا يعدو النفوذ الأدبي .

وقـد يستغرب القـارىء حين يجـدني خالفت النهـج الذي التـزمتـه من عقد فصل خاص لكل دولة وإمارة ، وذلـك في جعل هـذا الفصل للدولتـين معاً ، قامت الأولى منها قبل قيام الثانية ، واختلف مكان نفـوذ احداهمـا عن مكان نفوذ الأخـرى ، ولكن استغراب القـارىء لا يلبث ان يزول حينـما يقرأ الفصل ويعرف أنّ معظم احداث الـدولتين كـانت فيما بينهـما ، وانه سيكـون من الممـل ذكرهمـا مرتـين في فصلين ، لو أفـردتُ لكل من الـدولتـين فصـلاً مستقلاً .

وبمـا ان امارة (آل نجـاح) هي السابقـة في نشئها وقيـامهـا فسـأذكـر كيف ومتى تمّ لها ذلك ، قبل ان اذكر ذلـك بالنسبـة لدولـة الصليحيين ، ثم نسـايرهمـا معاً في احـداثهما المشتـركة بينهـما ، ثم ننفرد بـدولة الصليحيـين في

احداثها التي انفردت بها عن (آل نجاح) كما ننفرد بأحداث هذه الإمارة التي انفردت بها عن الصليحيين والتي كانت ولم يعد للصليحيين وجود .

فأما امارة (آل نجاح) : فإنها قامت في تهامة على انقاض امارة (آل زياد) فيها ، وذلك في عام (٤١٢) للهجرة ، وذلك بمؤسسها (نجاح) مولى مولى (أبي الجيش اسحق بن ابراهيم آل زياد) ، آخر أمرائهم .

وقد[1] أيّد الخليفة (القادر بالله العباسي) الأمير نجاح بمرسوم النيابة ومنحه لقبي (المؤيد) و(نصير الدين) ، وفوّض اليه النظر العام في الجزيرة اليمنية ، وتقليد القضاء من يراه أهلاً لذلك .

وقد علمنا في فصل امارة (آل زياد) الظروف التي واتت الأمير نجاح في تأسيس دولته بعد القضاء على مولاه (مرجان) وعلى منافسه (نفيس) اللذين قتلا الأمير (عبد الله بن أبي الجيش آل زياد) وكافلته واللذين لم يكن لهما في امر الإمارة حول ولا طول .

ولقد ضبط الأمير (نجاح) تهامة ضبطاً تاماً،أمّا الجبال التي كانت خاضعة لأسلافه فإنها افلتت من يده وإن كان قاهراً لها .

كما اتّسمت امارته بالسنية بحكم تبعيتها للعباسيين والتي كَسبت بها رضي اليمنيين في منطقة نفوذها ، بل وساعدتها في مقاومة الصليحيين في الحروب الطويلة والتقليدية التي قامت بين الدولتين طيلة عهديهما تقريباً .

وقد حكم الأمير نجاح منطقة تهامة الى موته في عام (٤٥٢ هـ) مسموماً كما ذكر من قِبَل (أبي الحسن علي بن محمد الصليحي) عن طريق جارية جميلة أهداها اليه .

---

(١) العسجد المسبوك آنف الذكر ص ١٠٤ .

ولمّا كان أولاد الأمير نجاح عند موته دون البلوغ فإنه قام بالأمر عنهم مولى أبيهم (مرجان الكهلاني) ، وكان الأمير نجاح قد توفي عن خمسة أولاد ، هم : (سعيد الأحول) و(أبو المعارك) و(جياش) و(الذخيرة) و(منصور) .

وأما دولة (الصليحيين) فإنها بدأت بمؤسسها (أبي الحسن علي بن محمد الصليحي) وذلك في عام (٤٣٩ هـ) وينسب (آل الصليحي) الى قبيلة (الأصلوح) التي تُعَدّ حياً من (الأحجور) الحاشدية الهمدانية ، من بني عبيد بن أوام بن حجور بن أسلم بن عليان بن زيد بن عريب بن جشم الأوسط بن حاشد بن جشم الأكبر بن حبران بن نوف بن همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبأ .

أمّا موطنه الذي نشأ فيه فهو (الأخروج) من بلاد الحيمة إحدى نواحي لواء صنعاء ، وكان والده القاضي (محمد الصليحي) يقيم في حصن (يناع) من بلاد الحيمة وكان سني المذهب نافذ الكلمة في قومه .

بينما[٢] لم يبلغ ولده (علي) الحلم حتى كان قد تضلع بمذهب الأسماعيلية على يد آخر دعاتها (سليمان بن عبد الله الزواحي) ، وكان الدافع لهذا الى العناية بتربية (علي بن محمد الصليحي) وتعليمه مذهب الأسماعيلية ما لاح له من مخائل النبل فيه والإستعداد لحمل اعباء الدعوة الفاطمية بعد موته .

ولمّا حضرت الداعي (سليمان الزواحي) الوفاة أوصى بكتبه وبمال وفير لعلي بن محمد الصليحي بعد ان وافق الإمام الفاطمي المستنصر (معد ابن الطاهر العبيدي) على ذلك ، ساعد (أبا الحسن الصليحي) كل ذلك

---

(٢) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٥٧ .

على الاضطلاع بالمسؤولية دعوة وحكماً وعلى أكمل وجه .

وقد بدأ (أبو الحسن) أمره دليلاً للحاج عن طريق جبال السراة ، واستمرّ على ذلك خمسة عشر عاماً كان خلالها يتعرّف على أهل اليمن ، ويجتمع بالعلماء منهم ومن غيرهم ، وكان يبحث مع من يأنس بهم أمر القيام بالدعوة الفاطمية في اليمن ، وعن الوسائل الكفيلة بنجاحها.

وأكسبته رحلات الحج تلك خبرة بأحوال الناس ، ومكنته من دراسة النفس اليمنية ، وأفادته في التعامل معها طيلة عهده .

وبقيام الإمارة النجاحية والدولة الصليحية قامت في اليمن حكومتان متعارضتان سياسياً وعقائدياً ، اتسمت الأولى بالسنية بحكم تبعيتها للعباسيين ، واتسمت الثانية بالشيعية بحكم تبعيتها للفاطميين .

ولكنّ (ابا الحسن الصليحي هادن الأمير (نجاح) لأنه في مراحله الأولى لم يكن يقوى على محاربته ، سيما وهو يحارب مختلف الامارات والزعامات التي كانت قائمة عند قيامه في سائر مناطق اليمن غير تهامة منطقة نفوذ (الأمير نجاح) ، ولو فعل (أبوالحسن الصليحي) ولم يهادن نجاحاً لدفعه الى مساندة القوى الأخرى ضده .

ومع ذلك فقد قام الصليحي بقتل نجاح بالسم عن طريق جارية جميلة أهداها اليه كما تضافرت على ذلك كتب المؤرخين .

قصة زواج أبي الحسن الصليحي من السيدة اسماء بنت شهاب

أورد هذه القصة لطرافتها ولإعطاء القارىء فكرة عما كانت عليه الأحوال عهد حدوثها .

أحبّ الشاب[٣] (علي بن محمد الصليحي) ابنة عمه (أسماء بنت

---

(٣) عمارة في مفيده تحقيق ونشر الدكتور حسن سليمان محمود ص ٤٨ . والصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٦٦ .

شهاب الصليحي) فخطبها من أبويهـا ، فاشتـطّا عليه في مهـرها ، فهبط الى زبيـد في طـريقـه الى (بني معن) في عـدن ، أو الى (بني الكـرنـدي) في مخلاف الجند يلتمس منهم العون لبلوغ غايتـه وهنا قـال عمارة في تـأريخه عن القـاضي عمر بن المرجل الحنفي : « كـان على بـاب زبيد من داخـل السور رجـل من الحبشـة يقـال لـه (فـرج السحـرتي) وكـان من أهـل المعـروف والصدقات الواسعة ، وكان من نزل به بمسجده أكرمه وآواه ويتفكـر ويدخـل المسجد يتجسّس أخبار الضيوف سراً من وكـلائه وخـدمه ، فخـرج ذات ليلة فـظفر في المسجـد برجـل يقرأ القـرآن ، فسألـه عن العشاء ، فأنشد قـول المتنبي :

من علم الأسـود المخصي مكـرمـة أعمـامه البيض أو أخـواله الصيـد

فـأخذه الحبشي في اعـلى مكان في داره وأكـرم مثـواه ، واستخبـره عن سبب قـدومه الى تهـامة قـال الصليحي : « إن لي عماً يقـال له شهـاب ، وله ابنـة يقـال لهـا أسـماء قليلة النـظير في الجمـال ، معـدومـة المثـل في الأدب والعقل ، وخطبتها اليه فاشتطّ عليَّ في مهرها ، وأمهـا تقول : لا تـزوجها إلا لبعض ملوك همـدان بصنعاء ، أو ملوك بني الكـرنـدي ، بمخـلاف جعفـر ، وقد استاموا عليَّ من المال مبلغاً لا قـدرة لي عليه ، وأنا متوجـه إمَّا الى (بني معن) بعدن ، وإمَّا إلى (بني الكرندي) بالمعافر ». قالـوا : فدفـع له القـائد فرج السحرتي مالاً جزيلا أضعاف ما طلبالصليحي ، وجهّز العـروسين معـاً احسن جهاز يحتفل الملوك به لعقائلهم ، وأعاده الى عمه فتزوج بأسماء» .

وكـانت السيدة[٤] (أسـماء) من أعيان النسـاء ، كان فيهـا من الكـرم والكمـال والتدبـير والحزم مـا لم يكن في احد من النسـاء في زمـانها ، لـذلـك فقد كان أبو الحسن الصليحي أثناء حكمه يثق بها ثقة تامة ويوكـل اليها امـر

---

(٤) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٦٧ .

تدبير شؤون الدولة ، وكانت اذا حضرت مجلساً لا تستر وجهها عن الناس ، وقد مدحها الشاعر (عمرو بن يحيى الصليحي) بقصيدة جاء منها قوله :

رسمت في السماح سنة جود لم تدع من معالم البخل رسما
قلت اذ عظموا لبلقيس عرشاً دست اسماء من ذرى النجم اسمى

ثورة أبي الحسن الصليحي

وفي العامين الأخيرين من (الخمسة عشر عاماً) التي ظلّ (أبو الحسن علي بن محمد الصليحي) فيها دليلاً للحاج بحث مع أعيان اليمن ممن يأنس بهم امر القيام بالدعوة الفاطمية في اليمن ثم تعاهد[٥] مع ستين رجلاً من همدان في مكة على ان يجهروا بالدعوة ، ويجاهدوا في سبيلها حتى يظفروا بها أو يموتوا ، وكان المتحالفون معه في عزة ومنعة من قومهم .

وقد استطاع (ابو الحسن الصليحي) بذكائه ان يغرس في نفوس الخاصة انه انما يدعو لنصرة الإمام المستنصر الفاطمي ، ولإعلاء كلمة الله ، كما عمل مع ذلك على استمالة العامة باستقامته ومسلكه الديني ، وعن طريق الجماعة التي تحالف معها من همدان كوّن جيشاً واجه به بعد اعلان الدعوة أعداءه الكثيرين ، وفيهم من همدان نفسها من غير من تعاهد معهم .

وحدّد مع خاصته يوم[٦] الأربعاء الرابع عشر من جمادي الآخرة من عام (٤٣٩) للهجرة موعداً لإعلان الدعوة من اعلى جبل مسار في بلاد حراز ، وطلب منهم وصولهم في الموعد المذكور ، وكانوا[٧] من يام نجران

(٥) نفس المصدر ص ٧١ .

(٦) نفس المصدر ص ٧٣ .

(٧) كان المؤرخون يعرفون قبائل يام ونجران وغيرهما من قبائل بلاد صعدة بالحجازيين بحكم جوار منازلهم لبلاد الحجاز وإلا فهم يمنيون دماً ووطناً .

وسنحان صعدة ، وغيرهما ، وفي نفس اليوم المذكور بعث رسله الى اتباعه القريبين منه في بلاد حراز ، واجتمع له ذلك اليوم من همدان ثلاثمائة رجل عدا من اجتمع لديه من بلاد حراز والمناطق القريبة منها .

ولمّا كان عصر اليوم المذكور أرسل (ابو الحسن الصليحي) أربعين رجلاً من أهل هوازن من بلاد حراز الى قمة جبل مسار للتمركز فيه ، ومنع أهل مسار من الإستيلاء عليه والحيلولة دون طلوعه .

أمّا هو وبقية اتباعه فإنهم صعدوا جبل مسار بعد صلاة العشاء ، وفشلت محاولة أهل جبل مسار منعه من طلوع الجبل ، ومن اعلى جبل مسار اعلن دعوته للإمام المستنصر الفاطمي (معد بن الطاهر) .

وفي اليوم التالي مباشرة لدعوته احاط به على الجبل جمع كبير ذكر[٨] انهم بلغوا العشرين ألف رجل ممن يجهلون حقيقة دعوته أو يعارضونها ، وطلبوا منه النزول من الجبل ، وقالوا له : « إما نزلت وإلا قتلناك ومن معك بالجوع » . فردّ عليهم بأنه لم يقصد من طلوعه الجبل إلا حفظه من ان يملكه غيرهم فيحكمهم منه ، وأبدى استعداده للنزول اذا هم أرادوا ذلك فانصرفوا عنه .

وكما علمنا فإنّ دعوته كانت قد انتشرت سراً في المنطقة وغيرها ولا سيما بين كثير من خاصة الناس وأصحاب الكلمة النافذة فيهم ممن لا يناوئونه في حركته فتدخّل انصار دعوته ومن والاه من غيرهم وأسهموا في اقناع المعارضين من المحيطين بالجبل ، واستطاعوا ان يصرفوهم عن محاصرته .

ويؤيّد هذا ما اجمع عليه المؤرخون من انه لم يمض شهر واحد من دعوته حتى كان قد عمر جبل مسار ، ووصلته الأموال الوفيرة من مختلف

---

(٨) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٥٦ .

المناطق اليمنية ، وساعده ذلك على ان يضاعف من تحصين جبل مسار بالبناء والعتاد والمؤن والرجال ، وعلى بثّ دعاته الى سائر انحاء اليمن ، بعد ان حصل على الإذن باعلان الدعوة من الإمام المستنصر واكتسب باذنه الصفة الشرعية لحكمه ، وكان نص كتاب دعوته كالآتي[٩] :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي أورى زناد الحق ورفع عماد الصدق بالذين أكمل بهم الحجة على الخلق ، الى آخر المقدمة من الحمد والصلاة والتسليم على رسول الله وعلى الإمام المستنصر الفاطمي ، (أمّا بعد ، يا أهل حراز الهمكم الله رشدكم ، وجعل الجنة قصدكم ، فلم أطلع حصن مسار متجبراً باغياً ، ولا مستكبراً على العباد عاتياً ، ولا أطلب من الدنيا وحطامها ، ولا طالباً لذلك غوغاءها وطغامها ، لأنّ لي بحمد الله رادعاً يحجزني عما تطمع اليه النفوس ، وديناً اعتمد عليه ، وإنما بالحق الذي امر الله عز وجل ، والعدل الذي انزله في محكم كتابه ، احكم فيكم بحكم أوليائه وسنن انبيائه ، وأدعو الى محبة الذي في ارضه ، القائم بفرضه ، (يعني الإمام المستنصر الفاطمي) ، لست من أهل البدع ولا من ذي الزور والشنع ، الذين يعطون بالدين بآرائهم ، ويحكمون بأهوائهم ، بل انا متمسك بسبيل الله المتين عامل بما شرعه الله في الدين ، وداع الى امير المؤمنين عليه صلوات رب العالمين ، لا أقول إلا سداداً ، ولا اكره في الدين احداً ، فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ، ومن ضلّ فإنما يضل عليها ، وما الله يريد ظلماً للعالمين ، واعلموا يا أهل حراز إني بكم رؤوف ، على حمايتكم عطوف ، انظر للذي يجب عليَّ من رعايتكم وحياطتكم ، ويلزمني من عشرتكم وقرابتكم ، وانظر لذي الحق حقه ، ولا أظلم سابقاً اسبقيته ، وانصف المظلوم ، وأقمع الظالم الغشوم ، وأبثّ فيكم العدل ، وأشملكم بالفضل ، فاستديموا ذلك بالشكر ، ولا تصغوا

---

(٩) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٧٧ .

الى قــول أهــل الكفــر ، فيحملونكم من ذلــك عــلى البغي والعــدوان ، والخلاف والعصيان ، وكفـر الأنعام والإحسـان ، فتستوجبـوا بـذلـك تغيـير الأنعـام ، وتعجيل الانتقـام ، وكتـابي هـذا حجـة عليكم ومعـذرة إليكم ، والسلام على من اتبع الهدى ، وتجنب أمور الردى ، والحمـد لله على مـا اعاد وأبدى ، وصلاته على من أرشد به من الضـلالة وأهـدى، سيدنـا محمد وآلـه ائمة الهدى وسلم تسليماً ،وحسبنا الله ونعم الوكيل . »

وقد كانت دعوته هـذه موجهـة كما نـرى لأهل حـراز دون غيرهم وهم أهله الأقربون والذين يرى وجوب اقناعهم وكسبهم قبل غيرهم .

صمود أبي الحسن الصليحي امام مناوئيه في بداية عهده

وبالرغم من قوّة جانب (أبي الحسن علي بن محمـد الصليحي وسرعـة انتشار دعوته واجابـة الكثير لهـا فإنّ كثيـراً من رؤ ساء اليمن اصحـاب النفوذ المحلي والكثير من امـراء اليمن وسلاطينهـا وأئمة الـزيديـة فيها ، لم يـرضخوا لحكمه إلا بعد معارك حربية معه ، ومحاولات كثيرة بذلوها للقضاء عليه .

ومن أولئـك الأمـير (جعفـر[١٠] بن الإمـام قـاسم بن عـلي العيـاني) الذي تحرك من بـلاد صعدة عـلى رأس جموعـه نحو حصن الأخـروج في بلاد الحيمة بغية الإستيلاء عليه والتحصن فيـه والانطلاق منـه لحرب (ابي الحسن الصليحي) ، ولكنّ حـاميـة الحصن وعـلى رأسهم عـامــل (أبي الحسن الصليحي) عليــه (الحسـين بن مهلهــل) صمـدوا في وجهــه ومنعـوه من الاســتـيــلاء عليه، ومع ذلك فقد استمر في حصار الحصن ولم يرتفع عنه إلا بعد مقتـل[١١] (جعفـر بن عبـاس الشـاوري) وانهزام جيشـه في المعـركـة التي خاضها معـه (أبو الحسن الصليحي) ، وكـان الشاوري من انصـار المذهب

---

(١٠) نفس المصدر ص ٧٨ .

(١١) نفس المصدر والصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٧٨.

السني في بلاد المغارب من لواء حجة ، وقد جاء على رأس جموعه لحرب الصليحي ، ودارت الدائرة عليه وعلى جيشه الذي كان يتكوّن من ثلاثين ألف مقاتل ، وكانت المعركة التي قامت بين الجانبين في موضع (عبرى دعاس) اسفل حراز ، أي ان الشاوري غزا الصليحي الى عقر داره ، وإنّ الصليحي لم يكتف بالتحصن في جبال حراز المنيعة ، وإنما نزل على رأس جموعه لمنازلة الشاوري وانتصر عليه انتصاراً ساحقاً حطم معنوية الأمير جعفر العياني المحاصر لحصن الأخروج فانسحب منه كما عرفنا ، وقد غنم الصليحي من جيش الشاوري مغانم كثيرة ضاعف بها من تقوية جانبه ، وأجبر الكثير من أهل بلاد حراز الذين لم يكونوا قد اعلنوا ولاءهم على الولاء ، باستثناء (أبي النور بن جهور) صاحب حصن[١٢] لهاب احد حصون حراز المنيعة ، فإنه اعلن تمرده على (أبي الحسن الصليحي) ، وقد قام الصليحي ازاء ذلك بتقوية تحصين الجبال المسامتة لطود (لهاب) بالرجال والعتاد والمؤن كجبل شبام وغيره ، ثم حرك جيشه لحرب ومحاصرة (ابن جهور) حتى اضطرّه الى التسليم ، والوصول الى الصليحي الذي احسن استقباله واكرامه .

مؤتمر عبرى دعاس

ثم[١٣] أقام (أبو الحسن الصليحي) مؤتمراً في (عبري دعاس) اسفل بلاد حراز أمر الناس فيه بإقامة الصلاة واحياء الفرائض وعمارة المساجد ، وإيقاد المصابيح فيها ، وأكد لهم ان الأمر الذي قام به ليس هو من امور الدنيا ، ولا مراد كمراد السلاطين ، بل قام مؤثراً لأمر ولي رب العالمين ، مجاهداً في سبيله ، غير مكره لأحد في الدين ، ولا طالب إلا رضى رب العالمين، وانه لا يسير بهم إلا بسيرة الحق والعدل ، وانه مجبول على ذلك . كما حذّر الناس من الشقاق والخلاف .

---

(١٢) نفس المصدر ص ٧٩ .

(١٣) نفس المصدر ص ٨٠ .

ثم تقدم الى العمال في ذلك المؤتمر وأوعدهم بالتنكيل إن رُفِع اليه شيء مما نهاهم عنه ، ووعدهم بحسن السياسة وانه لا يخالف الكتاب والسنة ، وأمر جميع الرعايا بأن يرفعوا اليه ما يكون من العمال من القبيح والحسن ، حتى يُنزِل بهم إنعامه وعقوبته بحسب افعالهم » .

اتساع نفوذ أبي الحسن الصليحي واستيلاؤه على صنعاء

ثم استولى (أبو الحسن الصليحي) على جبل حضور في مخلاف حضور من بلاد البستان احدى نواحي صنعاء وفيه جبل النبي شعيب الذي يعتبر اعلى جبل في اليمن ، وحصنه ، وكان قد استولى على حصن يناع في بلاد الحيمة من لواء صنعاء ، ولما بسط نفوذه على جميع بلاد حراز وعلى الجبال المنيعة فيها وفي المناطق المجاورة لها قرّر أن يتبّع سياسة المهادنة مع سائر السلاطين ورؤساء القبائل الذين لم يكونوا قد اعلنوا ولاءهم له حتى ترسخ سلطته ويتوطد نفوذه في المناطق التي قد استولى عليها .

وحدث ان توفي السلطان (يحيى بن أبي حاشد بن العباس بن الضحاك الحاشدي) في صنعاء ، وكان ولده (أبو حاشد) قد تسلم حكم صنعاء في حياة أبيه في تلك الفترة ونازع الإمام الديلمي عليها ، فبعث أبو الحسن الصليحي وفداً الى السلطان (أبي حاشد) يعزيه بوفاة أبيه ، ففسر (أبو حاشد) ذلك ضعفاً من (أبي الحسن الصليحي) أو تدخلاً في شؤونه (على اختلاف بين المؤرخين) وقام بحشد جموعه والتقدم بهم لمحاربة الصليحي ، ولكن هذا بادره قبل ان يصل الى حراز والتقى معه عند قرية (صوف يازل) بين مخلاف حضور ومخلاف (بني شهاب) وقامت معركة بينهما اسفرت عن مقتل (أبي حاشد) وانهزام جيشه بعد مقتل عدد كبير منه بلغ الف قتيل ، حتى ضُرب المثل بتلك الوقعة وصارت تعرف[14] بقتلة صوف لكثرة من سقط فيها من القتلى ، وكان للحادث أثره في الانتصارات التي

(١٤) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٨١ .

تـوالت لأبي الحسن الصليحي بعـده ، والتي استـطاع بهـا أن يـوحـد اليمن جميعه في ظل رايتـه ، وقد واصـل أبو الحسن الصليحي تقـدمه بعـد انتصاره في حربه مـع (أبي حاشـد الحاشـدي) نحو صنعـاء واستولى عليهـا وذلك في عام (٤٤٠) للهجرة .

مقتل الإمام أبي الفتح الديلمي

ولما استقر الملك(أبـو الحسن علي بن محمـد الصليحي) في صنعاء ركـز على اقرار الأمور في المناطق التي قـد بسط نفوذه عليهـا وأهمها عـاصمة اليمن (صنعـاء) ، ويبدو انـه لم يقم بتحرك عسكـري خارجهـا حتى عام (٤٤٤) للهجرة ، حيث قام فيها بالتحـرك منها عـلى رأس جموعـه لحرب الإمـام (أبي الفتح الديلمي) ، وقد اشتبك معه عند نجـد الجاح شـرقي رداع في معركـة كبيـرة اسفرت عن[15] مقتـل الإمام الـديلمي وانهزام جيشـه ، ودفن الإمـام في (قاع ردمان) في المنـطقة والتي سميت من يـومئذٍ بقـاع الديلمي ، وقبـره ما يزال معروفاً فيه الى اليوم .

فشل التحالف ضد أبي الحسن الصليحي

وفي عام (٤٤٨)[16] للهجرة تحالف (سلامةبن الضحـاك الحاشـدي) و(علي بن ذعفان الحـاشدي) و(عبـد الله بن جعفر بن قـاسم العياني) عـلى حـرب (أبي الحسن الصليحي) وتجمعـوا بحشـودهم في (حـاز) من بـلاد همدان صنعاء ، ولمّـا بلغ الصليحي بادرهم الى المكـان المذكـور ، وفي ساعـة مبكـرة من ليلة وصـولـه اليهم هـاجمهم الى معسكـرهم فـولـوا منهـزمـين ، فتعقبهم حتى لاذوا بـالفـرار ولجـأ زعمـاؤهم بـ (حصن هـرابـة) في وادعـة حاشد) وحاصرهم فيه سبعين يوماً ، وضرب قرية هرابـة بالمنجنيق ، وقـطع عنهم المـدد والمـاء حتى سقـطت القـريـة وسقط الحصن في يـده وسلم الأمـير

(١٥) نفس المصدر ص ٨٢ .

(١٦) نفس المصدر ص ٨٣ .

(عبد الله بن جعفر العياني) نفسه الى أبي الحسن الصليحي ، الذي احسن استقباله كعادته وخلع عليه وعاد به وبالأسرى الى صنعاء وقال الصليحي يومئذٍ : « لو ملكت رجال الهرابة لملكت بهم الروم » .

قيام الحرب بين (أبي الحسن الصليحي) والأمير نجاح

وكان (أبو الحسن الصليحي) [١٧] يهادن ويلاطف الأمير نجاح حاكم تهامة حتى استطاع الإمام الديلمي ان يفسد ما بينهما وأن يغري نجاح بحرب الصليحي الأمر الذي حمل نجاحاً على اخذ اهبته لغزو الصليحي وحربه ، ودفع الصليحي ازاء ذلك إلى أن يبدأ بحرب الإمام وحدث ان قضى عليه كما عرفنا .

ولمّا تقدم الأمير نجاح بحشوده الى الخبت بالقرب من صحفان حراز تقدم الصليحي بجموعه وقامت حرب بينهما استمرت عدة ايام تغلب جيش الصليحي في نهايتها ، وانسحب نجاح قافلاً الى تهامة .

وفيها حشد المزيد من القوات ذكر انها بلغت عشرين الف مقاتل جهزها وأرسلها الى المخلاف السليماني شمال منطقة نفوذه طالباً من (ابن طرف) حاكم المخلاف المذكور الإنضمام اليه بقواته لحرب الصليحي ، والظاهر انّ الأمير نجاح حشد قواته في شمال بلاده حدود بلاد (ابن طرف) من جنوبيها لا داخل بلاد طرف .

وعلى كلا الاحتمالين فقد اجتمعت قوتا الحليفين نجاح وابن طرف في المخلاف السليماني .

ولّما بلغ الصليحي ذلك بادرهم بنفسه على رأس الفين وسبعمائة فارس من ابطال رجاله ، والتقى الجمعان في محل يعرف بالزرائب من

---

(١٧) نفس المصدر ص ٨٣ .

المخلاف السليماني المذكور وقامت معركة حامية بين الجانبين اسفرت عن انتصار الصليحي ومقتل عدد كبير من الأحباش النجاحيين وحلفائهم ولجوء باقيهم الى جبل يعرف بالعكوتين في المنطقة ، وعاد الصليحي ظافراً ، ولم تكن هذه الحرب هي نهاية الصراع بين (الصليحيين) و(آل نجاح) .

ولكن (أبا الحسن الصليحي) أجلّ استئناف الحرب معه حتى يقضي على الامارات الصغيرة القائمة في اليمن الأسفل وعدن .

انتصارات أبي الحسن الصليحي في اليمن الأسفل وعدن

واستعداداً لإنقضاض (أبي الحسن علي بن محمد الصليحي) على امارة آل نجاح ، والإجهاز عليها ، تحرك[18] بجيوشه في عام (٤٥٠ هـ) نحو اليمن الأسفل وعدن ، واستولى على امارة (بني الكرندي) حكام مخلاف الجند ومخلافي جعفر والمعافر (بلاد الحجرية) ، ولم يشدد الضغط على السلطان (أحمد بن يعفر الكرندي) الذي تحصّن بجبل السوي من اعمال جبل حبشي بلاد الحجرية ، واستولى على حصون تلك المناطق ، بما فيها جبل صبر ، وحصن الدملوة في بلاد الصلو من أعمال الحجرية أيضاً ، واستولى على خصن حب في بلاد بعدان وعلى بلاد الشعر وبلاد بعدان وعلى بلاد السحول ومخلاف الشوافي بعد ان اخضع حاكمها (أبا عبد الله الحسين التّبعي) ، واستولى على جميع حصونها ، ثم دخل الجند وخطب فيها الناس لصلاة الجمعة وقال في نهاية الخطبة : «وفي مثل هذا اليوم نخطب في جامع عدن »

ويذكر[19] أنّ رجلاً كان حاضراً قال مستهزئاً حين سمع الصليحي يقول ذلك : « سبوح قدوس » ، ولّما أُخبر الصليحي بذلك امر بالتحفظ عليه ، ولّما خطب الصليحي في اليوم الذي حدده في جامع عدن ، قال

(١٨) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن (الطبعة الأولى) ص ٨٥ .

(١٩) الخزرجي في العسجد المسبوك ص (٥٧)

الرجل : (سبوحان قدوسان) واعتنق المذهب الإسماعيلي .

ويبدو أنّ أبا الحسن الصليحي هادن (بني معن) حكام عدن لاستسلامهم له وعدم مقاومته ، وابقاهم على ما بنظرهم نواباً له ، ولّما زوّج ابنه (المكرم احمد بن علي الصليحي) السيدة (أروى بنت أحمد الصليحي) جعل خراج عدن صداقاً لها ، وظلّ بنو معن يرفعونه اليها في حياة أبي الحسن الصليحي وبعد موته ، ويبدو أنّ ذلك شجعها وساعدها على القيام بالأعمال العمرانية الجليلة ومنها شق الطرقات وتعبيدها بالأحجار كما سيأتي ، ثم واصلت تلك الأعمال وتوسعت فيها بعد استقلالها بالحكم اثر موت زوجها الملك المكرم المذكور .

ولّما حاول (بنو معن) قطع ما كانوا يؤدونه من الأموال بعد موت الملك (أبي الحسن الصليحي) ، قام ابنه الملك المكرم المذكور بعد حسم الاضطرابات واستتباب الأمور لصالحه بغزوهم أي بني معن والقبض عليهم ، واسناد امر ولاية عدن واعمالها الى (العباس) و(مسعود) ابني الكرّم الجشمي الهمداني كما سنعلم تفصيلاً في فصل (آل زريع) .

امتداد نفوذ ابي الحسن الصليحي الى الحجاز

لم[٢٠] يكتف (أبو الحسن الصليحي) بما بلغه من نفوذ في اليمن ، بل تطلع الى بسط نفوذه الى الحجاز ،لأن الحجاز في نظره هو اقرب البلدان الإسلامية الى اليمن ، وفيه الأماكن المقدسة ، وكجزء مما كان يطمح اليه من تحقيق وحدة اسلامية،تدين بالولاء للفاطميين في اكثر من بلد اسلامي ، بما فيها العراق ، بعد القضاء على العباسيين .

وقد انتهز فرصة خروج والي الحجاز (ابي عبد الله شكر بن أبي الفتوح الحسيني) عن الدعوة الفاطمية وقطع الخطبة للإمام المستنصر

---

(٢٠) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٨٨ .

الفاطمي ، وخطب للخليفة العباسي ، فاستأذن الإمام المستنصر بغزو الحجاز ، وازالة الشريف شكر عن حكمه ، وضم الحاجز اليه لضمان دوام نفوذ الدعوة والدولة الفاطمية فيه ، فأذن له الإمام المستنصر بغزو الحجاز على ان لا يسفك الدماء في مكة .

وتحرك (أبو الحسن الصليحي) من اليمن نحو الحجاز بقوة كبيرة من الفرسان في شهر ذي الحجة من عام (٤٥٤ هـ) ، واستصحب معه ملوك اليمن وزعماءه ، ودخل مكة وقضى مناسك الحج ، ولكنه لم يصل مكة إلا وقد توفي الشريف شكر بن أبي الفتوح ، وخلفه الشريف (محمد بن جعفر ابن أبي هاشم الحسني) .

وأقام (أبو الحسن الصليحي) في مكة حتى يوم عاشوراء من عام (٤٥٥ هـ) ، أجزل للناس فيها الهبات والصدقات ، وكسى الكعبة بالديباج الأبيض ، ثم عاد الى اليمن مطمئناً الى ولاء الشريف محمد بن جعفر المذكور للإمام الفاطمي ، والدعوة له ، ولكنه لم يلبث بعد عودة الصليحي الى اليمن ان خرج عن الولاء للفاطميين واعلن ولاءه للعباسيين .

قضاء أبي الحسن الصليحي على امارة آل نجاح

قام أبو الحسن الصليحي فور عودته من رحلته الى الحجاز بإخضاع[٢١] الخارجين على دولته من زُبَيد (بضم الزاي وفتح الباء) وعنس واستولى على حصن مثوة في منطقتهم ، وكانوا قد تابعوا رجلاً تمركز فيه .

وفي نفس العام المذكور (٤٥٥ هـ) قام (أبو الحسن الصليحي) بالتحرك على رأس جيوشه نحو تهامة للقضاء[٢٢] على إمارة (آل نجاح) فيها ، وكان الأمير نجاح قد مات كما ذكر بالسم عن طريق جارية أهداها

---

(٢١) و(٢٢) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص و(٩٤) و(٨٦) .

له الصليحي في عام (٤٥٢ هـ) .

وقد استولى الصليحي على مدينة زبيد عاصمة الإمارة بعد ان ابتعد عنها القائم عليها (مرجان الكهلاني) ، أمّا اولاد الأمير نجاح فإنهم فروا الى جزيرة دهلك بالبحر الأحمر مقابل .أريتريا ، باستثناء الإبن الأكبر (أبو المعارك بن نجاح) فإنه قتل نفسه ، ثم بسط الصليحي نفوذه على تهامة كلها ، وبذلك تمّ له القضاء على امارة آل نجاح التي تعتبر آخر امارة يمنية بسط نفوذه عليها ، وحقق بذلك الوحدة اليمنية تقريباً .

وهنا يذكر المؤرخون حكاية لطيفة عن تولية ابي الحسن الصليحي لصهره (اسعد بن شهاب) تهامة ، وهي انه كان قبل استيلائه عليها قد اقسم انه لا يولي عليها إلا من يدفع اليه مائة الف دينار ، ولما قرر تولية اسعد بن شهاب عليها تحيّر ، فقامت زوجته (اسماء بنت شهاب) بتقديم المبلغ اليه مقابل تولية أخيها اسعد ، وان ابا الحسن الصليحي قال لها : « يا مولاتنا من أين لك هذا » فقالت : (هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب). فتبسم وعرف انه من خزانته وقبضه وقال : « بضاعتنا ردت الينا » فقالت اسماء : « ونمير أهلنا ونحفظ أخانا » ، وولى اسعد بن شهاب تهامة .

اعادة النظر في الولاة

ولما رأى (أبو الحسن الصليحي) [٢٣] انه قد حقق الوحدة اليمنية الشاملة تقريباً اعاد النظر في ولاته ، وولى على المناطق التي لم يكن قد ولى عليها ، ومنها منطقة تهامة التي ولى عليها كما عرفنا صهره اسعد بن شهاب .

وولى اخاه (عبد الله بن محمد الصليحي) حصن التعكر وأعماله في

---

(٢٣) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٨٧ .

مخلاف جعفر ، وفيه اختط مدينة جبلة عام (٤٥٨ هـ) ، وقد اتخذتها الملكة (أروى بنت احمد الصليحي) مركزاً لإقامتها وعاصمة لدولتها قبل وفاة زوجها الملك المكرم وبعد وفاته ، كما أكد (أبو الحسن الصليحي) ولاية (الحسين بن مهلهل) على حصن الأخروج واعماله في بلاد الحيمة وبلاد حراز ، وولى (المظفر احمد بن محمد الصليحي) حصن أشيح واعماله في بلاد آنس وما جاورها ، ويعرف الحصن المذكور حالياً بظفار في مخلاف بني سويد من بلاد آنس ، وقد اتخذه ولده الملك (سبأ) مقراً لإقامته عند مشاطرته للملكة اروى الحكم بعد وفاة الملك المكرم احمد بن علي الصليحي ، وأناب الملك سبأ عنه في صنعاء واعمالها (آل حاتم الهمدانيين) .

وولى (عبد الله بن يعلى الصليحي) حصن خدد في بلاد حبيش وأعماله في حبيش وما جاورها ، من مخلاف جعفر (لواء اب) ، وولى ولده (المكرم) مدينة الجند وأعمالها .

واتخذ هو أي ابو الحسن الصليحي مدينة صنعاء مقراً لإقامته وعاصمة لدولته ، وجعل اليه مباشرة امر ادارة المنطقة التابعة لصنعاء إدارياً ، وكان قد بنى في صنعاء عدة قصور انزل فيها جميع ملوك اليمن وزعمائها وامرائها ، وجعل منهم مجلساً لاستشارته ، وحال بذلك دون قيام أي منهم بحركة مناوئة له .

ثم اسند ولاية العهد لولده الأكبر (محمد) ، بعد حصوله على موافقة الإمام المستنصر (معد بن الطاهر) على ذلك ، ولقبه الإمام بالأغر شمس المعالي ، وذلك في عام (٤٥٦ هـ) ، واسند لولده المذكور مع ذلك ولاية زبيد وأعمالها ، بعد وفاة أميرها (أسعد بن شهاب) الذي توفي في نفس العام المذكور ، ووصل ولي عهده المذكور زبيد في عام (٦٥٧ هـ) ، ولكنه مات فيها في نفس العام أيضاً .

فأسند الملك أبو الحسن الصليحي ولاية عهده الى ولده المكرم (احمد ابن علي الصليحي) وجاءت الموافقة بذلك من الإمام المستنصر الفاطمي في عام (٤٥٩ هـ) ، ومما ورد فيه ما نصه[٢٤] ، بعد المقدمة مخاطباً ولي العهد المذكور : « اتق الله فيما قلدك من هذه الأمانة حق تقاته ، وشمّر لابتغاء مرضاته ، وقم بالمحافظة على سائر اركان الشريعة ، وحصن بحصونها المنيعة ، وابسط بساط العدل والإنصاف ، واسهر لترقد عينك رقاد الأمن ، وانزل عليهم من سماء عدلك شبه السلوى والمن . هذا عهد امير المؤمنين اليك فاقبله بقبول حسن ، والله يسعدك ويوفقك ، والى صالح الدارين يرشدك إن شاء الله » .

هذا وقد ساعد (علي بن محمد الصليحي) على سرعة بسط نفوذه واقامة دولته في اليمن جميعه ، الى جانب نهضته وحزمه وشجاعته وجرأته وكفاءته ، ما كان عليه اليمن قبل قيامه من الاضطراب والتفكك والانحدار بخطى واسعة نحو التدهور والانحلال .

فقد كان مجزءاً الى دويلات ومشيخات متنافرة لا يرتبط بعضها بالأخرى بأي رابط تسكن معه الأمور ، وتستقر به الأحوال غير شن الحروب فيما بينها ، وزعزعة الأمن والطمأنينة في مناطقها .

فآل نجاح في تهامة ، وآل سليمان بن طرف الحكمي في المخلاف السليماني شمال تهامة ، وبنو الكرندي في مخلاف الجند ومخلاف جعفر ومخلاف المعافر ، وبنو معن في عدن والشحر وحضرموت ، وبنو وائل الحميريون في بلاد وحاظة وما جاورها من بلاد حبيش والحزم وغيرها ، وبنو عبد الواحد في بلاد برع وأعمالها ، وبنو اصبح (التبعيين) في بلاد بعدان والشعر والسحول ومخلاف الشوافي من أعمال اب ، ومعظم هذه

---

(٢٤) اليمن في ظل الإسلام ص ١٦٦ .

المناطق او جميعها استقلت بمناطق نفوذها في آخر عهد (أبي الجيش اسحق ابن ابراهيم آل زياد) آخر امراء آل زياد ؛ عند عجزه عن الحركة والذب عن اطراف امارته في آخر عمره الطويل .

وكانت بعض القبائل اليمنية مع ذلك قد استولت قبل قيام (أبي الحسن الصليحي) على بعض المناطق ، وإن لم تتسم سيطرتها عليها بسمة سلطنة أو إمارة ، وذلك كغلبة قوم من بكيل على بلاد وصاب وغيرهم .

أما القسم الأعلى من اليمن فكانت تتنازعه آنذاك الزعامات القبلية والأئمة الزيدية .

وقد وصف (يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد) في كتابه (انباء الزمن) (مخطوطة)الفترة التي سبقت قيام (أبي الحسن الصليحي) وهيأت لظهوره فقال : « حالة عمّ فيها الخراب صنعاء وغيرها من بلاد اليمن ، لكثرة الخلاف والنزاع حتى ضعف أهلها وانتقلوا الى كل ناحية ، وتوالى عليها الخراب حتى اصبح عدد دورها لا يتجاوز الألف دار ، ولكنها تراجعت بعض التراجع في زمن الصليحي من ملوك اليمن » .

وبهذا تعلم أنّ الجو السياسي المضطرب هو الذي هيّأ لظهور شخصية قوية تضع حداً للاضطراب والفوضى ، وكانت شخصية (أبي الحسن الصليحي) هي الشخصية التي توفرت فيها ولها جميع شروط السيادة والظهور .

مقتل أبي الحسن الصليحي

استأذن(٢٥) (أبوالحسن علي بن محمد الصليحي) الإمام المستنصر

---

(٢٥) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٩٩ . الطبعة الأولى ، والخزرجي في العسجد المسبوك ص ٥٨ .

الفاطمي (معد بن الطاهر) الوصول الى مصر لزيارته بعد اداء مناسك الحج ، فأذن له بالحج دون أن يأذن له بزيارة مصر ، وذلك لئلا يطّلع الصليحي على المشاكل الداخلية القائمة في مصر فيما يبدو .

وتحرك (أبو الحسن الصليحي) من صنعاء نحو مكة يوم الاثنين السادس من شهر ذي القعدة من عام (٤٥٩ هـ) واستصحب معه كعادته جميع ملوك اليمن وأمرائه وزعمائه وعددهم خمسون للحج معه ، ولئلا يحدثوا في غيبته حدثاً ضد ولي عهده ابنه (المكرم أحمد بن علي الصليحي) ، كما استصحب معه سبعين أميراً ورئيساً من الصليحيين وغيرهم من بام وجنب وسنحان صعدة وحراز وغيرهم ، وقدمهم أمامه ، وسار هو في الفي فارس ، وبين يديه خمسمائة حربة مطهمة بالسروج المحلاة بالذهب والفضة ، وخمسين هجيناً ، وكثيراً من الآلات وصنوف الزينة وغيرها .

ولما كان مخيماً بضيعة تعرف بأم الدهيم وبئر معبد بالقرب من مدينة المهجم بوادي سردد من بلاد تهامة هاجمه سعيد الأحول بن نجاح ، بخمسة آلاف حربة جمعهم من تهامة ومن جزيرة دهلك ومن الحجاز وغيرها طيلة فترة ابعاده واخوته عن الحكم ، وجميعهم من فرسان الأحباش من بني جلدته وقومه الذين قضى (أبو الحسن الصليحي) على مصالحهم وعلى نفوذهم عند استيلائه على امارة (آل نجاح) ، وقضى على تجمعهم وتمركزهم داخل تهامة وشردهم في بعض مناطق اليمن وخارجه ، وكان أبو الحسن في قلة من حرسه وعسكره وحاشيته ، لأنه كان قد قدّم جمهرتهم قبله ، لئلا تضيق بهم الطريق ، وقتله وقتل اخاه عبد الله بن محمد الصليحي غدراً ، ثم حاصر مخيم السيدة اسماء بنت شهاب زوجة الملك أبي الحسن الصليحي ثلاثة أيام بغية أسرها .

دافع ولدها الموفق والمهنا علي بن المظفر الصليحي وحرس الملك الخاص عنها خلالها ، ولم يستسلموا إلا بعد أن منحهم سعيد الأحول بن نجاح الأمان ، وأعطاهم المواثيق والعهود على ذلك ، ولما سلموا أنفسهم

اليه قتلهم جميعاً ، باستثناء السيدة اسماء بنت شهاب التي آسرها ، وكان قد قتل مع أبي الحسن الصليحي وأخيه عبد الله عدداً من امراء وملوك اليمن ، وكان ذلك في اليوم الحادي عشر من شهر ذي القعدة من العام المذكور .

ثم نقل السيدة اسماء إلى زبيد حيث أودعها أسيرة في دار شحار إحدى دور الإمارة فيها ، وعلق رأسي زوجها وأخيه عبد الله أمام نافذتها ، وظلت في الأسر عاماً كاملاً ، كان يأمل فيها يبدو انه سيساوم بها ابنها المكرم ، بأن يُفرج عنها مقابل تعهده بعدم محاولة استعادة نفوذه على تهامة ، وأن يترك لآل نجاح حكمهم عليها كحق شرعي لهم عليها ، وذلك في حالة خروجه من المحنة واحتفاظه بملكه ، ولم تتغلب عليه القوى المختلفة التي ثارت عليه في اماكن كثيرة من اليمن بعد مقتل ابيه .

وقد أشاد شعراء آل نجاح بالحادث ومنهم الشاعر العثماني حيث انشأ قصيدة جاء منها قوله :

نكرت مطلته عليه فلم ترح	إلا على الملك الأجل سعيدها
سود الأراقم قابلت اسد الشرى	وارحمتا لأسودها من سودها
ما كان اقبح وجهه في ظلها	ما كان أحسن رأسه في عودها

هذا وكان الملك (أبو الحسن الصليحي) حين جاءه كتاب واليه على زبيد (أسعد بن عراف)[٢٦] يخبره بخروج سعيد الأحول من جزيرة دهلك مع مجموعة من فرسانه وبني عمه لقتله ، قد أرسل خمسمائة حربة من عبيده الأحباش وأولياء نعمته ليتصدوا لسعيد الأحول وقال لهم : « خذوا رأس الأحول وأخيه جياش » ولكن عبيد أبي الحسن الصليحي اختلفوا مع سعيد الأحول ورجاله في الطريق ، أو انهم تعاطفوا معهم وهم ابناء

---

(٢٦) وقد علمنا أن والي زبيد (اسعد بن شهاب) كان قد توفي في عام (٤٥٧ هـ .)

عمومتهم وجنسهم (على اختلاف في روايات المؤرخين) وتمكن (سعيد الأحول بن نجاح) ورجاله من الوصول الى معسكر أبي الحسن الصليحي ، والى مخيمه وقتله باستثناء زوجته اسماء بنت شهاب ، وكان حرس الصليحي القليلون يعتقدون ان الأحول ومن معه هم من عسكر الصليحي الأحباش (ولا حذر من قدر) .

ولقد روى قصة الحادث الأمير (جياش بن نجاح) في تاريخه (المفيد) : كما حكى ذلك عنه (الخزرجي) في تاريخه (العسجد المسبوك) (نسخة) (دار الكتب المصرية) (مخطوطة) حيث قال : « وسرنا في طريق الساحل خوفاً من العسكر فكتب (اسعد بن شهاب) (صوابه أسعد ابن عرّاف) عامل الصليحي على زبيد) من زبيد الى الصليحي يعلمه بخروجنا وعددنا ، فسيّر الصليحي من ركبانه خمسمائة حربة من الحبشة ، وأكثرهم من مماليكنا وبني عمنا ، وقال : (خذوا رأس الأحول ورأس أخيه) فخالفناهم في الطريق ، ولم نزل نجد السير ليلاً ونهاراً الى ان دخلنا طرف المخيم والناس يظنون انّا من جملة عسكره وحواشيه ، ولم يشعر بأمرنا إلا (عبد الله بن محمد الصليحي) فإنه ركب فرسه وقال : (يا مولانا اركب ، فهذا والله الأحول بن نجاح العدو الذي جاءنا به كتاب اسعد البارحة من زبيد) وكان علي بن محمد الصليحي قد دخل الخلاء ، وكنت أول من طعنه ، وشركني فيه عبد الملك بن نجاح بطعنة أخرى ، وحززت رأسه بيدي ، وركبت فرسه المسمى بالدنان ، وحمل فينا أخوه (عبد الله بن محمد) وكان فارس العرب ، وقتل منا رجالاً ، ثم حمل عليه رجل منا وسقط معه الى الأرض ، ونادى صاحبنا اقتلوني أنا والرجل ، فشكهما الملك سعيد الأحول بحربته ، وضرب رأس عبد الله وهو يظنه علي بن محمد الصليحي ، ووقف الأسرى امامه على باب المجلس الذي فيه السيدة اسماء بنت شهاب ، وقال : اخرجي صبحي على السلاطين ، فقالت : لا صبحك الله يا احول بخير ، ثم ابدت وجهها وانشدت قول امرىء

القيس :

وإنك لم يفخر عليك كفاخر[٢٧] ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

وأضاف الخزرجي متابعاً حكاية القصة عن جياش فقال : « وعزّت نفس سعيد من يومئذٍ وشمخ بانفه عليَّ وأنا ابن ابيه وأمه ، وذلك اني اشرت عليه بأن يحسن للسيدة اسماء بنت شهاب ، وأن يعفو عمن قدر من (آل الصليحي) وغيرهم من ابناء الملوك ، وأن يكتب الى ولدها المكرم : إنا قد أدركنا ثأرنا واسترجعنا ملكنا ، وقد أحسنّا وتجملنا اليك بصيانة والدتك والعفو عن بني عمك ، وقلت له لئن فعلت ذلك يا مولانا ما نازعتك قحطان في ملك تهامة ، ولئن كرهت ذلك لتهيجنّ حفائظها ، وتلظينّ بنارها ، فإنهم أهل نفوس أبية وهمم عربية ، فأجابني بقول الشاعر[٢٨] :

لا تقطعن ذنب الأفعى وتتركها إن كنت شهماً فأتبع رأسها الذنبا

وقتل من ظفر منهم ، إلا ثلاثة منهم فلم يقتلهم،وهم : (كما حكى ذلك الجندي في تاريخه (السلوك) (مخطوط) : (وائل بن عيسى) صاحب وحاظة ، و(علي بن معن) صاحب عدن ، و(ابن الكرندي)

---

(٢٧) اي انك ضعيف ، والضعيف اذا قدر فإنه يهلك المقدور عليه ، لأنه يخشاه اذا تركه ، وكذلك اذا فخر الضعيف تجاوز قدره .

(٢٨) البيت لأبي اذينة يحرض به الأسود بن المنذر اللخمي على قتل آل غسان الذين قتلوا اخاه وأولها :

ما كل يوم ينال المرء ما طلبا ولا يسوغه المقدور ما وهبا
وأحزم الناس ما ان فرصة عرضت لم يجعل السبب الموصول منقضبا
وانصف الناس في كل المواطن من سقى الأعادي بالكأس الذي شربا
وليس يظلمهم من راح يضربهم بحد سيف به من قبله ضُربا
والعفو إلا عن الأكفاء مكرمة من قال غير الذي قد قلته كذبا

صاحب المعافر ، وقد رثى ابا الحسن الصليحي الشاعر (عمرو بن يحيى الهيثمي) بقصيدة جاء فيها قوله :

وانشأ الحج إلى مكة	يبغي رضى الله وآل البتول
وارتجت الأرض له خيفة	بمن بها بين فرات ونيل
وقام بالجيش وأضرابه	شم العرانين كرام الأصول
فصار في المهجم في عصبة	من قومه غالته دهياء غول
كالليث في الغابة دبت له	رقطاء ليلاً ذات شخص ضئيل
فإن يكن نيل على غرة	فالبدر لا بدّ له من أفول

كما رثته اخته الحرة الزكية السيدة تحفة بنت محمد الصليحي بقصيدة قالها الشاعر (الحسين بن علي القم) على لسانها جاء منها :

رزئت من الأملاك كل متوج	كثير غبار الجيش طلاع انجد
ابكي علياً أم أخاه الذي فدا	وأكرم مفدي هناك ومفتدي
أم الثالث اللاقي الحراب بنحره	وقد نهلت من كل أغيد اصيد
فلله اسد صرعت بثعالب	ولله احرار أذلت بأعبد
ملوك ترى الأملاك حول دسوتهم	صفوفاً عكوفاً من قيام وسُجّد

نظرة عامّة في عهد ابي الحسن علي بن محمد الصليحي

اتّسم عهد الملك ابي الحسن (علي بن محمد الصليحي) وهو العهد الذي لم يتجاوز العشرين عاماً بخصائص أهمها :

١ - الإستقلال السياسي الكامل عن العباسيين والفاطميين إلا من انتماء مذهبي بالإمام المستنصر الفاطمي (معد بن الطاهر) ، وفاء للعقيدة الإسماعيلية التي اعتنقها ، ولإضفاء الصبغة الشرعية على حكمه ، ولم يكن مع ذلك يحمل اتاوة سنوية للإمام المذكور ، بل كان يكتفي بارسال الهدايا بين الحين والآخر ، وفي المناسبات ، وكان يدعو له في خطبة

وينقش اسمه في النقود التي يسكها قبل اسمه .

٢ ـ الوحدة اليمنية الشاملة ، وقد أدى الى تحقيقها تفكك اليمن عند قيامه ، وتجزؤه الى سلطنات وامارات ومشيخات متنافرة استطاع أبو الحسن ان يخضعها الواحدة تلو الأخرى ، وأن يصنع منها جميعها دولة واحدة وشعباً يمنياً موحداً في ظل راية يمنية واحدة .

كما ساعده على تحقيق الوحدة اليمنية إقامة حكمه على العدل بالرعية والحزم مع الولاة ، الذين كان يجمعهم بين الحين والآخر وينذرهم ويتوعدهم إن حادوا عن الطريق السوي الذي رسمه لهم كما عرفنا كثيراً من نصوص خطبه في العديد من المؤتمرات التي كان يقيمها بين الفترة والأخرى ، وفي رسائله التي كان يبعثها في بداية دعوته وأثنائها .

٣ ـ الحرية المذهبية التي ضمنها عهده للناس وتسامحه مع المخالفين لمذهبه الشيعي وعدم اكراه احد على اعتناق مذهبه ، بل لقد كان يقرب علماء السنة كما يقرب علماء مذهبه ، ولكنه كان يحث ولاته ودعاته على الاجتهاد بنشر الدعوة الاسماعيلية في مناطق ولاياتهم ودعوتهم .

٤ ـ اقامة الشريعة ونصرة الحق ، وقد كان يحسن اختيار القضاة الشرعيين كما يحسن اختيار الولاة .

٥ ـ الرخاء والخصب نتيجة استتباب الأمن والاستقرار ، فرخصت الأسعار وأمنت السبل ، والتف حوله كل اليمنيين وكل ملوك اليمن وسلاطينه وزعمائه رغبة ورهبة ، وكان قد بنى لهم قصوراً في صنعاء اسكنهم فيها ، ولم يحدث احد نفسه ان يخرج عن طاعته ، وازدهر الأدب والشعر في عهده ، ونبغ فيه شعراء وبلغاء ، لأنه كان يشجعهم ويجزل لهم العطاء ، على اعتبار ان الشعر سلاح ماض في يد الدولة لا يقل عن سلاح الحرب ، ومن أولئك الشعراء الذين نبغوا في عهده (عمرو بن يحيى بن أبي الغارات الهيثمي) و(الحسين بن علي بن القم) و(الحسين

أبن ابي عقامة) ، وكان أبو الحسن الصليحي يتحلى بخلال عبر عنها الشاعر (عمرو بن يحيى الهيثمي) المذكور بقوله :

الحزم قبل العزم فاحزم واعزم ... واذا استبان لك الصواب فصمم
واستعمل الرفق الذي هو مكسب ... يذكي القلوب وجد واجمل واحلم
وأحرس وصن واشجع وصُل وامتن وصِل ... واعدل وانصف وارع واحفظ وارحم
واذا وعدت فَعِد بما تقوى ... على انجازه واذا صنعت فتمم

وكان هو يقرض الشعر ولكن عظم المسؤولية الملقاة على عاتقه حالت بينه وبين قرض الشعر كثيراً ، ومن شعره قوله :

انكحت بيض الهند سمر رماحهم ... فرؤسهم عوض النثار نثار
وكذا العلا لا يستباح نكاحها ... إلا بحيث تطلق الأعمار

وقوله :

وألذ من لثم الغواني عنده ... في الحرب الجم يا غلام واسرج
خيل بأعلى حضرموت عالها ... وصهيلها بين العراق ومنبج

المكرم احمد بن علي الصليحي والظروف التي واجهته بعد مقتل ابيه

ولقد خلف الملك ابا الحسن علي بن محمد الصليحي بعد مقتله ولده المكرم (احمد بن علي الصليحي) وواجهته صعوبات بعد مقتل ابيه ، ووقوع أمه في اسر سعيد الأحول بن نجاح نعرض لها بشيء من التفصيل حتى يُعذر في تأخير فك اسر امه من الأسر عاماً كاملاً ، وملخصها :

إن ثورات عديدة قامت ضد الدولة الصليحية بعد مقتل (ابي الحسن الصليحي) كادت تقضي على صرح الدولة وحتى احاطت بالمكرم حول العاصمة صنعاء على قلة انصاره الذين الى جانبه وضآلة جيشه ، لأن اليمنين لم يألفوا حكماً مركزياً يشمل اليمن جميعه في العهد الإسلامي دون تململ واضطراب

إلا في فترة صدر الاسلام .

ولمّا استولى (علي بن محمد الصليحي) على الحكم واخضع كل امراء وملوك اليمن ، وكل زعاماته المحلية ، وحدد مع ذلك اقامتهم جميعاً في صنعاء رضخوا لحكمه على مضض ، وظلوا يترقبون الفرصة للخروج عليه ، والعودة الى استقلال كل منهم بمنطقة نفوذه .

وما ان قتل حتى تنفس الصعداء من افلت من ملوك اليمن وزعمائها من قبضة (سعيد الأحول) الذين كان الصليحي قد استصحبهم معه للحج ، وعاد الى بلده واشعل فيها الثورة على المكرم ، وسقطت المعاقل والحصون كلها في أيدي الثائرين ولم يبق منها في ايدي الصليحيين أو على ولائها لهم إلا حصن التعكر في مخلاف جعفر بلواء اب ، وكان مع ذلك محاصراً من قبل (آل نجاح) والأحصن مسور حجة وحصن مسار ببلاد (حراز) وهما المركزان الهامان اللذان انطلقت منها الدعوة الفاطمية الأولى والثانية في اليمن ، وحصن كحلان بريم ، وحصن هران في بلاد ذمار ، وكانت جميعها مع ذلك محاصرة من قبل الثائرين اليمنيين من عنس وزبيد (بضم الزاي وفتح الباء) ، ويحصب وغيرها ، كما امتدت عدوى الثورة الى صنعاء نفسها واحاطت بها .

ولم يكن الى جانب المكرم في صنعاء إلا جماعة قليلة من أعيان دولته ، ومن جيشه ذكر انهم لا يتجاوزون الستمائة مقاتل ، أغلبهم من اليامين والسنحانيين ، الذين كانوا يُعرفونهم بالحجازيين ، من الهمدانيين عشيرة الصليحيين .

ولكن المكرم استجمع قواه وشرع بتنظيم قواته وتثبيت من حوله على الصمود ، واستطاع أولاً ان يرفع الحصار عن صنعاء ، وفي اثناء ذلك عاد اليه عدد من كبار رجال الدولة الصليحية وقادتها بعد نجاتهم من حادث مقتل ابي الحسن علي بن محمد الصليحي ، ومنهم : (عامر بن سليمان الزواحي) و(مدافع بن حسن الجنبي) و(عمران بن الفضل اليامي) و(الحسن بن عمر

السنحاني) وغيرهم ممن كانوا بصحبة أبي الحسن في طريقهم للحج ، وبعد مشقة كبيرة لاقاها العائدون من الثائرين اليمنيين وهم في طريق عودتهم الى صنعاء ، وكان فرح الملك المكرم بهم عظيماً .

وقد تعاهدوا فور عودتهم اليه ان لا يطلبوا منه ديناراً واحداً حتى يظفروا بالعبيد (آل نجاح) ويأخذوا بالثأر منهم وينقذوا اسماء بنت شهاب من اسرهم ، ويعيدوا صرح الدولة الصليحية شامخاً وعلى نحو ما كان عليه ، ومن ثمة حشد المكرم جموعه وجهزها لإخضاع الخارجين عليه في مختلف مناطق اليمن ، وقد استغرق ذلك عاماً كاملاً ، وهو العام الذي لم يتمكن فيه من فك اسر أمه (اسماء) وذلك هو المبرر لتأخير فك اسرها طيلة العام .

ومن أهم الحروب التي قام بها المكرم قبل انقاذ امه من الأسر ، الحرب التي جنّد لها جيشاً بقيادة (عامر بن سليمان الزواحي) و(احمد بن المظفر الصليحي) والد الملك (سبأ) مع الإمام (حمزة بن أبي هاشم) والتي اسفرت عن مقتله في (وادي الملوى) من بلاد ارحب بعد انهزام جيشه في الثاني والعشرين من شهر ذي الحجة من عام (٤٥٩ هـ) وغيرها من المعارك التي قامت في بكيل ، وفي ذي اشرق من مخلاف جعفر في المنطقة الوسطى بين جيش المكرم وآل نجاح الذين كانوا قد تمركزوا فيها .

وفي اثناء العام المذكور وصل الى اليمن القاضي (لمك[٢٩] بن مالك الحمادي)عائداً من مصر يحمل مرسوماً من الإمام (المستنصر معد الفاطمي) يقضي بتعيين المكرم ملكاً خلفاً لابيه ، وبتكليفه أي القاضي لمك بالإضطلاع بأعباء الدعوة الفاطمية في اليمن ، الأمر الذي أيد جانب الملك المكرم وأتاح له

---

(٢٩) وكان القاضي لمك الحمادي يشغل منصب قاضي القضاة في عهد ابي الحسن الصليحي ، ويبدو انه عزم الى مصر في مهمة لأبي الحسن الصليحي فأبقاه الإمام المستنصر في مصر خمس سنوات ثم اعاده الى اليمن بعد مقتل أبي الحسن يحمل مرسوم الولاية للمكرم ومرسوم القيام بالدعوة له كما عرفنا .

فرصة التفرغ لإعادة نفوذ الدولة وإدارة شؤونها ، وقد ركّز باديء ذي بدء على انقاذ امه من اسر سعيد الأحول الذي كان فيما يبدو يهدف من وراء استمرار اسرها في زبيد الى المساومة بها مع ولدها المكرم لضمان عدم محاولته استعادة زبيد وذلك مقابل الإفراج عنها .

وبينما المكرم يُعدُّ العدة لإنقاذ امه وغسل العار عن العرب وعن الدولة الصليحية إذْ وصلته رسالة أمه التي تحثه فيها على سرعة انقاذها ، فجمع المكرم رؤساء القبائل الموالية له واعيان دولته وخاصته وعرض عليهم الرسالة فأخذتهم الحمية وأعلنوا عزمهم على السير معه لإنقاذها واستعادة زبيد وتهامة وطرد الأحباش آل نجاح منها ، وأتمّ المكرم استعداده ثم تحرك بثلاثة آلاف فارس نحو زبيد ، وما زال اثناء مسيرته هذه يخطب فرسانه وينذرهم بأنهم قادمون على الموت ويكرر عليهم قوله : « من اراد أن يرجع فليرجع » ، وقوله : « من يرغب في الحياة فلا يكون معنا » .

ولّما دخل بهم ارض تهامة خطب فيهم حاثاً لهم على الثبات ومما قاله لهم : « ايها المؤمنون انّ عزائمكم لو تجسدت حديداً لكنت قد أرهفته ، ولست ازيدكم غير ما سمعتموه بالأمس وما سمعتموه قبله ، وفيما قلته كفاية ، وقد كنت أعرض عليكم الرجوع وفي المسافة امكان ، امّا اليوم فقد صار الخيار لعدوكم ، لأنكم توغلتم عليه خيسته[٣٠] ، وإنما هو الموت أو العار بفرار لا يجدي » ثم انشد قول المتنبي :

وأوردنفسي والمهند في يدي ... موارد لا يصدرن من لا يجالد

وكان المكرم قد القى هذا الخطاب الأخير بمسجد التربية خارج مدينة زبيد بعد صلاة الفجر في يوم المعركة الفاصلة ، ثم واصل تقدمه نحو زبيد ، معطياً اثنين من قرابته قيادة الميمنة والميسرة قائلاً لهما : « إنكما لستما كأحد من

---

(٣٠) الخيسة بيت الأسد وعرينة .

الناس ، وقاد هو القلب من الجيش ، وكان شجاعاً مقداماً في الحرب ، ولما دنا من باب الشبارق (الباب الشرقي لزبيد) خرج (سعيد الأحول بن نجاح) على رأس جموعه التي تفوق جيش المكرم لمنازلته ، واحتدم الجيشان ، وبعد قتال شديد قام بينهما انهزم الأحول وجيشه ، وركب الاحول مع عدد من امراء آل نجاح خيلاً لهم كانوا قد اعدوها في باب النخل (الباب الغربي لزبيد) من جهة الساحل ، وواصلوا انسحابهم نحو الساحل ، وفيه ركبوا مراكب بحرية كانوا قد أعدوها كذلك الى جزيرة (دهلك) في البحر الأحمر مقابل اريتريا .

أمّا المكرم فإنه دخل زبيد ظافراً مكللاً بغار النصر ، على قلة جنوده بالنسبة لجموع خصمه ، وكان ذلك في يوم الأثنين التاسع والعشرين من شهر صفر من عام(٤٦١ هـ) وفور دخوله اليها امر منادياً ينادي برفع السيف وايقاف القتال واطلاق الأسرى من العبيد ، ثم قصد (دار شحار)[٣١] التي كانت تقيم والدته اسيرة فيها ، وحينما وقف تحت نافذة غرفتها سلم عليها ، فردت السلام عليه ، ثم قالت : من انت ؟ فقال : احمد بن علي ، فقالت له : إن احمد بن علي في العرب كثير ، فرفع المغفر عن وجهه وهو يتصبب عرقاً فقالت : مرحباً بمولانا المكرم ، من كان مجيئه كمجيئك فما اخطأ ولا ابطأ : وأصابت الريح بشرة وجهه واختلجت من يومئذ .

ثم اقام في زبيد أياماً قرر قواعد تهامة فيها ، وولى على زبيد خاله (مالك ابن شهاب) أو (اسعد بن عراف) على اختلاف في روايات المؤرخين ثم عاد الى صنعاء كما سيأتي .

ولقد اشاد شعراء الدولة الصليحية بالحادث بغرر قصائدهم ، ومنهم الشاعر (عمرو بن يحيى الهيثمي) وجاء من قصيدة له بالمناسبة قوله :

أوبة اسماء الى قصرها بعد فراق الملك الأوحد

---

(٣١) نسبة الى شحار بن جعفر مولى ابن زياد ، ولعل الدار طابق واحد على عادة أهل زبيد تمكن المكرم من مخاطبة امه من تحت نافذتها .

وبعد عوصاء الخطوب التي رمت بني قحطان بالمؤبد[٣٢]
كرجعة الشمس وقد جنها دجى وسربال دجى أسود
فيا لها من نعمة اصلها بأس ابنها باني العلا احمد

وكان الشعراء قبل ذلك قد اسهموا في اثارة مشاعر العرب وحركوا فيهم العنصرية القائمة بينهم وبين (آل نجاح) الأحباش للأخذ بالثأر لمقتل ابي الحسن الصليحي وانقاذ (اسماء بنت شهاب) ومن أولئك الشعراء الأديب (الحسين ابن علي القم) ومن شعره في ذلك قوله :

لقحطان هزي البيض واعتنقي السمرا وروّي العوالي من دماء العدى حمرا

ومنها قوله :

ولا تهدري ثأر المظفر انه بنى لكمو مجداً وشاد لكم فخرا
سرى نحو بيت الله لله قاصداً يروم من الله المثوبة والأجرا

كما اشادت العامة بحادث انقاذ اسماء وصار محل اعجابهم واكبارهم . قال عمارة[٣٣] في تاريخه :«أدركت أهل زبيد اذا شتم الرجل الرجل قال له : أتشتم الرجل ؟ فيجيبه الآخر : الرجل من فكّ اسر أُمه وقتل دونها عشرة آلاف رجل » .

وقد غادر المكرم مع امه (اسماء بنت شهاب) زبيد قاصداً صنعاء في الثاني عشر من شهر ربيع الأول من عام (٤٦١ هـ) يحثه على مواصلة السير اليها ما وصله من نائبه في صنعاء (اسماعيل بن أبي يعفر الصليحي) والذي اعلمه فيه بخروج (قاسم بن جعفر بن قاسم العياني) في بلاد أرحب ، وأنه أي نائبه المذكور مريض ، وان حامية صنعاء من الحجازيين يعني (اليامين والسنحانيين أهل نجران وصعدة) مختلفون فيما بينهم .

---

(٣٢) المؤبد الداهية الشديدة .

(٣٣) المفيد في تاريخ اليمن ص ١٣١ .

ووصل المكرم صنعاء في الثاني والعشرين من الشهر المذكور ، ومنها تحرك على رأس قواته نحو بلاد أرحب ، وأضطرّ العياني الى الانسحاب منها ، ثم اصلح المكرم ما كان قد أفسده العياني عليه في قبائل (ذيبان) و(آل الدعام) من بلاد أرحب ، وقدّم له كبراؤهم الولاء ، وقربهم هو واحسن اليهم .

ثم تحرك نحو بلاد المغارب في لواء حجة لاصلاحها ، وقطع دابر الفساد فيها واصلحها ، ثم تحول الى بلاد عنس وواصل منها تقدمه حتى بلاد الشعر ، وكان يمنح عفوه كل من يلتمسه منه ، ومنهم (أبو عبد الله الحسين التبعي) سلطان الشِعر ويعدان ومخلاف الشواقي في بلاد اب، ثم عاد الى صنعاء في اليوم السابع من شهر شعبان من عام (٤٦١) للهجرة .

مقتل سعيد الأحول بن نجاح

ومنذ عودة المكرم الى صنعاء أخذ يستعد للأخذ بثأر ابيه من (سعيد الأحول بن نجاح) الذي(٣٤) كان قد تمكن من العودة الى بلاد زبيد وحكمها بعد طرد ولاة الملك المكرم منها ، حتى عام (٤٨١ هـ) حيث عملت الملكة اروى بنت احمد الصليحي في العام المذكور وفي حياة زوجها الملك المكرم الحيلة مع سلطان الشعر (ابي عبد الله الحسين التُبَعي) لاستدراجه الى بلاد الشعر بأن أوعزت اليه بأن يراسل (سعيد الأحول) ويؤكد له ولاءه له وضرورة تحركه بجيوشه من زبيد لبسط نفوذه في مخلاف جعفر بحجة عجز المكرم بسبب اصابته بالفالج وأن الأمر اصبح بيد زوجته أروى ، ووعده بمساندته في حربه مع الصليحيين .

ولما غادر سعيد الأحول زبيد قاصداً بلاد الشعر امرت الملكة أروى نائبي الدولة الصليحية في صنعاء (عمران بن الفضل اليامي) و(مالك بن شهاب) بأن يخلفاه على زبيد ، ثم أطبقت جيوش الدولة الصليحية عليه في بلاد الشعر

---

(٣٤) العسجد المسبوك للخزرجي من ص ٣٨ منشور وزارة الاعلام والثقافة .

وقامت معارك بين الجانبين اسفرت عن انهزام جيش الأحول وفراره هو ولكنه ادرك في عزلة بني الحارث عند قرية (مابه) من العزلة المذكورة المتصلة بجبل الشعر ، وقُتل حيث أدرك وذلك في عام (٤٨٢ هـ) وجيء برأسه الى المكرم الذي قاد المعركة بنفسه في بعض روايات المؤرخين . وعاد الى زبيد بأم المعارك زوجة الأحول اسيرة ، واعتقلها فترةً ناصباً رأس زوجها أمام نافذتها كما فعل هو عند اسر اسماء بنت شهاب بعد مقتل زوجها (أبي الحسن علي بن محمد الصليحي) .

وذكر ان الملكة أروى قالت بعد قتل الأحول ونصب رأسه أمام نافذة زوجته اثناء أسرها : « ليت لاسماء عينين تشهدان هذا » .

ثم ولي المكرم على زبيد واعمالها (سبأ بن أحمد الصليحي) وعاد هو الى صنعاء .

أمّا (جياش بن نجاح) فإنه فرّ بعد مقتل اخيه سعيد الأحول بن نجاح الى الهند .

السيدة اروي بنت أحمد الصليحي

كان[٣٥] اهل اليمن يخاطبونها بلقب (سيدتنا الحرة الملكة) حباً واجلالاً لها ، أما اسمها فهو (اروى) بنت أحمد بن محمد بن القاسم الصليحي ، وأضاف المصدر في حاشيته قائلاً : « وقد اشتهرت باسم (سيدة) ، والواقع ان اسمها (اروى) ، وقد ذكر عمارة (كاي ١٦) اسمها وهو الحرة الملكة السيدة اروى بنت احمد الصليحي ، ويؤيد ذلك ما ذكره صاحب عيون الأخبار (٧ / ٢٠٣ - ٢٠٤) حيث قال : وكان عبد المجيد (يعني الإمام الحافظ الفاطمي عبد المجيد) يكاتب الحرة الملكة قبل ذلك (من ولي عهد المسلمين بن عم امير المؤمنين) ثم كتب (من امير المؤمنين فقالت : أنا أروى بنت أحمد ،

---

(٣٥) الصليحيون والحركة الفاطمية ص ١٤٢ .

بالأمس من ولي عهد المسلمين واليوم امير المؤمنين ، لقد جرى في غير ميدانه ، الخ ، » وهو (وادعي امرأ يبعد عن مكانه) فالظاهر ان لفظة سيدة لقب للملكة وليس اسماً لها ولكنه أطلق عليه لكثرة استعماله لها » .

كما ذكرها المؤرخ (عبد الرحمن بن محمد الحبيشي الوصابي) فقال[٣٦] : « اسمها السيدة اروى بنت احمد الصليحي » وقد عاش المؤرخ المذكور في القرن السابع الهجري .

أما (عمارة) فقد عاصر الملكة اروى وأمّا ادريس بن علي بن عبد الله الحمزي مؤلف كتاب (عيون الأخبار) فقد توفي في عام (٤٧٣ هـ) وعليه فالتشكيك باسمها (أروى) والقول بأنه (السيدة) إنما جاء متأخراً .

وقد ولدت الملكة (أروى) في عام (٤٤٠ هـ) وقامت بتربيتها السيدة (أسماء بنت شهاب الصليحي) زوجة الملك (أبي الحسن علي بن محمد الصليحي) وذلك لوفاة والدها وهي طفلة ، ولاهتمام الملك (أبي الحسن الصليحي) بها ، فقد كان يقول للسيدة أسماء : « اكرميها فهي والله كافلة ذرارينا وحافظة هذا الأمر على من بقي منا » .

كما وصفت السيدة اروى في المصدر المذكور بأنها كانت على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة ، الى جانب ما تمتعت به من جمال الخلقة ، وكانت بيضاء مشربة بحمرة ، مديدة القامة ، معتدلة الجسم تميل الى السمنة ، كاملة المحاسن جهورية الصوت ، قارئة كاتبة حافظة للأخبار والأشعار والتواريخ وأيام العرب ، ولها تعليقات وهوامش على الكتب تدل على غزارة مادتها ، وكان يقال لها بلقيس الصغرى لرجاحة عقلها وحسن تدبيرها .

كما وصفها عماد الدين ادريس في كتابه (عيون الأخبار)[٣٧] بقوله :

---

(٣٦) في تاريخه ص ٣٨ .

(٣٧) الصليحيون والحركة الفاطمية ص ١٤٣ .

« وكانت امرأة فاضلة ذات نسك وورع وفضل وكمال عقل وعبادة وعلم ، تفوق الرجال فضلاً عن ربات الحجاب ، وتستحق ان تمدح بقول الشاعر :

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

وكانت مقصودة ممدوحة من الأدباء والشعراء ، وممن(٣٨) مدحها السلطان (الخطاب بن الحسن الحجوري) سلطان بلاد الجريب من بلاد حجور في لواء حجة (وكان لا يمدح غيرها)ومن قصائده فيها قصيدة مطلعها :

همم النفوس على النفوس مدارها وبها تبين كبارها وصغارها
واذا تفرس في الورى متفرس ببصيرة لاحت له اخبارها
إن النفوس فروع اجسام وما تبديه من همم النفوس ثمارها
وحباة افضلها اتقى إذ بالتقى تحوي، بها مما انتفت آثارها
كوحيدة الزمن الذي اضحى التقى وشعارها من محضه ودثارها
رضي الأئمة سعيها فتوطدت في الأرض دولته وقر قرارها
واذا الملوك أطاعت الرحمن لم تخذل وطالت في الورى أعمارها
وجرت لها بميامن وسعادة موصولة بدوامها اطيارها
أنتم بنو الأصلوح جوهر يعرب وسواكمو اصدافها ومحارها
ولأنتِ يا ابنة احمد تنميكِ من تلك اللآلىء الفائقات كبارها
انقذتِ من اثم الضلالة أهلها كانوا بها طامٍ بها تيّارها

وممن مدحها الأديب الكبير كاتب ديوان انشاء الدولة الصليحية (الحسين بن علي بن القم) ومن شعره في مدحها قصيدة منها :

أعلى الأنام أباً وأكرم طينةً وأتمُّ اعراقاً وأصلب عودا
لو كان يُعبَد للجلالة في الورى ملك لكانت ذلك المعبودا

---

(٣٨) نفس المصدر من ص ١٤٥ .

أو كـان في أثـوابهـا بلقيس مـا	هـابـت سـلـيـمـانـاً ولا داودا
واذا الـوفود تـأخـرت وفـدت عـطا	يـاهـا فـكـانـت لـلوفـود وفـودا
هي نعـمـة الله التي مـا مـاؤهـا	ثـمـد ولا معـروفـهـا مجـحـودا
هـي رحـمـة الله التي ما زال مـن	فـوق الـبـريـة ظـلها ممـدودا

وكان زوجها الملك المكرم يعتمد عليها في ادارة شؤون الدولة وتصريف امورها ، فانتقلت الى مدينة ذي جبلة واستعفته[٣٩] من نفسها وقالت له كلمتها المأثورة : (إن امرأة تُراد للفراش لا تصلح لتدبير الملك فدعني وما أنا بصُدده) ، واضطلعت بالمسؤولية على اكمل وجه في حياته وبعد وفاته ، مستعينة بذوي الكفاءات من اليمنيين والمصريين ، ويبدو انه قصر صلاحيتها على المنطقة الوسطى والمنطقة الجنوبية من اليمن ، وأقام هو في صنعاء مستعيناً كذلك بذوي الكفاءات ، وذلك بسبب اصابته بالفالج ، وكان نوابه في صنعاء (القاضي عمران بن الفضل اليامي) و(أبو السعود بن اسعد بن شهاب الصليحي) ، وكانا هما أيضاً مستشارين للسيدة اروى في الأمور الهامة التي تعرض لها في منطقة ولايتها ، ولما توفيت السيدة (أسماء بنت شهاب) والدة الملك (المكرم) قامت السيدة اروى بزيارته الى صنعاء واستطاعت أن تؤثر عليه بالانتقال الى مدينة جبلة ، فأقر النائبين المذكورين على نيابتهما عنه في صنعاء ، وكان قد اشتد به مرض الفالج الذي بدأ به في زبيد عند انقاذ امه من الأسر ، فحسن له اطباؤه الابتعاد عن الناس وعن الأشتغال بشؤونهم فانتقل الى حصن التعكر المطل على مدينة ذي جبلة ، ويذكر[٤٠] انه لم يقابل حتى نائبه القاضي عمران المذكور وان هذا انشأ حين لم يُؤذن له بالدخول عليه أبياتاًومنها قوله :

---

(٣٩) تاريخ عمارة حواشي كاي ص ٣٦ .

(٤٠) الصليحيون ص ١٣٨ .

أبـاب كليب انني لـك هـاجـر عـلى انـني داعٍ لمـولاك شـاكـر

وباب كليب هو احد ابواب القصر الذي كان يقيم فيه الملك المكرم في حصن التعكر .

هذا[41] وفي اثناء إقامة الملك المكرم في مدينـة جبلة امر ببنـاء دار العز الثانية والتي كانت في ما يعرف اليوم بحارة الدار وامرت الملكة اروى بهدم دار العز الأولى والبناء بأحجارها جامع ذي جبلة الكبير ، وقد هدم دار العز الثانية الملك المعز الأيوبي في عام(٥٩٤) للهجرة .

الملك سبأ بن احمد الصليحي

ولما[42] حضرت الملك المكـرم (احمد بن علي بن محمـد الصليحي) الوفاة ، أوصى بأن يخلفه في الدعوة والدولة (أبو حمير سبأ بن احمد بن المظفر الصليحي) وكانت وفاة الملك المكرم في عام (٤٨٤ هـ) ولم يكن له عند وفاته إلا ولدان ، هما محمد وعلي ، وكانا ما يزالان دون البلوغ ، فاقتصر نفوذ الملك (سبأ) على القسم الأعلى من اليمن ، واتخذ حصن (أشيح) (حصن ظفار في مخلاف بني سويد من بلاد آنس) مقراً له ، وأناب عنه في صنعـاء نائب الملك المكرم عليها (القاضي عمران بن الفضل اليامي) .

بينما احتفظت الملكـة (اروى بنت أحمد الصليحي) بنفـوذها عـلى مـا بنظرها وتحت ولايتهامن عهد الملك المكرم في المنطقةالوسطى والمنطقة الجنوبية من اليمن و(تهامة) إلاّ أنّ عدن وأعمالها كان نوابها عليها (آل زريع) منذ ولاهم المكرم عليها خلفاً لـ (آل معن) ، وكان آل زريع يرفعون خراجها اليها ، لأن الملك علي بن محمد الصليحي جعل خراج عدن صداقاً لها حين زوجها بـابنه الملك المكرم كما علمنا .

---

(٤١) الخزرجي في العسجد ص ٦٢ .

(٤٢) الصليحيون ص ١٤٨ .

وقد[43] أخفت الملكة أروى وفاة زوجها المكرم حتى استصدرت امراً من الإمام المستنصر الفاطمي قلد فيه ابنها الأمير علي بن المكرم امر الدعوة والدولة خلفاً لأبيه ، وكان عمره آنذاك لم يتجاوز العشر سنوات .

وبعث الإمام المستنصر بمرسوم الولاية مع الأمير (أبي الحسن جوهر المستنصري) مؤرخاً بشهر ربيع الأول من عام (٤٨٤ هـ) وامر الإمام فيه اخاه (محمد بن المكرم) وجميع السلاطين والمقدمين والمؤمنين بل والحرة الملكة نفسها بوجوب طاعة الملك (علي) والامتثال لأوامره ، ثم تابع الإمام المستنصر سجلاته بتأييد الملك علي .

وقد[44] هدف الإمام المستنصر من ذلك الى الحفاظ على مبدأ الوراثة في الملك ، كما هو الحال في نظام الأئمة الفاطميين في مصر ، ولمنع قيام صراع بين الأسرة الصليحية في اليمن ، ولما يعلمه من كفاءة الملكة (أروى) والدة الملك (علي بن المكرم) التي يعلم الإمام بأنها هي التي ستضطلع بشؤون الدولة لصغر سن الملك علي المذكور ، حتى يبلغ ويتمكن من الإضطلاع بشؤونها .

وحرصاً من الملكة نفسها على توحيد شمل الأسرة وللحيلولة دون قيام النزاع والخلاف فيها اسندت امر النيابة العامة الى الملك (سبأ بن احمد الصليحي) الى جانب ما بنظره ، وقبل الملك سبأ الأمر على مضض ، واضطلع بمسؤولية النيابة ودخل في حرب مع آل نجاح كما سنعلم .

ولما توفي الطفلان محمد وعلي ابنا المكرم عاد الملك سبأ الى المطالبة بحقه الشرعي ، في تولي امور الدولة والدعوة فلم تمكنه الملكة اروى ، واضطلعت هي بمسؤولية ما بنظرها ، وقصرت نفوذه على ما بنظره في القسم الأعلى ، الأمر[45] الذي حمله على ان يتخذ وسيلة اخرى لاستيلائه على جميع اجزاء

(٤٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤٤) نفس المصدر ص ١٥٠ .

(٤٥) نفس المصدر والصفحة ايضاً .

المملكة بأن طلب يدها للنكاح ظاناً موافقتها ، مع علمه بأنها استعفت زوجها المكرم في حياته وقالت له كلمتها المأثورة : « إن امرأة تُرَاد للفراش لا تصلح لتدبير الملك فدعني وما أنا بصدده » وإنها تركته في صنعاء وانتقلت الى ذي جبلة لإدارة شؤون المنطقة الوسطى والمنطقة الجنوبية .

وقامت مناوشة بين الملك سبأ والملكة أروى بسبب امتناعها عن اجابة طلبه كادت تفضي الى الحرب ، بل لقد[46] افضت اليها فعلاً واقتتلا أياماً ، ولكن[47] الأمير (عامر بن سليمان الزواحي) أخاها لأمها تدخل بينهما ، واستطاع ان يقنع الملك سبأ بالكف عن تحقيق محاولته بالقوة دون جدوى ، وأن يستصدر امراً من الإمام المستنصر فعاد الملك سبأ الى مقره في حصن اشيح ، ومنه بعث الى الخليفة المستنصر الى مصر وفداً مكوناًمن (القاضي حسين بن احمد بن اسماعيل الأصبهاني) و(أبي عبد الله الطيب) يطلب امره بذلك ، وعاد المبعوثان ومعهما الأستاذ حامل الدواة (عين الدولة) برسالة الى الملكة (أروى) بأمرها الخليفة فيها بقبول خطبة الملك سبأ ، ومما جاء في الرسالة ما نصه : « امير المؤمنين يرد السلام على الحرة الملكة السيدة الرضية الزكية ، وحيدة الزمن ، سيدة ملوك اليمن عمدة الإسلام ذخيرة الدين ، عصمة المسترشدين ، كهف المستنجدين ، ولية امير المؤمنين وكافة اوليائه الميامين ، ويقول لها : ﴿ **ما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امراً ان يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً** ﴾ .

وقد زوجك امير المؤمنين من الداعي الأوحد ، المنصور المظفر ، عمدة الخلافة امير الأمراء (أبي حمير سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي) على ما حضر من المال ، وهو مائة الف دينار عيناً ، وخمسون أصنافاًمن تحف وكساوى ، »

---

(٤٦) الخزرجي في العسجد المسبوك ص ٦٤ .

(٤٧) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ١٥٧ .

وقد[48] ذكر الخزرجي نص رسالة الإمام هذه وأضاف ان الملكة أروى اجابت على ذلك بقولها : اما كتابُ مولانا وأمره فلا أقول فيه إلا :

إني ألقي إليّ بكتاب كريم   وانه بسم الله الرحمن الرحيم

(مبالغة في تعظيمها لكتاب الإمام) ولا أقول فيه : (يا أيها الملأ افتوني في امري ، ما كنت قاطعة امراً حتى تشهدون) وأما انت يا ابن الأصبهاني (تخاطب احد مبعوثي الملك سبأ) (فوالله ما جئت مولانا من سبأ بنبأ يقين) ، ولقد حرفتما القول عن مواضعه ، وسولت لكما انفسكما امراً فصبر جميل ، والله المستعان على ماتصفون) .

ثم[49] تقدم اليها وزيرها (زريع بن أبي الفتوح) والقاضي الأصبهاني واعيان دولتها ولاطفوها حتى وافقت على اجراء عقد النكاح لها بسبأ بن احمد ، ووصل هذا الى مدينة جبلة ، وأولمت الملكة اروى له ولمن معه ولائم كبيرة ولم تزف اليه .

ولما آيس منها بعث اليها يستأذنها الاجتماع بها ليلة واحدة ثم يغادر جبلة صبيحتها الى مقره في آنس ، فأذنت له ، ولما طلع صبح تلك الليلة امر بضرب الطبول إيذاناً بالسفر .

على[50] ان عمارة في تاريخه ذكر ان قوماً ذكروا بأن السيدة اروى انما بعثت اليه جارية تشبهها ، وان الجارية باتت واقفة على رأسه وهو جالس لا يرفع طرفه اليها ، حتى اذا طلع الفجر صلى وامر بضرب الطبول ، وقال للجارية : اعلمي مولاتك انها نطفة شريفة لا توضع إلا في مستحقها . ثم عاد الى مقره في اشيح آنس ولم يجتمعا بعد .

---

(48) في العسجد المسبوك ص ٦٥ .

(49) لم يعرف زريع بن أبي الفتوح وانما عرف اسعد لابن ابي الفتوح ولعل فترة وزارة زريع كانت وجيزة .

(50) منشور الدكتور حسن سليمان حواشي كاي ص ٦٩ .

هذا وما ذهب اليه المؤرخون من ان طلب الملك (سبأ بن احمد) يد الملكة أروى بنت أحمد هو لغاية النكاح ولغايته وحده لا يبرره ما ادى اليه امتناعها عن اجابة طلبه من استعداد للحرب ومناوشة كادت تفضي اليها ان لم تكن الحرب قد حدثت فعلاً كما ذكرت رواية الخزرجي مع علمه بأنها استعفت زوجها المكرم وقالت له كلمتها المأثورة : « إن امرأة تراد للفراش لا تصلح لتدبير الملك فدعني وما أنا بصدده » وتركته في صنعاء وانتقلت هي الى جبلة كما سبق .

والتفسير المقبول لذلك الطلب وهو الذي يتناسب مع ظروف القضية وحوادثها (وهو ما اشرت اليه في بداية بحث الموضوع) هو ان الملك سبأ بن أحمد إنما طلب النكاح وسيلة للاستيلاء على جميع شؤون الدولة الصليحية والدعوة الفاطمية في كافة انحاء المملكة ، لأن ما كان بنظرها لم يكن له نفوذ عليه كما عرفنا .

علماً بأن أصحاب الطموحات الواسعة ينتهجون مختلف السبل لتحقيق غاياتهم .

ميزة حكومة الملكة أروى بنت أحمد الصليحي

امتازت حكومة الملكة أروى بنت أحمد الصليحي بأمور كثيرة اهمها :

١ ـ الاصلاح والتعمير ،

٢ ـ نفوذها القوي في الدولة وسيطرتها على شؤون الدعوة باستثناء الفترة الأخيرة من حكمها حينما فصلت الدعوة عن الدولة واسندت الدعوة الى دعاة يستقلون في القيام بأمرها كما سيأتي .

٣ ـ حسن اختيار الوزراء وكبار رجال الدولة والاستعانة بذوي الكفاءات من اليمنيين وغيرهم .

ذلك انها أول ملكة اهتمت بتنيمة وتربية الثروة الحيوانية ، فأوقفت الأراضي الواسعة مراع لها ، ومنها مرعى (صلبة اب) في الضاحية الغربية

لمدينة اب والتي صارت اليوم معهداً زراعياً ومشاتل غروس لوزارة الزراعة ، وفي الكثير من المناطق الأخرى مراعي كذلك إلا أنها أقل مساحة منها .

كما أوقفت ارضاً لشراء فحول البقر للضراب (الطلوقة) من غلاتها ، وهي بذلك سبقت الدول الحديثة التي تُعنَى بهذه النواحي بمئات السنين .

وكانت لها اصلاحات كبيرة في مجال الاعمار ومنها تعبيد الطرقات الجبلية الوعرة بالحجر بين نقيل صيد (سمارة) ونقيل السياني في لواء اب ونحو ذلك في بلاد يعدان وغيرها ، وأنشأت كثيراً من المساجد ومنها الجامع الكبير في مدينة ذي جبلة عاصمة دولتها وفيه قبرها في المقدم الشمالي الغربي للجامع ، ووسعت جامع صنعاء الكبير فزادت فيه الجناح الشرقي ، وجددت عمارة الجامع ، وكان اسمها مكتوباً على الأحجار البيضاء التي بين الأبواب ، ولكن العصبية لم تترك من الكتابة غير البسملة ، ثم محيت البسملة في عصور متأخرة ، ووسعت جامع الجند وجددت بنائه ، واوقفت على الكثير من المساجد وعلى جامع ذي جبلة وعلى العلماء والمتعلمين أوقافاً واسعة ، وما زال جامع جبلة معهداً علمياً تدرس فيه الشريعة وعلوم القرآن والسنة والعربية الى ما بعد الثورة اليمنية ، ثم نقل المعهد الى مبنى خاص خارج الجامع ، هذا وذكر (عماد الدين ادريس بن علي بن عبد الله الحمزي) في تاريخه (عيون الأخبار) ان بعض الملوك أراد اخراج جثمان الملكة أروى من قبرها في جامع ذي جبلة لدفنه خارجه ، فأمر بنبش القبر ، ونبش حتى انتهوا الى تابوت،ففتحوه ووجدوا فيه قفصاً مقفلاً ، ففتحوه ووجدوا فيه كتباً واحكاماً تشهد بأنها استثنت ذلك المكان عن المسجد لتُدفَن فيه ، وعلى ذلك توقيع القضاة وشهادات الشهود الثابتة عند الحكام ، ولم يجدوا الجثمان ، فردوا ذلك على ما كان عليه .

أما عن قوة نفوذها في الدولة الصليحية منذ عهد الملك المكرم ، وسيطرتها على شؤون الدولة الفاطمية فلا ادل على ذلك من استئثارها بحكم المنطقة الوسطى والمنطقة الجنوبية في اليمن في حياة زوجها الملك المكرم ، وتركها له في صنعاء ، وانتقالها هي الى مدينة ذي جبلة لإدارة المنطقتين المذكورتين قائلة

لزوجها كلمتها المأثورة وهي « إنّ امرأة تُراد للفراش لا تصلح لتدبير الملك فدعني وما أنا بصدده » .

ولما توفي الملك المكرم في حصن التعكر المطل على مدينة جبلة بعد ان حسنت له الإنتقال اليها اخفت موته حتى استصدرت امراً من الإمام المستنصر الفاطمي بولاية ولدها (علي بن المكرم) خلفاً لأبيه ، وكان ابنها المذكور طفلاً لا يتجاوز العشر سنوات ، مع علمه أي الإمام بأن الأبن المذكور طفل وان والدته الملكة أروى هي التي ستضطلع بشؤون الدولة والدعوة حتى يتمكن من الإضطلاع هو بالمسؤولية ، وكان الملك بذلك واثقاً من كفاءتها وقوة نفوذها في الدولة ، ولم تنفذ الملكة وصية زوجها الملك المكرم بخلافة الملك سبأ بن احمد له بعد موته ، وقَبِلَ الملك سبأ امر إسناد الإمام المستنصر خلافة الطفل علي بن المكرم لوالده على مضض .

ولما توفي الملك الطفل علي بن المكرم وتوفي قبله اخوه (محمد) الأصغر منه سناً ، قام الملك سبأ بن احمد يطالب بحقه الشرعي في تولي الحكم في كل انحاء المملكة الصليحية ، ومع ذلك فلم تمكنه الملكة أروى من ذلك ، مكتفية بما بنظره بالقسم الأعلى من اليمن وبالنيابة العامة ، فانتهج وسيلةً اخرى للاستيلاء على كل شؤون الدولة ، وهي وسيلة طلب يدها ، فأمتنعت وقامت بينهما مناوشات افضت الى الحرب ، دون ان يحقق حتى هدف الزواج منها ، ومع ذلك فإنه عاد واستصدر امراً من الإمام المستنصر بزواجه بها ، وبرغم ذلك فإنها لم توافق إلا على اجراء عقد النكاح ، ولم تزف اليه إلا ليلة واحدة حسب طلبه ليعود صبيحتها الى مقره في حصن (اشيح آنس) على ان رواية عمارة كما أسلفتُ تذكر ان الملكة أروى إنما أرسلتْ إليه تلك الليلة جارية تشبهها ، ولم تزف هي اليه ، وفشلت كل محاولاته وكل الوسائل التي اتخذها للاستيلاء على جميع شؤون الدولة والدعوة ، واكتفى بما بنظره في القسم الأعلى وبالنيابة العامة التي ربما ليست الا مجرد تسمية بدون محتوى ، ولما استولى الفقهاء ومن ورائهم

بنو الزر الخولانيون على حصن التعكر اثناء تغيب وزيرها المفضل بن أبي البركات في زبيد ثم وفاته بعد عودته واثناء استيلاء الفقهاء على الحصن استطاعت الملكة اروى ان تستعيد الحصن بعد ان خيمت بجيشها خارجه وولت عليه مولاها (فتح بن مفتاح) .

ولما استولى عليه مولاها المذكور استطاعت الملكة اروى ان تستعيده منه بحيلة دبرتها مع مسلم بن الزر الخولاني واثناء زفاف ابنة فتح لمسلم بن الزر المذكور .

ولما استأثر مسلم بن الزر على الحصن أيضاً بعد إسناد الملكة أروى ولايته اليه ، استعادته منه بأن أمرت (عمرو بن عرفطة الجنبي) كبير قبيلة جنب في بلاد مغرب عنس من أعمال ذمار بأن يقبض على بلاد بني الزر في خولان ، واضطر ذلك مسلم بن الزر الى تسليم الحصن وأن يخرج منه .

ويذكر هنا ان مسلم بن الزر لما اشتدت وطأة قبيلة جنب على بلاده ، ارسل (يزيد بن عيسى الحميري) سلطان وحاظة في منطقتي الحزم وحبيش الى الملكة أروى يلتمس منها صفحها فارسلت له مبلغاً من المال ، فأعاد مسلم المال وقال للسلطان يزيد بن عيسى بن وائل : « هي تعلم ما ينفعني » وارجع لها المال وخرج من حصن التعكر الى حصن خدد ببلاد حبيش (وكان بيده وبيد اخيه (عمران بن الزر الخولاني) فكتبت الملكة لعمرو بن عرفطة الجنبي رقعة صغيرة جاء فيها قولها : « إذا جاءك امرنا هذا فارتحل عن بلد بني الزر مشكوراً » فأمر عمرو بن عرفطة منادياً ينادي في قبيلته بنداء الرحيل وهو (يا راشد بن مرواح) فلم تمض ساعات ولم يبق من قبيلة جنب في بلاد بني الزر احد ، ولما بلغ مسلم بن الزر ذلك قال لأخيه : هذا وربك العز والطاعة .

ولما حاول (ابن نجيب الدولة) المصري ان يستأثر بالسلطة في مدينة الجند ويتصرف دون الرجوع اليها ضربت عليه في الجند حصاراً شديداً اضطره الى استرضائها وطلب رفع الحصار عنه ، فأمرت (عمرو بن عرفطة الجنبي)

بالوصول اليها الى ذي جبلة بقبيلته ولما قدم بهم اليها أمرته بأن يعسكر حول المدينة كاجراء احتياطي قبل رفع الحصار عن ابن نجيب الدولة ، ثم ارسلت من يوزع في رؤساء القبائل المحاصرة لابن نجيب الدولة المال ويشعر افراد قبائلهم بأن ذلك من ابن نجيب الدولة . فطلب الأفراد من رؤسائهم بأن يعطوهم من المال فوعدوهم الى الصباح ، ومع الفجر انسحب الرؤساء خِلسةً من اصحابهم ثم انفضت الحشود عن حصار ابن نجيب الدولة ، وجاء هو اليها الى ذي جبلة يعتذر منها ، ويتنصل مما نسب اليه ، ويؤكد ولاءه وطاعته .

هذه بعض الأمثلة الدالة على مدى سيطرتها على شؤون الدولة وقوة نفوذها في مختلف مراحل عهدها الطويل ، وحتى آخر عمرها الذي ناهز التسعين عاماً قضت معظمه آمرة ناهية بكفاءة وحزم وحكمة ودهاء ، كما استولت على شؤون الدعوة الفاطمية في اليمن طيلة عهدها ، وبلغت مرتبة الحجة التي هي اعلى من مرتبة الداعي عند الفاطميين ، وانفصلت عن الدعوة للإمام الحافظ (عبد المجيد بن محمد بن المستنصر) وذلك منذ وفاة الإمام الآمر بالله بن الإمام المستعلي بن الإمام المستنصر (معد بن الطاهر) وقطعت دعوتها[٥١] للإمام الحافظ المذكور الذي خلفه في الحكم ، بحجة انتمائها الى المولود المستور (الطيب بن الآمر بالله) وقالت عن الإمام الحافظ وكلمتها المأثورة : « أنا أروى بنت أحمد ، بالأمس ولي عهد المسلمين واليوم امير المؤمنين ، لقد جرى في غير ميدانه وادعى أمراً يبعد عن مكانه » .

وأعلنت[٥٢] أهل دولتها ودعوتها انه قد نكث عهده ، وخالف رشده ،

---

(٥١) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ١٨٤ . وقد اغتيل الإمام الآمر على ايدي النزارية بزعامة الوزير (ابي علي احمد بن الأفضل) في عام ٥٢٤ هـ ، واعلن الوزير المذكور ولاءه لأهل السنة وسجن الحافظ المذكور ، ولكنه افرج عنه ونُصب إماماً وقُتل الوزير المذكور .

(٥٢) نفس المصدر ص ١٩١ .

وادعى ما ادعاه الظالمون من قبله ، وارتقى لمقام ليس من أهله ، وكان انفصالها عن الإمام الحافظ وانتماؤ ها الى الإمام المولود الطيب بن الآمر هو عملاً[٥٣] بالسجل الذي بعث به اليها الإمام الآمر قبيل موته وذلك صحبة الشريف (محمد بن حيدرة) ، اعلمها فيه بقدوم مولوده (الطيب في اليوم الرابع من شهر ربيع الآخر من عام (٥٢٤ هـ) وأوصى في السجل المذكور بأن يخلفه ابنه الطفل المذكور ، وأمرها فيه بأن تعلن ذلك على الدعاة والأتباع .

وبانفصالها عن الإمام الحافظ الموجود صاحب الحول والطول ، والقوة والنفوذ ، وبانتمائها الى الإمام المستور المولود (الطيب بن الآمر) الذي لم يُعَلَم مكانه فضلاً عن ان يكون له اثر وفعل اضعفت مركزها ، وشجع (آل زريع) نوابها على عدن وعمالها على الانفصال عنها نهائياً في آخر عهدها ، يشجعهم انتماؤ هم الى الامام الحافظ المذكور ، بعد[٥٤] ان قدم اليهم (الرشيد أبو الحسن أحمد بن علي الغساني) الأسواني ، موفداً من الإمام الحافظ لدعوتهم الى مبايعته ومتابعته والإنتماء اليه ، وأقام الرشيد في عدن عدة سنوات ، لضمان استمرار ولائهم للحافظ فيما يبدو ، وقد ظلت رغبة آل زريع في الانفصال عن الصليحيين والاستقلال بالحكم لما هو تحت نفوذهم عن الصليحيين تراودهم منذ زمن بعيد ، وصاروا يقطعون الأتاوة التي كانوا يؤدونها للملكة أروى ، وكانت الملكة تغزوهم وتجبرهم على مصالحتها على قدر أقل من الأتاوة التي يؤدونها ، ثم قطعوها كلية منذ انتمائهم الى الإمام الحافظ الفاطمي التي انفصلت عنه كما عرفنا ، وقد توفيت الملكة أروى كما سنعلم في عام (٥٣٢ للهجرة) وبذلك يكون (آل زريع) قد استقلوا نهائياً عن الصليحيين لفترة تسع سنوات تقريباً من آخر حكمهم إذ أنّ الملكة أروى هي آخر من حكم من الصليحيين ، وانفصال آل زريع عنها كان في عام (٥٢٤ أو ٥٢٥ للهجرة) .

---

(٥٣) نفس المصدر ص ١٨٢ .

(٥٤) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ١٩٠ .

إلا أنّ[٥٥] الملكة أروى بعد انفصالها عن الإمام الحافظ الفاطمي وانتمائها الى الإمام المولود المستور (الطيب بن الآمر) فصلت الدعوة عن الدولة ، واسندت شؤون الدعوة الى قاضي القضاة (لمك بن مالك الحمادي) ثم الى ولده بعد موته القاضي (يحيى بن لمك) ، يسانده السلطان (الخطاب بن الحسن بن الحفاظ الحجوريّ) صاحب (الجريب) في لواء حجة من بلاد حجور ، وكان أخا الملكة اروى من الرضاعة ، ثم الى الذؤيب بن موسى الوادعي . ولقد كانت الملكة (اروى بنت أحمد الصليحي) مؤمنة فعلاً بوجود الإمام المولود ، بدليل[٥٦] ايصائها الى السلطان أحمد بن أبي الحسين بن ابراهيم بن عمر الصليحي) بأن يوصل اذا وافتها المنية كل ما ذكر في وصيتها من مجوهرات ومصوغات وغيرها الى باب الإمام الطيب ، وأن يأخذ عليها الخط الشريف الأمامي بوصول ذلك ، علماً بأنه لم يذكر في الوصية ولا في المصدر مكان الإمام المذكور ، ولم يعلم ما اذا كان الوصي قد نفذ الوصية بالفعل أم لا ؟

الوزير المفضل بن أبي البركات

وأما عن وزارة الملكة اروى بنت أحمد الصليحي ، فإن من ابرز وزرائها بعد وفاة زوجها الملك (المكرم احمد بن علي الصليحي) عامله على حصن التعكر (المفضل بن أبي البركات الحميري) وأقرته مع ذلك على ولايته على حصن التعكر وأعماله بعد أبيه وأخيه (خالد) ، وكان الحصن المذكور يعتبر مقر ذخائر الصليحيين ومستودع أموالهم ، وقد اتخذ المفضل الحصن المذكور مقراً رئيسياً له ، وكانت الملكة أروى تقيم فيه في الصيف ، فاذا دخل الشتاء عادت الى مدينة (ذي جبلة) مكان إقامتها الدائم وعاصمة دولتها ، واضطلع المفضل بن أبي البركات بالشؤون العسكرية الى جانب شؤون الدولة الإدارية وفقاً لتوجيهات الملكة أروى ، وكان يختفي أياماً فلا يطمع احد في الوصول اليه ، ثم يبرز للناس فيغني كل من يقابله ويقضي جميع حاجات من يفد اليه ، وغزا

---

(٥٥) نفس المصدر ص ١٩٣ .

(٥٦) الصليحيون والحركة الفاطمية ص ١٨٦ .

امارة (آل نجاح) و(آل زريع) في عدن ، وتوفي في عام (٥٠٤) للهجرة ، في قصة لخصها عمارة[٥٧] بقوله : « ولما أخرج (المنصور) بن فاتك بن جياش من قبل عمه (عبد الواحد بن جياش) هاجر هو رعبيده الى الملك (الوزير) المفضل، اوالتزمواعلى النصرة ربع البلاد ، فسار المفضل معهم ، وأخرج عبد الواحد وملكهم ، ثم همَّ أن يغدر بهم ويملك زبيد عليهم ، فحين خلا التعكر من المفضل وطالت اقامته بتهامة وفي التعكر نائب يقال له الحمل ، وكان هذا الحمل متقمصاً متمسكاًبالدين ، فصعد اليه الى التعكر سبعة من اخوانه الفقهاء و منهم (محمد بن قيس الوحاظي) ومنهم (عبد الله بن يحيى) ،ومنهم (ابراهيم بن محمد بن زيدان) ، وله كانت البيعة وهو عمي اخو والدي لأبيه وأمه ، وأخذوا الحصن من الحمل ، وكانت الرعايا من السُّنَّة قد قالوا للفقهاء : « اذا حصلتم في رأس الحصن فأوقدوا النار . ففعلواذلك ليلاً ، فأصبح عندهم على باب الحصن عشرون ألفاً ، واستولت الفقهاء على ملك لم يعهد ، ووصل الخبر الى الأمير المفضل ، بتهامة فسار لا يلوي على أحد ، حتى وصل الى التعكر ، فطلع عزان التعكر (أحد فروع التعكر) وصار محاصراً للتعكر ، وحصر الفقهاء ، فقامت خولان (التي كانت قد تمركزت في المنطقة برئاسة بني الزر الخولاني) في نصرة الفقهاء ، وأقام الحصار عليهم ، ثم رأوا أن خولان خاذليهم ، فقال (ابراهيم بن زيدان) : « لن أموت حتى اقتل المفضل ، ثم أهلاً بالموت ، فعمد الى حظاياه من السراري فأخرجهن في أكمل زي وأحسنه ، وجعل بأيديهن الطارات ، وأطلعهنّ على سقوف القصور بحيث يشاهدهنّ ، وكان المفضل أكثر الناس غيرة وانفة ، فقيل أنه مات في تلك الليلة ، وكان موته في رمضان سنة أربع وخمسمائة للهجرة .

ولما مات المفضل طلعت الحرة الملكة من ذي جبلة وخيمت بالربادي ، على باب التعكر وكاتبت الفقهاء ولاطفتهم الى ان كتبت لهم بخطها بما اقترحوه

---

(٥٧) في تأريخه المفيد حواشي كاي ص ٧٢ . وقد نشرت ما ذكره عمارة في مفيده بنصه لأعطاء القاريء صورة شبه كاملة عما كانت عليه احوال ذلك العهد .

من أمان وأموال ، واشترطوا عليها أن ترحل هي وجميع الحشود ، ويصل اليهم من يرضونه والياً ، ويقيمون الوالي الى أن تصل غنائمهم مأمنهم ، فوفت لهم بذلك ، وولت التعكر مولاها (فتح بن مفتاح) » وأضاف عمارة قائلاً :
« وحدثني السلطان ناصر بن منصور قال حدثني عمك ابراهيم بن زيدان بعد نزوله من التعكر أن نصيبه من العين كان خمسة وعشرين ألفاً ، وكانت خولان قد دخلت منها الى مخلاف جعفر قبل موت الملك المفضل ستة آلاف برمي الشعر (يظهر أنه يصفهم بأنهم رماة يجيدون رمي الشعرة كما يقال) وأكثرها بنو بحر وبنو ضنة ومران . ورواح ورازح وشعب حي وبني جماعة (فهم إذا من خولان بن عمرو في بلاد صعدة لا من خولان العالية (خولان صنعاء) ففرقهم المفضل في الحصون واستحلفهم للملكة » .

ولما ولى (فتح بن مفتاح) مولى الملكة أروى على حصن التعكر استولى عليه ، فدبرت الملكة حيلة لاخراجه منه بأن اوعزت الى (عمران بن مسلم بن الزر الخولاني) بأن يتقرب منه ويتلطف به حتى يأنس منه ثم يخطب منه ابنته ، لنفسه ، ولما كان يوم الزفاف هاجم جنود الملكة الى الحصن باسم المشاركة في وليمة العرس ، واستولى عمران على الحصن باسم الملكة ، وخرج[٥٨] فتح بن مفتاح بجواره الى حصن شار في بلد شار من أعمال اب ونقل اليه ذخائره وامواله ، وذلك في شهر ربيع الأول من عام (٥٠٥) للهجرة .

وأقام عمران بن الزر في حصن التعكر وأصابه الغرور بدوره وظهرت منه دلائل عزمه على الاستيلاء عليه ، كما قام والده مسلم بن الزر الخولاني بالاستيلاء على حصن خدد من اعمال حبيش بعد ان اخرج منه عامله الشاعر الأديب (عبد الله بن يعلى الصليحي) ، ثم اطلق بنو الزر لقبائلهم العنان في المنطقة فعاثوا وافسدوا .

ولم تسع الملكة أروى ازاء تصرف بني الزر إلا ان امرت (عمرو بن

---

(٥٨) مفيد عمارة ص ٧٤ .

عرفطة الجنبي) زعيم قبيلة[٥٩] جنب في بلاد ذمار بأن يقبض على بلد بني الزر بقبائله ، وهنا قال عمارة في تأريخه[٦٠] : « ولقد حكى لي السلطان يزيد بن عيسى الوائلي قال : اذكر وقد ارسلني عمران بن الزر الى الحرة الملكة وهو مصاف للعرب ، يستنجد بالحرة ، فبعثت اليه بعشرة آلاف دينار ، معونة ، فردها اليها وقال : هي تعرف ما ينفعني ، قال يزيد بن عيسى فكتبت لي بخطها الى عمرو بن عرفطة الجنبي ، برقعة فيها : اذا وقفت على امرنا هذا فارتحل عن بلاد ابني الزر مشكوراً .

فلما وقف عمرو بن عرفطة الجنبي عليها نادى الناس بشعار الرحيل وهو قوله : يا راشد بن مروح ، فلم تمض ساعة وبقي منهم احد ، فقال عمران لأخيه هذا وربك العز والطاعة » كما سبق .

واذعن بنو الزر وتخلوعن التعكر وخدد ، وكفوا اصحابهم عن العبث بالناس .

هذا وقد وصف (المفضل بن أبي البركات بالحزم والسخاء وكان مقصوداً ممدوحاً من الشعراء ، وممن قصده الشاعر مواهب بن جديد المغربي ومدحه بقصيدة منها :

يا مالك الدين والدنيا وأهلها ... ومن بعروته الإسلام ممتسك

قد قيل جاور لتغني البحر أو ملكا ... فأنت يا ابن الوليد البحر والملك

وللمفضل باسم الملكة اروى اعمال عمرانية جليلة ، ومنها : شق مجرى ماء الجند من خنوة الى الجند في اعماق الجبال بشكل هندسي رائع ، وقد تحدث عن ذلك مؤلفاً كتاب (الصليحيون[٦١] والحركة الفاطمية في اليمن) فقالا : « وذلك انه حفر في الصفا حفراً عديدة وخرق بعضها الى بعض ، واجرى الماء

(٥٩) قبيلة جنب كانت في ذلك التأريخ من أكبر القبائل النازحة من جنب الكبرى في بلاد صعدة التي هي من مذحج الى بلاد مغرب عنس ، وما تزال الى اليوم تعرف بالجنبيين .

(٦٠) المفيد ص ٧٥ .

(٦١) ص ١٦٦ .

فيها في مواضع لا يصدق بها إلا من رآها ، ثم لما جاء الى موضع بين جبلين أمر الصناع فبنوا جداراً من الجبل الى الجبل طوله مئتا ذراع ، وعرضه نحو من عشرة اذرع بالحديد وارتفاع نحو من خمسين ذراعاً ، (كجسر بين الجبلين ليمر الماء فوقه ؛ وقد أشاد الشعراء بذلك العمل الجليل ومنهم القاضي (أبو بكر اليافعي) حيث مدحه بقصيدة منها :

وأقل مكرمة له وفضيلة | اجراؤه للغيل في الأجناد
شقّ الجبال الشامخات كأنما | كانت معالمها متون وهاد
فاليوم اصبح ماء خنوة وهو في | الجند العزيزة منهل الوراد
فخر المفضل بالفضائل كلها | بمشابة الأرواح في الأجساد

كما قام المفضل باسم الملكة بتجديد جامع الجند في مقدمه وجناحيه وهو ما هو مبني بالحجر وسقفه .

وكان قد داخله الغرور وطمع في ان يستقل بحصن التعكر عن الملكة ، فقال للملكة[٦٢] يوماً وهي في التعكر : « انظري يا مولاتنا الى ما كان في هذا الحصن من ذخائرك فأنزلي به الى دار العز ، أو فأعزليه في بعض هذه القصور ، أما هذا الحجر (يعني حصن التعكر الرئيسي) فلا طاعة لك على ما فيه بعد هذا اليوم ، فقالت له : « لو لم تقل هذا القول ما أحوجتك اليه ، الحصن حصنك ، وأنت رجل البيت ولا حرج عليك » فخجل منها وأطرق ، ونزلت الملكة الى مدينة (ذي جبلة) وكان المفضل يعرض عليها طلوع الجبل ويسترضيها فلا تفعل ، وهي مع ذلك تواصل بره بما يحسن موقعه عنده من الجواري والعبيد والأستاذين والكساوي والتحف والطيب ، ولم تسمع وشاية احد فيه .

الوزير اسعد بن أبي الفتوح

وقد خلفته الملكة بعد موته بابن عمه (اسعد بن أبي الفتوح بن العلاء بن

(٦٢) الخزرجي في العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام والثقافة ص ٦٧ .

الوليد الحميري) نقلاً له من ولايته على جبل صبر وأعماله ، وعلى حصن تعز (قاهرة تعز) ومدينة تعز بعد والده ، وأقرته مع ذلك على ولايته التي أناب عنه فيها ، فاضطلع بمهام الدولة الإدارية والعسكرية ، ولكنه لم يسد مسد (المفضل بن ابي البركات) ، ثم[٦٣] غدر به رجلان من اصحابه فقتلاه بين البابين في حصن تعز سنة (٥١٤) للهجرة .

الوزير ابن نجيب الدولة

ولما تعقدت[٦٤] الأمور على الملكة اروى ارسلت الى الحكومة المصرية تطلب منها اعارتها مستشاراً ليساعدها في تدبير شؤ ون الدولة ، وكانت الدولة الفاطمية في مصر قد شعرت مع ذلك بتزعزع مركز الدولة الصليحية ، فبادر الوزير الأفضل ابن امير الجيوش بدر الجمالي في سنة (٥١٣) للهجرة بارسال الأمير الموفق (علي بن ابراهيم بن نجيب الدولة) بصحبة عشرين فارساً منتقاة مختارة الى بلاد اليمن ليقوم بهذه المساعدة ، وقدم ابن نجيب الدولة من مصر الى اليمن قبل وفاة (اسعد بن أبي الفتوح) الحميري ، فقررت الملكة اقامة ابن نجيب الدولة في مدينة جبلة للاستشارة والمناورات الحربية ، وكان متفقهاً في اصول الدعوة الفاطمية ، مستبصراً في مذهب الشيعة ، وكان على خزائن الكتب الأفضلية بمصر وكان موضع ثقة الخلافة الفاطمية ،ولا بدّ ان يكون مكلفاً في تعزيز مركز الملكة اروى ، بعد ان طمع فيها زعماء البلاد ، واستقلوا بما تحت أيديهم ، إلا ان القوة الرمزية المكونة من عشرين فارساً والتي جاءبها معه من مصر تدلنا على ان الدعم من الدولة الفاطمية للملكة اروى هو معنوي اكثر منه مادياً ، وقد تركت لابن نجيب الدولة صلاحيته في التصرف بما يتناسب والموقف ، وفعلاً[٦٥] فإنه استخدم فور وصوله الى اليمن اربعمائة فارس من

---

(٦٣) الصليحيون ص ١٦٨ .

(٦٤) نفس المصدر والصفحة .

(٦٥) نفس المصدر ص ١٦٩ .

همدان وغيرهم، وقدّم عليهم (الطوق بن عبد الله الهمداني) واشتد بهم جانبه ، وقويت شوكتـه ، وتمكن من وضع حـد للخلافـات الداخليـة ، واعادة الأمن والطمأنينة الى النفوس ، وكان أول عمل قام به هو تأديب الخولانيين ، الذين كانوا قد بسطوا ايديهم على الناس ، واستهانوا بالسيدة الحرة، فطردهم من ذي جبلة ونواحيها ، واوقع بمن بقي منهم حتى لم يبق منهم إلا من كان منتسباً الى الملكة اروى ، ولما رأت الملكة ذلك أمرته بأن يسكن في مدينة الجند ، فضـاق بـه سـلاطـين اليمن ، وقـد أمنت البـلاد ، وأستقـرت الأحـوال ورخصت الأسعار بحسن سياسته وتدبيره ، وأقام العدل ، وعف عما في ايدي الناس من الأموال ، وأقام الحدود وعزّ به جانب الملكة وانقمع أهل الأطراف عن الـطمع والاستقلال بها .

وفي سنة (٥١٥) للهجرة امدّ (مأمون البطائحي) وزير الإمام الآمر بالله الفاطمي في مصر بعد وفاة الوزير الأفضل بن بدر الجمالي ، بالمال والرجال وكانت القوة التي امده بها مكونة من اربعمائة قوس ارمني ، وسبعمائة أسود ، فقوي جانبه اكثر وعلا شأنه عند الملكة .

وقد أطمعـه هذا المركز الحربي الممتاز في غزو (آل نجاح) في تهامة في عام (٥١٨) للهجرة ، ولكنه فشل في تحقيق نصر على النجاحيين وهزم جمعه ، وكان القائم على امارة آل نجاح هو (من الله الفاتكي) ونجا ابن نجيب الدولة بصعوبة وبفضل صمود الطوق بن عبد الله الهمداني واصحابه من همدان وعاد الى الجند ، ثم الى ذي جبلة واجتمع بالملكة التي أيدته بالمال والرجال وقوت من معنويته ، وعـاد الى ما كـان عليه من القـوة والبأس ، حتى اصـابه الغـرور ، وحاصرته الملكة ثم رفعت الحصار عنه كما علمنا ، في فصـل (ميزة حكـومة الملكة اروى) وساءت احواله بعد ذلك واستعاده الفاطميون الى مصر في عام (٥٢٤) للهجرة .

وقد[٦٦] استوزرت الملكة أروى بعد مغادرة (ابن نجيب الدولة) لليمن (علي بن عبد الله الصليحي) ابن اخي الملك (علي بن محمد الصليحي) ولقب بفخر الخلافة ، وأسندت الى الداعي (ابراهيم بن الحسن الحامدي) شؤون الدعوة التي كانت قد فصلتها عن شؤون الدولة مساندا فيما يبدو للذؤيب الوادعي ، وقد مات عقب ذلك ، واستمر الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي وكان قد دبّ الضعف والهرم الى دولتها ، بسبب كبر سنها ، وبعد سفر (ابن نجيب الدولة) من اليمن عائداً الى مصر ، وافتقادها الى الرجل الكفوء الذي يمكن ان يسد مسد ابن نجيب الدولة ويذب عن اطراف مملكتها ، ويحميها عن الطامعين ، ومن هؤلاء : (عمران[٦٧] وسليمان ابني مسلم بن الزر الخولاني) اللذين دخلا على الملكة بعد مغادرة ابن نجيب الدولة لليمن ثم خرجا من عندها شامتين وقالا : « صدق الفقه في قوله : « قال ابن عباس رضي الله عنه : كنا ندخل على عائشة نسمع منها الحديث فلا نخرج من عندها حتى نعلم انها امرأة » وكان ذلك آخر دخولهما عليها وامتنعا في حصن خدد ببلاد حبيش .

كما امتنع عليها الكثير من ولاة الحصون وعمال المناطق ، ومن ابرز هؤلاء (آل زريع) نوابها على عدن واعمالها الذين انتهزوا فرصة امتناعها عن الانتماء والولاء للإمام الحافظ عبد المجيد الفاطمي ، وانتمائها الى المولود المستور الطيب بن الإمام المستعلي الفاطمي ، الذي لم يعلم مكانه ،فضلاً عن أن يكون له نفوذ وسلطان تستند اليه ، وتستمد منه العون والسند كما فعلت في الماضي ، مع الإمام الفاطمي الآمر بالله حين طلبت منه المساندة فبعث اليها ابن نجيب الدولة ، ولكنها مع كل ذلك عالجت تلك الفترة العصيبة من حياتها وحكمها بين عامي (٥٢٥ ـ ٥٣٢) للهجرة بصبرها وبصيرتها ، وظلت تتمتع بفضل

---

(٦٦) الصليحيون ص ١٧٤ .

(٦٧) عمارة في المفيد حواشي كاي ص (٨٠) .

حكمتها وحنكتها باحترام واجلال الجميع ممن ظلوا على ولائها ، أو انفصلوا عنها .

وكانت وفاتها كما علمنا في عام (٥٣٢) للهجرة عن عمر بلغ اثنين وتسعين عاماً ، وحكم تجاوز اثنين وسبعين عاماً ، أي منذ عهد اليها زوجها الملك المكرم (احمد بن علي الصليحي) بادارة شؤون المنطقة الوسطى والجنوب في اليمن ، وتركته بصنعاء ، وانتقلت الى مدينة ذي جبلة كما مرّ بنا .

اما ما كان بنظرها فأرجح آراء المؤرخين انها لم تعهد به الى احد ، مكتفية بقيام ابن البيت المالك (علي بن عبد الله الصليحي) المذكور بالوزارة ، والاضطلاع بالضرورة بادارة شؤون الحكم فيه ، والسيطرة[٦٨] عليه ، ولكنه مع ذلك تجزأ بينه وبين (منصور بن المفضل بن أبي البركات) الذي كان متولياً من قبل الملكة على عدد من الحصون والمناطق وعلى ذي جبلة نفسها ، ولم يذكر في المصادر التي في ايدينا كيفية مصير ما بنظر (علي بن عبد الله الصليحي) ، وإنما ذكر[٦٩] ما بنظر (منصور بن المفضل بن أبي البركات) وهو بيعه له عند كبر سنه وعجزه عن ادارته الى الامير (محمد بن سبأ) آل زريع بمائة ألف دينار ، وذلك في عا م (٥٤٧) للهجرة .

ويبدو مما ذكره بعض[٧٠] المؤرخين ان (علي بن عبد الله الصليحي) المذكور ورث املاك بيت الصليحي بعد وفاة السيدة الملكة ، وأن الأميرة (أروى بنت علي بن عبد الله الصليحي) كانت مقيمة في قصر الملكة أروى ، حينما طلقها (منصور بن المفضل بن أبي البركات) وتزوجها الملك (محمد بن سبأ آل زريع) عند شرائه لما بنظر منصور بن المفضل ، وورث أو وضع يده على ما كان بنظر (علي بن عبد الله الصليحي) بعد ان تزوج ابنته ، وربما

---

(٦٨) الصليحيون ص ٢٠٩ .

(٦٩) عمارة في المفيد حواشي كاي ص ٨٨ .

(٧٠) الصليحيون ص ٢٩٠ حاشية رقم ٤ .

بعد موته وقد انتقل منصور بن المفضل الى حصن تعز (قاهرة تعز) وأقام فيه الى موته عام (٥٥٢) للهجرة ، وخلفه على ذلك ولده (احمد) الذي استمرّ في نفوذه عليه حتى شراه منه (علي بن مهدي الرعيني) وا نتقل هو الى مدينة الجند الى وفاته عام (٥٦٣ هـ) .

وبسقوط الدولة الصليحية صار اليمن مجزءاً على النحو الآتي :

(الأئمة) في القسم الأعلى من اليمن في بلاد صعدة وما جاورها .

و(آل حاتم) الهمدانيون في صنعاء وأعمالها ، وقد اقتطعوا امارتهم من جسم الدولة الصليحية واستقلوا عنها ، بعد موت الملك (سبأ بن احمد بن المظفر الصليحي) وقد كانوا نوابه في حياته عليها .

و(آل زريع) الهمدانيون أيضاً في عدن وأعمالها ، وقد انفصلوا عن دولة الملكة اروى بنت أحمد الصليحي في آخر عهدها وذلك بعد انفصالها هي عن فاطمية مصر ، وامتناعها عن الانتماء الى الإمام الفاطمي الحافظ عبد المجيد ، وانتمائها الى الإمام المستور المولود الطيب بن الآمر بالله كما عرفنا .

و(آل نجاح) في تهامة ، وقد استعادوا امارتهم فيها منذ الأمير جياش بن نجاح في عهد المكرم احمد بن علي الصليحي ، واحتفظوا بها الى ما بعد سقوط الدولة الصليحية كما سنعلم .

و(أشراف المخلاف السليماني) في هذا المخلاف شمال تهامة من بلاد عسير .

وخليفتا الملكة أروى بدون عهد منها ، وهما آخر وزرائها (علي بن عبد الله الصليحي) والأمير (منصور بن المفضل بن أبي البركات بن الوليد الحميري) ثم ولده (احمد) ، في بعض اجزاء ما كان بنظر والده كما علمنا .

ثم رؤساء بعض القبائل في بعض الحصون التي وضعوا أيديهم عليها ، وسيطروا في منطقتها فيما يبدو ، كبني الزر الخولانيين في حصن خدد من بلاد

حبيش وغيرهم .

عموماً فقد هيأ ذلك التجزؤ والانقسام الداخلي في اليمن لآل زريع ان يتوسعوا في نفوذهم الذي كان محصوراً في عدن واعمالها ، الى مناطق واسعة اخرى في مخلاف الجند ومخلاف جعفر ومخلاف المعافر (الحجرية) وغيرها ، وهيأ بصورة اشمل وأعم لبني أيوب امكانية القضاء على كل الإمارات اليمنية ، وكل السلطنات والمشيخات فيه ، واقامة حكم بني أيوب الشامل لجميع اجزاء اليمن تقريباً ، بعد قضائهم على كل امارة ومشيخة على حدة كما سنعلم ، وبعد قضائهم أولاً على دولة الفاطميين في مصر والشام والحجاز كما سنعلم أيضاً .

اسباب سقوط الدولة الصليحية

تتلخص اهم هذه الأسباب بالآتي :

١ ـ عدم اعتناق اليمنيين لمذهب الشيعة الفاطمية التي انتمت الدولة الصليحية اليها بصورة عامة ، بسبب الغازها ومعمياتها ومبدئها الظاهر والباطن ، وقيام إمام ظاهر وإمام مستور في بعض عهود دولتهم وبالذات في آخر عهودها ، واعتناق اليمنيين لمذهب أهل السنة وعقيدتها ، وإن اختلفوا في فروعها.

٢ ـ رغبة زعماء اليمن ورؤسائه في العودة الى السيادة المحلية ، بسبب عدم تعودهم الخضوع لحكومة مركزية ، أو ما يشبه الحكم المركزي .

٣ ـ عدم وجود الشخصية القادرة على خلافة الملكة أروى بنت أحمد الصليحي ، وحفظ كيان ما تبقى في الدولة الصليحية بعد وفاتها .

وقد علمت هي ذلك فلم تعهد بالحكم الى احد بعدها ، بل تركت الدنيا (رحمها الله) تاركة لليمنيين تدبير شؤونهم ، سيما ولم يعد هناك إمام فاطمي قائم ذو نفوذ وسلطان تعيد الأمر في تعيين خليفة بعدها اليه ، لأنها (كما علمنا) لم تنتم الى الإمام الحافظ عبد المجيد الفاطمي ، وإنما انتمت الى امام

مولود مستور هو الإمام (الطيب بن الآمر) الذي لم يعلم مكانه في حياتها ولا بعد موتها ، فضلاً عن ان يكون له نفوذ وسلطان .

٤ ـ صمود (آل نجاح) حكام تهامة امام الصليحيين ، بسبب عدم قدرة هؤلاء على القضاء النهائي عليهم ، وكانت الفرصة سانحة لهم بعد مقتل سعيد الأحول بن نجاح ، وفرار اخيه جياش بن نجاح الى الهند ، وبقائه فيها تسعة أشهر كما علمنا ، وصارت امارة (آل نجاح) مصدر قلق للصليحيين .

٥ ـ الجهد العسكري الذي تحملته الدولة الصليحية منذ قيامها وطيلة عهدها في حرب آل نجاح وغيرهم من الخارجين عليها ، وفي حرب الأشراف من الأئمة واتباعهم ، وفي حروبهم مع مختلف الزعامات المحلية التي لم تألف الخضوع للحكم المركزي .

ولذلك فإنه ما ان قتل الملك أبو الحسن علي بن محمد الصليحي مؤسس الدولة الصليحية وباني صرحها ، حتى بدأت تتقطع اوصال الدولة التي اقامها على اساس من القوة ، ولم يبنها على قاعدة شعبية تضمن دوام الولاء لها واستمرارها . وبالتدريج انفصلت عنها الأمارات والمشيخات التي ارتبطت بها في عهد (أبي الحسن الصليحي) ، وأرهق الجهد الحربي الدولة الصليحية ، واعجزها عن الاستمرار في الذود عن الدولة ، ومنع انفصال عدد من الأمارات التي كانت مرتبطة بها ، كإمارة آل زريع وامارة آل حاتم وغيرهما ، وكأن الملكة اروى بنت أحمد الصليحي بعد موت النائب العام للدولة الملك (سبأ بن أحمد الصليحي) وشريكها في بعض اجزاء الدولة ، ثم موت كبير وزرائها (المفضل بن أبي البركات بن الوليد الحميري) وعدم سد خلفه الوزير (إسعد بن أبي الفتوح) ثم الوزير(علي بن عبد الله الصليحي) مسده ، وبعد سفر ساعدها القوي الذي كان الفاطميون في مصر قد أمدوها به لمساندتها في الحكم بعد وفاة وزرائها المذكورين (ابن نجيب الدولة) ، كأنها شعرت بالعناء وبجسامة العبء الذي تنوء به . على

فقدانها السند المعنوي مع ذلك من الفاطميين بعد انفصالها عن الإمام الفاطمي الحافظ عبد المجيد ، فاسترخت طيلة السبع السنوات الأخيرة من عمرها وحكمها . وتركت الأمور تسير كما شاءت وشاء لها القدر . وبذلك كانت هي آخر من حكم في الدولة الصليحية .

٦ ـ الهوة الكبيرة التي كانت تفصل بين الحكام والمحكومين في الدولة الصليحية ، وتحول بالتالي دون قيام التعاون والتضامن بينهما ،وهما الشرط الأساسي لبقاء الحكم ، وكانت تلك الهوة هي بسبب الدعاية السيئة التي كان اعداؤها يشيعونها ضد عقائدها ومبادئها ، وقد كانت هذه الهوة أقوى اثراً في النفوس من الحرية المذهبية التي أتاحها الصليحيون للناس ، ومن الإصلاح والعدل والرخاء التي وفرها الصليحيون في اليمن طيلة حكمهم ، والتي لا سبيل الى انكارها .

علاقة الدولة الصليحية بالأئمة الزيدية في اليمن

على[(١)] الرغم من ان كلا الدولتين الصليحية والزيدية شيعيتان ، تنتميان الى آل علي بن أبي طالب ، إلا أنّ الخلاف بينهما ما زال عقائدياً .

فالزيديون يعارضون الأسماعيليين ، ويرون في مذهبهم خروجاً عن قواعد الدين الحنيف ، بسبب آرائهم الظاهرية والباطنية ، وغير ذلك مما يختلفون معهم فيه ،ويروجون حولهم أسوأ الاشاعات وأبشعها ، ولذلك فإنهم أي الأئمة الزيدية اعلنوا معارضتهم للفاطميين ولدعاتهم الصليحيين وغيرهم ، وكانت المعارضة مع ذلك سياسية اكثر منها عقائدية ، لأنهم رأوا ان نفوذ الصليحيين في اليمن يهدد نفوذ الزيدية فيه .

فتصدى الأمير (جعفر بن قاسم بن علي العياني) لأبي الحسن (علي بن محمد الصليحي) فور قيام هذا بدعوته كما علمنا ، ولكن الأمير جعفر فشل

---

(١) اليمن في ظل الإسلام ص ١٨١ بتصرف .

في تحقيق النصر الذي كان يرجوه ، ولاذ بالفرار بعد ان قتل الصليحي حليف الأمير جعفر (جعفر بن عباس الشاوري) صاحب بلاد مسور ، اثناء المعركة التي قامت بينهما .

وأثبتت تلك المعركة وغيرها من المعارك الحربية التي خاضها (أبو الحسن الصليحي) مع مختلف القوى المعارضة له مقدرته العسكرية ، وزادت من هيبته في قلوب الناس . كما أضعف انهزام الأمير (جعفر العياني) جانب الإمام (أبي الفتح الديلمي) وتفرق عنه اتباعه وجنوده وصار يتنقل من بلد، إلى آخر ، محاولاً تجميع قواه وحشد الناس حوله لمحاربة (أبي الحسن الصليحي) حتى صار في بلاد عنس من بلاد ذمار ،واليه هاجمه (أبو الحسن الصليحي) وقامت معركة بينهما انهزم فيها جند الإمام وقتل هو ، وعاد الصليحي الى صنعاء ظافراً ، وذلك في عام (٤٤٤) للهجرة وكانت المعركة ومقتل الإمام في القاع الذي عرف الى اليوم بقاع الديلمي شرق ذمار .

ومع ذلك فقد تحالفت قوى أخرى معارضة للصليحي بقيادة(سلامة بن الضحاك الحاشدي) و(علي بن ذعفان الحاشدي) وغيرهما وتجوّلت في كثير من البلدان لتأليب المقاتلين ضد أبي الحسن الصليحي ، وانضم اليها الأمير جعفر بن قاسم العياني) ، وتجمعت الحشود في مدينة حاز الأثرية من بلاد همدان صنعاء ، وقد فاجأها (أبو الحسن الصليحي) على رأس جموعه ، وألجأها الى الانهزام ، إلا أن الشريف جعفر لاذ مع ألف من المقاتلين بحصن هرابة في وادعة حاشد ، فتبعه أبو الحسن الى معقله وحاصره ومن معه اكثر من شهرين ، وقطع عنهم المدد والماء وضرب قرية هرابة وحصنها بالمنجنيق حتى اضطره الى الاستسلام ، واحسن الصليحي استقباله واكرمه وخلع عليه وعاد به الى صنعاء وقال كلمته المشهورة وهي : « لو كان لي مثل رجال الهرابة لملكت بهم الروم » ثم هدم الحصن والقرية عن آخرهما كما علمنا في موضعه .

ولما قتل (أبو الحسن علي بن محمد الصليحي) دعا الإمام حمزة بن أبي

هاشم ، وجمع جموعه لحرب المكرم (احمد بن علي الصليحي) ، وقد بادره المكرم بجيش بقيادة (السلطان عامر بن سليمان الزواحي) الى الملوي من بلاد أرحب حيث كان مع حشوده فيها ، وقامت معركة بينهما انهزم فيها جيش الإمام بعد مقتله وعاد جيش المكرم ظافراً ، وكان ذلك في عام (٤٥٩) للهجرة وهو عام مقتل ابي الحسن الصليحي .

ومع ذلك فلم ييأس الاشراف من محاولة القضاء على الصليحيين اذ جمع الأخوان الشريفان الفاضل القاسم وذو الشرفين محمد ابنا جعفر بن القاسم بن علي العياني في شهارة الكثير من القبائل ، وقامت حرب بينها وبين الصليحيين في عهد الملك المكرم في بلاد شهارة وفي بلاد صعدة وفي بلاد الجوف وفي بلاد الشرف من بلاد حجة كان النصر حليف الأشراف في معظمها ، وقد شجعهم ذلك على مواصلة حرب الصليحيين حتى دنوا من أبواب صنعاء ، وضربوا حصاراً شديداً عليها عانى منه أهل صنعاء متاعب كثيرة ، ومع ذلك فلم يستسلم الملك المكرم .

ثم انصرف الشريفان الأخوان الى بلاد مسور حجة ، وتركا بعض قواتهما لمواصلة حصار صنعاء .

وكانت حربهما في بلاد مسور فاتحة النصر للصليحيين ، اذ انتصر انصارهم وجنودهم فيها ودارت الدائرة عليهما ، وملّ جنودهما مع ذلك الحرب وتفرقوا عنهما ، كما ارتفع المحاصرون لصنعاء ، اما هما فانصرفا من بلاد مسور في محاولة اخرى لتجميع المقاتلين من جديد ، وسار الفاضل الى بلادالجوف ، وفيها حدث مقتله لعل ذلك بتدبير من المكرم الصليحي ، وبالرغم من انتقام اخي الشريف الفاضل له من أهل الجوف بتدمير عدد من القرى فيها ، ومن محاولته حشد مقاتليه لحرب الصليحيين ، الا ان العزائم كانت قد خارت وآمنت بضعف جانب الاشراف وقوة جانب الصليحيين ، وانتقل ذو الشرفين الى شهارة ، حيث قضى فيها بقية حياته الى موته في عام (٤٧٨) للهجرة .

وبويع ولده (جعفر بن محمد بن جعفر بن قاسم العياني)، ولكن جانب الزيدية كان ضعيفاً ، فلم يقم له إلا سلطان محدود على بعض البلدان في القسم الأعلى من اليمن .

الأمير جياش بن نجاح

علمنا انه لما قتل الملك (سعيد الأحول بن نجاح) في بلاد الشعر على ايدي الصليحيين فرَّ اخوهُ (جياش بن نجاح) الى الهند ، وقد أقام فيه تسعة اشهر ، ثم عاد الى زبيد متنكراً بصورة سائح هندي ، وكان قد بعث قبله وزيره (قسيم الملك (خلف بن أبي الطاهر) الأموي للتمهيد لعودته الى ملك (آل نجاح) في تهامة ، واستطاع الأمير جياش بعد ايام قليلة من اقامته في زبيد ، ان يوزع الأموال على عشيرته ، وأبناء جنسه الأحباش الذين كانوا قد تفرقوا في تهامة وفي جزيرة دهلك في البحر الأحمر وغيرها ، وأن يجمعهم الى زبيد خفية من ولاة الصليحيين فيها ، ثم يستولي على زبيد ، ويخرج عامل الصليحيين منها ، يساعده ولاءُ الناس في تهامة لآل نجاح السنيين ، وتسامح الصليحيين مع آل نجاح وانصارهم اثناء حكم الدولة الصليحية لتهامة وعاصمتها زبيد .

وقد ذكر الأمير جياش قصة عودته من الهند الى اليمن واستعادته حكم تهامة في تأريخه (المفيد في اخبار زبيد) ، كما حكى ذلك عنه أبو الحسن الخزرجي في تأريخه[٧٢] فقال « فأقمنا في الهند تسعة أشهر ،واشتريت جارية هناك فعلقّت مني بولد في مدة اقامتي في الهند ، ثم رجعنا الى اليمن في آخر السنة المذكورة ، والجارية المذكورة في خمسة اشهر من حملها ، فلما وصلنا عدن قدمت الوزير (خلف بن أبي الطاهر) الى زبيد على طريق الساحل ، وأمرته أن يشيع اني قد متُّ في الهند ، وان يستأمن لنفسه ويكشف لي حقيقة الأحوال وعمن بقي من بني عمنا ، من الحبشة ، وصعدت الى ذي جبلة فكشفت عن احوال المكرم وما هو عليه ، ثم انحدرت من الجبال الى زبيد ، فاجتمعت بالوزير

(٧٢) العسجد المسبوك آنف الذكر ص ١٠٨ .

خلف بن أبي الطاهر فأخبرني بأحوال طابت بها نفسي عن أوليائنا وبني عمنا وعبيدنا وانهم في البلاد كثير» . وأضاف المصدر قائلاً : « قال جياش وجريت على عادة أهل الهند في تطويل اظفاري وشعري ، وسترت على إحدى عينيّ بخرّقة سوداء ، وكنت قريباً من الدار السلطانية ، فاذا افترق الناس قصدت مصطبة علي بن القم (وكان وزير الوالي من قِبَل المكرم) ، فسمعته يوماً وهو يقول : والله لو وجدت كلباً من آل نجاح لملكته زبيد .

ثم خرج ولده (الحسين بن علي بن القم) وهو الشاعر المشهور ورأس طبقة أهل زبيد في الشطرنج ، فقال لي : يا هندي تحسن تلعب الشطرنج ؟ فقلت : نعم ، فتلاعبنا فغلبته فكاد أن يسطو عليّ ، ثم دخل على ابيه مغتاظاً وقال له : «اُغلبت في الشطرنج» فقال له والده : ما اعلم أحداً يغْلبك إلا جياش بن نجاح وقد مات في الهند . ثم خرج إليّ والده فكرهت أن أغلبه ، وخرج الدست مانعاً ، فاغتبط بي وخلطني بنفسه ، (يبدو ان الوزير علي بن القم عرف الهندي انه جياش بن نجاح ، لأن معالم الصورة ونبرة الصوت لا تختفي بمجرد اطالة الشعر والأظفار ووضع خرقة على احدى العينين ، ولذلك خلطه بنفسه ، ولكنه لم يشعره بمعرفته أياه ، ودليل ذلك ما اضافه المصدر قائلاً : وكان يقول في كل يوم عجل الله بكم يا آل نجاح) وأنا في اثناء ذلك أكاتب الحبشة المتفرقين وآمرهم بالاستعداد حتى اجتمع حول المدينة نحو من خمسة آلاف حربة ، بعضها في المدينة وبعضها في الخان (الفندق)فقلت للوزير خلف بن أبي الطاهر ان لي عند (عمر بن سحيم) وديعة فخذ منه عشرة آلاف دينار وفرقها على الرجال الذين قد اجتمعوا معنا،ثم أني رأيت ليلة في النوم القائد (أبا عبد الله الحسين بن سلامة) وهو يقول لي : سيعود اليك الأمر الذي تحاوله ليلة ولادة هذه الجارية الهندية ، ثم التفتَ الى رجل كان بجانبه فقال : اليس كذلك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : بلى . ويبقى الأمر في عقب هذا المولود برهة من الدهر .

فلما أراد الله رجوع هذا الأمر إليّ لعبتُ أناوالحسين بن علي بن القم وليس

معنا إلا أبوه على سرير وهو يُعلِّم ولده فتراخيت له حتى غلبني قصداً في التقرب الى ابيه ، فطاش (الحسين بن علي) فرحاً لَمّا غلبني ، فسفَّه عليٌّ بلسانه فاحتملته لأبيه ، فمدَّ يده إلى الخرقة التي كانت على عيني فأحفظني ذلك ، فقام أبوه فقبح عليه فعله ، وقمت أنا مغتاظاً ، فعثرتُ ، فقلت : أنا جياش بن نجاح على جاري عادتي ، ولم يسمعني إلا الشيخ علي بن القم ، فوثب مسرعاً خلفي حافياً يجر رداءه حتى ادركني ، فأمسكني ، واخرج المصحف وحلف لي ما طابت به نفسي وحلفت له ، وليس معنا احد ، ثم أمر بإخلاء دار الأغرّ بن الصليحي ، وفُرِشت وعُلقت ستائرها ونُقِلت الجارية الهندية اليها ، ونقل اليها وصائف ووصفان وماعون وأثاث ، وعاقني عنده الى ان امسى الليل ، ثم أذن لي في الانصراف ، فجئت الى الجارية وقد وضعتْ ولدي (فاتك) فيما بين المغرب والعشاء ، ثم أتانا الشيخ علي بن القم ليلاً وقال : خبرنا لا يخفى على (اسعد) ، فقلت : إن معي في المدينة نحواً من خمسة آلاف حربة ، فقال لي الشيخ علي بن القم : اذاً قد ملكت البلاد بلا شك فقم وأظهر ما تريد . فقلت إني اكره ان اقتل (اسعد بن شهاب)[٧٣] لأنه طالما قدر على أهلنا ووزرائنا فعفا عنهم واحسن اليهم ، فقال : فافعل ما تريده ، وقال الخزرجي مضيفا : « فعند ذلك أمر جياش بضرب الطبول والأبواق ، وثارت معه عامة أهل المدينة وخمسة آلاف من الحبشة ، وأسروا اسعد بن شهاب فقال أسعد : ما يومنا منكم يا آل نجاح بواحد والأيام سجال، ومثلي لا يسأل العفو ومثلك يا أبا حسان لا يقتل » . وأضاف ايضاً : « قال جياش وتسلمتُ دارة الأمارة صبيحة الليلة التي وُضِع فيها ولدي فاتك ، وصحّ ما كان (الحسين بن سلامة) أخبرني به في النوم من رجوع الأمر إليَّ عند ولادة الحامل التي كانت عندي .

---

(٧٣) وهكذا يكرر الخزرجي وكثير من المؤرخين اسم (اسعد بن شهاب) بينما ذكر مؤلفا كتاب (الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن) ان (اسعد بن شهاب) توفي في عام (٤٥٦ هـ) بينما حادث عودة جياش الى تهامة واستعادته الحكم في تهامة، كان في عام ٤٨٢ أو ٤٧٣ للهجرة وإن الذي خلف اسعد ابن شهاب على زبيد انما هو اسعد بن عرّاف كما سبق .

ثم لم يمض شهر حتى كنت أركب بعشرين الف حربة من عبيدنا وبني عمنا ، فسبحان المعز بعد الذلة ، المكثر بعد القلة » .

أما أبو سعيد خلف بن أبي الطاهر ، وزير (جياش بن نجاح) الذي وعده جياش بأن يقاسمه الملك بعد استعادته فلم يمنحه بأكثر من لقب (قسيم الملك) وتقليدهِ الوزارة التي ربما لم يحظ منها بأكثر من لقب وزير .

وقد حدثت مع ذلك وحشة بينهما ابتعد الوزير خلف بسببها خارج منطقة نفوذ جياش . ولمّا كتب اليه جياش يسترضيه ويطلب منه عودته اليه ردّ عليه الوزير خلف بالأبيات التالية .

اذا لم تكن ارضي لعِرضي معزة	فلست وإن نادتْ إليّ أجيبها
ولو انها اضحت كروضة جنة	مع الطيب لم يحسن من الذل طيبها
وسرتُ الى ارض سواها تعزني	وإن كان قد يعوي من الجدب ذيبها

هذا ومنذ عاد (جياش بن نجاح) الى امارة (آل نجاح) في تهامة لم يكن من الملك المكرم (احمد بن علي الصليحي) أكثر من غارات على تهامة .

أما الحرب الفعلية بين الصليحيين وآل نجاح فإنما كانت بين الملك (سبأ بن أحمد الصليحي) والأمير (جياش بن نجاح) وكانت تهامة وزبيد بالذات مسرح النزاع والحرب بينهما .

والذي يظهر من مجرى الأحداث التي قامت بين الصليحيين وآل نجاح ، ان الصليحيين كانوا أقوى ، ولكن ليس الى الحد الذي يتمكنون به من القضاء النهائي على آل نجاح ، وذلك لأنّ المؤرخين اجمعوا على انه كان اذا دخل الشتاء نزل الصليحيون تهامة واستولوا عليها ، بعد ان يكون (آل نجاح) ، قد غادروها الى جزيرة دهلك في البحر الأحمر ، واذا دخل الصيف واشتدّ الحر في تهامة ارتفع الصليحيون الى حصون بني[٧٤] المفضل المطلة على تهامة ، ويعود

(٧٤) ومن حصون بني المفضل مَقر وقوارير والظرف والشرف ووصاب وغيرها في بلاد وصاب السافل وبهذا الجبل سميت جميع الجبال بجبال وصاب .

آل نجاح الى تهامة تارةً بحرب وتارةًبغير حرب ، يساعدهم أي آل نجاح شدة الحر الذي تعودوه ومحبة الناس لهم .

قال عمارة(٧٥) : « وكان اذا عاد (جياش بن نجاح) الى زبيد نُشرت المصاحف وحفلت الفقهاء وتطاول العلماء وابتهل له الرعايا بالدعاء » فالصليحيون يدخلون زبيد غازين فاتحين ، ويخرجون منها في الغالب مختارين ، ولو كان الجانبان متكافئين (وآل نجاح هم الحكام الشرعيون لزبيد وتهامة والناس في المنطقة معهم وعلى ولاء لهم ، لما ظلوا في نزاع مستمر مع الصليحيين ، حتى اضطرّ آل نجاح الى تدبير المؤامرة الآتية لوضع حد لذلك النزاع .

أما سر تعاطف أهل تهامة مع آل نجاح ، فلأنهم يعتبرونهم الولاة الشرعيين لها من قبل العباسيين الخلفاء الشرعيين دون الفاطميين الذين ينتمي اليهم الصليحيون ، ولأن أهل تهامة سنيون كالعباسيين ، وليسوا شيعةً كالصليحيين أتباع الفاطميين .

أما(٧٦) المؤامرة التي دبرها الأمير (جياش بن نجاح) لوضع حد للنزاع المستمر بينه وبين الملك (سبأ بن احمد الصليحي) حول زبيد فملخصها ان (جياش بن نجاح) احتال لاستدراج الملك سبأ الى تهامة للإيقاع بجيشه على حين غرة منه ، بأن أعتقل وزيره خلف بن أبي الطاهر وقبض امواله واستبدله بمحمد بن الغفاري ، وأوعز الى الوزير خلف بأن يثقب بعد فترة من السجن ثقباً يفرُّ منه الى الملك سبأ لاجئاً به وأن يُظهر الولاء له حتى يحسن موضعه عنده ففعل الوزير خلف ذلك ، وما زال يُحسِّن للملك سبأ غزو تهامة للقضاء على إمارة آل نجاح ، كما أوعز الأمير جياش لعدد من اعيان دولته وقادة جيشه بأن يكاتبوا الملك سبأ الصليحي ويبذلواله الطاعة ، فأطمأن الملك سبأ

(٧٥) في المفيد حواشي كاي ص ٣٤ .

(٧٦) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ١٥١ .

وجمع ثلاثة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل ، وتحرك بهم الى تها مة ، وكان جياش قد اعد عدته وحشد جموعه واستعان مع ذلك بالشريف يحيى بن حمزة صاحب المخلاف السليماني ببلاد عسير شمال تهامةالذي جاء على رأس جيشه وانضم الى جياش ، ولما علّم جياش بتحرك (سبأ بن احمد الصليحي) نحو زبيد كمن بجموعه وجموع الشريف يحيى ، وفاجأوا جيش الملك سبأ صبيحة يوم لم يكن قد اخذ استعداده للقتال ، وأوقعوا به في محل يعرف بالكظائم من بلاد زبيد ، وذلك في يوم الجمعة من عام (٤٧٩ هـ) وقتل الأميران (قيس بن احمد بن المظفر) أخو الملك سبأ بن أحمد،و(محمد بن المهنّا الصليحي) ، وحمل الشريف (يحيى بن حمزة) على القاضي (عمران بن الفضل اليامي) وطعنه طعنة مات بعد أيام متأثراً بها ، وعقر فرس الملك سبأ ، واضطرَّ الى ان يسير راجلاً في غمار فلول جيشه المنهزم حتى حمله بعض فرسانه على فرسه وواصل انسحابه من المعركة ، ولم يعد لحرب (آل نجاح) بعدها .

وكانت هزيمة الصليحيين في معركة الكظائم هذه ضربة قاضية لفكرة الوحدة اليمنية التي كان المكرم (أحمد بن علي الصليحي) قدحاول تحقيقها بعد انهيارها بمقتل الملك الكامل (ابي الحسن علي بن محمد الصليحي) على يد (سعيد الأحول بن نجاح) .

وقد اعتذر الشريف (يحيى بن حمزة) من الملك (سبأ بن احمد الصليحي) بعد ايام برسالة ابدى فيها أسفه لنصرته الأمير جياش بن نجاح ، وضمّن رسالته تلك قصيدة مطلعها : (ابلغ نزاروحيث حلّ نزار) ومنها :

وقد يعزّ علينا ما أصابكمو ... منا بغير رضى كف ولا قدم
والله يعلم اني يوم وقعتكم ... لم أمس إلا على جمر من الندم
وإن فيض دم منكم كفيض دم ... بكربلاء وثار الدم لم يرم

وقد أجاب عليه الملك سبأ برسالة ضمنها قصيدة جاء منها قوله :

فليس قيس وإن جلّت رزيته ... وكان صنوي لحمي لحمه ودمي

ولا الهمام أبو موسى وصاحبه محمد وهما من أوثق العصم
بأول القوم منًا ضمَّ موتهمو بين الأسنة والهندية الخذم
والسيف يأكلنا حيناً ونرتعه حيناً اذا شاء في الأعناق والقمم

هذا وقد قتل الشريف يحيى بن حمزة بن وهاس المذكور على ايدي احمد وحسين ابني القاضي عمران بن الفضل اليامي اللذين قصداه الى بلده متنكرين واخذا منه بثأر أبيهما .

وفاة الملك (سبأ بن احمد الصليحي)

استقر الملك (سبأ بن احمد الصليحي) في قصره في حصن اشيح من بلاد آنس بعد وقعة الكظائم دون ان يغزو زبيد بعدها ، الى وفاته في عام (٤٩١ هـ) أو عام (٤٩٢ هـ) على[٧٧] اختلاف بين المؤرخين .

وخلفه على صنعاء واعمالها السلطان حاتم بن الغشيم المغلسي الهمداني الحاشدي ، الذي استقل بالقسم الأعلى من اليمن عن حكم الدولة الصليحية ، وعرفت امارته وامارة خلفه بأسرها الثلاث بامارة (آل حاتم) كما سيأتي في الفصل الخاص بتأريخها ، كما انفصلت هذه الأمارة عن الانتماء الى الدولة الفاطمية وان ظلت متعاطفةً مع بقيَة الإمارات التي ما زالت منتمية اليها كامارة (الصليحيين) برئاسة الملكة اروى بنت أحمد الصليحية التي اكتفت بادارة شؤون المنطقة الوسطى والجنوبية ، وامارة (آل زريع) في عدن واعمالها .

أما (آل نجاح) فانهم احتفظوا بنفوذهم في تهامة بعد موت الملك (سبأ بن احمد الصليحي) ، ولم تحاول الملكة اروى غزوهم إلا مرتين مرة بغرض مساندتها للأمير منصور بن فاتك بن جياش ضد عمه الأمير عبد الواحد بن جياش بن نجاح ، وذلك عن طريق وزيرها (المفضل بن أبي البركات

(٧٧) الخزرجي في العسجد المسبوك ص ٦٥ . والصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص

الحميري) ، والمرة الأخرى عن طريق وزيرها واميـر امرائها (ابن نجيب الدولة) حينها امتنعوا عن تأدية الخراج الذي تعهدوا به مقابل نصرتهم في المرة الأولى ، ولم ينل منهم منالاً .

ولقد كان الملك (سبأ بن احمد الصليحي) شجاعاً ناهضاً كريم الأخلاق ، وشاعراً فصيحاً ومقصوداً ممدوحاً . يجيز على الشعر بالشعر والعطاء ، أسكن شاعر الدولة الصليحية وكاتب انشائها الشاعر الأديب (الحسين بن علي بن القم) معه في حصن أشيح (ظفار بني سويد حالياً) في بلاد آنس ومدحه هذا بغرر قصائده ، ومنها قصيدة جاء منها قوله :

إن ضامك الدهر فاستعصم بأشيح   أو أزرى بك الدهر فاستمطر بنان سبأ
ما جاءه طالبٌ يبغي مواهبه   إلا وأزمع منه فقره هربا
تخال صارمه يوم الوغى نُهُراً   تضرمت من دم حافاته لهبا
ابن المظفر ما امتدت سماء علا   إلا والفيته في افقها شهبا

وقصيدة جاء فيها قوله :

وما يلتقي صدق الوداد وطاعة العذول ولا جود ابن احمد والفقر
كريم اذا جادت فواضل كفه   تيقنت ان البخل ما يفعل السحب
اجاز فلا خوف واحيا فلا ردى   وجاد فلا فقر ورام فلا صعب
ويُثني على قُصَّاده فكأنه   يُجاد بما يُجْزِي ويُحبى بما يحبو
كتبت اليه والمفاوز بيننا   فكان جوابي جود كفيه لا الكتب

ومنها قصيدة جاء منها قوله :

معاليك لا ما شيدته الأوائل   ومجدك لا ما قاله فيك قائل
وما المجد إلا حيث يممت قاصداً   وما النصر إلا حيث تنزل نازل
سحاب عواديه لُجَينٌ وعسجد   وليث غواديه قنا وقنابل
تَوَّقى الأعادي بأسه وهو باسم   ويرجو المُوالي جودَه وهو صائل

ومنها قصيدة جاء فيها قوله :

ولما مدحتُ الهزبريَّ ابن أحمد ... اجاز وكافأني على المدح بالمدح
فعوَّضني شعراً بشعري وزادني ... عطاءً فهذا رأس مالي وذا ربحي
شققت اليه الناس حتى لقيته ... فكنت كمن شقَّ الظلام الى الصبح
فقُبحَ دهر ليس فيه ابن أحمد ... ونُزِّه دهر كان فيه من القبح

وفاة الملك جياش بن نجاح

كما توفي الأمير جياش بن نجاح في عام (٤٩٨ هـ) وكان عالماً واديباً وشاعراً ومؤرخاً وله ديوان شعر ، وله (المفيد في تأريخ زبيد) ومن شعره قوله :

اذا كان حلم المرء عون عدوه ... عليه فإن الجهل أولى وأروح
وفي الصفح ضعف والعقوبة قوة ... اذا كنت تعفو عن قليل وتصفح

الأمير فاتك بن جياش بن نجاح

ولما توفي[٧٨] الأمير (جياش بن نجاح) في عام (٤٩٨) للهجرة خلفه ولده (فاتك) الذي وُلد له من الهندية ليلة استعادته الحكم كما عرفنا .

وقد خالف عليه اخواه الأميران (ابراهيم) و(عبد الواحد) وكان لهذا نفوذ في الجيش ، وافترقت بينهم مماليك ابيهم الذين كان قد استكثر منهم وصار لهم نفوذ في الإمارة ، وقامت بين الأمير فاتك وأخويه حرب انتصر فيها الأمير فاتك وقبض على اخيه (عبد الواحد) ، ولكنه عفا عنه وأطلق سراحه .

أما الأمير (ابراهيم بن جياش) فإنه لاذ بالسلطان (اسعد بن وائل

---

(٧٨) عمارة في المفيد حواشي كاي ص ١٠٠ .

بن عيسى الوائلي) وأقام عنده في و حاظة ببلاد الحزم حتى عاد لحرب ابن أخيه (منصور بن فاتك) كما سنعلم .

قال عمارة عن استقبال[79] الوائلي لأبراهيم بن جياش : « ففعل معه من الأكرام ما لم يسبقه أحد » .

الأمير منصور بن فاتك بن جياش

ولما توفي[80] الأمير (فاتك بن جياش) في عام (٥٠٣) للهجرة خلفه ولده (منصور) .

ولما كان دون البلوغ عند وفاة ابيه فإنه قام بالأمر عنه مولاه (انيس الفاتكي) .

وكان هذا العهد هو بداية استيلاء العبيد الجربيين على مقاليد الأمور في إمارة آل نجاح .

وقد عارض الأمير منصور بن فاتك عمه (ابراهيم بن جياش بن نجاح) الذي زحف من بلاد وحاظة على رأس جيش لحرب ابن اخيه ، وخرج (انيس الفاتكي) على رأس جيش الأمير منصور لمنازلة (ابراهيم) ، والتقى الجمعان بقرية (الهويب) من بلاد زبيد ، ولم يُذكر قيام حرب بينهما . وإنما ذكر ان الأمير (عبد الواحد بن جياش) انتهز خلو زبيد ودار الإمارة من الجيش غير حامية صغيرة ، فاحتل دار الإمارة .

وان وصفان القصر واستاذوه تمكنوا من اخراج الملك الطفل منصور من دار الإمارة ، ثم الإدلاء به ليلاً من سور المدينة ، والمسير به الى القائد

(٧٩) نفس المصدر والصفحة .

(٨٠) نفس المصدر والصفحة الخزرجي في العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام والثقافة ص

(أنيس الفاتكي) المعسكر بجيشه في قرية الهويب خارج زبيد .

وإن الأمير ابراهيم بن جياش حين علم باحتلال اخيه (عبد الواحد) لدار الإمارة واستيلائه على الحكم في زبيد سُقِط في يده ، وانسحب من معسكره ، وقصد السلطان (الحسن بن ابي الحفاظ الحجوري) سلطان (الجُرَيب من بلاد حجور حجة) .

في حين قصد انيس الفاتكي مع الملك الطفل (منصور بن فاتك بن جياش) الملكة اروى بنت احمد الصليحي الى ذي جبلة طالباً منها مساندتها في عودة الأمير منصور الى الحكم مقابل ربع حاصلات الإمارة ، وعاد وبصحبته الوزير (المفضل بن أبي البركات) على رأس جيش الملكة أروى ، وتمكن المفضل من اخراج الأمير (عبد الواحد بن جياش) من زبيد ، وذلك في عام (٥٠٤) للهجرة .

ولكنه تباطأ في تمكين الأمير عبد الواحد بن فاتك من مقاليد الأمور في امارته ، وهمّ بالإستيلاء عليها باسم الملكة اروى وبينما هو يفكر في وضع الأسس للإستيلاء على الامارة اذ بلغه استيلاء الفقهاء السنيين على حصن التعكر يساندهم بنو الزر الخولانيون ، فخرج من زبيد لا يلوي على شيء ، وعاد الى جبلة وقصد التعكر لاستعادته من غاصبيه وكان ما علمنا من موته بسبب ذلك عند التأريخ له في هذا الفصل .

أما القائد (أنيس الفاتكي) فانه عاد الى حكم الإمارة باسم الامير منصور بن فاتك بن جياش ، بعد عودة المفضل بن أبي البركات الى بلاده .

واستغل صغر سن الأمير منصور فركب بالمظلة وضرب السكة باسمه ، وذكر انه هم بالاستيلاء على الحكم لنفسه. ولكن[٨١] الأمير الشاب

---

(٨١) ابن عبد المجيد اليماني في تاريخه ص ٦٦ .

(منصور) كان اسرع منه حين عرف نواياه ، فأقام وليمة طعام في قصر الامارة دعا اليها أعيان دولته بما فيهم وزيره (انيس الفاتكي) ، وبينما المدعوون يتناولون الطعام إذ أخذ خاصة الأمير منصور الوزير انيس الفاتكي وقتلوه ، ثم صادر الأمير امواله ، وكان ذلك في عام (٥١٧) للهجرة .

واستوزر[٨٢] بعده (أبا منصور مَنَّ الله الفاتكي) ، وكان من أشجع الوزراء وأكرمهم ، وهو الذي رد (ابن نجيب الدولة) عن أبواب زبيد في عام (٥١٨) للهجرة حينما غزاهم من قبل الملكة اروي بنت احمد الصليحي بسبب منع آل نجاح لربع الخراج الذي كانوا يؤدونه للملكة اروى منذ ساندتهم ضد مغتصب العرش عبد الواحد بن جياش كما مر بنا . وردّ[٨٣] أيضاً (أسعد بن أبي الفتوح) كذلك .

والوزير[٨٤] (منَّ الله الفاتكي) هو الذي اغنى العلماء والمتعلمين في مدارس الحنفية والشافعية في زبيد طيلة عهده وكان يثيب على المدح ثواباً جزيلاً ، حتى قال الفقيه[٨٥] (أبو عبد الله محمد بن علي التهامي) مؤدب أولاد الوزير المذكور : اذكر اني جلّدت مما مدح به الوزير عشرة اجزاء كبار من شعر المجيدين من الشعراء » .

والوزير المذكور هو[٨٦] الذي سوّر مدينة زبيد بعد الحسين بن سلامة القائم على امارة (آل زياد) في نهاية عهدها .

الأمير فاتك بن منصور

ولما توفي[٨٧] الأمير منصور بن فاتك بن جياش بن نجاح ، في عام (٥١٧) للهجرة خلفه ولده (فاتك) وكان يومئذٍ طفلاً صغيراً ليس له أمر ولا

---

(٨٢) الخزرجي في العسجد المسبوك ص ١١٥ .

(٨٣) نفس المصدر والصفحة .

(٨٤) نفس المصدر العجسد ص ١١٦ .

(٨٥) و(٨٦) و(٨٧) نفس المصدر والصفحة .

نهي ، فتولى الوزير (منّ الله الفاتكي) ادارة شؤون دولته ، الى موته في عام (٥٢٤) للهجرة .

ثم خلفه(٨٨) الأمير (فاتك) بزريق الفاتكي ، وكان قليل الخبرة بالإدارة السياسية ضعيف النفوذ بالجيش ، فاستقال من منصبه .

وأسندت(٨٩) الوزارة الى (أبي منصور مفلح الفاتكي) من قبيلة (سحرت) الحبشية ، وقد وصف بأنه كان من أعيان الرجال وأهل الفضل والأدب والشجاعة والرئاسة ، وكان مع ذلك عفيفاً مستقيماً لم تعلم له صبوة قط ، فاضطلع بالمسؤولية على خير وجه حتى(٩٠) نشأ من عبيد الحرة علم (والدة الملك فاتك بن منصور) جماعة برئاسة القائد (سرور) وصارت لهم الكلمة النافذة في القصر ، وصار الوزير مفلح كالأجنبي منهم ، وان كانت مقاليد الأمور بيده ، وكان للحرة علم نفوذ في القصر منذ ان نالت حريتها بولادتها للأمير (فاتك بن منصور) ، واشتهرت بحسن السياسة وتوخي العدل بالرعية ، وقد وصفها الخزرجي بأنها كانت من ذوي العقول والأديان ، و جعل الله فيها من الخير والسداد والتوفيق والبركة للمسلمين ما يجاوز حد الوصف ، وكانت كثيرة الصدقات تعم بأهل اليمن براً وبحراً ،

وأضاف الخزرجي قائلاً : « وجعل اليها سيدها ولدها منصور بن فاتك ابن جياش تدبير مملكته ، ؛ فكان لا يقطع أمراً دونها وكانت تجل الفقهاء والعباد وتحترمهم » .

ولما ثقل الوزير مفلح عليها وعلى رجالها امعنوا في التفكير بتنحيته ، واتخذوا مختلف الوسائل لإبعاده وتقليص مركزه في الإمارة ، ومن ذلك انهم طلبوا تجهيز (الحرة علم) الى مكة للحج بثلاثين ألف دينار ، ففعل ذلك بعد

---

(٨٨) نفس المصدر ص ١١٨ .

(٨٩) نفس المصدر والصفحة .

(٩٠) نفس المصدر ص ١١٩ .

تلكؤ ثم طلبوا منه القيام بغزو (آل زريع) في عدن ، فأعدَّ الجيش وخرج به من زبيد في طريقه الى عدن ، ولكنه عاد الى زبيد بعد ليلة واحدة بعد خروجه منها ، وذلك بسبب ثورة الأمير (محمد بن فاتك بن جياش بن نجاح) على الملك (فاتك بن منصور) وعلى والدته الحرة علم ، قال عمارة[٩١] :

« واستعصمت الحرة هي وولدها بعلو الدار) دار الإمارة التي احتلها فاتك بن محمد ،ونمى الخبر الى القائد سرور وهو في ساقة العسكر ، (أي مؤخرة العسكر الذين خرجوا مع الوزير مفلح في طريقهم الى عدن) ، فانثنى راجعاً وتسوّر سور الحصن ودخل المدينة ، ونادى الى مولاته من خلف دار الملك ارموا إليَّ الحبال ، أنا فلان ، فرفعه الاستاذون والنساء بالحبال حتى وصل الى مولاه ومولاته فسلم عليهما وسكّن من روعهما وقال : هذه العساكر خلفي متواصلة : ثم أخذ مائة جارية وخمسين استاذاً فألبسهم زي الرجال من الدروع والسلاح ، وفتح الطيقان ، وصاح الجميع صيحة واحدة « يا فاتك بن منصور ، » وكان محمد ابن فاتك جالساً على سرير تحت طيقان الدار ، ورمى القائد سرور بحجر فلم تخطىء وجه محمد بن فاتك ، فهشمت وجهه وانفه عند تلك الصيحة العظيمة ، فانهزم هو ووزيره في تلك الساعة ومن معهما ، وخرجوا من باب البلد ليلاً ، ولم تصل العساكر الى البلد إلا في الظهر من صبيحة تلك الليلة » .

ولمّا تمَّ القضاء[٩٢] على ثورة (محمد بن فاتك) عمل رجال القصر مرة اخرى على ابعاد الوزير (مفلح الفاتكي) ، فكلفوه ببعض الأعمال في المهجم ، فخرج من زبيد في ثلة من العسكر في طريقه الى المهجم ، ولما كان على مسافة يوم من زبيد تخلى عنه العسكر الذين كانوا معه ، ورجعوا الى زبيد عن تعليمات صدرت اليهم بالطبع قبل خروجهم مع الوزير مفلح من زبيد ، وتعذر عليه هو الرجوع اليها ، وعلم بالمؤامرة التي دبرت لإبعاده ، والحيلولة

(٩١) في تأريخه بغية المستفيد في اخبار زبيد (مخطوط) ص (٢٢٦) .

(٩٢) عمارة في المفيد حواشي كاي ص ١١٣ .

دون رجوعه الى زبيد ، فارتفع مع خاصته وقليل من عسكره الى حصن (المكرشة) في قمة جبل برع المطلة على تهامة ، وصار منه يغادي تهامة ويراوحها ، ولكن غاراته لم تفلح ، وتقلد (اقبال الفاتكي) الوزارة على زبيد خلفاً له .

أما القائد (مفلح) فلم يرضخ للأمر الواقع ،وترك أهله في الحصن المذكور ، وقصد هو بني مشعل وغيرهم من القبائل المقيمة في غرب المهجم ، وكانوا فرساناً انجاداً ، فأسكنوه حصن (دبان) في المنطقة وكان بينه وبين المهجم مسافة نصف يوم للماشي ، ومنه ظل يشنّ غاراته على المهجم ، ثم راسل منه الشريف (غانم بن يحيى بن وهاس) حاكم المخلاف السليماني شمال تهامة طالباً منه مساندته له مقابل اسقاط الأتاوة عنه ، قال عمارة[٩٣] : « فسار الشريف في الف فارس وعشرة آلاف راجل ناصراً لمفلح على أهل زبيد ، فلقيهم القائد سرور فكسر مفلحاً وكسر الاشراف وكسر العرب على المهجم » وأضاف قائلاً : وعاد مفلح الى حصن كرش (المكرشة) فمات به سنة (٥٢٩) للهجرة .

فاتك بن محمد بن جياش بن نجاح

ولمّا[٩٤] توفي الملك (فاتك بن منصور) في عام (٥٣١ هـ) خلفه ابن عمه (فاتك بن محمد بن فاتك بن جياش بن نجاح) .

وذكر الخزرجي ان الأمير فاتك بن منصور مات مسموماً من قبل وزيره (اقبال الفاتكي) ، وانه لم تستقم الأمور لإقبال بعده ، اذ نقل رجال القصر الوزارة الى القائد (أبي محمد سرور الفاتكي) من قبيلة (امحرة) الحبشية ،

---

(٩٣) عمارة في المفيد حواشي كاي ص ١١٣ .
(٩٤) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ١٢٣ و عمارة في المفيد حواشي كاي ص

وكان شجاعاً ومستقيماً ، فاضطلع بالمسؤولية بكفاءة وحزم .

حتى[٩٥] قتله رجل من اصحاب (علي بن مهدي الرعيني) في عام (٥٥١ هـ) وهو يصلي العصر في مسجده . وبه ختمت وزارة العبيد الأحباش في امارة (آل نجاح) الذين هم احباش أيضاً ومنحدرون من عبد مملوك هو (نجاح) مؤسس امارتهم كما عرفنا .

وبالأمير (فاتك بن محمد بن فاتك بن جياش بن نجاح) انتهت إمارة آل نجاح .

وقد حدث مقتله من قبيل عبيده في عام (٥٥٣) للهجرة ، بطلب من الإمام (احمد بن سليمان) الذي وصل الى زبيد لصد غارات علي بن مهدي عنها ، واشترط[٩٦] لنصرتهم ان يقتلوا اميرهم (فاتك بن محمد) المذكور ، ثم عاد الى بلاده دون ان يتمكن من نصرتهم ، وتوالت الانتصارات لعلي بن مهدي حتى سقطت مدينة زبيد بيده ، وأقام دولته على انقاض امارة (آل نجاح) كما سنعلم في الفصل الخاص بتأريخ (آل مهدي) .

هذا ويجدر بنا قبل ان نختتم هذا الفصل ان نذكر شيئاً عن سيرة الوزير العظيم (القائد أبي محمد سرور الفاتكي) . قال عمارة[٩٧] « فصل فيما شاهدت بخط كاتبه ، رأيت جريدة الصدقات التي يدفعها عند دخوله زبيد (قادماً من المهجم مكان ولايته قبل تقلده الوزارة) للفقهاء والقضاة والمتصدرين في الحديث والنحو واللغة وعلم الكلام والفروع والمدرسين والمفتين اثني عشر الف دينار في كل سنة » وهذا المبلغ كثير في ذلك العهد للعلماء والمتعلمين فقط وغير ما يجري لهم بصورة رسمية وثابتة من الدولة والأوقاف ، ودليل على مدى تقدير (آل نجاح) وولاتهم ووزرائهم للعلم وأهله .

---

(٩٥) الخزرجي العسجد المسبوك آنف الذكر ص ١٢٧ .

(٩٦) نفس المصدر ص ١٢٨ .

(٩٧) في المفيد حواشي كاي ص ١١٩ .

وأضاف عمارة[٩٨] عن سيرته بعد تقلده الوزارة قـائلاً : « فصـل كان القائد أبو محمد سرور الفاتكي رحمه الله يخرج الى مسجده بعد نصف الليل أو ثلثه ، وكان اعلم الناس جميعاً بالمنازل وبالأنواء ويقول : إنما أنـا اخرج هـذا الوقت لعل احداً من أهل البيوتات وأرباب الستر لا يقدرون على الوصول الى عندي بالنهار ، اما لكثرة الناس أو لفرط الحياء ، فاذا صلى الصبح ركب إما الى فقيه يزوره ، أو مـريض يعوده أو ميت يحضـر دفنه ، أو وليمـة أو عقد نكـاح يشهده . وما يخص بذلك أكابر الجند والعلماء والتجار دون اصاغرهم ، بل من دعاه أجاب ، وكان المتظلم من الرعية يجفو عليه ويفحش له في القول وهو آمن حميته وعزتـه وغضبه ، وكـان يدعى الى الحـاكم فيحضر ولا يـوكل كـما يفعل الجبابرة وان كـانوا اصـاغر ، ويقعـد بين يـدي الحاكم تـواضعاً لا وضاعـة ، ودخولاً تحت امر الشرع ليقتدي به سواه ، ثم يعود » .

ثم ذكر انه كان يشتغل في ادارة شؤون الدولة الى زوال الظهر وأضاف قائلاً : « ثم يخرج الى المسجد في أول زوال الظهر فلا يشتغل بغـير المستندات الصحيحة عن رسول الله ﷺ ، واذا صلى المغرب تناظر الفقهاء بين يـديه الى وقت صلاة العشاء الأخيرة ، وربما تـطول المناظـرة في بعض الليالي » وقـال : « ولم تزل هذه حاله من سنة تسع وعشرين وخمسمائـة الى ان قتل في مسجـده رحمه الله بزبيد في الركعة الثالثة من صلاة العصر يوم الجمعـة الثاني عشـر من رجب سنة احدى وخمسين وخمسمائة قتله رجل يقال له محرم من أصحاب علي ابن مهدي ثم قتل قاتله في تلك العشية بعد ان قتل جماعة من الناس ولم تلبث الدولة إلا قليلاً حتى ازالها علي بن مهدي في سنة (٥٥٤) للهجرة » .

---

(٩٨) نفس المصدر والصفحة .

نظرة عامة في عهد آل نجاح

بدأت إمارة (آل نجاح) في تهامة بمؤسسها نصير الدين المؤيد (نجاح) في عام (٤١٢) للهجرة ، وذلك على انقاض (آل زياد) ولاة العباسيين على المنطقة .

وكان الامير (نجاح) مولى للأمير (مرجان) القائم آنذاك على الإمارة بعد انقضاء (آل زياد) ومواليهم ، اذ كان مرجان من موالي مواليهم كما عرفنا في بداية المفصل ، وفي نهاية فصل آل زياد .

وقد استولى الأمير (نجاح) على امارة (آل زياد) في تهامة وحتى حدود المخلاف السليماني شماليها ، بعد حرب دامت ثلاث سنوات بينه وبين مولاه (مرجان) بسبب قيام هذا بقتل الأمير عبد الله اخر امراء آل زياد وكافلته ، واسفرت تلك الحرب عن مقتل نفيس احد موالي مرجان وانتصار (نجاح) ودخوله زبيد ظافراً حاكماً لها ، وقام نجاح مع ذلك بقتل مولاه مرجان ، ودعم بالولاية من العباسيين .

ولما كان نجاح وخلفاؤه في امارته قد دخلوا مع الصليحيين في حروب طال امدها منذ قيام الملك (علي بن محمد الصليحي) وحتى عهد الملك (سبأ بن احمد الصليحي) فإنه يمكن تقسيم عهد (آل نجاح) الى فترتين :

- فترة نزاعهم مع الصليحيين .
- وفترة استقلالهم عنهم .

فأمّا الفترة الأولى فتتسم بالنسبة لآل نجاح بأمور أهمها :

١ ـ قلق واضطراب منطقة تهامة مسرح النزاع بين الصليحيين وآل نجاح .

٢ ـ استقرار منطقة النزاع هذه اقتصادياً الى حد ما ، حيث كان كل فريق من

الفريقين المتنازعين يحتسب لأهل تهامة ما أخذه الفريق الأخر من واجبات الدولة اثناء استيلائه عليها ، ومن الجائز جداً تبعاً لـذلك وبحكم التنـافس القائم بين الفريقين ان يتنافسا بالتالي في اكرام علماء ومتعلمي وفقراء ابنـاء المنطقة وغيرهم ، وفي بسط العدل بينهم ، وتوفير الرخاء فيهم ، كوسيلة فيما يأمله كل فريق لاستمالة الناس في المنطقة وحكمها بصورة نهائية ودائمة .

٣ ـ ازدهار العلم بجميع مدارسه المالكية والحنفيـة والشافعيـة في زبيد وذلـك بحكم سنيـة (آل نجـاح) وعـدم تعصبهم لـمذهب عـلى آخـر ، وبحكم التسامح والحرية المـذهبية والعقـائديـة اللتين كـان يتيحهما (الصليحيـون) للناس ،وعدم قسر احد على اعتناق المذهب الشيعي والعقيدة الاسمـاعيلية اللذين كـان الصليحيون يعتنقـونهما ، واحسان كـلا الفريقـين لكل العلماء والمتعلمين اياً كانت مذاهبهم وعقائدهم ، حتى نمت جميع المدارس ولم يؤثر عليها الصراع السياسي بين الجانبين .

٤ ـ الاستقرار الداخلي سياسياً بين امراء (آل نجاح) فيما بينهم في هذه الفترة الأولى من عهدهم وهي فترة عهد الملك نجاح وفترة ولديه (سعيد الأحول) و(جياش) .

أما الفترة الثانية وهي فترة استقلال (آل نجاح) عن الصليحيين بحكم تهامة فتتسم بالآتي :

١ ـ الإضطراب السياسي والأمني في المنطقة بسبب النزاع الذي كان كثيراً مـا يحدث بين الأمراء (آل نجاح) فيما بينهم ، وحرب بعضهم لبعض ، وذلك منذ تولي الأمير (فاتك بن جياش بن نجاح) كما علمنا .

٢ ـ ضعف نفوذ امراء (آل نجاح) ، واستيلاء وزرائهم من العبيـد الأحباش على السلطة في كافة شؤون الدولة وذلك منذ تولي الأمير (منصور بن فاتك ابن جياش بن نجاح) وحتى آخر ملوكهم وهو (فاتك بن محمـد بن منصور ابن فاتك بن جياش بن نجاح) الذي قتله عبيده كما علمنا ، بل لقد كـان

بعض الوزراء من العبيد يغتصب على الأمير من امراء (آل نجاح) مراسيمه الخاصة به من ضرب السكة باسمه والركوب بالمظلة .

ولقد اجمل المؤرخ عمارة في تأريخه[99] وصف حال امراء (آل نجاح) من أولاد الأمير فاتك بن جياش ، وحال وزرائهم العبيد فقال : « ولم يكن لأولاد فاتك بن جياش من الأمر سوى النواميس الظاهرة من الخطبة لهم بعد بني العباس ، والسكة ، والركوب بالمظلة في أيام المواسم وعقد الآراء في مجالسهم ، وأما الأمر والنهي والتدبير وإقامة الحدود واجازة الوفود فلعبيدهم الوزراء ، وهم عبيد فاتك بن جياش وعبيد منصور ابنه ، وهم وإن كانوا حبشة فلم يكن ملوك العرب تفوقهم في الحسب إلا بالنسب ، وإلا فلهم الكرم الباهر والعز الظاهر ، والجمع بين الوقائع المشهورة ، والصنائع المأثورة » .

٣ ـ ازدهار العلم بجميع مدارسه في زبيد (مدينة العلم وكرسي الشافعية) وعلى اختلاف مذاهب تلك المدارس ، وقد كان العلماء يبتهلون بعودة (آل نجاح) الى الحكم اثناء صراعهم مع الصليحيين وتلهج الرعايا لهم بالدعاء ، فضلاً عن الفترة التي انتهى فيها النزاع بين الصليحيين وآل نجاح .

٤ ـ انتشار الرخاء في المنطقة بشكل عام ، بفضل العدل الذي كان يبسطه (آل نجاح) ووزراؤهم وبفضل النفوذ الذي كان يتمتع به الوزراء الأحباش في هذه الفترة والكرم الذي كانوا يتحلون به ، كما عرفنا شيئاً عن ذلك لدى الوزير (منَّ الله الفاتكي) والوزير (أبي محمد سرور الفاتكي) .

---

(٩٩) في المفيد حواشي كاي ص ١٠٢ .

امارة آل زريع
(٤٦٠ - ٥٦٩ هـ)
(١٠٦٩ - ١١٦١ م)

(آل زريع) هؤلاء همدانيون من نسل يام بن اصبا الحاشدي الهمداني .

وقد ملّكهم الداعي الملك المكرم (احمد بن علي بن محمد الصليحي) (عدن) واعمالها ، وامتد نفوذهم الى بعض اعمال مخاليف الجند وجعفر وبلاد المعافر كما سنعلم ، وقد حكم آل زريع الإمارة نواباً للصليحيين ، يرفعون اليهم أتاوة سنوية ، وقاموا مع ذلك بالدعوة للفاطميين ، وانتموا اليهم ، ثم استقلوا عن الصليحيين في آخر عهد الملكة(أروى بنت أحمد الصليحي) كما علمنا .

وقد شجع (آل زريع) على الانفصال عن الملكة اروى وقطع الأتاوة السنوية التي كانوا يؤدونها اليها مغادرة(ابن نجيب الدولة) لليمن ،وكان هو وزيرها من قبل الإمام الآمر بالله بن الإمام المستعلي بن الإمام المستنصر الفاطمي وأمير أمراء جيوشها ، وعدم سد الوزير (علي بن عبد الله الصليحي) مسده .

كما شجع (آل زريع) على الانفصال عن الملكة أروى ايضاً انتماء (آل زريع) الى الإمام الحافظ (عبد المجيد بن محمد بن الإمام المستنصر) المذكور الذي انفصلت الملكة اروى عنه ، بحجة انتمائها الى الإمام المولود المستور الطيب بن الإمام الآمر بالله ، الذي لم يُعْلَم مكانه ، فضلا عن ان يكون له حول و طول أو قوة أو نفوذ كما علمنا ايضاً .

أمّا قصة تولية الملك المكرم احمد بن علي الصليحي لآل زريع عدن واعمالها فهي : « انه لمّا توفي (الحسين بن سلامة) مولى آل زياد والقائم على امارتهم في عام (٤٠٣) للهجرة تقلص ظل الإمارة الزيادية واستقلّ كثير من نوابها عنها ، ومن هؤلاء (بنو معن)[١] الحميريون الذين استقلوا بحكم عدن والشحر وحضرموت ولحج وأبين .

ولما ثار (علي بن محمد الصليحي) في عام (٤٣٩) للهجرة وملك اليمن غزا عدن فهادنه بنو معن وأذعنوا له فأقرهم على ما هو تحت نفوذهم نواباً عنه ، ولمّا زوّج ابنه المكرم (احمد بن علي الصليحي) بالسيدة (أروى بنت أحمد الصليحي) جعل خراج عدن واعمالها صداقاً لها ، وصار بنو معن يرفعون اليها خراجها .

ولما قتل الملك أبو الحسن علي بن محمد الصليحي على يد (سعيد الأحول ابن نجاح) حاكم تهامة غدراً وَوَلِيَ الحكم بعده ابنه الملك المكرم منع (بنو معن) الأتاوة عن الدولة الصليحية .

فغزاهم[٢] الملك المكرم وانتزع ما هو تحت ولايتهم ، وولى عدن واعمالها كلا من (العباس) و(مسعود) ابني الكُرَّم الجشمي اليامي الحاشدي الهمداني ، وكانت لهما سابقة محمودة مع الملك الكامل أبي الحسن علي بن محمد الصليحي عند قيامه بثورته ، وأثناء حروبه مع ملوك اليمن وسلاطينها وزعمائها ، ومع المكرم في حربه لآل نجاح عند انقاذه امه من الأسر كما علمنا .

---

(١) ليس بنو معن من أولاد (معن بن زائدة الشيباني) عامل اليمن للعباسيين في ارجح آراء المؤرخين ، وقد عرف من امراء بني معن حكام عدن وما اليها (مؤسس الإمارة (علي بن معن) فالعباس بن علي بن معن فمحمد بن علي بن معن الذي فر عند غزو المكرم لعدن الى بلاد احور من أعمال ابين .

(٢) عمارة في المفيد حواشي كاي ص ٨١ .

وقد جعل المكرم للعباس حصن التعكر المطل على عدن (المعروف حالياً بجبل حديد وبجبل شمسان) وباب البر وما يدخل منه ، وجعل للمسعود حصن الخضراء (المعروف حالياً بجبل البنديرة وبجبل معاشيق) وباب البحر (باب حقات) وما يدخل منه (من البحر) ، وجعل اليه امر المدينة .

واستمرَّ العباس ومسعود على ولائهما للدولة الصليحية يرفعان اليها الخراج مائة الف دينار سنوياً قد تزيد وقد تنقص .

ولّما توفي (العباس بن الكُرَّم) خلفه ابنه (زريع) ، جد آل زريع الذين انفردوا بالحكم كما سنعلم . وقد امتدّ نفوذه في عهد عمه مسعود الى كثير من قلاع وحصون بلاد المعافر (بلاد الحجرية) بحكم عودة البر اليه ، ومنها قلعة المقاطرة في بلاد ذبحان المعافر ، وقلعة الدملوة في بلاد الصلو وغيرهما .

ولما قتل الأميران (زريع بن العباس) وعمه (مسعود) على ابواب زبيد في حربهما مع (المفضل بن ابي البركات) وزير الملكة أروى بنت أحمد الصليحي) عند مساندتها للأمير (منصور بن فاتك بن نجاح) ضد مغتصب العرش الأمير (عبد الواحد بن جياش بن نجاح) خلف زريعاً ولده (أبو السعود) ، وخلف مسعوداً ولده (أبو الغارات) .

الداعي سبأ بن أبي السعود

ولما توفي ابو السعود بن زريع خلفه ولده (سبأ) الذي وسّع امارته بعد تغلبه على ابن عمه (علي بن ابي الغارات بن مسعود) باستيلائه على كل اجزاء الإمارة التي كانت مجزأة بين الأخوين (العباس) و(مسعود) ابني الكُرَّم الجشمي الهمداني ، كما سنعلم ، وقد لقب الأمير (سبأ بن أبي السعود ابن زريع) بألقاب عديدة تدلُّ على مكانته لدى الفاطميين ، ولعله مُنِحها بعد انفراده بحكم الإمارة[٣] ومنها : « الداعي الأوحد المظفر مجد الملك

(٣) عمارة ص ٨٣.

شرف الخلافة عضد الدولة سيف الإسلام تاج العرب ومقدمها داعي امير المؤمنين (سبأ بن أبي السعود بن زريع بن العباس بن الكُرَّم اليامي) واضاف المصدر قائلاً : وهو مالكٌ لِبابِها ، وما يدخل من البر ، وله معقل الدملوة[٤] وسامع ومطران وذبحان وبعض المعافر وبعض الجند وأعمال في الجبال واسعة .

ولما توفي (أبو الغارات) خلفه ولده (محمد) .

ولما توفي (محمد بن أبي الغارات) خلفه أخوه (علي بن أبي الغارات) .

وفي عهد الأميرين (سبأ بن أبي السعود) و(علي بن أبي الغارات) حدث خلاف بينهما ادى الى حرب دامت عامين كاملين ، وأسفرت في نهايتها عن تغلب الداعي (سبأ بن أبي السعود بن زريع) ، واستيلائه على جميع ما بنظر ابن عمه (علي بن أبي الغارات) ، وعُرِفت الإمارة من يومئذٍ بإمارة آل زريع ، فالأمير (سبأ بن أبي السعود بن زريع) يُعتبَرَ مؤسس إمارة آل زريع .

أمّا أسباب الخلاف بين الأميرين المذكورين فهو[٥] : أنّ (ابا القاسم محمد بن الخزري) نائب الأمير (علي بن أبي الغارات) بسط يده في نصف الارتفاع الخاص بالأمير (محمد بن سبأ) ، ولم يكفه (احمد بن عتاب الهذلي) نائب (بلال بن جرير المحمدي) وزير الملك سبأ ، وأضاف المصدر قائلاً : « وامتدّت ايدي اصحاب (علي بن أبي الغارات) الى ظلم الناس ، وعاثوا في البلاد وأفسدوا ، وأطلقوا الأقوال بمذمة الداعي سبأ ، وقالوا من ذلك ما يوجب الغيظ ويثير الحفيظة ، والداعي سبأ في اثناء ذلك مهتم بجمع الأموال والغلات سراً ، فكان من يلوذ بالداعي سبأ يُضَام ويهضم وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند»

(٤) الدملوة وما اليها من اعمال المعافر .

(٥) نفس المصدر والصفحة .

ولما عرف (الداعي سبأ) قلة ما بيد (علي بن أبي الغارات) نتيجة اسرافه في انفاق الأموال ضده عزم على مناجزته ، وارتفع الى قلعة الدملوة في بلاد الصلو من اعمال المعافر ، وكانت مما تحت يده ، ومنها بعث ابا سعيد القائد (بلال بن جرير المحمدي) الى عدن ، للاضطلاع بمسؤولية ما بنظره من اعمالها ، وللتحرش بعلي بن أبي الغارات ، وتحريك القتال معه في عدن ، وحشد (الداعي سبأ) من ناحيته جموعه من همدان وجنب وعنس وخولان وحمير ومذحج وغيرها ، ونزل بها من الدملوة الى قرية (بني ابه) في وادي لحج ، وكانت مسوَّرة ومما يقع تحت نفوذه ، كما تقدّم (علي بن أبي الغارات) بجموعه وعسكر في قرية الرعارع في وادي لحج أيضاً ، وكانت مسورة ومما يقع تحت نفوذه ، وبدأ قتال بين الفريقين استمرّ عامين ، وأسفر في نهايته عن هزيمة (علي بن أبي الغارات) ولجوئه[٦] وبعض خاصته الى حصنين له وهما : (المنيف) و(الحبلة) في بلاد صهيب اعالي لحج ، والتي تُعَرف اليوم ببلاد العلوي ، واحتل الأمير سبأ قرية (الرعارع) وفي ذلك يقول الشاعر (علي بن محمد بن زياد المازبي) .

خَلَتِ الرعارع من بني المسعود	فعهودهم فيها كغير عهود
حلَّت بها آل الزريع وإنما	حلت اسود في مكان أسود

كما احتلّ القائد (بلال بن جرير المحمدي) في نفس اليوم حصن الخضراء بعدن ، وانزل منه الحرة (بهجة) والدة الداعي (علي بن أبي الغارات) ، وصادر ما كان بحوزتها من ذخائر ونفائس واموال ، ذُكِرَ هو انه اكثر مما جمعه خلال ولايته على عدن من عام (٥٢٧) للهجرة ، وأسكنها عدن والتقى بشيراً الداعي سبأ والقائد بلال من كل الى الآخر اثناء الطريق ، وقد قضى (الداعي سبأ) على امارة ابن عمه (علي بن أبي

---

(٦) العسجد ص ٨٦ .

الغارات) بصفة نهائية في عام (٥٣٢ هـ) وهو عام وفاة الملكة (أروى بنت أحمد الصليحي) ، ثم قتل[٧] (علي بن أبي الغارات) وابني عمه (منيع بن مسعود) و(عبد الله بن أبي الغارات) على يد الداعي (محمد بن سبأ) في عام (٥٤٥) للهجرة .

وقد ذكر المؤرخ (أبو الحسن الخزرجي) في تاريخه (العسجد المسبوك)[٨] ما نقل عن الداعي (محمد بن سبأ) عن حرب الرعارع وهو قوله : « كنت في طلائع جيش والدي ، فواجهني (علي بن أبي الغارات) ومنيع بن مسعود ولم تحمل الخيل أشجع ولا أفرس منهما ، فقال لي منيع : « يا صبي قل لأبيك يثبت فلا بدّ العشيةَ من تقبيل الجشميات التي في مصونه أي خيامه » (يعني النساء من الأسرة الجشمية المتحاربة) ، فأخبرت والدي بذلك » فركب بنفسه ، وقال لمن حضر من بني عمه : « انّ العرب المستأجرة لا تصبر على حر الطعام ، ولا يمسك الثور إلا قده ، فالقوا بأنفسكم بني عمكم ، وإلا فهي الهزيمة والعار » .

وأضاف (محمد بن سبأ) قائلاً : « ثم التقى القوم فحمل منا فارس على منيع بن مسعود وطعنه طعنة شرم بها شفته العليا وارنبة انفه ، ولّما فصلتِ المعركة ونزل السيل بالوادي افترق القوم ووقفوا جميعاً على عدوتي الوادي يتجاذبون الحديث ، فقال الداعي سبأ لمنيع : « كيف رأيت تقبيل الجشميات يا أبا مدافع ؟» فقال منيع : وجدته كما قال المتنبي : (والطعن[٩] عند محبيهن كالقبل) » .

فلم يزل الناس يستحسنون هذا الجواب لموافقته شاهد الحال .

وقد اتسعت امارة آل زريع في عهد الداعي (سبأ) فشملت امارة بني

---

(٧) عمارة في المفيد حواشي كاي ص ٨٦ .

(٨) منشور وزارة الاعلام والثقافة ص ٨٥ .

(٩) أما صدر البيت فهو : (اعلى الممالك ما يبنى على الأسل)

الكرندي في مخلاف المعافر من اعمال تعز حالياً ومخلافي الجند وجعفر من اعمال اب حالياً ، وفي عهده استقلت عن الصليحيين كما عرفنا .

وكانت امارة (آل زريع) قد بدأت تُقَلِّص نفوذ الدولة الصليحيـة فيها منذ عهد (المفضل بن أبي البركات) ، وزير الملكة اروى ، وذلك بقطع الأتاوة التي كانوا يؤدونها اليها ثم مصالحتها على النصف من ذلك ، بعد ان غـزاهم المفضل وحاربهم ، ولمّا توفي المفضـل قطع آل زريـع النصف الذي صـالحهم عليه ، فغزاهم الوزير (اسعد بن أبي الفتوح) وصالحهم على الربع من الأتاوة السنوية ، ولما غادر ابن نجيب الدولة الذي استوزرته الملكة اروى خلفاً لأسعد ابن الفتوح ولم يسد الوزير (علي بن عبد الله الصليحي) مسده قطع آل زريع الربع المتبقي عليهم من الأتاوة ، وانفصلوا نهائياً عن التبعية للملكة اروى كما علمنا .

واقاموا امارتهم مستقلين ووسعوها على حساب بني الكرندي وبما شـروه من منصور بن المفضل بن أبي البركات بعد موت الملكة أروى حتى قضى عليهم وعلى غيرهم من الامارات اليمنية (بنو أيوب) كما سيأتي .

الداعي علي بن سبأ

وقد[١٠] توفي الداعي (سبأ) في عام (٥٣٣) للهجرة ، وبعد استيلائه على عدن بسبعة اشهر ، وكان قد اوصى بأن يخلفه اكبر أولاده (علي الأعـز) وكان هذا مريضاً بالسل ولم يُعمَّر بعد والده إلا نحو عامين ، وقد أوصى بدوره بأن يخلفه ابنه حاتم ، وكان (بلال بن جرير المحمدي والي عدن قد حدثت بينه وبين الداعي علي بن سبأ وحشة همَّ هذا أن يقبض عليه ، ولكن المنية عاجلته قبل أن يفعل ذلك .

---

(١٠) و(١١) المفيد حواشي كاي من ص ٨٦ .

الداعي محمد بن سبأ

ولّما كان ما حدث بينهما[11] هو سبب كراهية بين بلال وبين أنيس الحبشي مربي أولاد الداعي سبأ فإنّ (بلال المحمدي) بعث رجالاً من همدان الى الأمير (محمد بن سبأ) الذي كان هارباً من اخيه الداعي علي لدى (منصور بن المفضل بن أبي البركات) ، وعادوا بمحمد بن سبأ الى عدن ، فأخذ له بلال البيعة من الناس ومن الديوان في عدن على حد ما جاء في تأريخ عمارة وزوّجه بابنته .

وأول عمل قام به الداعي (محمد بن سبأ) هو التحرك على رأس قواته نحو قلعة (الدملوة) التي كان الأستاذ (أنيس الحبشي) معتصماً فيها مع أولاد الداعي علي بن سبأ ، فحاصره فيها حتى اضطره الى التسليم ، ومن ثمة استولى (محمد بن سبأ) على جميع امارة (آل زريع) خلفاً لأخيه الداعي (علي ابن سبأ) وأطاعه الناس في السهل والجبل .

وفي اثناء ذلك وصل الى عدن (الداعي رشيد احمد بن علي بن الزبير) قادماً من مصر ، يحمل مرسوم العهد من الإمام الفاطمي الحافظ عبد المجيد بن محمد بن الإمام المستنصر ، للداعي علي الأعز ، ولما وجده قد مات ، قلد المرسوم الداعي (محمد بن سبأ) ولقبه بالمعظم وبالمتوج المكين سيف المسلمين ، ولقب الوزير (بلال بن جرير المحمدي) بالشيخ السعيد الموفق السديد ، وكانت الألقاب والرايات هي من أولى ما يمنحه الإمام للولاة الموالين له ، المنتمين اليه ولو كان انتماءً شكلياً .

ولّما عجز[13] الأمير(منصور بن المفضل بن أبي البركات) عن القيام بادارة

---

(١١) المفيد حواشي كاي من ص ٨٦ .

(١٢) المفيد حواشي كاي من ص ٨٧ .

(١٣) في المفيد أيضاً ص ٨٨ .

شؤون ما بنظره من المدن والحصون ، والتي انتقل نفوذه عليها بعد موت الملكة (اروى بنت أحمد الصليحي) تنازل عن ذلك للداعي (محمد بن سبأ) مقابل مائة الف دينار ، وكان عدد الحصون ثمانية وعشرين حصناً ، منها حصن حب وحصن التعكر ، ومن المدن مدينة اب ومدينة جبلة ومدينة ذي اشرق وغيرها . ووصل الداعي محمد بن سبأ الى حصن التعكر والى حصن حب ودخل مدينة اب ، وأقام بمدينة ذي جبلة أياماً تزوج خلالها بالأميرة اروى بنت (علي بن عبد الله الصليحي) بعد ان طلقها (منصور بن المفضل بن أبي البركات) ، كما تزوّج الداعي (محمد بن سبأ) بابنة (اسعد بن وائل بن عيسى الحميري) سلطان وحاظة ، ثم عاد الى قلعة الدملوة وأقام بها الى موته في عام (٥٤٨ هـ) .

وكان الداعي (محمد بن سبأ) آل زريع ناهضاً كريماً مقصوداً ممدوحاً ، من الأدباء والشعراء ، وكان مجلسه حافلاً بالأدباء والعلماء ، ومدحه الكثير من الشعراء بغرر قصائدهم ، وكان يثيبهم جميعاً .

قال عمارة في تأريخه : « رأيته في يوم عيد وقد احرقته الشمس في المصلى بظاهر مدينة الجوة[١٤] والشعراء يتزاحمون على السبق بالنشيد فقال : قل لهم لا تتزاحموا وارفع صوتك فلست اعزم حتى يفرغوا ، وكانوا ثلاثين شاعراً ثم أثابهم جميعاً » .

وقال عمارة أيضاً : « وحضرنا يوماً عنده بقصر الحجر في موضع يعرف بالجنات[١٥] وعنده من الشعراء : (صفي الدولة احمد بن علي الحقلي)

---

(١٤) مدينة قديمة اسفل بلاد الصلو من اعمال قلعة الدملوة آنذاك ما تزال الى اليوم قرية عامرة .

(١٥) واد ما يزال معروفاً بهذا الأسم تحت قلعة الدملوة من اعمال بلاد الصلو فيه الكثير من غروس الفاكهة .

و(القاضي[١٦] أبو بكر الجندي) وقاضي صنعاء (يحيى بن عبد السلام بن أبي يحيى) وهو في الشعر عند أهل اليمن في طبقة (ابن القم) (الحسين بن علي ابن القم) ، فاقترح الداعي (محمد بن سبأ) على الجماعة بيتي شعر على وزن قام في خاطره ، وشرط لمن سبق مالاً وثياباً كانت عليه ، فتسابق الجماعة ، فسبقهم القاضي أبو بكر الجندي وكان قريباً مني ، وقد ثمل من الشراب ، فسرقت الورقة من يده ، وجعلتها في فمي ، وانتحلت بيتيه وقمت فأنشدتهما للداعي ، وأخذت من القاضي حضله ، وسلبته نصله ، وفزت بالمال والثياب ، ثم فاضت ينابيع كرمه على الجماعة ، فما منهم إلا من خلع عليه واجزل صلته » .

ثم ذكر عمارة في المصدر نفسه صحبته للداعي (محمد بن سبأ) الى مخلاف جعفر حينما وصل اليه لتسلم ما تنازل عنه منصور بن المفضل بن أبي البركات من حصون ومدن الصليحيين ، وأضاف قائلاً : « واكثر الشعراء تهنئته و مدحه بالمعاقل والعقيلة المذكورة (التي تزوجها) وطاش فرحاً بما صار اليه ، وبسط يده بالعطايا حتى اني اذكر يوماً وقد طلعتُ صحبته أنا وأبو الحسن النبلي من ذي جبلة الى حصن حب ، وكل من رفع اليه رقعة وقع عليها بما مثاله (العزة لله وحده) (لعل هذه الجملة كانت توقيعه) ، فلمّا انتهينا الى الحصن

---

(١٦) هو قاضي الشريعة أبو العتيق أبو بكر بن عبد الله بن محمد اليافعي الجندي ، قال في كتاب (حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول) ص (٦٥) « وقبل ظهور الدولة الرسولية ظهر ثلاثة من فحول الشعر باليمن هم : اليافعي والعندي وعمارة» وترجم لليافعي الجندي بأنه ولد في عام (٤٩٠) هـ وانه تولى القضاء في الدولة الزريعية وذكر من شعره قوله :

ونحن للفرقة نبكي معاً	استودع الله الذي ودعا
اسبل من اجفانه ادمعا	لما رآني مسبلاً ادمعا
وقال لي عند فراقي له	ما اعظم البين وما أوجعا
ما أنت بعدي بالنوى صانع	فقلت لا أقدر ان اصنعا
ما يصنع الصب المعنىَ اذا	فارق إلفاً غير ان يجزعا

احصينا الرقاع التي بأيدي الناس ، وكان خازن ماله الشيخان (احمد بن موسى) و(ريحان المحمدي) فجاء مبلغ الرقاع خمسة آلاف دينار ، فاستكثرها (احمد بن موسى) وقال : فشاوره على ذلك ، وقال ريحان : أمّا أنا فما أكره الحياة والله لئن شاورته على ذلك لاسَلِمْتُ منه ، فدفع المال في ذلك اليوم بأسره » .

هذه بعض نماذج مجالس الأمير الداعي (محمد بن سبأ بن أبي السعود بن زريع) الحافلة بالأدباء والشعراء والعلماء ، ونماذج من عطائه وكرمه الذي شجع الأدباء ، ورفع من شأن الشعر والعلم .

وممن مدحه[17] قاضي صنعاء (يحيى بن عبد السلام بن ابي يحيى) ومن قصائده في مدحه قصيدة انشأها بمناسبة زيارته لمدينة ذي جبلة مطلعها

النصر من قرناء عزمك فاعزم   والدهر من اسراء حكمك فاحكم

ومنهم الشريف (يحيى بن محمد بن علي الحسني) ومن قصائده فيه قصيدة هنأه فيها بالعيد مطلعها :

جلالك البس العيد الجلالا   ومجدك فيه مجد العيد طالا
وعزك اكسب الأعياد عزاً   يتيه به وصار لها جلالا

ومنهم الأديب سالم بن عمران التغلبي ، ومن قصائده في مدحه قصيدة مطلعها :

هل للفضائل عن مديحك معزل   أم هل لها عن دون بابك موئل
شغلت صفاتك السن الشعراء عن   أن ينسبوا فيها وان يتغزلوا

ومنهم الأديب دجانة بن محمد الصنعاني ومن قصائده في مدحه قصيدة مطلعها :

---

(17) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٨٨ .

قسماً بمجدك انه لمجيد حقاً وانك في الزمان وحيد
فاقعد فدست الملك غير منازع والبس رداء المجد فهو جديد
وأفخر على أهل الزمان فإنهم خول وانك فيهمو لعميد

ومن مدحه الشيخ الأديب احمد بن علي المعافري ومن شعره فيه قوله :

شهدت بفضلك يعرب العَرْباء وعنت لك الأشباه والنظراء
وترفعت همم نواهـا فيك ان تأتي على أوصافها الشعراء

ومنهم الأديب احمد بن محمد بن الحيار ومن شعره فيه قصيدة مطلعها :

هي الدولة الغراء والعز والنصر وطيب الثنا والفضل والمجد والفخر
لمن قوله فصل وباطنه حجى وظاهره بشر ونائله غمر

ومنهم الأديب الأوحد وزير الدولة الهمدانية عبد الله بن علي بن احمد الصنعاني ومن شعره فيه قوله :

لم يدر كيف يقول فيك المادح أم كيف تنصفك الثناء مدائح
يأبى امتناعاً ان ينالك واصف أبداً كما امتنع السماك الرامح

وأضاف الخزرجي[١٨] قائلاً : « قال عمارة فكان الداعي (محمد بن سبأ) من كرام الملوك ، ومكارمه اكثر من ان تحصر ، واشهر من ان تذكر ، وفي أيامه توفي الشيخ السعيد (بلال بن جرير المحمدي) وكانت وفاته في سنة(٥٤٥ هـ) وقيل في سنة (٥٤٧) للهجرة ، ولما توفي الشيخ بلال بن جرير في التأريخ المذكور استخلف الداعي ولده (مدافع بن بلال) ثم اخاه (ابا الفرج ياسر بن بلال) ، فاقام معه بقية أيامه ثم كان مع ولده عمران بن محمد بن سبأ » .

---

(١٨) نفس المصدر ص ٨٩ .

الداعي عمران بن محمد بن سبأ

ولمّا توفي الداعي الأمير (محمد بن سبأ آل زريع) في عام (٥٤٩) للهجرة ، خلفه ولده الداعي الأمير (عمران) ، وكان كأبيه كرماً وجوداً ونهضة وعزماً ، وربما فاق والده ، ذكره المؤرخ الخزرجي[١٩] وقال عنه : « فاقتفى طريقة ابيه مع زيادة لائقة واخلاق رائقة » .

إلا انّ الأمور على عهده وفي منطقة نفوذه لم تنعم بالهدوء والاستقرار كما كان الحال في عهد ابيه ، وذلك بسبب ثورة (علي بن مهدي الرعيني) على (آل نجاح) الأحباش حكام تهامة ، والذي لم تقتصر مطامعه على امارتهم ، بل اتسعت الى غيرها مما هو تحت نفوذ الإمارة الزريعية المجاورة لإمارة (آل نجاح) .

وقام (مهدي بن علي بن مهدي) بالعمل على تحقيق مطامع ابيه ، فغزا عدن ومخلاف جعفر وغيرهما ، مما كان تحت نفوذ آل زريع .

وقد تحدث الخزرجي[٢٠] عن حركة (مهدي بن علي بن مهدي) بعد موت والده فقال : « فغزا البلاد ودوّخ الملوك وصالحه الداعي (عمران بن محمد بن سبأ) عن مدينة عدن والدملوة بمال معلوم هذه رواية الجندي » .

وأضاف قائلاً : « وقال صاحب العقد الثمين : لمّا توفي (علي بن مهدي) في التأريخ المذكور (السادس من شوال من سنة (٥٥٨) هـ بمدينة زبيد ، ودُفن بها وعمل أولاده على قبره مشهداً ، وصاروا يحجون اليه ، ثم ولي الأمر بعده ولده (عبد النبي) وأخوه (مهدي) ابنا علي بن مهدي ، فكان عبد النبي متولياً امور المملكة وتدبيرها ، وأخوه المهدي متولياً امور الجيش والسرايا » .

وأضاف[٢١] الخزرجي أيضاً قائلاً : « وأغار على لحج غارتين ، احداهما

---

(١٩) في العسجد المسبوك ص ٩٠ .

(٢٠) و(٢١) نفس المصدر ص ١٣٦ .

في شعبان من سنة (٥٥٦ هـ) والثانية في رمضان من سنة (٥٥٨) هـ » ، وكلاهما أي عدن ولحج مما هو تحت نفوذ الداعي (عمران بن محمد بن سبأ) .

وقال الخزرجي[٢٢] : ثم اغار في شوال من السنة المذكورة (٥٥٨ هـ) فحصر أهل مدينة الجند اربعة عشر يوماً ، ثم دخلها يوم الأثنين غرة ذي القعدة من سنة (٥٥٨ هـ) فقتل اكثر من وجد فيها من صغير وكبير ، ورماهم في البئر التي في المسجد ، وحرّق اكثر دورها ، وحرّق المسجد على من فيه من الضعفاء والعجائز والعواكف، وما كان من اموال الناس والشرح والودائع ، وحرّق الكتب والمصاحف التي كانت في المسجد » .

ثم ذكر وفاته عقب عودته الى زبيد من نفس العام ، وانّ اخاه (عبد النبي بن علي بن مهدي) استقل بالأمر وقام بغزو بلاد أبين والمخلاف السليماني ، كما قام أخوه (احمد بن علي بن مهدي) بغزو مدينة الجؤة وكانت مما هو تحت نفوذ آل زريع ، ومنها تقدم الى تعز وصبر ومدينة ذي اشرق ، فمخلاف جعفر ، وحصر حصن المجمعة من اعمال اب وأخذها ، وكانت جميعها مما هو تحت نفوذ الداعي (عمران بن محمد بن سبأ آل زريع) ، وانه استولى بعد ذلك على مدينة اب وحصن الشماحي المطل عليها من الشرق ، ثم تحوّل الى عدن محاصراً لها ، الأمر الذي ادى الى التحالف الآتي ضده .

تحالف الداعي عمران آل زريع وعلي بن حاتم

أدّى تهوّر (آل مهدي) وسعة مطامعهم في امارة آل زريع وربما غيرها من الامارات والمشيخات اليمنية الى قيام الداعي (عمران بن محمد بن سبأ آل زريع) بالوصول الى صنعاء الى السلطان (علي بن حاتم بن احمد بن عمران اليامي الهمداني) وذلك في السادس من شهر ذي القعدة من عام (٥٦٨ هـ) طالباً نصرته على (آل مهدي) .

---

(٢٢) نفس المصدر ص ١٣٧ .

وقد ذكر[٢٣] الخزرجي الموضوع بشيء من التفصيل فقال : « فخرج للقائه السلطان الحميد علي بن حاتم بن احمد بن عمران اليامي) وقابله بالاتحاف والأسعاف ، وأجابه الى ما طلبه من النصرة ، ثم نهض السلطان (عمران بن محمد الزريعي) الى بلاد جنب بعد ان استوثق من السلطان (علي بن حاتم) على انه ينهض معه عندما تنهض معه جنب ومذحج ، فوصل السلطان عمران الزريعي الى ذمار ، وقصد السلطان عبد الله بن يحيى الجنبي والشيخ زيد بن عمران الجنبي ، واستنصرهما جميعاً ، فأجاباه الى ما طلب ، فكتب الى السلطان (علي بن حاتم) يخبره بما قد اجمع عليه القوم من نصرته ، فخرج السلطان علي بن حاتم من صنعاء بمن معه من همدان وسنحان وبني شهاب ونهد وغيرهم ، وكان خروجه من صنعاء يوم السبت الثالث عشر من شهر صفر من سنة (٥٦٩ هـ) فوصل ذمار وأقام فيها ثلاثة أيام ، ثم تقدم بعسكره وحطّ في السحول من بلاد اب ، وأقام فيه الى ان وصلته مشايخ جنب بجموعهم ، وفي اليوم السابع عشر من الشهر المذكور نهضوا جميعاً وحطوا في عقبة إب بين اب والمعاين ، ومعهم بالطبع الداعي (عمران بن محمد بن سبأ) على رأس جموعه .

امّا[٢٤] (ابن مهدي) فإنه وزّع جنوده اثلاثاً ، ثلث عسكر به في جبلة ، وثلث في الأكمة بين اب وجبلة ، والثلث الثالث عسكرَ به بالقرب من جبل المسواد المطل على الطريق العام بين اب وتعز ، في ضاحية اب الغربية الجنوبية . وكأنه هدف من وراء توزيع جيشه على النحو المذكور الى ان تقوم الفرقة الأمامية في خط المواجهة والمعسكرة في الأكمة بمواجهة الحلفاء،وكانت هي أقوى الفرق الثلاث ، فاذا انهزمت استطاع ان ينسحب بين فرقتي جبلة وجبل المسواد ، فيكون قد حمى ظهره عند الانسحاب ، واتخذهما مع ذلك جبهات

---

(٢٣) نفس المصدر ص ١٣٩ .

(٢٤) الخزرجي في العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام والثقافة ص ١٣٩ .

دفاعية في نفس الوقت .

ولكنه لم يحقق من مخططه إلا الانسحاب ، وانسحبت وراءه الفرقتان الثانية والثالثة ، اثر انهزام الفرقة الأولى الى الجند ومنها الى تعز ، بينما واصل الحلفاء تقدمهم في اثره حتى دخلوا تعز ، فوجدوه قد انسحب بفلول جيشه منها الى زبيد عاصمة امارته ومنطلقه الأول للتوسع .

وكان في عزم الحلفاء مواصلة التقدم في أثره حتى زبيد ، ولكن مشايخ جنب قرروا التوقف عند تعز والعودة ، مكتفين بما تحقق من طرد آل مهدي من مخلاف جعفر ومن الجند ، وكلاهما من مناطق (آل زريع) ، وكان لمشايخ جنب التأثير على بقية الحلفاء ، وعاد كل الى بلاده .

وكان عبد النبي بن علي بن مهدي قبيل انسحابه من تعز قد ادرك طلائع قوات الحلفاء قادمة نحو تعز فقال[٢٥] : « ان صدق ظني فهذا علي بن حاتم ، فقيل له : نعم هذه الكتيبة الدحوانية كتيبة همدان : فأنشد متمثلاً بالبيت المنسوب لاسعد الكامل :

واعلم بنيَّ بأن كل قبيلة ستذلّ ان نهضت لها همدان

وفي[٢٦] أثناء ذلك وصلت البُردُ من عدن يخبرون بأنّ عسكر ابن مهدي الذين كانوا بالرعارع محاصرين لعدن ، قد هربوا بعد إنهزام قوات ابن مهدي في وجه قوات الحلفاء .

ثم عاد السلطان (علي بن حاتم) الى صنعاء ووصلها يوم[٢٧] الخميس غرة شهر ربيع الآخر من العام المذكور (٥٦٩ هـ) ، وعاد سائر الحلفاء كل الى بلده .

ولم يلبث آل مهدي ان قصدهم[٢٨] (بنو أيوب) وفي مقدمتهم (توران

---

(٢٥) و(٢٦) نفس المصدر ص ١٤٠ .

(٢٧) و(٢٨) نفس المصدر ص ١٤١ .

شاه الأيوبي) ودخل هذا زبيد وقضى فيها على (آل مهدي) كما سيأتي في الفصل الخاص بتأريخ بني أيوب في اليمن ، وكان دخول توران شاه زبيد يوم الأثنين التاسع من شوال من العام المذكور (٥٦٩) هـ ، وكانت امارة آل مهدي هي اول امارة يمنية قضى الأيوبيون على نفوذها في اليمن . هذا وليس تحالف الأمارتين الهمدانيتين ضد آل مهدي هو التحالف الأول بينهما ، بل انه كان قد سبق ذلك التحالف تحالُف مماثل بين الإمارتين الهمدانيتين ضد الإمام احمد بن سليمان ولصالح آل حاتم كما سنعلم في الفصل الخاص بتأريخ (آل حاتم) .

نهاية إمارة آل زريع

وقد توفي الداعي (عمران بن محمد بن سبأ آل زريع) في عام (٥٦٩) للهجرة في ارجح الروايات .

ونقله[٢٩] الأديب أبو بكر بن محمد العندي الى مكة المشرفة ودفنه في مقابرها ، وأضاف المصدر قائلاً : « ومن مآثره الباقية في عدن المنبر المنصوب في جامعها ، واسمه مكتوب عليه» .

وقد توفي عن ثلاثة من الأولاد هم : منصور ومحمد وأبو السعود ، وكلهم عند موته دون البلوغ ، فجعل الداعي كفالتهم الى الأستاذ (أبي الدر جوهر المعظمي) ، وأقام معهم في حصن الدملوة .

أمّا القائم على[٣٠] شؤون الإمارة بعد موته فهو (ياسر بن بلال بن جرير المحمدي) ، وكان هذا كما وصفه المصدر كأبيه عزماً وحزماً .

كما فاق الداعي (عمران بن محمد بن سبأ) أباه في الجود وكان مقصوداً ممدوحاً من الأدباء والشعراء ، وممن مدحه قاضي صنعاء (يحيى بن عبد السلام ابن أبي يحيى) بغرر القصائد ومنها قصيدة مطلعها :

---

(٢٩) الخزرجي في العسجد ص ٩٥ .
(٣٠) نفس المصدر والصفحة .

ايلوم طيفهمسو عـلى هجـرانـه	صب تجـافى النـوم من اجفـانـه
سلبـوا كـراه منـه بخـلاً منهمـو	بـالـطيف ان يغشـاه في غشيانـه

ومنها قوله :

كـرم المكـرم يـذهـل المشتـاق عن	اشـواقـه والصب عن اوطـانـه
كـرم اذا خـيّـرتـه وخـبـرتـه	حقّـرت قدر سمـاعـه لعيـانـه
ليس البحـار ولا السحائب تـدعي	لسمـاحهنّ الجـري في ميـدانـه

وذكر[٣١] الخزرجي انّ الداعي عمران اجازه على هـذه القصيدة بـألف دينار ، وانه كان قد اجازه على قصيدة قبلها بمثل ذلك . ومدحه الأديب أبو بكر ابن احمد العندي (من أعنود أبين) بقصيدة مطلعها :

فلك مقـامـك والنجـوم كؤوس	بـسعـوده الـتثـليث والـتسـديس
والبـدر وجهـك طـالعـاً في دستـه	لا البـدر اجـلى وجهـك الخنـديس

ومنها قوله :

يـا مـن تـطابق فـعله ومـقـالـه	فلسـانـه التـطبيق والـتجـنيس
حق الكـواكب ان تكـون مدائحـاً	لـك والبروج صحـائف وطـروس

وأضاف المصدر قائلاً : « وهي قصيدة أجاد فيها كل الإجـادة ، فسلم اليه الداعي ولده (أبا السعود) بن عمران وقال : قد أجزتك بهذا ، فأقعـده على لينة ، فلم يلبث أن وصل إليه استاذ داره يستأذنه في دخول الولد الى أهل الدار ، فأذن له في ذلك ،ثم التفت الداعي عمـران الى الأديب وقال لـه : إذا

---

(٣١) الخزرجي في العسجد المسبوك أيضاً من ص ٩١ . وقـد اطلت في ذكـر مجـالس المكرم الداعي عمران بن محمد بن سبأ الحـافلة بالأدبـاء وبما كـان يفيض عليهم من كرمـه حتى وهب الأديب الجندي ـ ابنه لتبـالغ والـدته بـاكرام الأديب بـاسم ثمن ابنها ، لاعـطاء القارىء فكـرة عن ذلك العهد الحافل بالأدب والأدباء وقيام امراء آل زريع بتبجيلهم واكرامهم .

رغَّبوك في بيعه فاستنصف في ثمنه ، فلم يلبث قليلاً حتى خرج الولد وخادم في يده قدح من فضة فيه ألف دينار وسبعمائة دينار وخلصه ، فقال له الداعي : كم سلموا لك ، فأعلمه بالمبلغ فأطلق له مسك مركب بألفي دينار ، ومدحه أبو بكر المذكور بعدد من غرر قصائده ومنها القصيدة الكافية المشهورة :

حياكِ يا عدن الحيا حياكِ ... وجرى رضاب لماه فوق لماكِ
فافتر ثغر الروض فيكِ مضاحكاً ... بالبشر رونق ثغرك الضحاك
ووشت مطارفه عليكِ مطارفاً ... تختال في حبراتها عطفاك

ومنها قوله :

وعلام استسقي الحيا لكِ بعد ما ... ضمن المكرم بالندى سقياكِ
فهمت مكارمه عليك فصافحت ... عن كفه معنى الغنا مغناك
وتأرَّجت رياكِ مسكاً بعد ما ... عبقت بريّا ذكره ذكراكِ
فليهنكِ الفضل الذي أحرزتِهِ ... بعلاه حسبك مفخراً وكفاكِ
شرفت رباكِ به فقد ودّت له ... زهر الكواكب انهن رباكِ

ومنها :

فالجود مبتسم الثغور ببذله ... ابداً وبيت المال منه شاكي
من دوحة الشرف الزريعي التي ... رسخت بأصل في المفاخر زاكي

وأضاف الخزرجي قائلاً : « وهي قصيدة طويلة مشهورة من القصائد الطنانات المشهورات » ومن مدائحه فيه قوله :

ذكر العذيب ومايلات قبابه ... وقف الفؤاد على أليم عقابه
ومهب انفاس الصبا من جوده ... فيه شفاء الصب من أوصابه
فدع النسيم يبثّ من أنبائه ... خبراً على الزفرات رجع جوابه

ومنها قوله :

ملك لو استسقى الغمام بجوده ... أغناه عن سقياهُ ملء سحابه

ملك افاض على الزمان بهاءه فأعاده في عنفوان شبابه
ملك يشفّ عليه نور كماله فيكاد يلحظ من وراء حجابه

ومنها :

فكأنّ مجتمع الفضائل والغنا ما بين نائله وبين خطابه
فكفى لقحطان بن هود مفخراً ان اصبحت تعزى الى انسابه
أعلى مآثرها وشيّد فخرها دون الملوك بطعنه وضرابه
وبنى له بيتاً قواضب بيضه عمدانه والسمر من اطنابه
يزداد حسن المدح فيه وانما يبدو جمال الشيء في أربابه

هذا وقد أورد المؤرخ علي بن حسن الخزرجي في كتابه (العسجد المسبوك) قصائد اخرى لهذا الشاعر ولغيره في مدح المكرم الداعي (عمران بن محمد بن سبأ) وكلها في منتهى البلاغة في عصرها .

أمّا بالنسبة للكيفية التي انتهت بها امارة آل زريع فهي انّ توران شاه الأيوبي قدم من مصر الى اليمن في عام (٥٦٩ هـ) موفداً من اخيه صلاح الدين كما علمنا ، ونعلم وفي نفس العام وبعد قضائه على إمارة (آل مهدي) في تهامة قصد[٣٢] عدن عاصمة الامارة الزريعية ، واستولى عليها وعلى جميع اجزاء الإمارة المذكورة باستثناء قلعة الدملوة في بلاد المعافر التي اعتصم فيها (أبو الدر جوهر المعظمي) مربي أولاد الداعي (عمران بن محمد بن سبأ) ، وفرّ اليها مع ذلك والي عدن للإمارة المذكورة (ياسر بن بلال بن جرير المحمدي) .

ولم يصمد مع أبي الدر في القلعة ، ولكنه خرج منها متنكراً في الفترة التي اقامها (توران شاه) في اليمن ، وهي عام واحد ، ووصل الى مدينة ذي عدينة (تعز) مع مملوكه (مفتاح السداسي) فنمَّ بهما انسان الى توران شاه فأمر بالقبض عليهما وقتلهما .

---

(٣٢) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٩٥ .

بينما صمد (أبو الدر جوهر المعظمي) في القلعة كما اشرت حتى وصل الى اليمن (الطغتكين بن أيوب) موفداً من (صلاح الدين بن أيوب) خلفاً لأخيه (توران شاه) وضرب الطغتكين[٣٣] حصاراً شديداً على قلعة الدملوة ، ولم يتمكن من الاستيلاء عليها إلا بالتسليم من (جوهر المعظمي) بشروط وفى له الطغتكين بها ، وخرج هو مع أولاد (عمران بن محمد بن سبأ) وحريمه متنكراً بزي امرأة ، وكان قبل خروجه من القلعة قد وضع اوراقاً كثيرة وضع عليها ختمه ، وصار كاتبه يراسل الطغتكين باسمه .

ولمّا صار جوهر المعظمي مع من معه من الأطفال والحريم وما معه من الأموال والنفائس في البحر كتب الى كاتبه عن طريق الطغتكين كتاباً يأمره فيه بتسليم القلعة الى (الطغتكين) ، فعجب الطغتكين من كمال جوهر المعظمي .

وامتنع الكاتب بدوره عن تسليم القلعة الى الطغتكين إلا بشروط ضمن له بها السلطان (بشر بن حاتم) الذي قدم الى الطغتكين موفداً من اخيه (السلطان علي بن حاتم) لمصالحة الطغتكين كما سنعلم تفصيل ذلك في الفصل الخاص بتأريخ آل حاتم .

وسلم الكاتب القلعة الى الطغتكين بعد ان تسلم المال الذي طلبه منه ومضى به بصحبة الوسيط السلطان بشر بن حاتم المذكور الى صنعاء ، وكانت هذه الأحداث في عام (٥٨٤) للهجرة .

نظرة عامة في امارة آل زريع

حكم (آل زريع) وأسلافهم (عدن) وأعمالها نواباً للصليحيين ، منذ عهد المكرم (احمد بن علي بن محمد الصليحي) .

وعرفت الإمارة بامارة (آل زريع) منذ استولى الأمير (سبأ بن أبي

---

(٣٣) نفس المصدر ص ١٦٢ .

السعود بن زريع بن العباس بن الكُرّم الجشمي اليامي الهمداني) عليها جميعها بعد ان تغلب على ابن عمه (علي بن أبي الغارات بن مسعود بن الكُرَّم الجشمي اليامي الهمداني) .

وامتد نفوذ الداعي (محمد بن سبأ) الى الكثير من مخلاف بلاد المعافر ومخلافي الجند وجعفر على حساب بني الكرندي وبالتنازل له من الأمير (منصور ابن المفضل بن أبي البركات) الذي انتقل ذلك اليه بعد موت الملكة (اروى بنت احمد الصليحي) مقابل مال دفعه اليه كما عرفنا ذلك بالتفصيل .

وأقام (آل زريع) حكماً مجيداً نَعِمَ الناس في مناطق نفوذهم بالأمن والاستقرار والرخاء ، وازدهر العلم والأدب بفضل التشجيع الذي كان (آل زريع) يقدمونه الى العلماء والأدباء بسخاء .

وكان ابرز امراء (آل زريع) هم : (سبأ بن أبي السعود) (فمحمد بن سبأ) (فعمران بن محمد بن سبأ) .

وكان كل من هؤلاء الثلاثة الأمراء لا يقلّ عن الآخر جوداً ونهضة وعزماً .

إلا أنّ الداعي (عمران بن محمد بن سبأ) ابتُلِي بثورة (علي بن مهدي الرعيني) على (آل نجاح) الأحباش حكام تهامة والذي لم تقتصر مطامعه على منطقة نفوذ (آل نجاح) بل امتدت الى مناطق نفوذ (آل زريع) وحاول تحقيقها ابناؤه بعد موته . ولكن تحالف الداعي (عمران بن محمد بن سبأ) مع السلطان (علي بن حاتم) بن احمد اليامي الهمداني حاكم صنعاء وضع حداً لمطامع آل مهدي ، وساند الحليفين الهمدانيين سلاطين جنب ، وردّ الحلفاء (آل مهدي) الى (زبيد) نقطة انطلاقهم الأولى .

وقد وحّد بين السلطانين الهمدانيين المتحالفين (عمران بن محمد بن سبأ) و(علي بن حاتم بن احمد) الخطر المشترك الذي هددهما معاً وهو توسع مطامع آل مهدي ، الى جانب أواصر القرابة والدم التي جمعتهما ، كما ضمّ الى الحليفين المذكورين قبيلة جنب خوفُها من توسع آل مهدي الى بلادها أيضاً وكان

لها آنذاك شأن كبير في اعمال ذمار وليس في منطقتها (الجنبيين) من بلاد مغرب عنس فحسب .

ثم جاء الأيوبيون وقضوا على (آل زريع) وعلى آل مهدي وعلى غيرهما من الإمارات اليمنية ، كما سيأتي تفصيله في الفصل الخاص بتأريخ بني أيوب .

وكان الداعي (عمران بن محمد بن سبأ) قد توفي اثر مجيء بني أيوب الى اليمن ، ولم يعد في (آل زريع) إلا أطفال الداعي (عمران) في قلعة الدملوة يقوم عليهم مربيهم (جوهر المعظمي) ، وإلا (ياسر بن بلال بن جرير المحمدي) في (عدن) وكان ما علمنا عنه في نهاية هذا الفصل .

ولقد كانت امارة (آل زريع) حين داهمها الأيوبيون من القوة والفتوة بحيث كانت تستطيع ان تعيش فترة اطول عزيزة الجانب لو لم تطغ عليها الدولة الأيوبية ذات النفوذ الواسع داخل اليمن وخارجه ، وذات السمعة العالية بفضل ما كان يتمتع به السلطان (صلاح الدين بن أيوب) في حربه للصليبيين .

وقد ركّز الأيوبيون في القضاء على آل زريع بعد القضاء على آل مهدي لأنّ منطقة نفوذ (آل زريع) هي المنطقة الأولى المجاورة لمنطقة آل مهدي ، ولأن (آل زريع) هم دعاة الفاطمية في اليمن ، وكان الأيوبيون قد اقاموا دولتهم في مصر على انقاض دولة الفاطميين ، واحرى بهم ان يقضوا على اي نفوذ لدعاتهم في اليمن أو غيره .

أمّا آثار (آل زريع) العمرانية فمعظمها كانت في عدن عاصمة امارتهم ، ومنها السور الممتد بين جبلي التعكر وحقات ، وعلى منبر جامع عدن المحتفظ بروعته الى اليوم اسم الداعي (عمران بن محمد بن سبأ) ، والداعي عمران هذا هو الذي سك الدينار الذهبي ، وأبطل التعامل بغيره وقد نقش عليه فقرة (اوحد ملوك الزمن ملك العرب واليمن عمران بن محمد)

ويوجد[٣٤] في المتحف البريطاني دينار منه ، وهو ضمن فهرست مسكوكات المتحف البريطاني .

وكان (آل زريع) كما علمنا شيعية ينتمون الى الفاطميين في مصر ، بحكم نيابتهم في امارتهم عن الصليحيين دعاة الفاطمية وبناة دولتها الثانية في اليمن .

وقد اختلفوا مع الملكة (أروى بنت أحمد الصليحي) في تشيعهم ذلك ، فانتموا هم الى الإمام الحافظ عبد المجيد بن محمد بن الإمام المستنصر الفاطمي .

في حين امتنعت هي عن الانتماء الى الإمام الحافظ المذكور ، وانتمت الى الإمام المولود المستور الطيب بن الآمر بأحكام الله بن الإمام المستنصر المذكور الذي لم يعلم مكانه .

وبسبب ذلك الاختلاف في التشيع والانتماء بين الملكة اروى ، و(آل زريع) ، انفصلوا عنها نهائياً واستقلوا عن التبعية لها ، وقطعوا الأتاوة التي كانوا يؤدونها اليها ، ويشجعهم انتماؤهم الى امام ذي قوة وسلطان .

وكان الأمير (سبأ بن أبي السعود بن زريع) هو أول من انفصل عن الملكة أروى وقطع الأتاوة التي كان يؤديها اليها تبعاً لأسلافه كما علمنا .

---

(٣٤) حواشي كاي على مفيد عمارة ترجمة الدكتور سليمان محمود رقم الحاشية (٣٤) .

آل حاتم الهمدانيون
(٤٩٢ ـ ٥٦٩ هـ)
(١٠٩٩ ـ ١١٦١ م)

حكمت صنعاء وأعمالها مستقلة عن الصليحيين بعد وفاة الملك (سبأ بن احمد بن المظفر الصليحي) ثلاث اسر همدانية وهي : (اسرة (آل الغشيم المغلسي) وأسرة (آل القبيب) وأسرة (آل عمران بن الفضل اليامي) ، وقد عرّفها المؤرخون جميعها بآل حاتم ، وكانت وفاة الملك سبأ (كما عرفنا) في عام (٤٩٢ هـ) .

وكان اسلاف هذه الأسرة من الهمدانيين هم نواب الصليحيين في المنطقة وأعمالها ، وعُرِف من أولئك النواب (عمران بن الفضل بن علي اليامي) احد نائبي المكرم (احمد بن علي الصليحي) ، بعد انتقاله من صنعاء الى مدينة جبلة عند اشتداد مرض الفالج الذي بدأ به يوم انقاذ امه (اسماء بنت شهاب) من اسر (سعيد الأحول بن نجاح) في زبيد كما علمنا .

وكان السلطان (حاتم بن احمد بن عمران بن الفضل بن علي اليامي) حفيد القاضي عمران بن الفضل المذكور هو رأس الأسرة الثالثة من الأسر الثلاث الهمدانية كما سيأتي .

كما أناب الملك (سبأ بن احمد بن المظفر الصليحي) عند مشاركته للملكة أروى بنت أحمد الصليحي للحكم بعد موت الملك المكرم عنه أي الملك (سبأ) في صنعاء الهمدانيين ، وأقام هو في حصن اشيح من بلاد انس ،

وبذلك امكنهم الاستيلاء على الحكم في القسم الأعلى بعد موته ، وقبلتِ الملكة أروى بالأمر الواقع ، واكتفت هي بحكم المنطقة الوسطى والمنطقة الجنوبية باستثناء عدن وأعمالها فإن (آل زريع) حكموها نيابة عنها حتى انفصلوا عنها في السنوات العشر الأخيرة من حكمها كما عرفنا .

هذا وكان (حصن اشيح) (حصن ظفار حالياً في مخلاف بني سويد من اعمال انس) ، هو مقر الملك سبأ الدائم بعد والده الذي كان والياً عليه وعلى اعماله في عهد (أبي الحسن علي بن محمد الصليحي) .

آل الغشيم المغلسي الهمداني

هذه هي الأسرة الأولى من الأسر الهمدانية الثلاث التي حكمت صنعاء واعمالها مستقلة عن الصليحيين كما عرفنا ، بل وانفصلت عن الفاطميين ، وامتنعت عن الولاء لهم والانتماء اليهم ، مخالفة في ذلك الصليحيين اسلافهم في حكم المنطقة ، وأول من حكم في هذه الأسرة هو السلطان (حاتم بن الغشيم المغلسي) الهمداني ، وقد[1] وُصِف بأنه كان ناهضاً كافياً معدوداً من كملة الرجال ، وأضاف المصدر (الخزرجي) في (العسجد المسبوك) قائلاً : « وكان له من الولد ثلاثة أولاد) : « محمد » و« عبد الله » و« معن » ، فأمّا محمد بن حاتم بن الغشيم ، فكان سيفاً مصلتاً في حماية ابيه لم يشاركه احد في شجاعته وجودهِ ، وله الوقعات المشهورة والفتكات العجيبة .

وأضاف قائلاً[2]: وكانت له خطرات وكان فيها اختلاط عقل ، فكان إذا تزوج امرأة وأحبها قتلها ، فتحاماه الناس ولم يزوجه أحد ، ثم أنه خرج يوماً يطوف في صنعاء فأبصر اليهود وقد أوقدوا ناراً عظيمة للفخّار والنار فيها عالية تلتهب ، وكانت له جارية يحبها حباً شديداً فجلبها وعليها ما شاء الله من حلي وحلل فطرحها فيها فأحترقت ، ثم ندم عليها ندماً عظيماً ، وجاء ليطرح

---

(١) الخزرجي في العسجد المسبوك ص ٧١ .

(٢) نفس المصدر ص ٧٢ .

نفسه بعدها فلزمه الحاضرون ورجعوا به ملزوماً الى منزله ، ثم خطب امرأة من بني الصليحي أهل فيضان (حصن في وصاب) فأبى أهلها تزويجه إلا بضمانة أبيه وكفالته انه لا يقتلها ، فلم يزل ببابيه حتى ضمن عليه وتكفل بذلك في محفل عظيم من رؤساء العرب وقال له : إن قتلتها قتلتك، وتزوجها ، وأقامت عنده ما شاء الله ، ثم قتلها ولحق بحصن براش في (الضاحية الجنوبية الشرقية لصنعاء) خوفاً من أبيه ، فلم يزل أبوه يخادعه ويراسله حتى نزل اليه ، فالتقيا عند آكام الزبيب شرقي صنعاء وكان أبوه قد أمر العبيد بلزمه إذا واجهه ، فلمّا واجهه أبوه الى الموضع المذكور أشار الى العبيد بلزمه فلزموه ، فوثب عليه أبوه فقتله ، وأحتز رأسه ودخل به صنعاء على رمح » .

وأضاف[٣] المصدر المذكور ايضاً أنّ والده حزن عليه حزناً عظيماً ورثاه بأبيات يقول فيها :

وأرتعتُ رأس الأريحي محمدا	من البيض (مشحوذ) العرانين صارما
وقلت له هذا قصاص بما جنت	يداك وكان الله روحك راحما
وقد كنت ان جشّمتُهُ للملمة	رأيت فتى للمعظل الخطب حاسما
وان حضر اليوم العبوس رأيته	اذا طاشت الأحلام أروع باسما

وقد[٤] توفي السلطان حاتم المغلسي) في عام (٥٠٢) للهجرة .

وخلفه ابنه (عبد الله) وكان يعرف بالشاب الغادل وقد استطاع كأبيه أن يوحد كلمة همدان ويحول دون اختلافهم وتفرقهم ، ولكنه[٥] مات مسموماً بعد ولايته بعامين .

فولي بعده اخوه (معن) .

---

(٣) نفس المصدر ص ٧٢ .

(٤) نفس المصدر ص ٧٣ .

(٥) نفس المصدر ص ٧٣ .

ولّما لم تستقر الأحوال في عهده ، وحدث في دولته ما انكرته كبار همدان ، اجتمعت وعلى رأسها القاضي (احمد بن عمران بن الفضل اليامي) وكان عالماً عاقلاً يرجع الى رأيه وخبرته ، وخلعت معناً ، وذلك في عام (٥١٠) للهجرة ، بعد ان حاصروه في مقره ، ثم اسكنوه في حصن براش آنف الذكر ليس له من الأمر شيء .

آل القبيب الهمداني

وولوا[٦] مكانه السلطان (هشام بن القبيب بن ربيع الهمداني) ، يساعده اخوه (الحماس بن القبيب) ، ودخلوا بهما صنعاء في موكب فخم ، وأسرة (القبيب) بن ربيع الهمداني هذه هي الأسرة الثانية من الأسر الثلاث التي حكمت صنعاء مستقلة عن الصليحيين كما عرفنا ، واحسن السلطان هشام بن القبيب الإضطلاع بالمسؤولية ، الى ان توفي في السابع عشر من شهر رمضان من عام (٥٢٧) للهجرة .

وأنفرد بالأمر اخوه (الحماس بن القبيب) وكان أعظمهم رئاسة وأقواهم شوكة ، وقد غزا[٧] قبيلة جنب الكبرى في بلاد ذمار وقتل منها عدداً كبيراً عند هران ذمار، ثم عاد الى صنعاء .

ولما حضرته[٨] الوفاة جمع اليه اخوته وهم ابو الغارات وعامر ومحمد وأبو الفتوح وحضهم على الألفة وعدم الفرقة وان يولوا بعد موته اكبرهم (أبا الغارات) فقالوا له : « لا نولي إلا محمداً : وكان أصغرهم ، ولما رأى ما هم فيه من الاختلاف وعدم الاتفاق بكى بكاء شديداً ، فقالوا له : وما يبكيك ؟ فانشد متمثلاً :

فما الموت ابكاني ولا القبر راعني
ولا من حمام الموت يا صاح اجزع

(٦) و(٧) و(٨) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر منشور وزارة الاعلام والثقافة ص ٧٣ .

ولكنّ اقواماً أخاف عليهموا
واخشى بأن يعطوا الذي كنت أمنع
وتصبح آراء الرجال عليهمو
تجوز واصلاح الدنية توضع

ومات من ساعته ، واختلف اخوته وتفرّقت آراؤهم واعتزلهم الناس .

آل عمران بن الفضل اليامي الهمداني

ثم[٩] اجتمعت همدان كافة وقصدت السلطان الأجل حميد الدولة (حاتم بن احمد بن عمران بن الفضل اليامي الهمداني) وحملته على القيام بالأمر ، فقبله وذلك في عام (٥٣٣) للهجرة وقد أضطلع بمسؤولياته على أكمل وجه ، وكوّن الأسرة الثالثة من أسر همدان التي حكمت صنعاء وأعمالها مستقلة عن الصليحيين كما عرفنا .

وقد نسب اليه بعد تسلمه مقاليد الحكم قوله :

يقولون لي قد جزت مملكة الدرب
فأدمن على اللذات والأكل والشرب
ولا تهجر الصهباء فهي لذيذة
مسهلة ما كان من خلق صعب
فقلت اذهبوا عني فلست بنازح
على مذهبي حسبي به مذهباً حسبي
صبا القوم فانصبوا الى ام وفرهم
ولست بمنصب اليها ولا صب

---

(٩) نفس المصدر ص ٧٤ .

وفي عهده دعا[10] الإمام (احمد بن سليمان) وبسط نفوذه على بلاد صعدة وبلاد نجران وبلاد الجوف وبلاد الظاهر من حاشد ، وكانت دعوة الإمام في عام (٥٤٥ هـ) وما زال يتسع نفوذه حتى دنا من صنعاء ، ونزل في بيت بوس بالقرب منها ، ووالته قبيلة بني شهاب وأهل حضور من ناحية بني مطر احدى نواحي صنعاء .

وقد أورد الخزرجي في المصدر[11] المذكور قصة طريفة وملخصها أنّ الإمام المذكور بعث من بيت بوس رسولاً الى صنعاء يشتري له أوراقاً وصابوناً وحاجات اخرى ، وأنّ السلطان حاتم علم بالرسول ، فأمر باحضاره اليه ، ولّما وصل اليه استخبره عن الإمام ، ثم اعطاه كتاباً أمره بأن يوصله اليه وكان فيه قوله :

أبالورق الطلحي تأخذ ارضنا ولم تشتجر تحت العجاج رماح
وتملك صنعاء وهي كرسيّ ملكنا ونحن بأطراف البلاد شحاح

وانه لّما وصل الكتاب الى الإمام قال : نعم لنأخذنها ان شاء الله،ثم نهض من ذمار على رأس جيشه نحو صنعاء ، وعسكر في موضع الشرورة من بلاد سنحان ، وكان عسكره ثمانين الفاً فيهم الف وخمسمائة فارس قال عنها ولده :

ثمانون الفاً كان عسكر احمد اليها فأمست ملكه قبض خنصر

وقامت معركة بين الإمام والسلطان حاتم في الموضع المذكور ، انهزمت همدان على اثرها وقتل فيها نحو خمسمائة رجل اكثرهم من سنحان ، وانهزم السلطان حا تم ، ثم واصل الإمام تقدمه نحو صنعاء ، وأبلت همدان في حربه ، ثم توسط الشيخ زيد بن عمر التعزي لدى الإمام بأن يذم على همدان ، ووصل السلطان حاتم الى الإمام وانشده بيت(كعب بن زهير بن أبي سلمى) وهو.

---

(١٠) و(١١) العسجد ص ٧٤ .

نُـبِّئْـت أن رســول الله أوعــدني والعفـو عنـد خيـار القـوم مقبـول

ورَدّ عليه الإمام بقوله : « قد عفونا عنك يـا سلطان العرب » وأنصفـه وأكـرمه ، وانتقـل السلطان الى حصن الظفـر القريب من الـروضة ، احـدى منتزهات صنعاء ، وكانت الروضة المركز الرئيسي لإقامة السلطان حاتم واليـه نسبت فسميت بروضة حاتم ، ويذكر أنّ السلطان حين خرج من درب الروضة في طـريقه الى حصن الـظفـر ورأى التفـاف النـاس حـول الإمـام (احمـد بن سليمان) انشد قوله :

غلبنــا بني حـواء بــأسـاً ونجــدة ولكننــا لم نستـطع غلب الــدهـر
ولا لــوم فــيــها لا يـطاق وإنمــا يـلام الفتى فيـها يـطاق من الأمـر

وكما تحولت القبائل اليمنيـة عن السلطان (حاتم بن احمـد اليامي) الى الإمام (احمد بن سليمان) وبصورة لم يكن السلطان يتوقعها، كذلك فعلت مع الإمام فتحولت عنه بعد ذلك الى السلطان ، وقد عمـل السلطان من ناحيتـه للتغلب على الإمام بأن[١٢] وقف بحصن الظفر حتى تفرق عن الإمام مناصروه من اليمنين مطمئنين الى استتباب الأمر له في صنعـاء ، ثم نهض أي السلطان حاتم فجمع همدان وقصد بهم صنعاء لحرب الإمـام واضطرّه الى الخـروج منها لحرب السلطان ، ثم قامت بينه وبين السلطان حـرب خارج صنعـاء سجلت الانتصار للسلطان حاتم واستيلاءه على صنعاء .

اما الإمام احمد بن سليمان فإنه انسحب من ميـدان المعركـة الى بعض الجهات التابعة لصنعاء ، ومنها بدأ يجمع انصاره من جـديد ، ويـراسل قبيلة جنب في بلاد ذمار ذات الشـأن يومئـذٍ ، يعرض عليهـا قيامـه بالإصـلاح فيما بينها ، وجمع كلمتها ،ويدعوهاللإنضمام اليه في حربه للسلطان حاتم .

---

(١٢) العسجد ص ٧٥ .

ولكنّ هذا[13] سبقه بالتحرك بنفسه على رأس عدد كبير من قبيلة همدان ووصل اليها الى بلاد ذمار ، ووجدها بانتظار قدوم الإمام الذي وعدها بالوصول اليها ، وحين عرفت جنب بأن القادم اليها انما هو السلطان حاتم بن احمد اليامي رحبت به ، ودخل هو فيهم ذمار متقلداً رمحه وقال لهم : « (حياكم الله يا وجوه العرب ، لا يعيب عليَّ من خلفي ، فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ولا وجهين في رأسه) » . وأضاف قائلاً لهم : « وصلناكم ووجوه العرب لأمر لكم فيه شرف ولنا فيه عزة الى حين ، ولمّا علمت انكم في طلب اصلاح واخذ ذمم بينكم ، وهدم قتول من عشائركم رأيت أن ألمّ شملكم ، وأقطع عنكم ما تحاذرون ، واتحمل في مالي ديات قتلاكم » فحمدته قبيلة جنب على ذلك ، فكتب من ذمار الى أهله في صنعاء :

مملوك بعضهمو ووالد بعضهم	وشقيق بعضهمو وهذا جامع
نبئتهم حملي ديات عبيدة	أنّ المكارم في الرقاب ودائع
فلتسرعوا من فوركم تصديرها	متعمدي انفاذ ما انا صانع

وما لبث ان عاد الرسول بالمال ، وكانت ديات جمة ، ففرق المال بين مستحقيه من جنب ، ثم عاد بهم وبمن معه الى صنعاء ومنها تقدم نحو معسكر الإمام ، وأوقع بجموعه ثم عاد الى صنعاء ولم يُغلب عليها بعد ذلك .

واستولى السلطان حاتم بعد ذلك على عدة حصون هامة في المنطقة كحصن (ذي مرمر) في بلاد بني حشيش ، وخصني (بكر) و(عمّر) في بلاد (كوكبان) وحصّنها .

ثم سار على رأس جموعه إثر الإمام احمد بن سليمان المنسحب الى بلاد الظاهر من بلاد حاشد لحربه ، وما زال يتعقبه الى بلاد صعدة ودخلها ، ثم عاد الى صنعاء ولم يغلب بعد ذلك .

---

(١٣) نفس المصدر ص ٧٦ .

السلطان علي بن حاتم

ولمّا توفي السلطان (حاتم بن احمد بن عمران بن الفضل بن علي اليامي الهمداني) في عام (٥٥٦ هـ) ، خلفه ولده الملقب (الوحيد علي ابن حاتم) ، وبايعته همدان وأذعنت له غيرها من القبائل اليمنية في القسم الأعلى من اليمن (منطقة حكم (آل حاتم) .

ولقد كان السلطان حاتم بن احمد رجلاً يتمتع بالكفاءة والدهاء ناهضاً كريماً مقصوداً ممدوحاً ، وممن قصده القاضي الرشيد الغساني المصري وانشده قصيدة منها :

اذا أجدبت ارض الصعيد وأمحلت
فلست أخاف القحط في أرض قحطان
وقد كفلت لي مأرب بمآربي
فلست على اسوان منها بأسوان
وإن جهلت حقي زعانف خندف
فقد عرفت حقي غطارف همدان

وكان السلطان حاتم نفسه شاعراً مجيداً عرفنا شيئاً من اشعاره[١٤] ومنها القصيدة الآتية يشكو فيها قلة الوفاء من الأصدقاء :

أرقت وطال الليل والعقل نائمه
وقد أفِلَتْ اشراطه ونعائمه
وأورى زناد الهم في القلب جذوة
اذا جاش من تيّاره متلاطمه
وما ذاك من شوق ولا نأي معهد
ولا فَقْدِ رسم دارسات معالمه

---

(١٤) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٧٦ .

ولكن اذا خان الصديق صديقه
وصارم بالأوهام من لا يصارمه
ونكّب عنا من نريد وصاله
وسالمنا من لا نريد نسالمه

ومنها :

غدا مائلاً عنا خليل نودّه ... على غير جرم بل علينا جرائمه
ولا امّ قوماً غيرنا متكتماً ... وجاهرنا باللوم من لم نلاومه

ومنها :

فسامحته كي يرعوي فارعوى سوى ... مقالته لا استطيع اخاصمه
ولو انني حاكمته لحججته ... ولكنني من حشمة لا أحاكمه
اقلوا عليه العتب يصفُ وداده ... وما كان في الحوباء فالله عالمه
ولا تيأسوا عنه ولو ان عودة ... عسى منه صدق العود والود سالمه
سعى جاهداً في خدمتي غير هايب ... ملاماً ولم تردعه عنها لوائمه
فلما بلغنا غاية ليس بعدها ... من آمر رأيت الود مالت دعائمه
وعاد إلى ضدي الذي كان فاعلاً ... وعاوده وسواسه وهماهمه
ودمت على ودي له حين لم يدم ... وخير وداد المرء للمرء دائمه
وضاقت على قرب العهود عهوده ... وما نفعت أيمانه ولوازمه
اعاتبه حيناً وحيناً أصونه ... وطوراً أُباديه وطوراً أُكاتمه
وأرجو رجوعاً منه وهو مصمم ... على غيّه حتى كأني ظالمه
وما لامني إلا ملوم مفند ... ولا لامه إلا على النكث لائمه
وما أنا من اخلاصه الود آيس ... وإن لجّ في أغرائه من ينادمه
دليل صفاء الود في المرء نشره ... وشر خليل عابس الوجه واجمه
هو الود ما بين الأخلاّء شاهد ... احاديثهم عند المغيب تراجمه
أبا منذر ان كان عندي عيبة ... خرجت فأعلِمْني بما أنت عالمه

ولا تـذر قـولاً كـالـريـاح مبـدداً — وكفّ جمـاح الشعـر اذ انـا لازمـه
وإن كنت ذا عجب بما قد نـظمتـه — فلستُ بـذي عجب بما أنـا نـاظمـه
دع المنّ إمّا كنت أسديت صـالحـاً — فمَنٌّ الفتى مـا كـان اسـداه لائمـه
ونمّ عـلى مـا قـد تقـدم بيننـا — فـأفضـل فعـل العـالمـين خـواتمـه
ورم صـالحـاً في كـل سعي سعيتـه — ليـوليـك الـرحمن مـا أنت رائمـه

إلى آخر القصيدة .

ومن شعـر السلطان حاتم بن احمـد اليامي الأبيـات التاليـة يصف فيها مهره المسمى بالرازقي ومطلعها :

كـتـمـت عـلى الإخـوان مـا بي فـلم اجـد — لمـا بي نـفـعـاً غـير ان اتـكـتـما
طـللت عـلى المـهـر المـعـلى كـأنـني — عـلى احـدب يـنـقض في افـق الـسـماء

ومنها :

فـإن أبـلغـوني مـا اريـد وشـمـروا — وإلا ركـبـت الـرازقـي المـطهـما
فـحـيـنـئـذٍ لا يـعـصـم الـذنـب عـاصـم — ولـو انـه يـرقـى الى الجـو سـلما

خلاف همدان على السلطان علي بن حاتم

خـالفت قبيلة همدان عـلى السلطان (علي بن حـاتم) منتهزة تغيبـه عن مركزه في (درب الـروضة) ؛ وقصـدت محمد بن الحمـاس بن القبيب) احد امراء الأسرة الهمدانية الثانية في امـارة آل حاتم، الى منـزله في حـارة القطيـع بمدينة صنعاء ، ونصبته سلطاناً على همدان .

وأمّا[١٥] السطان علي بن حاتم فإنه ما ان علم بالأمر حتى علا الى الدرب بين جمعه وأكمل استعداده فيه ثم قصد المخالفين الى صنعاء ، فتفرقت همدان إلا فرقة منها فإنها صمدت في وجهه وقاتلته .

وكان اخوه عمران بن حاتم قد جمع عدداً من المقاتلين وقاتل المتمردين في شوارع صنعاء ، وقد اصيب اثناء ذلك بسهم نقل على اثر اصابته به الى الدرب وتوفي من وقته ، وكان ذلك من الأسباب التي ردعت القبيلة عن الإستمرار في خلافها للسلطان علي بن حاتم .

ومع ذلك فإنّ السلطان قد حوّل موقف همدان المضطرب لمقتل اخيه الى سكينة واطمئنان وعزز مركزه في نفس الوقت وذلك بأن أمر منادياً ينادي في همدان بأنّ السلطان قد وهب لها دم اخيه عمران ، وهذا سيفه ذمة ورفاقه لمن أراد أن يحضر دفنه .

واستتب الأمر للسلطان علي بن حاتم ولم تخرج همدان عن طاعته بعد ذلك .

ثم أخرج محمد بن الحماس بن القبيب من صنعاء مع كافة اسرته آل القبيب وحدد اقامتهم في بعض حصون المنطقة تحت الرقابة .

وقد امتدّ نفوذ السلطان علي بن حاتم الى بلاد الظاهر الأعلى والأسفل من بلاد حاشد والى بلاد الجوف وبلاد صعدة والمغارب في بلاد حجة وغيرها .

نصرة السلطان علي بن حاتم للإمام احمد بن سليمان

وصل[١٩] الى السلطان علي بن حاتم الأمير المطهر بن الإمام احمد بن سليمان في عام ٥٥٧ هـ طالباً نصرته للإمام على أهل صعدة وعلى رأسهم

---

(١٥) و(١٦) و(١٧) و(١٨) و(١٩) الخزرجي في العسجد المسبوك الصفحات ٧٨ و٨٠ و٨١ .

الأمراء آل الإمام الهادي يحيى بن الحسين .

وكـان نفوذ الإمـام المذكـور قد اقتصـر على بعض اعمـال صعـدة منـذ حياة السلطان (حاتم بن احمد اليامي) .

فتحرك السلطان علي بن حاتم على رأس همـدان بعد ان اشعـرها بـأنه سيعـاقب من يتخلف عنه في نصـرته لـلإمام . ووصـل السلطان بقـواتـه الى صعـدة ، وحقق للإمـام انتصاره عـلى آل الهادي ، وأعـاد له مـركـزه في بـلاد صعدة ، وحدَّ من نفوذ مناوئيه .

ويبدو انه بحركته تلك قـد هدف الى الحـد من نفوذ آل الهـادي ، والى اختبـار قبيلة همدان ومـدى ولائها وطـاعتها لـه ، ولذلـك فإنـه كان قـد امـر بـاخـراج (آل القبيب) من صنعـاء بسبب تخلفهم عنـه ، ولكنـه عفى عنهم بعد توسطهم لديه بكبار همدان ، ويبدو ايضاً أنّ هذه القضية حـدثت قبل قيـام همـدان بخلافهـا عليـه وتنصيب محمـد بن الحمـاس بن القبيب ، وانـه كـان يركز عليها بصورة خاصة لخـطورتهم على حكمـه (وهم امراء الأسـرة الثانيـة الحـاكمة من آل حـاتم كما عـرفنا) وقـد حدث مـا توقعـه من خلاف همـدان وتنصيب محمد بن الحماس المـذكور ، وقـد انتهز ذلـك فأخـرجه وأسـرته من صنعاء وحدَّد اقامتهم في احدى حصون المنطقة تحت الرقابة كما مرَّ بنا .

خلاف الداعي حاتم بن ابراهيم الحامدي

خالف[٢٠] الداعي (حاتم بن ابراهيم الحامدي) عـلى السلطان (علي ابن حـاتم بن احمد اليـامي الهمداني) في عـام (٥٦١) للهجـرة ، وقـد بـرَّر الـداعي حاتم خـلافه ذلـك بخروج السلطان (عـلي بن حاتم) عن الـدعوة الفاطمية كما جاء في مـراسلاتـه للسلطان علي بن حـاتم ، ويبدو أنّ الـداعي كـان يهدف من حـركته تلك تجـديد الـدعوة للفـاطميين في المنطقـة ودعمهـا

(٢٠) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٨١ .

بالحكم ، وكان منتمياً إلى الإمام الحافظ (عبد المجيد بن محمد بن الإمام (المستنصر معد بن الطاهر الفاطمي) ، وكان السلطان علي بن حاتم قد قطع الدعوة للفاطميين تبعاً لإسلافه آل حاتم بأسرهم الثلاثة عند استقلالهم بالحكم بعد موت السلطان (سبأ بن أحمد الصليحي) وانفصالهم عن الصليحيين كما عرفنا ، ولكنهم ظلوا متعاطفين مع دعاة الفاطميين كآل زريع الهمدانيين حكام عدن وأعمالها ، وقد تحالف السلطان (علي بن حاتم) مع السلطان (عمران ابن محمد بن سبأ آل زريع) ضد آل مهدى كما علمنا أيضاً .

أمّا قضية خلاف الداعي (حاتم الحامدي) على السلطان (علي بن حاتم) فملخصها :

أنّ الداعي (حاتم الحامدي) كان من جملة ارباب النفوذ المقطعين في عهد السلطان علي بن حاتم المذكور ، ورغب مع ذلك ان يوسع نفوذه في مناطق واسعة في بلاد حضور وبلاد حراز وبلاد كوكبان وبلاد حمير في مغارب اليمن من أعمال حجة ، واستولى على كثير من الحصون في تلك المناطق ، ولكنه لم يبدأ حرباً مع السلطان (علي بن حاتم) وإنما السلطان (علي بن حاتم) هو الذي بدأها .

وقد أورد الموضوع بشيء من التفصيل في كتاب (الصليحيون[٢١] والحركة الفاطمية في اليمن) فذكر مؤلفاه أنّ الداعي (حاتم الحامدي) كان فقيهاً كثير الاطلاع والتأليف والانتاج الأدبي ، وانه لما عرف الناس فضله وبيان حجته مالوا اليه ، والتف حوله بعض القبائل اليمنية من حمير وهمدان ، وملكوه حصن كوكبان ، ولما رأى السلطان (علي بن حاتم) ميل الناس اليه واقبالهم عليه داخلته المنافسة وخاف منه على ملكه ، وأخذ يستميل همدان ببذل المال ومضاعفة العطاء لهم حتى تمكن من جلب الكثير

---

(٢١) ص ٢٧٣ .

ممن كانوا مع الداعي حاتم ، الأمر الذي اضطر الداعي حاتم الى الانتقال من كوكبان الى ريعان من همدان ، ثم الى بيت ردم من بلاد البستان ، ثم انتقل الى بلاد حراز احدى الأماكن الرئيسية للإسماعيلية وتحصّن فيها بحصن (الخطيب) ، وهو من معاقل حراز الرفيعة وحصونها المنيعة ، وما لبث ان استولى على حصن شبام في بلاد حراز ، ثم على حصن حَمَضْة ، وهو ارفع طود في لهاب .

وانه أي الداعي (حاتم الحامدي) لما رأى انقسام همدان بين مؤيد له ومؤيد للسلطان علي بن حاتم ترك منافسة السلطان التي هدف منها حماية الدعوة بالدولة كما كان عليه الحال في عهد الملك (علي بن محمد الصليحي) ، وكان الداعي حاتم يدعو مع ذلك للإمام الحافظ (عبد المجيد بن محمد بن المستنصر الفاطمي) كما سلف . ومع ذلك فإنّ السلطان (علي بن حاتم) ما زال يلاطفه ويعاتبه على تفرقة همدان شعراً ونثراً .

هذا ولم أقف على اكثر من[٢٢] قول السلطان (علي بن حاتم) للداعي (حاتم الحامدي) : « اظهر دينك واجمع أهل دعوتك ، ولا تفرّق همدان وتحملهم على العَداوة والشنآن » . فالسلطان (علي بن حاتم) بهذا القول قد سمح للداعي حاتم بحرية العقيدة ، ولكن على اساس اقتصار صلته بأهل دعوته وبالخاصة من معتنقيها ودون تفرقة همدان ، أي الاقتصار على القيام بشؤون الدعوة دون دعمها بالحكم ومنافسة السلطان وتفرقة همدان واراقة الدماء وزرع الضغائن بينهم ، وقد[٢٣] اجاب عليه الداعي (حاتم الحامدي) بقصيدة جاء منها قوله :

أتاني من أبي زيد كتاب تضمنه من العتبى فنون
فكن في امرنا حكماً وعدلاً فأنت لكل مكرمة خدين

---

(٢٢) و(٢٣) نفس المصدر (الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن) ص ٢٧٤ .

مقـالـك كيف تصـدع عـود يـام ... وأنـت بـلـم شـعـثـهـمـو قـمـين
أمـا والمـصـطفـى إني لـيـام ... بمـالي والـذي أحـوي أصـون
وأنـتـم يـا غـطارف شـم يـام ... مكـانكـمـو من الـعليـا مكـين
لكم في الـدعـوة الغـراء قـدمـاً ... سـوابـق كـلما نـشـرت تـزيـن
ولـكن حـلتـمـو عنها فـمنكـم ... لهـا الـصـد المعـانـد والـقـرين
فإن انـتم رجـعتم واستـفـقـتـم ... فـقـد لاح الـصبـاح المستـبـين
وواليتـم إمـام العـصـر صـدقـاً ... صـفـا مـا بيـنـنـا المـاء المـعـين
وإن بـنـتـم وعـانـدتـم كـما قـد ... فـعلتـم آل عـمـران فـبيـنـوا

هـذا ما ذكـره مؤلفا كتـاب (الصليحيون[٢٤] والحـركـة الفـاطمية في اليمن) ، ولم يـذكرا قيـام حرب بين الداعي والسلطان وإن كـانا قـد اشارا اليها بقولهما : « ثم انسحب الداعي حـاتم عن الميدان تمـاماً ، واكتفى بنشر علوم الـدعوة من كهفـه الواقـع تحت حصن الخُطَيب ، بعـد ان مات قـائـده السلطان سبأ بن يوسف اليعبري ، وبعد دخول بني أيوب اليمن » .

لكن الخـزرجي[٢٥] ذكـر انـه قـامت حـرب بـين الـداعي (حـاتم الحامدي) والسلطان (علي بن حـاتم) مدة هزمـه السلطان (علي بن حـاتم) وطرده من كوكبان ، وأنّ كوكبـان كان في ذلـك التأريـخ لبني الزواحي ، وان السلطان (عـلي بن حـاتم) خـرج في اثـرهم ، وأخـرب مـدينـة (شبـام كوكبان) وما حولها من البلاد ، وانـه لم تزل الحـرب بين الجـانبين حتى تسلم السلطان حصن كـوكبان من أبي النـور بن علي الزواحي واستولى عليـه (دون ان يكتفي بـاخـراج الـداعي (حـاتم منـه . وكـان تسلم السلطان لحصن كـوكبان في عـام (٥٦٤) للهجرة ، وان الحصـار منه عـلى كوكبـان دام ثلاث سنـوات ، وانه استولى بعـد ذلك عـلى حصن بيت بوس من السـلاطين بني

(٢٤) ص ٢٧٧ .
(٢٥) في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٨٢ .

سلمة بن الحسن بن محمد بن حاجب الكندي الذين كانوا قد استولوا عليه بعد الصليحيين وذلك بعد حرب قامت بين السلطان وبني سلمة (كما سيأتي) وكان تسلمه له في عام (٥٦٥) للهجرة .

وقد(٢٦) توفي الداعي حاتم بن ابراهيم الحامدي في حصن الخُطَيب في السادس عشر من شهر المحرم من عام (٥٦٩) للهجرة . وكان قبره تحت الحصن من بلاد اليعابر في بلاد حراز ، وكان من كبار علماء الدعوة خلفاً لأبيه .

ثم خلفه(٢٧) ولده (علي بن حاتم الحامدي) مكتفياً بنشر الدعوة ، وقد انتقل الى صنعاء للإضطلاع بنفس المهمة تحت حماية (آل حاتم) إلا أنهم لم يخشوا قيامه بأي حركة سياسية مناوئة لهم واستمر في القيام برسالته التي آمن بها بعد اسلافه إلا أنه ارتفع مع السلطان علي بن حاتم الى حصن ذي مرمر بعد دخول الأيوبيين صنعاء .

خلاف الداعي عمران بن الذيب على السلطان علي بن حاتم

وخالف(٢٨) الداعي (عمران بن الذيب بن سلمة الكندي) في العام الذي تلا عام خلاف الداعي حاتم الحامدي مع السلطان علي بن حاتم اليامي الهمداني ، وكان للداعي عمران بن الذيب نفوذ أيضاً في بلاد حضور من بلاد البستان ، وفي مغارب حمير من بلاد حجة وفي بلاد حراز ، وهذه الأماكن هي من مراكز الدعوة الفاطمية في اليمن ، وكانت حصونها من معاقلها ، وكان الداعي عمران يدفع للسلطان علي بن حاتم أتاوة سنوية بمعدل النصف من حاصلات تلك المناطق التي له نفوذ عليها كغيره من

---

(٢٦) الصليحيون ص ٢٧٩ .

(٢٧) الصليحيون ص ٢٨٣ .

(٢٨) الديبع الشيباني في (قرة العيون) مخطوط .

المقطعين في عهد السلطان المذكور .

وكان سبب الخلاف بينهما والذي ادى الى الحرب هو استيلاء السلطان علي بن حاتم على حصن (بيت بوس) من بلاد حضور والذي كان من معاقل الداعي (عمران بن الذيب) كما علمنا قبل هذا ، وبسبب قطع السلطان الدعوة للفاطميين أيضاً ، وقد انتهى الخلاف بينهما باعادة السلطان لحصن بيت بوس الى الداعي المذكور .

نصرة السلطان علي بن حاتم للإمام احمد بن سليمان مرة أخرى

ولمّا[٢٩] قامت الحرب بين الإمام (احمد بن سليمان) وبين الأشراف أولاد الإمام القاسم بن علي العياني في عام (٥٦٥) للهجرة (وكانت بلاد الظاهر وبلاد وادعة من بلاد حاشد هي مسرح الحرب بينهما) تمكن الأشراف اثناء بعض المعارك من القبض على الإمام ، واعتقاله في (مصنعة اثافت) بالقرب من مدينة خمر من بلاد حاشد أيضاً ، فاستنجد أولاد الإمام بالسلطان (علي بن حاتم) فبعث السلطان عدداً من رؤساء همدان الى الشريف (فليتة) بن قاسم القاسمي ، وطلبوا منه اطلاق الإمام ، وكان قد ضعف بصره ، فاطلق فليتة سراحه ، وانتقل الإمام الى مدينة حوث من بلاد حاشد وأقام فيها أياماً ، ثم وصل الى السلطان لتقديم شكره له وطلب النصرة له على القاسميين فأمدّه السلطان بقوة قادها بنفسه وتقدم السلطان والإمام معاً الى مصنعة أثافت في شهر ربيع الآخر من عام (٥٦٦ هـ) ، وبدآ الحرب للقاسميين ، ولكنهم امتنعوا في المصنعة ، فهدم السلطان والإمام قرى بني قيس واعنابهم ودورهم وحصونهم ، وعفى السلطان عن وادعة اكراماً للشيخ الحسن بن يعفر الذي وصل اليه معلناً طاعته وطاعة وادعة طالباً تأمين أهلها .

---

(٢٩) الخزرجي في العسجد ص ٨٢ .

ثم انتقـل الإمـام الى شبـام ، وعـاد السلطان عـلي بن حـاتم الى صنعاء ، وانتقل الإمـام بعد ذلـك الى حيدان من بـلاد صعدة وتـوفي فيها في العام المذكور .

كما[٣٠] وصل الى السلطان علي بن حاتم الى صنعـاء المشائـخ بنو الكم ابن محمـد وسلموا لـه مصنعة اثـافت وذلـك في شهـر الحجـة من نفس العـام واستتب امن المنـطقـة ونفـوذ السلطان فيهـا وفي بـلاد وادعـة وبـلاد الـظاهـر وغيـرها من بـلاد حاشـد ، الى سنة (٥٦٨) للهجـرة حيث[٣١] خالف فيهـا الشيـخ الحسن بن يعفـر ومن معـه من أهـل وادعــة واجتمعـوا في مــوضـع (المدحك) من وادعـة ، فجهز السلطان لقمعهم واخمـاد ثورتهم جيشـاً كبيراً بقيادة أخيه (بشر بن حاتم) فأخذ الموضـع المذكـور وهدمـه وقتل كثيـراً منهم وأسـر عدداً آخـر ودان للسلطان بعد ذلـك أهل الـظاهر ووادعـة ولم يخرجـوا عن طاعته .

تحالف السلطان علي بن حـاتم والداعي عمـران آل زريع ضـد آل مهدي .

وفي شهـر ذي القعدة من العـام المذكـور (٥٦٨) للهجـرة وصـل الى السلطـان . (عـلي بن حـاتم) الـداعي (عمـران بن محمـد بن سبـأ بن أبي السعود بن زريع) حاكم عدن واعمـالها لـلاستنجاد بـه على (عبـد النبي بن علي بن مهدي) حاكم زبيد فأنجده بنفسـه على رأس جيشـه وسانـدته قبـائل جنب وأعـادوا ابن مهدي الى زبيـد كـما علمنـا تفصيـلاً في الفصـل الخـاص بتأريخ آل زريع .

---

(٣٠) نفس المصدر ص ٨٣ .

(٣١) نفس المصدر والصفحة .

نهاية إمارة آل حاتم

وقد انتهى نفوذ آل حاتم الواسع في القسم الأعلى من اليمن كما انتهى نفوذ غيرها من الإمارات اليمنية بوصول بني أيوب على رأس قوة مصرية الى اليمن ، يساعدهم تفكك اليمنيين ، وكان وصول الأيوبيين لأول مرة برئاسة (توران شاه بن أيوب) موفداً من أخيه صلاح الدين الأيوبي في عام (٥٦٩) للهجرة .

إلا أنّ (توران شاه) الأيوبي لم يدخل صنعاء عاصمة آل حاتم آنذاك عنوة ، وإنما دخلها بالتسليم لها من السلطان (علي بن حاتم) بموجب صلح عقد بين الجانبين يقضي باحتفاظ السلطان (علي بن حاتم) واخيه (بشر بن حاتم) بنفوذ محلي على عدد من الحصون والبلاد التابعة لها ، وانتقل السلطان (علي بن حاتم) الى حصن (براش) في الضاحية الجنوبية الشرقية لصنعاء ، وانتقل السلطان (بشر بن حاتم) الى حصن عزان في بلاد ثلا ، وظل ذلك النفوذ لآل حاتم يضيق ويتسع بحكم قوة أو ضعف مركز الأيوبيين في اليمن .

وكان الصلح يجدد بين الجانبين بين فترة واخرى ، كما سنعلم كل ذلك تفصيلاً في الفصل الخاص بتاريخ الأيوبيين في اليمن .

هذا ولقد كانت مدة إمارة (آل حاتم) باسرها الثلاث (اسرة آل الغشيم) و(اسرة آل القبيب) و(أسرة آل عمران) منذ وفاة الملك سبأ بن احمد بن المظفر الصليحي) في عام (٤٩٢) للهجرة وحتى مقدم (توران شاه الأيوبي) في عام (٥٦٩) للهجرة سبعة وسبعين عاماً ، ولكنه بقي لآل حاتم خلال حكم بني أيوب نفوذ محلي بالقسم الأعلى من اليمن كما علمنا ونعلم في فصل (بني أيوب) .

نظرة عامة في إمارة آل حاتم

تمتعت إمارة (آل حاتم) في القسم الأعلى من اليمن بقوتها وفتوتها

خلال حكم اسرها الثلاث (آل الغشيم) و(آل القبيب) و(آل عمران) ، مدعمة جميعها بقبيلة همدان التي يتتمي آل حاتم اليها نسباً وعرقاً .

ولقد كان لهذه القبيلة اثرها في الكثير من احداث الإمارة ، وكان لها الكلمة النافذة في تعيين السلطان وفي عزله كما عرفنا ، ولكن هل كانت كلمتها في هذا الصدد حاسمة ؟

نعم ، كانت لها الكلمة الحاسمة في تعيين السلطان وفي عزله حينما لم يكن السلطان قوياً الى الحد الذي يستطيع معه الصمود امام اهواء القبيلة وتقلباتها .

امّا اذا كان السلطان قوياً يقوى على الصمود حتى أمام اجماع قبيلة همدان ضده كالسلطان (علي بن حاتم) ، فإنّ أثر القبيلة كان ضعيفاً بل ويتلاشى كما عرفنا .

هذا ولقد ساعد السلطان (علي بن حاتم) كما ساعد قبله والده القيل العظيم السلطان (حاتم بن احمد اليامي الهمداني) على استقرار حكمهما بل ومدّ نفوذهما حتى بلاد صعدة وبلاد الجوف وغيرهما ، كرمهما وسخاؤهما لرؤساء العشائر ورؤساء همدان بالذات ، ولا سيما حينما يتطلب الموقف ذلك .

هذا الى جانب نظام الإقطاع الذي أنتهجاه مع الكثير من اصحاب النفوذ المحلي ، حيث كان المقطَع يأخذ نصف حاصلات بلاده ، ويأخذ والي المنطقة النصف الآخر .

والى جانب نهضة كل من السلطانين حاتم بن احمد وعلي بن حاتم لحرب كل من تحدثه نفسه بمناوأتهما والخروج عليهما ، سواء كان المناوئون من اصحاب النفوذ المحلي ، أو من اصحاب النفوذ الأدبي كآل الحامدي وآل

السلمي بقايا دعاة الفاطميين في المنطقة ، أو من الأئمة كالإمام احمد بن سليمان أو من اتباعهم كآل الهادي وآل العياني ، أو غيرهم ، هذا من الناحية السياسية .

أمّا من الناحية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية فإنّ الوضع القبلي كان هو السائد في المنطقة باستثناء المدن ومراكز العلم كمدينة صنعاء ومدينة شهارة ومدينة حوث وغيرها .

ومع ذلك فانّ آل حاتم (أسرة عمران) الهمدانيين ابتداء بجدهم القاضي عمران بن الفضل بن علي اليامي الهمداني ، وانتهاء بالسلطان حاتم ابن احمد وأولاده السلطان علي بن حاتم وبشر بن حاتم وعلوان بن بشر بن حاتم كانوا على درجة ممتازة من الوعي والثقافة بالنسبة لتاريخهم ، وكان لهم شعر جيد كما عرفنا شيئاً عن ذلك وكما سنعرف عن شعر السلطان بشر وعلوان بن بشر في فصل (بني أيوب) ، وبالطبع فإنه ازدهر في عهد آل حاتم وفي منطقة نفوذهم افذاذ يتمتعون بالمعرفة والعلم والبلاغة ، ومن أولئك (آل الحامدي) و (آل السلمي الكندي) وغيرهم ، وكان (آل حاتم) يشجعونهم ويرعونهم بل ويحتضنونهم ، إلا حينما يخشون منافستهم لهم في الحكم ، كما حدث للسلطان (علي بن حاتم) مع الداعي (حاتم بن ابراهيم الحامدي) الذي اقطعه الاقطاعات الواسعة تشجيعاً له لنشر علمه وأدبه وبالرغم من اختلافه معه في العقيدة التي كانت سمتها لدى الحامدي هي تشيعه بالإمام الحافظ عبد المجيد ابن محمد بن الإمام المستنصر الفاطمي ، وكذلك مع الداعي (عمران بن الذيب السلمي الكندي) الذي اقطعه السلطان (علي بن حاتم) كذلك الاقطاع الواسع وترك لهما حرية مذهبهما ، وحرية الاتصال بأهل دعوتهما ، ولكنه حينما خاف منافستهما له في الحكم حاربهما وحدَّ من نفوذهما .

ولمّا اقتصر الداعي (علي بن حاتم الحامدي) على نشاطه الأدبي احتضنه السلطان (علي بن حاتم) لديه ، وحتى بعد سيطرة بني أيوب على اليمن

وتحديد نفوذ آل حاتم ، فإنه ظل تحت رعاية السلطان (علي بن حاتم) في حصن ذي مرمر الكائن ببني حشيش احدى نواحي صنعاء .

ولقد قطع (آل حاتم) تشيعهم بالفاطميين ولم يوالوهم أو ينتموا اليهم كما كان اسلافهم من الصليحيين ، ولم يوالوا مع ذلك الأئمة الزيدية في اليمن وحاربوهم وضيّقوا نفوذهم في بلاد صعدة كما عرفنا وأقاموا حكماً يمنياً قال عنه مؤلفا كتاب (الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن)[٣٢] الدكتور حسين الهمداني والدكتور حسن سليمان محمود ما نصه : « إلا أنّ ملوك همدان اليامين في صنعاء وبلاد همدان ، قد تحرروا من جميع المذاهب والدعوات وارادوا تكوين دولة شعب همدان واليمن » .

كما وفرّ (آل حاتم) في منطقة نفوذهم الرخاء والعدل والاستقرار ، اشار الى ذلك المؤرخ علي بن الحسن الخزرجي في (العسجد المسبوك)[٣٣] عند وصفه للسلطان علي بن حاتم بقوله : « وكان جواداً عادلاً كريماً ، كان يقطع الرجل من همدان البلد والبلدين ، وكان له في كل مخلاف والٍ ، عليه حفظ ما فيه ، فلا يشار فيه بظلم ولا تعسف ، ولا يترك لأحد من همدان سبيلاً الى مضرة لأحد من الرعية ، فاذا حضر الزرع في الاقطاع حضر المقطع وحضر نائب السلطان علي بن حاتم ثم يقاسمون الرعية على الخمس من اموالهم من غير زيادة ولا نقصان ، فيأخذ نائب السلطان نصف المبلغ ، ويأخذ المقطع النصف الثاني ، فاذا استوفيا ذلك لم يبق لأحدهما تعرض بعد ذلك الى الرعية بحال من الأحوال » ومع هذا فأخذ الخمس من الرعية محل نظر إذ الواجب ليس إلا العشر الشرعي .

---

(٣٢) ص ٢٧٠ .

(٣٣) ص ٨١ .

امارة آل مهدي
(٥٥٤ ـ ٥٦٩ هـ)
(١١٦٠ ـ ١١٧٥ م)

قامت إمارة (آل مهدي) في تهامة على انقاض إمارة آل نجاح) الأحباش .

وقد بدأت إمارة آل مهدي بمؤسسها (أبي الحسن علي بن مهدي الرعيني) الحميري ، ونسبه المؤرخ علي بن الحسن الخزرجي[1] بأنه علي بن محمد بن علي بن داود بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن الجماهربن عبد الله بن الأغلب بن أبي الفوارس بن ميمون الحميري الرعيني ، وذكر انه كان يسكن هو وأبوه (العنبرة) (العنيبرة حالياً) من وادي زبيد في أسفل الوادي (قرية قريبة من البحر) ، وكان ابوه رجلاً صالحاً سليم الصدر ، ونشأ ولده (علي) هذا على طريقة أبيه في العزلة والتمسك بالعبادة ، وانه لم يزل من سنة (٥٣١ هـ) كلما دخلت أشهر الحج يخرج حاجاً على نجيب له الى سنة (٥٣٦ هـ) ، وكان يلقى علماء العراق ووعاظهم فيباحثهم في علومهم ، ويتضلّع من معارفهم .

وتحدث عنه المؤرخ عمارة في[2] تاريخه فقال : « وكان فصيحاً صبيحاً أخضر اللون ملوح الخدين ألْحَى طويل القامة مخروط الجسم بين عينيه سجدة

---

(١) في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ١٢٨ .

(٢) حواشي كاي ترجمة الدكتور حسن سليمان محمود ص ١٢٠ .

حسن الصوت طيب السمر حلو الأيراد غزير المحفوظات قائماً بالوعظ والتفسير وطريقة الصوفية أتمّ قيام ، وكان يتحدث بشيء من احوال المستقبلات فَيَصْدُق ، فكان ذلك من أقوى عدده في استمالة قلوب العالم ، وأظهر أمره بساحل زبيد بقرية (العنبرة) وقرى واسط والقضيب والأهواب والمعتفي وساحل الفازة ، وكان يتنقل فيها ، وكانت عبرته لا ترقأ على مرِّ الأوقات ، وكنت يومئذٍ منقطعاً اليه ، ملازماً له في اكثر الأوقات ، مدة سنة ، ثم علم والدي اني تركت التفقه ولزمت طريقة النسك ، فجاء من بلده (الحَكْم في المخلاف السليماني شمال تهامة) مسافراً ، حتى اخذني من عنده وأعادني الى المدرسة بزبيد ، وكنت أزوره في كل شهر زورة ، فلما استفحل امره انقطعت عنه خوفاً من أهل زبيد (آل نجاح) ، ولم يزل يعظ الناس في البوادي ، فاذا دنا موسم مكة خرج حاجاً على نجيب الى سنة (٥٣٦) للهجرة .

ثم اطلقت الحرة (علم) والدة فاتك بن منصور له ولأخوته ولأصهاره ثم لمن يلونه خراج املاكهم ، فلم يمض بهم هنيهة حتى اثروا واتسعت بهم الحال وركبوا الخيل فكانوا كما قال المتنبي :

فكأنما نتجت قياماً تحتهم وكأنما ولدوا على صهواتها »

البيعة الأولى لعلي بن مهدي

ثم أتي بقوم من أهل الجبال (المطلة على تهامة) حالفوه على النصرة (وكانت هذه هي البيعة الأولى له على نصرته على آل نجاح (فخرج اليهم سنة (٥٣٨) للهجرة وجمع جموعاً تبلغ اربعين الفاً وقصد بهم مدينة الكدراء (بتهامة) فلقيه القائد (اسحاق بن مرزوق السحرتي) في قومه فهزموا اصحابه وقتلوا خلقاً من جموعه وعفوا عن اكثرهم وعاد ابن مهدي الى الجبال .

وكانت حركته تلك من محاولات الاستيلاء على مدينة الكدراء بتهامة هي بداية نشاطه العسكري ضد (آل نجاح) .

ولقد كان (علي بن مهدي الرعيني) بمسلكه ذلك من بدايته يترسم خطى (ابي الحسن علي بن محمد الصليحي) ، وكان اتصاله بعلماء العراق والاستفادة من معارفهم ومن بعض العقائد الخارجية التي يجدها بسهولة لدى بقايا الخوارج فيهم انتهاجاً لمسلك (ابي الحسن علي بن الفضل) وإن كان هذا إنما اعتنق الأسماعيلية كما علمنا ، وكانت نزعتهم جميعاً (ابي الحسن علي بن الفضل الخنفري) و(ابي الحسن علي بن محمد الصليحي) و(أبي الحسن علي ابن مهدي الرعيني) واحدة وهي اقامة حكم يمني موحد يشمل اليمن جميعه . ولكن العناصر الحاكمة في عهودهم ، وما ساندها من قوى خارجية تضافرت ضدهم ، وقضت على صروح دولهم وهي في مهدها ، إلا أنّ الصليحيين الذين خلفوا (ابا الحسن علي بن محمد الصليحي) استطاعوا ان يحتفظوا بالحكم فترة طويلة ، وإن لم يبق لحكمهم الوحدة المتماسكة التي كانت في عهد مؤسسه (علي بن محمد الصليحي) المذكور .

وقد ظل (علي بن مهدي) في جبال وصاب يجمع الرجال والمال استعداداً للجولة الثانية والثالثة والجولات وحروب عديدة مع آل نجاح حتى يقضي عليهم ، وقد تمّ له ذلك كما سنرى ، ولكنه لم يستعجل الأمر هذه المرة ، وأقام في الجبال الى عام (٥٤١ هـ) ثم[٣] بدأ من العام المذكور يراسل الحرة علم والدة الملك (فاتك بن منصور بن جياش بن نجاح) يطلب منها الذمة له ولمن يلوذ به وتأمينهم كي يعودوا الى وطنهم ، قال عمارة : « ففعلت الحرة علم ذلك على كره من أهل دولتها وفقهاء عصرها ليقضي الله امراً كان مفعولاً » .

وعاد ابن مهدي الى قريته (العنبرة) يشتغل في املاكه عدة سنين وهي مطلقة من الخراج ، واجتمع له في ذلك مال جزيل ، واشتغل في الوعظ

(٣) عمارة في المفيد حواشي كاي ص ١٢١ .

واستمالة الناس اليه ، وكان[4] يقول في وعظه : « ايها الناس دنا الوقت وأزف الأمر وكأنكم بما اقول وقد رأيتموه عياناً » .

ولّما توفيت (الحرة علم) في عام (٥٤٥) للهجرة تهيأ لمجابهة (آل نجاح) من جديد .

البيعة الثانية لعلي بن مهدي

وأخذ[5] لنفسه البيعة الثانية في قرية (القضيب) من بلاد زبيد على جهاد آل نجاح ومن عاضدهم كالأشاعر وغيرهم وذلك في عام (٥٤٦) للهجرة ، قال الخزرجي[6] : « ولّما انتظمت له البيعة قام فيهم خطيباً فقال في اثناء الخطبة : والله ما جعل الله فناء الحبشة إلا بي وبكم ، وعما قليل ان شاء الله سوف تعلمون ، والله العظيم رب موسى وهارون إني عليهم ريح عاد وصيحة ثمود ، واني أحدثكم فلا أكذبكم ، وأعدكم فلا أخلفكم ، ولئن كنتم قليلاً لتكثرنّ ، أو وضعاً لتشرفنّ ، أو أذلاءً لتعزنّ حتى تصيروا مثلاً في العرب والعجم ، ليجزي الله الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزي الذين احسنوا بالحسنى ، فالأناة الأناة ، فوحق الله العظيم على كل موحد لأخدمنكم بنات الحبشة واخوانهم ، ولأخولنكم اموالهم وأولادهم ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا** ﴾ »

« ثم ارتفع الى الجبال فأصبح في حصن يقال له (الداشر) من بلاد خولان (سكنة وصاب) ثم ارتفع الى حصن يقال له (الشرف) وهو لبطن من خولان يقال لهم (بنو حيوان) من (سكنة وصاب ايضاً) فسماهم الأنصار ، وسمى

---

(٤) نفس المصدر ص ١٢٢ .

(٥) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ١٣٠ .

(٦) و(٧) نفس المصدر (العسجد) ونفس الصفحة .

من صعد معه من تهامة المهاجرين ، ثم أسآءظنه بكل احد ممن هو في صحبته ، فاحتجب منهم ، فأقام في الأنصار رجلاً من خولان يقال له (سبأ بن محمد) ولقبه شيخ الإسلام ، وأقام في المهاجرين رجلاً من العمرانيين يسمى (الثويبي) ولقبه شيخ الإسلام ، وجعلهما نقيبين على الطائفتين ، فلا يخاطبه ولا يصل اليه احد سواهما ، وربما احتجب فلا يرونه ، وهم يتصرفون في الغزو ، ولم يزل يغادي تهامة بغاراته ويراوحها ، حتى اخرب الحواز المصاقبة للجبال ، والحبشة آل نجاح تبعث الأبدال في المراكز فلا يغنون شيئاً ، لوجوه كثيرة منها : أنّ الحصن الذي يقال له حصن الشرف حصن منيع بنفسه وبكثرة خولان ، وإن الإنسان اذا اراد ان يصل اليه مشى في واد ضيق بين جبلين مسافة يوم كامل وبعض يوم ، فاذا وصل الى اصل الجبل الذي فيه الحصن احتاج في طلوع النقيل الى نصف يوم ، حتى يقطع العقبة ، ومنها أنّ الوادي يتصل مسيله من تهامه بشعاب عظيمة اذا كمنت فيها الجيوش العظيمة والعساكر الجرارة شهراً لم يعلم بها احد ، وكانت عسكر ابن مهدي اذا أغارت على بعض اعمال تهامة نهبت واخربت ، فإذا أدركها الفجر قبل ان تصل جبل الحصن كمنت في تلك الشعاب فلا يوصل اليها ولا يقدر عليها ، ولم يزل ذلك فعله مع أهل الوادي حتى اخرب جميع الوادي وبطل الحرث والعمارة في مدنه ، وانقطعت القوافل وبطلت الأسفار ، وكان يأمر اصحابه أن يسوقوا ما وجدوا من الدواب والمواشي ومن الرقيق وغيره ، فما عجز عن المسير عقروه ففعلوا من ذلك ما أرعب وأرهب ».

وأضاف الخزرجي[8] قائلاً : « قال عمارة في مفيده : ولقيت ابن مهدي عند الداعي محمد بن سبأ صاحب عدن بمدينة ذي جبلة سنة (٥٤٩) للهجرة وقد قصد الداعي مستنجداً على أهل زبيد فلم يجبه الداعي ، وعرض عليَّ صحبته وعقد لي أن يقدّمني على جميع أصحابه » وقد علمنا أنّ عمارة كان ايام

(٨) في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ١٣١ .

دراسته في زبيد من مريدي (علي بن مهدي) .

وأضاف[٩] الخزرجي أيضاً قائلاً : « ولمّا رجع ابن مهدي من مدينة ذي جبلة من عند الداعي محمد بن سبأ الى حصن الشرف ، وذلك في سنة (٥٤٩ هـ) دبر قتل القائد سرور الفاتكي » وهو الوزير والرجل الثاني في امارة آل نجاح بعد الملك فاتك بن محمد آل نجاح ، وقد نجح بقتله في عام (٥٥١ هـ) وهو يصلي العصر في مسجده بزبيد، كما مر بنا في الفصل الخاص بتأريخ (الصليحيين وآل نجاح) .

واختلف[١٠] رؤساء الحبشة فيمن يخلف القائد سرور ، وانفتحت الشرور على امارة آل نجاح بعد مقتله ، الأمر الذي شجع علي بن مهدي على النزول من حصن الشرف الى حصن الداشر ومضاعفة هجماته على زبيد وعلى الإمارة ، حتى تعطلت الزراعة وخربت القرى وتشرّد الناس في معظم تهامة الخاضعة لآل نجاح ، وانقلب الأخ على اخيه لصالح ابن مهدي ، ونال أهل زبيد من الضر ما لم ينل غيرهم وصبروا على الجوع والخوف حتى أكلوا الميتة وزحف ابن مهدي على زبيد اثنتين وسبعين زحفة يقتل من كل جانب مثل ما يقتلَ من الجانب الآخر في كل زحفة منها ، واستنجد وزراء آل نجاح بالإمام (احمد بن سليمان) ووصل الى زبيد واشترط لنصرتهم والصمود بجانب الإمارة أن يملكوه زبيد وأن يقتلوا الأمير فاتك بن محمد آخر امراء آل نجاح فقتلوه ، ثم عجز عن صد هجمات علي بن مهدي وغادر زبيد عائداً الى صعدة وكان قتل الأمير فاتك في شهر الحجة من عام (٥٥٣ هـ) ، واشتد الحصار بعد ذلك على أهل زبيد حتى استطاع علي بن مهدي ان يدخل زبيد في شهر رجب من عام (٥٥٤) للهجرة وان يقضي على امارة آل نجاح وأن يقيم امارة آل مهدي على انقاضها ولكنه توفي عقب دخوله زبيد بشهرين وأيام ، حيث توفي في السادس

---

(٩) نفس المصدر ص ١٣٤ .

(١٠) نفس المصدر والصفحة .

من شوال من العام المذكور ، ودفن حسب وصيته بالجامع الذي بناه ولده امام مسجد الميلين ، ولكنه هدم عند دخول الأيوبيين زبيد وجعل اصطبلاً للخيل ، ثم مناخاً للجمال الى تاريخ الخزرجي في القرن التاسع للهجرة .

هذا وقد عرف من شعراء آل مهدي الشاعر المعروف بابن الهبيني وصفه عمارة[11] بقوله : « ومن شعراء تهامة (ابن الهبيني) وهو شاعر علي بن مهدي صاحب زبيد وأولاده من بعده ، وهو امتن كلاماً وأقوى نظاماً من كثير ممن سمعت بهم عن شعرائهم ، وهو القائل على لسان ابن مهدي يهدد (آل زريع) :

أبلغ قرى تعكر ولا جرما ... إنّ الذي تكرهون قد دهما
وقل لجنّاتها سأبدلها ... خيلاً بأيام مأرب عرما
أتشرب الخمر في ربى عدن ... والسمر والبيض في الحصيب ظِما
ويُلجم الدين في محافلنا ... والخيل حولي تعلك اللجما
لست من القطب أو أسيرها ... شعواء تملأ الأوهاد والأكما

كما أورد عمارة قصيدة للشاعر (ابن الهبيني) المذكور يمدح بها (علي بن مهدي) مطلعها :

العز في صهوات خيل الأجبهِ ... وطرادها من مهمه في مهمهِ

ومنها :

تغدو امام متوج متبلج ... متيقظ متوقد متنبه
متفقه في الدين لكن لم يكن ... من عند غير الله بالمتفقه
ملك اذا اشتبه الملوك فما له ... في ملكه وصلاحه من مشبه

الى قوله (مادحاً الملكين (مهدي) و(عبد النبي) ابني علي بن

(١١) في ملحق المفيد منشور وتحقيق الأستاذ المؤرخ القاضي محمد بن علي الأكوع ص ٣٢٣ .

مهدي) :

فـاليـوم تجنـح للخليفـة بعـده	بـالقـائمـين الهـاديـين وزهـره
سبـطيـه قـطبيـنـه اللذين اليهـا	شـرف الخلافـة والإمـامـة تنتهي
ويقـول من كـالأجبهـين مخبـرا	فيقـول سـائله ومن كـالأجبـه

ومنها :

اشـبهتـما قـطب الملوك أبـاكـما	قـولاً وفعـلاً منـه غـير مشبـه
تـالله انـكـما لأكـرم مـعـشـر	جـذبت لهم خوص الـرقاب التيه

هذا وكان علي بن مهدي خارجي الأصول حنفي الفروع يُخطَب[١٢] له بـالإمام المهـدي امير المؤمنـين ، وكان يقتـل كل من يخـالفه ويستبيـح نساءهم وأولادهم ، وكان اصحابه يعتقدون فيه العصمة ، وكـانت اموالهم تحت يـده ينفقها عليهم في مؤنهم ، ولا يملكون فرساً ولا سلاحاً ، وكان يقتل المنهزم من اصحابه ويقتل الزاني وشارب الخمر وسامع الغناء ويقتل من يتأخر عن صلاة الجمعة ومن يتأخر عن وعظه يومي الأثنين والخميس .

الملكان مهدي وعبد النبي ابنا علي بن مهدي

وقد[١٣] خلف (علي بن مهدي الرعيني) بعـد موتـه ولداه (مهـدي) و(عبـد النبي) حيث اضطلع (مهـدي) باعبـاء قيـادة الجيش والتـوسـع في البلدان ، واضطلع (عبد النبي) بإدارة شؤ ون الدولة .

وقد غزا (مهدي بن علي بن مهدي) لحج مرتين ، احداهما في شعبـان من عام (٥٥٦ هـ) والثانية في رمضان من عام (٥٥٨) للهجرة ، وقتل من

---

(١٢) تأريخ اليمن المنقـول من العبر لابن خلدون منشـور وتحقيق الدكتـور حسن سليمان محمود، ملحق مفيد عمارة حواشي كاي ص ١٤٧ .

(١٣) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ١٣٦ .

أهـل لحج عـدداً كبيراً في الغـارتين وسبى النسـاء ونهب الأمـوال ، وأضـاف الخزرجي ان القصيدة المشار اليها التي منها ما يأتي قيلت في غزو مهدي بن علي ابن مهدي بلحج ، والأبيات هي :

أَيُشـرَب الخمـر في ربى عـدن والبيض والسمر في الحصيب ظِما

كـلا ومـهـدي فـارس بـطل وصـدر حيـزوم يمـلا الحُـزُمـا

ثم[14] أغار على مدينة الجند في شهر شوال من العام المذكور وحصرها أربعة عشر يوماً ثم دخلها وقتل من وجد فيها من صغير وكبير ورماهم في البئر التي في المسجد وحرّق اكثر دورها وحرق المسجد عـلى من فيه من الضعفـاء والعجائـز والعـواكف ومـا كـان من امـوال النـاس والشُّـرَح والـودائـع وأحـرق الكتب والمصاحف التي كانت في المساجد الى غـير ذلك من الفضائع التي ارتكبهـا في الجند ثم عاد الى زبيد .

وقد مرض بعد رجوعه الى زبيد وتوفي في الثامن عشر من المحرم من عام (٥٥٩) للهجرة .

استقلال عبد النبي بن علي بن مهدي

واستقل بالأمر اخوه (عبد النبي بن علي بن مهدي) ،

وقد[15] خلع في ثورة (فيمايبدو) قـام بها اخـوه (عبد الله) بن عـلي بن مهدي وحل محله ، ولكنه لم يلبث ان عاد الى الحكم ،وملك[16] البلاد جميعها ماعدا عدن فإن آل زريع هادنوه عليها بمال في كل عام . واجتمع لعبد النبي ملك الجبال والتهـائم وانتقل اليه ملك جميع ملوك اليمن وذخـائـرهـا . وغـزا[17]

(١٤) نفس المصدر ص ١٣٧ .

(١٥) عمارة في المفيد حواشي كاي ص ١٢٤ .

(١٦) نفس المصدر والصفحة .

(١٧) الخزرجي في العسجد ص ١٣٧ .

المخلاف السليماني وقتل فيه اميره الشريف (وهاس بن غانم بن يحيى بن حمزة ابن وهاس السليماني) وأخذ اموالهم وسبى حريمهم ، وانشأ عبد النبي بن علي ابن مهدي في ذلك قصيدته المشهورة والتي مطلعها :

لمن طلول بالحما كان كسيراً معلما
يلقى بها المصلما والأحقب المكرما

ومنها :

لوى بوهاس ضحى فابتدرته مرجما
فظل من تحت الرحا مضرجاً مرغما

ثم قام[١٨] اخوه عبد الله بالتحرك الى الجند على رأس جيش جرار لعمارتها وذلك في شهر ربيع الأول من عام (٥٦١) للهجرة وأقام فيها حوالي الشهر يعيد بناءها .

كما أغار عبد النبي[١٩] على مدينة (الجوة) من أعمال الصلو بلاد الحجرية ومما هو تحت نفوذ آل زريع وهي المدينة القريبة لقلعة (الدملوة) الحصينة مقر ذخائر واموال آل زريع ، وتمكن من دخولها واحراقها .

ثم عاد إلى الجند ومنها تقدم فأستولى على مدينة (شرياق) (ذي أشرق) مركز المنطقة يومئذٍ ثم استولى على تعز وصبر فحصن المجمعة من أعمال اب ، فمدينة اب عاصمة مخلاف جعفر فحصن الشماحي المطل على إب من الشرق وغيره ، وكانت جميعها مما هو تحت نفوذ (آل زريع) الأمر الذي دفع الملك (عمران بن محمد بن سبأ بن أبي السعود بن زريع) الى الوصول الى صنعاء والتحالف مع السلطان علي بن حاتم ضد آل مهدي ، وكان ما علمنا[٢٠] من قيام آل حاتم وآل زريع يساندهم مشايخ جنب وقبائلهم أهل ذمار بحرب آل مهدي وردهم لعبد النبي بن مهدي الى زبيد .

(١٨) و(١٩) نفس المصدر ص ١٣٨ .

(٢٠) في فصل آل زريع .

نهاية امارة آل مهدي

وقد اكتفى عبد النبي بن علي بن مهدي بعد انهزامه في وجه قوات الحلفاء (آل حاتم) و(آل زريع) و(مشايخ جنب) أهل مغرب عنس من أعمال ذمار ، بحكم تهامة حتى قدم عليه السلطان توران شاه بن أيوب موفداً على رأس قوة عسكرية من أخيه (صلاح الدين الأيوبي) وذلك في عام (٥٦٩) للهجرة ، وقبض عليه وعلى اخوته وقتلهم وقضى على امارتهم كما قضى على غيرها من الامارات والمشيخات اليمنية ، وذلك بعد معارك شديدة قامت بينه وبين اليمنين حسمت لصالح توران شاه الأيوبي لأسباب كثيرة منها بالنسبة لتغلب الأيوبيين على آل مهدي : مساندة حكام المخلاف السليماني من آل وهاس للأيوبيين .

الى جانب اضعاف تحالف آل حاتم وآل زريع والجنبيين ضد آل مهدي لهؤلاء .

على انّ تفكك اليمنيين وتناحرهم وتنافسهم فيما بينهم ادى الى تغلب الأيوبيين في اليمن بشكل عام ، حيث اخضعوا كل امارة ومشيخة وزعامة محلية على حدة .

والذي يظهر مما ذكره المؤرخون أنّ توران شاه الأيوبي وجّه عناية خاصة للقضاء على (آل مهدي) لما انتشر في مصر وغيرها من سرعة امتداد ملكهم في اليمن واتساع مطامعهم فيه وفي غيره .

ولأنّ الأشراف (آل وهاس) حكام المخلاف السليماني بعثوا[٢١] الشريف (قاسم بن غانم بن وهاس) بسبب غزو عبد النبي بن مهدي

---

(٢١) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ١٤٨ .

لإمارتهم وقتل اميرهم ، وذلك الى الخليفة العباسي المستنصر (الناصر بن احمد) مستنجداً به على آل مهدي وإنّ الخليفة المذكور كتب الى (صلاح الدين بن أيوب) نائب مصر بمساندة آل وهاس ، فجهز صلاح الدين اخاه توران شاه في الف فارس أو ثلاثة آلاف فارس . (على اختلاف في روايات المؤرخين) . وأنّ (توران شاه الأيوبي) وصل أول ما وصل الى المخلاف السليمان للتبصر من اشراف المخلاف والإستعانة بهم ، ثم وصل زبيد ودخلها[٢٢] في التاسع من شوال من العام المذكور (٥٦٩) للهجرة بعد قتال شديد بينه وبين آل مهدي .

وأضاف الجندي في تأريخه (السلوك) (مخطوط) أنّ حسن بن محمد بن النساخ المطرفي اليمني كتب رسالة بليغة الى الخليفة العباسي في بغداد يشكو فيها (ابن مهدي) وبعث مع الرسالة قصيدة منها :

فيا غادياً نحو العراق مخثحثاً	رحيل ركاب والحياة نصاب
الى ان ترى بغداد والمنبر الذي	له نسب للهاشمين قراب
ألمّ بابراج الخليفة لاثماً	غراساً وما كل التراب تراب
وقل لإمام العصر يا ابن خلائف	همو حجج محجوجة وكعاب
غدت ملة الإسلام مفصومة العرى	وعامر دين الله وهو خراب
يُذَبَّح ابناءٌ وَتُسْبَى عقائل	ضلال يُرَى في ارضنا وخراب

ومنها :

فدع عنك ارض الروم وانهض لملة	فسيفك فيه مضرب وذباب
فما من قتال الروم فخر وهذه	بأظهركم ما في الكلام كذاب

وانّ الخليفة العباسي حينما وصلته الرسالة كتب الى السلطان (صلاح الدين الأيوبي) يأمره بالمسير الى اليمن أو التجهيز لقتال هذا الخارجي ، وأنّ

(٢٢) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ١٤٨ .

صلاح الدين وجه اخاه (توران شاه الأيوبي) وكان ما علمنا .

بينما ذكر المؤرخ السيد (محمد بن محمد زبارة)[٢٣] أنّ ابن النساخ المذكور بعث لخليفة بغداد آنف الذكر برسالته المشهورة يحثه فيها على التجهيز الى اليمن للقضاء على الإمام (عبد الله بن حمزة) وذكر الرسالة نظماً ونثراً ، وهي كما نراها عند التاريخ للإمام المذكور في الفصل الثاني (من الفصول الخاصة بتأريخ الامامة الزيدية في اليمن) وهي غير هذه الرسالة وغير القصيدة .

ولما كان اسم الإمام عبد الله بن حمزة قد ورد في رسالة (ابن النساخ) التي نشرها زبارة ، ولم يرد اسم عبد النبي بن مهدي ولا أحد من آل مهدي في القصيدة التي نشرها المؤرخ الجندي في تأريخه ، فإنّ المرء لا يستطيع الجزم بأنّ القصيدة التي نشرها الجندي قد قالها (ابن النساخ) ضد (عبد النبي بن علي ابن مهدي) . في حين انه لا سبيل الى الشك في ان القصيدة التي ذكرها المؤرخ (زبارة) قد قالها ابن النساخ ضد الإمام عبد الله بن حمزة ، سيما وقد عرف ان الإمام عبد الله بن حمزة حارب المطرفية التي كان ابن النساخ ينتمي اليها كما سنعلم في موضعه من هذا الكتاب .

على أنّ هذا لا يمنع ان يكون ابن النساخ قد بعث برسالته الى بغداد يحرض الخليفة العباسي على (عبد النبي بن علي بن مهدي) أو على (آل مهدي) قبل أن يبعث برسالته الأخرى اليه يحرضه فيها على الإمام (عبد الله ابن حمزة) ، اذ ان التأريخ الزمني لمجيء (توران شاه الأيوبي) الى اليمن وهو عام (٥٦٩ هـ) لا يبعد كثيراً عن تأريخ الإمام (عبد الله بن حمزة) الذي دعا في عام (٥٨٣ هـ) ، وقد جوّز من هذا الاحتمال اختلاف نص الرسالتين نظماً ونثراً ، وما عرف من طبيعة (ابن النساخ) الثورية ، وأنّ كلا من الرسالتين قد ورد ذكرها في مصدر تأريخي مغاير للمصدر الآخر .

---

(٢٣) في تأريخه (أئمة اليمن) ص ١٣٦ .

هذا وسنعلم المزيد من اسباب غزو الأيوبيين لليمن ، وعوامل نجاحهم في الإستيلاء على اليمن في الفصل الخاص بتأريخهم من هذا الكتاب .

أمّا مدة حكم (آل مهدي) منذ استولى (علي بن مهدي الرعيني الحميري) على زبيد في عام (٥٥٤) للهجرة وحتى قضى عليهم (توران شاه الأيوبي) في عام (٥٦٩) للهجرة فهي حوالي الستة عشر عاماً ، كانت كلها حروب وغزوات له ولولديه (مهدي) و(عبد النبي) في سبيل توسيع رقعة ملكهم في اليمن .

ولم يطل امد حكمهم للعوامل التي ذكرتها .

نظرة عامة في إمارة آل مهدي

لم يتجاوز عهد (آل مهدي) الستة عشر عاماً . لذلك فإنّ عهدهم القصير الذي لم يتوفر فيه الإستقرار ليس من السهل الحكم عليه أو له ، لأنه لم تتح لهم الفرصة لأن يبرهنوا عن صلاحهم واصلاحهم وعما سيكونون عليه وسيكون عليه عهدهم . وقدركز (علي بن مهدي الرعيني) مؤسس هذه الإمارة منذ القيام بحركته على القضاء على آل نجاح الذي كان هو من مواطنيهم .

وبدأ أمره كغيره من الطامحين في الحكم بالنسك والعبادة والتقوى والزهد والورع ، كما ترسّم خطى (أبي الحسن علي بن الفضل) بالاتصال بعلماء العراق والإستفادة من علومهم ومعارفهم ، إلا أنّ الأول اخذ عنهم عقيدة الاسماعيلية ، وهذا اخذ عنهم عقيدة الخوارج وتطرف فيها ، فكفّر بالمعاصي ، وقتل كل خارج عن عقيدته وأساء ظنه بكل احد .

.وأهلك الحرث والنسل وقطع الطريق وأخاف الآمنين في تهامة في سبيل القضاء على (آل نجاح) وتوطيد حكمه على أنقاضهم . كما ترسّم خطى (ابي الحسن علي بن محمد الصليحي) في الحج بالناس دليلاً ولسنوات قبل ان يبدأ

بحركته السياسية والعسكرية ، واتصل باليمنيين من أهل تهامة وغيرها للتمهيد لحركته ، وقد ساعده في حرب آل نجاح الى جانب عنفه وارهابه للناس في المنطقة وسلب اموالهم واراقة دمائهم سماح (الحرة علم) والدة الملك (فاتك ابن منصور بن جياش بن نجاح) له بزكوات قريته (العنبرة) والقرى المجاورة لها على ساحل زبيد ، حتى جمع الأموال والرجال والخيل والعتاد ، كما ساعده موت (الحرة علم) على الارتفاع الى حصون وصاب والبدء بحركته العسكرية ضد آل نجاح دون مبالاة وبصورة مكشوفة كما علمنا .

ولما تمّ له القضاء على آل نجاح واستولى على مدينة زبيد عاصمة الإمارة مات بعد اشهر من ذلك . وخلفه ابناه مهدي وعبد النبي اللذان لم يكتفيا بحكم تهامةمنطقة نفوذ آل نجاح . وإنما توسعا في طموحها ، وامتدّ نفوذهما الى كثير من مناطق نفوذ إمارة (آل زريع) المجاورة لإمارتها (إمارة آل نجاح سابقاً) ، وقام عبد النبي بعد موت اخيه بغزو امارة آل وهاس في المخلاف السليماني وقتل اميرهم كما علمنا،الأمر الذي حمل آل زريع على التحالف ضد آل مهدي مع آل خاتم ومع مشايخ وقبائل جنب في بلاد ذمار وهزم الحلفاء آل مهدي وضيقوا نطاق نفوذهم الى نقطة البدء في حركتهم وهي زبيد وأعمالها .

كما حمل آل وهاس أشراف المخلاف السليماني الى طلب النجدة من الخليفة العباسي الذي أمر نائبه على مصر والشام (صلاح الدين الأيوبي) بالمسير الى اليمن أو التجهيز اليه لحرب آل مهدي الخوارج والخارجين على الدولة العباسية على اعتبار أنَّ آل نجاح كانوا يدينون بالولاء للعباسيين ، وجاء الأيوبيون مستعينين باشراف المخلاف السليماني وبغيرهم من اليمنيين ممن عانوا من ويلات وحروب آل مهدي وقضى بنو أيوب على آل مهدي ، كما قضوا على غيرهم من الإمارات اليمنية المتفككة ، هذا من الناحية السياسية .

أمّا من النواحي الأخرى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية فلقصر مدة حكم آل مهدي وعدم استقرار الأحوال فيه فإنّ ذلك العهد القصير

بالطبع كان مضطرباً ولم يتوفر فيه الأمن والرخاء ، وكل ما نعلمه ان عبد ا الله
ابن علي بن مهدي اعاد جامع الجند الذي سبق لأخيه مهدي أنّ احرقه بمن فيه
كما هدم واحرق وقتل وصادر وأخواه مهدي وعبد النبي في كل مدينة
ومنطقة استوليا عليها ، فكسدت التجارة وانتشر الخوف وانهار الاقتصاد
وتعطلت معاهد العلم ، ولا ندري ماذا كان سيكون عهدهم لو طال بهم
الأمد وتمكنوا من إقامة دولة واسعة الأرجاء ، والله يعلم النوايا وهو الحكم
العدل جلّ وغلا .

الفصل الثاني من فصول تأريخ الأئمة في اليمن
(٤٥٢ ـ ٥٦٦ هـ)
(١٠٦٢ ـ ١١٥٥ م)

الإمام حمزة بن ابي هاشم ومقتله

يبدأ[١] هذا الفصل بالإمام حمزة بن أبي هاشم ، وهو (حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم الرسي بن ابراهيم) ، فهو يلتقي مع الإمام الهادي (يحيى بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم) عند (الحسين بن القاسم .

قال المؤرخ[٢] (محمد بن محمد بن زبارة) : « وكان اميراً خطيراً شهماً شجاعاً » وأضاف[٣] قائلاً : « قام محتسباً وداعياً » في سنة (٤٥٢) للهجرة .

اي انه لم يدع امام بين الإمامين (ابي الفتح الديلمي) الذي قتل أثناء معركة قامت بينه وبين الملك (علي بن محمد الصليحي) في عام (٤٤٤) للهجرة ، وهذا الإمام الذي دعا لنفسه في التأريخ المذكور والذي لم يعتبره زبارة إماماً بل محتسباً ، ومع ذلك فلم يعرف تأريخياً أنّ هذا الإمام (حمزة) ، قام بأي حركة حربية ضد الملك الصليحي الى مقتله أي الصليحي على يد (سعيد الأحول بن نجاح) في عام (٤٥٩) للهجرة .

---

(١) و(٢) و(٣) المؤرخ محمد بن زبارة في تأريخه (ائمة اليمن) ص ٩٣ .

لأنّ أول حركة عسكرية له ضد الصليحيين قامت في شهر ذي الحجة[٤] من عام مقتل الصليحي ، الذي حدث في شهر ذي القعدة من نفس العام ، وقدجهّزالملك المكرم (احمد بن علي الصليحي) جيشاً كبيراً تصدى للإمام (حمزة) ولحشوده التي عسكر بها في بلاد ارحب ، وأخذ[٥] جيش الملك المكرم بقيادة الأمير (عامر بن سليمان بن عبد الله الزواحي) اسفل وادي (الملوى) أو (المنوي) غربي قرية بوسان من بلاد ارحب واعلى الوادي ، وأحاط بجيش الإمام حمزة والحق به وبجيشه الهزيمة ، وقتل الإمام أثناء المعركة ، ونقل جثمانه الى بيت الجالد من بلاد أرحب ودفن فيه .

وأضاف[٦] (زبارة) : إنّ الإمام ظلّ يردد اثناء المعركة قوله :

اطعن طعناً ثائراً غباره   طعن غلام بعدت انصاره
وانتزحت عن قومه دياره

ويفهم من هذه المقاطع الثلاثة انّ الإمام حمزة قاوم بعد انهزام رجاله حتى قتل .

هذا والإمام (حمزة بن أبي هاشم) هذا هو جد السادة الحمزات الذين منهم الإمام (عبد الله بن حمزة) وليس منهم الإمام (يحيى بن حمزة) .

الإمام أحمد بن سليمان

هو[٧] الإمام المتوكل (احمد بن سليمان بن محمد بن المطهر بن علي بن الناصر احمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين .

وقد دعا في بلاد الجوف عام (٥٣٢) للهجرة ، ثم تنقل في مناطق كثيرة

(٤) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ١١٨ .
(٥) زبارة في المصدر المذكور ص ٩٤ .
(٦) نفس المصدر المذكور والصفحة نفسها .
(٧) نفس المصدر (زبارة) في تاريخه (أئمة اليمن) ص (٩٦) .

في القسم الأعلى من اليمن ، كبلاد برط ونجران وبلاد الظاهر من بلاد حاشد ، وبلاد سفيان ، وذلك لأخذ البيعة لنفسه من القبائل التي وصل اليها ودعوتها لمساندته في حركته .

والذي يبدو من شعره الذي كان ينشره في القبائل اليمنية ، وبالذات قبيلة (مذحج) أنّ طموحه كان واسعاً ، وانه كان يعتزم القضاء على (آل حاتم) حكام صنعاء وأعمالها ، بالدرجة الأولى ، لأهمية (صنعاء) عاصمة اليمن التي كانت عاصمة امارة (آل حاتم) .

ثم يغزو سائر الامارات التي كانت قائمة في عهده ، كإمارة (آل زريع) في (عدن) وفي المنطقة الوسطى التي تشمل مخلاف الجند ومخلاف جعفر بلواء اب ، وفي مخلاف المعافر (الحجرية) وامارة (آل نجاح) في تهامة ، وغيرها ؛ ومن اشعاره التي اشعرت بطموحاته ونواياه القصيدة التالية والتي مطلعها : (لأحكمنّ صوارماً ورماحاً) .

إلا انّ حركته الجادة لم تبدأ إلا في عام (٥٤٥) للهجرة ، حيث وصل فيه الى بيت بوس من بني شهاب في بلاد البستان إحدى نواحي لواء صنعاء ، وحوله عدد كبير من القبائل اليمنية .وقد اعتبر بعض المؤرخين هذا العام هو عام دعوته .

وهنا ذكر بعض[٨] المؤرخين انّ الإمام ارسل رجلاً من بيت بوس الى صنعاء ليشتري له ورقاً وبعض الحاجات الأخرى ، وانّ السلطان (حاتم بن احمد اليامي) الحاشدي الهمداني ابلغ بوجود رسول الإمام في صنعاء ، فأمر السلطان باحضاره اليه ، ولما احضر اليه بعث معه الى الإمام ورقة فيها :

أبا الورق الطلحي تأخذ ارضنا ولم يشتجر تحت العجاج رماح
وتأخذ صنعا وهي كرسي ملكنا ونحن باطراف البلاد شحاح

---

(٨) زبارة في (ائمة اليمن) ص ٩٨ .

وانّ الإمام لمّا قرأ الرسالة قال : « نأخذها إن شاء الله . » .

ثم جهز جيشه للتقدم نحو صنعاء ، وتلقاه السلطان حاتم بجيشه وقامت معركة بين الجانبين حققت انتصاراً حاسماً لـلإمام ، وانسحب السلطان حـاتم من صنعاء الى حصن الظفر القريب من الروضة ، والتي نسبت اليه فسميت بروضة حاتم وكانت تعرف قبل ذلك بالمنظر وبالدرب .

وذكر انّ السلطان لمّا رأى التفاف الناس حول الإمام وانصرافهم عنه ، أنشد قوله :

غلبنـا بني حـواء بـأسـاً ونجـدة ولكننـا لم نستـطع غلب الـدهـر
فـلا لـوم فيـها لا يـطاق وإنمـا يـلام الفتى فيـها يـطاق من الأمـر

ثم قصد الإمام في جماعة من رؤ ساء همدان الى بيت بوس ولمّا قابله انشده بيت كعب بن زهير وهو :

نبّئت انّ رسـول الله أوعـدني والعفـو عنـد رسـول الله مـأمـول

وأعلن للإمام ولاءه ومن معه له ، فطلب الإمام منهم مبايعته فبايعوه ، وباتوا ليلتهم لديه .

وفي صباح اليوم التالي تحرك موكب الإمام نحو صنعاء ، ودخلها دخولاً معظماً ، ومنها بعث الإمام عماله على المخاليف التابعة لصنعاء ، وولى على قضاء صنعاء القاضي (جعفر بن أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيى) من الأبناء .

وأضاف المصدر المذكور[٩] انّ السلطان حاتم بن احمد كتب للإمام احمد ابن سليمان من حصن الظفر أبياتاً جاء فيها قوله :

---

(٩) نفس المصدر والصفحة .

رأيت إمـاماً لم يـر النـاس مثله أبـرّ وأوفى لـلطريـد المـشـرد
عـفـىووفى حـتى كـأني عـنـده أخ وحميـم لسـتـعـنـه بمـبـعـد

وقد حدث بينهما خلاف بعد ذلك التقيا بسببه عند موضع يعرف بعرم السد في محاولة للتوصل الى اتفاق ، ولكنهما افترقا كما التقيا ، وبدأ كل منهما يستعد للجولة الفاصلة ، واستطاع السلطان حاتم ان يجمع كلمة همدان حوله .

وفي[10] اثناء ذلك بعث الإمام أحد كبار رجاله هو الشريف (علي بن يحيى) الى قبيلة (مذحج) لطلب انضمامها الى الإمام ، واستطاع ان يستميل اليه عدداً منهم ، فبادرهم السلطان وقاتلهم وهزمهم ، الأمر الذي حمل الإمام على الخروج من صنعاء على رأس جيشه لنجدة الشريف (علي بن يحيى) المذكور وبات ليلته في غيمان بني بهلول فخلفه السلطان حاتم على صنعاء ، وتكاثرت القبائل الموالية له ولم يغلب بعد ذلك .

وكانت استعادة السلطان حاتم لصنعاء في عام (٥٤٦) للهجرة وهو العام التالي لعام دعوة الإمام المذكور واستيلائه على صنعاء .

أمّا الإمام فإنه واصل انسحابه الى ذمار ودخلها ، ومنها راسل قبيلة (جنب) ذات الشأن الكبير آنذاك يدعوها الى الانضمام اليه ، وانقسمت قبيلة جنب على نفسها ، ولكن الأغلبية بزعامة الشيخ عبد الله بن يحيى الجنبي تابعت السلطان حاتم وسارت في صفوفه ضد الإمام ، وقاتلت الفرقة التي والت الإمام من جنب وهزمتها .

وبانضمام جنب الى السلطان (حاتم) تضاءل أمل الإمام في استعادة

---

(١٠) نفس المصدر ص ٩٩ .

صنعاء بل وفي استعادة مركزه الذي كان قد احرزه اثر قدومه من بـلاد الجوف الى بيت بوس ، وانسحب من المنطقة عائداً الى مكان اقامته الـدائم في هجرة (عمران) ببلاد الجوف ، وهذا ما رواه المؤرخ (زبارة) في المصدر المذكور .

لكن المؤرخ (الخزرجي)[11] لم يذكـر ان الإمام وصـل بنفسه الىذمار لطلب انضمام قبيلة (جنب) الى صفوفه ، وإنما راسلها يـطلب منها ذلـك ، ووعدها بالوصول اليها ، وانّ السلطان حاتم لّما بلغه ذلك بادر اليها بنفسـه ، وأنه ألفاها خارج ذمار في انتظار قدوم الإمام اليها ، وأنها لّما عرفت أنّ القادم اليها هو السلطان حاتم رحبت به ، وانه استطاع ان يحسم خـلافات وثـارات كانت بينها عن طـريق تسليم الديـات من لديـه (كما هـو مفصل في الفصـل الخاص بتأريخ آل حاتم) ، وانها انضمت اليه وعاد بها الى صنعاء ، وانسحب الإمام عائداً الى بلاد الجوف كما عرفنا .

تحالف السلطان (حاتم الهمداني) اوالسلطان عمران آل زريع ضد الإمام أحمد بن سليمان .

ولكن هل يا تـرى وقف الإمام (احمـد بن سليمان) في هجـرة عمران بالخارد ببلاد الجوف بعد الانتصار السـاحق الذي حققـه السلطان (حاتم بن احمد اليامي) ولم يتحرك بعد ذلك ؟

الجواب بالنفي .

ذلك[12] انه في العام التالي لعام انسحابه الى بلاد الجوف ، أي في عام (٥٤٧) للهجرة تحرك من جديد في جموع حشدهـا من قبائـل خولان الشـام (خولان صعدة) وضمّ اليها ما امكن له جمعه من بلاد حاشد والجوف وبـلاد مسـور حجة وغيـرها ووصـل بجموعـه الى بلاد جهـران ، وقضى أيـام عيـد

---

(١١) العسجد المسبوك ص ٧٦ .

(١٢) زبارة في (ائمة اليمن) ص ١٠٠ .

الأضحى من العام المذكور في (افق) اسفل بلاد جهران ، ثم انتقل منها الى بلاد ذمار ونشر في الناس قصيدته الآتية ، ينادي بها قبيلة مذحج ويدعوها للإنضمام اليه ومساندته وهي :

لأحكمنّ صوارماً ورماحاً ... ولأبدلنّ مع السماح سماحا
ولأقتلنّ قبيلةً بقبيلة ... ولأسلبنّ من العدى ارواحا
ولأجلونّ الأفق عن ديجوره ... حتى يعود دجى الظلام صباحا
ولأكسونّ الأرض عما سرعة ... نقعاً مثاراً أو دما سفاحا
ولأجلبنّ الخيل من اقصى المدى ... لا ينثنين ولا يردن مسراحا
ولأرمينّ بها الحُصَيب وأهله ... ولأنجحنّ ملوكهم انجاحا
ولأرمينّ الواديين بصيلم ... والمشرقين وانثني صرواحا
ولأوقعنّ بحي يام وقعة ... تدع الحميّ من الطغاة مباحا
يا آل مذحج انني أعددتكم ... لي في الحوادث جُنة وسلاحا
قوم فتحت بهم ازال ولم ازل ... لجميع امصار الملا فتّاحا
قودوا الينا مقنباً يغشى الربا ... جيشاً أجشّ عرمرماً نطاحا
لست ابن أحمد ان تركت زعانفاً ... يتبخترون وينكحون سفاحا
يتواعدون بكل ليلة جمعة ... فاذا توافوا اطفأوا المصباحا

فالإمام (احمد بن سليمان) بهذه القصيدة توعّد فيمن توعد (آل نجاح) حكام تهامة وذلك ببيت : (ولأرمينّ بها الحُصَيب وأهله) اذ أنّ الحصيب بالتصغير هي بلاد زبيد التي كانت ضمن منطقة حكم (آل نجاح) الذين ذكرهم في نفس البيت المذكور ،وأكد ذلك ببيت (ولأرمينّ الواديين بصيلم) اذ أنّ الواديين هما في شمال تهامة ومن ضمن منطقة نفوذ آل نجاح ، وربما قصد بهما واديين من وديان (المخلاف السليماني) شمال تهامة فيكون بذلك قد تهدّد بالبيت المذكور اشراف المخلاف السليماني (آل وهاس) .

كما توعد (آل حاتم) اليامين الهمدانيين وسائر قبيلة يام عشيرة السلطان (حاتم بن احمد اليامي) وانصاره ببيت (ولأوقعنّ بحي يام وقعة) .

وتوعّد كذلك (آل زريع) حكام عدن والمنطقة الوسطى واتهمهم بالباطنية لأنها كانت تنتمي الى الفاطميين الذين كان الناس يصمونهم واتباعهم يومئذٍ بالباطنية وينسبون اليهم اشياء ليست من الإسلام ، وذلك ببيت (لست ابن احمد) وما بعده ، كما افصح عن خطته لإخضاع القبيلة التي لا تذعن له بقوله : (ولأقتلنّ قبيلة بقبيلة) .

ولّما عرف السلطان (حاتم بن أحمد) نوايا الإمام (احمد بن سليمان) التوسعية ومحاولة الاستعانة بمذحج لتحقيق مطامعه وغزو عدن وغيرها بادر الى مدينة ذي جبلة ، واجتمع فيها بالسلطان (عمران بن محمد بن سبأ آل زريع) . وتحالف معه ضد الإمام ، وكانت تجمع السلطانين الى جانب آصرة الدم بانتمائهما معاً الى الأسرة الهمدانية ، روابط مصيرية اخرى ، أهمها التهديد والخطر المحدق بهما معاً من قبل الإمام ، ودبر الحليفان خطة افساد قبيلة مذحج على الإمام ، وذلك بأن بعثا اليها والى زعمائها بالذات كزيد بن عمرو المذحجي وغيره اموالاً كثيرة حملها على الاعتذار للإمام عن غزو عدن أو صنعاء ، وقد حمل الاعتذار عن القبيلة الى الإمام الى عرش رداع (زيد بن عمرو المذحجي) المذكور ، فعاد الإمام الى بلاد الجوف خائباً ، وأقام فيها مدة ، غادرها بعدها الى بلاد صعدة ، ثم تجوّل في عدة مناطق من القسم الأعلى من اليمن .

حتى[١٣] وصل في عام (٥٤٨) للهجرة الى ارحب ، وفي بيت الجالد منها اجتمع بالسلطان حاتم وعقد معه صلحاً يقضي بقيام هدنة مطلقة بينهما ، وتعهد السلطان بموجبها بصيانة شيعة الإمام في صنعاء وغيرها ،وأن يترك لهم حرية ممارسة وإظهار مذهبهم الزيدي .

(١٣) المصدر المذكور (ائمة اليمن) ص ١٠١ .

وقد كان ذلك التحالف بين الأسرتين الهمدانيتين (آل حاتم) و(آل زريع) هو التحالف الأول بينهما . أما التحالف الثاني فهو بين الأسرتين نفسيهما ولكن في عهد السلطان (علي بن حاتم) والداعي (عمران بن محمد بن سبأ) المذكور ضد (علي بن مهدي الرعيني) كما عرفنا تفصيل ذلك في الفصل الخاص بتأريخ (آل مهدي) .

حرب غيل جلاجل بين الإمام احمد بن سليمان وقبيلتي وادعة الشام ويام

انتهز الإمام (احمد بن سليمان) فرصة الهدنة القائمة بينه وبين السلطان (حاتم بن احمد اليامي) وقام بحشد جموع كثيرة وتقدم لحرب القبيلتين الكبيرتين المناصرتين عادة للسلطان وهما (وادعة الشام) (صعدة) و(يام) عشيرة السلطان متهماً لهما بالباطنية ، وغزاهما الى مكان تجمعهما وهو غيل جلاجل من بلاد وادعة الشام المذكورة ، ويظهر من ما ذكره المؤرخ (محمد بن محمد زبارة) في تأريخه (ائمة اليمن)[١٤] أنّ الإمام بعد حرب شديدة قامت بينه وبين القبيلتين المذكورتين عند غيل جلاجل المذكور استظهر عليهما لكثرة القبائل التي قاتلتهما في صفوفه ، وأنه أخرب مساكنهما وهدم مزارعهما وأباح بلادهما للسلب والنهب ثلاثة أيام ، وأنّ تلك الأحداث كانت في عام (٥٤٩) للهجرة وأثناء الهدنة القائمة بين الإمام (احمد بن سليمان) والسلطان (حاتم ابن احمد اليامي)، ولم يتمكن الإمام مع ذلك من دخول مدينة صعدة ، وانه انشأ بمناسبة انتصاره على القبيلتين المذكورتين قصيدة أشبه ما تكون بالشعر القصصي ، عدّد فيها مفاخره وشمائله ، وما فعله بالقبيلتين ، وما اتهمهما به من الاختلاط وفعل الفحشاء على حد ما جاء في قصيدته ومطلعها :

الله اكبر أي نصر عاجل ... من ذي الجلال بفتح غيل جلاجل

---

(١٤) نفس الصفحة ١٠١ .

ومنها :

كفـرت بـه يـام ووادعـة معـاً ... وتجبـرّوا وتمسكـوا بـالبـاطـل
دانـوا بـدين البـاطنية وهـو من ... دين المجوس وفوق جهل الجاهل
وأتـوا من الفحشـاء كـل كبيـرة ... فعـلاً وقـولاً فـوق قـول القـائـل
وطغـوا وتـاهـوا ثم قـالـوا هجرة ... يـا نـاس مـا أحـد لنـا بمـاثـل
فخـروا علـيَّ وكثـروا وتـوعّـدوا ... فخـر البهام عـلى الهزبـر البـاسـل
وأنـا الـذي عـرفـوه لست بعـاجـز ... عـما نهضت بـه ولست بخـامـل
وسمـاحتي وفصـاحتي وشجـاعتي ... وطبـائعي معـروفـة وشـمـالي

ومنها :

لـمّا تـوافى جنـدنـا بمـمّـتهـم ... بلد العـدى ووطـأتهم بكـلاكـل
وقصـدتهم في ارضهم وتـركتهـم ... جـزر السبـاع وطعمـة لـلآكـل
أجليتـهم عـن ارضهـم وبـلادهم ... ولعلهـا تـأتي ثـلاث مـراحـل
وحصـونهم معـروفـة مـعـدودة ... مـأتـان قـد حسبت وأي معـاقـل

الإمام أحمد بن سليمان وآل نجاح

لما اشتدّت[١٥] غارات (علي بن مهدي الرعيني) عـلى (آل نجاح) في تهامة وعلى عاصمتهم مدينة زبيد بالذات ، استنجد وزراء الإمارة من موالي آل نجاح بالإمام (احمد بن سليمان) ، ووصل الإمام الى زبيد في عام (٥٥٣) للهجرة ، واشترط لمساندتهم والوقوف في وجه علي بن مهدي ان يقتل الوزراء اميرهم (فاتك بن محمد آل نجاح) ، فقتلوه وكان آخر امراء آل نجـاح ، ثم اقام الإمام المذكور في زبيـد ثمانيـة أيام دون ان يتمكن من صـد غارات ابن مهدي ، فعاد من حيث اتى .

---

(١٥) زبارة في (ائمة اليمن) ص ١٠٦ .

أسر الإمام أحمد بن سليمان ثم موته

وفي[١٦] عام (٥٦٥) للهجرة قامت الحرب بين الإمام (احمد بن سليمان) وبين الأمراء أولاد الإمام قاسم بن علي العياني وكانت (وادعة الظاهر من بلاد حاشد) ساحة الحرب بين الجانبين ، واثناء الحرب تمكن أولاد العياني من اسر الإمام واعتقاله في (مصنعة اثافت) بالقرب من (خمر) ، ولم يفرجوا عنه إلا بعد توسط السلطان علي بن حاتم بن أحمد لدى الشريف (فليتة بن قاسم القاسمي العياني) كبير آل العياني .

ثم وصل الإمام (احمد بن سليمان) الى السلطان علي بن حاتم بن أحمد اليامي لتقديم شكره له على ما فعله في سبيل الإفراج عنه ، وسانده بعد ذلك بقواته في حربه لأولاد العياني كما علمنا في الفصل الخاص بتأريخ (آل حاتم)

ثم انتقل الإمام الى بلاد حيدان في بلاد صعدة ، وأقام فيها الى وفاته في عام (٥٦٦) للهجرة .

وبموته طويت صفحة من صفحات تأريخ الأئمة الزيدية في اليمن ، وكان الإمام (احمد بن سليمان) يعتبر من كبارهم نهضة وعزماً وسماحة ووفاء وبلاغة وعلماً وصاحب طموحات واسعة ، لولا انه صادف نداً قوياً لا يقل عنه نهضة وعزماً وسماحا ووفاء وبلاغة وادباً وهو السلطان (حاتم بن احمد اليامي) والذي كان مع ذلك يفوق الإمام في بذل الأموال بسخاء حينما يدعوه الواجب الى ذلك .

ثم ولده السلطان (علي بن حاتم) الذي كان لا يقل عن أبيه في شمائله .

هذا ولما كان قيام دولة بني أيوب في اليمن هو قبل دعوة الإمام عبد الله

---

(١٦) نفس المصدر والصفحة .

ابن حمزة الذي تلا الإمام (احمد بن سليمان) في دعوته فإني سأنهي هذا الفصل الثاني من فصول حكم الأئمة في اليمن بالإمام (احمد بن سليمان) المذكور ، على أن آتي الى الفصل الثالث من حكمهم بعد فصل بني أيوب ، وبحسب القاعدة التي التزمتها .

وضع اليمن العام بين استقلاله
عن العباسيين وحكم الأيوبيين فيه

تمتدّ هذه الفترة حوالي ثلاثمائة وخمسة وستين عاماً ، أي من تاريخ قيام إمـارة (آل زياد في اليمن) عـام (٢٠٤ هـ) وحتى حكم الأيوبيـين فيه في ٥٦٩ هـ .

الوضع السياسي

اول امـارة شبه مستقلة في اليمن عن حكم العبـاسيين هي امـارة (آل زياد) التي أسسها (محمد بن عبد الله بن زياد) من أولاد (زياد بن أبيه) .

والذي ولاه المأمون العباسي اعمال تهامة وما استولى عليه في الجبال من اليمن بهدف فصل اليمن عن نجده بوالٍ يحزم أمرها ، ويقر الأمن والاستقرار في ربوعها ، وذلك بسبب اضطراب اليمن وتهامة بالذات .

وكـانت إمارة آل زيـاد هي أول امـارة شبـه مستقلة عن العبـاسيـين في اليمن .

وقد استطاع ابن زياد بالقوة التي أرفقه بها المأمون ، وبالقوة الكبيرة التي بعثها المأمون مع جعفر مولى ابن زياد بعد عـام ونصف ان يخضع تهـامة بعـد حروب شديدة قامت بينه وبين اليمنيين استمرت ثلاث سنوات ، ثم امتدّ نفوذه الى حضرموت ، ومع ذلك فقد اضطرب نجد اليمن (الجند واعماله وصنعاء وأعمالها) .

الأمر الذي حمـل الخليفة المـأمون العبـاسي على تقسيم نجـد اليمن الى

ولايتين بواليين ، ولاية الجند وأعماله ، وولاية صنعاء وأعمالها .

ومع ذلك أيضاً فلم تُجْدِ العباسيين حتى هـذه الوسيلة ، وأضـطروا الى الاعتراف بنفوذ (آل يعفر) الحواليين على صنعـاء وأعمالهـا ، واستقلّ هؤلاء بالمنطقة المذكورة إلا من انتماء شكلي بالعباسيين قد لا يعدو الدعاء في الخطبة ، وذكر اسم الخليفة في السكة ، وخطب آل يعفر أيضاً لآل زياد ، اعترافاً منهم بشرعية هؤلاء في حكم تهامة المستمد من العباسيين ، ولعدم قدرة آل يعفر على مقاومتهم وحربهم .

وقامت أيضاً حركات استقلال عن العباسيين في اليمن ، كحركة الأئمة الزيدية بزعامة الإمام الهادي (يحيى بن الحسـين بن القاسم بن ابـراهيم) ، وحركة دعاة الفاطمية الأولى بزعـامة (الحسن بن حـوشب بن زادان الكوفي) الذي تمركز في بلاد مسور حجة ، وعلي بن الفضل الجيشـاني الحميري الـذي تمركز في المـذيخرة من أعمـال اب ، ثم أمتدّ نفـوذه في معظم اجـزاء اليمن ، وأخضع كل مناوئيه كما مرّ بنا كل ذلك بالتفصيل في مواضعه من هذا الكتاب .

ولكن هذه الحركات التي نجحت جميعها في الاستقـلال عن العباسيـين والفاطميين هل وفرّت في اليمن الأمن والاستقرار اللذين كانت ترجوهما ؟

الجواب بالنفي .

ذلـك انّ اليمن في ظل تلك الحـركات المستقلة تقـريباًدخـل في صـراع عقائدي بينها ، وقد تمثل ذلك الصراع بين السنية التي كان يعتنقها آل يعفر وآل زياد بحكم انتمائها الى العباسيين ، وبين الشيعة التي كان يعتنقها ائمة الزيدية ودعاةالفاطمية .

وحتى هذه الشيعة فإنها اختلفت فيما بينها ، فشيعة الزيدية علوية حسنية وحسينية ، وشيعة الفاطمية اسماعيلية حسينية فقط .

كما دخل اليمن في ظل هذه الحركات شبـه المستقلةوالمستقل بعضهـا في

صراع سياسي وبالدرجة الأولى قبل صراعها العقائدي .

وأدى ذلك الصراع الى الحروب المستمرة فيها بينها جميعهـا ، كان اليمن هو مسرحها ، وكان اليمنيون (عامة اليمنيين) هم وقودها .

وحتى الفئة الواحدة من تلك الفئات المتصارعة في الفترة المذكورة فإنه قام صراع داخلها ، ادى الى اضطراب حكمها ، وذلك كآل يعفر الذين صاروا يقتل بعضهم بعضاً ، والزيدية الذين انبـرى كل إمـام يدعـو لنفسه ويحـارب الإمام أو الأئمة القائمين ، ودعـاة الفاطميـة الأولى حيث حارب ابن الفضـل زميله في الدعوة حسن بن حوشب ، وحاصره عاماً كاملاً ، حتى اجبره على ان يرهن عنده ولده لضمان اذعانه وعدم مناوأته أو مساندة خصومه كما مرّ بنا كل ذلك ايضاً بالتفصيل .

وقد خلف (آل زياد) مواليهم (آل نجاح) .

كما خلف دعاة الفاطمية الأولى دعاة الفاطمية الثانية ممثلةً بالصليحيين .

ومع هؤلاء وأولئك الأئمة الزيدية .

وظل الصراع العقائدي والسياسي بين هؤلاء الزعماء على أشده ، إلا أنّ مؤسس الدولة الفاطمية الثانية (علي بن محمد الصليحي) استطاع في عهده أنّ يوحد اليمن تقريباً في ظل راية حكمه ، واستطاع بسبب ذلك ان يوفـر الأمن والاستقرار في اليمن في آخر عهـده ، وبعد ان اخضـع لحكمه كـل الامارات والزعامات القائمـة في اليمن ، بما فيهـا امارة آل نجـاح ، كما أخضـع الأئمة الزيدية ايضاً .

ولّما قتل كما علمنا خلفه ولده المكـرم (احمد بن عـلي الصليحي) الذي انتهج نهج ابيه في الحفاظ على الـوحدة اليمنيـة باستثنـاء (آل نجاح) الـذين استطاع الأمير (جياش بن نجاح) ان يستعيـد حكم امارتهم في تهـامة ، وان يحافظ عليها هو وخلفه وحتى الى ما بعد انقضاء الدولة الصليحية ، وإن كان قد

دخل مع الصليحيين في حروب مستمرة سلفت الإشارة الى ذلك .

وانتهت دولة الصليحيين وإمارة آل نجاح ما تزال قائمة .

وشارك الملكةَ (اروى بنت أحمد الصليحي) الحكم (آل حاتم) و(آل زريع) حيث اقتطع آل حاتم صنعاء وأعمالها من جسم الدولة الصليحية ، وقام بنو زريع بالنيابة للصليحيين في عدن وأعمالها ، إلا انهم استقلوا عنها في آخر عهد الملكة اروى ، ولكنهم ظلوا على ولائهم للفاطميين ، بينما قطع آل حاتم صلتهم وانتهاءاتهم اليهم ، ولكنهم ظلوا متعاطفين مع آل زريع ابناء عمومتهم وتحالفوا معهم ضد الإمام (احمد بن سليمان) ولصالح (آل حاتم) ثم ضد عبد النبي بنْ علي بن مهدي الرعيني (ولصالح آل زريع) كما مرّ بنا .

وقد جاء آل مهدي اثناء تلك التيارات المختلفة في اتجاهاتها ونزعاتها بزعامة مؤسس امارتهم (علي بن مهدي الرعيني الحميري) بطموحاته الواسعة وخارجيته المتطرفة ، والذي ركز على القضاء على آل نجاح أولاً ، ولما تم له ذلك قام خلفه بعد موته بالشروع بتنفيذ مخططه التوسعي على حساب (آل زريع) وغيرهم من الامارات القائمة الأخرى ولكن تحالف (آل حاتم) و(آل زريع) ضدهم حد من توسعهم ، وأعادهم الى زبيد منطلقهم الأول ، حتى جاء (بنو أيوب) وقضوا على إمارة آل مهدي وغيرها من الامارات كما سنعلم .

وكان آل مهدي قد اشاعوا الرعب والخوف والقلق والاضطراب في المناطق التي بسطوا نفوذهم عليها وفي تهامة بالذات .

هذا مجمل الصراع العقائدي والسياسي في اليمن في عهد ما سمي بعهد الاستقلال للأسف الشديد ، وكان على اليمنيين ان يستغلوا ذلك الاستقلال عن العباسيين بوحدة الصف وجمع الكلمة ، وبناء اليمن وتوفير الرخاء والأمن فيه ، والزعماء وحدهم هم المسؤولون بالدرجة الأولى قبل الأفراد الأتباع عن تحقيق ذلك .

فهل يعي اليمنيون هـذه الحقيقة ، ويـدركون مصلحتهم ، ويـوحدون صفوفهم ويبنون ويعمرون ؟

وفي اليمن العـطاء الكبير والخـير الـوفـير لـو احسن ابنـاؤه استغـلالـه واستثماره ، ووفروا فيه الأمن والاستقرار ، ارجو ان يتم ذلك في ظل الثورة والجمهورية ، وقد توفر الأمن والاستقرار في عهد الرئيس الحالي القائد علي عبد الله صالح وسيطّرد ذلك بصورة دائمة وما ذلك على الله بعزيز .

الوضع الاجتماعي

ما زالت هذه الفترة تتميّز بوضعها القبـلي الذي كـان يتمتع بـه رؤساء العشائر وزعماء اليمن بنفوذ محلي له شأنه وأثره على الأحداث ، ولا سيما حينما لا يكون الحاكم قوياً الى الحد الذي يحد به من نفوذ الزعماء والرؤساء المحليين ، ويكون له هو وجده التأثير الفعال على سير الأحداث ، كما حدث بالنسبة للملك الكامل (ابي الحسن علي بن محمد الصليحي) الذي استطاع ان يوحد اليمن جميعه تقريباً في ظل راية واحدة ، وان يبسط نفوذه ولو أدبياً على الحجاز أيضاً ، ولقد كانت جمهرة القبائل هم في الريف ، وفيهم غالبية الفلاحين .

أمّا المدن فكان مجتمعها يتكوّن من فئات تلاشت فيها العصبية القبلية ، وتتكوّن فئاتها من الأدباء والعلماء وفقهاء الشرع الاسلامي والعلوم العربية ومن هؤلاء القضاة الشرعيون ، وسواء كان المثقفون في المدن هم اصلاً من المدن ، ام انتقلوا اليهـا من الريف ، ومن فئـات المدن فئـة التجار ، وفئـة المهنيين والصناع .

أمّا الزراعة في المدن فتحترفها اغلب الفئات كعمل ثانوي ، الى جانب الأعمال الأساسية الأخرى .

ولقد كان المجتمـع اليمني في الفترة المـذكورة اقـطاعياً ، بـل لقد كـان الحكام يقطعون رؤساء العشائر واصحاب النفوذ المحلي الكثير من مناطقهم ،

وكان الولاة في المناطق يقاسمون المقطعين حاصلاتها وابرز تلك الاقطاعات كانت في عهد الصليحيين ، وفي عهد آل حاتم ، وفي عهد كثير من ائمة الفترة المذكورة ، تألفاً لأصحاب النفوذ والزعماء .

أمّا العلاقة بين المالك والأجير فهي عادة في اليمن بشكل عام عادلة وغير جائرة ، ولعل الإسلام هو الذي وضع اسس تلك العلاقات الحسنة بين المالك والمستأجر ، وربما كانت كذلك قبل الإسلام بفضل النظام التعاوني الذي كان سائداً في عهود ما قبل الإسلام .

الوضع الاقتصادي

أمّا الوضع الاقتصادي في هذه الفترة (فترة الاستقلال عن العباسيين) ، فلم يتطوّر ، إن لم يكن قد تخلف عما كان عليه في القرنين الأولين من عصور الإسلام ، وذلك حينما كان اليمن موحداً في ظل الإسلام ، منتمياً الى مركز الخلافة الاسلامية في الحجاز ، أو في العراق أو الشام ، لأن الأمن والاستقرار هما أهم عوامل الرخاء والازدهار ، وان لم تمثل الخلافة الأموية وكذلك الخلافة العباسية الخلافة الاسلامية في عهدها الأول في صدر الإسلام بمضمونها الحقيقي .

وقد اضطربت الأوضاع في اليمن في ظل الخلافتين الأموية والعباسية منذ بدأت الحركات الإستقلالية فيه،وساء الوضع الاقتصادي بالتالي ، وكان ذلك امراً طبيعياً .

كما ساء أيضاً بعد استقلال اليمن عن العباسيين ، وذلك بسبب الصراعات العقائدية والسياسية بين زعماء حركات الإستقلال بعد نجاح تلك الحركات كما سلف عند الكلام عن الوضع السياسي من هذا العرض العام .

وهذا باستثناء فترات قليلة تمّ لقادة الحكم فيها توفير الأمن والاستقرار بعد توطيد حكمهم فيها ، وتمّ بالتالي توفير الرخاء والازدهار ، ومنها الفترة

الأخيرة من حكم الملك ابي الحسن علي بن محمد الصليحي ، وبعد ان نجح في توطيد حكم موحد تقريباً في عموم اليمن تحت ظل رايته ، لأنه كما عرفنا ألغى كل الإمارات والزعامات التي كانت قائمة ، واسكن كل الملوك والامراء في العاصمة صنعاء ، ولكن اغتياله من قبل سعيد الأحول بن نجاح انهى ذلك العهد ،وحال دون ان يوطد اسس وحدة يمنية متينة ، يمكن لها ان تعمّر امداً طويلاً .

الحركة العمرانية

ومن الطبيعي وكنتيجة حتمية لتخلف الحياة الاقتصادية بسبب تجزؤ اليمن وتناحر اماراته ان يتخلف العمران في اليمن بل ويتهدم العمران القائم بالحروب ، كما شاهدت صنعاء وزبيد وصعدة وغيرها من كبريات المدن التي كانت مسرحاً للنزاعات ، وساحات للحروب .

بل واقفر الريف وخربت المزارع في كثير من الأحوال بسبب ذلك .

ولقد هيأ ذلك التجزؤ والتمزق في اليمن لبني ايوب سرعة انتصارهم على اليمنيين ، وساعدهم على القضاء على اماراته وزعاماته المتناحرة المتنافرة الواحدة تلو الأخرى ، وبسط نفوذهم في اليمن كما سنعرف في الفصل الخاص بتأريخهم .

حكم بني ايوب في اليمن
(٥٦٩ ـ ٦٢٨ هـ)
(١١٦١ ـ ١٢٣١ م)

وصل (توران شاه بن ايوب) الى اليمن على رأس قوة كبيرة من الاكراد[١] والغز في عام (٥٦٩ هـ) . مجهزاً من اخيه (صلاح الدين بن أيوب) سلطان مصر .

وأقام توران شاه في اليمن عاماً كاملاً ، وطد أثناءه قواعد الحكم في اليمن لبني ايوب .

أما (بنو أيوب) فهم من اكراد اذربيجان)[٢]، إلا انّ السلطان صلاح الدين قد ولد في تكريت من بلاد العراق ، حيث كان أبوه (نجم الدين ايوب) ابن شادي يعمل مع اخيه (اسد الدين شيركوه) لأمير الموصل للعباسيين (نور الدين محمود زنكي) الذي انتقل بعد ذلك الى الشام اميراً عليه للعباسيين أيضاً في عهد الخليفة العباسي (المستضيء بالله) .

ولمّا نشأ صلاح الدين أرسله محمود زنكي كأمير من امراء جيش عمه (اسد الدين شيركوه) المذكور الى الديار المصرية ، لمحاربة الصليبيين الذين غزوا (دمياط) من أرض مصر في عهد آخر الخلفاء الفاطميين (العاضد عبد

(١) الأكراد قوم الأيوبيين غير عرب ، وهم متفرقون في الشام والعراق وايران وآسيا الوسطى ، ومن أكراد العراق بنو أيوب أصلهم من أذربيجان ، أمّا الغز فأرجح اراء المؤرخين انهم من الأتراك ، ومنهم السلاجقة وغيرهم .

(٢) أذربيجان أقليم من اقاليم بلاد فارس (ايران) ، ويقع اقليم أذربيجان غرب بحر الخزر ، عاصمته (تبريز) .

الله) .

ولم يعارض الإمام الفاطمي المذكور وصول جيش الامير (نور الدين محمود زنكي) الى مصر ، وذلك للهدف النبيل الذي جاء من اجل تحقيقه وهو حرب الافرنج وطردهم من مصر .

ثم عاد شيركوه وأخوه وابن اخيه الى الشام .

ولما تكرر غزو الأفرنج للبلاد المصرية بعث (نور الدين محمود زنكي) جيشه مرة أخرى ، وعلى رأسه (اسد الدين شيركوه) نفسه ومعه من الأمراء (صلاح الدين) أيضاً .

ثم بقيت قوة من الجيش في مصر بقيادة (صلاح الدين الأيوبي) للغاية نفسها ، وعاد (اسد الدين شيركوه) الى الشام ، وكان صلاح الدين على صلة حسنة بالإمام الفاطمي المذكور ، بل وتقلد[3] له الوزارة في مصر عام (٥٦٤ هـ) .

ولّما[4]توفي الخليفة العاضد الفاطمي في عام (٥٦٧ هـ) ، اشهر صلاح الدين استقلاله بحكم مصر مع ولائه للعباسيين ، معتنقاً لمذهب أهل السنة الذي كان يعتنقه العباسيون ، والذي يخالف المذهب الشيعي الذي كان يعتنقه الفاطميون ، وأقام (صلاح الدين الأيوبي) حكم بني أيوب في مصر على انقاض الفاطميين ، وحارب بقية شيعتهم ومذهبهم الشيعي في مصر والسودان والمغرب والحجاز وفي اليمن ايضاً بعد ان جهز اليه اخاه توران شاه بن ايوب ، ومحاربة الشيعة الفاطميين هي إحدى دوافع غزو الأيوبيين لليمن .

الى جانب احكام سيطرتهم على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر عند باب المندب .

وكان الأيوبيون بزعامة (صلاح الدين بن ايوب) قد احكموا سيطرتهم

---

(٣) الدكتور محمد عبد العال أحمد في كتابه (الأيوبيون في اليمن) ص ٧٧ .

(٤) نفس المصدر ص ٦ .

على جميع منافذ البحر الأحمر الغربية بعد غزوهم للسودان ، وعلى منافذه الشمالية بعد استيلائهم على الحكم في مصر ، حتى لا يدعوا للصليبيين الإفرنج منفذاً في البحر الأحمر الى أي من هذه الأقطار الاسلامية .

وكان امير الشام (نور الدين محمود زنكي) قد احكم سيطرته على منافذ البحر الأبيض المتوسط الى الشام .

ولم يمض عا م (٥٨٢ هـ) حتى كانت دولة صلاح الدين بن أيوب تكّون جبهة قوية متماسكة تمتد من (برقة) في ليبيا غرباً ، الى الفرات في العراق شرقاً ، ومن الموصل وحلب في العراق شمالاً الى بلاد النوبة في السودان ، والى اليمن جنوباً ، وانضم الكثيرون من ابناء تلك الأقاليم الى جيش صلاح الدين ، حتى تمكن من استعادة بيت المقدس من أيدي الصليبيين ، وأن يحرز على الصليبيين انتصارات عظيمة خلدها له التأريخ .

أمّا كيف تمكن (صلاح الدين الأيوبي) من تكوين هذه الجبهة العربية الإسلامية الواسعة في دولة واحدة منطوية تحت لوائه ، فإنه أقام دولته في مصر اثر وفاة آخر الخلفاء الفاطميين (المعتضد بالله) في عام (٥٦٧ هـ) والذي عاش بقية حياته لا حول له ولا طول الى جانب نفوذ صلاح الدين ، حتى لقد خطب صلاح الدين للعباسيين آخر جمعة من عهد الخليفة الفاطمي المذكور في مصر وهو طريح الفراش في مرض موته ، ولكنه لم يعلم بذلك .

وبموته انتهت دولة الفاطميين في مصر ، وقامت على انقاضها دولة بني أيوب مع الولاء للعباسيين ، ولأمير الشام (نور الدين محمود زنكي) .

وفي عا م (٥٦٨ هـ) جهز[٥] صلاح الدين اخاه (توران شاه بن ايوب) الى بلاد النوبة شمال بلاد السودان جنوب مصر ، وذلك لتوطيد دولته فيها ، ولإحكام قبضته على موانئها في البحر الأحمر ، بعد سيطرته على موانىء

---

(٥) الدكتور محمد عبد العال أحمد في (الأيوبيون في اليمن) ص ٦٩ .

مصر في البحر الأحمر أيضاً ، ثم عزز غزوه لبلاد النوبة بغزوه لليمن بأن جهز له اخاه (توران شاه) ايضاً في عام (٥٦٩ هـ) وذلك لإحكام سيطرته على موانئه وعلى المدخل الجنوبي للبحر الأحمر عند باب المندب من اليمن ، ولتوطيد حكمه في اليمن ، وذلك بعد ان استأذن اميره في الشام (نور الدين محمود زنكي) المذكور[٦] .

وكان مع ذلك قد جهز (قرقوش) احد كبار رجال دولته في حملة الى المغرب ، وذلك في عام (٥٦٨ هـ) فاستولى على (برقة) و(قفصة) و(قسطيلية)وغيرهامن بلاد ليبيا .

وقام هو نفسه بالاستيلاء على الشام عقب وفاة واليه (نور الدين محمود زنكي) وذلك في شهر شوال من عام (٥٦٩ هـ) .

وحال بذلك دون تنازع رجال دولته بعد وفاته على السلطة في الشام ، واستطاع بذلك ان يوحد الأمة العربية الإسلامية وتأمين حدودها ، وتشديد قبضة دولته على منافذ البحر الأحمر اليها وبعض منافذ البحر الأبيض الى الشام ، استعداداً لحرب الإفرنج الصليبيين .

ولقد ساعد الأيوبيين على بسط نفوذهم في اليمن تجزؤه عند غزو الأيوبيين له الى عدة دويلات وامارات متناحرة متنافرة ، اشار الى ذلك (يحيى ابن الحسين بن القاسم بن محمد) في كتابه (انباء الزمن) (مخطوط) وذلك عند ذكره للفترة التي هيأت لظهور الأيوبيين وانتصارهم في اليمن ، فذكر انّ عدن وابين وبلاد تعز لآل زريع ، وبلاد ذمار ومخاليفها لسلاطين جنب ، وصنعاء واعمالها حتى بلاد الظاهر وحدود بلاد الأهنوم في حاشد للسلطان علي بن حاتم ، وبلاد الجوف للسلاطين آل الدعام بن ابراهيم الأرحبي ، وصعدة وأعمالها للأشراف آل الهادي يحيى بن الحسين ، وشهارها وبلادها لأولاد الإمام القاسم بن علي العيا ني ، والجريب وما اليها من بلاد الشرف من أعمال حجة

---

(٦) نفس المصدر ص ٨١ .

لأولاد عمر بن شرحبيل الحجوري ، والمخلاف السليماني في بلاد عسير شمال تهامة للأشراف آل وهاس ، وانه ازال جميع هذه الأمارات بنو أيوب .

هذا الى جانب مساندة الكثير من اليمنيين بما فيهم اشراف المخلاف السليماني (آل وهاس) وقبائلهم لبني ايوب ضد (عبد النبي بن علي بن مهدي) ، انتقاماً من آل مهدي لقيام عبد النبي بن علي بن مهدي المذكور بغزو المخلاف السليماني وقتل اميره الشريف وهاس بن غانم بن يحيى ابن حمزة بن وهاس السليماني) كما سبقت الإشارة الى ذلك في بداية هذا الفصل ، وكما سيأتي أيضاً .

وكان[7] عبد النبي قد غزا المخلاف المذكور وقتل اميره والكثير من ابناء المخلاف في حرب سجلت الانتصار لآل مهدي ، وانشأ عبد النبي في تلك المناسبة قصيدته الشهيرة والتي مطلعها :

لمن طلول بالحمى	كان كسيراً معلما
يلقى بها المصلما	والأحقب المكرما
لوت بوهاس ضحى	فابتدرته مرحما
فظلّ من تحت الرحا	مضرجاً مرغما

وكانت الحرب التي شنها الحلفاء (آل زريع) و(آل حاتم) و(سلاطين جنب) ضد آل مهدي قد اضعفت آل مهدي ، وربما اضعفت ايضاً القوى الثلاث التي تحالفت ضدهم ، وسهلت للأيوبيين مهمة القضاء على اماراتهم الواحدة تلو الأخرى .

حركة توران شاه العسكرية في اليمن

غادر[8] توران شاه مصر في مستهل شهر رجب من عام (٥٦٩ هـ)

---

(٧) الخزرجي في (العسجد المسبوك) منشور وزارة الاعلام والثقافة ص ١٣٧ .

(٨) الدكتور محمد عبد العال أحمد في (الأيوبيون في اليمن) ص ٨٢ .

ووصل مكة معتمراً ، ثم غادرها إلى اليمن ، ولمّا وصل الى المخلاف السليماني في بلاد عسير دخل مدينة حرض إحدى مدن المخلاف يومئذٍ ، وخرج اشراف المخلاف (آل وهاس) لاستقباله .

وعزز الشريف قاسم بن غانم آل وهاس طلب آل وهاس قيام السلطان توران شاه بغزو آل مهدي والقضاء عليهم ، لأن عبد النبي بن علي بن مهدي غزا المخلاف وقتل اميره الشريف وهاس بن غانم كما علمنا .

واستجاب توران شاه لطلبهم ، لأن (آل مهدي) يمثلون احدى القوى الداخلية التي ييسر له اخضاعها فتح اليمن .

وتقدم توران شاه من مدينة حرض نحو زبيد عاصمة إمارة آل مهدي في سلخ شهر رمضان من نفس العام ، بصحبة الشريف قاسم بن غانم وقوتيهما ، ووصل الغازون بلاد زبيد في السابع من شهر شوال من نفس العام .

ولمّا علم عبد النبي بن علي بن مهدي بوصول الحملة الأيوبية تساندها قوة اشراف المخلاف السليماني خرج من زبيد على رأس جموعه لمباغتتها ، ودار قتال بينها ، و أخذ ابن مهدي يحمس قواته ويحثهم على صدق القتال ، قائلاً لهم : « كأنكم بهؤلاء وقد حمي عليهم الحر فهلكوا ، وما هم إلا أكلة رأس » .

ومع ذلك فلم تستطع قوات ابن مهدي الصمود امام قوات توران شاه وآل وهاس وانهزمت امامها ، وانسحب ابن مهدي الى زبيد ، وأغلق ابوابها فتعقبتها قوات الأيوبيين وتسلقوا السور الذي لم يجدوا عليه من يحرسه ودخلوا زبيد وفتحوا ابوابها وذلك في التاسع من شهر شوال من العام المذكور ، وأباح توران شاه مدينة زبيد وقبض على عبد النبي بن علي بن مهدي وعلى إخوته .

وسلم[٩] (عبد النبي بن علي بن مهدي) الى الأمير سيف الدين مبارك ابن كامل بن منقذ احد امراء جيشه ، وأمره بأن يستخرج منه الأموال ،

---

(٩) ابن عبد المجيد اليماني في (بهجة الزمن في تاريخ اليمن) ص ٧٥ .

فاستخرج منه شيئاً كثيراً ، وأظهر دفائن كانت له ، ثم أمر بشنقه كما في احدى روايات المؤرخين ، وبذلك قضى توران شاه الأيوبي على امارة ال مهدي .

أمّا الشريف قاسم بن غانم بن وهاس فقد أقره توران شاه على حكم المخلاف السليماني ، وأشرك معه ابن اخيه (منصور) . مكافأة لهما على تعاونهما معه ، حيث قسم حكم المخلاف بينهما ، القسم الشمالي لقاسم بن غانم ، والقسم الجنوبي لمنصور .

وغادر الأشراف آل وهاس وقوتهم مدينة زبيد في الثالث عشر من شهر شوال سنة (٥٦٩ هـ) عائدين الى بلادهم ، في حين واصل (توران شاه الأيوبي) تقدمه نحو مخلاف الجند وبلاد تعز من اعمال امارة (آل زريع) ، وبسط نفوذه على مدينة الجند وعلى مدينة تعز وأعمالهما ، ولم يتمكن من الاستيلاء على حصن صبر (العروس) ولا على حصن (ذخر) في جبل حبشي من اعمال تعز ، وأرجأ امرهما وقصد[١٠] عدن ، فخرج نائبها لآل زريع (ياسر بن بلال بن جرير المحمدي) على رأس قواته للتصدي له ، ولكنه انهزم ، وسبق عسكر توران شاه الى عدن ودخلوها قبل عودة المحمدي اليها ، وأسر المحمدي في ٢٠ القعدة من نفس العام أيضاً في تعز كما سيأتي ، ولمّا أراد[١١] عسكر توران شاه نهب مدينة عدن كما فعلوا في زبيد نهاهم توران شاه وقال لهم : « ما جئنا لنخرب البلاد وإنما جئنا لنملكها ونعمرها » .

وأقام[١٢] توران شاه في عدن الى منتصف شهر ذي الحجة من نفس العام يقر أوضاعها ويقرر قواعدها .

ثم[١٣]غادرها الى (مخلاف جعفر) من لواء اب حالياً ، فاستولى فيه على حصن التعكر في ٢٣ من شهر ذي الحجة من نفس العام . ولمّا تم لتوران شاه الأيوبي بسط نفوذه على امارتي (آل مهدي) و (آل زريع) باستثناء عدد من الحصون والمعاقل التي امتنعت عليه في بلاد تعز وبلاد اب وفي المعافر

---

(١٠) و(١١) الدكتور محمد عبد العامل أحمد في المصدر المذكور ص ٨٦ .

(١٢) و(١٣) ابن عبد المجيد اليماني في المصدر المذكور ص ٧٦ .

(الحجرية) تحرك نحو صنعاء ولمّا[١٤] كان في بلاد ذمار اعترضت طريقه قبيلة جنب ، أو انه قصدها لإخضاعها والاستيلاء على حصونها لتأمين ظهر قواته ، فقصد[١٥] في اليوم الأول من وصوله بلاد ذمار حصن (ذروان) الذي يمتلكه الشيخ (عبد الله بن يحيى الجنبي) ، وقام قتال بينهما يوماً واحداً ، عقد صلح بين الجانبين في اليوم الثاني على تسليم الحصن الى توران شاه مقابل شروط اشترطها عبد الله بن يحيى الجنبي .

أمّا الشيخ محمد بن زيد الجنبي فانه امتنع عن تسليم حصن (المصنعة) الى توران شاه ، وقامت حرب بينهما استولى بها توران شاه على الحصن المذكور عنوة ، ودخل توران شاه ذمار واقام فيها أياماً ثم غادرها نحو صنعاء ، فاعترضته قبيلة جنب مرة أخرى وحاربته بعد ان انضم اليها كثير من اليمنيين ، ودارت بين الجانبين معركة تعدّ من أشرس المعارك التي واجهها توران شاه منذ قدومه الى اليمن ، وقد قتل من عسكر الأيوبيين خمسة وستون رجلاً وكانت في اليوم التاسع من المحرم من العام المذكور (٥٧٠ هـ) .

وقد اخذ توران شاه يحمس رجاله ويحثهم على الصمود ويقول لهم : « اين أنتم من مصر ، قاتلوا على انفسكم وإلا أكلتكم العرب » فصدق عسكر الأيوبيين العزم حتى تمكنوا من صد اليمنيين ومواصلة سيرهم نحو صنعاء .

ولمّا علم السلطان (علي بن حاتم) بتقدم توران شاه الأيوبي نحو صنعاء نقل ذخائره وامتعته وانتقل بأهله الى حصن (براش في الضاحية الجنوبية الشرقية لصنعاء)، بعد ان بدأ بهدم سور صنعاء وأمر بمواصلة هدمه وردم خنادقه ليسهل له الرجوع اليها حينما تسمح له الفرصة بذلك .

في حين واصل توران شاه تقدمه نحوها ، ولمّا دنا منها عسكر خارجها في الجهة الجنوبية الشرقية ثلاثة أيام ، ثم قدم اليه كبار رجال صنعاء وأذنوا له بدخولها ، فهو بهذا لم يدخل صنعاء عنوة ولا بالتسليم من السلطان علي بن

---

(١٤) الدكتور محمد عبد العال في المصدر المذكور ص ٨٩ .

(١٥) الدكتور محمد عبد العال في (الأيوبيون في اليمن) ص ٨٩ .

حاتم الذي قد تجنب الإستسلام لتوران شاه ، وجنب مع ذلك صنعاء السلب والنهب لو دخلها الأيوبيون عنوة كما فعلوا في زبيد ، وترك مع ذلك لأهل صنعاء مجال الاختيار وحرية التصرف . .

وكما انتقل السلطان علي بن حاتم إلى (حصن براش) انتقل أخوه[١٦] (بشر بن حاتم) الى حصن (عزان) . . وأقام توران شاه في صنعاء أسبوعاً واحداً غادرها بعده عائداً الى زبيد ، وقد هاجمت قبائل سنحان وبلاد البستان ، وغيرها مؤخرة جيشه وهو في نقيل السود بين سنحان وبني شهاب في طريقه الى زبيد فلم يلتفت توران شاه اليها ، وواصل سيره ، كما هاجم أهل برع جيشه في حدود بلادهم ونهبوا عدداً من أثقاله بما عليها من أموال ونقد وذهب وسلاح وغيرها مما أستصحبه من مصر وما أخذه من زبيد وعدن وغيرهما كما ذكر المؤرخون .

وأقام توران شاه في زبيد الى شهر جمادي الأولى من نفس العام (٥٧٠ هـ) .

ثم[١٧] غادرها الى الجند ، واليه وصل . والي جبل صبر لآل مهدي وسلم اليه حصن العروس في صبر .

كما تساقطت بيده سائر الحصون التي كانت قد امتنعت عليه ، باستثناء قلعة (الدملوة) ، في بلاد الصلو من اعمال الحجرية التي امتنع فيها (جوهر المعظمي) مربي أولاد الداعي المرحوم (عمران بن محمد بن سبأ آل زريع) ، ولم يتسلمها إلا الطغتكين بن أيوب) بشروط وفى بها الجوهر المعظمي كما سنعلم .

وقد غادر توران شاه الجند الى مدينة ذي جبلة ، وفيها بلغه حدوث خلاف في تهامة ، حمله على اصدار[١٨] أمره بقتل عبد النبي بن علي بن مهدي واخويه (احمد) و(يحيى) ، وهذه الرواية التي ذكرها الخزرجي من تأجيل قتل

---

(١٦) الخزرجي في (العسجد المسبوك) آنف الذكر ص ١٥١

(١٧) نفس المصدر والصفحة .

(١٨) الخزرجي في (العسجد المسبوك) آنف الذكر ص ١٥٢ .

توران شاه لأولاد علي بن مهدى الى هذا التأريخ هي الأرجح ، بدليل[19] ما اكده (بامخرمة) في تأريخه وابن الأثير في تأريخه أيضاً ، من انه جيء بعبد النبي ابن علي بن مهدي اسيراً الى عدن عند فتح توران شاه لها ، وجمع الأسر بينه وبين (ياسر بن بلال بن جرير المحمدي) نائب آل زريع فيها ، وكان عبد النبي قد حاول الاستيلاءعليها ، وأنّ ياسراً جعل يسارق عبد النبي النظر متشفياً ، فقال له عبد النبي : « يا عبد السوء ما تنظر اسد مقيد بقيد من حديد ومسلسل بسلاسل من حديد » وانه قال ايضاً : « سبحان الله كنت قد علمت اني ادخل الى عدن في موكب عظيم ، فأنا أنتظر ذلك وأسرّ به ، ولم اكن اعلم اني ادخلها على هذه الحال » أي أنّ توران شاه استصحبه معه من زبيد الى عدن للمزيد من التحفظ عليه ولم يقتله عقب استيلائه على زبيد كما ذكرت الرواية الأخرى .

وقد وصل توران شاه مدينة زبيد بعد جولته التوسعية ، وذلك في الثالث عشر من شهر شعبان من نفس العام .

اختطاط توران شاه لمدينة تعز

ومن زبيد ارسل توران شاه أطباءه يرتادون له مكاناً مناسباً يختط فيه مدينة تكون مقراً رئيسياً له ، فوقع اختيارهم على قرية (ذي عدينة) فاختطّ فيها مدينة تعز المعروفة الآن ، وكان ذلك في عام (٥٧٠ هـ) .

عودة توران شاه الى الشام

وفي عام (٥٧١ هـ)[20] غادر توران شاه اليمن إلى الشام حيث كان أخوه صلاح الدين بن أيوب قد استولى عليه بعد وفاة واليه للعباسيين (نور الدين محمود زنكي) وانتقل اليه .

هذا ويجدر بنا قبل أن نختتم العهد القصير لتوران شاه بن أيوب في اليمن ان نستطرد بعض ما انشأه بعض الشعراء في مدحه ، وما دار بينه وبين اخيه

(١٩) الدكتور محمد عبد العال أحمد في (الأيوبيون في اليمن) ص ٨٥ . حاشية رقم (٤) .

(٢٠) ابن عبد المجيد اليماني في (بهجة الزمن في تأريخ اليمن) ص ٧٧ .

صلاح الدين من شعر استعطف فيه توران شاه اخاه صلاح الدين الأذن له بالعودة اليه ، وحاول صلاح الدين في رده ان يرغبه بالبقاء في اليمن ثم أذن له بالقفول اليه .

فمن[٢١] ذلك ما انشأه شاعر آل زريع وكاتب ديوان الإنشاء في عدن (أبو بكر بن احمد العندي) يمدح به توران شاه عند دخوله عدن فاتحاً ، ومطلع قصيدته :

اعساكراً أسريتها وجنوداً ... ام انجماً اطلعتها وسعودا
أم تلك ماضية العزائم أرهفت ... بالرأي منك وجردت تجريدا
أم تلك اقدار الإله ونصره ... رفعت عليك لواءها المعقودا
فسموت تطوي البيد منشقاً بها ... حتى لكادت أن تسد البيدا
ونهضت لا الصعب المرام رأيته ... صعباً ولا المرمى البعيد بعيدا

ومنها :

بسيوف بأس لا تفلّ مضارباً ... وجياد ركض ما تخف لبودا
جرّدتها من ارض مصر ما ارتضت ... إلا ربى يمن لهن عمودا
حتى صدمت بها زبيدا صدمة ... كادت تزيل من الوجود زبيدا
لاقتك باستعدادها وعبيدها ... فرأتك أقوى عدة وعديدا
وفتحتها باللحظ حين لمحتها ... قبل ارتدادك لحظها المردودا

ومنها أيضاً :

وسمت الى عدن عزائمك التي ... صدقت وعوداً في الورى ووعيدا
فضربت ماشية الخيام فما انتهى ... عنها الجميع مطنباً معمودا

ومنها أيضاً :

ومددت فيها أمن ظل لم يزل ... بك في البرية صافياً ممدودا

---

(٢١) الخزرجي في المصدر المذكور من ص ١٤٨ .

وأعـدت ريعـان الشبـاب لعُمـرهـا   فـالنـاس شـاب له الـزمـان وليـدا

ومنها :

فـاستفتـح الـدنيـا بسيفـك انـه   حُكْم القضـاء مسدداً تسـديـدا
فلقـد تـطاولت البـلاد ومُهـدت   لـلعـز منـك دسـوتهـا تمـهيـدا
وتنـاسقت فيـك البقـاع مشـارقـاً   ومـغـاربـاً وتهـائـماً ونـجـودا

أمّا المراسلات[٢٢] الشعرية بين توران شاه واخيه صلاح الدين فقد بدأها توران شاه بقصيدة بعث بها اليه الى الشام يستأذنه العودة اليه ومطلعها :

لـولا محـلك في قلبـي وافـكـاري   ما رنّح الشـوق اعضائي وتـذكاري
ولا التفـتّ الى مصـر وسـاكنهـا   وقـد تعـوضت عن مصر بـأمصـار
ولا حثثت الى ارض الشـام راحلتي   وان تـكن تـلك أوطـاني وأوطاري

ومنها :

مـا الـدار إلا دمشق والمنى حلب   والشوق مصر وفي الـزوراء مداري
تـلك المنـازل لا الحـج ولا عـدن   ولا زبيـد ولا اكثـار مـعشـاري
هـذا عـلى انّ قـدر الملك في يمن   عـالٍ ولكنـه مـن دون مقـداري
ومنها :

فكيف لي بـاجتمـاع منـك صـافيـة   فيـه المـوارد مـن سـوء واكـدار
هـذا اقتراحي فهـل لي ان افوز بـه   محـكـماً فيـه ايـرادي واصـداري

وذكر المصدر انّ صلاح الدين رد عليـه برسـالة يـرغبه فيهـا بالبقـاء في

---

(٢٢) الخزرجي في (العسجد المسبوك) آنف الذكر ص ١٥٢ .

اليمن ، ويعدد له محاسن اليمن ، وانه بلد مبارك كثير الخيرات وأنّ مملكته واسعة .

وأنّ توران شاه لمّا قرأ رد اخيه استدعى استاذ داره ، ولمّا حضر اليه أمره بأن يُحضِر الية الف دينار ، ولمّا احضرها أمره بأن يبعث من يشتري له منه كذا وكذا ، وجعل يعدد عليه اشياء لا وجود لها في اليمن كالثلج وغيره ، ثم قال لرسول اخيه : « وماذا اصنع بهذه الأموال ان لم انتفع بها فيما اريد ؟ » وانشده بيتين ارتجلهما له واليه على زبيدٍ سيف الدولة مبارك بن منقذ وهما :

واذا اراد الله اشقاء أمرىءٍ	واراد ان يحييه غير سعيد
اشقاه بالترحال من مصر بلا	سبب وأسكنه بأرض أُريد

وانه بعث لأخيه برسالة اخرى صحبة رجل من اعيان اليمن ضمنها الأبيات التالية :

الشوق أولع في القلوب وأوجع	فعلام أدفع منه ما لا يُدفَع
لا يستقرّ بي النوى في موضع	إلا تقاضاني الترحل موضع
وحملت من وجد الأحبة والنوى	ما ليس يحمله الأحبة أجمع
والى صلاح الدين اشكو انني	مضنى كئيب مستهام موجع
جزعاً لفقد الدار منه ولم اكن	لولا هواه لبعد دار أجزع
فلأركبنّ اليه متن عزائمي	وتخبّ في ركب الغرام وتوضِع
حتى أُشاهد منه اسنى طلعة	من افقها صبح السعادة تطلع

وانه قال لمبعوثه : « متى وجدت مجلس إنس من اخي فانشده هذه الأبيات ، وانه لمّا انشده الأبيات قال صلاح الدين : « القعود والقفول اليه ، ان أحبّ ان يقف فليقف ، وان احبّ ان يصل فليصل » .

ثم جهز صلاح الدين مبعوث اخيه جهازاً حسناً، وكتب معه رسالة ضمنها الأبيات التالية :

مـولاي شمس الدولـة الملك الـذي	شمس السعـادة منه اضحت تـطلع
مـا لي سـواك من الحـوادث ملجـأ	مـا لي سواك من النـوائب مفـزع
ولأنت شمس الدين فخري في الورى	ومـلاذ آمـالي وركـن امـنـع
النصـر ان اقـبلت نـحـو مقـبـل	واليمن ان اسـرعت نحوي مسـرع

وانه لمّا وصل الرسول الى توران شاه وقرأ عليه رسالة اخيه صلاح الدين عزم على السفر الى الشام حيث كان صلاح الدين يقيم .

نواب توران شاه الأيوبي في اليمن

وقبل ان يغادر (توران شاه بن ايوب) اليمن عـائداً الى اخيـه صلاح الـدين بن أيوب في الشـام أناب عنـه[٢٣] في اليمن عدداً من النـواب وهـم : (سيف الدين مبارك بن الكامل بن منقذ) الكناني على زبيد واعمالها ، و(عز الدين بن عثمان الزنجبيلي على عدن وأعمالها) ، وكـان هذا اقـوى النواب ، وقد استطاع ان يمد نفوذه الى حضرموت ، وولى عليه من قبله بعد ان ابعد عنها حكامها (آل راشد) ، ولم يعدهم الى ولايتهم إلا (الطغتكين بن أيوب) بعد وصوله الى اليمن ، و(ياقوت التعزي) مملوك صلاح الدين على تعز وأعمالها ، و(مظفر الدين قايماز) على ذي جبلة واعمالها ، أمّا صنعاء فإنّ السلطان علي ابن حاتم عاد اليها بعد مغادرة توران شاه الأيوبي لليمن .

وصار نواب توران شاه يرفعون اليه فائض مـوارد ولاياتهم في اليمن الى مـوتـه في الاسكنـدريـة في عـام (٥٧٦ هـ) وكـان صـلاح الـدين قـد ولاه الاسكندرية وأبقى له الولاية على اليمن معها .

ولمّا توفي توران شاه تغلب نـوابه في اليمن عـلى ما هـو تحت نفوذهم ولم يرفعوا شيئاً من ايراداتها الى مصر ، وضرب كل نائب السكة باسمه ، وحرم على أهل ولايته التعامل بغيرها ، إلا مبارك بن الكامل بن منقذ الكناني نـائب

---

(٢٣) الدكتور محمد عبد العال احمد في (الأيوبيون في اليمن) ص ١٠٦ .

زبيد فإنه مرض بعد فترة من مغادرة توران شاه لليمن ، فعاد الى مصر بعد ان اناب عنه في زبيد واعمالها اخاه (الخطاب بن الكامل بن منقذ) .

حملة الأمير سيف الدين خطلبا إلى اليمن

ولما أدرك[٢٤] السلطان (صلاح الدين الأيوبي) استقلال نواب اليمن بعد وفاة اخيه توران شاه ، الى جانب تفككهم وضياع الوحدة اليمنية التي هي جزء من الوحدة العربية الاسلامية التي يعمل لتكوينها ارسل حملة عسكرية بقيادة الأمير سيف الدين خطلبا لإعادة نفوذ دولته عليها ، وكتب معه الى جميع النواب بالإذعان لأوامره ، وبمساندته في اخضاع (الخطاب بن مبارك بن منقذ) القائم بأعمال زبيد ، بعد ان قام صلاح الدين بمصادرة اخيه (مبارك بن الكامل بن منقذ) في مصر بعد وصوله اليها .

واستقر الأمير خطلبا في زبيد يدير اعمالها ويشرف على اعمال النواب .

ولكنه مرض بعد فترة ، وكان (الخطاب بن مبارك بن منقذ) الذي ارتفع الى حصن القوارير احد الحصون المطلة على بلاد زبيد بعد وصول (سيف الدين بن خطلبا) الى اليمن ،قد استطاع خلال فترة حكم خطلبا ان يستميله بمراسلاته اليه وتأكيد ولائه للدولة الأيوبية ، وبالهدايا التي كان يبعثها اليه .

ولّما أشرف خطلبا على الموت طلب اليه الخطاب بن مبارك بعد طمأنته ومكنه من مقاليد وشؤون أعمال زبيد ، وتوفي خطلبا بعد ذلك .

وقد حاول نائب عدن (عثمان الزنجبيلي) ان يقبض على الخطاب بن مبارك بعد موت خطلبا وان يستولي على زبيد ويضمها الى ولايته ، ولكنه لم يفلح في ذلك .

وبموت خطلبا عادت امور اليمن الى الاضطراب والتفكك ، وعاد نوابه الى محاربة بعضهم لبعض .

---

(٢٤) العسجد المسبوك ص (١٥٧) .

(الطغتكين بن أيوب)

الأمر[٢٥] الذي حمل السلطان صلاح الدين على ان يجهز الى اليمن اخاه (الطغتكين بن أيوب)على رأس قوة قوامها ألف فارس وخمسمائة راجل ، ووصل الطغتكين الى اليمن في عام (٥٧٩ هـ) .

وقد خرج (الخطاب بن منقذ) من زبيد الى مدينة الكدراء في تهامة الوسطى لاستقباله ، فأظهر الطغتكين رضاه عنه وطمأنه ووهبه حصن قوارير ، ولكن الخطاب أدرك انه لن يستقيم له امر مع الطغتكين ، فاستأذنه العودة الى الشام فأذن له مبيتاً الشّر له ، ذلك أنه ما ان جمع امواله ونفائسه من زبيد والحصن وشحنها ، ووصل الى الطغتكين لتوديعه حتى امر بالقبض عليه وتسليمه الى والي حصن تعز (ياقوت التعزي) لسجنه ثم امر بقتله فيه ومصادرة أمواله .

كما امر بادراك نائب عدن (عثمان الزنجبيلي) الذي كان قد شحن كذلك امواله ونفائسه وركب بها وبأهله البحر فاراً ، ولكنه أفلت بسفينته فقط ، وقبضت الحملة على بقية سفنه وصادرتها .

اما نائب حصن تعز (ياقوت التعزي) فإنّ الطغتكين أقره على عمله ، لأنه جاء اليه معلناً ولاءه .

وأما نائب التعكر واعماله (مظفر الدين قايماز) فإن الطغتكين ارسل من تسلم منه عمله وطلب وصوله اليه والحقه بخدمته .

وهكذا تمكن الطغتكين من استعادة نفوذ الدولة الأيوبية في اليمن ، والتخلص من نواب اخيه توران شاه ، بعد ان كان النواب قد جزؤوا اليمن الى دويلات متناحرة متنافرة ، وتفرغ الطغتكين بعد ذلك لبسط نفوذه على الحصون

---

(٢٥) ابن عبد المجيد اليماني في (بهجة الزمن) ص ٧٨ . والدكتور محمد عبد العال أحمد في (الأيوبيون في اليمن) ص ١٢١ .

والمناطق التي كانت قد خرجت على الدولة الأيوبية او التي لم تكن قد استولت عليها .

وقد امتنع عليه مع ذلك حصن حب من مخلاف جعفر ، فضرب عليه حصاراً عسكرياً شديداً وعزم لاداء نسك الحج ، وذلك عام ٥٨١ هـ ، وفي اثناء تغيبه طلب السلطان زياد بن حاتم بن علي بن سبأ آل زريع ، صاحب حصن حب المذكور تعاون السلطان علي بن حاتم حاكم صنعاء ، والسلطان عبد الله بن يحيى الجنبي صاحب ذمار وابن عمه عمران بن زيد بن عمرو الجنبي في فك الحصار عنه في حصن حب ، وقام السلاطين بارسال قوات لمحاصرة حصن (نعم) في بلاد الشعر ، بهدف تفريق القوة المحاصرة لحصن حب .

وقبل ان ينجحوا في مخططهم عاد الطغتكين من مكة وشدّد حصاره على حصن حب ، واستطاع مع ذلك أن يفك الحصار عن حصن نعم بالترغيب والترهيب ، وبالوعد والوعيد ، وفرق اموالاً كثيرةً للقبائل المحاصرة له لتحقيق ذلك .

واضطر السلطان زياد بن حاتم آل زريع الى طلب الأمان له ولمن معه من المحاصرين .

وأعطاهم الطغتكين ذلك وتسلم حصن حب .

ولكنه أمر بقتل من كانوا فيه جميعاً ،إلا من فر منهم ، أو ارتمى بين القتلى متظاهراً بالموت . وكان لذلك الحدث صدى سيىء في عموم اليمن . ولكنه مع ذلك دفع بالكثير من رؤساء القبائل والسلاطين الى الاستسلام للدولة الأيوبية ، باستثناء الشيخ عمران بن زيد الجنبي فإنه ظل على عدائه الصريح للأيوبيين ، وقد حاربه الطغتكين حتى اضطرة الى الفرار من وجه القوات الأيوبية ، وواصل الطغتكين تقدمه نحو ذمار ، ودخلها في عام (٥٨٣ هـ) ، وأصبح الطريق مفتوحاً امامه الى صنعاء .

هـذا وقد ذكـر المؤرخ (علي بن الحسن الخـزرجي) في تأريخـه[٢٦] أنّ الشيخ (عبد الله بن يحيى الجنبي) كان له دور كبير في افساد القبائل المحاصرة لحصن نعم لصالح الأيوبيين ، وذلك لمنافسـة كانت بينـه وبين عمـه (الشيخ عمران بن زيد الجنبي) ، وكانت معنويـات الأمراء والسـلاطين اليمنيـين قد انهارت امـام قوة الأيـوبيـين ، الى جـانب تفـرق كلمـة اليمنيـين واختـلافهم وتنافسهم فيما بينهم .

انعقاد الصلح بين الطغتكين والسلطان (علي بن حاتم)

وكان[٢٧] السلطان (علي بن حاتم) حين علم بعزم السلطان الطغتكين ابن أيوب على التقدم نحو صنعاء بعد استسلام سلاطين وزعماء المنطقة الوسطى في بلاد ذمار وفي بلاد اب له قد قام بهدم قصر غمدان في صنعاء وإكمال هدم سور صنعاء وردم خنادقه كما فعل في عهد توران شاه بن أيوب ، وارتفـع الى حصن بـراش ، وأمر أهـل صنعاء بـالابتعاد عنهـا للسـلامـة من معـرة جيش الأيوبيين ، وبعث في نفس الوقت ابن عمه القاضي الأجل حاتم بن اسعد الى الطغتكين الى بلاد ذمار لعقد صلح معه يرجع الطغتكين بموجبه عن صنعاء .

وفعـلاً تمّ الصلح بينهما عـلى ان يدفـع السلطان (علي بن حـاتم) الى الطغتكين في سنة واحدة ثمانين الف دينار حاتمية ومائة حصان ، مقابل رجوعه عن صنعاء .

وعاد الطغتكين من ذمار الى اليمن الأسفل بعد ان ولى على ذمار (مظفر الدين قايماز) مملوك اخيه توران شاه ونائب حصن التعكر واعماله في عهده .

وقد قام الشيخ (عمران بن زيد الجنبي) بغزو ذمـار والاستيلاء عليهـا بعد مغادرة الطغتكين لهـا ، وتمكنت حاميتهـا لهذا من التحصن والارسـال له وكان في مدينة ذي جبلة ، فتحرك على رأس قواته لفوره واصبح في ذمار ، قال

---

(٢٦) العسجد المسبوك آنف الذكر ص ١٦٠ .

(٢٧) الخزرجي في (العجسد) منشور وزارة الاعلام والثقافة ص (١٦٠ و١٦١) .

الخزرجي : « فقتل منهم مقتلة عظيمة واخذ منهم خيلاً كثيراً ، وأفلت الشيخ عمران بن زيد في باقي جنب ، ولولا ما فعله ابن نصير من الكر والفر ما افلت من جنب احد » . وذكر ان الطغتكين غزا موضعاً كان أهله قد آووا جنباً وقتل منهم نحواًمن ستمائة رجل ، ولم يسلم منهم إلا نفر يسير وعاد بعد ذلك الى اليمن الأسفل ، وقبل[٢٨] عودته من ذمار قام بتجديد الصلح مع آل حاتم حكام صنعاء .

وقام بتجهيز قوة من جيشه ومن العرب لمحاصرة حصن ذروان في بلاد ذمار وكان فيه الشيخ عبد الله بن يحيى الجنبي وحصن قيضان في بلاد وصاب وكان فيه الشيخ اسعد بن علي بن عبد الله الصليحي حتى استسلما له بشروط وفى لهما بها ، بعد ان دام حصار حصن قيضان ستة اشهر .

وكان خروج الشيخ اسعد الصليحي مع اهله وانتقاله بهم الى السلطان (علي بن حاتم) في صنعاء بعد ان رهن كل من الطغتكين ومن الشيخ اسعد لدى الوسيط السلطان (بشر بن حاتم) الذي قدم من صنعاء لتجديد الاتفاق بين اخيه والطغتكين ، وذلك الرهن لضمان وصول السلطان اسعد الصليحي وأهله الى صنعاء سالمين ، وضمان وصولهم الى صنعاء لا إلى اي جهة اخرى . ولم يجد الشيخ عبد الله الجنبي تعاونه مع الأيوبيين وافساد القبائل المتحالفة ضدهم اثناء محاصرتهم لحصن حب كما سبق .

آخر معقل يتسلمه الطغتكين في اليمن الأسفل

كان توران شاه بن أيوب قد حاصر قلعة (الدملوة) في بلاد الصلو من اعمال تعز دون ان يستسلم له (جوهر المعظمي) مربي أولاد السلطان (عمران ابن محمد بن سبأ آل زريع) الذي كان يعتصم معهم فيها ، وأرجا توران شاه امر الاستيلاء عليها ، وغادر اليمن عائداً الى اخيه صلاح الدين دون ان يتمكن من ذلك .

---

(٢٨) الخزرجي نفس الصفحة السابقة

ولّما وصل الطغتكين بن ايوب الى اليمن كان من أولى اهتماماته الاستيلاء عليها ، لأنها تمثل قلعة منيعة في منطقتها ستظل حائلاً دون استتباب نفوذ الدولة الأيوبية عليها ، فجهز لمحاصرتها قوة قادها بنفسه في عام[29] (٥٨٤ هـ) .

وأدرك (جوهر المعظمي) أنّ الطغتكين لن يترك القلعة تنفرد بامتناعها عليه ، وصادف وصول السلطان بشر بن حا تم الذي جاء ايضاً لتجديد الصلح بين اخيه علي بن حاتم والطغتكين ، فتوسط بين هذا وبين المعظمي على تسليم القلعة مقابل عشرة آلاف دينار ، واشترط (جوهر المعظمي) لتسليمه ان لا ينزل هو منها ولا يطلع اليه أحد من قبل الطغتكين حتى يكون أولاد الداعي عمران ابن محمد بن سبأ وحريمه قد غادروا اليمن وركبوا البحر الى اي مكان يريدون ، وقبل الطغتكين شروط جوهر المعظمي ، لأنه كان يعلم صعوبة الاستيلاء على القلعة بالسيف ، ولّما تسلم[30] جوهر المعظمي المال جهز اولاد سيده من البنين والبنات الى المخاء ، وتجهز هو معهم بزي امرأة ، ثم ركبوا الى الحبشة في سفن كانوا قد أعدوها ، وترك عند كاتبه اوراقاً كتب عليها علامته ، وكان كاتبه يكتب الى الطغتكين فلا يظن هذا إلا انها من جوهر المعظمي .

ولّما صار جوهر ومن معه وما معه من اموال وأثاث ونفائس في البحر كتب الى الطغتكين كتاباً في طيه كتاب لنائبه في القلعه يأمره فيه بتسليمها الى الطغتكين ، ولما وصلت هذه الرسالة اليه عجب من كمال جوهر المعظمي ، بعد ان عرف من الرسول انه أول من نزل من القلعة .

ولّما وصل كتاب الطواشي جوهر المعظمي الى نائبه في القلعة امتنع بدوره ، فشدد الطغتكين الحصار عليه ، وصادف قدوم السلطان بشر بن حاتم الى الطغتكين مرة ثالثة لتجديد عقد الصلح معه ، فكلفه بالتوسط بينه وبين نائب جوهر المعظمي ، ونجحت الوساطة وخرج النائب من القلعة مقابل عشرة آلاف دينار ذهباً ، تسلمها على يد السلطان بشر ، وخرج هو وأولاده وحريمه في

---

(٢٩) الدكتور محمد عبد العال أحمد في (الأيوبيون في اليمن) ص ١٣٠ .

(٣٠) و(٣١) العسجد المسبوك من ص ١٦٦ .

وجه السلطان بشر ، حيث جهزهم مع بعض رفاقه الى اخيه السلطان (علي بن حاتم) وتسلم الطغتكين القلعة وصعد اليها وانتهى امر امتناعها .

استيلاء السلطان الطغتكين على صنعاء

ولما[٣١] انقضى الصلح الأخير بين الطغتكين وآل حاتم تحرك الطغتكين على رأس قواته نحو صنعاء للاستيلاء عليها .

ولما كان في جهران وصل اليه القاضي حاتم الأسعد وطلب منه التوقف عن مواصلة تقدمه في صنعاء حتى ينهي اجراءات صلح جديد بينه وبين السلطان (علي بن حاتم) ، فقبل الطغتكين ذلك ورهن القاضي حاتم لدى الطغتكين حتى يعود من عند علي بن حاتم بالموافقة على صلح يقضي بدفع علي بن حاتم ثلاثين الف دينار وثلاثين حصاناً في العام مقابل رجوع الطغتكين عن صنعاء .

ولكن علي بن حاتم لم يقبل بذلك ، وضاعف من تعبئة حصونه ومنها حصن ذي مرمر في بني حشيش ، وحصن كوكبان والظفر والعروس في بلاد كوكبان ، وحصن فدة المطل على وادي ظهر وحصن براش والفص وغيرها استعداداً لمقاومة الطغتكين والتحصن فيها ، ثم خرج هو وذووه من صنعاء الى حصن ذي مرمر ، واكمل هدم سور صنعاء .

وعاد القاضي حاتم الأسعد الى الطغتكين متغير الخاطر واعلمه بموقف علي بن حاتم ، فأطلق الطغتكين رهائنه بعد ان اخذ منه العهد على الولاء له وكساه واكرمه .

ثم واصل تقدمه نحو صنعاء ، وكان قد تسلم حصن اشيح في بلاد آنس من أهله الصليحيين طوعاً ونقلهم الى ذي جبلة وأجرى لهم النفقات كما أخضع بلاد جبل الشرق وبلاد آنس .

ثم استولى على حصن براش في ضاحية صنعاء الجنوبية الشرقية ، وهو

---

(٣١) العسجد المسبوك ، من ص ١٦٦ .

مرة ثانية ودفنه في دار سنقر الأتابك بعد ان حوله الى مدرسة اسماها بمدرسة الأتابك، وأوقف عليها أرضاً في وادي الضباب ، وقد سميت المدرسة المذكورة بعد ذلك بالمدرسة السيفية نسبة اليه أي (سيف الاسلام الطغتكين) كما كان يدعى .

وقد وصفه الخزرجي بقوله : « وكان ملكاً شجاعاً كريماً جواداً حسن السيرة جيد السياسة مقصوداً من البلاد الشاسعة لإحسانه وبره ، وكان اذا تعرض له متعرض وهو في موكبه امسك رأس حصانه حتى يسمع شكواه ويكشف ظلامته ، ودان له اليمن كله ، ودان له بنو حاتم بصنعاء ، ودخل الجوف وصعدة ، وسوّر زبيد سوراً جديداً ، وسوّر صنعاء بعد ان اخرب سورها ، وادخل اليه حارة السلطان (التي تعرف اليوم ببستان السلطان نسبة اليه) ، وعمر عدة حصون في اليمن ، ومعظم عمارة حصن تعز (قاهرة تعز) عمارته » ثم قال : « وقتل عدداً ممن ناوئهم وكان ينشد متمثلاً :

بسفك الدماء يا جارتي تسفك الدماء وبالقتل تنجو كل نفس من القتل»

وأضاف أيضاً[٣٥] قائلاً : وكان سيف الإسلام فقيهاً له مقروءات ومسموعات بحيث أخذ عن القاضي احمد بن علي العرشاني (موطأ الإمام مالك) ، وهو الذي بنى المؤخرة في جامع زبيد ، وبنى الجناحين والمنارة ، واختط في اليمن مدينة أسماها (المنصورة) وهي قبلي مدينة الجند على اميال منها ، وذلك في القعدة من سنة ٥٩٢ هـ ، وابتنى في المنصورة قصراً كبيراً وحماماً ، وابتنى للعسكر فيها بيوتاً ، وكان واديها المعروف بخنوة مسكناً للوحوش فاحياه واحيا وادي الدارة والقاعدة ، وابتنى في خنوة دار مصيف ، ولم يزل الى ايام الملك المنصور (عمر بن علي رسول) فأخربه ابن اخيه (فخر الدين أبو بكر بن حسن بن علي رسول) ونقل احجاره فابتنى فيها داراً بعكار » . وهو أول من جار على النخل وظلم فيه حتى هرب طائفة من أهل

(٣٥) في العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام من ص ١٦٨ .

النخل عن املاكهم » .

وأضاف أيضاً : « وكان من هرب أخذ نخلة وسماه صافية . وكان أول من عطف عليهم الملك الأشرف الكبير (عمر بن الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي رسول) فإنه لما ولي السلطنة بعد أبيه الملك المظفر أمر بعديد النخل ، وندب جماعة من الفقهاء الرعية العدول وأمرهم أن يزيلوا عن الرعية ما يجب ازالته » إلى آخره .

وكان[٣٦] الطغتكين بن أيوب قد همَّ بشراء جميع الأراضي وتأجيرها للملاك كما كان عليه الحال في مصر يومئذٍ ، فندب المثمنين الى سائر البلاد ، فشق ذلك على الناس ، ولكنه مات قبل أن ينفذ ذلك .

المعز بن الطغتكين بن أيوب

كان[٣٧] المعز اسماعيل بن الطغتكين اكبر اخوته ، وكان ابوه يعتمد عليه في كثير من الأمور ويهيئه لخلافته بعده و أنابه عنه في صنعاء فترة من الوقت ، ولكنه أغضب أباه في بعض اعماله فطرده ، أو أنّ المعز غادر اباه مغاضباً له الى بغداد أو الى الشام شاكياً أباه الى الخليفة العباسي أو الى عمه صلاح الدين الأيوبي في مصر وذلك في عام ٥٨٩ هـ . على اختلاف في الروايات ، وقد عاد من عند الخليفة برسالة الى ابيه يوصيه بالإحسان اليه ، ثم غادر اباه مرة اخرى في عام وفاة ابيه ، ولمّا كان المعز في مدينة حرض ادركته الرسل تخبره بوفاة ابيه فعاد الى زبيد بعد ان لبس السواد وحز شعر رأسه حداداً على أبيه ، ودخل زبيد في التاسع عشر من ذي القعدة من عام ٥٩٣ هـ ، بعد ان اخضع المنطقة التهامية الشمالية وهو في طريقه الى زبيد ، وقتل عامل حرض القاضي الأسعد لأنه لم يحسن استقباله عند مروره به حين غادر اباه في طريقه الى الشام .

---

(٣٦) في العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام من ص ١٦٨ .

(٣٧) الدكتور محمد عبد العال أحمد في (الأيوبيون في اليمن) ص ١٤٩ .

وانتهج الملك المعز بن الطغتكين بن أيوب منذ بداية عهـده سياسـة[٣٨] البطش والمصادرة لكبار رجال دولته وقادة جيشه حتى نفرهم منه ، وحملهم على الانضمام الى عدوه الإمام عبد الله بن حمزة .

ومن كبار رجال دولته الذين قتلهم المعـز (همام الـدين أبو زبـاء) نائب الدولة الأيوبية علـى صنعاء ، وذلك في المحـرم من عام (٥٩٤ هـ) وأنـاب عليها خلفاً له الشهاب الجزري .

وكان مع ذلك شحيحاً على رجال دولته وقادة جيشه ، جواداً لغيرهـم من الشعراء وأهل اللهو كما ذكر .

وممن خرج عن طاعته الأتابك (سيف الدين سنقر) وغيره .

ومع ذلك[٣٩] فقد ترك مذهب اسلافه الأيوبيين (مذهب أهل السنـة) وهو مذهب العباسيين ، واعتنق مذهب أهل الشيعة وادعى الإمامة ، وانتسب الى بني أمية ، وتلقب بالإمام الهادي بنور الله المعز لدين الله ، ولبس ثياب الخلفاء ذوات الأكمام الطويلة التي يكتفي المسلم عليه بلمس الكم أو تقبيله عن لمس أو تقبيل كفه ، وجعل شعاره الخضـرة ، وقطع الخـطبة لبني العبـاس وخطب لنفسه بأمير المؤمنين .

وراسل عمه العادل (أبا بكر بن أيوب) الذي خلف (صلاح الدين بن أيوب) طالباً منه أن يعترف له بالإمامة وينسبه الى الأمويين ، فأنكر عمه عليه ذلـك ، وكتب اليه يلومـه ويوبخـه ويتهدده بسبب ذلـك ، ولكنه أصـرّ عـلى مـوقفه ، وأصـدر منشوراً بـذلك لقب فيـه نفسه بـألقاب منهـا : امام الأئمـة وكاشف الغمة وعالي الهمة ، المفترض الطاعة على كافة الأمة ، المستخرج من السلالة الطاهرة النبوية ، فرع الشجرة الإمامية الأموية ، المعز الناصر ، العزيز القاهر ، الرحيم القادر ، الحليم الذاكر ، سيد الموحدين ، الحاكم بكتاب الله وسنن رسول الله ،الهادي الى الحق بأمر الله ، أمير المؤمنين المعز اسماعيل بن

---

(٣٨) و(٣٩) (الأيوبيون في اليمن) ص ١٥٢ ، و١٥٤ ، وو١٥٩ .

طغتكين بن شادي بن مروان الأموي خليفة رب العالمين ، صلوات الله عليه وبركاته ، وقد قصد بهذا تأييد حقه في الخلافة باعتباره من قريش كما ادعى (لو صح ذلك) .

الملك المعز والإمام عبد الله بن حمزة .

لمّا قام[٤٠] عبد الله بن حمزة محتسباً في عهد الطغتكين بن أيوب لم يقم بأي حركة عسكرية ذات شأن ، وذلك لقوة جانب الطغتكين ، ولمّا توفي الطغتكين وخلفه ابنه (المعز) وانتهج كما عرفنا مسلكاً سيئاً مع كبار رجال دولته وقادة جيشه انتهز الإمام الانقسام في صفوف الأيوبيين فجدد الدعوة لنفسه في بلاد الجوف وذلك في شهر ذي القعدة من عام (٥٩٣ هـ) ، ثم تقدم منها الى بلاد صعدة يدعو قبائلها وعلماءها الى بيعته والالتفاف حوله ، وأعطي البيعة في جامعها يوم الجمعة الثالث عشر من شهر ربيع الأول من عام (٥٩٤ هـ) ، والتفت حوله القبائل .

كما نشط اعداء الملك المعز الأيوبي والخارجون عليه ، وانحازوا الى الامام المذكور .

وساند الإمام بنو حاتم وسمحوا له باستخدام حصونهم للاحتماء بها مع كبار رجاله اذا لزم الأمر ذلك ، ومنها حصون ثلا وكوكبان وبكر في بلاد كوكبان والظفر في روضة حاتم وغيرها .

وكان السلطان (علي بن حاتم) قد شراها من نواب الأيوبيين عليها بعد موت الطغتكين بن أيوب .

ومع ذلك فقد قامت قوات الأيوبيين بقيادة نائب صنعاء (الشهاب الجزري) و(سيف الدين جكو بن محمد الكردي) من كبار امراء وقادة الأيوبيين بحرب الإمام عبد الله بن حمزة ، واستطاعوا ان يردوه وقواته عن بلاد ذمار التي غزاها بغية بسط نفوذه عليها والتمركز فيها . ولذلك فإن الإمام

---

(٤٠) (الأيوبيون في اليمن) ص١٥٩

عبد الله بن حمزة لم يجد سبيلاً الى تحقيق انتصاراته على الايوبيين إلا بإفساح المجال لكبار رجال دولتهم وقادة جيشهم الفارين للإنضواء الى صفوفه ، والترحيب بمن وصل اليه منهم ، ومنحهم ثقته ، بل واعطائهم مكانة مرموقة في جيشه ، ليلعب المنضمون اليه ادواراً هامة ضد المعز الأيوبي .

ومنهم[41] الأمير (سيف الدين بن جكو بن محمد الكردي) الذي يعتبر أول من فر من جانب الأيوبيين الى الإمام مع عسكره ، واستطاع ان يراوغ عسكر الأيوبيين موهماً لهم بأنه انما يتوجه الى الملك المعز ، ولجأ الى حصن (كنن) في بلاد خولان مع عسكره حيث رحبت بهم حاميته للإمام وذلك في شهر رمضان من العام المذكور (٥٩٤ هـ) . ومنه نشط ضد الأيوبيين فاستولى على حصنين لهم في المنطقة وهدمهما بعد ان نهب ما فيهما من مؤ ن وعتاد وقتل عدداً من حاميتهما ، ثم استولى على الأموال التي كان نائب صنعاء للأيوبيين (الشهاب الجزري) قد أرسلها للملك الى تعز ، ولم يكن (جكو) قد وصل الى الإمام عبد الله بن حمزة يومئذٍ ، ولم يكن الإمام قد ايقن بصدق خروجه على المعز ، ثم وصل الى الإمام في مدينة شبام في شهر ذي القعدة من نفس العام (٥٩٤ هـ) ، واحسن الإمام استقباله واخذ البيعة منه له ثم كلفه بقيادة جيشه ورفع من منزلته ولقبه بالسلطان ، وقطع بذلك كل امل له في العودة الى صفوف الأيوبيين ، وصار (جكو) يواصل غزواته على الحصون والمناطق الخاضعة للدولة الأيوبية .

وشجع خروجه عليها ومَنَحُ الإمام ثقته به ، غيرَه من كبار رجال الدولة وقادتها للحاق به .

وكان أول من لحق به منهم الى الإمام (هشام الكردي) حيث نقل اليه عدداً من عسكره بعتادهم واحسن الإمام استقبالهم وأصبحوا من عسكره .

ولم يجد الملك المعز ازاء خروج العديد من كبار رجال دولته وانضمامهم الى

---

(٤١) الأيوبيون في اليمن ص ١٦٠ .

الإمام بدأ من تجهيز جيشه والتقدم به الى بلاد شبام لحرب الإمام ، ولكنه فوجىء اثناء سيره ذلك بخروج الأمير (شمس الخواص) بكامل عسكره عنه فرجع الى صنعاء وقام شمس الخواص بمراسلة الإمام يطلب منه السماح له بالانضمام اليه ، وتمّ اللقاء بينهما في عصر في الضاحية الغربيةمن صنعاء ، وكان المعز ما يزال فيها ، وكانت قوة الأمير (شمس الخواص) هي معظم قوة المعز التي اراد أن يحارب الامام بها ، مما اضطرّ المعز الى العودة الى تعز ، وتمكن بعد صعوبة بالغة من الوصول اليها .

استيلاء الإمام على صنعاء

ثم [٤٢] استولى الإمام عبد الله بن حمزة على صنعاء بالتعاون مع فريق من أهلها ، ودخلها الأمير (شمس الخواص) من احدى خنادقها ، ثم فتح ابوابها لجيش الإمام وذلك في نفس الشهر المذكور من نفس العام (القعدة من عام ٥٩٤ هـ) .

ومع ذلك فقد واجه الإمام بعد دخوله صنعاء موقفاً عصيباً بسبب تمرد شمس الخواص عليه خوفاً من غدره به ، ولكن الإمام استطاع بمختلف الاغراءات ان يؤكد له اخلاصه له وان يحمله على الأستقرار في صنعاء .

ثم غادرها الإمام برفقة الأمير جكو الكردي على رأس قوتيهما نحو ذمار واستوليا عليها وذلك في شهر ربيع الأول من العام المذكور ولجأ نائب الدولة الأيوبية الشهاب الجزري الذي كان معسكراً خارج صنعاء الى حصن براش والتحصن فيه ، ولم يلبث الحليفان الإمام وجكو ان عادا من ذمار واحاطا بحصن براش وضربا عليه حصاراً أضطرّ الشهاب الجزري الى طلب تأمينه للخروج من الحصن والانصراف كلية من منطقة صنعاء ومن منطقة ذمار .

ولكنه ما ان خرج من الحصن حتى قبضت عليه قوة الإمام مع عدد من

---

(٤٢) نفس المصدر (الأيوبيون في اليمن) .ص ١٦٤ .

كبار رجاله ، وقادة جيشه واوصلتهم الى صنعاء حيث قيدوا وارسلوا الى حصن فدة لإعتقالهم فيه .

استعادة الملك المعز الأيوبي لصنعاء

ومن[٤٣] ثمة تهور الأمير جكو الكردي ، ونزولاً عند رغبة (ابن المعلم) الذي تظاهر بخروجه على المعز ، وعزم جكو على الاستيلاء على زبيد مضمراً في نفسه ان يقيم له دولة فيها مستقلة عن الإمام والملك المعز معاً .

ولم ينصـع لرأي الإمام الذي حاول ان يثنيه عن غزو زبيد .

وبالرغم من استيلاء الإمام عبد الله بن حمزة على صنعاء واعتقاله لنائب الدولة الأيوبية فيها الشهاب الجزري المذكـور ثم خروج جكو واستيـلائه مـع الإمام على ذمار ، وما ترك كل ذلك من أثر سيىء في نفس المعـز . فقد تقـدم المعـز على رأس قـواته المكـونة من ستمـائة فـارس نحو ذمـار فصنعاء بهـدف استعادتها .

وكان جكو مع قواته في طريقهالى زبيد لتنفيذ ما عزم عليه ، وقد أراد أن يعسكر في رأس نفيل صيد (سمارة) للسيطرة منه عـلى الطريق ، وقـطعه على المعز ، ولكـن (ابن المعلم) آنف الذكر استطاع ان يثنيه خشية انقضاض القبائل الذين هم ضمن قواته عليه أو تفرقهم عنه ، وأرسل الى المعز يستحثه على سرعة التحرك وأخذ اعلى النقيل المذكور ، وفعل المعـز ذلك ، ثم انقض بقواته على جكو ، وقامت معركة بينهما انهزمت فيها قوة جكو بعد مقتله .

ثم واصل المعز تقدمه نحو صنعاءوتمكن من استعادتها بعـد ان غادرهـا الإمام عبد الله بن حمزة الى حصن ثلا ، وذلك في شهر جمادى الأول من العام المذكور (٥٩٥ هـ) .

وقد اعاد الإمام بعد خروجه من صنعاء حصن فدة الى آل حـاتم لأنهم

---

(٤٣) الدكتور محمد عبد العال أحمد في (الأيوبيون في اليمن) ص ١٦٧ .

الذين سلموه له معاونة له على الملك المعز ، واستطاع النائب الشهاب الجزري خلال ذلك ان يفرّ مع كبار رجاله منه وأن يعود الى المعز الى صنعاء .

أمّا المعز فإنه اقام في صنعاء أياماً اعاد خلال اقامته فيها نائبه الجزري المذكور على نيابته عليها ، ثم تحرك منها على رأس قواته لحرب القبائل التي ساندت الإمام ، ووصل الى ريدة من بلاد حاشد ، واضطر الإمام الى الانتقال من حصن ثلا ، الى اثافت من بلاد الظاهر من حاشد .

وقد[٤٤] ضاعف من تدهور موقف الإمام عبد الله بن حمزة خروج الأمير (يحيى بن الإمام احمد بن سليمان) عليه بحجة عدم توليته أعمال صعدة .

وقد ولاه الإمام اعمالها بعد ان بعث اليه وفداً للتفاوض معه على رأسه أخوه الأمير يحيى بن حمزة ، ووصل يحيى بن احمد بن سليمان الى الإمام الى مصنعة (اثافت) في بلاد خمر من بلاد حاشد واتفق معه على ذلك . ومع ذلك فقد خرج الأمير يحيى بن احمد بن سليمان على الإمام مرة اخرى فور مغادرته للإمام ، واعلن ولاءه للأيوبيين ، ووصل الى صنعاء بعد ان اعطاه نائبها الشهاب الجزري الأمان .

ومنها[٤٥] اعلن دعوته لنفسه بالإمامة مع ولائه للايوبيين بهدف مساندته ضد الإمام عبد الله بن حمزة ، وذلك هو ما كان يطمح اليه بحجة احقيته بالإمامة بعد والده ، وبعث الى الامام عبد الله بن حمزة يعلمه بالأمر وسبه سباً فاحشاً ، ثم تحرك بجيش كبير فيه الكثير من قوات الأيوبيين لحرب عبد الله بن حمزة .

وقامت معركة بينهما في جنات عمران من بلاد حاشد اسفرت عن انهزام جيش يحيى بن احمد بن سليمان ووقوعه في الأسر ، وعاد به الإمام الى مصنعة اثافت حيث اعتقله فيها فترة ، ثم قتله كما ذكر خنقاً بعمامته لتكرار خروجه

---

(٤٤) ائمة اليمن ص ١١٩ .

(٤٥) يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد في (انباء الزمن) (مخطوط) .

عليه ، وانهى بذلك خصماً عنيداً .

تتابع خروج ولاة الأيوبيين على الملك المعز الأيوبي .

ولمّا شعر [٤٦]الإمام عبد الله بن حمزة بتقلص نفوذه في المنطقة(برغم انتصاره في معركة جنات عمران)، واتساع نفوذ الأيوبيين عاد الى سياسته الأولى ، من استمالة كبار رجال الدولة الأيوبية وقادة جيشها في اليمن اليه واغرائهم . ومنهم (هلدري) ، ولكن رسائل (ورد سار) اليه .

وكذلك[٤٧] رسائل (طاشتين) (من كبار رجال الدولة العباسية في بغداد) اليه ايضاً والتي قال في احداها : ان انحيازك الى الإمام العلوي يضعف مذهب أهل السنة » التي يعتنقها العباسيون ، ثنته عن الانضمام الى الامام وصار هلدري كلما دعاه الإمام عبد الله بن حمزة اليه تثاقل واختلق المعاذير .

ثم[٤٨] اختلف (ورد سار) مع الملك المعز الأيوبي ،وخشي وردسار ان يفتك به ففرّ منه ، وأرسل الى الإمام عبد الله بن حمزة يعرض عليه خدمته .

وكان ورد سار آنذاك في عدن ، فجاءه رد الإمام مرحباً ، وطلب منه سرعة التحرك اليه ، وأرسل بعض رجاله لاستقباله إلى ذمار ، وذلك في عام (٥٩٨ هـ) .

واستطاع (ورد سار)[٤٩] ان يستميل اليه مع ذلك بعض جنود (هلدري) ، وواصل سيره بمن معه من الجنود الى الإمام عبد الله بن حمزة الى صعدة ووصلها في الحادي عشر من شهر جمادي الآخرة من عام (٥٩٨ هـ) ، ولم ينجح النائب (الشهاب الجزري) من القبض عليه بعد خروجه لذلك من صنعاء إلى بلاد آنس حيث كان ورد سار قد اتخذ طريقه الى الإمام منها .

---

(٤٦) يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد في (انباء الزمن) (مخطوط) .

(٤٧)الأيوبيون في اليمن ، ص ١٧٥ .

(٤٨)محمد بن محمد زبارة في (ائمة اليمن) ص ١٢٣ .

(٤٩)الأيوبيون في اليمن من ص ١٧٦ .

ولكنّ (ورد سار) عاد الى الملك المعز وأعتذر منه ، فعفى عنه وولاه بعض البلاد .

وحدث خروج الأمير سيف الدين سنقر على المعز أيضاً في قصة[٥٠] ملخصها :

انّ الملك المعز الأيوبي غزا منطقة حجة في الشمال الغربي لليمن لإخضاعها ، وكان الأتابك (سيف الدين سنقر) في جملة قادة جيشه .

وصادف ان اساء بعض الجنود إلى احد اصحاب الحصون في المنطقة وجاؤوا به الى الملك بصورة غير لائقة ، الأمر الذي أثار حفائظ قبيلته ، فشددوا حربهم للحملة وهزموها ، ونجا سنقر بصعوبة ، وعاد الى الملك ، فوجده قد قتل رهائن القبيلة ، فاستاء للأمر وعزم على الخروج عليه .

وكانت العلاقة بينهما قد ساءت .

ولكنه قبل ان يفعل ذلك قصد بعسكره مدينة المهجم في تهامة الوسطى بوادي سردد ، واستولى على ما كان للدولة فيها من اموال .

ثم اتخذ من قرية (المدارة) القريبة منها مركزاً يصدر منه لحرب المعز ويفيء اليه .

أمّا الملك المعز الأيوبي فإنه ازاء تصرف سيف الدين سنقر تحرك بقواته لحربه .

ولكن سنقر استطاع بعسكره القليل بالنسبة لعسكر الملك ان يناوره وأن ينهب كثيراً من عتاد وذخائر جيشه ، وان يضطره الى الانسحاب الى زبيد .

كما نهب سنقر مدينة الكدراء في المنطقة .

ثم راسل الإمام عبد الله بن حمزة يعرض عليه رغبته في الانضمام اليه ،

---

(٥٠) الأيوبيون في اليمن ص ١٧٦ .

فرحب به الإمام كعادته .

وبينما كان سنقر في طريقه الى الإمام إذ جاءته الأخبار بمقتل الملك المعز الأيوبي في زبيد على أيدي جنوده الأكراد ، فانصرف عن الانضمام الى الإمام .

وأسرع الى الأمير الطفل (الناصر بن المعز) المقيم في حصن تعز ، وأخذ له البيعة ملكاً خلفاً لوالده ، وقام هو بادارة شؤون الدولة نيابه عنه ، وكان هو اتابكه أي مربيه .

المعز الأيوبي وبنو حاتم

توفي الملك[51] الطغتكين بن أيوب وآخر اتفاق بينه وبين آل حاتم يقضي باعطائهم بعض الحصون للسكنى والتحصن فقط ، دون ان يكون لهم نفوذ على البلاد التابعة لها ، مع اعطائهم جامكية (مرتبات) سنوية الى جانب ذلك . وأول عمل اجراه معهم الملك (المعز بن الطغتكين) هو قطع الجامكية عنهم ، تحرشاً بهم للمزيد من تقليص نفوذهم ثم قبض على السلطان (بشر بن حاتم) عند وصوله الى زبيد باغراء نائب الملك على صنعاء الشهاب الجزري ، الذي وصل الى زبيد في اثره للغاية نفسها ، واعتقل المعز السلطان بشر بن حاتم ومن معه في حصن التعكر .

ثم تحرك المعز بعسكره الى صنعاء وذلك في عام (٥٩٦ هـ) ومنها خرج لحرب آل حاتم في بلاد كوكبان بهدف الاستيلاء على ما بقي لآل حاتم من الحصون في المنطقة ، وقامت حرب بينهما كان جانب الأيوبيين أقوى بطبيعة الحال ، وشدد المعز حصاره لحصن كوكبان حتى اضطر من فيه الى طلب الأمان منه . فطلب الملك المعز من السلطان (علي بن حاتم) اطلاق حصون كوكبان وبكر والظفر مع تسليم خمسين الف دينار ،مقابل تأمين اخيه (عمرو بن حاتم ومن معه من الرجال والنساء المحاصرين في حصن كوكبان ، والافراج عنهم وعن اموالهم في الحصن المذكور ،ومقابل الافراج عن السلطان (بشر بن حاتم) .

---

(٥١) الأيوبيون في اليمن ص ١٧٦ .

واضطر السلطان (علي بن حاتم) الى تسليم ذلك لضمان سلامة اخويه عمرو وبشر ومن معهما من الرجال والحريم المحاصرين في كوكبان والمأسورين والمعتقلين في بعض الحصون الخاضعة للأيوبيين .

وبذلك شدّد الملك المعز الأيوبي قبضته على المنطقة ، وحدَّ من نفوذ آل حاتم فيها .

ولزم علي بن حاتم حصن ذي مرمر الى موته في عام (٥٩٧ هـ) .

مقتل الملك المعز بن الطغتكين

منذ ان ساءت العلاقة بين الملك المعز الأيوبي مع كبار رجاله وقادة جيشه ، وتتابع خروجهم عليه وانضمامهم الى الامام عبد الله بن حمزة ، تضاءلت هيبته في نفوس جيشه ، وزادت كراهيتهم له حتى صار لا همّ لهم إلا التخلص منه بقتله .

وقد واتت الأكراد الذين كانوا يشكلون جمهرة جيشه المعسكر في زبيد الفرصة لدى خروجه منها ، دون قوة اخرى من سائر جيشه ومن حرسه الخاص .

وبينما هو سائر في موكبه اذ اصطفّ الجيش صفين ، فاستراب منهم ، وأمرهم بمواصلة سيرهم ، فانقضوا عليه لقتاله وقتال العدد القليل ممن وقف بجانبه ، وشغلته الأكمام الطويلة التي ابتدعها عند ادعائه الخلافة حتى عن النزول من على بغلته التي كان راكباً عليها وركوب فرسه الذي كان يقاد خلفه ، وقتل مع مملوكه (شرف الدين الحبشي) ومثل به ، وذلك في اليوم الثامن عشر من شهر رجب من عام (٥٩٨ هـ) ، وقد توفي عن ملك دام خمس سنوات .

وكان شجاعاً ناهضاً قوي الإرادة والعزم ، إلا انه كان لا يحسن تعامله مع رجال دولته وقادة جيشه ، الأمر الذي نفرهم منه الى خصمه الإمام عبد الله ابن حمزة ، وأدى ذلك الى قتلهم إياه كما علمنا .

اما الأكراد الذين قتلوه فإنهم عادوا الى زبيد وسيطروا عليها وعاثوا فيها فساداً .

الملك الناصر بن المعز الأيوبي

ولما علم الأتابك[٥٢](سيف الدين سنقر) بمقتل الملك المعز اسرع من بعض الحصون التي كان ممتنعاً فيها في بلاد حجة منذ خروجه عليه الى حصن تعز ، حيث يقيم الأمير الطفل الناصر بن المعز ، وأخذ البيعة له من كبار رجال الدولة الأيوبية في اليمن وقادة جيشها ومن أعيان البلاد .

قال الخزرجي في « تأريخه »[٥٣] « ووصل الأمير سيف الدين سنقر الأتابك الى مولاه الناصر بن الملك المعز وهو يومئذٍ في سن الطفولة ، وكان هو الذي رباه ، ولذلك قيل له الأتابك ، وهذه الكلمة إنما توضع لمن يربي أولاد الملوك خاصة قاله ابن خلكان » .

ومن ثمة بدأ جانب الأيوبيين يتحسن وذلك برجوع الأمير الأتابك سنقر المذكور الى صفوفهم ، ثم رجوع الأمير وردسار اليهم أيضاً ، وكان قد انفصل عنهم وانحاز الى الإمام .

وقد اسند الأتابك نيابة صنعاء الى ورد سار المذكور ، وجهزه بالجنود والعتاد والأموال لاستعادتها ، حيث كان الإمام عبد الله بن حمزة قد استولى عليها اثناء تغيب نائبها الشهاب الجزري عنها ، أو بعد انضمامه اليه اثر مقتل الملك المعز كما في بعض روايات المؤرخين ، ودخل وردسار صنعاء في شهر ذي الحجة من العام المذكور(٥٩٨ هـ) ، بعد خروج نائب الإمام عليها الى الإمام الذي كان آنذاك في حصن ذي مرمر ، ولم ييأس الإمام مع ذلك من عودة وردسار اليه ، وصار يراسله الى صنعاء ، وراوغه وردسار فترة ثم فتحت الحرب بينهما وكانت سجالاً بين الجانبين ، وفي اثناء ذلك خرج الأمير وردسار

---

(٥٢)(٥٣) الخزرجي في (العسجد المسبوك) آنف الذكر من ص ١٧٥ .

من صنعاء إلى بلاد كوكبان لإخضاعها حيث كان الإمام قد بسط نفوذه عليها ، وأناب عنه في صنعاء أخاه شمس الـدين، فانتهـز[٥٤] أهل صنعاء فرصـة تغيب النائب عنها وضعف حاميتها وثاروا على نائبه اخيه شمس الدين المذكور وقبضوا عليه ونادوا في الأذان بحيّ على خير العمل إيذاناً بولائهم للإمام .

ولّـا علم الأمير وردسـار عاد اليهـا فوجـد ابـوابهـا قـد اغلقت دونه ، فحاصرها وراسل الأتابك سيف الدين سنقر يعلمه بالأمر ، وكان الأتابك قد أعدّ جيشه للقضاء على اكراد زبيد ، فحول وجهته عنهم واسرع الى صنعاء ، ولّما دنا منها طلب منه أهل صنعاء الأمان فأمنهم ، ودخل مع وردسار وجيشيهما صنعاء ومنع نهبها ، وساندته قبيلتا سنحان وبني شهاب ، ولم يفوا لأهل صنعاء بمـا وعدوهم بـه من مسانـدتهم في ثورتهم والحيلولـة دون حصـار صنعـاء من خارجها .

وكان دخول الأتابك سيف الدين صنعاء في شهر رجب من عام (٥٩٩ هـ) ، وفشلت نجدة الإمام عبد الله بن حمزة لأهل صنعاء بقيادة اخيه الأمـير يحيى بن حمزة وانصرف هذا راجعاً بقواته الى الإمام .

ثم بسط النائب وردسار نفوذ الدولة الأيوبية في منطقة صنعاء ، وقد مهّد لذلك بالصلح الذي عقده مع السلاطين (آل حاتم) ليـأمن جانبهم ويضعف جانب الخصم الرئيسي لدولته وهو الإمام عبد الله بن حمزة الـذي يقوى عـادة بمساندتهم ، ومن ثمة أقبل الكثير من رؤساء العشائر في المنطقة عـلى الاقتداء بآل حاتم واعلان ولائهم للأيوبيين ، وجهز وردسار الكثير منهم لحرب الإمام وزودهم بالعتاد والأموال ، ومن أبرز تلك القبائل كما عرفنا قبيلتا سنحان وبني شهاب وغيرهما .

أما الأمير الأتابك سيف الدين فإنه أقام في صنعاء أياماً غادر بعدها الى بلاد كوكبان لإخضاعها ، وقد عقد أهلها صلحاً معه ولم تقم حرب بين الجانبين

---

(٥٤) و(٥٥) الدكتور محمـد عبد العـال احمد في (الأيـوبيون في اليمن) ص ١٨٨ و١٩٣ و١٩٥ .

لأن الأتابك سنقر بدأ حركته بعقد صلح مع الإمام عبد الله بن حمزة ، قطع به الطريق على القبائل في المنطقة المذكورة للاستعانة به ضد الأيوبيين .

كما استفاد الأتابك سيف الدين سنقر من الصلح الذي عقده مع الإمام للتفرغ مع نائب صنعاء الأمير وردسار للقضاء على تمرد الأكراد المتمركزين في زبيد ، والذين قتلوا الملك المعز واستبدوا بأمور زبيد وأعمالها ، ولّما أحاطت قوة الأميرين الأتابك ووردسار بزبيد خرج الأكراد منها وقصدوا القلب من الجيش وكان فيه الأتابك وقواته ، واحدث ذلك تخلخلاً في صفوفه لولا صمود وردسار وقواته ، ثم دارت الدائرة في النهاية على اكراد زبيد ، وقتل منهم الكثير ، كما هزم من أفلت منهم ، ودخل الأتابك زبيد وقضى على نفوذ الأكراد فيها وفي تهامة كلها ، كما تمكن من القبض على قتلة الملك المعز الأيوبي من الأكراد واعدامهم .

ثم[٥٦] واصل الأتابك حركته فقصد عدن لتعزيز قوته التي كان قد بعث بها اليها لإعادة نفوذ الدولة الأيوبية عليها ، ثم تابع تغيير الولاة في الدولة الأيوبية في اليمن بمن يثق بهم ، ومنهم الأمير فخر الدين أبو بكر بن علي رسول الذي ولاه حصن حب وأعماله في مخلاف بعدان .

عودة الحرب بين الإمام عبد الله بن حمزة والأيوبيين

نمي الى[٥٧] نائب صنعاء الأمير وردسار أنّ الإمام عبد الله بن حمزة يراسل احد كبار رجال الأيوبيين بهدف استمالته اليه ، فاعتبر وردسار ذلك خرقاً من الإمام للصلح القائم بين الجانبين ، وتحرك الى بلاد شبام كوكبان ، وكانت مما يقع تحت نفوذ الإمام واخرب كثيراً منها وقتل عدداً من اتباع الإمام ثم عاد الى صنعاء .

ولم يلبث ان غادرها الى بلاد نهم حيث بلغه انّ الإمام قد حشد جموعه فيها لحرب الأيوبيين وولى لقيادته اخاه ابراهيم بن حمزة ، وقامت حرب ضارية

(٥٦) و(٥٧) الدكتور محمد عبد العمال أحمد في (الأيوبيون في اليمن) ص ١٨٨ .

بين الجانبين في شهر ربيع الأول من عام (٦٠٠ هـ) اسفرت عن انتصار وردسار ومقتل الأمير ابراهيم وعدد من عسكره بعد انهزام جيشه ،وحمل رأس الأمير ابراهيم الى صنعاء ومنها الى الأتابك سيف الدين سنقر ، وذكر المصدر انه لم ينج من عسكر الإمام في تلك الحرب إلا من تمكن من الفرار الى الجبال . وعرف ذلك اليوم بيوم نصف ، باسم المكان الذي وقعت فيه الحرب شرقي بلاد نهم ، وقد انشأ الإمام عبد الله بن حمزة قصيدة بالمناسبة تأسَّف فيها لمقتل اخيه،واعتذر لإنهزام عسكره بأنهم كانوا مثل نصف عسكر خصمه أو أقل من نصفهم ، وتحدث فيها عن مواقفه الشجاعة وعن مواقف آله في الحرب في اكثر من معركة ، الى غير ذلك من صنوف الإشادة والاطراء ومطلع قصيدته :

روّعني الدهر بأحداثه وليس مثلي من شباها يراع
يروم انزالي على حكمه وإنما يفعل ذلك النزاع
فعدَّ عنا والتمس غيرنا وخصَّ بالرعب قلوب الرعاع
فنحن من قوم اذا اغضبوا تلينوا واستلأموا للمصاع
كم موقف خضنا بحار الردى قدماً ولم يُنصب علينا شراع

ومنها :

ونحن مثل النصف أو دونه منهم وقد سلوا سيوف القراع
نصبر للموت وروعاته اذا نفوس الضد طارت شعاع
سل عن بني اسحق أعداءهم وغيرهم فالحرب فاشٍ مذاع
يوم تولى جيشه معذرا وإنما يُدفع ما يُستطاع

ومنها :

نحن بنو الحرب اذا شمرت ولاح عنوان سناها وصاع
وإنما أوقفنا موجب باد وقد يطرق قبلي الشجاع

كما قامت[٥٨] حرب بين الإمام عبد الله بن حمزة والأيوبيين في مكان يعرف بعفار في بلاد البون من بلاد حاشد ، ومعركة اخرى في بلاد ردمان قاد فيها جيش الأيوبيين (عيسى بن ذعفان) صاحب شوابة وساعدته نهم فيها وقد انشأ الإمام قصيدة بمناسبة حرب ردمان اشاد فيها بانتصار قواته ومطلعها :

قفا فانظرا فالعين تغني عن الأثر
ولا تسألا بعد العيان عن الخبر
وقولا لأرباب الضلالة ما الذي
حداكم على سَوْق النفوس الى سقر
ألم تعلموا ان المحكم عقله
عليم بما يأتي عليم بما يذر ؟

ومنها :

بعثنا الى ردمان سيفين للوغى
فقالا لهم عند التصادم لا وزر
فطاروا وبيض الهند تأخذ منهمو
وبيض العوالي في الخواصر والثغر
واحجم عنهم وردسار ولم يكن
ليحُجِم الا عن مقام له خطر

وقد[٥٩] استمرت الحرب بين الإمام عبد الله بن حمزة والأيوبيين حتى عقد صلح ثانٍ بينهما يقضي بأن يكون البونان الأعلى والأسفل من بلاد حاشد للأيوبيين ، والظاهر ان الأعلى والأسفل في بلاد حاشد ايضاً والجوفان وصعدة للإمام ، وان يحمل الإمام للأيوبيين الى صنعاء مع ذلك مائة جمل محملة بالحديد وعشرة افراس كل عام ، واستمرّ الأمر على ذلك الى وفاة نائب صنعاء للأويبيين (وردسار) في عام (٦١٠ هـ) وكان الأتابك[٥٩] سيف الدين سنقر نائب

---

(٥٨) و(٥٩) الخزرجي في (العسجد المسبوك) منشور وزارة الاعلام والثقافة من ص ١٧٧ .

الدولة الأيوبية قد توفي في عام (٦٠٨ هـ) .

ثم [٦٠] اضطلع الملك الناصر ايوب بن المعز بن الطغتكين بن أيوب بادارة شؤون دولته بنفسه منذ وفاة نائبه الأتابك سنقر المذكور ، وخلف الأتابك سنقر بالأمير (بدر الدين غازي بن جبريل) .

وفاة الملك الناصر الأيوبي

حَسَّن [٦١] النائب (بدر الدين غازي بن جبريل) للملك الناصر الأيوبي الانتقال الى صنعاء لحرب الإمام عبد الله بن حمزة ، وفي صنعاء قام النائب غازي المذكور بقتل الملك الناصر بالسم كما روي ، وذلك في الثاني عشر من شهر المحرم من عام (٦١١ هـ) . واعلن للجند الأيوبي وفاة الملك وأخذ منهم البيعة له ، ثم خرج من صنعاء نحو تعز ومعه جثمان الملك الناصر ، ولمّا كان في منطقة السحول من اعمال اب حمل عليه اليمنيون ، وقتلوه بعد ان انتهبوا اثقاله وكان ذلك في اليوم الرابع والعشرين من شهر المحرم من العام المذكور ، اي انه لم يتول الحكم سوى اثني عشر يوماً ، هذا وتذكر رواية اخرى للمؤرخ الجندي (مخطوط) انه لم يقتل في منطقة سحول اب ، وإنما نهبت اثقاله فيها فقط ، ونجا هو ودخل مدينة اب ، وصعد مماليك الملك الناصر الى حصن حب في بعدان حيث كانت تقيمُ فيه امه ، وأعلموها بالأمر فشتمتهم ووبختهم على عدم قتلهم للوزير المذكور ، وإنها حثتهم على سرعة العودة الى اب وقتله ، وانهم دخلوا عليه فيها وقتلوه واحتزوا رأسه وأوصلوه اليها ، ودفن في اب بدون رأس ، ثم انتقلت هي من حصن حب الى تعز واضطلعت بشؤون الحكم مستعينة بعدد من كبار رجال الدولة الأيوبية .

انهيار صرح الدولة الأيوبية في اليمن

لما [٦٢] توفي الملك الناصر أيوب بن المعز بن الطغتكين بن أيوب في

---

(٦٠) الخزرجي ص ١٧٧ .

(٦١) و (٦٢) الخزرجي ص ١٨٠ .

التأريخ المذكور استولى آل حاتم على الحصون التي كانت تحت نفوذهم في منطقة صنعاء ، وكان استيلاؤهم عليها في اليوم الثالث عشر من المحرم من العام المذكور (٦١١ هـ) كما استولى الإمام عبد الله بن حمزة على صنعاء في اليوم الثاني من شهر صفر من نفس العام .

ثم غزا (سليمان بن موسى الحمزي) مدينة لحج مجهزاً من الإمام المذكور واستولى عليها وولى عليها من قبله ، وحاول ان يستولي على عدن ، ولكنها امتنعت عليه فعاد الى الإمام إلى صنعاء .

سليمان بن تقي الدين الأيوبي

ولمّا[٦٣] قدم الأمير سليمان بن تقي الدين بن عمر شاهنشاه بن أيوب الى اليمن بعد اداء نسك الحج في عام مقتل الملك الناصر أيوب بن المعز ، استدعته زوجة الملك الناصر الأيوبي اليها الى حصن تعز ، وطلبت منه ان يقوم بشؤون الحكم في الدولة الأيوبية في اليمن قائلة له : « إنّا نخشى ان يطمع فينا العرب ، ونحن نساء لا حيلة لنا ، وقد ساقك الله الينا ، فقم بملك ابن عمك ، واستول على اليمن » . فأجابها الى طلبها وجلس على سرير الملك وحلف له الجند وكان ذلك يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول من العام المذكور ، وأضاف الجندي قائلاً : « فقام بالملك قياماً ضعيفاً ، واشتغل باللهو واللعب واللذات مع النساء حتى تضعضع الملك ، وكان اذا سكر يرقص ويقول : (انا مشغول بأيري فانظروا للملك غيري » .
وكان قد وصل الى اليمن مع جماعة من رفاقه بزي الصوفية وبعد اداء نسك الحج وصولاً الى الحكم، وبالتأكيد فإنه لم يصل الى اليمن إلا بعد علمه بمقتل الملك الناصر الأيوبي وعدم وجود من يخلفه من بني أيوب أو من رجال دولتهم في اليمن ، بعد مقتل الوزير غازي بن جبريل .

---

(٦٣) الخزرجي في (العسجد المسبوك) آنف الذكر من ص ١٨٠ .

الملك المسعود الأيوبي

ولمّا علم(٦٤) الملك العادل أبو بكر بن الملك الكامل بن أيوب بالأحداث التي جرت في اليمن والتي أدت إلى إتساع نفوذ الإمام عبد الله بن حمزة وآل حاتم على حساب الأيوبيين جهز ابن ابنه الأمير المسعود صلاح الدين يوسف بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب في جيش كبير زوده بالعتاد والأموال الى اليمن ، وكان الأمير يوسف المذكور يومئذٍ لم يبلغ سن الرشد ، وجعل أتابكه (جمال الدين فليت) وزيره ومدبر ملكه في اليمن .

ووصل الملك المسعود الى زبيد في الثاني من المحرم من عام (٦١٢ هـ) وقد انهك السفر رجاله ، ولم تعد فرسانه تقوى على الحرب والكر والفر ، ونظراً لعدم خبرة مربيه (جمال الدين فليت) باحوال اليمن بالنسبة لتقي الدين سليمان بن عمر الملك القائم في اليمن ، فإنّ الملك المسعود راسله يعرض عليه صلحاً يقضي بتقسيم مملكة الأيوبيين في اليمن مناصفة ، الجبال لسليمان والتهائم للمسعود ، وقبل ان يعقد اتفاق بين الملكين الأيوبيين في ذلك ، اسرع الأمير بدر الدين حسن بن علي رسول الى الملك المسعود ، وحثه على سرعة التحرك من زبيد الى تعز ، وقال له لن تجد من يردك عنها ، ففعل المسعود ذلك ، ولمّا وصل الى تعز قال له الأمير بدر الدين : « اكتب لحامية حصن تعز بأن يمسكوا بسليمان وتوعدهم ان لم يمسكوه حلّ بهم النكال » .

ولمّا وصل كتاب الملك المسعود الى حامية الحصن نهضوا وأغلقوا باب مجلس سليمان عليه ، وأرسلوا من فورهم الى والي تعز يطلبون منه سرعة مبادرته الى الحصن للقبض عليه ، فأسرع الوالي الى الحصن وقيد سليمان بن تقي الدين ، وطلع الملك المسعود الى الحصن وذلك غرة صفر من العام المذكور (٦١٢ هـ) .

ثم تزوج بابنة الأتابك سيف الدين سنقر المعروفة بابنة جوزة ارملة الملك

---

(٦٤) الخزرجي ص ١٨٠ .

الناصر أيوب .

أمّا (سليمان بن تقي الدين) فإنّ الملك المسعود ارسله الى مصر مقيداً ، وانتهى بذلك امره .

ثم اسند الملك المسعود الى أتابكه جمال الدين فليت نيابة صنعاء ، ووصل فليت اليها في الثاني من شهر جمادي الأولى من نفس العام ، ودخلها بعد ان كان الإمام عبد الله بن حمزة قد خرج منها اثر حسم الخلاف بين الملكين الأيوبيين (سليمان بن تقي الدين) والمسعود بن الكامل لصالح المسعود ، واستقرت الأحوال في شؤون الدولة الأيوبية في اليمن بشكل عام .

هذا وقد قضى الملك (سليمان بن تقي الدين) في الحكم احد عشر شهراً واتسم عهده بالضعف والقلق والاضطراب بسبب سوء مسلكه مع قادة جيش الدولة الأيوبية وكبار رجالها حتى حاربه بعضهم كالأمير بدر الدين حسن ابن علي رسول وكاد ان يتغلب عليه لولا تدخل بعض رجال الدولة بالصلح بينهما ، والأمير بدر الدين ليس الا امير من امراء دولته وهذا من ابرز الأدلة على ضعف الملك سليمان وضعف دولته وفقدانها الهيبة التي يستلزمها استقرار الأمور .

حركة الأيوبيين التوسعية في عهد الملك المسعود

ما أن[٦٥] وصل الأتابك (جمال الدين فليت) الى صنعاء واعاد نفوذ الدولة الأيوبية عليها حتى حشد قواته وخرج بهم منها الى بلاد شبام كوكبان ، لبسط نفوذ الدولة الأيوبية فيها ، وكانت المنطلق الأول للإمام عبد الله بن حمزة للتمركز في حصونها كوكبان وثلا وغيرهما ثم مد نفوذه منها الى غيرها في بلاد حمير المعروف بمغارب اليمن في بلاد حجة وغيرها .

وقد استطاع الأتابك فليت ان يستولي على حصون بلاد كوكبان وثلا

---

(٦٥) الأيوبيون في اليمن ص ١٥٠ .

والمغارب ، وأن يأخذ الرهائن من ابناء المنطقة لضمان استمرار ولائهم للدولة الأيوبية ، بعد حروب كثيرة بينه وبين الإمام ، وقد سئم الناس في تلك الجهة الحرب وخذل الكثير من أهلها الإمام واضطروه[٦٦] الى مراسلة الأتابك فليت يعرض عليه صلحاً بين الجانبين يضع حداً للحرب ويقر الأوضاع للجانبين ، فاستجاب الأتابك الى طلبه بعد أخذ ورد ، وصالح الإمام من مركز القوة ، وجاء الصلح في صالح الأيوبيين اكثر مما هو في صالح الإمام .

وكان من بنود الصلح ان يظل ما استولى عليه الأتابك في بلاد كوكبان ومغارب اليمن من بلاد حجة وغيرها تحت نفوذ الأيوبيين ، وان تظل رهائن المنطقة لدى الدولة الأيوبية ، وأن يحمل الإمام للأيوبيين في كل عام عشرين حصاناً وعشرين جملاً ، وهذا مبلغ زهيد في الجملة ، ولكنه يرمز الى قوة مركز الأيوبيين في اليمن ، كما يرمز ضآلة كميته بالنسبة لما كان يفرض على الإمام نفسه في بداية عهد الأيوبيين في اليمن الى تحسن مركز الإمام وبصورة افضل مما كان عليه آنذاك .

وقد كانت مدة الهدنة التي اقتضاها الصلح المذكور ثلاثة عشر شهراً .

عاد الأتابك فليت بعد توقيعه الى تعز ، وبعد ان رتب امور صنعاء وغيرها من المناطق الخاضعة للأيوبيين في القسم الأعلى من اليمن .

إلا أنه[٦٧] في بداية عام (٦١٤ هـ) اعلنت قبيلة سنحان تمردها على الدولة الأيوبية ، وقطعت طريق المدد بين صنعاء وتعز ، وكان الإمام عبد الله بن حمزة يغذي ذلك التمرد ، بل أمدّ القبيلة المذكورة بقوة على رأسها ابنه الأمير (عز الدين) الذي تمركز في جبل (كنن) في المنطقة .

كما حاول الإمام مع ذلك الاستيلاء على صنعاء ، لولا قيام آل حاتم بصده مساندة منهم لنائب الدولة الأيوبية فيها ، وقد جهز الملك المسعود الأيوبي

---

(٦٦) نفس المصدر ص ١٥١ .

(٦٧) الدكتور محمد عبد العال أحمد في (الأيوبيون في اليمن) ص ٢٥٢ .

اتابكه (جمال الدين فليت) الى بلاد سنحان ، فلجأ كثير من كبار أهلها الى حصن كنن المنيع ، فضرب الأتابك فليت حصاراً شديداً عليه .

وفي اثناء ذلك توفي الإمام عبد الله بن حمزة وذلك في الثاني عشر من المحرم عام (٦١٤ هـ) .

وأقيم ابنه الأمير (عز الدين) المذكور محتسباً لعدم استيفائه الشروط المقررة في المذهب الزيدي للإمامة ، وادعى الإمامة (يحيى بن محسن ابن محفوظ) من أولاد الإمام الهادي يحيى بن الحسين ، وذلك في بلاد صعدة في الشهر الذي دعا فيه محتسبا الأمير عز الدين بن عبد الله بن حمزة وهو شهر صفر من العام المذكور (٦١٤ هـ) وكان ابن محفوظ عالماً ، قال عنه الإمام عبد الله ابن حمزة في حياته : « ان عنده علم أربعة ائمة » .

ومع ذلك فقد انقسمت الزيدية بين مؤيد ومعارض لهذا أو ذاك ، وكان بالطبع لكل فريق شيعته وأتباعه من اليمنيين ، وشغل البيتان في حرب بينهما ، أتاحت الفرصة للأيوبيين لتوسيع نفوذهم في القسم الأعلى من اليمن على حسابهم .

فتحرك الملك المسعود الأيوبي من تعز وقصد حصن براش في الضاحية الجنوبية الشرقية لصنعاء ، وكان أهل سنحان قد استولوا عليه بعد استيلائهم على حصن كنن ، واستولى الملك المسعود عليه في اليوم الثاني ليوم وصوله اليه ، ثم دخل صنعاء في الثامن من شهر جمادي الأولى من العام المذكور .

ومما يذكرُ انه لمّا استولى الملك المسعود الأيوبي على حصن براش وجد به حريماً لرئيس قبيلة سنحان ، فلم يتعرض لهنَّ بسوء ، وبعثهن مكرمات اليه ، وكان لذلك التصرف الحسن اثره في نفوس أهالي قبيلة سنحان ، ساعد على تصفية الموقف بينهم وبين الأيوبيين ، وأدى بالتالي الى سقوط جبل كنن في ايدي الأيوبيين .

ثم قصد الملك المسعود الأيوبي حصن كوكبان الذي كان الإمام عبد الله

ابن حمزة في آخر حياته قد استولى عليه ، فاستعاده وعاد الى تعز .

ثم عاد الملك المسعود الى صنعاء في شهر ربيع الأول من عام (٦١٥ هـ) .

وأخضع وهو في طريقه اليهامخلاف [٦٨]الشوافي من بلاد اب ، الذي كان قدتحرك للخلاف على الأيوبيين فيما يبدو .

ومن صنعاء قصد مدينة حوث في بلاد حاشد وهدمها ، ولعلها كانت مركز تجمع للأشراف وللقبائل المناوئة للأيوبيين ، ثم واصل تقدمه في الشمال الشرقي لصنعاء ، حتى وصل الى بلاد الجوف ، وأقام بها أسبوعاً ، ثم عاد الى صنعاء وفي طريقه اليها قاتل الأشراف المتجمعين في ظفار ذيبين من بلاد ظليمة من بلاد حاشد أيضاً .

وكان وصوله صنعاء في اليوم الثالث من شهر ذي القعدة من عام (٦١٥ هـ) .

وفي صنعاء عقد صلحاً مع الأشراف الحمزات وعلى رأسهم الأمير عز الدين محمد بن عبدالله بن حمزة وذلك في عام (٦١٦ هـ) ، ثم عاد إلى تعز .

ويعتبر هذا العام عام هدوء واستقرار في القسم الأعلى من اليمن .

هذا وقد توفي الإمام عبد الله بن حمزة عن عمر دام اثنتين وخمسين سنة ، وعن حكم دام حوالي عشرين عاماً ، قضى معظمه في حرب مع الأيوبيين في سبيل الحد من نفوذهم على الأقل ، وكان من أنهض الأئمة وأقواهم ، لولا انه صادف عهد حكم قوي هو حكم بني أيوب .

ولولا هذا الند القوي للإمام المذكور لكان له شأن اكبر ونفوذ

---

(٦٨) مخلاف الشوافي يتبع اليوم إدارياً إب من قضاء إب لواء إب ويشتمل على سبع عزل هي : الروس وبني محرم وثوب اعلى وثوب اسفل وشعب يافع وجبل معود والبحرين .

اوسع ، هذا الى جانب انقسام الزيدية وتنافسهم فيما بينهم ، وعدم دوام استمرار ولاء اليمنيين له وكما هو لغيره من الأئمة .

جولة اخرى من الحرب بين الأيوبيين والحمزات

يبدو ان الصلح الذي عقد بين الملك المسعود الأيوبي والأشراف الحمزات عام ٦١٦ هـ ، كان محدداً بعام واحد ، بدليل[٦٩] تحرك الملك المسعود في بداية عام ٦١٧ هـ الى صنعاء ، ومنها قصد حصن بكر في بلاد كوكبان بغية الاستيلاء عليه ، وضرب حصاراً قوياً عليه ، بالغ فيه بالبناء عليه من خارجه حتى لا ينزل منه احد ولا يطلع اليه احد ، وكان الحصن المذكور من أقوى الحصون وأمنعها في المنطقة ، ومن الحصون الباقية بيد الأشراف الحمزات ، وكان فيه بعض حريم الإمام المتوفي عبد الله بن حمزة .

ولم يجد الأمير عز الدين بن عبد الله بن حمزة حيلة لفك الحصار عنه إلا بمحاولة التجهيز لغزو بلاد تهامة ، بهدف شغل الملك المسعود بذلك عن الاستمرار في حصار الحصن المذكور ، أو بهدف تحقيق مكاسب في تهامة في حالة عدم رفع الملك الحصار عن الحصن ، والمساومة بذلك عنه أو عن غيره من الحصون في المنطقة .

ولكن محاولته تلك باءت بالفشل بسبب خروج الشريف سليمان بن موسى الحمزي عن ولائه للأمير عز الدين ، وانضمامه الى الملك المسعود ، الذي جهزه لحرب الأمير عز الدين .

واضطره الى الانسحاب الى بلاد الجوف .

ثم تعقبه اليها ، وقامت بينهما حرب شديدة أقعدت الأمير عز الدين عن كل محاولة لفك الحصار عن الحصن المذكور ، واضطرته الى مراسلة

---

(٦٩) الأيوبيون في اليمن ص ٤٥٨ .

الملك المسعود ، ومساومته في الثمن الذي طلبه عن الحصن . وتمّ الاتفاق بينهما على ان يتسلم الملك الحصن مقابل عشرة آلاف دينار تسلمها من الملك المسعود الأمير يحيى بن حمزة اخو الإمام عبد الله بن حمزة ، نيابة عن الأمير عز الدين ، وطلع الملك المسعود الحصن في مستهل ربيع الأول عام ٦١٨ هـ ، ثم عاد الى زبيد ، بعد ان ولى على صنعاء الأمير بدر الدين (حسن بن علي رسول) .

حملة الملك المسعود الأيوبي الى مكة

غادر[٧٠] الملك المسعود اليمن على رأس قوة عسكرية نحو مكة ، لاخضاع حاكمها الشريف قتادة الذي اخذ يستقل بحكمها عن الدولة الأيوبية .

وقد غادرها فور علمه بتحرك الملك المسعود من اليمن نحوه .

ودخل المسعود مكة دون اراقة دماء ، وأحسن الى الناس فيها وأمنهم ، وردّ المظالم التي كان الأمير قتادة قد اخذها من بعض أهل مكة.

ثم ولى عليها الأمير نور الدين عمر بن علي رسول وعاد الى اليمن .

وكان الشريف قتادة بعد مغادرة الملك المسعود لمكة قد وحد صفوف رجاله وعزم على استعادة نفوذه على مكة وطرد الأمير نور الدين منها ، ولكن هذا فاجأه قبل ان يكمل استعداده وهزمه بعد ان قتل عدداً من جنوده ، وأضطرّه الى الفرار من وجه القوات الأيوبية مرة اخرى .

سفر الملك المسعود الأيوبي الى مصر

وفي عام[٧١] (٦١٩ هـ) قام الملك المسعود بزيارة صنعاء للاطمئنان على استتباب الأمور فيها وفي منطقتها ، ثم عاد الى زبيد ، حيث اخذ

---

(٧٠) الأيوبيون في اليمن ص ٢٦٠ .

(٧١) نفس المصدر ص ٢٦٢ .

يستعد للسفر الى مصر وزيارة والده الكامل بن أيوب .

ثم استدعى الأمير نور الدين عمر بن علي رسول من مكة وأنابه عنه في اليمن .

كما أكد لأخيه بدر الدين حسن بن علي رسول النيابة على صنعاء .

وغادر اليمن في منتصف شهر رمضان من عام (٦٢٠ هـ) قاصداً مصر ، حاملاً معه هدايا جليلة لوالده ، وعرّج على مكة ، ثم ركب البحر الأحمر الى مدينة (عيذاب) المصرية في الشاطىء المصري للبحر الأحمر ، ومنهاسافر الى القاهرة .

حركة مرغم الصوفي في حقل يريم

لمّا[٧٢] غادر الملك المسعود الأيوبي اليمن الى مصر ثار في حقل يريم المدعو (مرغم الصوفي)[٧٣] وذلك في عام (٦٢٢ هـ) وتابعته قبائل بني مسلم وبني سيف وغيرها من قبائل يريم .

كما تابعته قبائل عتمة وعنس وجنب وغيرها ، أي انّ حركته امتدت في بلاد يريم وذمار وربما وغيرها في المنطقة الوسطى من اليمن .

وأشاع الثائر مرغم الصوفي انه إنما يدعو لإمام حق دون ان يفصح عن اسمه ، وكأنه نحا نحو (أبي الحسن علي بن محمد الصليحي) في بداية حركته حينما اكد للناس انه إنما يدعو لإمام حق دون ان يفصح عن اسمه كما عرفنا .

وقد قصد الثائر الصوفي الأمير نور الدين (عمر بن علي رسول) الذي كان آنذاك في حصن ذروان من بلاد ذمار ، وبسبب مساندة قبيلة جنب للصوفي في نفس منطقة الحصن المذكور وغيرهم استطاع أن يتغلب على نائب الدولة الأيوبية في اليمن الأمير نور الدين المذكور في

(٧٢) نفس المصدر والصفحة . والخزرجي في (العسجد المسبوك) آنف الذكر ص ١٨٤ .

(٧٣) في بلاد يريم عزلة تدعى بني مرغم قد يكون لها علاقة بهذا الثائر .

المعركة التي قامت بينهما وأن يضطر النائب المذكور الى اللجوء الى الحصن المذكور ، وأن يستنجد بأخيه نائب صنعاء الأمير بدر الدين حسن بن علي رسول ، فأنجده بنفسه على رأس قواته وهزم مرغم بحيث لم يقم بحركة تذكر بعد ذلك . . ثم تحرك الأخوان نور الدين وبدر الدين الى صنعاء لحرب الأمير عز الدين الذي كان معسكراً في عصر من الضاحية الغربية لصنعاء فواجه الأمير بدر الدين بجيشه الأمير عز الدين وقواته ، بينما عسكر الأمير نور الدين خلفه كدرء له ، ولتثبيت جيش بدر الدين في حالة تغلب عز الدين ، وقد وزع الأمير بدر الدين جيشه الى ميمنة وميسرة وقلب الخ . . .

وقامت معركة ضارية بين الجانبين صمد فيها الامير عز الدين بن عبد الله بن حمزة وعسكره ، وأبلوا فيها بلاءً حسناً ، ولكن النصر كتب لجيش الأمير نور الدين الذي صمد بعسكره كذلك .

وانهزم جيش الأمير عز الدين بعد اصابته بنشاب في احدى عينيه بالعور ، نقل على اثر ذلك الى مدينة ثلا ومرض فيها . ثم نقل من ثلا الى ظفار ذي بين حيث توفي فيها ودفن الى جانب والده هنالك . وكانت وفاته في شهر ذي الحجة من عام (٦٣٣ هـ) .

وأُقيم اخوه شمس الدين بن عبد الله بن حمزة محتسباً خلفاً له ، وذلك لعدم استيفائه الشروط المقررة في المذهب الزيدي للإمامة .

هذا وقد كان لآل حاتم دور بارز في مساندة الأيوبيين ونوابهم في اليمن ضد الأمير عز الدين بن عبد الله بن حمزة ومن معه من الأشراف وأتباعهم .

وذلك بقيام السلطانين سالم وعلوان ابني حاتم بن احمد اليامي بدخول صنعاء اثناء تغيب نائبها الأمير بدر الدين حسن بن علي رسول لنجدة اخيه نور الدين عمر بن علي رسول ضد الثائر مرغم الصوفي كما سبق ، وقيام السلطانين المذكورين بصد الأمير عز الدين ومن معه من

الأشراف عن الاستيلاء على صنعاء ، وحفظها حتى عاد بدر الدين اليها .

ولقد كان لانتصار الأميرين بدر الدين ونور الدين الرسوليين ضد الأشراف في حرب عصر صداه داخل اليمن وخارجه ، وقوّى ذلك من مركز النائبين المذكورين في اليمن .

وقد بعث مع ذلك الامير بدر الدين برسالة الى الملك المسعود الى مصر احاطه فيها بأنباء الانتصارات التي حققها مع اخيه في حقل يريم وفي وقعة عصر .

وبعث مع الرسالة قصيدة للشاعر السلطان (مدرك بن حاتم بن بشر ابن حاتم) على لسان الأميرين بدر الدين ونور الدين مطلعها :

سلا ذات سمط الدر والمارن الأقنى
لدى عصر من أصدق الضرب والطعنا
ومن شهدت صنعاء لولا بلاؤه
لما فارقت رعباً ولا رافقت امنا
وقد كانت البيض الخرائد خيفة
النسا من أعادينا أسأن بنا الظنا

ومنها :

فما زالت الأخبار منكم تسرنا كما سركم في مصر مخبركم عنا

واشاد شعراء الدولة الأيوبية في اليمن بتلك الانتصارات ومنهم (العماد الشيرازي) شاعر الملك المسعود حيث انشأ قصيدة مطلعها :

ألا هكذا للملك تعلو المراتب وتسمو على رغم العداة المناقب
فتوح سرت في الأرض حتى تضوعت مشارقها من طيبها والمغارب
بسيف الجواد بن الرسول توطدت قواعد ملك ربه عنه غائب
فولوا ومن طعن القنا في ظهورهم عيون ومن ضرب السيوف حواجب

كما كتب السلطان علوتن بن بشر بن حاتم الى الشريف عز الدين ابن الإمام عبد الله بن حمزة قصيدة يقول فيها ناصحاً أو شامتاً :

أسادات الورى من كل حي ... وأسمى في المعالي من تسامي
وأربطها لدى الهيجاء بأساً ... واحماها اذا عدم المحامي
أهنيكم قدوم العيد فرضاً ... عليَّ فعدتمو في كل عام
وأهدى نحوكم ازكى سلاماً ... الى المأموم منكم والإمام
وأسمعكم أحقاً ما سمعنا ... فما يشفي سوى صدق الكلام
بأنّ جموعكم طارت شعاعاً ... ولّما تخش عاقبة الملام
وولت غير كاسبة ثناء ... فراراً لم تكر ولم تحام
سوى عشر فحيى الله عشراً ... تحامت من بني سام وحام
ولم يحضر من الأمراء إلا ... شهاب الدين محمود المقام
ونور الدين والبدر المرجى ... ليوث الحرب في يوم الصدام
وخيلهمو الى مائة وعشر ... وهم ما بين رماح وحامي
فماذا تصنعون اذا ألمت ... جنود الملك من يمن وشام ؟
ولاحت راية المسعود فيها ... كلائحة على ارجاء طامي
هنالك تندمون ولا محيص ... اذا حمَّ القضاء لدى الحمام
فإن تقبل نصيحة ذي وداد ... فإنّ النصح من شيم الكرام
اتيتم طائعين الى مليك ... شريف النفس ذي منن جسام

الى آخر القصيدة في (العسجد المسبوك).

وقد ردّ عليه الأمير عز الدين بقصيدة مطلعها :

أمن برق تألق بابتسام ؟ ... أرقت فلم أذق طعم المنام
لذكر الوصل أم لفراق غيد ؟ ... تضيء وجوهها جنح الظلام
رعى الله الديار وساكنيها ... وروّى ربعها صوب الغمام
فلا تعجب لتذكاري فإني ... ذكرت منازل الحي الكرام

وأعجبُ من تـذكُّرِ وصـل هنـد كـتـاب جـاءنـا من مـلك يـام
سليلهمـو المتـوج ارضـعتـه لبـان المجـد من قبـل الفـطام
واودعـةَ الـسـلام فـلا عـدمنـا أنـامـل يمـمت ازكـى سـلام
ويخبـر عـن طـراد قـول صـدق احقـاً مـا يقـال مـن الكـلام ؟
بـأن جمـوعنـا طـارت شعـاعـاً وولـت لم تـكـرًّ ولم تحـام
سـوى عشر اغـارت غـير نكـر فعـادت جنّحـا مثـل السهـام
فـلو كـان الأمـير الندب فـيهـا عـمـاد الـدين محـمـود المقـام

(يقصد الأمير يحيى بن حمزة الذي ذكـر انه تـرك المعركـة وذهب بعيداً عنها لصلاة العصر ، وان جنوده تبعـوه واخلّ ذلـك بصفوف الأشـراف أو انه لم يحضر الوقعة اصلاً) .

لـزارت بيننـا عضب عضـاب بـكـل مهـنـد عـضـب حسـام
ولـكـن عـاقـه الـرحمـن عـنـا فلم يحضـر ويـوم الـروع حـامي
وكيف تعـد هـذا القـول نصحـاً وقـد صدعت لـه حمم السـلام
فـواعجبـاً نـدافـع عن حمـانـا وتـنـسبـنـا الى فـعـل الـلئـام
فليس لنـطح صخـرتهم سـوانـا بـني حسـن فـكـف عـن المـلام
وإن كـانـوا لعمـر أبيـك أسـداً تشب لـدى الـوقـائع بـالضـرام

عودة الملك المسعود الأيوبي الى اليمن واعتقاله لأمراء بني رسول

وفي(٧٤) السـابع عشـر من شهر صفـر من عام (٦٢٤) للهجـرة وصل الملك المسعود تعز عائداً من مصـر ، يحثه عـلى العودة مـا اشيع داخـل اليمن وفي مصر بانّ الأمراء الرسـوليين الأربعـة حسن وموسى وأبـو بكر وعمـر ابناء عـلي رسول قـد عقدوا العـزم على الاستئثـار بالملك في اليمن دون الأيـوبيين ، يشجعهم عـلى ذلك انتصـارهم السـاحق ضـد (مـرغم الصـوفي) الثـائـر في

---

(٧٤) الخزرجي في (العسجد المسبوك) آنف الذكر ص ١٨٨ . والأيوبيون في اليمن ص ٢٦٩ .

حقـل يريِم ، وضـد الأشراف وفي مقـدمتهم الأمير عـز الدين محمـد بن عبد الله بن حمزة .

وقد عمل منـافسو بني رسـول وحاسدوهم من اليمنيين ومن كبـار رجال الأيوبيين على تخويف الملك المسعـود من عزمهم عـلى ذلك وأنّ الملك الكـامل لما وصلت اليه قصيدة الأميرين بدر الدين ونـور الدين الـرسوليـين آنفة الـذكر والتي جاء منها قوله :

فـما زالت الأخبـار عنكم تسـرنـا كـما سـركم في مصـر مخبـركم عنـا

واطلع عليهـا ، قال لابنـه الملك المسعود : « من هـذا الذي يخاطبـك بنون العظمة ؟ » فقال لـه المسعود : هـو امير لي في اليمن ، فقـال له : « مـا هـذا بأمـير بل هـو نـظير إن لم تثب عليـه وثب عليـك » فعجـل بعـودتـه الى اليمن ، وفور وصوله قبض على جميع الأمراء الأربعـة الرسـوليين واعتقلهم ، ثم أفـرج عن الأمـير نـور الـدين عمـر بن عـلي رسـول ، لأنـه كـان يثق بـه ويأنس اليه .

أمّا اخوتـه الثـلاثـة (شـرف الـدين مـوسى) و(بـدر الـدين حسن) و(فخـر الدين أبـو بكر) أبنـاء عـلي رسـول فإنّ الملك المسعـود ارسلهم الى مصر مقيدين .

ثم تحـرك الملك المسعود الى بني سيف في بـلاد يـريم وخـربهـا وجعلهـا كالأمس الذاهب جزاء لهم على مسـاندة الثـائر مـرغم الصوفي ، وأقـام فيهم ثلاثة أشهر حتى اخضعهم خضوعاً تاماً ثم عاد الى تعز .

ثم قـام بجولات كثيـرة ومنظمـة في كثـير من انحـاء اليمن حققت لـه استقرار حكمه الى ان عزم على العودة الثانية والأخيرة الى مصر .

سفر الملك المسعود الأيوبي الى مصر للمرة الأخيرة وسقـوط الدولـة الأيوبية في اليمن

وفي شهر ربيع الآخر من عام (٦٢٦ للهـجرة)[٧٥] غادر الملك المسعود الأيوبي اليمن قاصداً مصر أو الشام ، يحثه على ذلك استـدعاء أبيـه له ليـوليه الشام الذي استولى عليه من الملك الناصر صلاح الدين (داود بن الملك المعظم عيسى) بعد وفاة والد هذا في الشام ، أو انه غادر اليمن طمعاً في توليته الشام بما في ذلك فلسطين .

وقـد حمل الملك المسعـود معـه من اليمن هـدايـا وامـوالاً وتحفـاً جليلة حملتهـا المراكب في البحـر الأحمر ، وأنـاب عنه في اليمن الأمـير (نـور الـدين عمر بن علي رسول) .

وانشأ سفره من اليمن وقـد بدأ بـه المرض الذي اقعـده في مكة وأدى الى وفاته فيها في نفس العام الذي سافر فيه من اليمن .

وقد أشاع الامـير نور الـدين بعد سفـر الملك المسعود الأيـوبي أو اشاع انصاره أنّ الملك المسعود قـال للامـير نور الـدين قبيل مغـادرته لليمن : « إني قـد عزمت عـلى السفر ، وقـد جعلتك نـائبي ، فإن مت فـأنت أولى بـالملك حتى من اخـوتي ، لأنك خـدمتني وعرفت منـك النصيحـة والاجتهـاد ، وإن عشت فأنت على حالك ، وإيـاك ان تترك احـداً يدخـل اليمن من أهلي ولـو جاء والدي مطوياً في كتاب » .

ثم اضطلع الامير نـور الدين بـالمسؤولية ، وصـار يُظهـر انه إنمـا يقوم بـإدارة شؤون الدولـة في اليمن نيابـة عن الملك المسعود الأيـوبي طيلة عامـين كاملين ، وبالرغم من وفاة المسعـود في مكة ، بـل لقد بعث بعـزائه الى الملك الكامل بوفاة ولده ، وبعث مع التعـزية بهـدية جليلة ، حمـل كل ذلـك الملك

---

(٧٥) الخـزرجي في (العسجد المسبـوك) منشور وزارة الاعلام والثقافـة آنف الذكـر ص ١٨٩ . والدكتور محمد عبد العال أحمد في كتابه (الأيوبيون في اليمن) ص ٢٧٣ .

الكامل على الاطمئنان الى ولائه له ، وبعث له بتأكيد نيابته عن الدولة الأيوبية في اليمن .

ولكن الامير نور الدين ظل في نفس الوقت وباسم الدولة الأيوبية يعمل على تغيير ولاة الحصون والمناطق في اليمن بمن يثق بهم ويعتمد عليهم عند تنفيذه لما عزم عليه من الاستقلال بحكم اليمن .

وفي عا م ٦٢٨ للهجرة اعلن الامير نور الدين عمر بن علي رسول استقلاله بحكم اليمن عن الأيوبيين ، ساعده على ذلك انقسام الأيوبيين في مصر والشام ، وعدم استعدادهم في ذلك الظرف بالتجهيز لحرب الامير نور الدين في اليمن واستعادة نفوذهم فيه ، والى جانب ما يعلمونه من طبيعة اليمن الجبلية وعدم سهولة اخضاع حصونها المنيعة ومناطقها المترامية الأطراف ، وقد تمكن الامير نور الدين من السيطرة الكاملة على كل اجزاء الدولة الأيوبية في اليمن ، وبجند الأيوبيين الذين استمالهم اليه وباليمنيين الذين احبوه لعدله واحسانه كما ساعده مع كل ذلك وفاة الملك المسعود الذي بفضله وصل الى الحكم وأسس دولة بني رسول في اليمن ، وقد عقدت لها فصلاً خاصاً كما سيأتي .

نظرة عامة في حكم الأيوبيين في اليمن

حكم الأيوبيون اليمن حوالي تسعة وخمسين عاماً ، وقد بدأ حكمهم بمقدم (توران شاه) بن أيوب الى اليمن ، مجهزاً بقوة كبيرة من اخيه (صلاح الدين بن أيوب) من مصر في عام (٥٦٩ هـ) ، وانتهى باعلان نائبهم عليه (نور الدين عمر بن علي رسول) استقلاله بحكمه عنهم في عام (٦٢٨ هـ) .

ولدى استعراضنا لسير حكم بني أيوب في اليمن ، ولما يمكن فهمه عن اوضاع اليمن اثناء حكمهم نستخلص الحقائق التالية :

١ ـ بحكم لجوء الأشراف (آل وهاس) حكام المخلاف السليماني بالسلطان

(صلاح الدين بن أيوب) أو بالخليفة العباسي وطلبهم النصرة والعون ضد (عبد النبي بن علي بن مهدي) الذي غزا المخلاف المذكور وقتل اميره الشريف) وهاس بن غانم آل وهاس) ، وهو كلف صلاح الدين الأيوبي بالتجهيز الى اليمن لنصرة آل وهاس ، واخضاع (آل مهدي) الخوارج والخارجين على الدولة العباسية ، وبحكم مساندة آل وهاس لتوران شاه في حربه لآل مهدي .

فقد ركز الأيوبيون عند غزوهم لليمن بقيادة توران شاه على القضاء أولاً على آل مهدي الذين لم يشكلوا خطراً على حكام اليمن فحسب ، بل ويشكلون في نظرهم العقبة الأولى أمام هدف الأيوبيين الأساسي من اقامة حكم لهم في اليمن ، وذلك بهدف السيطرة على جميع موانىء البحر الأحمر بما فيها مضيق باب المندب في جنوبه منعاً لنفوذ الصليبيين من أي منفذفيه، وقد صادف لجوء آل وهاس للاستعانة بالأيوبيين ، أو تكليف الخليفة العباسي لصلاح الدين الأيوبي بالتجهيز الى اليمن هوى في نفوس الأيوبيين ، لأن حكم اليمن ظل يراود السلطان صلاح الدين منذ استولى على مصر وواصل حربه للصليبيين ، واستطاع ان يسترد منهم بيت المقدس ، وذلك بغرض احكام السيطرة على جميع منافذ البحر الأحمر بما فيها منافذه الجنوبية باستيلائه على اليمن ، بعد استيلائه على منافذه في وسطه ببسط نفوذه على السودان ، وفي شماله باستيلائه على مصر .

٢ ـ وبحكم اقامة (بني ايوب) السنيين لدولتهم في مصر على انقاض (الفاطميين) الشيعة فقد ركز الأيوبيون ثانياً على القضاء على حكام الشيعة في اليمن اتباع الفاطميين (آل زريع) ، والذين تجاور امارتهم امارة (آل مهدي) ، وكانت إمارة آل زريع هي الخطوة الثانية للأيوبيين في سبيل تحقيق طموحهم ومطامعهم في اليمن .

٣ ـ وبحكم عزم الأيوبيين على بسط نفوذهم وإقامة حكمهم في عموم اليمن ، فقد ركزوا اخيرا على القضاء على سائر الإمارات اليمنية المتناحرة

المتنافرة ، وعلى كل العناصر المناوئة لهم في اليمن ، وبالفعل تم لهم توطيد دعائم حكمهم في معظم انحاء اليمن .

٤ ـ وبحكم توطيد حكمهم في معظم اجزاء اليمن . فإنهم وفروا فيه الاستقرار والأمن والرخاء ، باستثناء مناطق في القسم الأعلى من اليمن ، فإنها ظلت مسرحاً للحروب المستمرة تقريباً بينهم وبين الإمام عبد الله بن حمزة ومن خلفه من الأشراف طيلة حكم بني ايوب في اليمن .

٥ ـ ظلت وحدة الحكام الأيوبيين في اليمن قوية متماسكة كوحدة الحكم فيه ، باستثناء فترة حكم نواب (توران شاه بن أيوب) التي شهدت صراعاً وحروباً قامت فيما بينهم ، حيث طمع كل نائب منهم بالاستقلال بما بنظره ، وطمع بعضهم بضم ولاية غيره من النواب الى ولايته ، وضرب كل نائب السكة باسمه ، وحرم على أهل ولايته التعامل بغيرها ، وظل الحال كذلك حتى قدم الطغتكين بن أيوب مجهزاً من اخيه صلاح الدين أيضاً ، ووضع حداً لذلك الصراع وتلك الفوضى ، وأعاد لحكم بني أيوب في اليمن وحدته واستقراره .

وباستثناء فترة حكم (المعز بن الطغتكين بن أيوب) التي اتسمت بالقلق والاضطراب وخروج الكثير من كبار رجال وقادة جيشه عنه ، والانضمام الى الإمام عبد الله بن حمزة المنافس الكبير والوحيد في عهد المعز للأيوبيين في القسم الأعلى من اليمن ، والذي كان يغريهم بالخروج عن الأيوبيين والانضمام اليه ، ويقلدهم المناصب الكبيرة في حكومته وقد ساعده على استمالة الكثير من قادة الأيوبيين في اليمن ، المسلك السيىء الذي سلكه الملك المعز الأيوبي معهم وحتى ادى نفورهم منه الى قتله كما علمنا .

كما ساعد الإمام على تحول قادة وكبار رجال الدولة الأيوبية في اليمن من الملك المعز الأيوبي اليه أي الإمام ادعاء المعز الخلافة ، وشحه عليهم واكرامه للشعراء ونحوهم .

ولا صحة في نظري لما رواه بعض المؤرخين من انه قد اعتنق المذهب الإسماعيلي ، أو ادعى النبوة ، ذلك انه كان له اعداء كثيرون من الأيوبيين ومن اليمنيين ، ولو كان اسماعيلياً لما هدم (دار العز) في مدينة جبلة ، الأثر الباقي للصليحيين دعاة الفاطمية الإسماعيلية في اليمن ، ولكان قد ابقى عليه احتراماً للمذهب والعقيدة الإسماعيلية اللذين اعتنقهما لو صح ذلك .

وقد ساعد الأيوبيين على بسط نفوذهم في اليمن واقامة حكمهم فيه عوامل عديدة ، منها :

١ ـ تعدد الإمارات اليمنية المتناحرة المتنافرة ، والتي لا يرتبط بعضها ببعض بأي رابط سياسي و عقائدي أو غيرهما .

٢ ـ انهيار الامارات اليمنية معنوياً امام الأيوبيين ، بانهيار اعتى الدول اليمنية تأريخياً ، وهي الدولة الفتية العتيدة دولة آل مهدي قبل غيرها ، والتي انهارت امام ضرباتها اكبر الدول في اليمن آنذاك وهي دولة آل نجاح وخمس وعشرون إمارة وسلطنة اخرى ، كان (آل مهدي) قد قضوا عليها ، ولأن الأيوبيين دحروا الصليبيين من كثير من البلدان الإسلامية ، وحدوا من مطامعهم في البلاد العربية الإسلامية .

٣ ـ انهيار الامارات اليمنية مادياً ، بسبب تفككها وتجزؤ ها امام قوات الأيوبيين الكبيرة من الغز الأتراك ومن الأكراد والمصريين والشاميين وغيرهم ، والمجهزين بأقوى الأسلحة والعتاد في عهدهم ، يساندهم اشراف المخلاف السليماني في أولى حربهم مع اليمنيين ، والتي ركزوا فيها على القضاء على آل مهدي ، ويساند الأيوبيين ايضاً كثير من اليمنيين الذين سئموا التمزق والانقسام والتجزؤ والاضطرابات الداخلية ، وما سببه كل ذلك من حروب مستمرة بين مختلف الزعامات في اليمن متعددي الاتجاهات والنزاعات ، ومختلفي الأغراض والأهواء ، ومتنوعي المطامع والطموحات وقد حاولت العديد من تلك الامارات

والسلطنات اليمنية ان تُجَمِّع نفسها بشكل أو بآخر في وجه الأيوبيين اثناء حربها معهم ، ولكن عمق تجزئها وتفككها الى جانب خيانة بعض الزعماء ومساندتهم للأيوبيين لأغراض سياسية مختلفة حال دون توحيد اليمنيين ، ودون تحقيق الغاية من تلك المحاولات التي لم تُبْنَ على اساس تضامني متين .

أمّا عن الحكم الأيوبي نفسه في اليمن فإنه اتّسم بالقوة والنهضة والعزم ، وحقق الوحدة اليمنية الى حد ما ، كما حقق الأمن والاستقرار بعد توطيده وتقنينه ووضع قواعده ، واقرار منهج الحكم فيه على غرار منهج الحكم الأيوبي في مصر .

وهذا باستثناء القسم الأعلى من اليمن الذي ظلّ مسرحاً للحرب والاضطرابات بين الأيوبيين والاشراف ومن وراءهم من اليمنيين طيلة الحكم الأيوبي في اليمن .

وباستثناء فترة حكم الملك (المعز بن الطغتكين) الأيوبي الذي لم يحسن تعامله مع رجال دولته وكبار قادة جيشه ، وحاربوه وحاربهم وخرجوا عليه ، وانضموا الى خصمه العنيد الإمام عبد الله بن حمزة ، ولم يكتفوا بذلك بل تآمروا عليه وقتلوه خارج زبيد كما علمنا .

الناحية الإجتماعية

لم يغير حكم بني أيوب في اليمن شيئاً من الناحية الإجتماعية ، فالروابط اليمنية ما زالت مبنية على اواصر القرابة والدم حيث كان المجتمع اليمني ما يزال يتكوّن من قبائل تحتفظ بعصبية القبيلة ، وبأعرافها وعاداتها وتقاليدها ، وهذا المجتمع القبلي المحتفظ بقبليته هو في الريف ، وهو امّا بدو رحّل ، أو فلاحون ، والقليل منهم من يمتهن التجارة أو غيرها .

أمّا الأفراد الذين ينتقلون من الريف الى المدينة التي تتعدد فئات مجتمعها ، فإنّ عصبيتهم القبلية تتلاشى على مرّ الأيام ، وتصبح عادات المدينة وتقاليدها هي التي تسود وتستحوذ عليهم ، وتتحكم في سلوكهم .

أمّا كون ذلك المجتمع بشكله العام اقطاعياً أو غير اقطاعي ؟ فإنه ليس لدينا مراجع يمكن الرجوع اليها في هذا الخصوص ، وأغلب الظن انه لا سلوك اقطاعي في اليمن يستغل به المالك المستأجر ، وإن كان يوجد ملاك كبار ولكنهم بالمعنى المفهوم لملاك كبار قلة في المجتمع اليمني ، ومع ذلك فعلاقة المالك بالمستأجر علاقة حسنة ولو على الأقل منذ اعتنق اليمنيون الاسلام ، إذ أنّ المالك لا يأخذ من المستأجر إلا ما يقتضيه العرف وهو ربع الحاصل من الثمرة أو الثلث على الأكثر اذا لم يشارك المالك الأجير في تكاليف الحرث ، أو يقوم بدفع الزكاة عن الأرض التي يؤجرها ، وفي مثل هاتين الحالتين فإنّ المالك لا يأخذ اكثر من نصف الحاصل من الثمرة من الأجير ، كما انه لم يكن في ذلك التأريخ في عهد حكم بني أيوب في اليمن مؤسسات للرعاية الإجتماعية ، لا دولية ، ولا نقابية حتى ولا بشكل جمعيات خيرية ، وعلى نحو ما هو موجود اليوم .

الناحية الاقتصادية

كانت الموارد الثابتة للدولة في ذلك التأريخ وفي عهود كثيرة قاصرة على الزكوات ومن الضرائب المختلفة من التجارة والتعدين والتصنيع المحدودين .

أمّا الدخل القومي فهو كما هو معروف من الزراعة والتجارة ومن مختلف المهن الحرة بالنسبة للقطاع الخاص ، ومن الرواتب بالنسبة للجيش وسائر الموظفين .

وبوجه عام فإنّ الإقتصاد يزدهر عادةً بتوفر الاستقرار السياسي الذي يوفر بالطبع الأمن والرخاء .

الناحية العمرانية

وحيث يزدهر الاقتصاد ، ويتوفر الرخاء والأمن يزدهر العمران كما علمنا . وحيث تظل أي منطقة مسرحاً للحرب كما هو الحال في القسم

الأعلى من اليمن في عهد الأيوبيين والأشراف فإن العمران يركد، بل ويصاب بالدمار والخراب ، كنتيجة حتمية لاختلال الأمن وفقدان الإستقرار . وكم هدمت الحرب مدناً وعواصم كما هو معروف ، بل انّ المدن الكبرى والعواصم والمراكز التجارية هي المعرضة دائماً للخراب والدمار في ظل الاضطرابات والحروب .

الفصل الثالث من فصول تاريخ
حكم الأئمة في اليمن
(٥٨٣ - ٦٣٦ هـ)
(١١٨٥ -١٢٣٩ م)

انتهى الفصل الثاني من الفصول الخاصة بحكم الأئمة في اليمن بالإمام احمد بن سليمان .

ولمّا كان الإمام (عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة بن أبي هاشم) هو الذي دعا بعده وقبل قيام دولة بني رسول التي قامت على انقاض دولة بني أيوب ، فإنه كان تقديم هذا الفصل الثالث من حكم الأئمة الزيدية على فصل دولة بني رسول وكما هو متبع في ترتيب فصول هذا الكتاب .

وساكتفي في الفصل الثالث للأئمة هذا بذكر اهم الحوادث التي انفردوا بها عن الأيوبيين والرسوليين .

أما الأحداث مع هاتين الدولتين والتي كانت قد ذكرت في فصل دولة الأيوبيين وستذكر في فصل دولة بني رسول فإنها لا تذكر هنا إلا بصورة مجملة أو بإشارة عابرة للتذكير بها والتنبيه اليها .

الإمام عبد الله بن حمزة

دعا[1] الإمام عبد الله بن حمزة في الجوف في عام ٥٨٣ هـ ، ثم

---

(١) ائمة اليمن من ص (١٠٨) و(اليمن في ظل الإسلام) من ص ٢١٥ .

انتقل الى بلاد صعدة ، واستقبله فيها الأميران (يحيى) و(محمد) ابنا يحيى بن أحمد من اولاد الإمام الهادي يحيى بن الحسين مع جماعة قليلة من قبيلة خولان بن عمرو بن عامر بن قضاعة الى حقل صعدة ، وبايعوه ، ثم دخلوا به مدينة صعدة ، ووالاه الكثير من اليمنيين في المنطقة رغبة منهم في التخلص من حكم بني أيوب ، ولكنه لم يتمكن من القيام بتحرك يذكر في سبيل توطيد حكمه إلا منذ جدد دعوته في عام (٥٩٣ هـ) وهو عام وفاة (الطغتكين بن أيوب) الذي قدم الى اليمن بقوة كبيرة من الفرسان والمشاة مجهزاً من أخيه (صلاح الدين بن أيوب) في عام (٥٧٩ هـ) حيث ساعده على التحرك الإيجابي بعد وفاة الطغتكين اضطراب امر الأيوبيين في عهد المعز بن الطغتكين بن أيوب الذي خلف أباه ، وذلك بسبب خروج كبار رجال دولة المعز وقادة جيشه عليه ، وانضمامهم الى الإمام المذكور ، ثم وقوع الملك المعز قتيلاً على ايدي الأكراد من جنده في زبيد كما علمنا في الفصل الخاص بتأريخ الأيوبيين .

ولما استتب الأمر واستقر للأيوبيين في عهد الملك (الناصر أيوب بن المعز) وحتى وفاته، ضعف بالمقابل جانب الإمام عبد الله بن حمزة ، ثم تراجع بعض الشيء في عهد الملك (سليمان بن تقي الدين) الذي خلف الملك الناصر أيوب المذكور ، والذي اتسم عهده بالضعف والاضطراب بسبب اختلافه مع كبار رجال دولته وقادة جيشه ، وبسبب انهماكه في اللهو والنساء .

ولمّا وصل الى اليمن الملك (المسعود الأيوبي) واستقرت الأمور للأيوبيين في اليمن في عهده، ضعف بالمقابل مرة اخرى جانب الإمام عبد الله بن حمزة ، ولكنه مع ذلك ظل في حرب مع الملك المسعود الأيوبي بن الكامل المذكور ، الى وفاته وقيام ولده الأمير عز الدين محمد بن عبد الله بن حمزة في عام ٦١٤ هـ كما سنعلم .

الإمام عبد الله بن حمزة وآل حاتم

والى[٢] السلطان (علي بن حاتم) الإمام عبد الله بن حمزة في بداية عهده حيث بعث اخاه السلطان (بشر بن حاتم) اليه الى هجرة (معين) في بلاد صعدة عقب دعوته الأولى لتأكيد ولائه له .

ويبدو أنّ السلطان علي بن حاتم خلد الى الهدوء والسكينة في مقره بحصن (ذي مرمر) حتى توفي فيه في عام ٥٩٧ هـ ، أمّا اخوه بشر بن حاتم فلم يستقر امره على حال واحدة ، حتى لقد والى السلطان المعز الأيوبي في آخر ايامه ، وكان مقتل المعز كما علمنا من فصل الأيوبيين في عام ٥٩٨ للهجرة .

الإمام عبد الله بن حمزة والمطرفية

حارب[٣] الإمام عبد الله بن حمزة جماعة تعرف بالمطرفية نسبة[٤] إلى زعيمها (مطرف بن شهاب) وذلك في عام ٦١١ هـ ، ورماها بالابتداع ، وأخرب مساجدها في متنزه (سناع) وفي غيره ، وكانت مراكزها الرئيسية في قاع البون من بلاد حاشد ، وفي بني مطر وفي سناع وقتل عدداً كبيراً منهم وشرّد عدداً آخر الى بلاد آنس وغيرها ، كما هدم كثيراً من دورهم وقراهم ، وذكر مؤلفا كتاب (الصليحيون[٥] والحركة الفاطمية في اليمن) أنّ الإمام المذكور عمر مسجداً في ظفار ذي بين وكتب فيه :

(لا يدخلنك ما بقيت مطرفي)

وأنّ احد المطرفية ردّ عليه بقوله :

---

(٢) ائمة اليمن من ص ١٠٨ و(اليمن في ظل الإسلام) من ص ٢١٥ .
(٣) محمد بن محمد زبارة في (ائمة اليمن) ص ١٣٥ .
(٤) الإستاذ عبد الله الحبشي في (حياة الأدب اليمني في عهد بني رسول) ص ٥٠ .
(٥) ص ٢٨٩ .

أو مـا علمت بـأنّ كـل مـطرفي　　عمـا عملت من الكنائس مكتفي
انتم وقبلتكم ومسجـدكـم معـاً　　كـذبالـة في وسط مصباح طفي

وكان السيد(٦) محمـد بن منصـور بن المفضـل بن الحجاج عبـد الله بن يحيى بن احمـد الناصـر بن الإمـام الهـادي يحيى بن الحسين، قـد خـرج عـلى الإمـام عبـد الله بن حمـزة في عـام (٦١٠ هـ) وانضم الى المـطرفيـة ولقب بـالمشرقي ، وأنكـر على الإمـام تكفيره لهم ، وتـابعه أهـل بلاد مسـور حجـة وبـلاد المغارب من بجمير بلاد حجـة ايضـاً ، وكـانت هـذه المنـاطق هي أهم مناطق نفوذ الداعية الأول للفاطميين (الحسن بن حوشب) كما عرفنا .

ولعلّ الدافع لقيام الإمام عبد الله بن حمزة بحرب الفرقة المـذكورة هـو خـروج السيد محمـد بن منصور بن المفضـل المذكـور ومساعـدتهم له ودعـوته الإمامة لنفسـه ، ومعارضتـه اياه ، وقـد جهز الإمـام عبد الله لحـرب منافسـه جيشاً بقيادة اخيه (يحيى بن حمزة) فلم يظفر به .

في حـين أنّ حسن(٧) بن محمـد المعـروف بـابن النســاخ من آنس ومن المطرفية ايضاً خرج الى بغداد ، وتقدم الى الخليفة العباسي (النـاصر احمـد) بـرسالـة كبيرة نـظماً ونثراً ، يشكـو فيها الإمـام عبد الله بن حمـزة ، ويحـرض الخليفـة العباسي عـلى تجهيـز جيش الى اليمن لحـرب الإمـام المذكور ، ومن رسالته تلك قوله بعـد المقدمـة : « وبعد ذلـك تحضه عـلى الاستعداد لإطفـاء نـار تأججت في اليمن ، اذكى وقـودها قـائم من بني الحسن ، تمالى مـع اهل اليمن عـلى نصرتـه ، وسـارعـوا الى جمعتـه وجمـاعتـه ، وعقـدوا لـه الألـويـة والبنود ، واطاعوا أمره كطاعة الملك المعبـود ، وحشدوا لـه الرعيـة والجنود ، ولقـد قدر علينـا واستظهـر ، فعند ذلـك اصدع بمـا تؤمـر ، فقـد اعـذر من انذر » .

---

(٦) و(٧) ائمة اليمن من ص ١٣٤ . وهو أخو السيد محمد العفيف وزير الامام عبد الله بن حمـزة والذي لقب بالوزير وعرف نسله بآل الوزير في اليمن .

الى ان قـال : « وقـد بلغت دعـوتـه جيـلان وديلمـان ، وطنجـة واصفهان ، فماذا بعد اشتهاره بـالقيام تنتـظرون ؟ فكأني والله بمـا آمله فيكم يكون » شعراً :

وتـصهـل في اكـنـاف دجلة خـيله ... وتضرب فوق الشط منهـا مضاربـه
ويمسي قضيب الملك ملكـاً لكفـه ... وخـاتمـه في خنصـر هـو صـاحبـه
ويـدخـل بغـداداً ويقتـل أهلهـا ... ويفني بسلب الملك من هـو سالبـه
ويـطلع فـوق المنبر الأسمـر الـذي ... خليفتنـا لـلأمـر والنهي راكبـه
مـقـالـة حق ان ونيتـم رأيتـمـو ... بداركمو ما الكف بالـطرس كاتبـه
ومن لم يخلف مـن غائلات عـدوه ... فـرت نحـره انيـابـه ومخـالبـه
ومن جعـل التفريط والعجـز دأبه ... وجانب رأي الحزم اعيت مـطالبـه
عـلى مـلك الإسـلام الف تحيـة ... اذا بـلغـتـهـا خـيـله وكـتـائـبـه

وقد[٨] حثّ الخليفة العباسي (الناصر احمد بن المستضيء) المذكور الملك الكامل الأيوبي على ان يحفظ اليمن ، وأن لا يتهاون بأمره ، فأرسل الملك الكامل ولده (المسعود) ، والأتابك (فليت) الى اليمن ، ووصلا زبيد ، في عام (٦١٢ هـ) كما علمنا في فصل بني أيوب .

وبعث الإمام[٩] عبد الله بن حمزة بدوره برسالة الى الخليفة العباسي الناصر احمد المذكور يستنكر فيها على الخليفة تهاونه بأمور الدين ، كما عزّز الرسالة بقصيدة جاء منها قوله :

يـا أهـل بغـداد أنّ الله سـائلكم ... عن ملة الـدين اذ غيـرتمـو فيهـا
انتم عـيـون بني الأيـام قـاطبـة ... في النـائبـات ولكنّ القـذى فيهـا
قـد اشتملتم عـلى عميـاء مـظلمـة ... لا يهتـدي بنجـوم الحق هـاديهـا
أنّ الخـلافـة امـر هـائـل خـطر ... صعب مسـالكهـا صعب مـراقيهـا
لـو كـان مـا انتمـو فيـه عـلى سنن ... قام المريض الى المرضى يداويها

(٨) الدكتور محمد عبد العال أحمد في (بنو رسول وبنو طاهر) ص ٣٥ .
(٩) لئمة اليمن ص ١٣٩ .

وهي قصيدة طويلة نشرت في المصدر المذكور .

وفاة الإمام عبد الله بن حمزة

وقد توفي الإمام عبد الله بن حمزة في كوكبان عام ٦١٤ هـ عن اثنتين وخمسين سنة من مولده ، ونحو عشرين سنة من دعوته الثانية ، ودُفن في ظفار ذي بين .

وقد كـان الإمام عبد الله بن حمزة من أقوى ائمة الزيدية في اليمن ومن اكثرهم نهضة وعزماً وصبراً وجلداً لولا انه صادف دولة منافسة اقوى منه هي دولة الأيوبيين في اليمن .

الإمام الداعي يحيى بن محفوظ والمحتسب عز الدين بن عبد الله بن حمزة

وقد[11] دعا (يحيى بن محسن بن محفوظ) من اولاد الإمام الهادي يحيى بن الحسين في شهر صفر من عام(٦١٤ هـ) ، وكانت دعوته في بلاد صعدة ولقب بالمعتضد بالله .

كما قام الأمير عز الدين بن عبد الله بن حمزة محتسباً في نفس الشهر من نفس العام ، لأنه لم يستوف الشروط المقررة في المذهب الزيدي للإمامة .

فأمّا الإمام ابن محفوظ فإنه تجول بعد دعوته في بلاد صعدة يدعو القبائل الى مناصرته والإلتفاف حوله .

ثم قصد بمن اجتمع حوله مدينة صعدة ، ولكنه وجد السادة الحمزات وفي مقدمتهم الأمير عز الدين المذكور قد سبقوه اليها وتعذر عليه دخولها ، فانصرف عنها الى بلاد حاشد ، حيث وصل فيها إلى محل يقال له الحموس قبلي بلاد الأهنوم ، وفيه التفّ حوله عدد كبير من قبائل الأهنوم الذين تقدم بهم نحو مدينة صعدة لحرب الحمزات فيها ومحاولة الاستيلاء عليها والانطلاق منها ، لأنها كانت المركز الرئيسي للإمامة ، وقامت حرب بينه وبين الحمزات كانت سجالاً بينهما .

---

(١٠) نفس المصدر ص ١٤٢ .

(١١) زبارة في ائمة اليمن ص ١٤٣ .

ولمّا عرف الإمام ابن محفوظ ضعف جانبه وعدم تمكنه من الاستيلاء على مدينة صعدة انصرف عنها الى بعض بلاد الشام (بلاد صعدة) وخلد الى الدعة والسكون حتى توفي فيها في عام (٦٣٦ هـ) عن اثنتين وثلاثين سنة من دعوته ،وكان(١٢) الإمام ابن محفوظ يردد في بداية دعوته قوله :

انا كنز الله في الأرض وما ... قلت في دعواي هذا كذبا
وأمين الله في الخلق فهل ... بعد هذا ابتغي لي مكسبا
وإذ صدّت معدّ لم نُلَم ... إنْ دعونا للعلى أبنَا سبا
حمير الشم وكهلان الأولى ... كرموا فرعاً وطابوا منصبا

وأمّا (١٣) الأمير المحتسب عز الدين بن عبد الله بن حمزة فقد كانت له حروب مع الأمراء الرسوليين في غيبة الملك المسعود الأيوبي في مصر ، وسجلت الحرب الانتصار للرسوليين ، واصيب الأمير عز الدين مع ذلك برمية اصابت احدى عينيه بالعور ، انتقل بعد تلك الحرب الى مدينة ثلا ومرض فيها ، ثم نقل الى ظفار الظاهر في ذي بين وتوفي فيها عن اثنتين وثلاثين سنة من عمره وعشر سنوات من احتسابه في دعوته ، ودفن الى جانب ضريح والده في ذي بين .

---

(١٢) نفس المصدر ص ١٤٥ .
(١٣) نفس المصدر أيضاً ص ١٤٨

دولة بني رسول
(٦٢٨ - ٨٥٨ هـ)
(١٢٣١ - ١٤٥٥ م)

مر بنا في فصل (بني ايوب) أنّ آخر ملوكهم في اليمن وهو الملك (المسعود يوسف بن الكامل محمد بن العادل ابي بكر بن أيوب) لّما غادر اليمن للمرة الثانية والأخيرة الى أبيه الى الشام في عام (٦٣٦ هـ) أناب عنه في اليمن الأمير (نور الدين عمر بن علي رسول) .

وأنّ الملك المسعود الأيوبي المذكور كان قبل ان يغادر اليمن قد قبض على اخوته الأمراء بدر الدين حسن وفخر الدين أبو بكر وشرف الدين موسى ، وأرسلهم مقيدين الى مصر ، وبذلك افسح المجال امام الأمير نور الدين عمر للاستيلاء على حكم اليمن ، يساعده وفاة الملك المسعود في مكة قبل ان يصل الى الشام ، كما ساعده على الاستيلاء على حكم اليمن لنفسه نيابة الملك المسعود له على اليمن فصار يبدل ولاة الحصون والمناطق بمن يثق به ويعتمد عليه ، استعداداً لاستيلائه على الحكم كما سنعلم .

وقد كان يبدل الولاة بحكم نيابته وباسم بني ايوب .

أمّا نسب هؤلاء الأمراء الأربعة فهم ابناء الأمير (علي بن رسول محمد بن هارون بن أبي الفتح بن نوحي بن رستم) ، وكان الأربعة يتسمون بالنبل والشجاعة ، ولا سيما الأمير (بدر الدين حسن) فقد ذكر المؤرخون انه كان لا يقوم به في الحرب عدد ، وكان الأمير شرف الدين موسى يتميز مع ذلك بالأدب ، وهو القائل (يهدد بالاستيلاء على دولة بني ايوب في اليمن) :

نـكـــون حـمــاتهــا ونــذبّ عـنهـــا ويــأكــل فضلهـــا القـــوم اللئــآم
مــعـــاذ الله حـتى نــنـتــقـيــهـــا عتــائق في العجاج لهــا ابتســـام

كما كان الملك المنصور (نور الدين عمر) يتميز ايضاً بحسن السياسة وسداد الرأي ، ولذلك اختصه الملك المسعود الأيوبي دون اخوته بالثقة ، وولاه عـدة ولايات ومنها مكة ، وأنابه عنه في كلتا المرتين اللتين غادر اليمن فيهما الى أبيه .

كما شغل اخوته عدة ولايات في عهد الملك المسعود الأيـوبي ، وتولى[1] والدهم الأمير (شمس الدين علي بن رسول) في عهد الطغتكين بن أيوب اعمال حيس في تهامة ، ثم اعمال حصن حب في بعدان من أعمال اب الى موته في عهد الناصر بن المعز بن الطغتكين بن أيوب .

وقد[2] كان قدوم الأمير (علي رسول) وأولاده الأربعة مع قدوم (الطغتكين ابن أيوب) وقلده أول ما قلده امارة جيشه في اليمن .

أمّا والده (رسول محمد بن هارون) فقد كـان وزيراً للخليفـة العباسي المعاصر له ورسوله إلى الملوك بدون رسائل إعتماداً على كماله ولباقته ، وكـان يعود من عندهم الى الخليفة العباسي بدون رسائل كذلك ، أي أنه كان يقوم بما يعرف اليوم بنقل الرسائل الشفوية .

وأما اسرة بني رسول عموماً فانهم من التركمان[3] فيما هو معروف ، ولكنهم لكي يُكسبوا حكمهم في اليمن الصفة الوطنية اشاعوا في بداية عهد الملك المظفر (يوسف بن عمر بن علي رسول) ثاني ملوك بني رسول في اليمن انهم من نسل (جبلة ابن الأيهم) آخر ملوك الغساسنة اليمنيين الذين نزحوا من اليمن بعد خراب سد

---

(١) و(٢) الخزرجي في العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام والثقافة ص ١٩١ .

(٣) التركمان شعب تركي في بلاد التركستان والقوقاز بآسيا الصغرى أهـ من دائرة معارف القرن العشرين (لمحمد فريد وجدي) المجلد الثاني ص ٩٧٠ .

مأرب ، وأقاموا لهم دولة على مشارف الشام ، وأنّ اسلاف بني رسول نزحوا من الشام الى التركمان ، واختلطوا بقبائلهم وتعلموا لغتهم ، وانقطعت اخبارهم عن العرب حتى نسبوا الى التركمان ،ولا دليل يثبت هذا الإدعاء الذي حاول الملك المظفر ان يدعمه في كتابه (طرفة الاصحاب في معرفة الأنساب) ، و لم يُقنع الباحثين .

كما أنّ[4] أول ملوك دولة المماليك التي خلفت دولة بني أيوب في مصر والشام وهو الملك المملوكي (عز الدين ايبك) هو مملوك تركماني ومن مماليك الوزير (رسول محمد بن هارون) جد بني رسول المذكور .

كما أشاع الملك المنصور (عمر بن علي رسول) انّ الملك المسعود الأيوبي قال له عند مغادرته لليمن : اني قد عزمت على السفر ، وقد جعلتك نائبي على اليمن ، فإن متُّ فأنت أولى بملك اليمن من اخوتي ، لأنك خدمتني وعرفت منك النصيحة والاجتهاد ، وان عشتُ فأنتَ على حالك ، ولا تدع احداً من أهلي يدخل اليمن ولو جاء والدي مطوياً في كتاب » .

وقد اشاع الملك المنصور الرسولي ذلك القول ليضفي على حكمه الصفة الشرعية بحكم ان ذلك القول من المسعود يعتبر تنازلاً شرعياً منه للملك المنصور عن حكم اليمن .

وهذه الإشاعة ايضاً لا دليل يدعمها .

بل ومما يؤكد عدم صحتها ما ذكره الخزرجي[5] في تأريخه مضيفاً الى ذلك القول وهو قول الملك المسعود الأيوبي للأمير نور الدين : « فاذا الح عليك والدي اعلمتني ، حتى اجتمع انا وعمي الأشرف عليه ونحاربه ونشغله » .

لأنه ليس من المعقول ان يحارب الملك المسعود والده لأجل نائبه في اليمن ،

---

(٤) الدكتور عصام الدين عبد الرؤوف الفقي في كتابه (اليمن في ظل الإسلام) ص ٢٣٦ .

(٥) نفس المصدر (اليمن في ظل الإسلام) استناداً الى العقود اللؤلؤية للخزرجي ص ٢٣٨ .

ووالده هو الذي اسند اليه ولاية اليمن ، ثم امره بأن ينوب عنه فيه وينتقل عنه الى الشام والياً عليه .

كما يؤكد عدم صحة تلك الإشاعة التي اطلقها الأمير نور الدين الرسولي بعد سفر الملك المسعود الأيوبي من اليمن قوله(٦) : « تقف انت نائباً حتى يصلك امر بتسليم البلاد لمن يتعين له ، وتلحقنا بعد ذلك الى الديار المصرية » .

مراحل استيلاء الملك المنصور الرسولي على الحكم في اليمن

يبدو انّ فكرة استيلاء (بني رسول) على الحكم في اليمن من (بني ايوب) بدأت اثناء الغيبة الأولى للملك المسعود الأيوبي عن اليمن في مصر ، والتي دامت من عام (٦٢٠ هـ) الى عام (٦٢٤ هـ) حيث برزوا على مسرح الأحداث في هذه الفترة ، وصمدوا في وجه الثائر على الدولة الأيوبية في اليمن (مرغم الصوفي العنسي) الذي ثار في بلاد يريم ، وكاد ان يتغلب على الموقف ، لولا صمود الأميرين (نور الدين عمر) و(بدر الدين حسن) ابني علي رسول وتشتيت جموعه الغفيرة التي التفّت حوله من بني سيف وبني مسلم من بلاد يريم ومن بلاد عتمة وقبيلة جنب وقبيلة عنس من بلاد ذمار ، وغيرها ، والقضاء على حركته كما عرفنا في نهاية فصل (بني أيوب) .

وبرز بنو رسول ايضاً في دحرهم للأشراف عن صنعاء في وقعة عصر ، وكان في مقدمتهم الأمير عز الدين محمد بن عبد الله بن حمزة كما عرفنا ايضاً في نهاية الفصل المذكور .

وفي البيتين السالف ذكرهما والذين انشأهما الأمير شرف الدين موسى بن علي رسول وهما :

نكون حماتها ونذبّ عنها ويأكل فضلها القوم اللئام
معاذ الله حتى نتنقيها عتائق في العجاج لها ابتسام

---

(٦) الدكتور محمد عبد العال أحمد في كتابه (بنو رسول وبنو طاهر) ص ٥٩ استناداً الى السمط الغالي الثمن لبدر الدين محمد بن أحمد بن حاتم .

ما يؤكد وجود فكرة استيلائه واخوته على اليمن من بني أيوب ، ورسوخ الفكرة لديهم وعملهم لتحقيقها .

ولقد(٧) قال بعض عسكر بني أيوب عند سماع البيتين المذكورين: خرجت اليمن من بني أيوب ورب الكعبة .

أما مراحل استيلاء الملك المنصور نور الدين عمر بن علي رسول على الحكم في اليمن فقد بدأها بإرسال وفد الى الملك الكامل الايوبي الى مصر يعزيه بوفاة ابنه الملك المسعود في مكة ، وبعث له مع الوفد بهدية جليلة وباموال وفيرة ، وضمن بذلك ثقة الملك الكامل به ، وتأكيد نيابته على اليمن بمرسوم بعث به الملك الكامل مع رده عليه صحبة الوفد .

ومن(٨) ثمة بدأ يبدل ولاة الحصون والمناطق بمن يثق بهم ويطمئن الى ولائهم . وظل مع ذلك على اتصال دائم بالملك الكامل طيلة عامين كاملين لضمان دوام ثقته به ، وعدم قيامه بارسال نائب بدلاً عنه .

وقد(٩) بدأ بسط نفوذه في تهامة حيث وصل اليها وابدل ولاتها بمن يعتمد عليهم استعداداً لإعلان استقلاله بحكم اليمن وقرّر قواعدها ، ثم عاد الى تعز ، وذلك في عام (٦٢٦ هـ) وهو نفس العام الذي غادر فيه الملك المسعود الأيوبي اليمن للمرة الأخيرة كما عرفنا .

وفيها قرر قواعدها وحاول الاستيلاء على حصن تعز لتغيير علم الدين سنجر الشعبي والي الأيوبيين فيه ، ولكنه امتنع عليه ، فضرب عليه نطاقاً من الحصار .

وغادر تعز الى عدن في بداية عام (٦٢٧ هـ) وبسط نفوذه عليها وولى عليها . ثم عاد الى تعز ، وشدد فيها الحصار على حصنها (القاهرة) ، وتحرك الى صنعاء .

---

(٧) الخزرجي في العسجد المسبوك ص ١٩١ .

(٨) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ١٩٤

(٩) نفس المصدر ص ١٩٣ .

ولمّا علم نائب الدولة الأيوبية عليها الأمير (نجم الدين احمد بن زكريا) بتحرك الملك المنصور من تعز نحو صنعاء ارتفع الى حصن براش للامتناع فيه ، ودخل الملك المنصور صنعاء دون اي مقاومة من حاميتها وولى نور الدين عليها ابن اخيه الأمير (أسد الدين محمد بن حسن بن علي رسول) .

ثم عاد الى تعز ، واستولى[١٠] فيها على حصنها صلحاً على يد المكين المصري صاحب دواوين الملك المسعود الأيوبي في اليمن ، وكان رجلاً عاقلاً معروفاً بحسن السياسة .

وتزوج في هذا التأريخ بأرملة الملك المسعود ابنة الأتابك سيف الدين المعروفة بابنة جوزة .

وهنا قال الخزرجي مضيفاً : « وكان زمامها (الطواشي نظام الدين محيص) وكان محيص لبيباً عاقلاً كاملاً في خدمة الملوك ، ولمّا انتظم عقد النكاح ولم يبق إلا الدخول استدعى الطواشي محيص وقال له : « أي رأي ترى ؟ فإن هذه امرأة لا أعلم ما في ضميرها ولا ما هي منطوية عليه من حسن أو قبيح من خفيات الأمور » فقال له الطواشي : « قد ادركت ما حرصت عليه ، ولكنني قد خَبَرْتُ ما لم تَخْبُرُ ، فتقدم وادخل عليها على اسم الله ، فلما دخل عليها لم ير إلا خيراً ، ورأى من القبول والإقبال ما لم يكن في ظنه » .

واقام في تعز فترة غادرها بعدها الى صنعاء مرة ثانية ، وفيها شدد الحصار على الأمير نجم الدين احمد بن أبي زكريا في حصن براش وذلك في شهر رمضان من العام المذكور (٦٢٧ هـ) ، وكان امر اعتصام ابن أبي زكريا في حصن براش يشغل باله خشية ان يستمر اعتصامه فيه ، ويلجأ اليه الأشراف الذين لم يكن الأمير نور الدين عمر بن علي رسول قد وضع حداً لنفوذهم ، أو كسبهم الى صفه .

ثم قام[١١] بزيارة آل حاتم في مقرهم بحصن ذي مرمر ، واليه قدم عليه

---

(١٠) نفس المصدر والصفحة .

(١١) الخزرجي في العسجد المسبوك ص ١٩٤ .

الأشراف بزعامة الأمير (يحيى بن حمزة) أخي الإمام المتوفي (عبد الله بن حمزة) وأولاد الأمير يحيى بن حمزة والأمير شمس الدين احمد بن عبد الله بن حمزة وغيرهم وعقدوا معه صلحاً تبادل[١٢] الجانبان الرهائن لضمان دوامه وعدم الخروج عليه ، فرهن الأمير نور الدين عند آل حاتم عنه ولده الأمير المظفر يوسف بن عمر بن علي رسول ، كما رهن الأشراف عنهم لدى آل حاتم أيضاً الأمير داود بن عبد الله بن حمزة ، وحثّ الأشراف الأمير نور الدين على الاستيلاء على الحكم في اليمن بدلاً من بني أيوب ، ولم يقم بينه وبينهم أي حرب أو خلاف الى قيام الإمام (احمد بن الحسين في عام (٦٤٦ هـ) باستثناء الخلاف الذي قام بين الأمير نور الدين والأمير يحيى ابن حمزة في بلاد حجة ، وقد سويّ الخلاف كما سنعلم .

وبموجب الصلح الذي عقده الأمير نور الدين مع الأشراف أقرهم واقر آل حاتم على ما بأيدي كل منهم وأكرمهم جميعاً .

ولّما علم[١٣] الأمير نجم الدين احمد بن أبي زكريا المعتصم في حصن براش بأمر تصالح الأمير نور الدين مع الأشراف ومع آل حاتم انهارت معنويته ، وتيقن عدم جدوى اعتصامه في حصن براش ، كما أطمأنّ الى سماحة الأمير نور الدين مع مناوئيه ، فراسله يطلب منه تأمينه حتى يسلم نفسه اليه ، فأمنه الأمير نور الدين واحسن استقباله وإكرامه ، ثم استصحبه الى تعز وزوجه بأخته واعتمد عليه في عدد من الأعمال الهامة .

وحسم بذلك جانباً من جوانب الخلاف الذي يشكل عقبة في طريق اعلانه الاستقلال بحكم اليمن عن بني ايوب .

اعلان المنصور عمر بن علي رسول استقلاله عن الأيوبيين

لّما أكمل الأمير نور الدين عمر بن علي رسول عامين كاملين منذ غادر الملك المسعود الأيوبي اليمن ، وضع الأمير نور الدين خلالها الأسس اللازمة لإقامة دولة

---

(١٢) الدكتور محمد عبد العال أحمد في كتابه (بنو رسول وبنو طاهر) ص ٩٦ .

(١٣) الخزرجي في العسجد ص ١٩٤ .

بني رسول في اليمن خلفاً لبني ايوب اعلن استقلاله بحكم اليمن وكان ذلك في أواخر عام (٦٢٨ هـ) .

وقد اتخذ مدينة تعز عاصمة لدولته وتلقب بالمنصور .

ومع ذلك فلم يضرب السكة باسمه ويأمر بالخطبة له دون الأيوبيين إلا بعد قيامه بغزو مكة في عام (٦٢٩ هـ) .

وقد ساعده على الاستقلال بحكم اليمن عدة عوامل أهمها :

١ ـ نيابة الملك المسعود له على اليمن عند سفره الأخير من اليمن .

٢ ـ وفاة الملك المسعود في مكة عقب سفره من اليمن .

٣ ـ سيطرته على الحصون والمناطق عن طريق الولاة الذين ابدل ولاتها بهم ممن يعتمد عليهم ويطمئن الى ولائهم خلال العامين الأولين من الحكم .

٤ ـ تأمين جبهة اشراف اليمن بالصلح معهم ، عن طريق آل حاتم وكسب بذلك ولاء حاتم له أيضاً ، وحث الأشراف له على الاستيلاء على الحكم في اليمن من بني ايوب .

٥ ـ قيام الملك المسعود قبل مغادرته الأخيرة لليمن بالقبض على اخوة الملك المنصور وارسالهم مقيدين الى مصر ، وازاح بذلك احدى العقبات التي كانت ستعترض طريقه للاستيلاء على الحكم ، أو تحول دون تحقيقه ، وكلهم اكبر منه سناً واكثر خبرة وتجربة بحكم فارق السن .

٦ ـ اضطراب الأمور على الأيوبيين في مصر والشام بسبب انقسامهم فيما بينهم الى فريقين ، فريق يؤيد الملك الكامل والي مصر ، وفريق يؤيد ابن اخيه الملك (داود بن المعظم عيسى بن أيوب) الذي خلف أباه على ولاية الشام .

وحتى بعد تغلب الملك الكامل على الملك داود واستيلائه على الشام بعد الاستعانة بالصليبيين واسناد ولايته الى ابنه الملك المسعود الذي توفي قبل وصوله اليها ، فإنه أي الملك الكامل عاد لحرب الصليبيين واشتغل بحروبه معهم عن

اليمن وبذلك لم يتمكن من التجهيز الى اليمن لاستعادة نفوذه فيه .

النزاع القائم بين الملك الكامل الأيوبي والملك المنصور الرسولي حول مكة

لمّا كان الملك المنصور الرسولي يقدِّر ولو من باب الاحتمال انّ الملك الكامل الايوبي لن يترك اليمن تنتزع من مملكته الكبيرة ، وهو الذي استطاع ان يوسعها من مصر الى الشام بما فيها فلسطين والى الحجاز ، فإنه أي المنصور قرر ان يتحدى الكامل بأكثر من استيلائه على الحكم في اليمن ، فانتزع من الأيوبيين حكم مكة والحجاز ، وأكدّ لهم بذلك رسوخ قدمه بحكم اليمن من ناحية ، وجعل الحجاز الخط الأمامي للدفاع عن اليمن في مواجهته للأيوبيين ..من ناحية أخرى ،

ولذلك[١٤] فإنه جهز قوة كبيرة من الفرسان الى مكة عام (٦٢٩ هـ) بقيادة الشريف (راجح بن قتادة) واستولى عليها بعد ان ابتعد عنها (الدغتكين) واليها للأيوبيين الى ينبع .

ولّما علم الملك الكامل الايوبي بالأمر جهز قوة كبيرة بقيادة (فخر الدين بن شيخ الشيوخ) استطاع ان يستعيد مكة الى نفوذ الأيوبيين ، ولكنه لم يتقدم خطوة واحدة نحو اليمن .

ومن ثمة بدأ صراع طويل بين الأيوبيين والملك المنصور الرسولي حول مكة والحجاز وليس حول اليمن . واستطاع الملك المنصور بذلك ان يحمي اليمن من غزو الأيوبيين .

وأيس الأيوبيون مع ذلك من استعادة حكمهم في اليمن وذلك لإهتمامهم بالحجاز اكثر لأن فيه المقدسات الإسلامية .

ولأنّ في التجهيز الى اليمن صعوبة بسبب وعورة مسالكه ، وارتفاع جباله الشماء التي يعرفونها .

---

(١٤) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ١٩٤ .

ولأن دولتهم لم تعد من الوحدة والقوة كما كانت في عهد مؤسسها (صلاح الدين) ثم في عهد ولده الملك العادل وقبل انقسام البيت الأيوبي على نفسه .

وبذلك صار الحجاز لا اليمن هو مسرح النزاع والحرب بين الأيوبيين والملك المنصور عمر بن علي رسول .

وصار الملك المنصور يغلب على مكة تارة ، والأيوبيون يغلبون عليها تارة اخرى ، حتى غزاها الملك المنصور بنفسه على رأس جيشه في عام (٦٣٩ هـ) واستولى عليها ولم يغلب عليها بعدها .

وقد[١٥] قضى شهر الصوم في مكة هذا العام ، وأبطل ما كان قائماً بها من المكوس ، وأزال ما كان فيها من المظالم ، وكتب بذلك وثيقة علقها فوق بئر زمزم قبالة الحجر الأسود بالكعبة .

وشرى من الشريف (أبي سعيد) قلعة ينبع التي كان اشراف مكة وولاة الأيوبيين على مكة كثيراً ما يلجأون اليها عند غزوه لمكة ، وأمره بهدمها .

وبنى المدرسة المنصورية في الجانب الغربي من الحرم ، ورباطاً بمكة يأوي اليه المسافرون ، وعمر مسجد التنسيم ، واعاد دار ابي بكر في زقاق الحجر[١٦] الى غير ذلك من الاصلاحات .

ووصل اليه (ابن برطاس) الى مكة مع جنوده للأيوبيين واعلنوا ولاءهم له ورغبتهم في خدمته ، فأنعم عليهم واستخدمهم في جيشه ، ثم عاد الى اليمن بعد ان ولى على مكة كلاً من الأميرين (فخر الدين اياس بن السلاخ) و(فخر الدين فيروز) .

وأرسل من اليمن قناديل الفضة والذهب للكعبة وظل يرسل الكسوة لها من اليمن .

هذا وفي احدى معارك الملك المنصور في مكة مع الأيوبيين وانتصاره فيها

---

(١٥) نفس المصدر ص (٢٠١) .

(١٦) لعل تلك المنشآت الخيرية قد طمست معالمها بتوسيع الحرم وبعوامل الأيام .

هنأه[17] الفقيه جمال الدين محمد بن حمير بقصيدةمطلعها :

ما ضرّ جيران نجد حينما بعدوا　　لو انهم وجدوا مثل الذي اجد

ومنها :

قضى الحديث عن المنصور ما فعلت　　جنوده وعن القوم الذي حشدوا
لقيتهم بجنود لا عديد لها　　وهم كذاك جنود ما لها عدد
فزلزل الرعب ايديهم وأرجلهم　　حتى السماء رأوها غير ما عهدوا
ولّوا وكان الذي تلقى بهم أسداً　　فصار ثعلب قفر ذلك الأسد
ومن يلوم امرأً ان فرّ من أسد　　لا ذا كذاك ولا كالثعلب الأسد

انتماء الملك المنصور الى العباسيين

ولّما استقلّ الملك المنصور بحكم اليمن ، وقطع الخطبة وكل صلة له بالايوبيين ، وكان لا بدّ له لإضفاء الصيغة الشرعية على حكمه من الانتماء الى مركز الخلافة الاسلامية في بغداد بدلاً عن الأيوبيين ، فإنه[18] بعث الى الخليفة العباسي (المستنصر بن الظاهر) في عام (٦٣١ هـ) وفداً يحمل اليه هدية جليلة ، ويستمدّ منه تكريمه بمرسوم النيابة على الحكم في اليمن .

وقد عاد الوفد من بغداد بجواب من الخليفة وعده فيه بارسال وفد خاص من قبله يحمل اليه مرسوم النيابة وذلك في موسم الحج القادم .

كان الملك المنصور قد استعاد مكة في عام (٦٣٠ هـ) في احدى جولاته مع الأيوبيين عليها ، وقبل ان يحسم امرها في عام (٦٣٩ هـ) كما عرفنا .

كما كان قد ضرب السكة باسمه وقطع الخطبة للأيوبيين في العام المذكور (٦٣٠ هـ) وامر بالخطبة له في المنابر وتلقب بالمنصور .

---

(١٧) الخزرجي في العسجد المسبوك ص ١٩٨ .
(١٨) نفس المصدر ص ١٩٥ .

وفي موسم الحج لعام (٦٣١ هـ) قام الملك المنصور باداء نسك الحج ، ولاستقبال وفد الخليفة العباسي الذي سيحمل اليه مرسوم النيابة والذي سيقدم مع حاج العراق .

ولكـنّ ركب حجيج العراق لم يصل الى مكة ذلك العام بسبب قطع البدو الطريق عنه .

وفي عام ٦٣٣ هـ وصل الى اليمن وفد الخليفة العباسي يحمل مرسوم النيابة منه للملك المنصور ، الذي صادفه في مدينة الجند .

وفي اجتماع كبير دعا اليه الملك المنصور الى جامع الجند ، صعد رئيس الوفد المنبر وقال[١٩] : « يا نور الدين ان العزيز يقرؤك السلام ويقول : (قد تصدقت عليك باليمن ووليتك إياه) .

ثم دعا الملك المنصور الى المنبر والبسهُ الخلعة الخليفية على المنبر استكمالاً لمراسيم التولية ، وسلمه المرسوم ، وبذلك صار المنصور عمر بن علي رسول يتبع العباسيين مباشرةودون توسط الأيوبيين الذين كانوا بدورهم يتبعون العباسيين .

وقد كان انتماؤ ه الى العباسيين شكلياً كل حظ العباسيين منه ذكر اسم الخليفة في الخطبة قبل اسمه ، ونقش اسمه في العملة ، وهدايا يبعثها اليه بين الفتـرة والأخرى ، وليس أتاوة سنوية .

قضية الخلاف الوحيد بين الملك المنصور والاشراف

لم يحدث خلاف بين الملك المنصور عمر بن علي رسول والأشراف منذ عقد بينهما الصلح بوساطة آل حاتم وحتى دعوة الإمام احمد بن الحسين في عام (٦٤٦ هـ) إلا حينما[٢٠] قام الأمير (تاج[٢١] الدين محمد بن يحيى بن حمزة) بمحاولة الاستيلاء على حصن كوكبان ، ودون ان يتمكن من ذلك ، بسبب يقظة الحامية التي

(١٩) اليمن في ظل الإسلام ص ٢٣٩ .

(٢٠) العسجد المسبوك من ص ١٩٦ .

(٢١) واليه نسب حصن كحلان تاج الدين محمد بن يحيى من بلاد حجة .

كانت تعد عشراً من الخيل المسرجة مع خمسين مقاتلاً على استعداد دائم لحماية الحصن ، وهذه الفِرقة من الحامية هي التي ردّت الأمير تاج الدين على اعقابه ، وتردى بعض عسكره من شواهق الحصن اثناء فرارهم من وجه الحامية المذكورة .

وقد اغضب ذلك الملك المنصور ، واعتبره نقضاً للصلح المنعقد بينه وبين الأشراف وفي مقدمتهم الحمزات آنفو الذكر، كما أغضبه امتناع الشريف (يحيى ابن حمزة) عن تسليم حصن منابر المطل على تهامة مقابل اعطاء الملك المنصور له حصن عزان وعشرة آلاف دينار ايضاً .

ومن ثمة كتب الملك الى الأمير شمس الدين (احمد بن عبد الله بن حمزة) رسالة مما جاء فيها قول الشاعر :

اذا لم يكن إلا الأسنة مركب   فلا يسع المضطر إلا ركوبها

ولم يرق للأمير شمس الدين ما فعله اخوه الأمير يحيى بن حمزة وولده الأمير تاج الدين من نقض الصلح مع الملك المنصور ، ولكنه لم يسعه إلا التضامن معهما ضد الملك المنصور .

فأمر الملك ابن اخيه نائبه على صنعاء الأمير اسد الدين محمد بن حسن بن علي رسول بالخروج من صنعاء على رأس جيشه لمنع الأمير شمس الدين المذكور من القيام بمساندة (يحيى بن حمزة) وولده (تاج الدين) أو تحركهما الى بلاد المخلافة (الشغادرة) من بلاد حجة والى بلاد حجة للدفاع عنها .

وكانت هذه المناطق من اعمال حجة ضمن نفوذ الأشراف اقرهم عليها الملك المنصور بموجب عقد الصلح بين الجانبين بوساطة آل حاتم كما مرَّ بنا .

وقد خرج الأمير اسد الدين على رأس جيش الدولة الرسولية الفتية من صنعاء وعسكر بجنات عمران ، وقامت بينه وبين الأمير شمس الدبن بن عبد الله بن حمزة معركة بموضع يعرف بقارن ، سجل الأمير اسد الدين الانتصار فيها ، وعرفت تلك المعركة بمعركة قارن ، واليوم الذي وقعت فيه بيوم قارن اشاد الشعراء بانتصار

الرسوليين فيه ، وكان رد الفعل لدى الأشراف هو استيلاؤ هم على حصن المحالب المطل على تهامة .

اما الملك المنصور فإنه تقدم على رأس جيش كبير قوامه ستون الف مقاتل بين فارس وراجل نحو بلاد المخلافة وعموم حجة .

قال الخزرجي في تأريخه(٢٢) فخرج السلطان من محروس زبيد وقدم أمامه الأمير نجم الدين احمد بن زكريا ، ولقيه المشايخ بنو بطين وغيرهم ، واستخدم العساكر وأتلف الأموال ، وكانت الأكياس تصبّ بين يديه صباً كما تصب أعدال الطعام وسار نحو حجة والمخلافة في ستين الف رجل ، واستولى على حجة والمخلافة وحصونها في يوم واحد ، اتفاقاً لا يتفق لأحد قبله ولا بعده .

كما(٢٣) استولى الملك المنصور في بلاد حاشد على بلاد البون والخشب ومطرة وكانت مما يقع تحت نفوذ الأشراف بموجب الصلح المنعقد بينهم وبين الملك المنصور بوساطة آل حاتم ايضاً .

وقد هنأ الأديب جمال الدين محمد بن حمير الملك المنصور على انتصاراته التي احرزها في بلاد حجة بقصيدة مطلعها :

هنئت بالنصر لما جئت باللجب ... مضللاً بالردينيات والقضب
ومرحباً بالرسولي المليك وأن ... غاب السماكان والجوزاء لم يغب
غزوت مبين اذ هاجت شقائقها ... وفي الرديني الفاف من العرب
فاليوم ملحاح لا يرغو بها جمل ... والذئب لو نطحته الشاة لم يثب

ولّما تمّ للملك المنصور اخضاع بلاد حجة اعتذر له الأمير يحيى بن حمزة وأولاده عما اقترفوه من خطأ ، فقبل الملك اعتذارهم واعاد اليهم نفوذهم وحصونهم على بلاد حجة والمخلافة ،وهنا اضاف الخزرجي في تأريخه(٢٤) قائلاً : « وهكذا

---

(٢٢) العسجد المسبوك ص ١٩٧ .
(٢٣) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ١٩٧ .
(٢٤) نفس المصدر ص ١٩٨ .

يكون الملوك ، يأخذون قهراً ويعيدون عفواً » .

ثم تجدد الصلح بين الجانبين وكان من وسطائه الأمير فخر الدين جعفر بن أبي هاشم والشيخ حسام الدين حاتم بن علي الجند ، إلا انّ الملك المنصور استثنى من الصلح عدداً قليلاً من الحصون الهامة من بلاد المخلافة المطلة على تهامة لأهميتها ، وكان ذلك هو الثمن الذي دفعه الأشراف بسبب خطائهم الى جانب اثبات الملك المنصور مدى قوته وقدرته على دحر مناوئيه من الأشراف وغيرهم في اليمن .

ولعل ما اعاده الملك للأشراف من المناطق والحصون كان بموجب الصلح المذكور ، وهو ما اشار اليه الخزرجي في المصدر المذكور ، وقد خالفه المؤرخ (ابن حاتم) في تأريخه (السمط[٢٥] الغالي الثمن) فذهب الى ان الملك المنصور انما اعاد للأشراف ما اعاده اليهم من الحصون والمناطق في بلاد المخلافة وغيرها هو مقابل مساندتهم له في حربه للشيخ علوان الجحدري في بلاد المشرق .

وعلى كل فلم يقم الأشراف الحمزات بأي حركة مناوئة للملك المنصور ، بل انهم ساندوه عند دعوة الإمام احمد بن الحسين في عام (٦٤٦ هـ) . حيث امدهم الملك بالأموال والعتاد لحربه .

وكان[٢٦] الإمام المذكور قد دعا في التأريخ المذكور وتمركز في ثلا ، وصادف ان خرج الأمير اسد الدين محمد بن حسن بن علي رسول نائب الملك المنصور في صنعاء عليه في نفس العام ، لما بلغه من عزمه على عزله ، واضطر خروجه الملك الى التحرك على رأس جيشه من تعز نحو صنعاء ، ولّما كان في ذمار وصل اليه الأمير اسد الدين معتذراً له عما صدر منه بعد ان امنه الملك .

وواصل الملك المنصور سيره مع الأمير اسد الدين الى صنعاء .

وفيها اكمل استعداده لحرب الإمام احمد بن الحسين .

---

(٢٥) فيما حكاه عنه الدكتور الدكتور محمد عبد العال أحمد في كتابه (بنو رسول وبنو طاهر) ص ١٠٨ .

(٢٦) الخزرجي في العسجد المسبوك ص ٢٠٣ .

ثم خرج من صنعاء يقود جيشه بنفسه وحط في موضع يعرف بالهدادي تحت كوكبان ، ثم في حوشان بالقرب من ثلا ، وقامت حرب بين الجانبين استمرت وقتاً طويلا ، وكان الأشراف الحمزات الى جانب الملك ضد الإمام ثم الى جانب الأمير اسد الدين الذي قام بمواصلة حرب الإمام بعد عودة الملك الى تعز ، وذلك في شهر ربيع الأول من عام (٦٤٧ هـ) .

ومنذ[٢٧] هذا التأريخ استطاع الملك المنصور ان يبسط نفوذه على معظم انحاء اليمن وحصونه ، ومنها حصن سماه في بلاد عتمة الذي هنأه الشاعر التاج بن العطار المصري بمناسبة استيلائه عليه بقصيدة جاء منها قوله :

ما سما الدنيا على ابن علي ببعيد فكيف حصن سماوة
ملك يومه لفتح مبين في الأعادي وليله في التلاوة

كما اخضع ساحل حضرموت وولى عليها دون ان يتمكن من اخضاع حضرموت نفسها .

وقد قتل الأمير نجم الدين احمد بن ابي زكريا في حضرموت خلال بعض حروبه مع أهلها .

مقتل الملك المنصور عمر بن علي رسول

حدث[٢٨] مقتل الملك المنصور في داره بمدينة المنصورة أو بمدينة الجند على اختلاف بين المؤرخين ، وذلك من قبل مماليكه الذين كان قد استكثر منهم ، وكان مقتله في عام (٦٤٧ هـ) .

وقد ذهب الخزرجي الى انّ مقتله كان بايعاز من نائبه على صنعاء الأمير اسد الدين محمد بن حسن بن علي رسول ، لما بلغه من عزم الملك على عزله وابداله بولده المظفر ، وأضاف الخزرجي قائلاً : « فلم ير اسد الدين بعد مقتله يوماً سعيداً ،

---

(٢٧) العسجد المسبوك ص ١٩٦ .

(٢٨) الدكتور محمد عبد العال في ١١٦ . وقد اختط مدينة المنصورة الطغتكين بن أيوب قبلي مدينة الجند ، وهي اليوم قرية صغيرة محتفظة باسمها .

وتجري المقادير بخلاف التقادير » .

أمّا المؤرخ (ابن عبد المجيد اليماني) في تأريخه[٢٩] فإنه ذهب الى انّ مقتل الملك المنصور عمر بن علي رسول كان عن مؤامرة بين الأخوين اسد الدين وفخر الدين ابو بكر بن حسن بن علي رسول ، مدللاً على ذلك بأن المماليك الذين قتلوه قصدوا الأمير فخر الدين المذكور الى مدينة فشال (الحسينية) في وادي رمع من أعمال تهامة وبايعوه ملكاً ولقبوه بالمعظم ، ثم قصدوا معه مدينة زبيد بهدف الاستيلاء عليها ، فوجدوا أبوابها مغلقة ، فضربوا عليها حصاراً قوياً ، ولكن الدر شمسي أخت الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي رسول التي كانت مع أمها قد ابعدا الى زبيد أخرجت الطواشي بدر الدين من سجنه في زبيد ، وأعطته الأموال الوفيرة لتفريقها في حامية زبيد ، وفي غيرهم من أهل زبيد ، واستطاع الطواشي بمن جمعه من الرجال ان يصمد في وجه الأمير فخر الدين ومن معه من المماليك وأن يحول دون استيلائه عليها .

ثم صرف فخر الدين هذا عن مواصلة حصاره لزبيد انباء تحرك الملك المظفر بجموعه من شمال تهامة نحو زبيد ،حيث كان قد تحرك من مدينة المهجم شمال تهامة الوسطى محل ولايته بجموعه الغفيرة للدفاع عن زبيد أولاً ، يحثه على سرعة مبادرته اليها كتب اخته والطواشي بدر الدين اليه خشية سقوطها بيد فخر الدين .

أمّا الملك المنصور عمر بن علي رسول فإنه بقي على حاله قتيلاً دون ان يجرؤ احد على دفنه ، لأن ابنه المظفر كان بعيداً عنه في المهجم كما عرفنا ، وزوجته ابنة جوزة وولديها الفائز والمفضل ابني الملك المنصور كانوا قد انتقلوا الى قلعة الدملوة في بلاد الصلو من اعمال الحجرية للاعتصام فيها .

ولم يجرؤ على تشييعه الى مثواه في مدرسة الأتابكية بذي هزيم من تعز إلا

---

(٢٩) بهجة الزمن في تأريخ اليمن ، ص ٨٧ .

الأمراء بنو فيروز[٣٠] ، وقد صارت لهم بسبب ذلك حظوة عظيمة عند الملك المظفر وأقطعهم اقطاعات واسعة .

هذا[٣١] وقد وصف الملك المنصور بالسخاء والحزم وسرعة النهضة وحسن السياسة ، وانه كان لا يمل الحرب ولا يبخل بالأموال في سبيلها وفي سبيل السلم حينما يكون أيهما في صالح دولته .

وله منشآت عمرانية خيرية كثيرة مدارس ومساجد ومحاسن اخرى ، ومنها ثلاث مدارس في مدينة زبيد تعرف جميعها بالمنصورية نسبة اليه ، احداها لفقه الشافعية ، والثانية لفقه الحنفية ، والثالثة لحديث رسول الله ﷺ .

وذكر الجندي والخزرجي انه بنى في كل قرية بتهامة مسجداً ، وقد يكون المراد بالقرية الكبيرة كثيفة السكان ، وذلك يدل في الجملة على كثرة منشآته الخيرية ، وكان الملك المنصور يتمذهب بالحنفية ، ثم تحول عنه الى الشافعية ، وحكم مكة سبع سنوات متوالية لم ير أهلها خيراً منها ، اذ كان يبعث اليها في كل عام باموال وفيرة لتوزيعها على أهلها ، واستمر ذلك الى موته حتى كسب أهل مكة الأموال ، وعمروا القصور ، وحلوا نساءهم بالذهب والفضة ، وتظاهروا بالنعم .

وقد قتل الملك المنصور عن حكم دام اكثر من ثمانية عشر عاماً منذ اعلن

---

(٣٠) قال الأهدل (مخطوط) عن بني فيروز « هم قوم اكراد تديروا مدينة اب منذ زمن طويل ، ويغلب عليهم الخير ، وذكر أن المظفر أقطع أبا بكر شمس الدين وأخاه عثمان فخر الدين اقطاعات واسعة ، وأضاف قائلاً : « وقومهم أهل فراسة وشجاعة ، ومنهم جماعة يميلون الى التصوف والعبادة وطريق القرب ، وابتنوا في اب مدارس والغالب على المتأخرين منهم الازدراع »
هذا ومن المدارس التي انشأها بنو فيروز في مدينة إب مدرسة الشمسية نسبة الى شمس الدين بن فيروز ، ما تزال قائمة للعبادة ، وفي جهتها القبلية ملتصقاً بها مدرسة لتحفيظ القرآن ما تزال تؤدي وظيفتها الى اليوم ، ولها أوقاف واسعة بنظر الأرشد من الذرية ، أمّا عن مقدم بني فيروز الى اليمن ، فقد ذكر إبن عبد المجيد في تأريخه ص ٨٨ أن الأمير فيروز التحق بالملك المنصور في مكة عند انهزام اسد الدين جفربل قائد قوات الأيوبيين ، كما التحق معه أيضاً ابن برطاس وغيره ، وكانا من امراء الطبلخانة في جيش الملك الكامل الأيوبي ، أي ما يعرف اليوم بامراء الفرقة الموسيقية في الجيش ،

(٣١) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٢٠٨ .

استقلاله عن الأيوبيين ، وعامين فترة التمهيد للاستيلاء على الحكم منذ غادر اليمن آخر ملك له من الأيوبيين المسعود بن الكامل بن العادل بن أيوب .

وقد قضى الملك المنصور فترة حكمه في اليمن في جهاد متواصل في سبيل اقرار الأوضاع في اليمن ، وتوطيد الحكم فيه لبني رسول ، واستطاع ان يقر الأمن والاستقرار وان يوفر الرخاء في مختلف ربوع اليمن وتأمين حكمه في اليمن بحكم الحجاز ، وهذا باستثناء بعض اجزاء من اليمن في القسم الأعلى منه والذي ظل مسرح حرب بينه وبين الأشراف الحمزات في فترتين وجيزتين من حكمه ، ثم في عهد الإمام (احمد بن الحسين) منذ دعا هذا في عام ٦٤٦ هـ .

الملك المظفر والصعوبات التي واجهته بعد مقتل أبيه

واجهت الملك المظفر (يوسف بن عمر بن علي رسول) بعد مقتل والده صعوبات عديدة أهمها :

١ ـ أنّ مقتل ابيه حدث وهو غائب في المهجم من شمال تهامة الوسطى ، والتي كان والياً عليها في عهد أبيه ، اي انه كان بعيداً عن عاصمة الدولة (تعز) وعن مراكز القوى مدنيين وعسكريين ، والذين لا بد وان يكون فيهم الموالي له فيها فيستعين به ، والمناوىء له فيواجهه عن كثب ، بل لقد كان من الممكن ان تتضاءل امام شخصيته القوية كل الشخصيات المناوئة له في عاصمة الدولة لو كان موجوداً فيها عند مقتل ابيه ، ولما واجه كل تلك الصعوبات .

٢ ـ أنّ بعده في المهجم أو بالأصح ابعاد ابيه له اليها كان عن تأثير زوجة ابيه المعروفة بابنة جوزة والدة أخويه المفضل والفائز ، وكل قادة الجيش وكبار رجال الدولة يعلمون ذلك ، وكل السلطة بعد مقتل والده كانت في يدها الأمر الذي ضاعف من الصعوبات في وجهه امام استيلائه على الحكم .

٣ ـ لم تكتف ابنة جوزة بالتأثير على زوجها الملك (المنصور) في حياته بابعاد المظفر الى المهجم ، وإنما تجاوزت ذلك الى التأثير عليه بابعاد شقيقه المظفر (الدر شمسي) وامهما الى زبيد ، وقد كان وجود الدر شمسي في تعز لو حدث ذلك سيفيد المظفر في عاصمة الدولة ، كما افاده وجودها في زبيد مما علمنا ونعلمه بعد

هذا .

٤ ـ لم تكتف ابنة جوزة المذكورة بابعاد المظفر وشقيقته وامه عن تعز ، وإنما اثرت على الملك المنصور مع ذلك باستحلاف الجيش لأكبر ولديها[٣٢] وهو الأمير المفضل ولياً للعهد ، مع كون المظفر يكبره سناً ، ويفوقه دراية وخبرة بإدارة شؤ ون الدولة .

٥ ـ إن العبيد الذين قتلوا والده الملك المنصور قصدوا مع مجموعة كبيرة ممن لم يشتركوا في القتل الأمير فخر الدين أبا بكر بن حسن بن علي رسول إلى محل ولايته في مدينة (فشال) (الحسينية) في وادي رمع من تهامة وبايعوه ملكاً ، ولقبوه بالمعظم وساروا به نحو زبيد بغية الاستيلاء عليها ، والانطلاق منها الى غيرها في اليمن فيما يحلمون وبذلك شكلوا جبهة من الجبهات العديدة في وجه المظفر ، وقد جسَّم من هذه العقبة ما أُشيع من أنّ الأمير فخر الدين كان شريكاً في مؤ امرة قتل الملك المنصور مع اخيه الأمير اسد نائب صنعاء (محمد بن حسن بن علي رسول) .

٦ ـ أنّ الأمير اسد الدين المذكور كان ما يزال عند مقتل الملك المنصور نائباً في صنعاء ، وهذا يتيح للأمير فخر الدين لو تمكن من الافلات ان ينضم اليه وهو ما كان قد حاوله لولا مبادرة المماليك باعتقاله وايصاله الى المظفر الى زبيد بعد دخولها كما سنعلم ، كما يتيح شغل اسد الدين لنيابة صنعاء عند مقتل الملك المنصور لمناوئي المظفر من داخل الأسرة ومن خارجها من الأشراف وغيرهم الانضمام اليه وتشكيل جبهة في منطقة متصلة بمنطقة نفوذ الإمام (احمد بن الحسين) المتحصن بحصن ثلا ، وهو ما حدث فعلاً ، وإن جاء ذلك متأخراً وبعد استتباب الأمر للمظفر .

٧ ـ إن ابنة جوزة ارملة الملك المنصور كانت قد انتقلت مع ولديها المفضل والفائز من تعز الى قلعة الدملوة ببلاد الصلو وكانت حصينة ومقر ذخائر الملك المنصور ثم ذخائر بني رسول بعده ، وقد شكل ذلك بدوره احدى العقبات في وجه المظفر

---

(٣٢) الخزرجي في العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام والثقافة آنف الذكر ص (٢١١) .

بل وعقبة كأداء كالطريق الى القلعة المذكورة ، ولكن انتصارات الملك المظفر المتوالية ، والتي كان يتعمد ايصال اخبارها اليها أولاً بأول حطم معنويتها ، وشكل حرباً نفسية لها ، فلم تقم بأي حركة ايجابية مناوئة للمظفر ، أو حتى بدعم نفوذها خارج القلعة التي حبست نفسها وولديها فيها ، حتى استولى المظفر عليها كما سنعلم .

٨ ـ كان الإمام (احمد بن الحسين) ما يزال في بداية دعوته التي قام بها في عام (٦٤٦) للهجرة وفي المراحل الأولى لحركته ، وقد علمنا أنّ الملك المنصور الرسولي عقب دعوة الإمام المذكور ظلّ يحاربه عاماً كاملاً دون ان يخرجه من حصن ثلا المنيع ، ولكن بفضل مساندة اليمنيين له على أساس مبدأ الدين الذي جاء به كما هو عادة الأئمة الزيدية عند دعوتهم وعلى اساس ان الملك المنصور الرسولي دخيل على اليمن ، ومثله الأيوبيون قبله ، وصار الإمام يشكل احدى العقبات أيضاً في وجه المظفر ، فاذا ما انضمّ اليه الأمير اسد الدين أو غيره من كبار قادة جيش المظفر ورجال دولته كانت المشكلة اكثر تعقيداً ، وهو ما حدث فعلاً حينما انضم الأمير اسد الدين الى الإمام بعد خروجه عن الملك المظفر في عام (٦٥٠) للهجرة ، أي بعد قيام المظفر بثلاثة أعوام .

ولكنّ الملك المظفر (يوسف بن عمر بن علي رسول) وبرغم كل تلك الصعوبات قرر بحزم (وهو يؤمن بحقه الشرعي في خلافة ابيه بصفته اكبر اولاده ، واكثر قدرة وكفاءة على الاضطلاع بالمسؤولية من اخويه) ان يمضي في النضال في سبيل التغلب على كل الصعوبات الواحدة بعد الأخرى ، دون ان يتصدى لأكثر من جبهة في وقت واحد ، حتى يصل الى حقه الشرعي ويتربع على عرش الدولة الرسولية في اليمن . فحشد الجموع حوله في مقر اقامته وولايته في المهجم وتقدم نحو زبيد ، تساعده محبة الناس له ، وكان كلما مرّ بقبيلة أو بلد ضمّ الى صفوفه العديد من رجالها .

ولما دنا من مدينة زبيد بجموعه فر الأمير فخر الدين أبو بكر بن حسن بن علي رسول ومن معه من العبيد الذين كانوا محاصرين لـزبيد ودون ان يتمكنـوا من

الاستيلاء عليها ، لأن الدر شمسي شقيقة المظفر كانت قد اخرجت الطواشي بدر الدين من معتقله وأعطته الأموال لتوزيعها على حامية زبيد وعلى أهل زبيد لحفظها وصد فخر الدين والمماليك عنها كما علمنا ، ودخل المظفر زبيد دخول الظافر الفاتح وذلك[٣٣] في غرة ذي الحجة من عام (٦٤٧) للهجرة .

والى زبيد راسله العبيد الذين لم يشتركوا في قتل ابيه يطلبون منه ان يذمهم ويصفح عنهم لانضمامهم الى فخر الدين في محاولته الاستيلاء على زبيد فأذمهم وصفح عنهم واشترط عليهم ان يقبضوا على الأمير فخر الدين ، فدخلوا عليه الى خيمته في البقعة التي كان مع فلوله معسكرين فيها ، وربطوه الى احدى طنب الخيمة ، ثم ساروا به الى الملك المظفر الى زبيد حيث اعتقله فيها ، ثم نقله الى حصن تعز بعد تسلمه ، وقد ظلّ فيه الى ان انضم اليه ابوه وعماه شرف الدين موسى وفخر الدين أبو بكر بعد عودتهم من مصر ، وأخوه اسد الدين المذكور والذين اعتقلهم المظفر على فترات مختلفة كما سنعلم وظلّوا في معتقلهم ذلك الى موتهم جميعاً فيه .

هذا ويختلف (ابن عبد المجيد اليماني) في تأريخه[٣٤] مع الخزرجي في الكيفية التي تمّ بها استسلام المماليك للمظفر وقبضهم على الأمير فخر الدين ، اذ يذكر (ابن عبد المجيد) ان المظفر هو الذي راسل المماليك للولاء له والقبض على فخر الدين قائلاً لهم : « لا تجمعوا علينا بين قتل ابينا وخروج الملك منا » .

ويمكن الجمع بين روايتي المؤرخين المذكورين بأنّ المظفر طلب من المماليك ذلك في بداية حركته وقبل ان يستولي على زبيد و أنّ المماليك عرضوا عليه ما عرضوه بعد استيلائه عليها وظهور قوة جانبه .

ولقد كانت مدينة زبيد هي المنطلق الأول للملك المظفر في الوصول الى الحكم خلفاً لأبيه ، والخطوة الأولى في التغلب على كل العقبات التي اعترضت سبيله ، وكان قد حثه على الإسراع اليها قبل سقوطها بيد الأمير فخر الدين رسائل

---

(٣٣) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٢١٣ .

(٣٤) بهجة الزمن ص ٨٩ .

شقيقته (الدر شمسي) اليه ، وكان أول من اعلن ولاءه للمظفر والي حرض في شمال تهامة ، وتبعه عدد آخر من الولاة ، وجاءته الأموال الوفيرة من مختلف المناطق في اليمن ، وفي زبيد استقبل وفود المهنئين واجزل العطاء للقبائل التهامية التي ساندته حتى استولى على زبيد ، ثم اذن لها بالانصراف .

وقد تبارى الأدباء بالقاء غرر قصائدهم بين يدي المظفر مشيدين بانتصاره ومنهم الأديب (أبو بكر دعاس)[٣٥] الذي انشده قصيدة جاء منها قوله :

إن غاب نور الملك عن افق العلا ... فانظر ضياء الشمس قد ملأ الملا
أو كان جفن الدهر اضحى ارمدا ... فاليوم اصبح بالمظفر اكحلا
لا تجزع الدنيا لفقد مليكها ... رُزئت برضوى فاستعاضت يذبلا
ما كان رب الملك إلا غيهب ... عم الورى وافاه صبح فأنجلى

ومنها :

لم ترضَ غيرك يا أبا عمر لها ... فاستجلها أنّ العرائس تجتلى
ما زلت معترفاً بنعمة ربها ... متضرعاً لقدومها متبتلا
أو ما تراها في زبيد تزدهي ... وتميس في حلل المفاخر والجلا
امهرتها وافي الصداق فما لها ... كفؤ سواك ولا تريد تبدلا
جاءتك طائعة ولم تهزز لها ... رمحاً ولم تشهر عليها منصلا
قل للذي رام التملك جاهلاً ... وسعى فضلّ عن الطريق وضللا
ما أنت والمُلْك الذي لا بشره ... بادٍ عليك ولست فيه مؤهلا
ارجع الى كأس الطلا ودع العلا ... لمهد الأسياف في هام (الطلا)
ولصاحب الجيش الذي سدّ الفضا ... وفلا بحد السيف ناصية الفلا
وأعاد ريحك حين هبّت أزيبا ... نكبا بريح منه هبّت شمألا
أولى الورى بالملك والده الذي ... ما انفك تشتيت المفاخر أولا
هي دولتي وأنا الذي أمّلتها ... والله يعطي سؤله من أمّلا

---

(٣٥) الخزرجي في العسجد ص (٢١٣) .

انطلاق الملك المظفر من زبيد ومد نفوذه في مختلف انحاء اليمن

اقام الملك المظفر في مدينة زبيد حوالي الشهرين يقرر قوعد تهامة التي اعلنت كلها ولاءها له ، كما[٣٦] اجتمع اليه الكثير من عسكر الدولة معلنين ولاءهم له ، ثم غادرها الى لحج وعدن واستولى عليهما في شهر[٣٧] صفر من عام (٦٤٨) للهجرة يحثه على[٣٨] الإسراع الى عدن كتاب واليه الذي حذره من استيلاء اخيه (قطب الدين المفضل) عليها وللاستعانة بمواردها .

ثم تابع المظفر بسط نفوذه على بلاد ابين وبلاد المعافر (الحُجرية) واستولى على جميع حصون هذه المنطقة (يُمَين) و(السوا) وغيرهما ، ثم واصل تقدمه نحو عاصمة الدولة الرسولية مدينة (تعز) ودخلها دون اية مقاومة ، ولكن الامير علم الدين سنجر الشعبي امير حصنها (القاهرة) امتنع عليه حتى دبر الحيلة لتسليمه له طواعية ودون حصار للحصن أو حرب ، وقد كان[٣٩] وصول الملك المظفر تعز في شهر ربيع الأول من العام المذكور (٦٤٨ للهجرة) وفي نفس العام تسلم الملك المظفر حصني (حب) في بلاد بعدان و(خدد) في بلاد حبيش طواعية ودون قتال ، وبذلك يكون المظفر قد مدّ نفوذه الى اهم حصون المنطقة الوسطى في مخلاف جعفر من لواء اب .

ولم يبق امامه إلا الاستيلاء على صنعاء التي كان متمركزاً فيها نائبها للدولة الرسولية الأمير اسد الدين (محمد بن حسن بن علي رسول) والاستيلاء على قلعة الدملوة التي امتنعت فيها (ابنة جوزة) زوجة ابيه مع ولديها (المفضل والفائز) ، ولذلك فقد ركز اهتمامه وكرّس جهوده لهذين الغرضين كما سنعلم .

---

(٣٦) نفس المصدر ص ٢١٤ .

(٣٧) نفس المصدر والصفحة .

(٣٨) بنو رسول وبنو طاهر ص ١٢٢ .

(٣٩) الخزرجي في العسجد ص ٢١٥ .

وقد[٤٠] حفزه اكثر على الاستيلاء على صنعاء قيام الإمام احمد بن الحسين والأمير شمس الدين احمد بن الإمام عبد الله بن حمزة بالاستيلاء عليها ، واضطرار الأمير اسد الدين الى الانسحاب منها الى حصن (براش) خارج صنعاء ، يحثه على سرعة تحركه الى صنعاء خبر تجهيز الإمام احمد بن الحسين للأمير اسد الدين على رأس جيش كبير لحرب المظفر ، وفعلاً تقدم اسد الدين بجيش الإمام نحو اليمن الأسفل حتى وصل الى بلاد الشوافي في بلاد اب ، وتقدم الملك بدوره على رأس جيشه ، وقبل ان يصطدم الجيشان تدخل بعض امراء آل حاتم في الصلح بين اسد الدين والمظفر والتقيا ، وترجل اسد الدين للملك ، وأنعم الملك عليه . وأضاف الخزرجي قائلاً : « وسار الأمير اسد الدين قدامه ، وحمل الغاشية بين يديه حتى دخل على الخوان ، فلمّا بلغوا المرتبة قال السلطان للأمير اسد الدين : « بسم الله يا امير (اي اقعد على المرتبة متهكماً) فقال اسد الدين : حاشاك يا مولانا هذا موضعك وموضع ابيك ، وهذا موضعي وموضع ابي » . وانعم الملك على اسد الدين حتى قال هذا : (ليت شعري هل ابقى مولانا السلطان في خزائنه شيئاً ؟) .

ثم[٤١] جهزه الملك على رأس جيشه لاستعادة صنعاء من الإمام ، ولم ينجح الإمام في صد عسكر الملك عن طلوع النقيل (نقيل صيد (سمارة) أو نقيل (يسلح) . وواصل اسد الدين تقدمه واستولى على صنعاء بعد ان انسحب الإمام منها الى منتزه سناع ، وبعد ان هدم داري الأميرين اسد الدين وفخر الدين ابني حسن بن علي رسول فيها ، وكان الإمام قد ترك في صنعاء بعد انسحابه منها حامية بقيادة الشريفين الحسن بن وهاس الحمزي واخيه ، وقد قبض عليهما اسد الدين واعتقلهما في حصن براش .

ثم وصل المظفر الى صنعاء في شهر ذي الحجة من العام المذكور (٦٤٨ هـ) ، وغادرها عائداً في المحرم من عام (٦٤٩ هـ) واستولى في طريق عودته

---

(٤٠) الخزرجي في العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام والثقافة آنف الذكر ص ٢١٦ .

(٤١) نفس المصدر والصفحة .

الى تعز على جبل التعكر الشهير

وبذلك يكـون الملك المظفـر قد انجـز بنجاح احـدى المهمتين الهـامتين والرئيسيتين في دولته وهي مد نفوذه الى صنعاء ، واعاد في نفس الوقت ابن عمه اسد الدين الى طاعته ، ليتفرغ لإحكام سيطرته عـلى المناطق التي لم يكن قـد بسط نفوذه عليها ، ويشغل اسد الدين مع ذلك في حربه مع الإمام .

القبض على الأميرين بدر الدين وفخر الدين القادمين من مصر

كـانت دولة الأيـوبيين في مصـر عام (٦٤٩ هـ) قـد سقـطت بـأيـدي المماليك ، وبسبب ذلك تمكن عما الملك المظفر الاميران بدر الدين حسن وفخر الدين أبو بكر ابنا علي رسول من الإفلات من السجن الذي كانا فيه مع اخيهم شرف الدين موسى بن علي الذي توفي في سجنه ،وذلك منذ قبض عليهم الملك المسعود الأيوبي آخر ملوك بني رسول في اليمن عـام (٦٢٤ هـ) وأرسلهم الى مصر مقيدين لاعتقالهم فيه .

أو أنّ الاميـرين بدر الـدين حسن وفخر الـدين ابا بكـر افرج عنهـما ، ووصـلا[٤٢] الى اليمن في آخر المحـرم من عام (٦٤٩ هـ) . ولما علم الملك المظفر بوصولهما عقد صلحاً مع الإمام احمد بن الحسين ليأمن جانبه ويقـوم بتنفيذ خطته في القبض على الأميرين المذكورين ، والذي ربما يؤدي الى خروج الامير اسد الدين بن حسن بن علي رسول نائب صنعاء عليه ، استياء للقبض على ابيه وعمه .

ثم امر الملك المظفر كل امراء المناطق التي سيمرّ بها الأميران القادمان في تهامة بحسن استقبالهما .

ولّما وصلا زبيـد تحرك الملك من تعـز لاستقبالهـما وتنفيذ خـطة القبض عليهما ، والتقى بهما في حيس ، وأحسن لقاءهما ، وترجل كل للآخر ، ودخلا حيس حيث انزلهما منـزلاً قريبـاً من الدار التي نـزل فيها ، ولّـما اخذ الأميـران

---

(٤٢) نفس المصدر

راحتهما فاجأهما المظفر بعدد من مماليكه وخدمه والقوا القبض عليهما وساروا بهما الى دار الأدب في حصن تعز (القاهرة) حيث انضما الى الأمير (فخر الدين أبي بكر بن حسن بن علي رسول) ولمّا دخل الأمير بدر الدين الحصن المذكور قال : (قبحك الله من قلعة دخلناك مقيدين وخرجنا منك مقيدين) .

وأنشد قول الشاعر :

أقول كما يقول حمار سوء	وقد ساموه حملاً لا يطيق
سأصبر والأمور لها اتساع	كما أنّ الأمور لها مضيق
فإما أن اموت أو المكاري	وإمّا تنقضي عني الطريق

وقد اشار الأمير بدر الدين بقوله : « خرجنا منك مقيدين » الى حادث اعتقال الملك المسعود الأيوبي له ولأخويه فيها ، وارسالهم منها الى مصر مقيدين كما مرّ بنا .

انتهاء الملك المظفر الى الخليفة العباسي

وفي(٤٣) نفس العام (٦٤٩) للهجرة ارسل الملك المظفر مبعوثاً الى الخليفة العباسي ببغداد وكان مبعوثه اليه هو (المجد بن أبي القاسم) أو الأمير (عز الدين جعفر بن أبي الفهم) بهدية جليلة ، واستمدّ منه مرسوم النيابة على اليمن ليضفي على حكمه الصفة الشرعية ، وكما كان عليه أبوه الملك المنصور (عمر بن علي رسول) ، وقد استقبل الخليفة المبعوث بالاعزاز وبعث معه بمرسوم النيابة وخلعة خليفية وجائزة قدرها أربعون الف دينار ، وكتب الى الملك المظفر يحثه على القضاء على وجود الإمام احمد بن الحسين وعلى نفوذه في اليمن ، وقد قرأ المبعوث رسالة الخليفة العباسي على المظفر ومرسوم النيابة والبسه الخلعة وسلم اليه جائزة الخليفة ، وكان الخليفة آنذاك هو المستعصم آخر خلفاء بني العباس الذي غزا التتر بغداد في عهده وقضوا عليه وعلى دولة

---

(٤٣) الخزرجي في العسجد ص ٢١٩ .

العباسيين ، وطمسوا كثيراً من معالم الاسلام ومزقوا المصاحف وعاثوا وافسدوا كما هو معروف في التأريخ الاسلامي .

خروج الامير اسد الدين على الملك المظفر

أثار اعتقال المظفر للأميرين حسن وأبي بكر ابني علي رسول عقب وصولهما من مصر حفيظة الأمير اسد الدين بن حسن بن علي رسول نائب الدولة الرسولية في صنعاء ، فتحين الفرصة لخروجه على المظفر حتى عام (٦٥٠ هـ) حيث عقد[٤٤] صلحاً مع الإمام احمد بن الحسين ، ولتأكيد ولائه للإمام طلب منه ان يجهزه لحرب المظفر ، فجهزه مع الشريف هبة بن المفضل العلوي على رأس جيش لحرب المظفر وتقدم جيش الإمام الى بلاد ذمار بينما جهز الملك المظفر جيشاً كبيراً بقيادة الطواشي تاج الدين والأمير شمس الدين علي بن يحيى القاضي ، ولكنّ هذين القائدين اختلفا مما أوجب عودة الأمير شمس الدين الى الملك المظفر ، وقاد الجيش جميعه الطواشي تاج الدين وكانت له الغلبة على جيش الإمام ، الأمر الذي حمل قائدي جيشه الأمير اسد الدين والشريف هبة بن الفضل ان يبعثا الى الإمام يحثانه على مواصلة امداداته العسكرية الى ذمار ، فأمدهما الإمام بقبائل كثيرة من بني شهاب وسنحان وغيرهم حتى قال الخزرجي : «إن الإمام احمد بن الحسين تابع الإمداد اليهم حتى انه لم يبق احد من القبائل الا صدره اليهم » .

وبذلك رجحت كفة الإمام ، وأخذت الحمية الأمير اسد الدين لابن عمه المظفر بسبب ذلك وبالرغم من خروجه عليه وحربه له في صف الإمام ، ونصح اسد الدين قائد جيش المظفر (الطواشي تاج الدين) المذكور بالانسحاب الى المظفر ، وحث المظفر على التحرك بنفسه على رأس قواته ، ليحسم الحرب بينه وبين الإمام ، فانسحب الطواشي تاج الدين ، ومع ذلك فإنّ الأمير اسد الدين عاد الى حصن براش الذي كان معتصماً فيه ، ثم باعه للإمام بمائتي الف دينار ذهباً ، وحدث انّ الإمام لم يسدد له كامل المبلغ ،

(٤٤) نفس المصدر ص ٢٢٠ .

الأمر الذي افسد ما بينه وبين الإمام علناً .

ولمّا وجد اسد الدين نفسه على خلاف مع الملك المظفر ومع الإمام احمد ابن الحسين انسحب مع ثلة من عسكره الى الشيخ علوان الجحدري صاحب المشرق ، حيث احسن هذا استقباله ومن معه ثم سعى للصلح بينه وبين المظفر الذي اعاده الى نيابته على صنعاء وأمره بالتحرك لاستعادتها واستعادها فعلاً ، وقد انشأ الجحدري بمناسبة لجوء اسد الدين بـه ثم غزو المظفر لبلاده بسبب ايوائه لاسد الدين وبعد ان تمكن الجحدري من ملاطفة المظفر قصيدة منها :

سلام على الدار التي في عراصها ... معاهد قوم لا يذم لها عهد
أناخوا علينا نازلين وفيهمو ... طوال القنا والمشرفية والجرد
ليوث الشرا خاضوا البلاد فذللوا ... تهائمها فارتاع من خوفهم نجد
رموا مطلع الشمس احتساباً لأنفس ... امانيها موت على العز أو حمد
الى ان سرى البرق اليماني لامعاً ... بدملوة الغر التي ما لها ند
فزموا له بزل الركاب على الوجا ... وقادوا اليها الخيل من فوقها البرد
يقودهمو الملك الذي في يمينه ... عوارف منهن المنية والرفد
يحف به القوم الذين سيوفهم ... عقائق حمرٌ لا يلائمها غمد
رأوا مورداً عذباً فلمّا دنوا له ... وقد اشرعوا قلن المقادير لا ورد
وجاش عليهم للمظفر عارض ... له البيض برق والطبول له رعد
همام ابى ان يسلم الملك فأنبرى ... وحوليه ارباب الزعامة والجند
يسوقهمو سوق السحاب يحثها ... نسيم الصبا حتى الم بنا الوفد
اكارم كانوا لي عدواً فأصبحوا ... ينادون ياعلوان قد ذهب الحقد
فقلت لهم في فرع تيهاء فانزلوا ... ألا مرحباً هذا السموأل والفرد
مددت لهم ظل العروسين دانيا ... بسطت لهم أيدي الرجاء الذي مدوا
فشكراً لمن ادنى ركاب محمد ... إليَّ وأهداه الى الفلك السعد
واصبح ارباب الزعامة حولنا ... وما رابني منها الوعيد ولا الوعد
ملوك دنا بعض لبعض فأصبحت ... كتائب عزمي وهي بينهمو اسد
واسد الى اسد تدانت فصدها ... على حنق ما بينها الأسد الورد

فمن لفخار العرب مثلي ومن لها كمثل مقامي في المكارم أن عدوا
فحسبي اني الغر من آل يعرب وأني لمن يأوي الى كنفي عبد

هذا[٤٥] وقد وصل الملك المظفر الى صنعاء في شهر رجب من عام (٦٥١ هـ) ، فانسحب الإمام احمد بن الحسين من منتزه سناع حيث كان نازلاً فيه ، وقام المظفر بهدمه وهدم عدد من مبانيه ، ثم عاد الى تعز وتسلم وهو في طريقه اليها حصن (ذروان) لآل الجنبي في بلاد ذمار .

استيلاء الملك المظفر على قلعة الدملوة

كانت مهمة استيلاء الملك المظفر على قلعة الدملوة في (بلاد الصلو) من أعمال الحجرية (تعز) هي المهمة الرئيسية الثانية في تأريخ دولته ، أمّا المهمة الأولى فكانت استيلاءه على صنعاء وقد تمّ له ذلك بعد اخراج الإمام احمد بن الحسين منها .

وكانت المهمة الثانية توازي مهمة استيلائه على العاصمة صنعاء لأنّ ابنة جوزة زوجة ابيه وولديها اخويه قطب الدين المفضل والفائز كانوا قد اعتصموا فيها ، وكانت القلعة مقرّ ذخائر الملك المنصور الرسولي ، فهي تشكل بامتناعهم فيها عقبة لا تقل صعوبة عن الطريق اليها ، لأنّ قطب الدين كان قد اسند اليه والده ولاية العهد بتأثير والدته زوجة الملك المنصور ، وفي القلعة الأسلحة والأموال والذخائر .

ولقد[٤٦] بدأ الملك المظفر في محاولته الاستيلاء على القلعة المذكورة بضرب حصار قوي عليها دام اشهراً ، ادرك هو أثناءه استحالة الاستيلاء عليها بالقوة ، وتضرر اخواه وامهما في نفس الوقت من شدة وطأة الحصار . وادى كل ذلك الى استعداد كلا الجانبين الى قبول صلح يرضيهما معاً .

ولذلك فقد ابدى الأمير المفضل لأمه فكرة التفاوض مع المظفر ، وقبلت

---

(٤٥) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٢٢٣ .

(٤٦) الدكتور محمد عبد العال أحمد في (بنو رسول وبنو طاهر) ص (١٢٦ .

امه الفكرة ، ولكنها اصرت على قيامها بالتفاوض مع الملك ، وطلبت منه رهائن لضمان عودتها الى القلعة بعد التفاوض ، فرحب الملك بالفكرة وبارسال الرهائن ليتمكن بهم من استمالة الفرسان الأربعمائة الذين كانوا مع الأميرين وامهما في القلعة ، وكتب لهم مع ذلك مرغباً ومرهباً ، وارسل الى القلعة الرهائن التي طلبتها ابنة جوزة والدة الأميرين المذكورين (المفضل) و(الفائز) ، والتي تتكون من ولده الأشرف (عمر) واخته (الدر شمسي) والطواشي (ياقوت) .

وكان الصلح[48] الذي تمّ بين ابنة جوزة والمظفر عند خروجها من القلعة للتفاوض معه يقضي بأن يقطع المظفر الأمير المفضل اعمال بلاد أبين ، والأمير الفائز اعمال موزع وحيس ، وأن لا ينالها مكروه ، وأن تعود ابنة جوزة الى القلعة آمنة ، ووفى لهم المظفر بذلك ، وانتقل الأميران الى اقطاعهما ، وعادت ابنة جوزة الى القلعة ، ولكن الطواشي ياقوت والأميرة الدر شمسي اخت الملك المظفر كانا قد استمالا حامية القلعة اليه ، ولمّا أطمأنّ الطواشي ياقوت الى ولاء الحامية والفرسان الذين كانوا في القلعة أشاع في[49] القلعة بأن بقرة في مدينة الجوّة الكائنة تحت القلعة ولدت عجلاً برأسين ، فنزلت ابنة جوزة لرؤيته .

وبذلك وجد الطواشي ياقوت وشقيقة المظفر الفرصة سانحة للاستيلاء على القلعة ، واشعلا في قمتها[50] النار لاشعار الملك المظفر الذي كان في حصن حب أو في حصن التعكر بذلك ، وأسرع المظفر من فوره مع كوكبة من فرسانه الأشداء الى القلعة قبل ان تعود ابنة جوزة اليها ، وتمّ له الاستيلاء عليها ، ولم يسمح لابنة جوزة ولا لولدها المفضل في الصعود اليها ، أمّا الفائز

---

(٤٧) الخزرجي في العسجد المسبوك انف الذكر ص ٢٢١ .

(٤٨) الدكتور محمد عبد العال في (بنو رسول وبنو طاهر) ص ١٢٦ .

(٤٩) ابن عبد المجيد اليماني في (بهجة الزمن في تأريخ اليمن) ص ٦٠ . والعسجد المسبوك . ص ٢٢١ .

(٥٠) الخزرجي في العسجد المسبوك أيضاً الصفحة المذكورة ٢٢١ .

فإنه كان قد عاد اليها ، ولكنه ظل خارج ابوابها ، ولم تفتح له حاميتها الأبواب لدخولها إلا عند وصول الملك المظفر اليها .

وكان[٥١] استيلاء المظفر على القلعة المذكورة في التاسع عشر من شهر ذي القعدة من عام (٦٥٠ هـ) أي بعد تولي المظفر الحكم بثلاث سنوات .

وبذلك انهى الملك المظفر امراً ظلّ شغله الشاغل منذ تحمله اعباء الحكم بعد مقتل ابيه .

مقتل الإمام احمد بن الحسين

اضطربت الأمور على الإمام احمد بن الحسين في القسم الأعلى من اليمن طيلة السنوات الخمس الأخيرة من عهده ، وذلك منذ عام (٦٥١ هـ) .

وقد[٥٢] بدأت الأحداث التي قامت بينه وبين معارضيه وأدت الى مقتله بخروج كثير من شيعته وأتباعه وفي مقدمتهم الشيخ احمد بن محمد الرصاص وعابوا عليه اموراً كثيرة .

تطور الخلاف الى قيام حرب بين الجانبين ، انضم اليهم ضد الإمام احمد ابن الحسين الأشراف الحمزات وفي مقدمتهم الأمير شمس الدين بن عبد الله بن حمزة ، وساند الخارجين على الإمام ايضاً الملك المظفر عن طريق نائبه على صنعاء الامير اسد الدين بن حسن بن علي رسول ، وأدت بعض معاركها الى وقوع الحسن بن وهاس احد كبار قادة جيش الإمام في الأسر ، وكانت بلاد صعدة وبلاد الجوف مسرح تلك الحرب .

إلا انه تمكن بعد فترة من التخلص من الأسر والعودة الى الإمام الذي انتدبه لمناظرة الخارجين عليه بناء على طلبهم ، مخالفاً رأي بعض اتباعه خشية ان ينحاز الحسن بن وهاس الحمزي الى ابناء عمومته الحمزات ، وهو ما حدث فعلاً .

---

(٥١) ابن عبد المجيد في تأريخه (بهجة الزمن في تأريخ اليمن) ص ٦١ .

(٥٢) الخزرجي في العسجد من ص ٢٢٤ .

ثم قامت الحرب بين الإمام احمد بن الحسين والخارجين عليه مرة أخرى في بلاد الظاهر وفي بلاد البون من بلاد خاشد ثم في الأهجر من بلاد كوكبان ، ثم انتقلت الحرب الى بلاد شوابة من بلاد سفيان .

وفي هذه المنطقة تخلى عن الإمام احمد بن الحسين عسكره ، وقتل هو واحتز رأسه وطيف به في عدة اماكن ، وذلك في عام (٦٥٦ هـ) .

ولقد كان الإمام احمد بن الحسين من ابرز الأئمة الزيدية وانهضهم وأقواهم .

وقد زار(٥٣) الأمير شمس الدين احمد بن عبد الله بن حمزة الملك المظفر لتقديم شكره وشكر الحمزات له على مساندتهم في حربهم للإمام احمد بن الحسين ، وكان المظفر يومئذ في زبيد ، واستقبله المظفر ومن معه بحفاوة واجلال ، واكرمهم بما لم يسمع بمثله ، وانشأ الأمير عز الدين بن بشر بن حاتم على لسان الأمير شمس الدين قصيدة كانت قد ارسلت الى الملك المظفر قبل زيارة الوفد الحمزي له شكره فيها أيضاً على مساندة الملك للحمزات ضد الإمام مطلعها :

سلام مشوق وده ما تصرما	يزورك من نجد وإن كنت متهما
سلام كنشر الروض باكره الحيا	فأضحى انيقاً مشرقاً متبسما
يخصك من قرب وان كنت نائيا	ويهدي تحياتي فرادى وتوأما
فيا أيها الملك المظفر والذي	حمى قصبات السبق ان تتهدما
ملكت فلم تفخر ونلت فلم تطل	وجدت فلم تترك على الأرض معدما
وصلت فلم تترك عليها معانداً	ولو انه يرقى إلى الجو سلما

ومنها :

اليك ابا المنصور أهديك احرفا	ابثك اخباراً وان كنت اعلما

(٥٣) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر من ص ٢٢٧ .

وإني بمـا أولـيتـني من صنـائـع ... لأستنجد الأخبار كي أشفي الـظما
واستنهض العـزم السعيـد فـطالما ... حللت بـه عقـداً من الهم مبهـما
لأخـذ ثـأراً أو لأكبت حـاسـداً ... وأقضي لبـانـات النفـوس وانعـما
فشمـر لشيـد المجـد اذ انت أهله ... وتمم عـلى اسم الله تـدع متممًا
فلم يبـق في الأقـوام إلا حثـالـة ... تهب بهـا ريـح الصبـا ان تبسـما
نهضت بجيش منك يطمـو عبابـه ... فضيق بـه ريـح الفضـا حـين يمـا
يجوب بقاع الأرض شـرقاً ومغـرباً ... ويـطوي رباهـا محرمـاً بعد محـرما
ويغشى لظى الحرب العـوان كأنـه ... طنـين ذبـاب عنـده ان تـرنمـا
نـزلنا بـوادي الجـوف نـرعى جميله ... ونـذكـر عهـداً كـان فيـه تقـدمـا
فلما قضينـا نحـوه كـل حـاجـة ... وجبنا المراشي وهـو ما كـان محرمـا
صعـدن بنا اعمـال صعـدة سجنـا ... تبـارى كأمثـال السرى حـين يسهما
ولاحت من الاقطار اعمال يوسف ... كـأن شعـاع الشمس كـان تبسـما
وصاحت طيور السعد من كل وجهة ... تبـادر بـالارحـاب ان كنّ وجمـا
فـلا مـلك إلا وأرخـى قـيـاده ... ولا قـائـم إلا تـولى وأحـجـما
ولا حي إلا استيقـظوا بعد هجعـة ... وكـانوا سكـارى قبـل ذاك ونـوّمـا
ولله در الأريحـي محـمـد ... شقيقـك محمود الثنـا مانـع الحمى
فـوالله مـا جـشـمـتـه لملمـة ... عـلى مثـل حـد السيف إلا تبسـما
ولا قلت مهـلاً يا خليلي وقد بـدا ... بـه الـشـر إلاّ كفَّ ثـم تـبـسـما
فيـا ابن الكرام الغـر من آل جفنة ... غـدا مجدهم فـوق السمـاك مخيـما
لأنـت صفـي الـود اذ انت أهـله ... ولا ارتـضى إلاك ركـنـا ومغـنـما

كما القى الأمير شمس الدين بن عبد الله بن حمزة بين يدي الملك المظفر في زبيد اثر قدومه اليه في زيارته المذكورة القصيدة التي جاء في مطلعها :

لـعـلّ الليالي الماضيات تـعـود ... فتبـدو نجـوم الـدهـر وهي سعـود
عفـا منزل مـا بـين نعمـان واللوى ... وجـرت بهـا لـلراسيـات بـرود
وكـانت به العـين الغـواني اوانسـا ... فأضحت به العـين الوحـوش برود

ومنها :

فيــا دارنــا بــين العيينــة والحمى ... هل الروض روض والـزرود زرود
فكيف بمن أمسى ظفــار[٥٤] محله ... ومن بـات قـد حـالت عليـه زبيـد
هـــواي بـنجـد والمنى بتـهــامــة ... متى تلتـقي بـالمتهـمـين نجـود
وإنّ فتى دامت مـواثيق عهده ... عـلى مثـل مـا لاقيتـه لجليـد
ولّما سرى البرق الشآمي هـاج لي ... جوى واشتيـاق ليس فيـه مزيـد
فهل لجنوب الريح ان تلثم الثرى ... بـنشـر تحيـات لهنّ صعـود
عـلى أربع بـين الصعيـد وصعـدة ... وبـين بـراش لي بهـن مقـود
مشـاعر حـج الطالبـين فـلا الأذى ... قـريب ولا الحـج الرجـاء بعيـد
كرمن فلا يخشى الغـوائل عنـدها ... منيب ولا يخشى الهـوان طـريـد

ومنها :

ولـمّا صبرنـا ظنت النـاس اننـا ... عـلى كـل خسف سـادرون هجـود
فـما سنَّ فينـا النـاس إلا ظـلامـة ... كـما سنّ في قتـل الحسـين يـزيـد
لقـد جحدتنـا النـاس كـل فضيلة ... كـأنّـا نـصـارى مـلة ويهـود
ولّما قصدت الملك ذا التـاج يوسفـا ... عـلمت بـأنّ الهـم لـيس يـعـود
دعـوت فـلبـاني فـتى لا مـربـد ... مـلول ولا واهي اليـدين بـليـد
وما لي لا أزجي الركـاب الى ذرى ... به الشهب شهب والصعيد صعيد
والقيـت كفـي في انـامـل لم تخن ... عـهـوداً ولم تخلف لهـن وعـود
ومن كـأبي حفص بدون الـذي دعا ... لـه الحميـري الملك وهـو فـريـد
اعــاد اليـه ملك غمـدان وابتنى ... مكـارم في الـدنيـا لهـنّ خلود
مكـارم سنتهـا الملوك ويـوسف ... لآثـار مـا سنّ الملوك يـشـيـد
فسـوحـك مقصـود وكفـك قـاهـر ... وجـدك منصـور وأنـت حميـد
صبرت على حمـل العظائم فـانتهى ... اليـك العـلى انّ الصبـور سعيـد

---

(٥٤) يعني بظفار هنا مقره الرئيسي بعد والده (ظفار ذيبين) في بلاد حاشد .

وفي كل يوم انت تبدو على العدى	بخطب وتبدي في الندى وتعيد
سبيل فتى لا الموت يطرق همه	ولا الموت فيما يتقي فيحيد
ويعلم انّ الدهر ليس بدائم	وأنّ خلود المكرمات مفيد
انخنا بك الآمال وهي ركائب	لأرسانها لطف الإله يقود
وقد كنت عريت الدواخل برهة	وأطرقت حتى لا يقال مريد
وداويت لابن العم داء وجدته	على الصبر ينمو خطبه ويزيد
فأدنيت من امواج بحرك عمره	اصول بها فيمن بقى فيبيد
وحفّ بسوحي الترك والعرب فاعتلى	بعزك ركني اليوم وهو شديد
كذا يستعيذ الحر بالحر واثقاً	برب له كل الملوك عبيد
فدم في ظلال الملك ما هبت الصبا	وما جنّ في جنح الظلام رعود

هذا وكان قتل الإمام احمد بن الحسين في اليوم الذي قتل فيه الخليفة المستعصم آخر خلفاء بني العباس على ايدي التتر[٥٥] .

وقد ارسل الأمير شمس الدين رساله الى الملك المظفر يوم مقتل الإمام المذكور يعلمه فيها بمقتله ، ومما جاء فيها قوله : « بسم الله الرحمن الرحيم ، تجدد السعادة ، وتشكر النعمة لله تعالى ثم للمقام العالي خلد الله ملكه ، وينهي صدورها من المصاف بشوابه ورأس (احمد بن الحسين) بين يديّ :

وابلج ذي تاج اساطت رماحنا
بمعترك بين الفوارس اقتما
هوى بين ايدي الخيل اذ فتكت به
صدور المعالي تنضح المسك والدما

أمّا[٥٦] الإمام (الحسن بن وهاس) الذي دعا لنفسه في شهر رمضان من عام

---

(٥٥) الخزرجي في العسجد المسبوك ص ٢٣٢ .والدكتور محمد عبد العال في (بنو رسول وبنو طاهر) ص ١٤٠ استناداً الى (السمط الغالي الثمن) .

(٥٦) محمد بن محمد زبارة في (ائمة اليمن) ص ١٧٦

(٦٥٥ هـ) فقد بايعته شيعته ، واختلفت فيه جمهرة علماء الزيدية ، وانتقل هو الى صعدة ، واقتسم البلاد التي كانت خارجة على الدولة الرسولية في القسم الأعلى من اليمن نصفين بينه وبين الحمزات وعلى رأسهم الأمير شمس الدين احمد بن عبد الله ابن حمزة .

الأمر الذي أثار ريبة الملك المظفر باخلاص شمس الدين له ، فتحرك على رأس قواته الى بعض مناطق القسم الأعلى ، ثم ارسل مبعوثاً الى شمس الدين ليطمئن الى موقفه ، وقد عاد مبعوثه اليه يؤكد بأخبار طمأنته واكدت ولاء شمس الدين ، فعاد المظفر الى تعز .

وقد[٥٧] توفي الأمير شمس الدين بعد سبعين يوماً من مقتل الإمام احمد بن الحسين ، وذلك في مدينة صعدة ، واضطلع بشؤون مناطق نفوذ الحمزات بعد موته اخوه (داود بن عبد الله بن حمزة) .

وبالرغم من اعتراف الإمام الحسن بن وهاس بنفوذ الحمزات على مناطق معينة في القسم الأعلى كما سبق ، إلا انه قامت بينه وبينهم حرب إسفرت عن وقوع الإمام المذكور في اسرهم ، حيث أودعه الأمير داود بن عبد الله بن حمزة السجن الذي ظل فيه عشر سنوات كاملة افرج عنه بعدها ، وتوفي عقب ذلك بعد تخليه عن دعوته ، وكانت وفاته في صعدة عام (٦٨٢ هـ) .

قبض الملك المظفر على الأمير اسد الدين وسجنه

تكرر[٥٨] خروج الأمير اسد الدين محمد بن حسن بن علي رسول نائب الدولة الرسولية في صنعاء على الملك المظفر ، وتكرر صفح المظفر عنه وإعادته على عمله في صنعاء كما علمنا .

ولّما قتل الإمام احمد بن الحسين وأمن المظفر جانبه القوي في القسم الأعلى من اليمن ،واستقرت الأوضاع في القسم الأعلى من اليمن ، ولا سيما مع التحسن

(٥٧) نفس المصدر والصفحة .

(٥٨) بنو رسول وبنو طاهر المصدر آنف الذكر ، ص ١٤٢ . استناداً الى السمط الغالي الثمن في تأريخ اليمن آنف الذكر لبدر الدين محمد بن حاتم .

المستمر بين الملك المظفر والحمزات الذين كان لهم ثقلهم وأثرهم على الأحداث في بلاد صعدة وفي اجزاء كثيرة من القسم الأعلى ، انقص الملك المظفر الميزانية السنوية التي كان يرسلها الى نائبه في صنعاء الأمير اسد الدين لحرب الإمام وغيره من الأشراف المناوئين له ، فشعر الأمير اسد الدين بقرب نهايته ،وأنّ المظفر سيقصيه عن نيابة صنعاء نهائياً ، وربما يعتقله لتكرر خروجه عليه ، وأدرك مع ذلك انه لم يعد احد في القسم الأعلى من الأشراف يناوىء المظفر يمكن له اللجوء اليه والتكاتف معه ضد الدولة الرسولية في حالة خروجه عليها ، ولذلك فانه أي اسد الدين انتهج هذه المرة نهجاً زعم انه سيدعم مركزه في عمله ، ويحول دون اقصاء المظفر له ، فأخذ يغيّر ولاة المناطق في ولايته بمن يثق بهم ويعتمد عليهم ، للسيطرة بصورة اكثر ، ولاستغلال موارد الدولة في المنطقة لصالح حركته ، ونجح في هذه الخطوة الأولى ، وبدأ في الخطوة الثانية وهي تبديل ولاة الحصون في المنطقة نفسها بمن يثق بهم كذلك للتمركز فيها والتحكم منها واملاء شروطه على المظفر في حالة خروجه عليه وتحصنه وأتباعه بها اذا لزم الأمر ، ولكنه فشل في هذه الخطوة الثانية ، وذلك لامتناع ولاة الحصون عليه بسبب ارتباطهم الوثيق بالملك مباشرة .

وقد علم الملك المظفر بتصرفاته المريبة ، فانتهج معه بدوره سياسة الترغيب والترهيب ، وبدأ يراسله مستطلعاً أمر تحركاته من خلال مراسلاته ، ولمّا ايقن بسوء نيته ، وبعدم جدوى سياسة المهادنة معه تحرك على رأس قوة كبيرة الى صنعاء ، ووصلها[٥٩] في المحرم من عام (٦٥٨ هـ) بعد ان غادرها اسد الدين .

ثم ولى عليها الأمير شمس الدين (علي بن يحيى العنسي المذحجي) وعاد هو الى تعز .

أمّا اسد الدين فصار يغير من المدورة فوق الحمراء في بلاد حاشد بمن معه من الجنود على صنعاء وعلى بعض الأعمال التابعة لها .

ولمّا علم الملك المظفر بذلك ارسل حملة قوية بقيادة (علم الدين سنجر

---

(٥٩) ابن عبد المجيد في (بهجة الزمن) ص ٩٢ .

الشعبي) لمطاردته ، فلجأ اسد الدين الى السلاطين (آل حاتم) ، في حصنهم (ذي مرمر) في بني حشيش ، فقبلوه ضيفاً دون ان يسمحوا له بالقيام بنشاط معادٍ للمظفر ، لئلا يسيئوا الى علاقتهم الحسنة معه ، فطلب من آل حاتم ان يسعوا لدى المظفر في العفو عنه ، فوافق الملك وطلب وصوله اليه ، ولكن اسد الدين خاف من الوصول اليه ، وطلب منه ان يجهزه لحرب الخارجين على دولته في بلاد حضرموت ، ففعل ذلك ، ولما كان الامير اسد الدين بقواته في الجوف طلب منه (الخضر بن محمد بن جحاف) وعبد الله بن منصور بن ضيغم) ، نصرتهما على آل راشد بن منيف حلفاء المظفر لحزازات وثارات بين الفريقين ، ففعل اسد الدين ذلك مما أغضب المظفر وأمر قواته التي كان قد جهزها مع الأمير اسد الدين بالعودة الى معسكراتها وامر اسد الدين بالتوقف عن مواصلة سيره الى حضرموت ، وقطع المدد عنه ، مما اضطره الى اللجوء الى الأمير داود بن عبد الله بن حمزة ، وقام معه بحرب الإمام (الحسن بن وهاس) وتمكنا من القبض عليه حيث اعتقله الأمير داود لديه كما مرّ بنا .

ومع ذلك فلم يرض الملك عن اسد الدين بما قام به مع الأمير داود ، بل لقد ارتاب من الأمير داود لإيوائه اسد الدين ، فاعتذر الأمير داود للملك ، وانتقل اسد الدين الى المدورة في بلاد حاشد مرة أخرى ، وصار يغير على صنعاء وأعمالها دون ان يحقق شيئاً ، ثم انتقل الى بلاد الشرف من أعمال حجة وصار يتنقل فيها، ومرّت به في تلك الفترة ازمات شديدة وظروف قاسية ، حتى ذكر انه باع امتعته ، وعاد يراسل الملك من جديد يعتذر اليه ويستعطفه واستشهد له بقول الشاعر :

اذا كنت مأكولاً فكن خير آكل وإلا فأدركني ولمّا امزق

فأجاب[60] عليه المظفر بما طمأنه ، وأمر نائبه في صنعاء (علي بن يحيى العنسي) بأن يقدم معه اليه الى تعز لما يعلمه من مودة بينهما،ويذكر انه لما وصل الأمير

---

(٦٠) الخزرجي في العسجد المسبوك من ص ٢٣٥ .

اسد الدين الى الأمير العنسي المذكور بكى وشكا له اعتقال الملك المظفر لأبيه وابنه موسى واخيه أبي بكر وعمه فخر الدين ابي بكر بن حسن بن علي رسول ، وأنّ العنسي اجاب عليه بقوله : « لعلك بالقرب منهم انفع لهم من البعد عنهم ، ولعلّنا ننتهز فرصة من الدهر فنفعل كذا وكذا » . وإنّ ذلك الحوار الذي دار بينهما بلغ الملك ، ولذلك فما ان وصلا اليه الى زبيد حتى امر باعتقالهما معاً وارسالهما الى دار الأدب في حصن تعز ، وقد انشأ الأديب القاضي سراج الدين بن أبي بكر بن دعاس بمناسبة أعتقال الملك للأميرين اسد الدين وشمس الدين علي بن يحيى العنسي قوله :

ما دار في خلد الأيام ذا ابداً
كلا ولا دار للأقوام في خلد
انّ الكسوف جميعاً والخسوف معاً
في ساعة في نزول الشمس في الأسد

كما ذكر ان الأمير اسد الدين لمّا دخل على أبيه ومن معه في سجن حصن تعز صاروا يعاتبونه ، فقال لهم :« يا هؤلاء لا نكن كأهل جهنم كلما دخلت امة لعنت اختها » .

وقد اقام الأمير اسد الدين في معتقله الذي حدث في عام (٦٥٨ هـ) الى موته في عام (٦٧٧ هـ) وفي عهد الملك المظفر نفسه ، كما توفي سائر المعتقلين من اسرته المذكورين في حياة الملك المظفر أيضاً وعلى فترات مختلفة ، ووصف الأمير اسد الدين بأنه كان من كملة بني رسول في الدين والسخاء والشجاعة وعلو الهمة ، وانه كان يضرب المثل بقوله ، وله مآثر عمرانية ، ومنها مسجد الأسدية في اعلى سوق مدينة اب القديمة ، وهو اكبر مسجد في اب بعد الجامع الكبير ، ومساجد ومآثر خيرية اخرى ، وقد اوقف على جميعها أوقافاً نافعة، كما نسخ في سجنه مصاحف ومقدمات (مصاحف مجزأة) وأوقف شيئاً منها في المسجد الذي بناه في قرية ذي عقيب القريبة من مدينة ذي جبلة، وأوقف بعض المصاحف والمقدمات أيضاً في مدرسته التي بناها في مدينة اب آنفة الذكر ، وقرأ الحديث في السجن على الفقيه (احمد بن علي السروري) وغيره من الفقهاء والعلماء الذين كان المظفر يسمح لهم بالطلوع اليه الى

معتقله في حصن تعز .

سفر الملك المظفر الى الحجاز لأداء فريضة الحج

استقرت الأحوال في اليمن عموماً ، وذلك بمقتل الإمام احمد بن الحسين في عام (٦٥٦) للهجرة ، ثم بقبض الأشراف الحمزات على خلفه (الحسن بن وهاس ابن حمزة) واعتقاله في عام (٦٥٨) للهجرة ، وقبض الملك المظفر على الامير اسد الدين بن حسن بن علي رسول ، نائبه في صنعاء ، واعتقاله في عام (٦٥٨) للهجرة ايضاً ، وكان هو آخر منافس له في اسرته .

فعزم على اداء فريضة الحج ، وغادر اليمن قاصداً مكة في عام[٦١] (٦٥٩) للهجرة ، مستصحباً معه عدداً من كبار الأشراف الحمزات ، وبعد ان أقطع صنعاء واعمالها الأمير علم الدين سنجر الشعبي خلفاً للطواشي نظام الدين مختص .

ولكنه ما ان غادر المظفر اليمن الى الحجاز حتى دعا[٦٢] الإمامة لنفسه (يحيى ابن محمد بن احمد بن عبد الله بن الحسن سراج الدين) والمعروف بالسراجي نسبة الى جده (سراج الدين) المذكور ومن نسل الحسن بن علي بن أبي طالب ، ولم يجمع الأشراف على بيعته ، وقد علل من تخلف منهم ببيعتهم للحسن بن وهاس الذي ما يزال في معتقل الأمير داود بن عبد الله بن حمزة وقد خرج[٦٣] الأمير علم الدين الشعبي نائب الدولة الرسولية على صنعاء لحربه ، واضطره الى الانسحاب الى حصن يناع غرب بلاد حضور ، وفيه القى بنو فاهم اصحاب المنطقة القبض عليه وايصاله الى علم الدين الشعبي الذي سجنه ، ثم سمل عينيه ليفقده احد شروط الإمامة في المذهب الزيدي وهو ان (يكون سليم الأطراف الحواس) .

وقد ندم[٦٤] المظفر على ما فعله الشعبي بالإمام وود لو انه اكتفى باعتقاله .

---

(٦١) ابن عبد المجيد اليماني في تأريخه (بهجة الزمن) ص ٩٤ .

(٦٢) زبارة في (أئمة اليمن) ص ١٨٠ .

(٦٣) بنو رسول وبنو طاهر ص ١٤٨ . استناداً الى السمط الغالي الثمن لبدر الدين محمد بن أحمد بن حاتم .

(٦٤) الخزرجي في العسجد من ص ٢٣٩ .

ولم يحسم ذلك الاجراء الذي فعله الأمير الشعبي بالإمام المذكور الاضطرابات في القسم الأعلى . كما لم يحل دون تجددها استمرار الاشراف الحمزات في اعتقال الإمام الحسن بن وهاس ، بالرغم من انه لم يدع شخص من الأشراف الإمامة أثناء ذلك ، وبالرغم من ولاء الأشراف الحمزات للملك المظفر وإن كان ولاء أملته قوة جانب الملك ، ذلك أن الأمير داود بن عبد الله بن حمزة كان أقرب الحمزات الى الخلاف على الدولة الرسولية ، لقوة مركزه ولطموحه . وقد[٦٥] اسفر عن عدائه للملك المظفر منذ بداية عام ٦٦١ هـ المذكور ، واستمر في موقفه ذلك حتى عقد الصلح بينه وبين الدولة الرسولية في عام ٦٦٨ هـ .

فبدأ يؤلب الأشراف ويجمع كلمتهم ضد الدولة الرسولية منذ بداية عام (٦٦١ هـ) وحاول ان يقيم الشريف (حسن بن محمد القطابري) إماماً ، ولكن علماء الزيدية وكبار اشرافهم عارضوا إمامته ، فتحوّل الأمير داود الى بلاد المخلافة (المحابشة) من أعمال حجة يثير فيها القلاقل والاضطرابات ويبسط نفوذه على بعض المناطق فيها ويستولي على بعض حصونها . وكان قدبدأ بنذر الخلاف على الدولة الرسولية في بلاد صعدة وغيرها من مناطق الشمال التي كانت خاضعة للدولةالرسولية .

وقامت حروب كثيرة بين الدولة والأشراف كان القسم الأعلى من اليمن مسرحها ، واليمنيون هم وقودها ، وبالرغم من تجمع الأشراف واتحادهم الذي ادى الى الافراج عن الإمام الحسن بن وهاس واعادة مبايعته إماماً ، إلا ان الدولة الرسولية استطاعت ان تحسم الاضطرابات وتقضي عليها ، ووصلت قوات الدولة بقيادة نائب صنعاء علم الدين الشعبي الى بلاد صعدة ووطأتها وطأة شديدة ، وهدمت مزارعها وأخربت مدينة صعدة نفسها .

كما وصل الأمير الأشرف بن الملك المظفر بقواته الى بلاد حجة وأخضعها وقضى فيها على كل اضطراب وتمرد واعاد نفوذ الدولة الرسولية اليها ، واضطر جميع ذلك الإمام الحسن بن وهاس الى التخلي عن دعوته ، والأمير داود بن عبد الله

---

(٦٥) محمد بن محمد زبارة في (ائمة اليمن) ص ١٦٠ .

ابن حمزة الى عقد صلح مع الدولة في العام المذكور ٦٦٨ هـ ، واستقرت(٦٦) احوال القسم الأعلى من اليمن حتى دعوة ابراهيم بن تاج الدين في عام (٦٧٠ هـ) واستطاع هذا الإمام أن يدخل صنعاء بمساندة المماليك الأسدية من حاميتها اثناء تغيب نائبها الشعبي عنها ، وبفضل مساندة الأشراف له بزعامة داود بن عبد الله بن حمزة .

ومع ذلك فلم يلبث الإمام بن ابراهيم بن تاج الدين ان غادر صنعاء الى بلاد الحدأ ثم الى قرية افق(٦٧) اسفل جهران ، واليها قصده الملك المظفر لحربه ، وكان في جيشه نائبه على صنعاء علم الدين الشعبي المذكور .

وقامت حرب بين الجانبين ادت الى انهزام جيش الإمام المذكور ووقوعه في اسر الملك المظفر الذي عاد به الى تعز ، حيث اودعه معتقل دار الأدب في حصن تعز (قاهرة تعز) .

وظلّ في معتقله الى وفاته في عام (٦٨٣ هـ) .

وسنعلم مزيداً من تفصيل هذه الأحداث عند التأريخ للإمام المذكور في الفصل الرابع من فصول تأريخ الأئمة الزيدية في اليمن .

أمّا الأمير داود بن عبد الله بن حمزة(٦٨) الذي كان يتزعم الحركة المناوئة للملك المظفر فإنه بعد الهزيمة التي مني بها الإمام ابراهيم بن تاج الدين ووقوعه أسيراً في يد المظفر حاول اقناع الحسن بن وهاس بتجديد دعوته ، ولكنه امتنع فلجأ ومن معه من الأشراف الى المطهر بن يحيى بن المرتضى من اولاد الإمام الهادي يحيى بن الحسين ، وبايعوه إماماً وذلك في نفس العام الذي أسر فيه الإمام ابراهيم بن تاج الدين (٦٧٤ هـ) .

ومع ذلك فلم تجتمع كلمة الأشراف بدعوته ، وغذّى الملك المظفر انقسامهم

---

(٦٦) الخزرجي أيضاً في العسجد ص ٢٤٧ .

(٦٧) ما تزال في قرية أفق نوبة عامرة يذكر أهلها انها كانت مقراً للإمام ابراهيم بن تاج الدين ، وأنّ ثمة نفقاً أسفلها ينفذ الى اسفل الوداي ، وقد زرت القرية المذكورة في عام ١٩٧٨ م ، ويسكن القرية المذكورة بيت الراعي وغيرهم .

(٦٨) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٢٥١ .

واختلافهم ، وتحول الأمير داود بن عبد الله بن حمزة عن الإمام المطهر ، واعادولاءه للملك المظفر ، وعقد معه صلحاً في نفس العام المذكور الأمر الذي اضعف جانب الإمام المطهر ، ومكن نائب الدولة الرسولية على صنعاء من الاستيلاء على عدد من الحصون الهامة التي كان الأشراف قد وضعوا ايديهم عليها في القسم الأعلى ، وهدأت المنطقة واستقرت الأحوال فيها للدولة الرسولية ، واستطاع المظفر ان يتفرغ خلال ذلك لغــزو حضرموت كما سنعلم ، وضاعف اخضاعه لها وبسط نفوذه عليها من قوة جانبه ، ومن ضعف مركز الأشراف ، وصاروا لا يشكلون خطراً على الدولة الرسولية .

ولم يستأنف الأمير داود بن عبد الله بن حمزة تحركه المناوىء للمظفر إلا في عام (٦٨٢ هـ) ، مستغلاً وفاة نائب الدولة الرسولية على صنعاء علم الدين الشعبي تحت انقاض منزله في صنعاء في العام المذكور ، وحاول الاستيلاء على صنعاء .

ولكنّ[٦٩] المؤرخ بدر الدين محمد بن أحمد بن حاتم الذي كان على ولاء للملك المظفر تصدى له في بلاد حوث قبل وصوله الى صنعاء وأوقع بقوته، وشتتها ، وأفقده الأمل الذي كان يراوده في الاستيلاء عليها .

وقد اسند الملك المظفر نيابة صنعاء الى الأمير (فخر الدين بن فيروز) وجهزه اليها بقوة على رأسها الدويدار عز الدين بلبـان بغرض اصـلاح احوال القسم الأعلى .

ثم خلفه[٧٠] بولده الأمير الواثق ابراهيم في عام (٦٨٣ هـ) وقد احسن الأمير الواثق سياسة البلاد ، ونعمت في عهده .

وبالرغم[٧١] من الاستقرار والرخاء اللذين نعمت بهما المنطقة خلال نيابة الأمير ابراهيم بن المظفر فإنّ الأمير داود بن عبد الله بن حمزة لم يستكن ولم يستسلم ، ولكنه بدلاً من محاولته تكوين جبهة متحدة مع الأشراف ضد الدولة الرسولية كعادته ،

---

(٦٩) الدكتور محمد عبد العال في (بنو رسول وبنو طاهر) ص ١٥٦ . إستناداً الى السمط الغالي الثمن لبدر الدين محمد بن احمد بن حاتم .

(٧٠) و(٧١) نفس المصدر والصفحة .

فإنه في هذه المرة أقام ابن اخيه (يوسف بن ابراهيم بن عبد الله بن حمزة) إماماً ، وكان هذا قد اخذ شيئاً من العلوم الزيدية ، دون ان تتوفر له شروط الإمامة المقررة في المذهب الزيدي ، وبذلك تعارض إمامان وزاد في انقسام الأشراف على انفسهم مما زاد في ضعف موقفهم جميعاً ، وقوّي جانب الدولة الرسولية .

ومع ذلك فقد ظلَّ الأشراف يقاومون الدولة الرسولية في القسم الأعلى مستغلين الرفق الذي تحلى به نائبها فيه الأمير الواثق ، وتجددت الاضطرابات في المنطقة .

مما حمل الملك المظفر على تجهيز ابنه الأمير الأشرف على رأس قوة كبيرة الى صنعاء ، ووصل[٧٢] الأشرف اليها في عام ٦٨٥ هـ فأسرعت القبائل الى اعلان الولاء له ، كما اعلن الولاء له عدد من الأشراف ، ووطىء الأمير الأشرف البلاد وطأة شديدة اضطرت كثيراً من القبائل التي كانت وراء الأمير داود الحمزي الى التخلي عنه ، واضطرته[٧٣] هو الى طلب الصلح كعادته ، واجابه الأشرف بن المظفر اليه وعقد الصلح بين الجانبين في (٦٨٧ هـ) .

اضطر ذلك بالتالي الإمام المطهر بن يحيى الى عقد صلح مع الأمير الأشرف بعد شهرين من عقد الصلح مع الأمير داود وعاد الأمير الأشرف الى والده الملك المظفر بعد ان اسند نيابة صنعاء الى الأمير المؤيد الذي وصل اليها في العام المذكور . فعادت المنطقة في القسم الأعلى من اليمن الى الاضطراب ، وتوالت حملات الدولة الرسولية الى مختلف مناطق القسم الأعلى لاقرار الأوضاع فيه ، ولكن دون إن تحسم امرها .

بل لقد استشرت العناصر المناوئة للدولة الرسولية في القسم المذكور وزادت الأحوال فيه سوءاً ، وامتدت الى مناطق اخرى ، حتى[٧٤] ذكر انَّ الفساد والعصيان ضد الدولة الرسولية امتدّا من صعدة شمالاً الى نقيل صيد (سمارة)

---

(٧٢) محمد بن محمد زبارة في (ائمة اليمن) من ص ٢٠٠ .

(٧٣) بنو رسول وبنو طاهر في المصدر المذكور ص ١٦٠ .

(٧٤) بنو رسول وبنو طاهر (ص ١٦١) استناداً الى السمط الغالي الثمن لمحمد بن حاتم .

جنوباً ، الأمر الذي حمل الملك المظفر على تجهيز ولده الأمير الأشرف الى صنعاء مرة اخرى على رأس قوة كبيرة لإخضاع المناوئين لدولته في المنطقة ، وكالمعتاد[٧٥] لم يكد الأشرف يصل الى صنعاء في شهر ذي القعدة من عام (٦٩٣ هـ) حتى اطاعه كل عاصٍ ، وتاق الى خدمته المخالف والموالف ، وهيأ ذلك المناخ من الاستقرار الى عقد صلح جديد بين الأشراف والدولة الرسولية يمثلها الأمير الأشرف ، وتم[٧٦] ذلك في أول المحرم من عام (٦٩٤ هـ) والذي استمر الى وفاة المظفر في شهر رمضان من العام المذكور .

استيلاء المظفر على ظفار حضرموت

توالت احداث القسم الأعلى من اليمن ، وفوّت ترابطها وتسلسلها علينا بحث موضوع قيام الملك المظفر بغزو (ظفار حضرموت) والذي حدث في عا م (٦٧٨) للهجرة ، وادى الى استيلائه عليها وقتل ملكها (سالم بن ادريس) في اثناء الحرب التي قامت بينه وبين قوات الملك المظفر وكانت الأسباب كالآتي :

أصيبت[٧٧] بلاد حضرموت في العام المذكور بمجاعة شديدة اجبرتهم على انّ يكوّنوا منهم وفداً الى (سالم بن ادريس) امير ظفار الحبوضي على ساحل حضرموت، بينها وبين عُمَان وذلك لطلب المؤ ن والأموال لسد فاقتهم مقابل تسليم مصانع حضرموت (حصونها) اليه ، فقبل سالم بن ادريس ذلك ، وسافر الى حضرموت لإتمام عقد الاتفاق ، وعقد الاتفاق وتسلم هو المصانع ، وأنفق لهم معظم ما يملكه من مؤ ن واموال ، ثم عاد الى ظفار .

وما ان وصل اليه حتى استولى أهل حضرموت على مصانعهم ، وسقط في يد سالم بن ادريس لضياع امواله دون ثمن مقابل ذلك .

وصادف بعد ذلك ان جهّز الملك المظفر سفيراً الى ملوك فارس يحمل هدية جليلة اليهم ، وسافر السفير مع الهدية بحراً صحبة جماعة من تجار اليمن ،

(٧٥) بنو رسول وبنو طاهر (ص ١٦١) استناداً الى السمط الغالي الثمن لمحمد بن حاتم .

(٧٦) نفس المصدر والصفحة .

(٧٧) الخزرجي في العسجد المسبوك من ص ٢٥٢ .

فصرفتهم الريح عن طريقهم ورمت بهم الى ساحل ظفار ، فقبض عليهم (سالم بن ادريس) واستولى على جميع ما معهم من الهدية ومن الأموال والبضائع ، معتقداً انّ ذلك جبر لما فات عليه من الأموال في حضرموت فراسله المظفر بشأن ذلك ، ومما قال له : « إنّ ما فعلته لم تجر به عادة أهلك ، ونحن نجلك من قطع السبيل ، وأنت تعلم ما بيننا وبين والدك ، والمكافأة تمكننا ، غير انا نتأدب بآداب القرآن الكريم الذي يقول الله فيه : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ ، فأصر سالم بن ادريس على موقفه ، بل وردّ على المظفر بقوله : « هذا الرسول فأين العذاب ؟ » وزاد مع ذلك بأن افسد صاحب الشحر (راشد بن شجيعة) على المظفر ، وقطع الخراج الذي كان يؤديه اليه .

فأمر المظفر واليه على عدن (الشهاب علي بن غازي بن المعمار) بالتقدم على رأس قواته الى ساحل حضرموت ، لترهيب امير ظفار المذكور فيما يبدو ، وفعل والي عدن ذلك ، ولم يقم بينه وبين والي ظفار حرب ولا تفاهم وعاد الوالي بقوته الى عدن ، ولم يكد يعود الى عدن حتى وصل امير ظفار بقواته الى ساحل عدن كرد على الغزو الذي قام به والي عدن ، ولم تقم حرب بين الأميرين كذلك ، ثم عاد سالم بن ادريس ادراجه .

فلم يسع الملك المظفر ازاء ما فعله امير ظفار الحبوضي إلا أن أمر ببناء المراكب الحربية ، ووصل الى عدن للإشراف بنفسه على ذلك وعلى كافة الاستعدادات لغزو ظفار حضرموت ، وانفق في سبيل ذلك اموالاً طائلة لرد هيبة دولته التي زعزع منها تحدي امير ظفار حتى غزا سواحل عدن .

ثم جهز جيشه الى ظفار على ثلاث فرق ، فرقة بحرية وهي أكبرها ، وقد أمرَّ عليها الامير سيف الدين سنقر الزنجبيلي ، وكان فيها من الأمراء والقادة االشيخ فارس بن المعالي الحرازي ، والشيخ محمد بن ناجي صاحب السحول ، والشيخ الهمام بن علي بن عواض المليكي ، والشيخ شمس الدين الكبوس .

أمّا الفرقة الثانية فكانت تتكوّن من ثلاثمائة فارس ، وبقيادة الشيخ بدر الدين بن عبد الله بن عمرو الجند ، وقد عانت هذه الفرقة وهي في طريقها الى

حضرموت بسبب حربهم لحلفاء بني الحبوضي امراء ظفار والذين مروا في طريقهم الى ظفار بل لقد ذكر المصدر انّ الأمير بدر الدين أخبره بأنه وفرسانه ما فارقوا الحرب مع أهل حضرموت ليلة واحدة ، وما زال فرسانه يتخلفون عنه حتى لم يصل الى ظفار إلا بمائة وثلاثة عشر فارساً ، وبعد خمسة أشهر من يوم خروجهم من صنعاء .

وأمّا الفرقة الثالثة فقد سارت في طريق الساحل وكانوا أربعمائة فارس من المماليك البحرية بقيادة الأمير حسام الدين لؤلؤ النودري ، وكان في هذه الفرقة الأمراء بنو فيروز ، وقد أمّر على جميع الفرق الثلاث الأمير شمس الدين ازدمر استاذ داره ، واضاف المصدر انّ المظفر قال له : « انت تقبل سالماً إن شاء الله ، لأني رأيت في منامي انّ حيّة عظيمة خرجت إليَّ من كوة فقلت لك يا ازدمر اقتلها ، فقتلتها وعدت إلى مقامك » .

ويبدو انّ الأمير شمس الدين سار مع فرقة الساحل بدليل ما ذكره المصدر من انّ طريق شمس الدين كانت وعرة في شواهق الجبال وكثبان الرمل ، وانهم ضاعفوا سيرهم والمراكب البحرية تسير محاذية لهم ، وكثيراً ما كانت تبعد بهم الطريق حتى تدور بهم الى الساحل ، وقد شحنت المراكب البحرية بالكثير من المؤ ن والعتاد عددها المصدر حتى ذكر منها انعل الخيل وسنابكها ولجمها ، مع ستة منجنيقات بغلمانها وحجارتها وآلاتها ، وإنّ الأسواق كانت في المراكب البحرية كأعظم ما تكون في أسواق المدن .

وسارت كل فرقة بحسب ما يمكن لها من السير ، وقد قدر لهم أن يصلوا ظفار في يوم واحد ، وأتمّ الله لهم ذلك على حد ما جاء في المصدر (الخزرجي) الذي أضاف قائلاً «ولمّا أجتمعت العساكر في بندر يسوب،كانت الخيل خمسمائة فارس والرجل سبعة آلاف راجل ، فقال بعضهم لبعض : « قد رأيتم ما نحن فيه من انفاق الأموال وركوب الأهوال ، والتواني منا عجز وخور ، ولم يبق إلا العـزم والحزم ، فساروا حتى بلغوا (غرقد) وهي محلة من محال ظفار ، فأرجف عليهم بأنّ خيل حضرموت وصلت الى حضرموت ، وكذلك خيل البحـرين ، فتدابـروا بينهم ، وقالوا : إنما جئنا للقتال لا لغيره ، وأين (تعز) منا ، ولم يكن في ظنهم أنّ

(سالم بن ادريس) يبرز اليهم ، فبينما هم كذلك إذ أقبلت اليهم عساكر ظفار يقدمها سالم بن ادريس ، فلمّا رآه العسكر المنصور تأهبوا للقائه وصفوا له ، وكان الشيخ بدر الدين بن الجند وعسكره العرب في الميسرة،وكانت الحلقة (البحرية) في الميمنة ، وكان الأمير شمس الدين أزدمر في القلب ، فلم يكن بـأسرع من أن التقوا واصطدموا صدمة واحدة ، فجالت العسكر المظفرية جولة اقتلعت فيها نحواً من خمسمائة فارس ، ثم كانت الهزيمة ، فما نجـا من أهل ظفـار إلا من استأسر ، فكانت القتلى ثلاثمائة قتيل ، والأسـرى نحواً من ثمـانمائـة أسير ، وأخذ العبيد ما شاء الله ، وقتل سالم بن إدريس فيمن قتل .

ثم دخل جيش المظفر ظفار وبسط نفوذ دولته عليها في الثامن والعشرين من شهر رجب من العام المذكور ، وخطب للمظفر على منبر جامعها ، كما استولى جيش المظفر على مدينة شبام حضرموت في الثامن من شهر رمضان من نفس العام ، وقبض الأمير ازدمر على جميع افراد اسرة بني الحبوضي وحملوا الى زبيد ، وما برحوا فيها حتى انقرضوا في عهد الملك المجاهد علي بن داود بن المظفر يوسف بن عمر بن علي رسول .

وقد امتلأت قلوب الملوك في فارس والهند والصين اجلالاً واكباراً له لما رأوا من عظم همته وقوة عزمه وشدة بأسه ، ووصلت اليه هدايا ملك الصين ، وأمير البحرين الى زبيد ، ثم أبقي الأمير ازدمر في ظفار نائباً عليها الأمير سيف الدين الزنجبيلي ، ومعه عدد من الأمراء وقادة الجيش وعاد هو الى المظفر .

كما أشاد شعراء الدولة الرسولية بغرر قصائدهم بانتصار جيش المظفر ومنهم أخو كندة الذي افتتح رسالته وقصيدته بآية ﴿ **فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين** ﴾ وجاء من قصيدته قوله :

حتى وردت ظفـاراً بعـد مـا نبـذت ... مـا في البـطون من افـلاذ وامشـاج
وبعــد ان عقدت في غـرقـد قنب ... مـا كـان سـالمهـا بـالسـالم التـاج

ومنها :

تبـاً لسـالم من عـادى لقـد سلكت ... بـه الغـوايـة جهـلاً شـر منهـاج

فصار مورد أمر ليس مصدره ... وصار ولاج حرب غير خرّاج
اضحت بغرقد منه جثة طرحت ... والرأس في كل أرض فوق معراج
رام المضاهاة جهلاً فاعتدى سفهاً ... ولا مضاهاة بين الدر والعاج

هذا وبعد استيلاء الملك المظفر على ظفار حضرموت وعلى مدينة شبام حضرموت بسط نفوذه على جميع حضرموت ، وولى[78] على شبام حضرموت الشيخ محمد بن محمد بن ناجي بن اسعد صاحب السحول ، والذي أقام فيها مدة ثم عاد الى تعز ، مستنيباً عليها فيها يبدو من قبله ، وأضاف المصدر قائلاً : « فقيل له : كيف عاملت أهل حضرموت لّما دخلت شبام ؟ فقال : « داهمني رجل منهم يماني أعظمهم رجالاً ، فجمع عسكراً لحربي ، وجمعت عسكراً وطاولته الحرب حتى انفق ما كان عنده من صامت وناطق ولم يبق معه شيء ، وأنا استمدّ من مولانا السلطان ، فلمّا لم يجد شيئاً ينفقه على عسكره وصلني بنفسه حتى أناخ بعيره على باب داري ، ودخل الحاجب يستأذن له فقلت يحضر ، فلمّا دخل عليَّ قال : اعلم اني لّما أردت الخروج اليك اشهدت أهل بيتي اني على ذمة ابن الرسول (يعني المظفر) وذمتك ، قال : فقلت له : هما عليك ، ثم اكرمته وأحسنت اليه وجعلت له موضعاً يكفيه ، وعاد الى أهله على أحسن الأحوال ، وجرى ذلك على النمط أربعة اقوام أُحاربهم حتى يردوا انفسهم اليَّ ، وبعد ذلك لم يرفع رأسه احد من أهل حضرموت » .

كما اخضعت جيوش المظفر بلاد الشحر وأعادتها الى حضيرة الدولة الرسولية ، وأبدل المظفر سلطانها بنائب من قبله ، واقطع[79] (ظفار الحبوضي) ولده (الواثق) الذي بقي فيها الى موته، وتوارثها عقبه فترة طويلة من عهد الدولة الرسولية .

وباستيلاء المظفر على حضرموت والشحر وظفار امنت السبل البحرية التجارية في البحر الأحمر والبحر العربي ، ونشطت الحركة التجارية في ميناء عدن

---

(٧٨) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٢٥٨ .
(٧٩) نفس المصدر ص ٢٦٦ .

وغيره من الموانىء اليمنية ، وفي المناطق المجاورة لها على البحر الأحمر والبحر العربي ، كما تعاون المظفر مع (الظاهر بيبرس) ملك دولة المماليك الذين خلفوا الفاطميين في مصر في تأمين الملاحة البحرية بين اليمن ومصر والهند وغيرها .

ولاية العهد للأمير الأشرف بن المظفر

لمّا عاد(٨٠) الأمير الأشرف عمر بن يوسف بن عمر بن علي رسول من صنعاء عقب زيارته الأخيرة لها بعد اصلاح احوال القسم الأعلى من اليمن وترسيخ نفوذ الدولة الرسولية فيه قرّر المظفر اسناد ولاية عهده الى ولده الأمير الأشرف عمر لأنه أكثر أولاده اهلية وأكبرهم سناً ، ولأن المظفر بلغ الخامسة والسبعين عاماً من العمر ، ولم يعد قادراً على الاضطلاع بشؤون دولته ، ولا بدّ له ان يستريح من عناء المسؤولية ، ويوكل أمرها الى ولي عهده ، على ان يرجع اليه في مهام الأمور .

ولحسم الخلاف المتوقع بين أولاده بعد موته بعد اسناد ولاية عهده الى ابنه الأشرف فإنه أسند ولاية الشحر وحضرموت الى ولده (المؤيد داود) الذي يتوقع منه المعارضة للأشرف وهو ما حدث ، وذلك بهدف ارضائه بالولاية على حضرموت والشحر حتى لا يقوم بأي معارضة للأشرف بعد موته ، كما كان المظفر قد اسند ولاية ظفار الحبوضي على ساحل حضرموت واعمالها الى ولده (الواثق ابراهيم) .

ولمّا وصل الأمير الأشرف الى والده في تعز عائداً من صنعاء في الثاني عشر من شهر صفر من عام (٦٩٤) للهجرة ، اصدر(٨١) الملك المظفر مرسوم اسناد ولاية العهد اليه ، وكانت صيغته كالآتي : « بعد الحمد والثناء والصلاة والدعاء (أمّا بعد فقد ملكنا عليكم من لم نؤثر والله داعي التقريب على باعث التجريب ، ولا عاجل التخصيص على آجل التمحيص ، ولا ملازمة الهوى والايثار على مقاحمة البلوى والاختبار ، وهو سليلنا الخطير ، وشهابنا المنير ، وذخرنا الذي وقف على المراد ، ونصيرنا الذي نرجو به صلاح البلاد والعباد ، ونؤمّل فيه من الله الفوز والنجاة في المعاد ؛ وقد رسمنا له من وجوه الذب والحماية ، ومعالم الرفق والرعاية ، ما قد التزم

---

(٨٠) ابن عبد المجيد اليماني في كتابه (بهجة الزمن في تأريخ اليمن) ص ٩٩ .
(٨١) العسجد ص ٢٧٠ .

بوفاء عهده ، ومضى عليه بجده وجهده ، والمسؤ ول في اعانته من لا عون إلا من عنده ، ولن نعرّفكم من حميد خصاله وسديد فعاله إلا ما قد بدا للعيان ، وزكا مع الإمتحان ، وفشا من قبلكم على كل لسان .

وشهدتم به وشاهدتموه — وحمدتم عقباه في كل أمر
من حناديس ظلمة شملتكم — كان في كشفها لكم صنو فخر
سيفه مغمد عليكم ومسلول — على كل من رماكم بنكر
لم يزل منذ حلّ عن جيده الطوق — خليقاً بكل حمد وشكر
همه ما ترون من شيد ملك — غير ما يبتنيه أو سد ثغر

وقد حددنا له ان يكون بكم رؤ وفاً رحيماً ، جواداً كريماً ، ما أطعتموه على المراد ، ومطاوعة الإنقياد ، فأمّا من شقّ العصي ، وبان عن الطاعة وعصى ، فهو ليس منه ولو متّ اليه بالرحم الدنيا ، فكونوا له خير رعية بالسمع والطاعة في كل حال ، يكن لكم بالبر والرأفة خير ملك ووال» وقد أرخ المرسوم بشهر جمادي الأولى من العام المذكور ٦٩٤ هـ .

وأضاف المصدر قائلاً : « فانضافت الأوامر والنواهي ، والحل والعقد ، والبسط والقبض في البر والبحر ، والأقاليم والسواحل والأمصار والحصون والثغور ، وتدبير الحرب والسلم ، وتجهيز العساكر والجنود الى السلطان الملك الأشرف ، ولم يرجع الى ابيه إلا في جلائل الأمور ، من غير وهن منه ولا عجز ولا خور ، ولمّا تولى الأمور كما ذكرنا سكن حصن تعز ، وسكن الخليفة (المظفر) ثعبات » .

وأضاف أيضاً قوله : « وحينئذٍ توجه المؤ يد نحو الشحر وحضرموت ، ونفسه غير طيبة لما خُصّ به أخوه الملك الأشرف دونه من المملكة ، وسارت معه عمته الشمسية (الدرشميس) وكانت تحبه كثيراً ، كما كانت من انبل نساء بني رسول» .

وفاة الملك المظفر وقيام ولده الأشرف بخلافته

وقد وافت المنية الملك المظفر في الثالث[٨٢] عشر من شهر رمضان من العام المذكور (٦٩٤) للهجرة عن عمر بلغ اربعة وسبعين عاماً وأشهراً ، وعن ملك دام ثلاثة واربعين سنة واشهراً ، وعن خمسة أولاد وهم الأشرف (عمر) والمؤيد (داود) والواثق (ابراهيم) والمسعود (حسن) والمنصور (ايوب) ، وكلهم الا الأمير حسن ولي الملك وخطب له ، وضربت السكة باسمه .

وقام بخلافته ابنه الملك الأشرف بموجب مرسوم ولاية العهد كما علمنا .

وكان[٨٣] الملك المظفر في حياته ملكاً جواداً بذالاً للأموال خاصة في الحروب ، وأعطي من السياسة وتدبير الملك ما لم يعط غيره من الملوك ، وقد رثاه الإمام مطهر بن يحيى بقوله : « مات التبع الأكبر ، مات معاوية الزمان ، مات من كانت أقلامه تكسر رماحنا وسيوفنا » . وكانت له من المآثر الخيرية والعمرانية جامع ذي عدينة المعروف اليوم بجامع المظفر في مدينة تعز وهو الجامع الكبير فيها ، ومسجد مغربة تعز ، ومساجد عديدة في تهامة ، منها مسجد في مدينة المهجم وثلاثة مساجد في زبيد أحدها لتدريس فقه الشافعية فيه والثاني لتدريس القراءات السبع والثالث لتدريس الحديث النبوي ، وبنى مسجداً في ظفار الحبوضي على ساحل حضرموت ، ومدارس اخرى في زبيد وغيرها أوقف عليها جميعها وعلى العلماء والمتعلمين فيها .

ثم عدّد الخزرجي مقروءاته والعلماء الذين درس عليهم مختلف الفنون في العربية والحديث والفقه وغيرها .

وأضاف الخزرجي[٨٤] قائلاً : « كما قال معلمه الفقيه (محمد بن اسماعيل الحضرمي) كان مولانا المظفر يكتب كل يوم آية من كتاب الله وتفسيرها ويحفظها ويحفظ تفسيرها ويدرسها عليَّ غيباً ، وكان محباً للرعية ومحبباً اليهم ،

(٨٢) و(٨٣) العسجد ص ٢٨٢ .

(٨٤) نفس المصدر ص ٨٣ .

وروي أنه كان له خمسمائة فارس في مصر يجاهدون الأفرنج ، وتُحْمَلَ جوامكها من اليمن ، مع ما كان يُحمَل إليهم من الهدايا وأصناف التحف ، ويروى أنّ ملك الصين حرّم على المسلمين الختان في سائر مملكته ، فتعبوا من ذلك وضاقوا ، (وشكوا الى الملك المظفر) فكتب اليه الخليفة يسأل الأذن لهم ، وأشفع طلبه بهدية توافق مراده وغرضه فقبل شفاعته وأذن لهم في ذلك ، وكان يأمر المقطعين بالعدل بالرعايا ، وبتبجيل العلماء والمتعلمين » .

وفي هذا الوصف المقتضب لما كان عليه المظفر في حياته تعريف ضمني بما كان عليه عهده في مناطق استقرار حكمه وما كانت عليه احوال رعاياه ومواطنيه .

خلاف الأمير المؤيد بن المظفر ووقوعه في الأسر

ولما لم يرض الأمير المؤيد عن اسناد ابيه الملك المظفر لولاية العهد الى اخيه الأشرف ، ولم يُرضِه تولية أبيه إياه الشحر وحضرموت ، فإنه ما أن علم بوفاة أبيه حتى[٨٥] قفل راجعاً من الشحر حيث كان يقيم ، ووصل الى ابين معلناً خلافه على اخيه الملك الأشرف ، وسانده اخوه الأمير المنصور الذي كان يقيم في حصن السمدان من أعمال الحجرية ، وتنازل له عنه ، حيث نقل اليه حريمه واثقاله ، ثم قصد (عدن) وحاصرها بغية الاستيلاء عليها ، واستطاع عن طريق صياد خبير بمداخلها ، ان يدخل اليها ليلاً من وراء جانب ضعيف البناء من سورها ثلاثمائة رجل من أجود رجاله ، حيث كمنوا بالقرب من أقرب باب لها الى المكان الذي تسللوا منه .

وبناء على تعليماته لهم فإنهم لم يبرزوا لحرب الباب إلا حين دنا منه المؤيد ببقية جنده ، حيث تأهب الحرس للدفاع عن الباب وقتاله ، فثار عليهم كمينه من داخل السور ، الأمر الذي افشل الحرس ونادوا بالأمان وفتح الباب صباح الليلة التي تسلل منها رجاله ، ودخل الأمير المؤيد عدن مستولياً عليها ، ومنح واليها سيف الدين ابن برظاس وغيره من رجال الدولة الأمان ، كما منع السلب والنهب وأحسن الى الناس

---

(٨٥) العسجد من ص ٢٧٦ .

فيها[٨٦] وكان استيلاؤه عليها بعد ثلاثة عشر يوماً من حصاره لها . وباستيلائه على عدن زال تردده في الخلاف على اخيه الأشرف ، وقرر المضي فيه متمثلاً بقول الشاعر :

اذا لم تكن إلا الأسنة مركب فلا رأي للمضطر إلا ركوبها

ثم تقدم الى لحج وأبين واستولى عليهما .

أمّا الملك الأشرف فإنه ازاء حركة اخيه المناوئة له ، ورفضه العرض الذي بعث به اليه لمنع سفك الدماء جهز جيشاً قوامه ثلاثمائة فارس بقيادة ابنه الناصر ، ثم عزّزه بجيش آخر بقيادة الأمير جمال الدين علي بن عبد الله بن الحسن بن حمزة ، الذي تقدم به من صنعاء ، ثم بجيش ثالث بقيادة الأميرين نجم الدين وبدر الدين ابني ازدمر ، وتقدم الملك الأشرف مع ذلك على رأس قوة كبيرة من تعز الى مدينة الجوة من أعمال الصلو من بلاد الحجرية ليرقب سير الحرب عن كثب ، وليواصل امداداته لقواته اذا لزم الأمر .

ولمّا دنت جحافل الملك الأشرف من معسكر المؤيد تقدم هو بدوره بين ولديه الظافر والمظفر ، والتقى الجمعان عند موضع يعرف بكثيب العشب بالدعيس من بلاد أبين ، وقامت حرب بين الجانبين اسفرت في نهايتها عن انهزام جيش المؤيد وتفرقهم عنه .

ثم تقدم اليه[٨٧] الأمير الناصر بن الملك الأشرف واقنعه بضرورة الولاء للملك الأشرف ، وحذره من استمراره على الخلاف ، فمال الى ذلك ورجع الى طاعة أخيه . وأضاف المصدر (ابن عبد المجيد اليماني) قائلاً : « فأراد الناصر ان يتوجه به الى والده على حالته ، فامتنع الشريف جمال الدين علي بن عبد الله الحمزي من ذلك ، وقال : أمر هذا الجيش إليّ ، وقيد المؤيد وحمله الى الملك الأشرف ، ووصل اليه وهو بالجؤة تحت حصن الدملوة .

---

(٨٦) ابن عبد المجيد في البهجة ص ١٠٠ .

(٨٧) نفس المصدر ص ١٠١ .

كما أضاف الخزرجي[٨٨] الى ما ذكره ابن عبد المجيد قوله : «وكان الملك الأشرف واقفاً ببا أي مدينة الجؤة ينتظر ما يحدث من إخبارهم ولما علم بتقييدهم بكى بكاء شديداً وأمر باكرامهم ، وأرسل بهم الى حصن تعز فوصلوا اليه يوم الأحد التاسع عشر من المحرم من السنة المذكورة » (٦٩٥ هـ) .

ثم عاد الملك الأشرف الى تعز ، وأنشأ[٨٩] الشاعر (تاج الدين موسى بن الحسين الموصلي بالمناسبة بيتين مخاطباً فيهما الملك الأشرف وهما :

ولـولا أنّ صنـوك منـك قلنـا مقـالاً منـه تنفلق الصخـور
ولكنّـا نـرجي السخط منكـم بعـود رضى وتنجبـر الأمـور

كما هنّأ الملك الأشرف على ذلك الانتصار كثير من الشعراء .

وفاة الملك الأشرف

ولقد[٩٠] عاجلت المنيّة الملك الأشرف (عمـر بـن يوسف بـن عمر بن علي رسول) حيث توفي في شهر المُحرم من عام (٦٩٦ هـ) ، وكانت وفاته في مدينة تعز وفيها كان مثواه الأخير ، ولم يدم حكمه اكثر من عام واحد وبضعة أشهر .

وقد[٩١] وصفه الخزرجي وغيره بأنه كان كأبيه (المظفر) عاقلاً عادلاً حسن السياسة مقداماً ، وكان مع ذلك عالماً ، وله مصنفات في الطب وغيره ، وبأنه كان ملكاً سعيداً صالحاً براً بأخوته وقرابته محباً لهم رؤ وفاً برعيته .

وأضاف الخزرجي قائلاً : « ومن مناقبه ان رعية النخل بوداي زبيد كانوا قد تلقوا من الجور الشديد وغفلات الملوك عنهم حتى بلغ بهم الأمر أن من كان له نخل لا يزاوجه أحد ، وأي امرأة لهانخل لا يتزوجها أحد إلا مغرور ، وكان الرجل الذي

---

(٨٨) في العسجد ص ٢٧٨ .

(٨٩) و(٩٠) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٢٧٨ . وص ٢٧٩ . وعبد الباقي بن عبد المجيد اليماني في (بهجة الزمن في تأريخ اليمن) ص ١٠١ .

(٩١) الخزرجي في المصدر المذكور ص ٢٨٠ .

ليس له نخل اذا تزوج أمرأة لا نخل لها يقال عند عقد النكاح : (ومن سعادتها أن لا نخل لواحد منها) ، وأنه لّما تولى الملك الأشرف أمر من افتقد النخل فأزال عن أهله ما نزل بهم من الظلم ، وأنه أول من سنّ عد النخل بالفقهاء والعدول » .

الملك المؤيد

ولّماتوفي(٩٢) الملك الأشرف الأول،اسماعيل بن الملك المظفر يوسف بن الملك المنصور عمر بن علي رسول ، وكان ولداه الناصر في القحمة من تهامة ، والعادل في صنعاء والبين عليهما منذ عهد أبيهما ، أجمع الحاضرون في حصن تعز من رجال الدولة وحرس الحصن على بيعة الأمير السجين (المؤيد داود) بن الملك المظفر ملكاً خلفاً لأخيه الأشرف ، وأضاف المصدر (الخزرجي) في تأريخه قائلاً : « واتفقت آراء أهل الحصن من الخاصة والعامة والأسرة الكريمة على ابراز بدر الوجود واطلاع سعد السعود ، وأن يزأر الليث في غابه ، وأن يستقرّ الحق في نصابه وأن يسوس الدولة نعمانها ، وأن يتسلم الحكمة لقمانها ، فلمّا كان السحر من تلك الليلة تقدمت الأكابر من الخدم الى مولانا السلطان الملك المؤيد وهو في مجلسه ، فأخبروه بوفاة أخيه الملك الأشرف ، فلم يصدق وظن انهم يريدون ينظرون ما عنده ، فلمّا تحقق الأمر ناله من الأسف ما ناله لفقده ، وداخل المسلمين من السرور ما كاد يذهب بالنفوس ، ولّما خرج من مجلسه طلب من والي الحصن سيفاً ليكون في يده فأعطاه ثلاثة سيوف له ولولديه ، وسار حتى وقف عند رأس أخيه فبكى بكاء شديداً ،وتأسف تأسفاً عظيماً ، ثم خرج من عنده وقد أمر بتجهيزه ، فقعد في تخت الملك ، فلمّا لاح ضوء الصباح أمر نواب الحصن بالترحم عليه ، فصاحوا بالترحم على الأشرف ، وبالصباح السعيد على السلطان الملك المؤيد ، فسبحان من لا يزول ملكه ولا يبيد سلطانه » .

وقبل(٩٣) أن يأمر الملك المؤيد بفتح ابواب الحصن للناس لتلقي بيعتهم له

---

(٩٢) الخزرجي أيضاً في نفس المصدر ص ٢٧٩ .

(٩٣) ابن عبد المجيد في تأريخه ص ١٠٢ .

أمر بأن يصعد الى الحصن جميع خدمهوعسكرهالذينكانواقد تفرقواعنه بعداعتقاله، فأدلوا الى الحصن بالمكاتل والحبال ، ولم تفتح لهم الأبواب للدخول الى الحصن منها مبالغة في الحذر ،ولّما أطمئن الى وجودهم والى ولاء من في الحصن اذن بفتح أبوابه ، وصعد اليه الناس وكبار رجال الدولة وقادة الجيش وأعيان البلاد ورؤ ساؤ ها مبايعين ومعزين في نفس الوقت ، وكان الوزير موفق الدين حسان بن اسعد العمراني أول من صعد اليه حيث بايع المؤ يد وحلف له واستحلف له الجند[٩٤] والأمراء واعيان الدولة ، فلم يختلف عليه اثنان ، ولم يمتنع عليه سهل ولا جبل ، ولا صاحب بلدة ولا صاحب حصن وجرت أموره على السعد والتوفيق ، وكان تاج الدين بن الموصلي كاتب الدرج ، فكتب لذلك كتباً كثيرة الى بلاد التهائم والى كافة البلاد بأجمعها ، والى جهة صنعاء والأشراف ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً (هكذا) وأمر بتجهيز اخيه وتنفيذ وصيته ، فخرجوا به من الحصن صبيحة الليلة التي توفي فيها ، وأمامه الظافر والمظفر يمشون ، وأعيان الدولة حتى دخلوا به مدرسته[٩٥] التي انشأها في مغربة تعز فدفن فيها ، وأقام القراء والقراءة عليه سبعة أيام ، فلما أنقضت ايام القراءة عليه انشده شعراء الدولة التهاني .

ومن أولى اعماله قيامه بابدال وزير اخيه وهو (حسام الدين بن حسان العمراني)[٩٦] بالقاضي (موفق الدين علي بن محمد اليحيوي المعروف بالصاحب) وفوّض اليه مع ذلك قضاء الأقضية ، أي مهمة تعيين وعزل القضاة

(٩٤) الخزرجي في العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام والثقافة آنف الذكر من ص ٢٨١ .

(٩٥) وهي غير مدرسة الأشرفيةالقائمةالى اليوم وبمأذنتين ، لأن هذه إنما هي بناء الملك الأشرف الثاني اسماعيل بن الملك الأفضل بن الملك المجاهد بن الملك المؤ يد داود بن يوسف بن عمر بن علي رسول .

(٩٦) ولم يغير عليه شيئاً حتى بلغه عنه وعن أسرته ما يدل على سوء نواياهم نحو الملك (كما ذكر المصدر) فأحضرهم جميعاً اليه وطلب منهم تقديم حساب ما تولوه من أمور الأوقاف والأيتام ، ولّما لم يحصل منهم على شيء أمر بنقلهم الى سجن خاص بهم جميعاً في عدن على باب دار الولاية فيها وصادر أملاكهم ، ولعله آخذ عليه منذ خلافه هوأي الملك المؤ يد على أخيه الأشرف وتحين الفرصة للقبض عليه بحجة تشعر بأنها هي المبرر له للقبض عليه ، وقد تصرف مع غيره ممن حقد عليهم منذ ذلك الخلاف وقبض عليهم ومنهم : الأميران نجم الدين وبدر الدين ابنا ازدمر اللذان كانا ضمن قادة الجيش الذي حاربه في عدن اثناء خلافه المشار اليه .

والإشراف على اعمالهم وشؤونهم ، وهو ما يعرف اليوم بوزارة العدل .

وأقطع ولده المظفر اعمال صنعاء وولده الظافر اعمال الفخرية والحازتين من تهامة .

ولقد اتسمت علاقته باسرته بالتسامح والاحسان ، واحتمال اساءة بعضهم ، فقبل استعفاء الأميرين (الناصر محمد) و(العادل صلاح الدين)[٩٧] ابني اخيه الأشرف عن الاستمرار في ولاياتهما صنعاء والقحمة وأعمالهما ، حيث كان الناصر يشغل نائب الدولة في صنعاء وأعمالها ، والعادل يشغل اعمال القحمة في تهامة منذ حياة أبيهما الملك الأشرف المتوفي،وحلفا لهوحلف لهما بعدم اساءة احد الى الآخر وذلك على يد الفقيه أبي بكر بن محمد اليحيوي ، ثم عزز العلاقة بينه وبينهما بتزويج ولديه الظافر والمظفر اختيهما .

وتسلم بعد ذلك قلعة الدملوة التي كان الملك الأشرف قد نقل اليها ذخائر الدولة ، بعد ان توثق امينها الطواشي فاخر من موافقة الأميرين الناصر والعادل بذلك وبعد ان وافق الملك المؤيد على خروج الطواشي المذكور بالممتلكات الخاصة بالملك الأشرف المتوفي لقسمتها بين ورثته .

ولمّا[٩٨] أراد الملك المؤيد أن يرسل جيشه لتوطيد نفوذ دولته في بلاد حجة اعترض ذلك اخوه الأمير المسعود الذي كان مقطعاً اعمال وادي سردد في تهامة الوسطى منذ عهد الملك الأشرف المتوفي ، والذي كان على علاقة غير حسنة مع أخيه المؤيد ، وراسل اخاه المؤيد معرباً له بعدم سماحه بمرور جيشه من سردد الى حجة خشية ان يكون الهدف الحقيقي من وراء ذلك هو القبض عليه ، وبالرغم من تأكيد الملك المؤيد له بما يطمئنه ، إلا أنه اصرّ على قيامه هو بالمهمة العسكرية في بلاد حجة ، فأمر الملك بتحويل طريق جيشه اليها عبر الحازة ، تفادياً لتفاقم خلافه مع

---

(٩٧) وقد توفي الأمير العادل بن الأشرف في قرية ضراس من أعمال ذي السفال عام ٧٠٢ .

(٩٨) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٢٨٥ . وعبد الباقي بن عبد المجيد اليماني في (البهجة) ص ١٠٦ .

اخيه المسعود . ومع ذلك فإن هذا اصر على خلافه وخروجه على اخيه .

وكان الملك المؤ يد برغم تحليه بالصبر وقوة التحمل ناهضاً لا يتردد في الحرب ولا يتهيبها ، ولا يبخل في توفير مستلزماتها حينها يضطرّ اليها .

فحين أصرّ أخوه المسعود على مناوئته جهز جيشاً كبيراً لحربه ، وأصحب الجيش بثلاثة فيلة دربت على القتال ، وأمر مع ذلك أخاه الأمير المنصور ووزيره الصاحب موفق الدين اليحيوي اللذين كان قد انفذهما الملك الى بلاد المخلافة وحجة لإخضاعهما ، امرهما بالانضمام الى الجيش المذكور ، وجعل اليهما قيادته .

والتقى الجمعان بين حرض والمحالب ، وقبل ان يصدم الجيشان تفرق جمع المسعود عنه ، وأدرك هو انه مغلوب ولو لم يتفرق عنه جمعه ، ولم يجد بداً من تسليم نفسه . وقبض عليه وعلى ولده اسد الإسلام وأرسلا الى الملك المؤ يد الذي امر باعتقالهما في معتقل دار الأدب بحصن تعز ، وكان ذلك في المحرم من عام ٦٩٧ هـ .

وقد افرج عنهما بعد نحو عام واسكنهما مدينة حيس وأجرى لهما النفقات اللازمة ، وبذلك يكون الملك المؤ يد قد حسم كل خلاف له مع أسرته .

ولما توفي[٩٩] الإمام المطهر بن يحيى في حصن ذروان حجة من العام المذكور ٦٩٧ هـ تحرك الملك المؤيد الرسولي الى صنعاء ودخلها في شهر الحجة من نفس العام ، وذلك لدعم مركزه في المنطقة وتأكيد مركزية حكمه في اليمن .

ولأن الأشراف لم يجنحوا للصلح فإنّ الملك المؤ يد جهز حملة الى المنطقة الشمالية في القسم الأعلى بقيادة الأمير جمال الدين بن بهرام وصلت الى بلاد صعدة ورسخت فيها نفوذ الدولة الرسولية .

كما خرج هو أي الملك على رأس جيش كبير من صنعاء الى بلاد الظاهر الأعلى والأسفل من بلاد حاشد وأقام فيها ثمانية عشر يوماً ، ولم يغادرها حتى اذعن له الأشراف بزعامة الأمير جمال الدين علي بن عبد الله بن الحسن الحمزي وولده المؤ رخ

---

(٩٩) زبارة في (ائمة اليمن) ص ٢٠٨ . والخزرجي في العسجد المسبوك من ص ٢٨٦ .

إدريس[١٠٠] ، وعقد معهم صلحاً وقعه الجانبان مبدئياً في نفس محطة الملك ، ومثل الملك فيه ولده المظفر وأخوه المنصور ووزيره الصاحب موفق الدين ، وقد استقبل الملك المؤيد الأشراف في مخيمه بعد عقد الصلح استقبالاً لائقاً ، واكرمهم اكراماً بالغاً ، قال الخزرجي : « واقبل السلطان على الأمير جمال الدين علي بن عبد الله بالمحبة ، وأزال ما في خاطره وجدّد له رفع الطبلخانة ، وحمل معها من الكساء والأموال شيئاً كثيراً » .

ثم غادر الملك المؤيد بلاد الظاهر عائداً الى صنعاء في غرة شهر ربيع الأول من عام ٦٩٨ هـ .

والى صنعاء وصل اليه بقية الأشراف الحمزات وغيرهم لإتمام عقد الصلح ، وفيهم الأمير نجم الدين احمد بن علي بن موسى بن عبد الله بن حمزة وغيره ، ولمّا تمّ عقد الصلح غادر الملك المؤيد صنعاء الى تعز ، وبصحبته عدد من كبار الأشراف وزعماء القبائل وأقام معهم فيها أياماً ، غادرها بعدها الى زبيد وفي صحبته الأشراف والزعماء وأقام في زبيد الى آخر شعبان من نفس العام ، ثم عاد الى تعز وهم بصحبته حيث أقاموا في سوحه حتى نهاية عيد الفطر من نفس العام أيضاً، ثم ودعهم واكرمهم وأنعم عليهم ، وقد بلغ ما أعطاه الملك للأمير علي بن عبد الله وحده ما يزيد على سبعين الف دينار من الذهب ، وهذا قدر كبير في ذلك العهد .

وبذلك يكون الملك المؤيد قد بسط نفوذه في معظم القسم الأعلى بما فيها بلاد حجة وبلاد صعدة وبلاد مأرب وغيرها .

هذا[١٠١] وفي آخر شهر شوال من العام المذكور تحرك موكب الملك المؤيد الى عدن وأقام فيها حتى قضى أيام عيد الأضحى ثم عاد الى تعز ، قال الخزرجي في تاريخه : « وفي آخر شهر شوال تقدم السلطان إلى عدن فأقام الى سلخ ذي الحجة من السنة المذكورة فعيّد عيد النحر بها ، وكان السماط (مأدبة الأكل) بحقات تحت

---

(١٠٠) مؤلف كنز الأخبار في تاريخ اليمن .

(١٠١) العسجد ص ٢٩٠ .

المنظر السلطاني على شاطىء البحر وقام الشعراء على السماط بأنواع المدائح وتعذر على العفيف عبد الله بن جعفر الوصول فأرسل قصيدته صحبة الشيخ محمد بن حطاب فانشدت على السماط وهي قصيدة طنانة ، ونشرها ومنها :

أعلمت من قاد الجبال خيولا ... وأفاض من لمع السيوف سيولا
وأماج بحراً من دلاص سابغ ... جرّت أسود الغاب منه ذيولا
ومن القسيّ أهلة ما تنقضي ... منها الخضاب على الخضاب نصولا
وتزاحمت سمر القنا فتعانقت ... قرباً كما يلقي الخليل خليلا
فالغيث لا يلقى الطريق الى الثرى ... والريح فيه لا تطيق دخولا
سحب سرت فيها السيوف بوارقاً ... وتجاوبت فيها الرعود صهيلا
طلعت اسنتها نجوماً في السما ... فتناثرت عنها النجوم افولا
تركت ديار الملحدين طلولاً ... مما تبيح بها دما مطلولا
حطمت جحافلها الجحافل حطمة ... تدع الحمام مع القتيل قتيلا
طلبوا الفرار فمدّ سلطان القنا ... فأعاد معقلهم بها معقولا
عرفوا الذي جهلوا فكل غضنفر ... في البأس عاد نعامة اجفيلا
اين الفرار ولا فرار وبعدهم ... من ليس يترك للفرار سبيلا
ملك اذا هاجت لوافح بأسه ... ترك العزيز من الملوك ذليلا
يقفو المظفر والشهيد مآثراً ... وعُلاً وفخراً في الملوك أثيلا
وافى الى عدن كمقدم جده ... سيف بن ذي يزن الكريم أصولا
بحر الى بحر يسير بمثله ... والبحر احقر ان يكون مثيلا

ومنها :

واستقبلت عدن جبينك والتقت ... في ملتقاه سعادة وقبولا
والشمس تحسد تاجك المعقود ... والأكليل يحسد ذلك الاكليلا
لو يستطيع الثغر كان مقبلاً ... بالثغر منه ركابكم تقبيلا
إن جاورت هذي الشمائل منكمو ... جعلت مذاق الماء منه شمولا
انت الذي الدنيا مبشرة به ... والناس ينتظرون جيلاً جيلا

فـاليـوم قـد وهب الإلـه لخلقـه	ظـلاً عـلى الأقـطار منـه ظليـلا
واتى لهـم بـدر الـسـماء بـذمـة	مكتـوبـة لا تُـظْلَمـون فتيـلا
أهـزبـر غسـان بن قحـطان الـذي	يـدعـوه في النسب القبيـل قبيـلا
في حينـما رُفعت بنـودك نُـزِّلت	آيـات نصـرك فـوقهـا تنـزيـلا
لـولا العـلائق والعـوائق لم أغب	عن ظـل بـابـك بكـرة وأصيـلا
ومن التـكـرم والتـفضـل لم يـزل	عـذري الى صـدقـاتكم مقبـولا
لا زال تـوفيـق الإلـه مـقـارنـاً	لـك حيث كنت اقـامـة ورحيـلا

وأضاف الخزرجي[١٠٢] قائلاً : وقدّم التجار المقيمون بالثغر المحروس التقاديم النفيسة على عوائد الملوك ، فردها السلطان وأمر بافاضة الخلع عليهم والتشاريف والمراكب من البغال المختارة بالعُدد الكاملة والسروج المذهبة ، والدنانير المنوعة ، واجرى نواخيذ الهند (قائدِي المراكب التجارية البحرية) على جاري عاداتهم، وامر باكرام النواخيذ والتجار المترددة الى الثغر ، وأمر بعمارة بيت الحل ، وأقام بعدله موسم الفضل ، وشاهد موسم الخير من دار الطويلة ، وسارت النواخيذ والتجار الكارمية ناشرين لواء عدله في أمصارهم » .

خلاف[١٠٣] أشراف المخلاف السليماني على الدولة الرسولية في عام (٧٠١ هـ) وقتلوا مقدم الدولة في مدينة الراحة (الأمير خطلبا) وانتهبوا اربعين من خيل رتبة الراحة ، فجهز الملك المؤيد الأمير ادريس بن علي بن عبد الله الحمزي (الذي كان مقطعاً اعمال القحمة في تهامة ، ثم عززه بقوة اخرى بقيادة مشد زبيد (شهاب الدين احمد بن الحزبتري) ثم بقوة ثالثة بقيادة نائب حرض ، ودخلت قوات الدولة المخلاف وقتلت عدداً كبيراً من اشراف المخلاف ، واضطرتهم الى الإذعان وطلب الصلح ، فأجابهم الملك الى طلبهم ، بعد ان اعادوا الخيل التي انتهبوها ، ثم ولى في مدينة الراحة الشريف علي بن حاتم بن سليمان بن علي ،

---

(١٠٢) أورد مثل هذه الأحداث لأطلع القارىء على بعض العادات والتقاليد في بعض العهود السالفة .

(١٠٣) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٢٩٤ .وابن عبد المجيد في (بهجة الزمن) ص ١١٢ .

واعاد لدولته نفوذها على المخلاف من جديد .

ولما دعا الإمام المهدي[١٠٤] محمد بن المطهر بن يحيى في عام (٧٠١ هـ) تحرك الملك المؤيد الى صنعاء في نفس العام المذكور ، يحثه على ذلك قيام الإمام المهدي بالاتحاد مع الشريف تاج الدين محمد بن يحيى بن حمزة صاحب حصن كحلان عفار في بلاد الأشمور والمعروف بكحلان تاج الدين نسبة اليه[١٠٥] ، واتحاد الإمام المهدي ايضاً مع الشريف همام الدين سليمان بن القاسم الذي تمركز في ظفار ذيبين ، واعلانهم جميعاً حربهم على الدولة الرسولية .

وفي صنعاء أكمل الملك المؤيد استعداده لحرب الأشراف وخرج منها الى بلاد حاشد ، وتجوّل فيها داكاً قلاع وحصون الأشراف في القسم الأعلى ، حتى اجبرهم على الاذعان للدولة الرسولية وعقد صلح معها ،وتسلم الملك الرسولي المؤيد المذكور عدداً من حصون المنطقة الشمالية والشمالية الغربية ، وعدداً من الرهائن لضمان التقيد بالصلح ، وقضى الملك المؤيد عيد الأضحى في ورور حاشد ، ولم يكن حاضراً معه من الأدباء والشعراء إلا الأديب سابق الدين يوسف العنسي الذي هنأه بقصيدة مطلعها :

الملك ليس تنام فيه عيون	حتى تسيل من الدماء عيون

ومنها :

فدع الحصون بلاقعاً من أهلها	فلقد أضلتهم عليك حصون
فاطحنهمو طحن الرحا بكتائب	هي للطغاة جميعهم طاحون
فالأرض ارثك كلها من تبع	فاعقل حديثي والحديث شجون
غمدان قصركمو القديم وقصركم	صرواح قبل وقصركم بينون
أظهرت بالجيش الحرمرم كلما	أخفت ظهور منهمو وبطون
خرجت ظفار لا تدع كحلان تا	ج الدين فهو لملكهم قانون

---

(١٠٤) زبارة في (ائمة اليمن) ص ٢١٠ . والخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٢٩٤ .

(١٠٥) وكان للشريف تاج الدين نفوذ في المنطقة الغربية من بلاد حجة وبلاد الطويلة بعد والده .

واقبض ظفـأر ولا تـدعــه مبجـلاً ‏ يـا ابن الكـرام ففـوقـه لــك دون
انت المؤيــد بــالإلــه فــلا تخـف ‏ ممـا يـكـيــدك خـائــن ويخــون
هـذي الخلافـة سعدهـا بك طـالـع ‏ في حيث كنت ووجـهـهــا ميمـون
فبقيت لـلإسـلام يـا ملك الـورى ‏ كـهـفـاً يـلوذ بـظله المسـكـين

ثم عاد الملك المؤيد الى صنعاء تاركاً في ورور حاشد جيشاً كبيراً عليه عدد من الأمراء والأشراف الموالين له ، ومنهم : الأمير عماد الدين ادريس بن علي بن عبد الله الحمزي والأمير محمد بن احمد بن حاتم والشريف شمس الدين عباس بن محمد ابن عباس بن عبد الجليل وغيرهم .

وكان قبل مغادرته لورور قد جهز حملة بقيادة الأمير شرف الدين احمد بن علي الجنيد لتسلم حصن تلمص في بلاد صعدة ، ولترسيخ نفوذ الدولة الرسولية فيها .

ثم اقطع صنعاء الأمير سيف الدين طغربل خلفاً لولده الظافر ، وذلك نقلاً لطغربل من اقطاعه في لحج وأعمالها .

وخلفه عليها بالأمير علي بن عبد الله الحمزي ، وعاد هو أي الملك المؤيد الى تعز في شهر شعبان من عام (٧٠٣ هـ) ، وذلك بعد ان عزز الأشراف الصلح معه ، ثم عززوه بصلح ثالث في عام (٧٠٥ هـ) .

وحين ادرك الملك المؤيد ان بقاء بعض الحصون في بلاد حجة خارجة عن نفوذ الدولة الرسولية ومثار اضطراب بين الحين والآخر ، انفذ[١٠٦] حملة عسكرية بقيادة الأمير ادريس بن علي بن عبد الله المذكور للاستيلاء عليها ، وتمّ له ذلك وبسط نفوذ الدولة في اعمالها ، ومنها : حصن جبل سعد ببلاد الجبر من الشرف الأعلى ، وحصن القاهر بالمحابشة ، وحصن القفل وغيره من حصون الشرف الأعلى .

وحصن الباب وحصن الناصرة في بلاد الشاهل . كما تسلم حصن المسواكة في بلاد الشرف الأسفل من اصحابه اشراف جبل حرام مقابل الفي دينار ، حسماً لما

---

(١٠٦) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٣١٧ .

قد يثيره الاستيلاء عليه مستقبلاً من قبل بعض مناوئي الدولة الرسولية من مشاكل .

ثم سيطر عامل الدولة الرسولية في المنطقة غلام الدولة حسن بن الطماع بن ناجي على اعمال جميع تلك الحصون ورتب فيها الحاميات العسكرية لضمان حفظ الأمن في المنطقة ، وكانت هذه الأحداث في عام (٧٠٩ هـ) .

ولمّا تجددت الاضطرابات في القسم الأعلى بسبب خلاف اكراد ذمار وقتلهم لنائب الدولة الرسولية في صنعاء سيف الدين طغربل في العام المذكور ، ولجوئهم بالإمام محمد بن المطهر بن يحيى ، تحرك(١٠٧) الملك المؤيد داود بن يوسف بن عمر ابن علي رسول على رأس جيشه من عاصمته (تعز) الى صنعاء ، ومنها جهز جيشاً بقيادة ابنه الأمير المظفر لحرب الإمام المذكور ، تمكن المظفر من الإستيلاء على بعض الحصون التي كانت خاضعة للإمام ، وإرغامه هو الى الفرار من وجه قوات الدولة الرسولية ، بعد إحرازها بعض الانتصارات في الحرب التي قامت بين الجانبين ، والى الملك المؤيد الى صنعاء وفد عليه الكثير من الأشراف ممن لم يوافقوا الإمام على تصرفه ، وأكدوا للملك ولاءهم وطاعتهم .

وكان الملك قد جهز من تعز عقب قيام الأكراد بقتل نائب صنعاء عدة حملات عسكرية من تعز بقيادة استاذ داره شجاع الدين عمر بن القاضي العماد ، ومن تعز عن طريق تهامة بقيادة الشريف عباس بن محمد ، ومن بلاد صنعاء عليها عدد من رؤسائها ، وقدر للحملات الثلاث وصولها ذمار في يوم واحد ، وقامت حرب بينها وبين الأكراد استمرت ثلاثة أيام ، قتل فيها عدد من الأكراد ولجأ من فر منهم بالإمام المذكور ، مما اضطر الملك الى التحرك الى صنعاء كما عرفنا .

هذا والاكراد هؤلاء هم البقية الباقية من عسكر الأيوبيين . و كانوا قد تجمعوا بعائلاتهم في مدينة ذمار منذ بداية دولة بني رسول وظلوا موالين لها يحاربون في صفوفها ضد مناوئيها والخارجين عليها . ويبدو انه كان لهم تجمع كبير في ذمار جرّأهم ومكنهم من غزو صنعاء والهجوم على نائبها للدولة الرسولية الأمير سيف

---

(١٠٧) الدكتور محمد عبد العال في (بنو رسول وبنوطاهر) ص ١٨١ .

الدين طغربل ، وقتله وقتل استاذ داره وكاتبه بعد اعطائهم الذمة وبعد انتهاب معسكر الحامية وطردهم والتغلب مع ذلك على الحامية البحرية التي جاءت لمساندة حامية صنعاء .

وكان اكراد ذمار في بداية هجومهم قد عقروا خيل حامية صنعاء في اصطبلاتها كما ورد في انباء الحادث ، وذلك لمنع تمكن الحامية من القيام بعمل عسكري ضد مخططهم ، وكان الدافع لهم الى ذلك هو ما بلغهم من عزم نائب صنعاء على غزوهم والقبض على زعمائهم والقضاء عليهم .

ولم يكتف الملك المؤيد بما تمّ في سبيل تحديد نفوذ الإمام محمد بن المطهر ، اذ كلف ابنه الأمير المظفر بمواصلة حملاته من صنعاء لحرب الإمام والاستيلاء على الكثير من حصون القسم الأعلى التي كان الإمام قد سيطر عليها ، واخضاع اعمالها للدولة حتى قدم رؤساؤها الرهائن لضمان ولائهم لها .

كما واصل الملك حملاته على الأكراد حتى قدموا له رهائن الطاعة أيضاً .

وقد ساء الإمام محمد بن المطهر ولاء الأكراد للدولة الرسولية ، واستطاع أن يستميلهم اليه مرة أخرى . كما تمكن من القبض على الشريف ادريس بن علي بن عبد الله الحمزي الذي جهزه الملك على رأس بعض حملاته لحرب الإمام ولكن الشريف تمكن بعد فترة من التخلص من الأسر ، وان يعود الى الملك .

ثم توصل الجانبان الملك المؤيد والإمام محمد بن المطهر الى اتفاق يقضي بعقد هدنة بينهما مدتها عام واحد ، سعى الإمام بعد انتهاء العام الى تجديدها .

وتمّ عقد صلح اطول مدة واشمل بنوداً بين الجانبين وذلك في شهر جمادي الآخرة عام (٧١٢ هـ) وكانت مدة هذه الهدنة عشر سنوات من التأريخ المذكور .

واستقرت المنطقة بشكل عام ، والتزم الإمام بعدم قبول الأكراد في خدمته واعلن الأكراد من جانبهم عزوفهم عن خدمة الإمام ، كوسيلة لاحراز رضى الملك عنهم ، واستطاع بعض خاصته ان يقنعه بالعفو عنهم ، ففعل الملك ذلك .

ومع ذلك فإنّ اكراد ذمار ثاروا مرة اخرى وقتلوا عدداً من المماليكك وذلك في عام (٧١٣ هـ) . الأمر الذي حمل الملك على تجهيز حملة كبيرة طاردتهم وشردتهم ونكلت بالكثير منهم حتى ضاقت الأرض بهم (على حد ما جاء في المصدر)(١٠٨) واضطرهم الى ان يبعثوا عدداً من رؤ سائهم لتأكيد اذعانهم وولائهم ، وان يرهنوا لديه خمسة من زعمائهم لضمان استمرار طاعتهم له ، وعدم تكرار خروجهم عليه،فصفح عنهم واستخدم عدداً ممن رغب منهم في خدمة الدولة الرسولية منهم، ولم يقوموا بأي خلاف بعد ذلك طيلة عهد الملك المؤ يد .

أمّا آخر خلاف داخل الأسرة الرسولية في عهد الملك المؤ يد المذكور فهو الخلاف الذي قام بين الملك وابن اخيه الأمير الناصر بن الأشرف ، والذي ادى الى خروج الملك المؤيد على رأس قوة من جيشه لمطاردة الأمير الناصر المذكور بهدف القبض عليه ، في قصة ملخصها :

إن الملك(١٠٩) مرض مرضاً كاد يودي بحياته حتى أرجف الناس بموته ، وحرصاً من الأمير الناصر ان يكـون هو لا احد أولاد الملك خليفته فقد قام بجمع عدد من انصاره واتباعه والاستيلاء على مدينة الجند ، معلناً استيلاءه على الملك لنفسه،يشجعه على ذلك قاضي القضاة (محمد بن أبي بكر بن محمد اليحيوى) الذي قام بمراسلة الكثير من أعيان وولاة الدولة ، يحثهم فيها على مبايعة الأمير الناصر . الأمر الذي حمل الملك المؤ يد على ان يتجلد وينهض من فراشه وكان فيه بقية من ألم ، ويقود حملته بنفسه الى الجند للقبض على الناصر ، الذي ارتفع فور علمه بتحرك الملك نحوه الى جبل سورق احد جبال بلاد ماوية المنيعة والقريبة من الجند، فأنفذ الملك حملـة في أثره بقيادة الأمير جمال الدين نور بن حسن بن نور ، وأدرك الناصر تفوق قوة الملك وعدم قدرته هو على الصمود امام الحصار الذي فرض عليه في الجبل المذكور ، فراسل الملك طالباً تأمينه ، ولبى الملك طلبه ، ووصل الى الملك فعفى

(١٠٨) الخزرجي في العسجد المسبوك ص ٣١٩ . وابن عبد المجيد اليماني في (بهجة الزمن في تأريخ اليمن) ص ١٢٧ .

(١٠٩) (بنو رسول وبنو طاهر) آنف الذكر ص ١٨٣ .

عنه ، وقبض على قاضي القضاة المذكور وعزله وخلفه بالقاضي رضي الدين أبي بكر بن احمد اليافعي ،

اجراءات ادارية هامة في دولة الملك المؤيد

كان الأمير المظفر بن الملك المؤيد قد توفي في شهر ذي القعدة من عام (٧١١) للهجرة . وكان اخوه الأمير الظافر قد توفي قبله ، ثم توفي الوزير الصاحب موفق الدين (علي بن محمد اليحيوي) في شهر الحجة من نفس عام وفاة الأمير المظفر المذكور .

فاضطر[١١٠] الملك المؤيد الى استدعاء شخصيات يمنية وغير يمنية من الشام ومصر للعمل في خدمته ، وسد النقص الذي حصل في دولته بوفاة ولديه ووزيره ، وعدم كفاية الكثير من مساعديه على ضخامة المسؤولية وتنوعها ، وأدخل لذلك نظماً جديدة في جيشه بفضل خبرة بعض تلك الشخصيات ، وأجرى تعديلات وتغييرات ادارية هامة .

قال (تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني) في تأريخه[١١١] :« وفي سنة خمس عشرة وسبعمائة وصل الأمير علاء الدين كشتغدي ، من الشام الى خدمة الملك المؤيد باستدعاء من المؤيد ، وكان قبل ذلك استاذ دار الملك المظفر صاحب حماه ، وكان خبيراً باللعب بالجوارح ، فتقدم عند الملك المؤيد تقدماً عظيماً ، ونادمه في خلواته ، ثم استنابه بعد ذلك ،وردّ اليه امور دولته على ما نذكر ان شاء الله » .

«وفيها ولي القاضي جمال الدين محمد بن الفقيه رضي الدين ابي بكر قضاء الأقضية وعمره عشرون سنة .

وفي سنة سبع عشرة وسبعمائة وصل القاضي تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد (يعني نفسه) من دمشق الى اليمن الى خدمة الملك المؤيد باستدعاء منه له وولاه كتابة الإنشاء وأكرمه وقربه » .

---

(١١٠) اورد مثل هذه الاجراءات بشيء من التفصيل لإعطاء القارىء فكرة عما كانت عليه الأحوال في عهد تلك الأحداث .

(١١١) البهجة من ص ١٢٩ .

وفي سنة ثمان عشرة وسبعمائة وصل صفي الدين عبد الله عبد الرزاق الواسطي وهو من جملة الكتاب ببلد حماه ، وباشر كتابة بيت المال بطرابلس الشام ، فلمّا استقر علاء الدين كشتغدي في الخدمة المؤيدية نوّه بذكره وشكره وأثنى عليه وذكر معرفته ونهضته ، فاقتضى ذلك طلبه ، فطلب حثيثاً ، وانفق عليه الى حين وصوله من الذهب العين الفي مثقال ، ولمّا وصل اليه فوّض اليه شد[112] الاستيفاء ، وحظي عند المؤيد ، وانبسطت يده في الدواوين ، والمذكور زوج ابنة الأمير علاء الدين كشتغدي ، وتوجه المذكور في هذه السنة الى عدن وحمل ثلاثمائة ألف دينار ، وعاد بها والمؤيد بالجند فأكرمه وعظمه .

وفي السنة المذكورة رتب الأمير علاء الدين كشتغدي الجيش اليمني على قاعدة الجيوش المصرية ، وجعل له حاجباً للميمنة وحاجباً للميسرة ، ورتّب خلف السلطان اذا ركب العصائب والجمدارية الطبردارية ، فركب المؤيد بهذا الزي .

وفي سنة تسع عشرة وسبعمائة فوّض الملك المؤيد الأمير علاء الدين كشتغدي نيابة السلطنة وأتابكية العسكر ، وتقدم عنده تقدماً لم يسمع بمثله ، وقرىء منشوره بإيوان الراحة ، وكان يوماً مشهوداً ، ووقع بينه وبين صهره صفي الدين منافسة ظاهراً وباطناً ، ثم كانت وفاة كشتغدي في سنة عشرين وسبعمائة .

وفي سنة عشرين وسبعمائة حصلت مرافعات من الكتاب على صفي الدين وحاققه الكتاب بمجلس الملك المؤيد ونسبوا اليه أنه أخذ جملة من المال، ولم يظهر عليه أثر ذلك ، فعزله المؤيد عن شد الاستيفاء وفوّض ذلك الى الأمير جمال الدين يوسف ابن يعقوب بن الجواد » .

وفيها وصل القاضي محي الدين يحيى بن القاضي سراج الدين عبد اللطيف التكريتي الكارمي من الديار المصرية على طريق مكة ، واجتمع بالملك المؤيد ، وقدّم له جملة من الزمرد واللآلىء ، وتقدم عنده تقدماً كبيراً ، وأحله محل الوزارة ،

(١١٢) شدالاستيفاء من مصطلحات الدواوين في ذلك العصر ويسمى صاحب هذه الوظيفة المشد أو المتولي ويقصد بها مباشرة ضرائب أصول الأموال والمرتب عليها يتعلم حال المعاملة فيها انتهى من حاشية البهجة .

وفوّض اليه الوكالة ، وصرّفه في عدن تصرفاً عاماً تاماً مطلقاً ، وأعطاه من ماله على حكم المتجر مائة الف دينار ، وأطلق له من عدن خمسين ألف دينار ، وتوجه الى عدن ، وعاد منها في سنة إحدى وعشرين وحصل بينه وبين صفي الدين مرافعات بمجلس السلطان ، ولم ينتصر احدهما على الآخر ، وركب السلطان في يوم العيد ومحيي الدين في موضع الوزارة وركب بالطرحة على عادة وزراء مصر » .

وفاة الملك المؤيد وقيام ولده المجاهد

وقد توفي الملك المؤيد داود بن يوسف بن عمر بن علي رسول في مستهل شهر ذي الحجة من عام (٧٢١ هـ) ، وذلك في قصر الشجرة بمدينة تعز ، وغسل وشيع من دار العدل اسفل حصن تعز ، ودفن بمدرسته التي انشأها بمغربة تعز ، والتي كانت تسمى بالمؤيدية عن ملك دام خمسة وعشرين عاماً وأشهراً .

وقد وصفه كاتب ديوان انشائه (عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني) في تأريخه[١١٣] فقال : « وكان ملكاً حازماً فاضلاً محباً للعلوم مقرباً لأهلها يستميلهم اليه حيث كانوا ويرغب فيهم ، ويرغبهم فيما عنده ، ويكرم من وفد عليه من الديار المصرية وغيرها ، وكان محباً لجمع الكتب والتحف ، جمع من مصنفات العالم على اختلافها وتباينها ما يزيد على مائة ألف مجلد وحملت اليه الكتب والتحف من كل جهة ، وكان عنده مع ذلك زيادة على عشرة نساخ ينسخون الكتب ، وترفع الى خزانته بعد مقابلتها وتحريرها رحمه الله تعالى » .

وكان سريع النهضة لصد أي عدوان على المملكة وسد أي خلل فيها ، وكان له جيش دائم الحركة لحرب المفسدين والمتمردين والخارجين عليه في أي مكان ، وكان يعزه ويمده بالعتاد والرجال بصورة مستمرة ، وكان يعطي بسخاء ويمنح عفوه كل خارج عليه يلتمس العفو ويذعن له .

وقد انتهى شباب الدولة الرسولية بموته ، اذ انفصلت عنها بموته كثير من

---

(١١٣) (بهجة الزمن في تأريخ اليمن) ص ١٣٢ .

المناطق اليمنية في القسم الأعلى من اليمن لاشتغال خلفه الملك المجاهد (علي بن داود) بالثورات التي قامت ضده من الجيش ومن أسرته ومن العديد من القبائل اليمنية في اليمن الأسفل وتهامة ، يغذي كل ذلك الخلاف الأئمة الزيدية لضمان استمرار نفوذهم على القسم الأعلى،وكان الملك[١١٤] المؤيد حين اشتد بهالمرض قد امر ولده المجاهد بطلوع حصن تعز (القاهرة) ومزاولة مهام الدولة وشؤ ونها ففعل المجاهد ذلك .

ولمّا توفي الملك المؤيد شيعه ولده من دار العدل ولم يشيعه من حصن تعز كما جرت بذلك العادة في الدولة ، منعاً لحدوث اشياء ضده أثناء ذلك ، وكان ذلك مما أخذه عليه الخارجون عليه .

خلع الملك المجاهد وتنصيب عمه المنصور

واجه الملك المجاهد[١١٥] بعد ستة اشهر فقط من تسلمه مقاليد الحكم بعد موت أبيه ثورات متعددة قامت ضده من أسرته ومن الجيش ومن مختلف القبائل اليمنية وبالذات في مخلاف جعفر وفي تهامة ، يغذيها جميعها كما أشرنا الأئمة الزيدية لضمان استمرار نفوذهم على القسم الأعلى من اليمن .

ولقد ضرب المجاهد أروع الأمثلة في الصمود العنيد والطويل في وجهها ، ولم يستسلم بعد حصاره في حصن تعز مرتين دامت المرة الأولى ستة أيام ، ودام حصاره في المرة الثانية تسعة اشهر متوالية ، ضرب الحصن خلالها بالمنجنيق بآلاف الأحجار ، وتخلى عنه أقرب المقربين اليه حتى والي الحصن وغيره ممن كانوا معه في الحصن من كبار رجال الدولة وقادة الجيش ، وكان ذلك كافياً لتحطيم معنوياته ، ودافعاً له الى الاستسلام ، ولكنه لم يفعل ، وان كان قد ادى ذلك الى خروج معظم اجزاء القسم الأعلى عن حكمه ، وتمكن الأشراف من بسط نفوذهم عليه دون منازع من الدولة الرسولية بل لقد طمع الأئمة الزيدية بالاستيلاء على مناطق في تهامة

(١١٤) الخزرجي في العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٣٣٤ .

(١١٥) ابن عبد المجيد في المصدر المذكور من ص ١٣٢ . والخزرجي في المصدر المذكور أيضاً ص ٣٣٨ . ومحمد بن محمد زبارة في (ائمة اليمن) من ص ٢٢٨ .

وفي بلاد ذمار وبلاد رداع وغزوها فعلاً ، ولكنهم لم ينجحوا في وضع أيديهم عليها بصورة دائمة ، ولعلّ من أهداف غزوهم لها هو اتخاذها خطوط دفاع أمامية عن القسم الأعلى ، ومع ذلك فإنّ القسم الأعلى لم يستقر بانفصاله عن حكم بني رسول ، إذ تحوّل الى مسرح للصراع بين الأئمة فيما بينهم ، ولا أدّل على ذلك من تعارض أربعة أئمة في وقت واحد خلال حكم الملك المجاهد وهم : (يحيى بن حمزة) و(المطهر بن محمد بن المطهر) و(علي بن صلاح الدين) و(احمد بن مدافع الديلمي) ، كما سنعلم تفصيلاً في الفصل الرابع من الفصول التي عقدتها لتأريخ حكم الأئمة في اليمن .

وأول(١١٦) ثورة قامت ضد الملك المجاهد (الذي ولي الحكم وعمره لم يتجاوز الخمسة عشر عاماً) هي ثورة المماليك والأمراء الكبار الذين قصدوا وزيره الجديد (عمر بن يوسف بن منصور) الى داره في قرية المحالب بمدينة تعز وقتلوه وقتلوا معه قاضي القضاة الجديد الفقيه (عبد الرحمن الظفاري) وعدداً من الأمراء ، ثم قصدوا الملك المجاهد الى قصره في منتزه ثعبات بمدينة تعز ايضاً ، في نفس الليلة في الثامن من شهر جمادي الآخرة من عام (٧٢٢) للهجرة وتمكنوا من القبض عليه وساروا به الى عمه المنصور (ايوب بن يوسف بن عمر بن علي رسول) الذي كان قد وصل أو استدعي قبل الحادث من حصن السمدان في بلاد الحجرية مكان اقامته ، حيث ابقاه المنصور عنده ثلاثة أيام اسيراً ، استحلف للمنصور قادة الجيش وكبار رجال الدولة خلالها ، ثم ارتفع المنصور الى حصن تعز ملكاً وبصحبته الملك المجاهد اسيراً ، حيث انزله إحدى دور الإمارة في الحصن أسيراً مكرماً .

أمّا الأسباب التي حملت الثوار على خلع الملك المجاهد وتنصيب عمه المنصور فتتلخص بالآتي :

كان الملك المجاهد بسبب صغر سنه عند توليه الحكم قليل الدراية والخبرة بادارة شؤون الدولة قليل الحنكة، مستسلماً لحاشيته وفي مقدمتها وزيره الجديد الذي

---

(١١٦) ابن عبد المجيد في البهجة من ص ١٣٣ . والخزرجي في العسجد من ص ٣٣٩ .

خلف به وزير ابيه وهو (عمر بن يوسف بن منصور) المذكور ، الأمر الذي اضعف ثقة قادة الجيش وكبار رجال الدولة به ، وضاعف من نفورهم منه وتخوّفهم من تسرعه قيامه بامور اخذوها عليه ومنها :

ابداله وزير ابيه واستاذ داره وأتابك عسكره (جمال الدين يوسف بن يعقوب ابن الجواد) بشجاع الدين (عمر بن يوسف بن منصور) المذكور ، وأبدال قاضي القضاة بمعلمه الفقيه وجيه الدين (عبد الرحمن الظفاري) ، وإقصاء اعوان أبيه وخاصته ، وعزمه على اقصاء مماليك أبيه .

وقبضه على الأمير الناصر بن الملك الأشرف واعتقاله بعد ان تبادل معه المواثيق بولاء كل منهما للآخر ، وذلك عملاً برأي وزيره الجديد المذكور ، وقد برّر الوزير رأيه ذلك للملك بالخوف من قيام الأمير الناصر بالخروج عليه ، كما خرج على أبيه من قبله .

ثم قيام الملك المجاهد بزيارة (قلعة الدملوة) مقر اموال وذخائر بني رسول ، وعودته منها دون ان ينعم على جيشه بالعطاء كما جرت عادة اسلافه في مثل ذلك .

أما الملك المنصور فإنه بعد تنصيبه أفرج عن الأمير الناصر من معتقله في عدن واقطعه أعمال المهجم في تهامة ، وانعم على الجيش ورجال الدولة ، وأبقى على حاشية ومعاوني وخدم الملك المجاهد ، الأمر الذي ساعد هؤلاء على العمل على عودة الحكم الى الملك المجاهد كما سنعلم .

كما قام الملك المنصور في فترة حكمه التي لا تزيد على ثلاثة أشهر باقطاع الأمير بدر الدين (حسن بن الأسد) والي ذمار أعمال حرض ، وولده الأمير اسد الدين (عبد الله بن المنصور) قلعة الدملوة وأعمالها وأمراء عديدين آخرين اقطاعات واسعة اخرى ، كان لجميعهم ادوارهم الكبيرة في اثارة المتاعب الكثيرة على الملك المجاهد منذ بدأت أول ثورة ضده في التأريخ المذكور ، وحتى القبض على الأمير الظاهر اسد الدين المذكور واعتقاله في عام (٧٣٤) للهجرة كما سنعلم أيضاً .
وكان تمرد الأمير الظاهر في قلعة الدملوة المنيعة وتوسيع نفوذه الى معظم اجزاء مملكة بني رسول بعد تنصيب نفسه ملكاً سبباً في اثارة عدد من القبائل اليمنية في تهامة

وبخلاف جعفر ضد الملك المجاهد ، لا في اثناء سيطرة الأمير الظاهر فحسب بل وطيلة عهد الملك المجاهد ، وأبرز تلك القبائل ، قبيلة المعازبة ، وقبيلة القرشية في تهامة ، إذ قوّى تمرده الطويل شوكة هاتين القبيلتين العتيتّين وغيرهما ، وشجعهما على التمرد على الملك المجاهد ، عانى الكثير من المتاعب في سبيل اخضاعهما .

عودة الحكم الى الملك المجاهد

عاد الحكم الى الملك المجاهد بتدبير من والدته (جهة صلاح) التي استطاعت ان تغري حامية الحصن ورجال المدفعية منهم بالذات وتستميلهم الى ولدها ، بعد ان تمكنت عن طريق بعض خاصة ابنها (الذين تسامح المنصور معهم ولم يغير عليهم شيئاً) من الاستعانة بجماعة من جنود عدن اليمنيين .

وقد فصّل حادث عودة الحكم الى المجاهد المؤرخ (تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني) في تأريخه[١١٧] فقال : « فوصل العرب اليمنيون الى المكان الذي تقرر طلوعهم منه ، وكان بينهم وبين العبيد المقيمين في الحصن اشارة فلمّا علم العبيد بهم ارسلوا لهم الحبال التي أعدوها للطلوع ، فطلع الحصن منهم اربعون رجلاً ، وباتوا تلك الليلة في الشربخانة (المدفعية) ، وهي الليلة السادسة من رمضان ، فلمّا نزل الطواشي شهاب الدين مرفق الخادم بمفاتيح أبواب الحصن خرجوا عليه وضربوه بالسيوف وأخذوا منه المفاتيح ، ودخلوا على الملك (المنصور) وقبضوا عليه ، وطلع العرب بظاهر البيوت ونادوا باسم المجاهد ، فترامى العرب المنصورية من الحصن ، وقاتل شمس الدين الطنبا والي الحصن قتالاً عظيماً ، حتى قتل ، ولما علم الناصر بن المنصور بهذه الحادثة ركب في جماعة من العسكر الى اسفل الحصن ، فلم يتهيأ لهم ما أرادوا ، وقام سواد البلد على الناصر ونادوا بشعار المجاهد ، وحمل الناس الى المجاهد بالحبال ، وملك الحصن ثانية واستولى على ما فيه ، وقبض على عمه المنصور وأودعه معتقل دار الأدب في نفس الحصن حيث ظلّ فيه الى موته في المحرم سنة ٧٢٣ هـ ، ودفن بمدرسة ابيه المظفر » . وأضاف المصدر قائلاً :

---

(١١٧) بهجة الزمن في تأريخ اليمن ص ١٣٧ .

« ولمّا ملك المجاهد ثانياً حلف لمماليك أبيه ، وكتب لهم ذراعه بالأمان والوفاء ، وجمع ملوك بني رسول كلهم تحت الاحتياط ما خلا ولدي الواثق فإنه لم يعثر عليهما » .

كما قبض[118] الملك المجاهد على الأمير الناصر بن الأشرف واعتقله فترة ثم افرج عنه واسكنه قرية السلامة في بلاد حيس وأجرى له ولمن معه النفقات اللازمة ، وكانت القرية المذكورة هي مكان الإقامة الجبرية التي يقيم ملوك بني رسول فيها من يمنحوهم العفو من الأمراء الرسوليين ، وقد شفع للأمير الناصر لدى الملك المجاهد كتاب منه للملك المنصور أيام حكمه عثر عليه بين أوراق المنصور ، وفيه يطلب الناصر من المنصور الرفق بالمجاهد اثناء اعتقاله ويعتذر له بصغر سنه وباحسان والده المؤيد لهما .

ومع استتباب الأمر للمجاهد فإنه ظلّ في صراع مع الخارجين عليه ، وفي مقدمتهم الأمير عبد الله بن المنصور الذي ولاه والده قلعة الدملوة وأعمالها فسيطر عليها ، ونصب نفسه ملكاً معارضاً للمجاهد وتلقب بالظاهر ، ودامت معارضته للمجاهد حتى قبض عليه بعد عشر سنوات وكانت الأحداث بينهما على النحو التالي :

الحصار الأول للملك المجاهد

كان الملك المنصور (كما علمنا) اثناء استيلائه على الحكم قد ولى ولده عبد الله قلعة الدملوة في بلاد الصلو من اعمال تعز وأعمالها ، ولما عاد المجاهد الى الحكم طلب[119] المنصور من ولده تسليم القلعة الى المجاهد ، فامتنع ، وكانت القلعة مقر ذخائر بني رسول ومستودع أموالهم ، الأمر الذي ساعد الأمير عبد الله على الصمود في وجه قوات المجاهد التي حاول بها أن يستعيد القلعة بالقوة ، برغم معارضة مستشاريه له في غزوها قبل أن ترسخ اقدامه على المناطق التي تمّ له استعادة

---

(١١٨) الخزرجي في تاريخه ص ٣٤٢ .

(١١٩) ابن عبد المجيد في تاريخه ص ١٣٧ .

نفوذه عليها ، بعد عودة الحكم اليه .

واستمال عبد الله بن المنصور مع ذلك اليه الكثير من قادة وعسكر المجاهد ، ومنهم الأمير غياث الدين محمد بن يحيى بن منصور الشيباني والأمير بدر الدين حسن ابن الأسد الكردي وأمير المماليك البحرية عز الدين بن أيبك . وتمكن ان يبسط نفوذه على عدد من المناطق ، ونصب نفسه ملكاً وتلقب بالظاهر كما أشرنا ، وأضطربت الأحوال على الملك المجاهد من جديد ، وخرج عليه القسم الأعلى نهائياً ، بل وساند الإمام محمد بن المطهر الظاهر ، ورجحت كفته ، وتمكن بعد ذلك من الاستيلاء على مدينة الجند ، وأن يجهز منها جيشاً لحرب المجاهد في عاصمته تعز نفسها ، كما قام المجاهد من ناحيته بتجهيز جيش لمنازلة جيش الظاهر المعسكر في ضاحية تعز ، يقود جيش المجاهد ابن اخيه الفائز بن المظفر بن المؤيد ، وابن شكر احد قادة أكراد ذمار ، ولم تقم حرب بين الجيشين ، وإنما انضم معظم جيش المجاهد الى جيش الظاهر ، وصار الجيش كله ظاهرياً (على حد ما جاء في تأريخ ابن عبد المجيد)[١٢٠] وتخلص القائدان الفائز وابن شكر وعادا الى المجاهد .

ولكن جيش الظاهر ارتفع من معسكره بعد سبعة ايام ، وقليل منهم عاد الى ولائه للمجاهد ، وبعد فترة قامت حامية تعز نفسها ومعظمهم من المماليك بمحاصرة الملك المجاهد في حصن تعز ، مدفوعين من قبل الظاهر .

ولكن[١٢١] المجاهد استطاع ان يرفع عنه الحصار بعد سبعة أيام ، وذلك بأن أعلن إباحة قتل المماليك وأسرهم انى كانوا وحيث وجدوا ، وقتل الكثير منهم وأسر عدد من زعمائهم ، وسيقوا الى المجاهد الى الحصن ، حيث شنق سبعة منهم ، ورمى باثنين من اعلى الحصن ، وكانت هذه الأحداث في عام ٧٢٣ هـ .

أمّا من أفلت من المماليك وعلى رأسهم (بهاء الدين بهادر الصقري) فإنهم قصدوا الظاهر الى قاعة الدملوة ، فجهزهم الى الخوخة ، وكان فيها معسكر

---

(١٢٠) العسجد المسبوك ص ١٢٨ .

(١٢١) العسجد أيضاً ص ١٢٩ وابن عبد المجيد ص ١٤٠ .

للمجاهد فيه مائتا فارس ، لاستمالتهم الى الظاهر وقد نجحوا في مهمتهم لأنهم كانوا في حالة اضطراب وتردد بين الاستمرار على الولاء للمجاهد أو الانضمام الى الظاهر .

ثم تقدموا مع الوافدين عليهم الى زبيد ، وعسكروا في بستان الراحة خارجها بالقرب من باب قرتب احد ابواب زبيد ، وفي الليل استطاع عدد من المماليك اصحاب الصقري تسلق سور المدينة الى داخلها بمساعدة جماعة من المرتزقة كانت تعرف بالعواريين ، وفاجأوا حراس احد الأبواب وفتحوها لبقية المماليك والفرسان ، واستولى الصقري على زبيد باسم الظاهر ، وذلك في غرة شهر رجب من نفس العام (٧٢٣ هـ) وكان أهل زبيد يميلون الى بهادر الصقري المذكور ، لمعرفتهم له منذ كان اميراً عليهم في عهد الملك المؤيد .

ويبدو انهم تعاونوا معه في استيلائه على زبيد للظاهر . ثم بسط نفوذ الظاهر في تهامة كلها ، وخطب له على منابرها ، وضرب السكة باسمه . وصارت مدينة زبيد المعسكر الرئيسي لجيش الظاهر .

وتمكن بعد ذلك من الصمود لجيش الملك المجاهد الذي جهزه لاستعادة زبيد بقيادة الأمير نجم الدين احمد بن ازدمر وابن العماد والزعيم بن الأفتخار .

بل ومفاجأة جيش المجاهد هذا قبل ان يأخذ أهبته للقتال ، وفي حين كان القائد ازدمر متغيباً عن الجيش مع عدد من جنوده في مزرعة له في المنطقة .

وأسفرت المعركة التي قامت بين الجيشين عن انهزام جيش المجاهد ومقتل عدد من قادته ومنهم أبن العماد وأخو الورد السنبلي ، وأسر نجم الدين ابن ازدمر اثر عودته من مزرعته اثناء المعركة فيما يبدو ، وكان ذلك في الثامن من شهر رجب من نفس العام المذكور أيضاً .

وقد تتابعت الأحداث في غير صالح الملك المجاهد ، وذلك بعد بسط الظاهر نفوذه على تهامة وعلى مخلاف الجند ، فاستولى عامل لحج للمجاهد (ابن الدويدار) على عدن باسم الظاهر أيضاً ، وقبض على والي

عـدن (بدر الـدين حسن بن علي الحلبي) وأرسله الى الـظاهر الـذي اعتقله في حصن السمـدان من بلاد الحجـريـة حيث كـان الـظاهـر فيه ، وكـان قـد اطمـأنّ الى مركـزه وقلق مركـز الملك المجاهـد وصار أي الـظاهر يتنقـل بـين قلعـة الدملوة وقلعـة السمدان المـذكور ، وكـان استيلاء ابن الـدويـدار عـلى عـدن في شهر شعبـان من نفس العام أيضـاً ٧٢٣ هـ ، وبـذلـك لم يبق عـلى ولائـه للملك المجاهـد إلا حصن تعز وأعمـاله والـذي كـان مـع ذلـك تحت رحمة أهل صبر الجبل المطل عليه ولذلك فـإنّ المجاهـد صار يغـدق على أهـل صبر العطايا ويجري لهم الميـزانية خشيـة ان يقطعـوا الماء النـازل من صبر الى الحصن ، ولضمان استمرار ولائهم له .

الحصار الثاني للملك المجاهد

وبالرغم من ذلك فإنه حدث ما كان يخشـاه المجاهـد . إذ تحالف[١٢٢] أهـل صبر مـع حاميـة تعز ضـد الشفاليت[١٢٣] جنـود والي حصن تعز (ابن حسـين) ، وتـطوّر ذلـك التحـالف ضـد الملك المجـاهـد نفسـه ، وأدى الى حصاره في الحصن ، وبالـطبع فإنّ ورا ء ذلك التحـالف الظاهـر الذي عـزز المتحـالفين بجيش بقيـادة الأمير نجم الـدين محمد بن طـرنـطاي ، ثم عـززه بأمير عدن ابن الدويدار آنف الذكر .

وقـد استمرّ هـذا الحصار الثـاني الذي بـدأ في عام (٧٢٤ هـ) تسعـة أشهـر ، وتخلى عن المجـاهد حتى استـاذ داره وأتابك عسكـره (غيـاث الـدين حسن بن نـور) الـذي تحيّـل في الخـروج من الحصن بـأن أقتـرح عـلى الملك المجـاهد الخـروج لإستمـالـة كبـار القـادة المحاصرين للحصن ، أو دس السم

---

(١٢٢) الخزرجي في العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام والثقافة آنف الذكر ص ٣٤٧ .

(١٢٣) الشفاليت جمع شفلوت كلمة افرنسية الأصل ، وتعني فرسان ، ولعـل الاستعمال جـاء الى اليمن مع فرسان الصليبيين الـذين حاربهم الأيـوبيون ، ثم انتقلت مـع فرسـان الأيوبيـين ومن بعدهم الرسوليون ،ولما عبث فرسان الرسوليين وربما والأيوبيون قبلهم بالناس صارت كلمة شفلوت تعني الردي (انتهى ملخصاً من كتاب (معارك حاسمة في التأريخ) لحمزة لقمان) .

لابن الدويدار الذي كان يعتبر أبرزهم ، وذلك في حالة تعذر استمالتهم الى جانب المجاهد ، إذ اعرب لابن الدويدار ومن معه عن ولائه للظاهر ، فاشترطوا لتصديقه ان يقوم بضرب الحصن بالمنجنيق ، فكتب للمجاهد بشرطهم ، فأذن له بذلك ،وبذلك يكون قد ضمن خط الرجعة اليه لو انقلب الوضع لصالحه .

قال ابن عبد المجيد في تأريخه[١٢٤] « أخبرني المحقق للحال انّ الذي وصل الحصن من الحجارة المنحوتة أربعة آلاف حجر ، وحصل قتل كثير ، وخربت تعز خراباً لا يتدارك ، وخلت اكثر بيوتها ، واستمرّ الحصار الى ذي الحجة سنة (٧٢٤ هـ) » .

واضطرّ الملك المجاهد لطول الحصار أن يراسل ملك مصر المملوكي (محمد بن قلاوون الصالحي) يستنجد به مقابل حمل الأموال والهدايا اليه .

ووصلت رسله الى الأبواب السلطانية في عام (٧٢٥ هـ) فأرسل ملك مصر لنجدته جيشاً وصل متأخراً ، وبعد انفراج الأزمة عنه كما سنعلم .

انفراج الأزمة عن الملك المجاهد

أمّا كيف انفرجت الأزمة التي استحكمت على الملك المجاهد حتى لم يبق بيده إلا حصن تعز المقيم فيه والذي كان مع ذلك محاصراً كما علمنا ؟ فقد حدث ما ليس في الحسبان أنه سيكون سبباً في انفراجها .

وهو انّ [١٢٥] قبيلة المعازبة (الزرانيق) احدى القبائل العتية في تهامة غزت مدينة القحمة في تهامة أيضاً واستولت عليها بعد ان نهبتها وهدمت بعض منازلها ، وكانت في ولاية الشريف (داود بن قاسم الحمزي) الذي

---

(١٢٤) بهجة الزمن في تاريخ اليمن ص (١٤٣ .

(١٢٥) الخزري في العسجد ص ٣٤٩ . وقرة العيون (مخطوط) وتاريخ الأئمة ص ٢٢٤ .

أسرع بجموعه من اشراف القسم الأعلى ومن أشراف المخلاف السليماني شمال تهامة ، ومن غيرهم من القبائل اليمنية واستعادها بعد قتال المعازبة واخراجهم منها .

ولّما علم الملك المجاهد بوجود الأشراف في القحمة ارسل ابن الزعيم مع ابني اخيه الفائز وقطب الدين ابني حسن بن المؤيد بأموال كثيرة لاستخدامهم وغيرهم من القبائل ، واستطاع مبعوثو الملك المجاهد ان يجمعوا الف وثلاثمائة فارس وألف راجل قضوا جميعهم عيد الأضحى من عام (٧٢٤) للهجرة في مدينة المحالب من تهامة بانتظار انضمام اكراد ذمار اليهم .

وبعد تكامل جموعهم قصدوا مماليك الكدراء في تهامة لحربهم حسب خطة الملك المجاهد بغية تفريق المماليك المحاصرين له في حصن تعز بقيادة ابن الدويدار ، وقامت معركة بين الجانبين انهزم فيها المماليك ، الأمر الذي دفع المماليك المحاصرين للملك إلى أن يسرعوا لنصرة مماليك الكدراء ، وانصرف ابن الدويدار بعد انصرافهم ، وبذلك ارتفع الحصار الثاني عن الملك والذي دام تسعة أشهر .

أمّا ابن الدويدار فإنه سار الى لحج محل ولايته واكمل فيها استعداده لغزو عدن في محاولة منه للاستيلاء عليها لنفسه منتهزاً الصراع بين المجاهد والظاهر ، وضرب حصاراً عليها دام أياماً ، صمد له أثناءها واليها (الربيع ابن الصليحي) ثم صالحه ، ولّما تم الصلح بينهما طلب ابن الدويدار دخول المدينة لتأكيد الصلح ، وكان الملك المجاهد هو الذي وضع خطة الصلح لأبن الصليحي .

قال الخزرجي[١٢٦] : « فلمّا تمّ الصلح قال (ابن الدويدار) اني اريد دخول المدينة ، فقال له الوالي (وهو ابن الصليحي) : البلد بلدك

---

(١٢٦) العسجد أيضاً ص ٣٥٠ ، ويبدو ان الملك المجاهد كان قد استعاد نفوذه على عدن .

ولكن المصلحة أن تدخل في جماعة من العقلاء ممن لا يحصل منه أذية على أهل البلد ، فدخل في جماعة من أصحابه ، فأمن تلك الليلة في اصحابه يشربون ، فلمّا اصبح دخل الحمام فبينما هو في المخلع اذ هجم عليه الوالي ومن معه من عسكر الليل فقتلوه وكان قتله يوم السابع من ربيع الأول من السنة المذكورة » (٧٢٥) للهجرة ، وتفرق عسكره الذين كانوا معسكرين خارج مدينة عدن ، ثم استولى ابن الصليحي على لحج باسم الملك المجاهد .

وكان انتصار المجاهد في الكدراء وفي عدن بداية انتصاراته الساحقة ضد الظاهر .

كما استعاد المجاهد نفوذه في تهامة كلها ، بعد وصوله اليها وتجواله فيها ، تلبية لطلب مشايخ العواريين[١٢٧] الذين قاموا بالتعاون مع أهل زبيد بطرد المماليك منها .

كما قبض الملك المجاهد على الأمير الناصر (محمد بن الأشرف اسماعيل بن المظفر) الذي نصبه المماليك المنهزمون من زبيد ملكاً ، واعتقله في دار الأدب بحصن تعز ، حيث ظلّ فيه الى موته[١٢٨] في شهر رجب من العام المذكور (٧٢٥ هـ) .

وباستتباب الأمر للملك المجاهد بعد جولته على رأس جيشه في تهامة لإخضاع بقايا الخارجين عليه انشأ الفقيه محمد بن منصور العامري قصيدة بليغة لم يقف المؤرخ الخزرجي[١٢٨] منها إلا على الأبيات التالية :

وعارض يحدو به عارض	يحن في الجو حنين اللقاح
يسوقه البرق بأسواطه	اذا دنا مال عليه وصاح
لمّا تلاقينا وقد أثمرت	بالموت اطراف غصون الرماح

(١٢٧) العواريون هم المرتزقة الذين يقاتلون بغير صفة رسمية سعياً وراء المال . في عرف اليوم

(١٢٨) العسجد أيضاً ص ٣٥٥ .

(١٢٨) نفس المصدر ص ٣٥٥ .

ولـلمنـايـا سـحـب مـاؤهـا	تجري على حـد متون الصفـاح
ومـضـمـرات الخـيـل كـراتهـا	كـرات صب مبتـلي بـالملاح
وأقـبـلت خـضـراً يمـانـيـة	عجـاجها بـالمسك والنـد فـاح
سـفـيـنـة تحـمـل أثـقـالهـا	تمشي رويـداً مثـل مشي الـرداح
بـلا ولي انـكـحـت نفـسـهـا	لا تـنـكـح الهـيجـاء الاسـفـاح
مـلاحـهـا لا يشتـهـي وصلهـا	ورب وصـل فـيـه حتف متـاح

قوات مصرية في اليمن

تحـدث الدكتـور محمد عبـد العال أحمـد في كتـابـه (بنـو رسـول وبنـو طاهر)[١٢٩] في الفصل الرابع من الباب الثاني الخاص بـالعلاقـات الخارجيـة في عصـر بني رسـول ، عن حـادث العـون العسكري المصـري المرسـل الى اليمن من قبـل سلطان دولة المماليك في مصـر (محمد بن قلاوون) الصـالحي المملوكي ، تلبية لطلب الملك المجـاهد الـذي وجهه اليـه اثناء اشتـداد الأزمة عليه من قبل الخارجين وذلـك صحبة مبعـوثه اليـه (كافـور الثعلبي) في عام (٧٢٤ هـ) .

وقـد أورد الدكتـور محمد عبـد العـال في الفصـل المـذكـور مـلابسـات الحـادث التي دفعت المجاهـد الى طلب العون العسكـري المصري ، ثم الى مضـايقته للقـوات المصريـة وإعادتهـا الى مصردونان يسمـح لها بـالقيام بـأي نشـاط عسكـري ، تنفيـذاً للغـايـة التي وصلت الى اليمن من أجلهـا ، مستنـداً[١٣٠] في كل ذلـك الى مراجـع توفـرت له فيما اعتقد من دور الكتب العامة في مصـر وغيرهـا ، لا تتوفـر لأي مؤرخ يمني يقتصر عـلى ما يتـوفر لـه

(١٢٩) من ص ٤٠٨ .

(١٣٠) كـابن ثغري بـردي في (النجوم والمنهـل) والعيني في (عقد الجمـان) والفيـومي في (عقد الجمان) والخزرجي في (العقد الفاخر) وابن أيبك في (كنـز الدر) والمقـريزي في (السلوك) وباغرمة في (تأريخ ثغر عدن) وغيرهم .

من مراجع خاصة ومحدودة في اليمن ، فقال : « ومهما يكن من امر فقد عاود المجاهد الاستنجاد بمصر سنة (٧٢٥ هـ) وعمل هذه المرة على اغراء السلطان المملوكي وترغيبه بكثرة اموال اليمن ، وأمام هذا الإلحاح ، وما صحبه من شروط والتزامات قطعها المجاهد على نفسه استجاب الناصر (محمد بن قلاوون) رغبة في كسب ولاء السلطان الرسولي له ، وتبينّ له أنّ الحملة بعد تجهيزاتها ستكون بعد وصولها اليمن واقرار الأوضاع فيها دليلاً على قوة مصر وعظم امكاناتها وقدرتها على ضرب أي محاولة يقوم بها سلطان اليمن للخروج من الطاعة والولاء لمصر ، ولهذا اصدر السلطان الناصر أوامره باعداد الحملة بقيادة الأمير (بيبرس الحاجب) والأمير (جمال الدين طبلان) ، وكانت الحملة تتكوّن من ألف فارس وألف راحلة وهذا الى جانب ما زوّدهم به السلطان من الأموال والأزواد والعتاد وغير ذلك مما استلزم حمله على اثنين وعشرين ألف جمل ، وغادر بيبرس ورفاقه من كبار الأمراء والعشراوات والمقدمين واعيان الحلقة والمماليك السلطانية القاهرة في ربيع الآخر سنة (٧٢٥) للهجرة ومعه عدة تشاريف لملك اليمن وامراء الحجاز لتسهيل مهمته والقيام بخدمة الحملة ، فلمّا وصل الى مكة دخلها معتمراً في جمادي الأولى ، وأقام بمكة حتى وصلته مراكب الغلال من مصر الى جدة ، وأرسل كتب الأمان الى العربان وأهل مدينة حلي بن يعقوب وأشراف المخلاف السليماني ، موضحاً فيها التزامه بما أوصاه به السلطان من حسن معاملتهم وعدم التعرض لهم ولأموالهم ، ولم يبق في مكة طويلاً اذ غادرها بعد عشرة أيام من وصوله اليها في طريقه الى اليمن ، فوصل الى حلي ومنها الى حرض .

وكان (بيبرس) قد بعث بكتاب الى المجاهد عن طريق البحر حمله اليه رسوله كافور الشبلي الذي عاد من مصر صحبة الحملة ، وكانت الأخبار قد وردت الى بيبرس بخوف أهل زبيد من التعرض لبطش عسكر مصر ، وأنهم لذلك عادوا الى طاعة المجاهد ، كما بلغه انه (أي الملك المجاهد موجود فيها) .

أمّا السلطان (المجاهد) فقد استشعر بنذر الخطر عند ما بلغه عظم القوة المملوكية القادمة وضخامتها ، وقد ظهر ذلك جلياً في رده على الرسالة التي بعثها الى بيبرس ، ولكن بيبرس اعاد الكتابة اليه يطمئن قلبه .

وتم وصول الحملة الى زبيد في رجب (٧٢٥ هـ) فخرج السلطان المجاهد في اعيان دولته وعسكره لاستقبالها ، فترجل له امراء الحملة وساروا في خدمته الى خيمة فخمة نصبوها له ، والبسوه خلعة فاخرة وكلفتاه(١٣١) زركش وحياصة ذهب ارسلها السلطان الناصر محمد بن قلاوون اليه بالإضافة الى عمامة بعذبتين.» .

وأضاف الدكتور محمد عبد العال الى ذلك قوله : « وبينما يذكر كل من المقريزي وابن ثغري بردي دخول المجاهد بالحملة وسط مظاهر الفرحة بوصولها ، يذكر المؤرخ الخزرجي انّ الحملة عسكرت تجاه باب الشبارق خارج المدينة ، من الجهة الشرقية ، ونميل الى ترجيح رواية الخزرجي ، ذلك انّ القول ببقاء القوات المملوكية خارج مدينة زبيد يتفق مع موقف المجاهد وتصرفاته التي كان يحكمها تخوفه المفاجىء من وجود القوات الكبيرة في بلاده ، وخشيته من الأهداف البعيدة التي تستهدفها الحملة كالاستيلاء على البلاد والإطاحة بعرشه ، ويؤيد ذلك الخطاب الذي ارسله المجاهد لبيبرس وأعترف له فيه بأنه سُقط في يدهِ على طلب العسكر وخاف على نفسه ، يضاف الى ذلك انّ المجاهد لم يكد يستقبل الحملة حتى سارع بالتوجه الى تعز ، تاركاً الحملة في معسكرها ، معتذراً من عدم امكان استصحاب الحملة معه بأن الطريق لا يسعهم اذا ما توجهوا معه دفعة واحدة ، هذا الى جانب كثير من المواقف الأخرى التي قصد بها المجاهد وضع العراقيل امام الحملة لإرغامها على العودة ، فهو لم يقم بعد استقبال الحملة ببحث

(١٣١) الكلفتاه أو الكلفتة من غطاء الرأس استحدثه الأيوبيون في مصر وكانت من الجوخ الأصفر وتلبس بغير عمام ، وقد أضاف السلطان محمد بن قلاوون لبس الشاش عليها ، والحياصة هي المنطقة أو الحزام تشد فوق الأقبية . وكانت من الفضة المطلية بالذهب ولا ترصع بالجواهر إلا في خلع السلطان لأكابر الأمراء ، انتهى من حواشي مصدر هذا البحث .

الخطوات التي ينبغي اتخاذها لتؤدي مهمتها التي قدمت بناء على طلبه من اجلها ، فإنه لم يوفر لعسكرها ما يلزم من الإقامات ، رغم احتجاج بيبرس ، وذلك بحجة خراب البلاد ، وفي نفس الوقت منع أهل زبيد العسكر المصري من دخول المدينة وإمدادهم بالأقوات والعلوف اللازمة » .

ثم سرد الدكتور عبد العال في كتابه (بنو رسول وبنو طاهر) المذكور بعض الأمثلة الدالة على عرقلة المجاهد للحملة أمام القيام بأي دور مما جاءت من أجله ، وأضاف الى ذلك قوله : « ولم يجد المجاهد امامه سوى ايجاد ذريعة يتعلل بها لاجلاء العسكر المملوكي ، أو تدبير مكيدة يتخلص بها من الحملة بأكملها ، فطلب تقسيم العسكر الى مجموعات وتوزيعهم على المناطق المختلفة في عدن ولحج وأبين وصبيا ومخلاف جعفر ومواضع اخرى متفرقة ، وكان طبيعياً ألا يقبل قائد الحملة هذا الطلب لما يتوفر فيه من سوء النية ، هذا الى جانب انّ توزيع الحملة على هذا النحو يمزق قوتها ، ويفتت وحدتها ، ويعرض العسكر الى اشلاء يمكن ابادتها بسهولة ، فلمّا اعلن رفضه كتب اليه المجاهد يطلب منه مغادرة البلاد لانتهاء مهمتهم ، وانه لم تعد هناك حاجة لبقائهم ، وقال : « إن كان السلطان الناصر قد رسم لكم بالاقامة فالأمر اليه ، وإن كان إنما ارسلكم لنصرتي فارجعوا الى ابواب السلطان ، وامتنع تماماً عن الوفاء للحملة بما كان قد التزم به للسلطان الناصر محمد بن قلاوون في كتابه وقت ان طلب مساعدته ، واعتذر بأنّ جميع أمواله محفوظة في حصن الدملوة الذي يسيطر عليه منافسه الظاهر عبد الله ، فأشهد بيبرس قضاة تعز على هذا الموقف ، وبأن المجاهد طلب اليه العودة الى مصر » .

وفي شهر شعبان من سنة (٧٢٥ هـ) غادرت القوات المملوكية تعز في طريقها للعودة فكان وصول القوات الى القاهرة في ذي القعدة من نفس العام ، فاستقبلهم السلطان في القلعة وخلع عليهم ، ولكنه لم يلبث ان غضب على بيبرس وسجنه لاتهامه بغير دليل بالاستيلاء على اموال من صاحب اليمن وغيره ، ولتقاعسه أمام تصرفات المجاهد في الاستيلاء على

اليمن » .

« أما السلطان المجاهد الرسولي فيبدو انه خشي انتقام السلطان المملوكي ، فعمد الى ازالة ما ترسب في نفس السلطان من عوامل الاستياء من تصرفاته نحو عسكره ، فأعدّ في نفس العام هدية نفيسة بعث بها في ذي القعدة الى مصر ، ووصلت الى السلطان المملوكي في ربيع الأول من سنة (٧٢٦ هـ) فأنعم السلطان على الرسول كسابق عادته ، وكانت عودة تلك السفارة في ذي القعدة سنة (٧٢٦ هـ) بهدية من ثلاثين مملوكاً » .

وقد تدهورت العلاقة[١٣٢] بين الملك المجاهد الرسولي وملك مصر (محمد ابن قلاوون) الصالحي المملوكي في عام (٧٣٠ هـ) وذلك بسبب ما نسب الى الملك المجاهد من تعرضه لمبعوث ملك الهند الذي كان في طريقه بحراً الى مصر ، واستيلائه على الهدية التي كان يحملها المبعوث الى ملك مصر المذكور وقتله للمبعوث .

وقد انتهز الإمام محمد بن المطهر فرصة تدهور العلاقة بين الملك الرسولي اليمني والملك المملوكي المصري فبعث رسولاً الى مصر يشكو المجاهد ويعدد مثالبه ، ويطلب من ملك مصر ان يمده بقوة عسكرية للقضاء على بني رسول في اليمن مقابل تقديم بعض ما يتم الاستيلاء عليه (هكذا في المصدر) . ولكن الملك المصري محمد بن قلاوون المذكور رد عليه بقوله : « انه لا رغبة لنا في السلب ، وأنّ النصرة تكون لله خالصة » .

ولم يعبأ الملك المجاهد بتهديد الملك المصري له ، وذلك بفضل استقرار الأحوال بالنسبة له في اليمن بعد القضاء على منافسه الملك الظاهر وبسط نفوذه في جميع انحاء مملكته ، وأوقف إرسال الهدايا الى ملك مصر المذكور ، ووثق علاقته مع اشراف مكة .

---

(١٣٢) بنو رسول وبنو طاهر ص ٤١٩ .

هـذا وقد جـرّتنا احـداث العلاقـة اليمنية المصـريـة الى سبق احـداث وقعت داخـل اليمن قبلهـا منـذ غـادرت الحملة المصــريـة اليمن قـافلة الى مصر .

ذلـك ان الملك المجاهـد تنفس الصعداء بعـد مغـادرة الحملة لليمن ، وتحـرك من جديـد لبسط نفوذه على بقية المناطق التي خرجت عليه أثناء الحصار الثاني الذي فُرض عليه ، والذي دام تسعة اشهر كما عـرفنا ، وكـان قد بسط نفوذه على تهامة والجنـد قبل وصـول الحملة المصرية الى اليمن ، وكان ذلـك من دوافع استغنائه عن عون الحملة ، وأول[١٣٣] عمـل قام بـه بعد مغـادرتها لليمن هو غزوه لمدينة عدن التي يبدو انها خرجت عن نفوذه مـرة أخرى بغيـة استعـادتها ، وتكـررت محاولاتـه حتى تمّ له ذلـك بمسانـدة بعض حـاميتهـا ، وذلك في عام (٧٢٨ هـ) وأقـام فيها مـدة غادرهـا بعدهـا الى قلعة الـدملوة التي كـان قد استـولى عليها في نفس الشهـر الذي اسـتـولى فيـه عـلى عـدن ، هذا وكان الملك المجاهد قد انسحب من إحدى غزواته لعـدن وقبل استيـلائه عليها حيث أُرجف في جيشه بأن الإمام محمد بن المطهر قادم مع ابن الأسد والي ذمار للظاهر بقواتها الى لحج لمساندة الظاهر الذي كان آنذاك في عـدن ، وقد وصل الإمام فعلاً مع ابن الأسد بقواتها الى لحج وذلك في عام (٧٢٦ هـ) ، وخرج الظاهر من عدن إلى لحج وتقدم مع الإمام الى بلاد تعز عن طريق بلاد ماوية لحرب المجاهد الذي أسرع بدوره على رأس قواته الى بلاد ماوية للتصدي للحليفـين ومنازلتهـما وللدفـاع عن حصـونـه في المنـطقـة . واضـطرارهـمـا الى الانسحاب منها ، فرجع الإمام الى بلاده وسار الظاهر الى حصن السمدان في بلاد الحجرية والذي يعد ثاني حصن منيع في يده بعد الدملوة ، وكان قد ملك حصن السمدان بعد والده الملك المنصور .

ولما تمّ للملك[١٣٤] المجاهد الاستيلاء على قلعة الدملوة المنيعة واستتبّ له

---

(١٣٣) الخزرجي في العسجد ص ٣٥٨ .

(١٣٤) العسجد ص ٣٧٣ .

الأمر في كافة انحاء المملكة بدأت المفاوضات بينه وبين منافسه العنيد الظاهر عبد الله بن أيوب المعتصم في حصن السمدان ، وذلك على عقد صلح بينهما ، وتم عقده في المحرم من عام (٧٣٠ هـ) ، ثم صار الظاهر فيه كالمحصور ، وتفرق عنه انصاره ، الأمر الذي حمله على طلب الأمان من الملك المجاهد بواسطة القاضي جمال الدين محمد بن مؤمن ، فأمنه وحاشيته ، وقدم اليه برفقة القاضي المذكور وذلك في عام (٧٣٤ هـ) وقد أمر الملك بانزاله في احدى دور الإمارة في حصن تعز ، ولم يلبث ان أمر بايداعه دار الأدب في الحصن المذكور ، وفي نفس العام وافاه أجله في معتقله، المذكور ، وقد ذكر المصدر[١٣٥] ان الملك امر حاكم الشرع الشريف وجماعة من أعيان الفقهاء في تعز ان يروا جثمانه إثر موته ويتفقدوا جميع اعضائه وانهم لم يجدوا فيه أثراً وقرروا ان موته كان ربانياً ، ثم كُفن وصلي عليه وشيع جثمانه الى مثواه الأخير في مقبرة ملوك بني رسول الملاصقة لجامع المظفر من الجهة القبلية .

ثم انتهج الملك المجاهد[١٣٦] في سبيل القضاء على بقية العناصر المناوئة له مسلكاً عنيفاً ، فاتخذ كل وسائل القمع والتنكيل بهم قتلاً وتغريقاً وسملاً للأعين وتشريداً ، وأحرق المزارع وأخرب الدور والقرى ، وبالغ في اذلال قبيلة المعازبة (الزرانيق) بعد ان قتل العديد من رجالها وقطع نخيلها من وادي المدني في بلادها بتهامة ، ثم شيخ عليهم امرأة تعرف بابنة عاطف ، وكساها . قال الخزرجي في المصدر المذكور : « فكانت تركب دابة من الحمراء وجملا ، وتقود المعازبة بأسرهم بعد ذلك الفساد الشديد والطغيان العظيم » . وربما انتهج قتل الكثير من الملوك والأمراء الرسوليين المنافسين له والخارجين عليه والذين تمّ له اعتقالهم بالسم أو الخنق ، بدليل موت الكثير ممن يعتقلهم بعد اعتقالهم بفترات وجيزة ، ابتداء بعمه الملك المنصور وانتهاء بولده المؤيد بن المجاهد وابن اخيه الفائز قطب الدين وقد

---

(١٣٥) العسجد ص ٣٧٣ .

(١٣٦) العسجد ص ٣٧٧ ،

دفعه الى اتخاذ هذا المسلك العنيف مع مناوئيه والخارجين عليه من اسرته وغيرهم ما عاناه من متاعب وما قاساه في الحصار الثاني الذي دام تسعة أشهر، ضرب الحصن الذي كان ممتنعاً فيه بتعز بالمنجنيق ، وقطع عليه الماء ، وذلك منذ توليه الحكم بعد موت ابيه ، وحتى قبضه على ابن عمه الظاهر عبد الله بن أيوب الذي نافسه وامتنع عليه في قلعة الدملوة ثم بسط نفوذه في كافة انحاء المملكة تقريباً ، وألب عليه جميع القوى للخروج عليه وحربه كما عرفنا وكانت المدة التي استمر الملك المجاهد فيها يلاحق مناوئيه منذ انفراج ازمة الحصار الثاني وحتى قبضه على الملك الظاهر سبع سنوات .

ولمّا اطمأن (١٣٧) الى استتباب الأمر له واقرار الأمن والاستقرار في سائر انحاء مملكته ، غادر مدينة تعز عاصمة الدولة الرسولية لاداء فريضة الحج وذلك في شهر شوال من عام (٧٤٢ هـ) .

وقد استقبلته جموع اليمنيين في مختلف المناطق التي مرّ بها استقبالاً حافلاً ، وقام هو من ناحيته بتوزيع الهبات والصدقات لرؤساء القبائل وأعيان المناطق وعلمائها وفقرائها .

كما استقبله حاكم مكة الشريف (رميثة بن أبي نمي) الى مشارف الحجاز استقبالاً عظيماً ، وكان في صحبة شريف مكة اشراف مكة وأكابرها ، وكان قد بعث اليه الى اليمن ولده الشريف (ثقبة بن رميثة) ليكون في صحبته من اليمن الى الحجاز ، وأجزل الملك المجاهد العطاء لأشراف مكة ولغيرهم فيها ، وخلع على امير الركب المصري وعلى امير الركب الشامي وأكرمهما .

ولما قضى مناسك الحج غادر الحجاز عائداً الى اليمن وذلك في الثامن عشر من شهر ذي الحجة من العام المذكور . وقد وصل مدينة زبيد في اليوم الثالث من شهر صفر من عام (٧٤٣ هـ) ومنها واصل سفره عائداً

---

(١٣٧) نفس المصدر والصفحة .

الى تعـز ، وفيها انعم عـلى كـافـة عسكـره بـالكثـير من الأمـوال والكسـاوي وغيرهما .

وقـد خالف[١٣٨] الأمـير المؤ يـد بن الملك المجاهـد عـلى أبيـه في عـام (٧٤٤ هـ) واستـولى على مـدينة المهجم بتهـامـة بحجـة تقـديم أبيـه لأخيـه الظافر عليه وهو اصغر منه سناً ، فجهز الملك المجـاهد لحربه والقبض عليـه جيشـاً بقيادة وزيـره (مُوفق الـدين عبد الله بن عـلي اليحيـوي) ، ثم عـززه بجيش آخـر بقيـادة الأمـير سيف الـدين الخـراسـاني ، ولم يشتبـك الجيشـان معه ، وإنما قام قائداهما بملاطفته واقناعه بالعودة الى طـاعة ابيـه ، وضمنا لـه سـلامته ووصـلا بـه الى ابيـه الى تعـز في المحـرم من عـام (٧٤٤ هـ) وقـد عـاتبه أبوه عند دخـوله عليـه وضربـه ثم أمر بسجنـه ، في دار الأدب بحصن تعز حتى مات فيه .

كـما عزم الممـاليك عـلى الخلاف على الملك المجاهد بحجـة تأخـر صـرف مـرتباتهم ، والقبض عليـه وتنصيب ابن أخيـه الفـائـز ابي بكـر بن حسن بن المؤ يد ، منتهزين فرصة قلة حـرسه وخـاصته اثنـاء وجوده في مصيف لـه على البحر في بلاد زبيد عام (٧٤٧ هـ) .

وكانوا قـد اتصلوا بالأمـير الفائـز الذي كـان في المصيف ضمن حاشيـة الملك وضمنوا موافقته بعد تردد منه ، على اساس عدم قيامـه هو بـأي حركـة تنمّ عن اشتـراكـه في المؤ امـرة حتى ينجحـوا في القبض عـلى الملك ، وذلـك خشية انتقامه منه في حالة فشلها .

ولّما وصل خبـر ذلك الى الملك المجـاهد قبـل تنفيذ المؤ امـرة اسرع في العودة الى زبيد من غير الطريق التي يسلكها عادة وبذلك فـوّت الفرصـة على المتآمرين .

---

(١٣٨) نفس المصدر ص ٣٨٣ .

ثم جهـز ثلة من جيشه من زبيـد بقيادة الأمـير سيف الدين الخـراساني والطواشي نظام الـدين خضير والـطواشي رباع فيمن معـه من عبيد السـلاح وغلمـان البغلة (عـلى حـد مـا جـاء في المصـدر)[١٣٩] للقبض عـلى الأمـير الفـائز ، وقـال للحملة تقدمـوا الى قطب الـدين الفائـز وجيئوا بـه طـوعـاً أو كـرهاً ، وانـظروا هيئته هـل هو عـلى أهبة ؟ أم غـافل عن الأمـر ، وأضـاف المصدر قـائلاً : « فلمّا وصلوا دخـل عليه الـطواشي والأمير ، وأحـاط الباقون بالموضـع ، فلمّا دخلوا عليه وجـدوا دوابه مشـدودة ، فقالا بـاسم الله يا مولانا طلبت الى المقام الشريف ، فلم يجد بـداً من ذلك ، فقـربا لـه بغلة فـركبهـا ، وسـاروا جميعـاً الى بـاب الـدار ، فلمّا وصلوا بـه أشـرف عليـه السلطان وعاتبه ووبخه وأمر بتقييده والتقدم بـه الى تعز مقيـداً ، وخرجـوا به في ليلتهم ، فلمّا وصلوا به تعز لم تطل مدته هناك بل مات عن قريب » .

ثم قام الملك المجاهد بالتنكيـل بالممـاليك قتـلاً وشنقاً وتغـريقاً وسمـلاً كعادته في اجراءاته الانتقامية .

القبض على الملك المجاهد في مكة والسفر به الى مصر

عزم[١٤٠] الملك على اداء منـاسك الحـج للمرة الثـانية في عـام (٧٥١ هـ) ، وغادر مدينة تعز في الـرابع والعشـرين من شهر شـوال من نفس العام مستصحباً معه والدته (جهة صلاح) وولده (العادل)وعـدداً قليلاً من الحـاشية والحـرس والجنـود وكـان شـريف مكة (عجـلان بن رميثة بن أبي نمي) قـد استـولى على الحكم فيهـا بعد وفـاة والده دون اخيـه الأكبر (زين الـدين ثقبة ابن رميثـة) والـذي كـان عـلى ولاء للملك المجـاهـد الـرسـولي ، وكـان في صحبته من اليمن الى مكة هـذه المرة أيضـاً ، بينما كـان اخوه عجـلان منتمياً الى ملك مصر المملوكي .

---

(١٣٩) الخزرجي في العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام والثقافة آنف الذكر ص (٣٨٣) .

(١٤٠) نفس المصدر ص ٣٨٧ .

ولمّاا وصل المجاهد مكة نمي الى شريف مكة عجلان المذكور انّ المجاهد يعتزم بعد انقضاء موسم الحج ومغادرة الركب المصري لمكة انّ يقبض عليه أي عجلان ، ويستولي علي حكم مكة والحجاز لنفسه ويولي عليه من قبله أخاه الشريف ثقبة المذكور ، أو أنّ الشريف عجلان توقع حدوث ذلك ، فألقى إلى امير الركب المصري تلك التوجسات التي نميت اليه أو شعر بها وتخوف من حدوثها ، وأوعز اليه بضرورة القبض على المجاهد وعلى اخيه ثقبة والسير بهما الى مصر ، وأنذره انّ لم يفعل ذلك فإنه سيلحق بالركب الى مصر ويترك مكة للمجاهد ، ويحمل امير الركب مسؤولية تقاعسه .

ولمّا نعرفه من عدم رضى ملك مصر المملوكي (محمد بن قلاوون) عن الملك المجاهد فمن الجائز ان تكون قضية القبض على الملك المجاهد في مكة تمت عن ايعاز مسبق من ملك مصر بناء على وجود علم لدى مصر بأنّ المجاهد سيؤدي مناسك الحج ذلك العام ، ويستأنس لهذا الاحتمال حجز ملك مصر للملك المجاهد في مصر عاماً كاملاً .

وقد قام أمير الركب المصري بالتعاون مع شريف مكة عجلان بن رميثة ، بمحاصرة الملك المجاهد في خيمته بمنى ، ومحاصرة بقية الخيام التابعة له ولوالدته وولده وحاشيته وحرسه الخاص قليلي العدد ، وذلك في اليوم الثاني عشر من ذي الحجة من العام المذكور ، وفي وقت كان جمهرة عسكره المحدودين قد تفرقوا عن حراسة مخيمه في قضاء حوائجهم ، فقاتل حرسه الخاص دونه وقتل عدد منهم ، ولكنه منعهم من الاستمرار في القتال خشية ان يؤدي الى مقتله لقلتهم .

ثم اتفق مع الشريف عجلان ، ومع امير ركب الحاج المصري على ان يسلم نفسه للركب والسفر معه الى مصر دون ان يُمس بسوء، وتم تكوين حرس خاص به من حرسه ومن حرس الركب وحرس شريف مكة المذكور ، وسافر اسيراً محروساً غير مقيد ، وأقام تحت رعاية ملك مصر

المملوكي في مصر عاماً كاملاً ، ثم عاد الى اليمن ، ومنه بعث لملك مصر هدية جليلة حملها ولده الأمير الناصر ، كعرفان بالجميل الذي لاقاه من ملك مصر خلال اقامته في ضيافته وتحت رعايته .

أمّا والدته وولده العادل وبقية حاشيته وحرسه وعسكره فإنهم عادوا الى اليمن بعد سفر الملك نحو مصر . واستطاعت والدته جهة صلاح ان تحافظ على عرشه الى عودته وأن تدير شؤون دولته مستعينة بالطواشي سيف الدين أهيف وبكبار رجال الدولة ، خلال تغيبه ، وبعد ان قطع الطواشي اهيف الطريق لتنصيب ملك بدلاً عن المجاهد ، وشنق في سبيل اقرار الوضع السياسي في اليمن كلا من الوزير وقاضي القضاة موفق الدين عبد الله بن علي اليحيوي والطواشي جمال الدين بارع ، اللذين اتهمهما بتزعم حركة لتنصيب ملك بدلاً عن الملك الأسير .

ولقد كان لوالدة الملك المجاهد دور كبير في الافراج عن الملك . كما كان لها ادوار هامة خلال الأزمات الشديدة التي مر بها الملك المجاهد منذ توليه الحكم كما عرفنا .

ولقد ادى قبض الملك المجاهد في مصر عاماً كاملاً الى اضطراب الأحوال في اليمن وفي تهامة بالذات . إذ خرجت [١٤١] قبيلتا (المعازبة) و(القرشية) عن الدولة وأخلتا بأمن المنطقة كلها ، حتى خلت القرى إلا من المفسدين وخربت المزارع وقطعت السبل ، ولم يبق للدولة الرسولية وجود بسبب قوة شوكة المفسدين إلا في مدينتي زبيد وحرض ، وتعذر على الملك المجاهد منذ عودته الى اليمن اخضاعهما إلا بعد عشر سنوات ، وبفضل اختلافهما وقيام حرب بينهما اضطرت قبيلة القرشية بسبب تفوق قبيلة المعازبة عليها ان تعلن ولاءها للدولة الرسولية وتطلب من الملك المجاهد نصرتها على المعازبة .

---

(١٤١) الخزرجي في العسجد المسبوك ص ٣٩٦ .

وقد انتهز الملك ذلك الطلب وساند القرشية في اخضاع المعازبة حتى اضطرها الى ان تعلن بدورها الولاء للدولة ، وعادت الأحوال في تهامة الى الاستقرار .

كما قام الملك المجاهد في عام (٧٥٥ هـ) بضرب قبيلة الأشاعر بقبيلة القرشية .

ومع ذلك فلم يحسم الملك أمر فساد القبائل اليمنية بصورة نهائية في تهامة ومخلاف جعفر (في لواء اب) وصارت هاتان المنطقتان شغله الشاغل الى موته .

وقد[١٤٢] شجع تكرار تمرد القبائل في المنطقتين المذكورتين والي حرض الأمير نور الدين محمد بن ميكائيل الى اعلان خروجه عن الدولة ، وطمع بالاستقلال بما بيده وحارب الدولة الرسولية مستعيناً بالكثير من الأشراف وقبائل القسم الأعلى من اليمن ، وذلك منذ عام (٧٦١) للهجرة ، كما استعان ببعض قبائل تهامة التي وجدت في تمرده مشجعاً لها على العودة الى التمرد والفساد لتحقيق مآربها في السلب والنهب واخافة السبيل في قراها والقرى المجاورة لها .

أمّا ابن ميكائيل فقد اعلن استقلاله عن الدولة الرسولية في عام (٧٦٣ هـ) بولاية حرض ، وانتسب الى الحسين بن علي ، وحاول ان يبسط نفوذه الى بلاد زبيد ، وان يستولي على زبيد نفسها ، وضرب السكة باسمه وخطب له في منطقة نفوذه ، وفي ولاية حرض بالذات .

كما شجع تمرد ابن ميكائيل[١٤٣] أولاد الملك المجاهد الصالح والعادل فالمظفر على الخروج على الملك في عامي (٧٦٣) و(٧٦٤) للهجرة .

ويبدو مما تشير اليه المراجع انّ الملك المجاهد تمكن من اخضاع ولديه

---

(١٤٢) و(١٤٣) نفس المصدر ص ٤٠٥ .

الصالح والعادل ، ولم يتمكن من اخضاع ولده المظفر .

كما انه لم يتمكن من اخضاع ابن ميكائيل ، لما سنعلم من استمرار خلافه الى عهد الملك الأفضل العباس بن الملك المجاهد .

وأنّ الأفضل هو الذي قضى على تمرده ، وأنهى خلافه ووجوده وكل اثر له في المنطقة .

وفاة الملك المجاهد

وقد توفي[١٤٤] الملك المجاهد في مدينة عدن وذلك في شهر جمادي الأولى من عام (٧٦٤ هـ) عن ملك دام إحدى وأربعين سنة وبضعة أشهر ، وعن عمر دام حوالي ثمانية وخمسين عاماً ، قضاه كله في حرب الخارجين على دولته من أسرته ومن قادة عسكره ومماليكه ومن اليمنيين وفي منطقتي تهامة ومخلاف جعفر بصورة خاصة .

ولقد خرج عليه من أولاده أربعة وهم : المؤيد الذي مات في معتقله والصالح والعادل والمظفر كما علمنا .

ولقد كان عنيفاً مع الخارجين عليه وذلك بسبب ما عاناه من متاعب الثورات التي قامت ضده منذ تولى الحكم وطيلة عهده ، وأخذ بالظنة وقتل بالتهمة ، وتشكك في كل من حوله ولم يطمئن إلا الى القليل من خاصته ، وقليل هم الذين سلموا من قتله أو سجنه .

كما وصف بأنه كان شجاعاً وكريماً وعالماً وشاعراً ، ومن شعره قوله :

أنا نلت العز باطراف القنا   ليس بالعجز المعالي تقتنا
نحن بالله ملكنا اليمنا   كل فخر يدعي الناس لنا

(١٤٤) العسجد من ص ٤٠٧ .

أنا شبل الملك زين الكتب   يوسف جدي وداود أبي
والشهيد الملك زاكي النسب   وعلى الصل زاكي الحسب
جدنا بعد رسول جدنا

ان تكن اضحت علاهم خَبَرا   فالعلى مني بالعين تُرى
أنا كالليث اذا ما زأرا   أنا كالبحر إذا ما زخرا
المنايا في يميني والمنى

أبذل المال ولا أجمعه   كل عاف نحونا منجعه
واذا القرن طغى أصرعه   واذا ولى فلا أتبعه
وإذا لاذ بعفو أمنا

شيم تشبه تلك الشيما   يمنّ لي من جدودي القدما
ثم ملك الشام من ملك السما   يعشرون الناس طراً رغما
من هنا أو من هنا أو من هنا

ووصفه الخزرجي في (العسجد المسبوك)[١٤٥] فيمن ولي اليمن من الملوك) آنف الذكر بقوله : « وكان المجاهد ملكاً سعيداً عاقلاً رشيداً جواداً لبيباً شجاعاً شهماً عالماً ذكياً فطناً لوذعياً » وأضاف قائلاً : « فمن جوده وسخائه ما أخبرني به الإمام العلامة جمال الدين محمد بن عبد الله الريمي وكان خصيصاً به ، قال اعطاني السلطان الملك المجاهد في أول يوم دخلت عليه أربعة شخوص من الذهب ، وزن كل شخص منها مائة مثقال مكتوب على كل واحد منها :

اذا جادت الدنيا عليك فجد بها   على الناس طراً قبل ان تتفلت
فلا الجود يفنيها اذا هي اقبلت   ولا الشحُّ يبقيها اذا ما تولت

---

(١٤٥) العسجد من ص ٤٠٧ .

وكـان مشاركـاً في عـدة فنـون من العلم ، ويقـال انـه اعلم ملوك بني رسول » .

وأضاف ايضاً قائلاً : وهـو الذي مـدّن ثعبات (احـد منتزهـات تعز) وبنى سورها ، واخترع فيها المختـرعات الفـائقة ، والبساتين الـرائقة ، وبنى فيها المساكن العجيبة ، والقصور الغريبة » .

ثم عدّد مآثره الدينية ومنها مدرسة بمكـة ملاصقـة للحرم ، وجامع في تعز في ناحية الحبيل ، وجامع في ثعبات ومساجـد اخرى ، في تهـامة وغيـرها أوقف عليهـا جميعـاً بمـا يقـوم بكفـايـة القـائمـين عليهـا وعـلى الـطلاب والمـدرسين ، ومنهـا الزيـادة الغربيـة في جامـع المظفـر بتعز ، امّـا عدل الملك المجاهد في رعيتـه فإنّ المؤرخ الخـزرجي أشاد بـه ، ومن ذلك اصـداره لعدد من المنشـورات التي تقضي بأخـذ الزكـاةمن المـزارعـين بسعـر يـوم ادائهـا لا بسعر اعلى كما كان عليه الأمر قبل التعديل .

الملك الأفضل العباس بن علي بن داود

وقـد بويـع الأفضل العبـاس بن علي بن داود بن يـوسف بن عمـر بن علي رسول يـوم وفاة والـده المجاهـد علي بن داود لا لأنـه أكبر أولاده ، وإنمـا لأن أخوته الأكبر سناً منهم وهم الصالح والعادل والمظفـر كانـوا خارجـين على أبيهم . بينما كان الأفضل مع أبيه في السلم والحرب ومـوجوداً عنـده في عدن يوم وفاته فيها .

قال (أبو الحسن الخزرجي) في تأريخـه (العسجد المسبـوك)[١٤٦] « لم يكن في أولاد المجاهد من هو أرشد منـه ولا اعقل ولا أولى ولا أكمـل للأمـر منه ، وإن كان فيهم من هو أكبر سناً منه » .

فـما الحـداثـة عن حلم بمـانعـة قد يوجـد الحلم في الشبان والشيب

(١٤٦) العسجد من ص ٤١٠ .

ولمّا تم للملك الأفضل اخذ البيعة من قادة وأعيان الجيش والدولة أمر بتشييع جثمان ابيه الى مثواه الأخير في مدرسته التي بناها في تعز .

ثم بدأ باعداد العدة للقضاء[١٤٧] على الخارجين على الدولة ، وركز أولا على والي حرض الأمير نور الدين محمد بن ميكائيل الذي طمع منذ عام (٧٦١ هـ) بالاستقلال عن الدولة الرسولية في ولايته وفي غيرها ، وأعلن نفسه سلطاناً في عام ٧٦٣ هـ كما علمنا ، ولما توفي الملك المجاهد شعر بسنوح الفرصة لتحقيق حلمه الذي ظلّ يراوده ، فتقدم بقواته حتى وصل أبواب زبيد محاولاً الاستيلاء عليها ، ولكن مشد زبيد (أبو بكر ابن علي بن مبارك) استطاع بالأموال التي فرقها في قادة وكبار عسكر ابن ميكائيل ان يفرق عنه معظمهم ، وأضطره الى العودة من حيث أتى ، أمّا الملك الأفضل فإنه جهز جيشاً كبيراً بقيادة الأمير نور الدين زياد بن احمد الكاملي لتصفية الحساب مع ابن ميكائيل واستطاع هذا الجيش أن يهزم ابن سمير قائد جيش ابن ميكائيل من مدينة القحمة ثم من مدينة الكدراء ثم من مدينة المهجم في تهامة الوسطى ، وأن يدحر ابن ميكائيل نفسه من مدينة حرض الى مدينة صعدة وقضى على كل وجود واثر له في تهامة وغيرها من مناطق نفوذ الدولة الرسولية وفي ذلك انشأ الشريف مطهر بن محمد بن مطهر القصيدة التالية مخاطباً فيها ابن ميكائيل :

بجهلك لم تخش الذي بأسه يخشى	ولم ترهب الأفعى ولا الحية الرقشا
وأرداك من منّاك بالملك مثل ما	تردى ضحى عن ظهر ناقته الأعشى
ولجت طموم البحر وهو غطمطم	ومن ولج التيّار لاقى به القرشا
ففاجأك العباس منه بصولة	فغشاك منه يا محمد ما غشى
وغرك ارخاء المجاهد ستره	عليك ولم ينهاك منه الذي تخشى
عفى عنك صفحاً في الظلام اذا انجلى	بفضل واحسان وفي الليل اذ يغشى
فلمّا تولى واعتلى العرش نجله	وربك يعطي الملك من خلقه من شا

(١٤٧) العسجد من ص ٤١٠ .

مشيت بجد اذ تمشى الى العلا وأيكما بالله في طرقه امشى
وأيكما احرى بعز ورفعة وأيكما اجرأ على ملكه بطشا
وليت فلم تؤمن بربنا ولم تخف غويا ولم تنه الفحوش عن الفحشا
قبلت الرشى حتى امحى منهج الهدى وليس يعز الدين من يقبل الرشى
فلما استوى العباس في الملك وانجلت دياجير للنظار في جنحها اعشى
دعانا فلبينا نداه بعصبة ترش الثرى من رشها بالدما رشا

إلى آخر القصيدة في المصدر المذكور .

ويستفاد من قول الشاعر الشريف مطهر بن الإمام محمد بن المطهر (دعانا فلبينا نداه بعصبة) إلى آخره أن الملك الأفضل استعان بالأشراف في حربه لابن ميكائيل ، الذي استعان بدوره بالإمام المهدي (علي بن محمد) وحاول استعادة نفوذه على ولايته (حرض وأعمالها) منطلق حركته في الاستقلال عن الدولة الرسولية دون جدوى ، لأن الملك الأفضل والى حملاته العسكرية لحربه حتى دحره منها الى بلاد صعدة ، ثم شدد قبضته على المنطقة المذكورة ، واستولى على ما كان ابن ميكائيل قد وفره فيها من اموال وعتاد ، وصار ابن ميكائيل يكرر محاولاته للاستيلاء على بلاد حرض مستعيناً بالإمام المهدي ثم بولده صلاح الدين ودون جدوى أيضاً ، ولّما آيس من استعادة أي نفوذ له ومن تحقيق حلمه أقام في بلاد صعدة الى موته في عام (٧٩٩ هـ) .

كما أخضعت[١٤٨]جيوش الدولة الرسولية قبائل تهامة التي ساندت ابن ميكائيل ، لا رغبة في نصرته ، ولكن بهدف تحقيق مآربها التي ربما كان منها الاستقلال كذلك عن الرسوليين ، وفي مقدمة تلك القبائل الثلاث القبائل الكبيرة في تهامة وهي : المعازبة والقرشية والأشاعر، وقد تمكن الأفضل من اخضاعها الواحدة تلو الأخرى ، وأجبرها على ان تذعن له وأن تسلم اليه نصف خيلها ، وعدداً من أولادها كرهائن لضمان ولائها وعدم تكرار خروجها عليه .

---

(١٤٨) العسجد المسبوك ص ٤١٣ .

وبذلك استقرت الأحوال في تهامة وأمنت السبل وعاد الناس الى اعمالهم والاختلاط فيما بينهم .

تجدد نشاط الأئمة ضد الدولة الرسولية

بدأ نشاط الأئمة الزيدية في القسم الأعلى من اليمن ضد الدولة الرسولية بصورة ايجابية منذ عهد الملك المجاهد (كما عرفنا) وذلك بسبب اشتغاله بالحروب الكبيرة والكثيرة مع منافسيه والخارجين عليه من اسرته ومن ولاته ومن المماليك وغيرهم ، وكان الأئمة مع ذلك لا يفتأون يغذون معظم تلك الحركات المناوئة له بهدف استمرار سيطرتهم على القسم الأعلى الذي كان أسلاف الملك المجاهد يسيطرون على معظمه ، بل وطمعاً في مد نفوذهم الى مناطق اخرى ما زالت ضمن حدود الدولة الرسولية .

وكان محمد بن ميكائيل والي حرض للملك المجاهد قد اعلن خلافه عليه في عام (٧٦١ هـ) (كما عرفنا أيضاً) وانتسب الى الحسين بن علي بن أبي طالب ، ثم اعلن استقلاله عنه في عام (٧٦٣ هـ) واستعان[١٤٩] في حربه للملك المجاهد ثم للملك الأفضل بن المجاهد بأشراف القسم الأعلى وبأشراف حرض ، وبالإمام المهدي علي بن محمد ثم بولده الإمام صلاح الدين (محمد بن علي) .

كما ساند الإمام المهدي المذكور الأمير المظفر بن الملك المجاهد ، الذي خرج على أبيه ، ثم على أخيه الملك الأفضل ، ووصل بعسكره وعسكر الإمام المهدي الى حرض بغية الإستيلاء عليها وذلك في عام (٧٦٧ هـ) ولكن واليها للملك الأفضل هزمه هزيمة منكرة .

ولما[١٥٠] لم يجد الإمام المهدي احداً من بني رسول يتخذه رأس حربة له في حربه للملك الأفضل بعد انحلال معنويةالأمير المظفر ، قام بمساندة شيخ بعدان الخارج على الدولة الرسولية (أبي بكر بن معوضة السيري) .

---

(١٤٩) نفس المصدر ص (٤١٠) .

(١٥٠) نفس المصدر ص ٤١٤ .

كما ساند[١٥١] الإمام صلاح الدين ابن الإمام المهدي الشيخ (محمد بن أبي بكر بن معوضة) بعد مقتل ابيه ، ووصلت قوات الحليفين الى الجند عام (٧٧٦ هـ) في طريقها الى تعز لحرب الملك الأفضل في عاصمة دولته كما كانا يحلمان ، وقد ساعدهما على الوصول الى الجند أهالي مخلاف جعفر الذين مازالت الدولة الرسولية تعاني من تمردهم أيضاً .

أمّا الملك الأفضل ازاء تحالف الإمام والشيخ السيري المذكورين ، ووصولهما بقواتهما الى الجند فإنه كما ذكر المؤرخ (أبو الحسن الخزرجي) في تأريخه[١٥٢] استخدم كثيراً من الناس من الفارس والراجل ، وأنه مع ذلك كتب الى كافة القبائل بحفظ الطرقات ، الأمر الذي حمل الإمام على الإنسحاب من الجند بعد اقامته فيها ثلاثة أيام فقط ، وانه عاد الى بلاده من غير الطريق التي جاء منها .

ثم غزا[١٥٣] الإمام صلاح الدين محمد بن علي المذكور تهامة في العام الذي ثم تلا العام الذي وصل فيه إلى الجند ،ووصل الى أبواب زبيد،قال الخزرجي:« فأقام ثلاثة أيام شرقي المدينة فلم يجد فيها مطمعاً ، ويقال انه طلع منارة جامع النويدرة فرأى في المدينة أمماً لا تحصى قد اجتمعوا من كل ناحية، فراعه ما رأى من كثرة الناس فيها ، وكان الطواشي أهيف في المدينة اميراً قد طلب المشايخ والقرى وأمرهم بجمع رجالهم ، وأضاف قائلاً : « فاتصل العلم الى الإمام من بعض القرى فأستمر راجعاً ولم يقف أكثر من ثلاثة أيام ورجع في اليوم الرابع » .

وهكذا استطاع الإمام صلاح الدين ان يصل بقواته الى الجند بمساندة أهالي مخلاف جعفر ، وأن يصل الى زبيد بمساندة الكثير من قبائلها ، ولكنه لم يقم عند كل مدينة اكثر من ثلاثة أيام ، وهذا يفسر ما أسلفت من انّ هدفه من ذلك الغزو هو اظهار قوته امام الدولة الرسولية ، وتحذيرها من محاولة استعادة نفوذها لشيء مما خرج عنها منذ عهد الملك المجاهد الرسولي في القسم الأعلى ، ولإثارة البلبلة

---

(١٥١) نفس المصدر العسجد المسبوك ص ٣٩٢ و٤٢٨ .

(١٥٢) الخزرجي في العسجد المسبوك ص ٤٢٩ .

(١٥٣ نفس المصدر ص ٤٢٩ .

والاضطرابات داخل بلاد الدولة الرسولية .

ولذلك فقد كان رد الفعل لدى الملك الأفضل لذلك الغزو هو تجهيز [١٥٤] جيش كبير بقيادة الأمير صارم الدين داود بن موسى بن حباجر الى ذمار استولى فيها على عدة حصون كانت قد خرجت على الدولة منذ عهد الملك المجاهد بسبب اشتغاله بالثورات التي قامت ضده داخل بلاده وأحاطت به وحاصرته في معقله الذي يقيم فيه (حصن تعز) كما عرفنا ، وقد حدث ان تقدم الإمام بنفسه على رأس قواته وعسكر بالقرب من معسكر الأمير صارم الدين ، واستطاع على حين غرة من صارم الدين وفي وقت لم يكن الى جانبه من قواته إلا اربعين فارساً أن يفاجأه بقواته ويقبض عليه .

كما جهز الملك الأفضل [١٥٥] جيشاً آخر بقيادة الأمير بدر الدين محمد بن علي ابن اسماعيل بن أياس الى الحقل بهدف ايقاف مطامع الإمام التوسعية في المنطقة على حساب الدولة الرسولية بعد اسره للأمير صارم الدين المذكور ، وما زالت الأمور بين الجانبين الدولة الرسولية في عهد الملك الأفضل والأئمة الزيدية في عهد الإمام صلاح الدين غير مستقرة الى موت الملك الأفضل .

وفاة الملك الأفضل

وقد[١٥٦] كانت وفاته في شهر شعبان من عام (٧٧٨ هـ) بقصره المسمى الخورنق في مدينة زبيد اثر مرض ألم به فيها ، فبايع قادة الجيش وكبار رجال الدولة ولده اسماعيل ، ولقب بالأشرف الثاني ، الذي عاد بجثمان والده الى تعز حيث دفنه بمدرسته التي بناها فيها ، وكانت وفاته عن ملك دام حوالي اربعة عشر عاماً قضى معظمه في حرب الخارجين والطامعين داخل الدولة وخارجها ، ولكن الدولة في عهده كانت أكثر استقراراً منها في عهد سلفه والده الملك المجاهد الذي اتسم عهده بالاضطراب وانتهى فيه شباب الدولة الرسولية كما علمنا .

---

(١٥٤) نفس المصدر والصفحة .

(١٥٥) نفس المصدر ص ٤٣٠ .

(١٥٦) نفس المصدر ص ٤٣١ .

وقد [١٥٧]وصف الملك الأفضل بأنه كان ملكاً حازماً عازماً عاقلاً فاضلاً ذكياً ليناً فقيهاً نبيهاً مشاركاً للعلماء في عدة فنون ، عارفاً بالنحو والأدب واللغة والأنساب وأيام العرب ، وصنف عدة من الكتب منها كتاب نزهة العيون في تاريخ الطوائف والقرون ، والعطايا السنية في المناقب اليمنية ، يحتوي على طبقات فقهاء اليمن وكبرائها وملوكها وامرائها ، وله كتاب نزهة الأبصار في اختصار كنز الأخبار ، واختصر تاريخ ابن خلكان ، وله كتاب بغية ذوي الهمم في أنساب العرب وأصول العجم ، وهو الذي جدد سور مدينة زبيد وعمر خنادقها ،

وأضاف المصدر قائلاً : « وأجرى للرعية في معظم جهات اليمن الربع مما أزدرعوه وفي بعضها الخمس ، وكان كثير الاحسان والصدقات متفقداً لأحوال رعيته وكان لا يبلغه ظلم إلا ازاله عنهم ، وله من المآثر الدينية المدرسة التي انشأها في مدينة تعز في ناحية الحبيل منها ، وأمر فيها بعمارة منارة لم يكن في البلاد مثلها ، اذ بناها على ثلاث طبقات ، الطبقة الأولى مربعة الشكل والطبقة الثانية مثلثة الأركان والطبقة الثالثة مسدسة الأركان ، وللأسف فلم يعد للمنارة ولا للمدرسة المذكورة اليوم وجود بينها جامع المظفر وجامع الأشرفية الـــتي بناها في تعز ولده الأشرف الثاني وكذلك جامع المعتبية ما تزال جميعها قائمة وعلى نحو فخم ورائع الى اليوم كما سيأتي ، وله مآثر عمرانية اخرى ومنها تجديد أسوار قلعة الدملوة ، وقد زرتها ووجدت الأسوار قائمة الى اليوم على نحو رائع ووجدت عند مدخل القلعة الداخلي عتبة الباب من الحجر ملقاة على الأرض لتهدم الباب ، وطولها ستة أذرع بذراع اليد وعرض كل ركن من أركانها الأربعة ذراع يد أيضاً ، وقد كتب على واجهتها في ثلاثة أسطر ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم **إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً ، أمر بعمارته مولانا ومالك أمرنا السلطان بن السلطان العالم العادل ضرغام الإسلام غياث الأنام سلطان الحرمين والهند واليمن مولانا السلطان الأفضل من الأنام والملك المجاهد أمير المؤمنين العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي رسول ، خلد الله ملكه ونصره ورفعت العتبة المباركة بتاريخ الرابع والعشرين من رجب الأصب سنة**

(١٥٧) الخزرجي في العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام والثقافة ص ٤٣١ بالنص .

ثمان وستين وسبعمائة مؤيداً بالنصر والتوفيق ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم » .

الملك الأشرف الثاني

أقام الملك الأشرف الثاني اسماعيل بن الملك الأفضل في مدينة تعز بعد تربعه على العرش بضعة اشهر ، غادرها في شهر ذي الحجة من العام المذكور (٧٧٨ هـ) الى زبيد بجيش كبير وصفه الخزرجي بقول الشاعر :

في حجفل ستر العيون غباره فكأنما يبصرن بالآذان

وكان خلال اقامته في تعز بعد اخذ البيعة له من قادة الجيش وكبار رجال الدولة وأعيان البلاد قد استقبل حشود المهنئين وأعلنت له مختلف القبائل والمناطق داخل الدولة الرسولية ولاءها ، قال الخزرجي[١٥٨] : « وأقام بقية شعبان وشهر رمضان وشوال وذا القعدة وصدر ذي الحجة والكتب من كل بلد تصل اليه ، والعرب من كل ناحية تفد عليه ، وهو يجوب على كل كتاب بما يقتضي ، ويقابل كل فاضل بما يحب ويرتضي ، حتى استوت البلاد قاصيها ودانيها ، واذعنت البرية طائعها وعاصيها » .

ثم صار يتردد طيلة عامي ٧٧٩ و ٧٨٠ هـ بين تهامة وتعز والأمور في كافة انحاء دولته يسودها الهدوء والاستقرار . ولكن الملك الأشرف الثاني مع ذلك كان يدرك أنّ ذلك الهدوء الذي ساد بلاده في بداية عهده انما هو الهدوء الذي يسبق العاصفة ، وأنّ قبائل تهامة وكذلك قبائل مخلاف جعفر والتي تكرر خروجها على اسلافه لا بد لها ان تخرج عليه ، لأنها الفت ذلك ، وبسبب المدد التي يأتيها جميعها من الإمام صلاح الدين (محمد بن علي) لإثارة القلاقل والإضطرابات داخل الدولة الرسولية ، وليضمن بذلك استمرار سيطرته على القسم الأعلى من اليمن ، ويحول دون محاولة الملك الأشرف الثاني استعادة شيء منه ، كما سبق له ولأسلافه من

---

(١٥٨) نفس المصدر ص ٤٣٥ .

الأئمة مع اسلاف الملك الأشرف الثاني من بني رسول منذ عهد الملك المجاهد كما علمنا .

ولذلك فإنّ الملك الأشرف الثاني ظلّ طيلة فترة الهدوء المذكورة يرقب الأمور على حذر ، ولم يركن ويسترخي في عاصمته بل صار يتردد بينها وبين تهامة ، ويحشد الحشود متهيئاً لقمع كل حركة مناوئة لدولته بأقسى وسائل القمع ، وقد كان يفوق اباه الملك الأفضل بمباشرته حرب الخارجين على دولته بنفسه وبشدة تنكيله بهم ، وبالمبادرة الى قطع دابر الفساد في بداية وقوعه ، بل وقبل وقوعه في بعض الأحيان ، حينما يعتريه شك أو تخوف من وقوعه ، كما حدث للمماليك الغرباء في بداية عام (٧٨١ هـ) وهو ما ذكره المؤرخ الخزرجي بقوله[١٥٩] : « وفي سنة احدى وثمانين وسبعمائة اجتمع المماليك الغرباء واجمعوا على امر لم يظهر لأحد حقيقته (وكان الملك في تهامة) فنظرهم وهم يلبسون خيلهم ويأخذون سلاحهم فأرسل عيوناً له يأتونه بخبرهم ، فرجع الى السلطان بعض عيونه أخبره أنهم على اهبة قتال وجمع سلاح ولكنهم مفترقون في أماكنهم ، فأباحهم لعبيد السلاح وغلمان البغلة ، فقصدوهم الى اماكنهم قبل أن يجتمعوا ، فخرجوا على وجوههم هاربين ، ولزم بعضهم فأتلف » . وأضاف المصدر الى ذلك قوله : « وفي ذلك اليوم امر السلطان بلزم عمه الملك الظافر هاشم بن علي بن داود وأعتقله اياماً ثم اطلقه واحسن اليه »

فهو بهذين الحادثين اللذين اتخذ اجراءاً قمعياً وتحذيرياً لهما قبل حدوث ما يوجب القمع والتحذير قد بدأ عهده بالحذر والتحذير والريبة والشك على أمل أنه سيضع حداً لما عانى منه اسلافه من تمرد وعصيان . ولكنه بالرغم من ذلك عانى نفس ما عانوه ، وبدأت قبيلة المعازبة (الزرانيق) احدى القبائل العتية في تهامة بالفساد في العام المذكور وهو ما يزال في تهامة[١٦٠] . قال المؤرخ الخزرجي : « وفي هذه السنة افسدت المعازبة افساداً شديداً وقصدوا طريق النخل مرة بعد اخرى » وكان اجراء الملك القمعي لهم شديداً تحدث عنه المصدر المذكور فقال : « فجرد لهم

---

(١٥٩) و(١٦٠) الخزرجي في العسجد المسبوك ص ٤٣٧ .

السلطان عسكراً من الباب ، وأمر على صاحب القحمة وصاحب فشال بمواجهة العسكر في يوم معلوم ، فأتاهم العسكر من كل ناحية ومكان ، ولم يكن لهم مهرب إلا البحر ، فغرق منهم طائفة واستذم آخرون ، وأُسر منهم ناس كثير ، وكان المقدم سيف الدين بشتك قد أذمّ عليهم ورفع السيف عنهم ، ورجع الى السلطان بالرؤوس والأسرى ، فأمر السلطان بقتل جماعة من الأسرى ممن عُرف بالفساد ، وأطلق الباقين ، وأضاف السلطان أمر الوادي رمع الى الأمير سيف الدين بشتك فأستتاب في الجهة المذكورة الفقيه رضي الدين ابا بكر بن احمد بن عبد الواحد ، وكان فقيهاً حسن السياسة إلا أنه ضعيف الفراسة فجعل المعازبة غرضاً لسهامه وضربة لحسامه ، فشتت جموعهم وأخلى ربوعهم ، وقتل منهم عدة في أقرب مدة » .

أما مخلاف[161] جعفر (لواء اب حالياً) فهو المنطقة الثانية بعد تهامة التي عانى بنو رسول الكثير من المتاعب بفساده وتمرده عليهم ، ذلك انه ما ان عاد الملك الأشرف الثاني من تهامة الى تعز بعد الأجراء القمعي الذي اتخذه ضد المعازبة حتى قصد مدينة (اب) عاصمة المخلاف المذكور وأخذها قهراً بالسيف ، ثم تجول في بعض مناطق المخلاف بجموعه بهدف التحذير من تحرك أي قبيلة أو منطقة فيه للخلاف والعصيان ، ثم عاد الى تعز ، ولم يلبث[162] ان غادرها بعد أيام الى تهامة كعادته ، وأضاف أعمال القحمة في وادي رمع الى المقدم سيف الدين بشتك ، الذي ما ان قصدها حتى نصب المعازبة له ثلاثة كمائن وقع في احداها ، فقاتل حتى قتل وعدد ممن معه من الجنود والمرافقين ، ولم يذكر المصدر اي اجراء اتخذه الملك ضد المعازبة عما قاموا به ضد المقدم بشتك المذكور .

ولكنه[163] ذكر قيام الملك في العام الذي تلا عام مقتل المقدم المذكور (٧٨٣ هـ) بغزو قبيلة المعازبة بنفسه على رأس قواته ، ومع ذلك فلم يظفر بأحد منهم لأنهم كانوا على حذر منه فارتفعوا على رؤوس الجبال المحيطة بالمنطقة . وما زال الملك يتعقبهم كما ذكرت المصادر حتى كسر شوكتهم وأجبرهم على الاذعان للدولة

(١٦١) و(١٦٢) الخزرجي في العسجد المسبوك ص ٤٣٦ .
(١٦٣) العسجد المسبوك ص ٤٣٨ .

الرسولية وتسليم رهائن الضمان ، ضماناً لطاعتهم وعدم تكرار خلافهم عليه ، وكان ذلك بعد الحملة التي وجهها عليهم في عام (٧٨٦هـ) والتي أمر ولاة المناطق المجاورة لمناطقهم بالانضمام اليها كما فعل في الحملات السابقة ، وقد فصل الخزرجي[١٦٤] ذلك بقوله : « وفي آخر شهر جمادي الآخرة (من العام المذكور) جرد السلطان العساكر المنصورة الى بلد المعازبة ، وأشعر على صاحب فشال وعلى صاحب القحمة بمواجهة العسكر السلطاني في وقت قد عيّنه لهما، فصاروا من كل ناحية وجاءهم الموت من كل مكان ، فأنهزموا الى البحر وقد أخذ السيف منهم طائفة وأخذ البحر طائفة اخرى ، وغرق من ابنائهم ونسائهم شيءٌ كثير وفقد منهم عدة بيوت لم يبق من أهلها أحد » .

ولمّا استقرت الأحوال في تهامة تفرغ الملك الأشرف الثاني للتصدي للإمام صلاح الدين الذي لم يرق له استقرار تهامة . ولم يجد بعد ذلك سبيلاً لإضعاف جانب الدولة الرسولية بتغذية العناصر المناوئة لها فيها إلا بالغزو المتكرر تارة الى مخلاف جعفر القريب من منطقة ذمار التي تمّ له بسط نفوذه عليها ، وتارة الى عدن ، وأخرى الى تهامة ، ولكنه كان يواجه في كل تحركاته المعادية للملك بصمود حاميات المدن والمناطق التي يغزوها ، وكان هو ينتهج في تحركاته عملية الغزو الخاطف (اضرب وأهرب) بل ان غزواته الخاطفة لا ينطبق عليها إلا مبدأ (انهب وأهرب) لأن غزواته الى مناطق نفوذ الدولة الرسولية كانت لا تعدو أكثر من غارات سريعة ينهب ما امكنه نهبه فيها ثم يعود من حيث اتى ، وصار الحال كذلك الى موته[١٦٥] في عام (٧٩٣ هـ) .

أما ولده الإمام (علي بن صلاح الدين) فإنه اشتغل بمعارضيه الامامين (احمد بن يحيى المرتضى) و(علي بن المؤيد بن جبريل) .

ولم يعد الملك الأشرف الثاني في عهده يحارب في جبهتين داخلية مع الخارجين عليه داخل حدود دولته ، وخارجية مع الأئمة القادمين من خارجها ، (وما أغرب

---

(١٦٤) نفس المصدر ص ٤٤٤ .

(١٦٥) ائمة اليمن ص ٢٧٨ .

وصف مثل هذه الأحداث في البلد الواحد بداخلية وخارجية بالنسبة لبني رسول ، ولكنه كان هو الواقع المؤلم نتيجة تعدد الدويلات في البلد الواحد ، والذي نرجوان ينتهي والى الأبد بالوحدة اليمنية في اطار الوحدة العربية الإسلامية وما ذلك على الله بعزيز) .

ولقد ركز الملك الأشرف الثاني على اخضاع مناوئيه داخل مملكته منذ قيام الإمام المنصور (علي بن صلاح الدين) بعد موت والده الإمام صلاح الدين .

وقد[(١٦٦)] انحصرت قضايا التمرد على الملك في مخلاف جعفر من لواء اب فغزا الخارجين عليه في مخلاف الشوافي من المخلاف المذكور واستولى على عدة حصون فيه ، كما غزا حبيش واستولى على عدد من الحصون فيه وكان لا يسيطر بصورة دائمة فيه إلا على حصن خدد الشهير والذي ضمن له السيطرة على المنطقة بشكل عام كما تقدم بنفسه لحرب شيخ بعدان (محمد بن ابي بكر بن معوضة السيري) ونزل هو في دار السلام بمدينة جبلة ، وحاصرت قواته مدينة اب عاصمة المخلاف المذكور حتى استولت عليها .

ثم حاصرت قواته حصن الخضراء في بلاد حبيش من المخلاف المذكور حتى اجبرت صاحبه الشيخ محمد بن داود الحبيشي على الاستسلام ، وكانت هذه الأحداث في عام (٧٩٨) للهجرة .

ومنذ هذا التأريخ وحتى وفاة الملك الأشرف الثاني في عام (٨٠٣ هـ) استقرت الأحوال في جميع انحاء مملكته تقريباً ، وسادها الأمن وعمّ الرخاء ، ووفد عليه الكثير من الأمراء والأشراف ورؤ ساء القبائل يعربون له عن ولائهم ، وتبادل الهدايا مع الإمام (علي بن صلاح الدين) ومع ملوك الهند ومصر ومكة وغيرهم .

جوانب اخرى في عهد الملك الأشرف الثاني

ذكرت هذه الجوانب التي لا تمتّ الى الجانب السياسي لإعطاء القارىء صوراً

---

(١٦٦) العسجد المسبوك ص ٤٨٦ .

اخرى من الماضي ، ولمنحه اجازة قصيرة عن الجانب السياسي .

قضى[١٦٧] الملك الأشرف الثاني شهر الصوم عام (٨٠٠ هـ) في زبيد ، قال الخزرجي في تأريخه : « وحضر مقام التشفيع عدة من وجوه أهل دولته ، وحضر كذلك السفراء من سائر الجهات ، ومنهم سفير مصر وسفير الهند وسفير مكة والأشراف ومنهم الشريف فخر الدين (عبد الله بن ادريس بن محمد بن ادريس بن علي بن عبد الله الحمزي) وصاحب ذي مرمر الشيخ (عبد المطلب) وعدد كبير من القضاة والفقهاء وكانوا يحضرون السماط (مأدبة الأفطار) كل ليلة » .

وهذا يعطينا صورة حية عن مشاركة الملك الأشرف الثاني في احياء الشعائر الدينية في مواسمها ومناسباتها الكبرى كما هو الحال في هذه المناسبة وهي احياء ليالي شهر الصوم المبارك والاحتفال بختم تلاوة القرآن الكريم .

وحدث[١٦٨] في عام (٨٠١ هـ) ان اختصم الى والي زبيد رجلان ، فطلب أحدهما من الوالي احالتهما الى المحكمة الشرعية في زبيد فامتنع الولي عن ذلك فاستغاث بحاكم الشريعة ، ولم يتمكن قاضي المحكمة من احضار خصمه والانتصاف له لحيلولة الوالي دون ذلك ، فشكا القاضي ذلك الى الملك الأشرف الثاني ، فأمر الملك باخراج الوالي من داره والوصول به الى القاضي ماشياً إجلالاً للشريعة ، ولما دخل الوالي على القاضي نهاه عن معارضة الشريعة ، وأخذ تعهده بذلك ، ثم قال لمرافقيه من قبل الملك : اذهبوا به الى الملك ، ولما وصل الى باب الملك اشرف عليه وشتمه ووبخه أمام الناس ونهاه عن معارضة الشريعة ، قال الخزرجي (المصدر المذكور) المعاصر لذلك العهد : « ولولا انه كان يجله لحسن سيرته في الناس ما سلم منه » .

وهذا يعطينا صورة اخرى من جوانب الملك الأشرف الثاني وهو اقامته للشريعة ، كما يعطينا دليلاً عن استقلال القضاء في عهده .

---

(١٦٧) الخزرجي في (العسجد المسبوك) ص ٤٩٥ .

(١٦٨) نفس المصدر ص ٤٩٨ .

وفاة الملك الأشرف الثاني

وقد[١٦٩] وافت الملك الأشرف الثاني منيته في شهر ربيع الأول من عام (٨٠٣) للهجرة عن حكم دام قرابة ربع قرن ، قضى معظمه في حرب الخارجين عليه داخل دولته ، ولم يحدث بينه وبين الإمام علي بن صلاح الدين حرب أو عداء ، وذلك لاشتغال الإمام المذكور بشؤونه مع معارضيه الامامين (احمد بن يحيى المرتضى) و(علي بن المؤيد بن جبريل) وكان الملك الأشرف الثاني قد امر كبار رجال دولته وقادة جيشه واعيان البلاد باعطاء بيعتهم لولده الناصر احمد في مرضه الذي توفي فيه ، وكانت وفاته في مدينة تعز ، ودفن في مدرسته التي بناها فيها وهي مدرسة الأشرفية القائمة اليوم .

ولقد كان تأريخه مجيداً ، وكان ناهضاً يقود جيشه بنفسه ، ولا يسمع بخلافٍ في دولته أو يتوقع حدوثه حتى يبادر بنفسه لحسمه ، حتى استطاع في الخمس السنوات الأولى من حكمه تقريباً أن يوفر لبلده الأمن والاستقرار والرخاء ، يساعده الوئام الذي بينه وبين الإمام المنصور علي بن صلاح الدين كما علمنا .

وقد وصفه المؤرخ ابو الحسن الخزرجي المعاصر له بقوله[١٧٠] : « وكان خير ملك وسيرته احسن سيرة ، جواداً كريماً هماماً حليماً رؤوفاً مشفقاً عطوفاً لم يكن في ملوك اليمن مثله » .

وأضاف الى ذلك قوله : « ومن مآثره الدينية المدرسة التي انشأها في مدينة تعز ، وهي مدرسة غريبة الشكل ، لها بابان شرقي وغربي ، وباب كبير يماني ومقدم فسيح وشمسية رحبة » وهي التي بناها على الطراز المصري وبمأذنتين ما تزالان مع المدرسة عامرة الى اليوم .

ثم ذكر له مآثر دينية أخرى ومنها الزيادة الشرقية في جامع المظفر بتعز وغيرها ، وقد علمنا أنّ الزيادة الغربية في الجامع المذكور هي للملك المجاهد ،

---

(١٦٩) نفس المصدر العسجد المسبوك منشور وزارة الاعلام والثقافة ص ٥٠٥ .

(١٧٠) العسجد المسبوك ص ٥٠٥ .

وأضاف الخزرجي في وصف الملك الأشرف قوله : « وكان في غاية اللطف والظرف والكرم ومكارم الأخلاق وجمال الصورة وحسن السيرة والتودد الى الخلق ومحبة العلماء والعلم وتوقير حامليه » .

الملك الناصر أحمد بن اسماعيل آل رسول

ولمّا استقرّ الناصر في حكم الدولة الرسولية بعد موت والده الأشرف الثاني بدأ يُعنَى بما عني به اسلافه في سبيل اقرار الأمور في دولته ، وتوفير الأمن والاستقرار والرخاء في مختلف انحاء بلاده ، وذلك عن طريق اخضاع القبائل والمناطق التي تتحرك للخلاف أو يتوقع منها ذلك ، وفي مقدمة المناطق التي عانت الدولة الرسولية منها : تهامة ومخلاف جعفر ، وكان الشيخ محمد بن أبي بكر السيري شيخ بعدان في المخلاف المذكور وقبيلة المعازبة (الزرانيق) في تهامة هما أبرز القبائل التي عانت منهما الدولة الرسولية في المنطقتين المذكورتين .

ولقد وجه الملك الناصر في بداية عهده عناية خاصة للقضاء على أسباب وعوامل خلاف منطقة تهامة فرتب العسكر في الجبال المطلة على تهامة والتي كان المخالفون في تهامة يفرون اليها ، ويتحصنون بها حينما تغزوهم قوات الدولة ، ومنها حصن المهور المطل على وادي سهام ، وحصون ريمة وفي بلاد المقاصرة بتهامة ، وكان قد غزا المعازبة واجبرها على الإذعان ، ثم ولى عليهم امرأة أسوةٍ بجده الملك المجاهد الذي ولى عليهم امرأة منهم تعرف بابنة عاطف قادتهم واذلتهم كما عرفنا ، وقد تمت هذه الاجراءات في الثلاث السنوات الأولى من عهده .

وفي عام (٨٠٨ هـ) غزا الملك الناصر مدينة دثينة في المنطقة الجنوبية من اليمن ودخلها قهراً .

ثم تحوّل الى مدينة (جازان) بسبب امتناع واليها (موسى بن احمد بن عيسى) عن أداء واجبات الدولة ، ودخل الناصر جازان دون أية مقاومة لفرار واليها المذكور منها ، وولى عليها .

وغزا منها مدينة (حلي بن يعقوب) في بلاد عسير أيضاً ، فاستقبله واليها الى

خارجها وقدم اليه المؤن والهدايا ، ومشى في ركابه كسائر الجنود اعراباً عن اذعانه ، وطلب من الملك أن لا يدخل المدينة لعدم قدرتها على تحمل وطأة جيشه ، ولدى عودته الى جازان طلب منه واليها (موسى بن احمد بن عيسى) المذكور أن يذم عليه فأذمّ عليه وأرسله الى زبيد محفوظاً ، ثم شفع له علماء زبيد وصلحاؤ ها (على حد ما جاء في المصدر)[١٧١] لأنه كان محبوباً عندهم ، فشفعهم الملك في إعادته على عمله مكرماً .

ثم عاد الملك الناصر الى تعز واستقرت الأحوال في جميع انحاء مملكته دون ان يحدث ما يوجب تحركه أو جيشه للحرب طيلة عشر سنوات كاملة .

ولما قام الإمام المنصور (علي بن صلاح الدين) في عام (٨٢٠ هـ) بغزو بلاد بني طاهر من أعمال رداع الخاضعة للدولة الرسولية بادر[١٧٢] الملك الناصر على رأس جيشه الى بلاد رداع للتصدي له ، وقامت حرب بينهما اسفرت عن انهزام عسكر الإمام بعد قتل الكثير منهم ، وانسحب الإمام عائداً الى صنعاء ، وطارده الملك الناصر إلى بلاد خبان ، ثم رجع الإمام الى المقرانة[١٧٣] بين دمت وجبن من مخلاف الرباشية من اعمال رداع ، وذلك لمعاينة قصر النعيم الذي كان يبنى له فيها باشراف الشيخ[١٧٤] طاهر بن تاج الدين نائبه في رداع ، والذي كلفه الملك الناصر ببنائه في المقرانة لدى زيارته له في عام (٨١٧ هـ) .

ثم تجوّل الناصر في بلاد العجالم شمال بلاد لحج ، فأبين فدثينة فعدن ، ثم عاد الى تعز ، حيث أقام فيها فترة غادرها بعدها الى زبيد .

---

(١٧١) نفس المصدر ص ٥٠٨ .

(١٧٢) الخزرجي في (العسجد المسبوك) آنف الذكر ص ٥٠٩ .

(١٧٣) زرت المقرانة ووجدتهااطلالامدينة كبيرة تغطي قمة وجوانب جبل يطل على قاع فسيح يعرف بالغراس من مخلاف الرباشية ، وعلى جانبها قرية صغيرة عامرة تعرف بالمقرانة وما تزال آثار القصور الكبيرة والسدود باقية في المقرانة الأثرية وفيها حمام عربي كبير ما يزال سليماً ولا يكلف للإستعمال فيه إلا الى ازالة الأحجار والأتربة من داخله ، والمقرانة المذكورة مليئة هي والقاع المحيط بهابالسدودالكبيرة والصغيرة المتناثرة هنا وهناك .

(١٧٤) العسجد المسبوك المصدر المذكور ص ٥٠٩ .

ومنها غزا بلاد وصاب لفساد حدث فيها واخضعها واستولى فيها على اربعين حصناً رتّب فيها العسكر لإقرار الأمن في المنطقة ، ومنها حصن الركبة وحصن قوارير ، وبنى في حصن قوارير قصوراً مشيدة ، وقد توفي في حصن الفص من حصن قوارير كما سنعلم ، واستقرت الأحوال بشكل عام ، سوى ما حدث من خلاف[١٧٥] اخيه الأمير حسين في عام (٨٢٢ هـ) واستيلائه على زبيد. وقد اسرع الملك الناصر من تعز الى زبيد واستعادها وقبض على اخيه وأرسله الى معتقل دار الأدب بقاهرة تعز لاعتقاله فيه ، ولكن الأمير حسين استطاع ان يجدد خلافه داخل الحصن المذكور ، وكان الناصر غائباً عن تعز ، الأمر الذي حمله على الإسراع اليها ، وحصر اخيه في الحصن ثلاثة أيام حتى استولى عليه وأرسله من الحصن مقيداً الى معتقل ثعبات في تعز ، ثم أمر شقيقه الظاهر بأن يسمل عينيه ، ففعل ذلك .

وقد ندم الناصر على ذلك ، ولام أخاه الظاهر على سرعة المبادرة الى ذلك حين لا ينفع الندم .

وصار هذا الحادث سبة في تأريخ الملك الناصر ، بل وفي تأريخ الدولة الرسولية .

وفاة الملك الناصر

وقد[١٧٦] توفي الملك الناصر احمد بن اسماعيل بن العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي رسول في شهر جمادي الأولى من عام (٨٢٧ هـ) وذلك في قصره بحصن الفص من حصن قوارير في بلاد وصاب السافل ، وحمل جثمانه الى تعز ، ودفن بمدرسة ابيه الأشرف الثاني (الاشرفية) بجواره ، وكانت وفاته عن ملك دام اربعة وعشرين عاماً ، وقد وصفه المؤرخون بالحلم والكرم وانه لم تعرف له سيئة سوى سمل عيني اخيه حسين .

وإلا أنه كان يأخذ الخارجين على دولته بالشدة والعنف ، وقد ساعده ذلك على توفير الأمن والاستقرار في جميع انحاء مملكته ، كما ساعده على اقرار الأوضاع في

---

(١٧٥) و(١٧٦) نفس المصدر ص ٥١١ .

منطقة نفوذه اشتغال الأئمة الثلاثة المتعارضين في عهده فيما بينهم ، وهم المنصور (علي بن صلاح) ، والمهدي (احمد بن يحيى المرتضى) ، والهادي (علي بن المؤيد ابن جبريل) .

الملك المنصور عبد الله بن الناصر احمد آل رسول

بويع[١٧٧] (عبد الله بن الناصر احمد بن اسماعيل بن العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي رسول) ملكاً خلفاً لوالده ولُقب بالمنصور ، ولم يعمر الملك المنصور طويلاً حيث وافته منيته في منتصف شهر ربيع الآخر من عام (٨٣٠ هـ) ، عن حكم دام حوالي ثلاث سنوات ، وقد وصفه المؤرخ الخزرجي في المصدر المذكور بقوله : « وكان عادلاً شجاعاً ذا دين متين ، ازال منكرات كثيرة ، ومنع ارباب الطرب من النساء والحضور الى دار مملكته ، وكان ذا رأي وتدبير لسياسة المملكة على صغر سنه ، جواداً سخياً كريماً ممدوحاً ، وكان يحب الفقراء والمساكين ، ويحضر صلاة الصبح جماعة بمسجد الأشاعر بزبيد ، وبالجامع المظفر بذي عدينة ، ولم يزل على قدم الجد والاجتهاد ناهضاً باعباء ما حمّل حتى توفي » .

الملك الأشرف الثالث اسماعيل بن الناصر احمد آل رسول

وقد[١٧٨] بويع بعد وفاة الملك المنصور اخوه اسماعيل ولقب بالأشرف الثالث .

ولّما كان عند تنصيبه دون البلوغ فإنه اضطلع بشؤون الدولة جماعة من أعيانها . ولكنهم اختلفت كلمتهم وتفرقت آراؤهم .

الأمر الذي شجع العبيدوالمماليكعلى تدبير مؤامرة للقبض على الملك في قصره بتعز بعد نهبه ، ثم اعتقاله وذلك في التاسع من جمادي الآخرة من عام (٨٣١ هـ) . وتعتبر الفترة التي تبدأ بالملك المنصور هذه فترة مرحلة الشيخوخة للدولة الرسولية .

---

(١٧٧) العسجد المسبوك ص ٥١١ .

(١٧٨) نفس المصدر والصفحة .

الملك الظاهر يحيى بن اسماعيل ووفاته

ثم اجمع[١٧٩] كبار رجال الدولة وقادة الجيش على مبايعة عمه (يحيى بن اسماعيل بن العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي رسول) ولقب بالظاهر بعد اخراجه من سجن ثعبات، وذلك في العاشر من شهر جمادي الآخرة من عام (٨٣١ هـ) ، ولمّا تمّ اخذ البيعة له قام بارسال سلفه الملك الأشرف الثالث الى قلعة الدملوة واعتقاله فيها ، لقطع الطريق على من بقي على الولاء له من القيام بأي حركة مسانِدة له ، وانتقاماً بسبب اعتقاله له ، وقد ظلّ الأشرف الثالث في معتقله الى موته .

ثم انتقل الملك الظاهر من تعز الى زبيد وبدأ منها يعمل بحزم في سبيل اقرار الأمور في تهامة واخضاع القبائل التي تحركت للخلاف منتهزة فرصة تزعزع صرح الدولة بحركة العبيد والمماليك منذ عهد الملك المنصور ، كما ركز على القضاء على نفوذ المماليك والعبيد الذين قاموا بالانقلاب ضد الملك الأشرف الثالث ، مستشعراً الخطر الذي يهدده هو أيضاً من جانبهم ، فنكل بالكثير منهم قتلاً وتشريداً .

وقد استطاع من افلت منهم أن يتجمعوا في مدينة المحالب من وادي سهام ، وقصدوا منها بلاد الواعظات من تهامة أيضاً ، واتخذوها مقراً لهم وقاعدة لانطلاقهم الى مختلف وديان تهامة وقراها يسلبون وينهبون ، الأمر الذي اضطر الملك الظاهر الى الانتقال الى مدينة المهجم شمال تهامة الوسطى ليكون بالقرب من جيشه الذي جهزه للقضاء عليهم واستطاع بفضل تعاون ابناء المنطقة الذين عانوا من فسادهم ان ينكل بالكثير منهم وأن يكسر شوكتهم ويخلص المنطقة وغيرها من اذاهم .

وبالرغم من نجاحه في اخماد تمرد العبيد والمماليك إلا انه لم يتمكن من القضاء على الثورات اليمنية التي قامت ضد الدولة الرسولية في عهده في أماكن كثيرة من منطقة نفوذها والتي ظلّت الى وفاته في عام (٨٤١ هـ) .

هذا وكان الشيخ طاهر بن معوضة بن تاج الدين والد الملكين (علي) و(عامر) مؤسسي دولة آل طاهر قد قدم من بلدة (جبن رداع) بزيارة الملك

---

(١٧٩) نفس المصدر ص٥١٢ .

الظاهر في عام (٨٣٥ هـ) وأحسن الظاهر استقباله في دار الشجرة بتعز واكرم وفادته ثم تزوج باخته في عام (٨٣٦ هـ) .

وعدّد المصدر للملك الظاهر مآثر دينية عديدة ومنها[١٨٠] .

المدرسة التي بناها على ضريح والدته في مدينة زبيد ، والمدرسة الظاهرية في تعز ، وقد بنى لها مأذنتين احداهما بدرجتين ، ولم يعد للمدرسة المذكورة ولا للمأذنتين وجود ، ومدرسة في عدن عند باب الساحل ، ولزوجته الحرة جهة الطواشي اختيار الدين ياقوت المدرسة الياقوتية بمدينة زبيد ، كما أعاد المنارة الشرقية في جامع الجند ، وجدد خازن داره برقوق الظاهري مسجد الأشاعر بزبيد ، وزاد فيه زيادات مستحسنة ، ومنها أجنحته الشرقية والغربية واليمانية ومقصورة النساء وغيرها .

ثم أضاف المصدر المذكور ان جامع الأشاعر المذكور انهدم في عهد الملك المنصور تاج الدين عبد الوهاب داود بن طاهر ، وأنه أعاد عمارته مع تعديلات وزيادات اضافها اليه . وقد توفي الملك الظاهر في عام ٨٤٣ هـ عن ملك دام حوالي اثني عشر عاماً .

الملك الأشرف الرابع ووفاته

وبويع ولده[١٨١] اسماعيل يوم وفاة والده ولقب بالأشرف الرابع .

وشيع جثمان والده من زبيد الى تعز ووري في مثواه الأخير بمدرسة الظاهرية آنفة الذكر .

أمّا سيرة الملك الأشرف الرابع وشمائله وحروبه مع قبائل تهامة التي تعودت الخلاف على الدولة الرسولية وفي مقدمتها قبيلتا المعازية والقرشية فحسبنا ان نذكر عن ذلك ما ذكره (أبو الحسن الخزرجي) في تأريخه (العسجد المسبوك) حيث قال :«ولمّا استقلّ ولده الملك الأشرف بالملك دانت له البلاد والعباد ، ومشى على

---

(١٨٠) و(١٨١) الخزرجي في (العسجد المسبوك) ص ٥١٣ و٥١٥ و٥١٧ .

طريقة والده في حسن السياسة ، وظهرت للناس رجاحته ، واشتهر في جملة معارك بالفراسة وقوة القلب والشجاعة والإقدام والنجدة والشهامة وشدة البأس حتى قيل انه لم يسبقه احد من آبائه الى ذلك ، وباشر الأمور بنفسه وتولى ما يعنيه ، وكان فيه اقدام عظيم حتى كان يقال له المجنون لذلك » ثم عدّد معاركه مع قبيلتي المعازبة والقرشية وما اسفرت عنه تلك المعارك له وعليه ، وكانت نهايتها وقعة السماط المشهورة في شهر جمادي الأولى سنة (٨٤٥ هـ) والتي فاجأ أثناءها كبار مشايخ المعازبة المدعوين بالقبض عليهم وضرب اعناق اربعين منهم ، ولم ينج منهم إلا اليسير ، ومع ذلك فلم يجد العنف في حسم الثورات والانتفاضات لأنّ الضعف والوهن كان قد دبّ في جسم الدولة الرسولية .

وقد توفي الملك الأشرف المذكور في شهر شوال من عام (٨٤٥ هـ) عن ملك دام عامين واشهراً ، ودفن في مدرسة أبيه الظاهر بتعز .

الملك المظفر الصغير ومنافسوه المفضل فالناصر فالمسعود

وقد[١٨٢] أجمع أهل الحل والعقد بعد موت الملك الأشرف الرابع على مبايعة يوسف بن الملك المنصور عبد الله ، وكان في وصاب هارباً من ابن عمه الملك الأشرف المذكور ، ولقب بالمظفر ، وانتقل من وصاب اثر تنصيبه الى تعز ، حيث دخلها في موكب عظيم ، ولكنه لم يتحرك منها ، الأمر الذي شجع بعض جنده من المماليك الأتراك وغيرهم على نقض بيعته والخروج من تعز الى زبيد بقيادة (بشبك الحاسكي) وأقاموا فيها أسد الدين محمد بن اسماعيل بن عثمان بن الملك الأفضل ملكاً ، ولقبوه بالمفضل ، واستطاع هذا ان يدعم مركزه بما فرقه من الأموال والخيل في العرب وغيرهم ، وأصبح منافساً خطيراً للملك المظفر الصغير ، وعمق انقسام بني رسول من انحلال دولتهم ، وضاعف من وهنها وضعفها ، وأتاح لآل طاهر ان ينقضوا عليها ، ويقيموا دولتهم على انقاضها .

ولكن الملك المظفر الصغير استطاع بمساندة آل طاهر وغيرهم من اليمنيين ان

---

(١٨٢) الخزرجي في (العسجد المسبوك) ص ٥١٧ .

يحتفظ بقوة جانبه .

وقتل الملك المفضل في عام (٨٤٦ هـ) كما قتل بشبك الحاسكي في أثره .

ووصل العبيد الذين كانوا يتقدمون المفسدين في تهامة الى حيس يبحثون فيها عمن يمكن أن ينصبوه ملكاً من بني رسول فوجدوا فيها احمد بن الملك الناصر فبايعوه ملكاً ولقبوه بالناصر ودخلوا به زبيد ، وذلك في سلخ جمادي الآخرة من نفس العام المذكور ٨٤٦ هـ ، ثم صاروا يعبثون في زبيد ويسلبون وينهبون دون ان يضع الناصر حداً لذلك ، لأنه لا حول له ولا طول .

ولذلك فإنه ما أن خرج من زبيد الى واديها بعد شهر واحد من تنصيبه حتى قام بعض أهلها باغلاق ابوابها لمنعه من العودة اليها ، فأغلقوا جميع ابواب المدينة باستثناء باب واحد وهو باب الشبارق الذي حال حراسه دون أغلاقه ، وعاد الناصر الى زبيد منه في نهاية اليوم وأمر بقتل كل من وجد من أهل زبيد من صغير وكبير ، حتى أصبحت زبيد (على حد ما جاء في المصدر) كأن لم تغن بالأمس ، وتفرق أهلها شذر مذر ، ولقب الناصر من يومئذٍ بالخاسر .

ومع ذلك فقد استطاع الملك المظفر الصغير القبض عليه واعتقاله وذلك في شهر ربيع الأول من عام (٨٤٧ هـ) .

ولكنّ المماليك قاموا بتنصيب ولده (صلاح الدين أبو القاسم بن الناصر) ولقب بالمسعود ، وعمره إذ ذاك ثلاثة عشر عاماً ، وكان تنصيبه في مدينة زبيد في الحادي عشر من شهر ربيع الأول من العام المذكور (٨٤٧ هـ) .

ثم انتقل منها الى عدن ، واستطاع ان يخرج بني طاهر نواب الملك المظفر الصغير منها ومن لحج وأبين في عام (٨٤٨ هـ) وكان بنو طاهر قد بدأوا يعملون للإستيلاء على الحكم لأنفسهم ، ومهدوا لذلك بأن أتاحوا للملوك الرسوليين المتنافسين أن يقاتل بعضهم بعضاً ، بهدف اضعافهم جميعاً .

وكان الملك المظفر الصغير ما يزال متمسكاً بآل طاهر ، وقام هؤلاء بحرب

معارضية مساندة منهم له في الظاهر ، ووصل (عامر بن طاهر) بقواته من بلاده (جبن رداع) لحرب الملك المسعود الذي جاء الى تعز لمنازلة الملك المظفر المعتصم في حصنها ، ولم يتمكن بنو طاهر من دحر الملك المسعود أو لم يشاؤ وا ذلك ، وأقام الملكان المتعارضان في تعز ، ولكن المظفر صار في حصن تعز كالمحصور ، في حين عاد عامر بن طاهر الى بلاده لإكمال استعداده لتسديد الضربة الحاسمة ضد البقية الباقية من ملوك بني رسول .

وفي عام ٨٥٢ هـ وصل بنو طاهر بقواتهم الى تعز ، وأخرجوا منها الملك المسعود سالماً بجميع أمواله الى بلاد موزع حيث اقام بهقرة منها ، ثم استطاع ان يتقدم الى عدن ويمتلكها.

ولم يشأ بنو طاهر ان ينجزوا عليه عند إخراجه من تعز ، إما لأنه خرج منها على أساس عدم المساس به مقابل اقامته في بلاد موزع ليس له من الأمر شيء ، ثم نقض ذلك الاتفاق واستعاد نفوذه وقصد عدن وتمكن من استعادتها . أو لأنهم ارادوا عدم الانجاز عليه كسباً للوقت وللمزيد من الاستعداد حتى يتمكنوا من القضاء النهائي على الدولة الرسولية ويقيموا حكمهم على انقاضها .

وقد أسرع بنو طاهر والملك المظفر الصغير في شهر ذي القعدة من نفس العام الى عدن لحرب الملك المسعود فيها ، وقامت حرب بين الجانبين لم يتمكن المتحالفان الملك المظفر وبنو طاهر من الاستيلاء على عدن ، وعاد المظفر الى تعز ، بينما عاد بنو طاهر الى بلادهم كعادتهم للمزيد من الاستعداد .

وفي عام ٨٥٤ هـ تحرك الملك المسعود من عدن الى تعز ، فتخلى له الملك المظفر عن حصن تعز وخرج منه ، ثم تنازل له عن الحكم أيضاً .

وكان المماليك اثناء الصراع المحتدم بين الملكين (المظفر الصغير) و(المسعود) قد استبدوا بشؤ ون زبيد ، وعاثوا فيها فساداً .

الملك المؤيد آخر ملوك بني رسول

ونصبوا[١٨٣] حسين بن الظاهر بن الأشرف ملكاً فيها ، ولقبوه بالمؤيد ، وذلك في شهر شعبان من عام (٨٥٥ هـ) ، ولما علم الملك المسعود بالأمر تقدم بقواته من عدن نحو زبيد وعسكر خارجها ، وحارب الملك المؤيد دون ان يظفر منه بشيء فانصرف عنه الى تعز . وبعد فترة عاد منها الى عدن .

أما بنو طاهر[١٨٤] فقد تمركزوا في لحج ، وقصدوا منها الملك المسعود الى عدن ، وقامت معارك بين الجانبين كانت سجالاً بينهما حتى خلع نفسه وخرج من عدن في السادس من شهر جمادي الآخرة عام (٨٥٨ هـ) . ولم يدخلها بنو طاهر لصمود حاميتها أمامهم .

في حين بادر اليها الملك المؤيد في السابع والعشرين من الشهر المذكور ، وأقام فيها حتى زحف نحوه الملكان عامر وعلي ابني طاهر بجموعهما في شهر رجب من العام المذكور (٨٥٨ هـ) وعسكرا خارجها .

استيلاء بني طاهر على الحكم في اليمن

وفي مساء اليوم الذي وصلا فيه أو بعد أيام من ذلك (على اختلاف بين المؤرخين) والرأي الأخير أرجح ، نفذ اليها (علي بن طاهر) مع جملة من عسكره من ثغرة اهتدى اليها مما يلي جبل التعكر (جبل حديد حالياً) وبمساعدة (آل احمد) أحد فرعي قبيلة يافع .

وفي صباح ليلة تسللهم اليها وهي ليلة الثالث والعشرين من شهر رجب من نفس العام فتح (علي بن طاهر) أبواب مدينة عدن لأخيه (عامر بن طاهر) ولجيشهما ، واستوليا عليها ، بعد ان قبضا على الملك (المؤيد) آخر ملوك بني رسول .

---

(١٨٣) العسجد المسبوك آنف الذكر ص ٥٣٠ . وقد انتهى التاريخ المذكور هنا .

(١٨٤) و(١٨٥) الديبع في (بغية المستفيد في تاريخ زبيد) مخطوط .

وحددا اقامته في احدى دور الإمارة فيها ، واجريا له ولمن معه النفقات اللازمة ، وأعلنا الملك لأنفسهما . ثم ساعداه في الخروج منها الى مكة كما زعم طلب بأهله بعد ان شريا منه جميع ما كان بحوزته من معدات وآلات حربية .

وبذلك انتهى حكم بني رسول الذي دام مائتين وثلاثين عاماً وأشهراً ، وقام على انقاضه حكم بني طاهر ، والملك لله وحده .

نظرة عامة في عهد الدولة الرسولية

الناحية السياسية

قامت الدولة الرسولية في اليمن على انقاض الدولة الأيوبية ، وشغلت فترة مائتي عام وثلاثين عاماً .

ويمكن تقسيم الدولة الرسولية الى ثلاث مراحل :

مرحلة شباب الدولة ، وتبدأ هذه المرحلة ببداية الدولة ، وتنتهي بالملك المؤيد (داود بن يوسف بن عمر بن علي رسول) ، ودامت هذه المرحلة زهاء ثلاثة وتسعين عاماً على اعتبار انها بدأت عام اعلان الملك المنصور عمر بن علي رسول استقلاله بحكم اليمن عن الأيوبيين وهو عام (٦٢٨ هـ) .

ومرحلة الكهولة ، وتبدأ هذه المرحلة بالملك المجاهد (علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي رسول) وتنتهي بالملك المنصور ،(عبد الله بن أحمد اسماعيل ابن العباس بن المجاهد علي) المذكور ، ودامت هذه المرحلة زهاء مائة عام ، وخمسة أعوام .

ومرحلة الشيخوخة وتبدأ بالملك الأشرف الثالث بن الناصر احمد) المذكور وتنتهي بانتهاء الدولة الرسولية في عهد الملك المؤيد الرسولي آخر ملوك بني رسول ، ودامت هذه المرحلة زهاء اربعة وثلاثين عاماً .

ولقد أسّس الدولة الرسولية على انقاض الدولة الأيوبية نائبها (نور الدين عمر بن علي رسول) والذي تلقب بعد استيلائه على الحكم بالمنصور .

وساعده على الاستيلاء على الحكم من الأيوبيين عدة عوامل أهمها :

١ ـ انابة الملك المسعود الأيوبي آخر ملوك بني أيوب في اليمن له أي نور الدين عمر بن علي رسول على اليمن لدى مغادرته له نحو الشام لتسلم ولايته الجديدة عليه التي أسندها اليه والده الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ملك مصر والشام .

٢ ـ وفاة الملك المسعود الأيوبي المذكور في مكة عام مغادرته لليمن وقبل وصوله الى الشام ، الأمر الذي اتاح لنائبه في اليمن عمر بن علي رسول المذكور فرصة التمهيد لاستيلائه على الحكم لنفسه ، وذلك بتبديل ولاة المناطق والحصون في اليمن بمن يثق بهم ويعتمد عليهم طيلة عامين كاملين وبـاسم الأيوبيـين في الظاهر .

٣ ـ قيام الملك المسعود الأيوبي في آخر عهده بالقبض على الأمراء بدر الدين حسن وشرف الدين موسى وفخر الدين ابي بكر ابناء علي رسول اخوة الملك المنصور عمر بن علي رسول وإرسالهم مقيدين الى مصر لاعتقالهم فيها ، الأمر الذي جنّب الأمير نور الدين عمر بن علي رسول جبهة داخلية كان يمكن حدوثها بينه وبينهم وتحول دون تحقيق هدفه .

٤ ـ تعذر استعادة الأيوبيين للحكم في اليمن بسبب بعده وطبيعته الجبلية ووعورة مسالكه وارتفاع حصونه المنيعة والتي كان لها شأنها وأهميتها .

٥ ـ اضطراب الأحوال الداخلية في مصر والشام بالنسبة للأيوبيين بسبب تنازعهم وانقسامهم ،ومصر والشام في نظر الملك الكامل الأيوبي أهم وأقرب من اليمن .

٦ ـ نقل الملك المنصور عمـر بن علي رسـول الصراع بينـه وبين الأيـوبيين الى الحجاز ، وهو في نظرهـم أهم من اليمن لأنّ فيه الحرمين الشريفين ، وصار الحجاز بذلك خط الدفاع الامامي للملك المنصور مع الأيوبيين .

٧ ـ ولاء الأشراف الزيدية في اليمن للملك المنصور الرسولي وتشجيعهم له على الاستيلاء على الحكم في اليمن لنفسه من الأيوبيين ، الأمر الذي جنّبه جبهة

داخلية معهم في القسم الأعلى من اليمن .

هذا عن انتقال الحكم في اليمن من بني أيوب الى بني رسول والعوامل التي ساعدت على ذلك .

أما عن دولة بني رسول ذاتها فوضعها السياسي يتلخص بالآتي :

لقي الملك المنصور الرسولي في بداية عهده مقاومة كبيرة من اليمنيين الذين كانوا يرون في بني رسول نفس ما كانوا يرونه في الأيوبيين من انهم دخلاء وغير يمنيين ، إذ لم يبدأ الترويج بيمنية بني رسول وانهم من الأزد الذين هاجروا من مأرب الى الشام ومنه الى التركمان في آسيا الوسطى ، إلا منذ عهد الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي رسول ، ومع ذلك فهو لم يقنع اليمنيين ، وصار اليمنيون كلما ناءوا بوطأة حكم بني رسول واحسوا بسنوح الفرصة للتخلص منه تحركوا للخلاف ومحاولة الاستقلال عنهم ، وقد عمّق من اعتقاد اليمنيين بعدم يمنية بني رسول ضعف ثقة هؤلاء باليمنيين ، وما كانوا يمنحونه لغير اليمنيين الذين يستقدمونهم من مصر والشام وغيرهما من ثقة لا حدود لها ، وتقليدهم المناصب الكبيرة المدنية والعسكرية في الدولة .

على ان قيادة المعارك الحربية كانت غالباً لا تسلم إلا الى شخصيات غير يمنية يطمئن اليها بنو رسول .

هذا وليس كل الاضطرابات التي حدثت اثناء حكم بني رسول مصدرها اليمنيون ، بل ان هناك اضطرابات كان مصدرها الأسرة الحاكمة في تنازعهم على الحكم وأنقسامهم على انفسهم ، وكان المماليك الذين كان بنو رسول قد استكثروا منهم وصارت لهم مراكز قيادية في الدولة هم وراء تلك الانقسامات الداخلية بين افراد الأسرة الحاكمة بهدف تحقيق مطامعهم وأغراضهم .

وهناك اضطرابات مصدرها اليمنيون ولكن لا بهدف الاستقلال عن الدولة ، وإنما للتعبير عن الظلم الذي كانوا يعانونه من الولاة والمقطعين .

ولهذا فإنّ الملك من بني رسول كان أول ما يقوم به إثر توليه الحكم هو العمل

على اقرار الأوضاع ومنع الاضطرابات وذلك عن طريق القيام بجولة أو بجولات في مختلف المناطق ، بهدف تفقد الأحوال ، وازالة المظالم ، وتغيير من يلزم تغييره من الولاة والمقطعين ، وكثيراً ما قرأنا أنّ الملك ازال مظلمة كذا عقب توليه الحكم ، فيشهد بداية عهده بذلك استقراراً وازدهاراً ، ولكن الملك في خضم الاضطرابات الأخرى المختلفة يشتغل بها عن مواصلة تفقد احوال رعيته ورعايتهم ، ومنع الظلم والجور عنهم ، فتعود المظالم وتتجدد اضطرابات المظلومين . ثم تتوسع وتتنوع أهدافها وأغراضها بسبب استغلال ذوي الأغراض المختلفة لها وتغذيتها .

فيضطر الملك من جديد للقيام بحركات اخضاع أو إصلاح كما يسميها، ويبعد عن السبب الذي أدى اليها ، فلا يعالجه ويصبح معظم فترة عهده أو طيلة عهده في دوامة مع المخالفين والمتمردين كما رأينا .

ولقد سأل الملك المجاهد بعض رعايا زبيد الذين تركوا وادي زبيد وتركوا زراعته وتفرقوا في انحاء اليمن مشردين عن سبب تشردهم ، فأجابوا عليه بأنّ سبب ذلك طلب الولاة زكواتهم بأغلى اسعارها ، وهم لا يلزمهم إلا عينها يوم حصادها ، أو ثمنها بسعر يوم حصادها أيضاً ، فقال لهم الملك : « هذا والله ظلم بيّن ، ولا لوم عليكم فيما فعلتم » ثم ازال مظلمتهم ، وكتب بذلك مرسوماً عممه على جميع المناطق في الدولة .

ومع تلك الاضطرابات المختلفة المصادر والدوافع في عهد الدولة الرسولية فإنّ ذلك لا يعني انها سادت اليمن جميعه ، وجميع فترات عهد الدولة الرسولية .

ذلك ان الفترة الأولى من حكمها كانت فترة رخاء وازدهار واستقرار في عموم اليمن ، باستثناء القسم الأعلى منه والذي ظل مسرح حرب ونزاع بين الأئمة والرسوليين .

وباستثناء سنوات التأسيس الأولى من حكم الدولة الرسولية ، بسبب مقاومة اليمنيين لقيامها .

بينما كانت الفترة الثانية من حكم الدولة الرسولية وهي ما عرفت بالمرحلة

الثانية من عمرها ، أقل هدوءاً واستقراراً ، وان لم تكن أقل ازدهاراً ورخاءاً ، وذلك بسبب انتقال مسرح الاضطرابات والحروب من القسم الأعلى من اليمن بسبب استقلال الأئمة به عن الرسوليين منذ عهد الملك المجاهد الى منطقتي تهامة ومخلاف جعفر (في لواء اب) وهما ابرز المناطق اليمانية التي عانى بنو رسول من خلافهما ، بالرغم من انهما ظلتا تحت نفوذ الدولة الرسولية ، ولم يمتد نفوذ الأئمة اليهما ، ولكنهم صاروا يغذون حركات التمرد والخلاف فيهما على الدولة الرسولية بهدف شغل بني رسول بذلك عن محاولة استعادة نفوذهم في القسم الأعلى .

أما الفترة الثالثة والأخيرة من عهد الدولة الرسولية فقد اتسمت باضطراب الأمن والاستقرار السياسي ، حيث كثر فيها تنازع ملوك بني رسول على الحكم حتى قامت دولة آل طاهر على انقاضها .

عوامل انهيار الدولة الرسولية وأسباب سقوطها

ولقد كانت عوامل تلك الاضطرابات في عهد الدولة الرسولية هي نفسها عوامل انهيارها وأسباب سقوطها ، وللتأكيد فإنها تتلخص بالآتي :

١ ـ استكثار ملوك بني رسول من المماليك الى جانب مماليك الدولة الأيوبية حتى صار للمماليك عموماً مراكز قيادية في الادارة والجيش ، وصاروا يشكلون مراكز قوى يثيرون الاضطرابات ، ويقلقون الأمن ، ويعبثون ويفسدون ويسلبون وينهبون ، وصاروا في الفترة الأخيرة من عهد الدولة الرسولية ، يخلعون ملكاً ويقيمون ملكاً ، حتى اضعفوا جانب الدولة ، وزعزعوا كيانها وصدعوا صرحها وهيئوا عن غير قصد لآل طاهر أن يقيموا حكمهم على انقاضها .

٢ ـ ضعف ثقة ملوك بني رسول باليمنين واعتمادهم في الوظائف الهامة مدنياً وعسكرياً على غير اليمنيين ، الأمر الذي افقد الدولة تعاون اليمنيين واخلاصهم ، وتفانيهم في خدمتها والذود عنها .

٣ ـ الاقطاع الذي كانت الدولة الرسولية تمنحه لولاتها ولبعض الزعماء اليمنين

بهدف كسب ولائهم ، وضمان توفير الأمن والاستقرار في ولاياتهم ومناطقهم ، الأمر الذي أتاح للولاة والمقطعين استغلال المواطنين بهدف إخضاعهم وذلك في غمرة انشغال الدولة بالتصدي للخلافات التي كانت تواجهها من مختلف القوى ، وصار ذلك بالتالي من اسباب زيادة الاضطرابات وجاء بالنتيجة العكسية .

٤ ـ تنازع امراء الأسرة الحاكمة على الحكم ، الأمر الذي شكل مصدراً آخر للاضطرابات ، وأضعف جانب الدولة وبالذات في المراحل الأخيرة من عهدها ، ومهدّ الطريق لآل طاهر للوصول الى الحكم .

٥ ـ النظام الوراثي الذي انتهجه بنو رسول في حكمهم ، والذي أوصل الى الحكم ضعاف الملوك والأحداث ، وأتاح للمماليك الاستبداد بالأمور ، والعبث والفساد وأدى الى التنافس والتناحر وتعميق الإنقسام بعزل هذا الملك وتنصيب ذاك ، حتى زاد ضعف الدولة وزالت هيبتها ، وشجع بني طاهر على حرب الملك المؤيد آخر ملوك بني رسول جهراً وعلناً ، ودون اتخاذاي مبرر سوى غرض الاستيلاء على الحكم منه ، وتمَّ لهم ذلك كما عرفنا .

هذا موجز سريع لعوامل قيام هذه الدولة الرسولية وللأسباب التي أدت الى انهيارها وسقوطها .

ولنعد مرة اخرى فنستعرض سريعاً سير حكمها ، ونتعرف على ما امكن من نظمها وقوانينها ، وعلى اوضاع اليمن في مختلف مراحل عهدها .

الإدارة في الدولة الرسولية

كان الملك (الطغتكين بن أيوب) ثاني ملوك بني أيوب في اليمن ، قد قنّن القوانين وشرّع الأحكام الادارية ووضع قواعد الحكم في اليمن ، على غرار ما كان قائماً في مصر .

وكان قد قدم من مصر الى اليمن خلفاً لأخيه (توران شاه بن أيوب)

مؤسس دولة بني أيوب فيه ، وقدم معه علي بن رسول وأولاده الأربعة وهم (بدر الدين حسن) و(شرف الدين موسى) و(فخر الدين أبو بكر) و(نور الدين عمر) (مؤسس دولة بني رسول في اليمن وهو أصغرهم) وكانوا قد قدموا كأمراء في جيش الطغتكين ، وشغلوا في عهده وعهد خلفه من ملوك بني أيوب مختلف المناصب والأعمال العسكرية والمدنية ، ولكنهم لم يبرزوا إلا اثناء الغيبة الأولى للملك المسعود (آخر ملوك الأيوبيين) عن اليمن في عام (٦٢٤) للهجرة ، حيث قاموا بمقاومة اليمنيين والحفاظ على حكم الأيوبيين فيه .

ولما أقام الملك المنصور حكمه في اليمن أقرّ قواعد الحكم ونظم الإدارة وقوانين الدولة على ما كانت عليه في عهد الأيوبيين ، مع ادخال اصلاحات وتعديلات في الجيش والإدارة المدنية لا تخرج في عمومها عن قوانين ونظم الأيوبيين واحتفظت بطابعها المصري التي كانت عليها في عهد الأيوبيين .

بل لقد استقدم بنو رسول الى اليمن خبرات عربية من الشام ومصر مدنية وعسكرية ، ومنحوهم ثقتهم ، ومن أبرزهم الخبير العسكري (علاء الدين كشتغدي) الذي استقدمه الملك المجاهد من مصر في عام (٧٢٨ هـ) فرتب الجيش اليمني في دولته على قواعد الجيش المصري كما ذكر ذلك المؤرخ اليمني (تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني) في تأريخه (بهجة الزمن في تاريخ اليمن) وغيره من المؤرخين وكما سبق عند التأريخ للملك المجاهد المذكور من هذا الكتاب .

كما استقدم[١٨٦] الملك المجاهد أيضاً عدداً من خبراء الادارة وكتاب الدواوين والانشاء ، ومن هؤلاء المؤرخ ابن عبد المجيد المذكور نفسه الذي استقدمه الملك المجاهد الرسولي أيضاً من الخارج حيث كان يعمل بعد انهاء دراسته العربية في الشام ومصر ، وعمل له في ديوان انشائه ، ومنهم الأديب (أبو المظفر موسى بن حسين المصلي) الذي استقدمه من مصر الى اليمن الملك المؤيد

---

(١٨٦) مصدرنا في هذا الأستاذ عبد الله الحبشي في كتابه (حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول) .

(داود بن يوسف بن عمر بن علي رسول) في عام (٦٩٩ هـ) وقد وصفه الجندي بأنه لم يشبهه احد من القادمين الى اليمن علماً وأدباً ، ومنهم كاتب الانشاء (ناصح الدين المنتجي) الذي قدم مع أبي المظفر المذكور ، والذي ترك مصنفاً ضمنه قواعد الدواوين اليمنية ونظام الضرائب والرسوم ، ومنهم (أبو محمد الحسن بن نصر بن مختار الدولة) ، القادم الى اليمن في عهد الملك المجاهد أيضاً .

أما المناصب الإدارية في عهد الدولة الرسولية فأهمها تسعة مناصب وهي : النيابة والوزارة والحجابة وكتابة السر وكتابة دواوين الجيش ووظيفة ديوان المال وشاد الولاية والحسبة والقضاء وهو مستقل عن الادارة ، وجميعها معروفة سوى وظيفة شاد الولاية ، وتعني وظيفة جمع الأموال واستحصالها ، وصاحب هذه الوظيفة أكثر موظفي الدولة التصاقاً بالناس ، ووظيفته اكثر حساسية من غيرها ، والوظيفة الثانية المجهولة اليوم هي وظيفة الحسبة ، وتعني رقابة سلوك الناس ، والحفاظ على الآداب العامة ، وربما تعني الرقابة السرية على مسلك موظفي الدولة وعلى الاسعار والمقاييس الأكيال والموازين في الأسواق ، ولا تمنح هذه الوظيفة إلا لمن كان على درجة عالية من النزاهة والاستقامة ، وهناك وظيفة عاشرة في الدولة الرسولية تبعاً للدولة الأيوبية وهي (أتابكية الجيش) وتعني القيادة العامة للجيش لأن حاملها هو الذي يتم تعيين قادة الجيش وضباطه عن طريقه ، والأتابكية في الأصل هي الإضطلاع بتربية اولاد الملوك ، ثم الاضطلاع بقيادة الجيش بعد اضطلاع الملك الذي قام بتربيته بمسؤولية الحكم أو في حياة أبيه وكانت النيابة تعتبر اعلى مراتب الوظائف الحكومية ، أي انها اعلى مرتبة من الوزارة ، ولا يلي منصب النيابة في عهد الدولتين الأيوبية والرسولية إلا قريب الملك أو احد كبار القادة العسكريين .

الناحية الإقتصادية

قسمت[١٨٧] الدولة ضريبياً الى ثلاثة أقسام رئيسية :

---

(١٨٧) المصدر في هذا هو المصدر السابق والدكتور محمد عبد العال أحمد في كتابه (بنو رسول وبنو طاهر) .

القسم الأول البلاد الجبلية وهو فرعان ، الفرع الأول الجبل الأعلى من اليمن ويسمى البلاد العليا ، وهي طولاً من شرق حضرموت الى بلاد الطويلة وشرق ملحان غرباً ، وعرضاً من حقل قتاب جنوباً الى بلد بيشة شمالاً .

والفرع الثاني وهو المعروف باليمن الأخضر وهو مدور الشكل ، ويبدو انه يعني به المنطقة الوسطى ويشمل لواء اب وما جاوره من بلاد عتمة ووصابين وقضاء ريمة .

أمّا القسم الثاني فهو البلاد السهلية وهي تهامة من جنوبها حتى شمالها .

وأمّا القسم الثالث فيشمل البلاد الساحلية وهي التي توجد فيها الموانىء على البحر الأحمر وخليج عدن ، وكانت منها أهم موارد الدولة من الزكوات ومن التجارة والموانىء .

وقد انتعشت التجارة في موانىء اليمن وفي عدن بالذات في عهد الدولة الرسولية ، وذلك بفضل علاقتهم الخارجية الحسنة مع مختلف الدول الآسيوية والأفريقية، وبفضل اهتمام ملوك بني رسول بالتجار اليمنيين والأجانب وحسن رعايتهم ، وتسهيل معاملاتهم ، وتفقدهم المستمر بالزيارات التي كان ملوك بني رسول يقومون بها الى عدن ، الميناء الرئيسي في عهدهم ، وازالة ما قد يكون نوابهم قد وضعوا عليهم من مظالم ومكوس .

كما انتعشت التجارة الخارجية ايراداً وتصديراً بفضل الشواني (سفن الحراسة) التي رتبوها بالمشاركة مع شواني دولة المماليك في مصر لحراسة البحر الأحمر والبحر العربي وبحر الهند من قراصنة البحار .

أمّا الزكوات فأهمها : من الحبوب والفواكه والنخيل في المناطق التهامية ، وكانت تقدر زكاة النخيل بالتقدير الذي لا يخلو من مجازفة وظلم على الرعية حتى تشرد أكثرهم من مختلف مناطق اليمن خارج تهامة ، وقد علمنا بالحوار الذي دار بين الملك المجاهد وزراع النخيل عن أسباب تشردهم ، وأنه أزال ظلامتهم ، وأمر بعد النخيل حتى لا يظلم احد في زكاته ، كما كان الملك

الأشرف الأول ابن الملك المظفر قد أمر بأخذ زكاة النخيل بعد عده ، ويبدو ان ذلك تمّ في عهده القصير فقط كما علمنا .

ولما كان بنو رسول يحترمون العلماء ويجلونهم ، فقد أتاحوا لهم حرية نصحهم ومصارحتهم ، وكان العلماء انفسهم مع ذلك يتحلون بالصراحة والشجاعة وأورد المصدر أمثلة عديدة على ذلك ومنها رسالة العلامة شيخ الصوفية (احمد بن علوان) للملك المظفر ، والذي عاتبه فيها على وجود ظلم برعية تهامة والجبال فيما يوضع عليهم من واجبات الزكاة وجاء منها :

هذي تهامة لا دينار عند همو ... ولحج أبين بل صنعاء بل عدن
فما ذنوب مساكين الجبال وهم ... جيران بيتك والأحلاف والسكن
والأضعفون فما يقتات أجزلهم ... إلا بما جرت المسحاة والحجن
فانظر اليهم فعين الله ناظرة ... همو الأمانة والسلطان مؤتمن
عار عليك عمارات مشيدة ... وللرعية دور كلها دمن
لا تفخرّن بجمع المال كيف أتى ... حاشاه عقلك عقل راسخ زمن

ومنها الرسالة التي بعثها ابن المقري الى الملك الناصر (احمد بن الأشرف الثاني) يشكو فيها مشداً يعرف بابن الزنبور ، وكانت الرسالة على لسان أهل زبيد وجاء منها :

همو الرعايا العبيد الطائعون همو
وأنت أنت المطاع السيد الملك
فلا تكلهم الى من ليس يرحمهم
ولا يرى هلكهم أمراً به درك

ورسالة ابن المقري ايضاً على لسان لحج يشكو فيها احد العمال ومنها :

رعية لك في لحج بصرت بهم ... لهم وجوه تُقاها ظاهر فيها
تندى حياء وتحميها سكينتها ... عن التكلم فيما ليس يعنيها

يشكـون من كاتب يفـري بسلبهمو   نعـماء أنت بحمـد الله كـاسيهـا

ورسالة مقتضبة بعثها قاضي القضاة (اسماعيل بن محمد الحضرمي) :
إلى الملك المظفر جاء فيها قوله :

(يايوسف كثر شاكوك ، وقلَّ شاكروك ، فأمّا عدلت وإلا انفصلت) .

وهذا القاضي الحضرمي هو الذي رأى على احد قضاته ثياباً فاخرة فسأله عن ذلك ، فرد عليه بقوله : هذا من بركاتك يا أبا الذبيح ، (وكانت هذه كنية قاضي القضاة المذكور) فأجاب عليه قاضي القضاة : « ذبحني الله ان لم أعزلك » ، ثم عزله واستقال من منصبه تورعاً من الوقوع في الشبه حتى فيما يقترفه غيره بسلطانه وتوليته .

الحياة الاجتماعية والثقافية

شهد المجتمع اليمني في عهد الدولة الرسولية رخاء في العيش ونشاطاً في التجارة ، وازدهاراً في العمران ، ولا سيما في المدن الآمنة والبعيدة عن الحروب والتقلبات ، حتى زاحم الأغنياء بقصورهم وترفهم قصور وترف الملوك والأمراء ، وكان الواحد منهم يملك في قصره العديد من العبيد والخصيان والإماء ، ؛ الذين كان يستقدمهم النخاسة للتجارة من الهند والحبشة وافريقيا وغيرها .

ولقد كان عهد الدولة الرسولية مع ذلك مزدهراً بالعلم والثقافة والأدب ، لأن ملوك بني رسول كانوا يشجعون العلماء والأدباء ، ويبالغون في اكرامهم ، كما كانوا يستقدمونهم من خارج اليمن ويستقبلون الكثير من المؤلفات من الداخل والخارج باحتفالات تليق بجلال العلم وجهد المؤلفين، كما كانوا يجزلون العطاء لهم ، ويخلعون عليهم ، ويجرون النفقات الوفيرة للعلماء والمتعلمين وكانوا يجرون النفقات الثابتة للمدرسين من الجزية ومن حاصلات الأوقاف التي كانوا يوقفونها هم وغيرهم للمدارس العلمية ، ومن ايرادات

الدولة ومن الأوقاف العامة ، وأمّنوا مع ذلك للطلاب الغذاء والكساء والسكن والمصاريف اللازمة للحاجات الأخرى .

وعيّنوا النساخ في قصورهم لنسخ الكتب بصورة دائمة ، وايداع نسخ منها بعد مقابلتها في مكتباتهم الزاخرة بالآلاف من الكتب ، التي لا توجد في غيرها ، وتوزيع عدد منها في المدارس المختلفة مراجع للأساتذة ومقررات للطلاب ، كما كانوا يرسلون الى الخارج من يبحث لهم عن الكتب التي لا توجد في اليمن ، ويقتنونها بأوفر الأثمان ، وكانوا يستقبلونها باحتفالات كبيرة ، كما استقبل الملك المظفر شرح المهذب في فقه الشافعية باحتفال مهيب ، وذلك عند انتهاء مؤلفه العلامة (محمد بن عبد الله الريمي) ، وكان كتاب المهذب هو المقرر الرسمي في فقه الشافعية في المدارس .

واستقبل كذلك المحدث الكبير المحب الطبري الذي ألف عدة مؤلفات في اليمن ، وأسمى بعضها باسم المظفر كالكواكب الدرية ، والمشيخية المظفرية ، كما استقبل الملك الأشرف الثاني اسماعيل بن الملك الأفضل العباس العلامة الفيروزبادي الذي ألّف كتابه (القاموس المحيط) في اللغة في زبيد تحت رعايته .

وكانت مع ذلك للملوك بني رسول مشاركة فعلية في الانتاج العلمي ، فألّف الملك المظفر كتاب (تيسير الطالب في تسيير الكواكب) و ألّف الملك الأشرف الأول بن الملك المظفر كتاب (التبصرة في علوم النجوم) ، و(التفاحة في علم الفلاحة) ، وألّف الملك الأفضل بن الملك المجاهد كتاب (بغية الفلاحين في الأشجار المثمرة والرياحين) ، وكتاب (نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء) في علم السياسة والاجتماع .

أمّا في التاريخ فكان المؤرخون قبل عهد بني رسول يجمعون بين التراجم والحوليات ، في مؤلف واحد كالجندي مثلاً ، ثم صاروا في عهد بني رسول يفردون التراجم عن حوليات الأحداث ، ومن أوائل المؤرخين هؤلاء أبو الحسن الخزرجي االذي ألّف في الحوليات (العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن

من الملوك) ، و(العقود اللؤلؤية في اخبار الدولة الرسولية) ، والف في التراجم كتاب (طراز اعلام اليمن) ، وغيره كثيرون ما زالت مؤلفاتهم بين أيدينا والنادر منها يوجد في المكتبات العامة في مصر وتركيا وغيرهما .

عموماً فقد بذل بنو رسول عناية فائقة ورعاية بالغة للعلماء والطلاب على حد سواء ، ولم يبنوا جامعاً إلا وكان له طابع المدرسة ووفروا للطلاب والمدرسين فيها كل وسائل التعليم ، من كتب ومشايخ وسكن للطلاب واغذية وكساء ومرتبات وغيرها مما أسلفنا ، وأوقفوا لمدارسهم الأوقاف الواسعة ،وكانت هناك مدارس عامة يدرس فيها العديد من الفنون ، ومدارس خاصة لا يدرس فيها إلا فن معين أو فقه لأحد المذاهب الأربعة أو الحديث فقط وهكذا ، وما زالت الكثير من مدارسهم ومساجدهم عامرة الى اليوم .

وكما برز علماء اجلاء في عهد الدولة الرسولية ، فقد برز أدباء يضارعون أدباء عصرهم في مصر والشام والعراق وغيرها . وذلك بفضل التشجيع والرعاية التي كان بنو رسول يقدمونها للأدباء والشعراء وكُتّاب الدواوين والانشاء واكرموا الشعراء بالجوائز السنية حتى أصبح الشعر في ذلك العهد مصدر رزق وثراء ، ثم فتحوا لهم صدورهم وقصورهم وحضروا معهم مجالسهم .

ومن الأدباء الذين برزوا في عهد الدولة الرسولية (ابن المقري) الذي تحدى الحريري بقصيدته التي مطلعها :

سم سمة تُحمد آثارها   وأشكر لمن أعطى ولو سمسمه

بقصيدة مدح بها الملك الناصر احمد بن الأشرف الثاني اسماعيل ، وزاد على عدد ابيات قصيدة الحريري خمسين بيتاً في قصيدته التي مطلعها :

المس لمهوى احمد طاعة   يرضى بها المسلم والمسلمة
والمحك مهواة فدعه لمن   يرى القضا للسيف والمحكمة
من لجّ مهيوجاً تراءى له   من ابن اسماعيل من لجمة

الى آخر القصيدة ، وغير ابن المقري كثيرون .

أمّا فئات المجتمع اليمني في عهد بني رسول فهي نفس الفئات في غيره والتي تتكون من قبائل معظمهم يحتفظون بقبليتهم في الريف ، وجميع هؤلاء فلاحون ، باستثناء البدو الرحل والذين يشتغلون بتربية المواشي الأغنام والإبل ، وجميع سكان الريف يحتفظون بتقاليدهم وعاداتهم ، أمّا سكان الحضر (المدن) فتتعدد فئاتهم بتعدد اعمالهم ومهنهم ، وجميع سكان الحضر تتلاشى فيهم القبلية وعصبيتها ، كما تتغير لديهم عادات القبيلة وتقاليدها ، وان لم تَزُل عنهم شمائل القبيلة الأخرى ، كالمروءة والنجدة ، والإجارة والشعور بالكرامة والذود عنها حينما يراد امتهانها والنيل منها .

هذا وتختلف مكانة فئات المجتمع باختلاف اعمالها ومهنها ، ففئة العلماء والمثقفين هي أعلى الفئات .

ولقد كان لرؤساء القبائل وزعماء العشائر نفوذهم المحلي وكانوا يشكلون قوة لها شأنها وخطرها ، وكانت الدولة تكسب ولاءها عن طريق منحها الاقطاع في مناطقها . وكانت قوة القبيلة أو ضعفها ترتبط عموماً بقوة أو ضعف الدولة ، فمتى كان جانب الدولة قوياً كان النفوذ القَبَلي ضعيفاً ، والعكس بالعكس .

علاقة اليمن الخارجية في عهد بني رسول

تبّوأت الدولة الرسولية مكانة عالية بين الأمم ولا سيما بعد بسط مؤسسها الملك المنصور (عمر بن علي رسول) نفوذه على مكة والمدينة ، وحماية الحرمين الشريفين ، فصارت الكثير من الدول تسعى لكسب صداقتها ، وترتبط معها بعلاقات حسنة ، وتتبادل معها التمثيل الدبلوماسي ، وتبادلها الهدايا .

وابرز وأهم الدول التي اقامت معها الدولة الرسولية علاقات حسنة دولة المماليك في مصر والتي خلفت دولة الأيوبيين التي اقتطع الرسوليون دولتهم في اليمن ، والحجاز منها ، بعد ان كانوا في اليمن نواباً عنها .

وقد بدأت العلاقة الودية في عهد ملكيها الظاهر بيبرس في مصر والمظفر يوسف بن عمر بن علي رسول في اليمن وكان عز الدين بن أيبك أول ملوك دولة المماليك في مصر والشام في الأصل مملوكاً تركمانياً للوزير (رسول محمد بن هارون) جد الملك المظفر المذكور كما سبق ذكره . كما كان الملك المظفر هو الساعي لتوطيد تلك العلاقة مع ملك المماليك ، خشية أن يغزو هذا اليمن ولا سيما بعد النصر الذي حققه الظاهر بيبرس على جحافل التتار في عين جالوت من بلاد مصر في عام (٦٥٨) للهجرة .

وقد اعرب الملك المظفر عن تقديره واكباره للملك الظاهر في تقديمه لأعلام الظاهر على اعلامه في جبل عرفات عام (٦٥٩ هـ) . قائلاً لبعض خاصته الذي استنكر ما فعله ، : « اتراني اقدم اعلامي لحضوري وأأخر أعلام ملك كسر التتار بالأمس ؟ » وبادله الملك المظفر السفراء وتبادل معه الهدايا ، ومن جملة هدايا ملك مصر لملك اليمن المظفر المذكور قميصة تطميناً له من القيام بغزوه وبعض الآلات الحربية والطيور الجارحة قائلاً في رسالته للملك المظفر : « سيّرنا لك آلة السلم والحرب مما لاصق جسدنا في مواطن الجهاد » وبعث الملك المظفر خمسمائة فارس الى مصر مجهزين بكل ما يلزمهم للحرب للمشاركة في حرب التتار والصليبيين ، وظل يرسل نفقاتهم باستمرار ، لتأكيد ولائه للملك الظاهر ، وللإسهام في الجهاد في سبيل الله ، وكان الملك عامر عبد الوهاب آل طاهر قد اقتدى بالملك المظفر في بداية عهده وساند المماليك في مطاردتهم لقراصنة البحار حينما طلب منه ذلك نائبهم الأمير حسن الكردي ولقطع الطريق بذلك عن حرب المماليك ، والقضاء عليهم كما حدث .

ولم يستطع شريف مكة (أبو نمي بن سعد بن علي بن قتادة) الإفساد بين الملكين حينما استولى واسرته على حكم مكة بعد موت الملك المنصور عمر بن علي رسول والد الملك المظفر ، بسبب اشتغال المظفر باقرار الأمور في اليمن بعد موت ابيه ، وكان اشراف مكة قد دانوا بالولاء للمماليك في مصر منذ مقتل

الملك المنصور وانتموا اليهم ، لمنع امتداد نفـوذ المظفـر الى الحجاز ، والتـولية عليهامن قبله قبولاً لأيسر الأمرين ، اذ أنّ انتماءهم الى المماليك سيكون شكلياً لا يزيد على الدعاء لهم في الخطبة وهو ما حدث فعلاً .

ولّما مات الملك الظاهر بيبرس المملوكي دعم الملك المظفـر صلته بـولده الملك المنصور (سيف الدين قلاوون) ، وبادله الهدايا حتى ظفر منـه بقميصه تطميناً له كما فعـل أبوه وكتب ملك مصـر اليه : « إنّـا داعون لـه ولأولاده ، مسالمون من سالمهم ، معادون من عاداهم ، ناصرون من ناصرهم ، خاذلون من خاذلهم ، لا نرضى له ولأولاده إلا بما رضيناه لأنفسنا ، وإنّا لا نقبل في حقه سعاية ساعٍ ، ولا وشاية واشٍ ، ولا تناله منا مضرةٍ مدى الدهر ، وأعمارنا ، ما دام ملازماً شروط مودتنا » .

وقد فترت علاقة بني رسول بالمماليك في عهد الملك المملوكي (محمد بن قلاوون) في عهد الملك المجاهد الرسولي كما أسلفنا وبسبب الصراع الـذي قام بينه وبين امراء المماليك عزل بسببها وأعيد الى الحكم ثلاث مرات .

وكان بنو رسـول يوثقـون علاقتهم مـع اشراف مكـة حين تضعف مـع المماليك ، كمناورة سياسية لشغل المـماليك بـالحجاز ، الـذي كان المـماليك يهتمون به وفيه الحرمان الشريفان ، اكثر من اهتمامهم باليمن ، لبعده وطبيعة ارضه ووعورة مسالكه ، كما أقام بنو رسول عـلاقات وديـة مع مختلف الـدول الأفريقية والآسيـوية ، الأمـر الذي انعش التجـارة في اليمن وفي البلدان التي تبادلت معها التجارة ، وبفضل الرعاية الحسنة التي كان التجار الأجانب يلقونها في الموانىء اليمنية وبفضل حراسة السفن التجارية في عرض البحر الأحمر وبحر الهند بالتعاون مع دولة المماليك وغيرها من الدول المجاورة كما علمنا .

دولة بني طاهر

٨٥٨ ـ ٩٢٣ هـ

١٤٥٥ ـ ١٥١٨ م

(آل طاهر)[1] في الأرجح يمنيون ، من بلاد جبن قضاء رداع لواء البيضاء ، وليسوا قرشيين أمويين ، ولا من قبيلة القرشية التهامية كما ذهب الى كلا القولين بعض المؤرخين .

وكما استولى (بنو رسول) على الحكم في اليمن من الأيوبيين بعد ان كان الرسوليون نواباً وعمالاً لهم. كذلك استولى (بنو طاهر) على الحكم في اليمن من (بني رسول) بعد ان كان الطاهريون نواباً وعمالاً للرسوليين ، واضطلعوا بمهام هامة ادارية وعسكرية للدولة الرسولية في آخر عهدها ، ومنها :

١ ـ نيابتهم لبني رسول في العديد من المناطق ومنها لحج وعدن وبلاد رداع وغيرها .

٢ ـ حربهم للأئمة الزيدية كالإمام (علي بن صلاح الدين) نيابة عن بني رسول في منطقة رداع التي كانت تعتبر خط الدفاع الامامي ضد التوسع الإمامي فيها وفي المناطق المجاورة لها كبلاد ذمار وغيرها ، وكان الأئمة منذ دبّ الضعف في الدولة الرسولية قد شددوا هجماتهم عليها في الكثير من مناطق نفوذها وحتى تهامة ، ولولا انقسام الزيدية فيما بينهم لبسطوا نفوذهم في نهاية الدولة الرسولية على مناطق أوسع في اليمن .

---

(١) الدكتور محمد عبد العال أحمد في كتابه (بنو رسول وبنو طاهر) ص ٢٤٦ .

٣ ـ انتهاز بني طاهر للحرب القائمة بين الملك المسعود والملك المظفر الأخير الرسوليين ، وقيام بني طاهر بمساندة هذا خلال حكمه وبعد استقالته .

ثم حربهم للملك المؤيد آخر ملوك بني رسول والقبض عليه في عدن واستيلاؤ هم عليها ، في الثالث والعشرين من شهر رجب من عام (٨٥٨ هـ) وكان[٢] ذلك بداية حكمهم .

المجاهد علي والظافر عامر ابنا طاهر

وقد حدد الملكان (المجاهد علي) و(الظافر عامر) ابنا طاهر بن معوضة اقامته في احدى دور الإمارة في عدن واجريا له ولمن معه النفقات اللازمة ، بعد ان شريا منه ما معه من طبلخانات واسلحة وخيل وغيرها ، ثم تسامحوا معه في خروجه من عدن ، ولم يقبضوا عليه في زبيد حينما بسطوا نفوذهم عليها ، وأطلقوا حريته للخروج من اليمن كما سنعلم،وأول ما عرف بنو طاهر كمشايخ ورؤساء محليين منذ وفد الشيخ معوضة بن تاج الدين (جد آل طاهر) على الملك (الناصر) الرسولي الذي اكرم وفادته ، ومنذ وفد الشيخ طاهر بن معوضة ايضاً على الملك الرسولي (لظاهر) الذي عمق صلته به بالتزوج بأخته وذلك في عام (٨٣٥ هـ) كما علمنا كل ذلك في فصل بني رسول .

وقد اهتم بنو طاهر في سبيل استيلائهم على الحكم بمدينة عدن أولاً ، وذلك للإستعانة بمواردها المالية لتحقيق ذلك ، ثم بمدينة زبيد للقضاء على المماليك الذين تمركزوا فيها وصاروا في آخر الدولة الرسولية يعبثون ويفسدون ويقيمون ملكاً ويخلعون ملكاً كما عرفنا ، ثم ببسط نفوذهم على تهامة لإخضاع القبيلتين الرئيسيتين فيها وهما (المعازبة) (الزرانيق) والقرشية اللتين عانت الدولة الرسولية من تكرر فسادهما الأمرين .

---

(٢) الديبع الشيباني في تأريخه (بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد) ص ١٢١ .

وقد بدأت دولة بني طاهر بالملك (شمس الدين المجاهد علي بن طـاهر ابن معوضة بن تاج الدين) يساعده أخوه الملك الظافـر (عامـر بن طاهـر بن معوضة) .

وقد دخل الملك المجاهد عدن أولاً مع عدد قليل من عسكره ليـلاً ، بأن تسوروا السور مما يلي جبل التعكر في عدن ، وهبطوا الى داخلها بـالحبال بمسـاعدة(آل احمـد) احد فـرعي قبيلة يـافـع ، وذلـك ليلة الجمعـة الثـالث والعشرين من شهر رجَب من العام المذكـور (٨٥٨ هـ) ، وفي صبيحة تلك الليلة فتحوا للملك عامر بن طاهر وبقية عسكرهم باب عدن وقبضوا فيها على الملك المؤيد الرسولي آخر ملوك بني رسول كما قبضوا حصون عدن ورتبوا فيها من قبلهم .

وقد لخص الدكتور (محمد عبد العال احمد) في كتابه (بنو رسـول وبنو طاهر) قضية المساندة التي قدمها (آل أحمد) اليافعيون والثمن الذي تقاضـوه من بني طاهر مقابل ذلك فقال :

« كانت غالبية قبيلتي آل احمد وآل كلد اليافعيتين تنزل عدن ، وقد بلغ التنافس والتنازع فيما بينهما اقصاه في أواخر عهد دولة بني رسول ، فأدى ذلـك الى انعدام الأمن ، وشيوع الفتنة والاضطراب في عـدن » ، وأضاف قـائلاً : « وكان آل كلد يسيطرون على المدينة من داخلها ، وينتشرون في احيائها ، في حين كانت سيطرة آل احمد عـلى حصون المـدينة وأسـوارها فلمّا تفـوق آل كلد عليهم وغلبوهم على امرهم ، استغلوا الحصار الذي فرضـه الطاهـريون عـلى عـدن سنة (٨٥٨ هـ) وعمـدوا الى الإتصال بهم ، وعـرضوا عليهم تقـديم ضروب العون والمساعدة تسهيلاً لمهمة الاستيلاء على عدن لقاء التعهـد برفـع منزلتهم وطرد آل كلد من عدن بعد استيلاء بني طاهر على المدينة .

وتنفيذاً لهذا الاتفاق انطلق المجـاهد عـلي بن طاهـر مع زعـماء آل احمد فأدخلوه عدن مع جمع من عسكره من سور الجبال ليلة الثالث والعشـرين من

شهر رجب سنة ٨٥٨ هـ ١٩/ يوليو / تموز ١٤٥٤ م ، وما ان تمّ لبني طاهر ذلك حتى دقوا الطبول ليلاً ، ورددوا صيحتهم بالنصر للمشايخ بني طاهر ، فلّما سمع آل كلد ذلك ايقنوا بالهلاك وتركوا بيوتهم وقضوا الليل خارجها حائرين . فلمّا ادركهم الصباح فتحت ابواب عدن ودخل الظافر عامر بن طاهر مع باقي عسكره واعلن الأمان لأهلها ، باستثناء آل كلد فقد أمهلهم ثلاثة أيام للرحيل من عدن ، وتحل بعدها دماؤ هم ، فتفرق آل كلد شذر مذر، منهم من خرج الى زيلع ، والى بربرة والى سائر بر العجم ، وخرج غالبيتهم الى الشحر عسى ان تواتيهم الفرصة لينتقموا لأنفسهم من بني طاهر ، وفي الشحر التف من وصلها من آل كلد حول صاحبها (أبي دجانة محمد بن سعيد بن فارس الكندي) ودخلوا في خدمته ، واكتسبوا ثقته ، ثم اخذوا يغرونه بغزو عدن ، وكان ما سيأتي ذكره من غزوه الفاشل لعدن وقبض بني طاهر عليه والاستيلاء على ملكه » .

أمّا استيلاء بني طاهر على مدينة زبيد المحط الثاني في رحلتهم الشاقة لتوطيد حكمهم في اليمن فقد دبر الملك المجاهد الحيلة الآتية للاستيلاء عليها سلماً بدون حرب ، وهي بأن أخرج من زبيد الأمير زين الدين جياش بن سليمان السنبلي وذويه وكانوا نحو الثلاثين شخصاً مطرودين في ظاهر الأمر ، كوسيلة لوصولهم زبيد للتعرف على احوال المماليك فيها ، والعمل والتمهيد لاستيلاء المجاهد عليها دون اراقة دماء .

ولّما وصل[٣] السنبلي مدينة موزع راسل مماليك زبيد ليأذنوا له في دخول زبيد ، فرضي بعضهم وكره البعض ، وممن رضي (يوسف بن القلقل) وهو طاغيتهم يومئذٍ فأدخله زبيد على كره من بعضهم ، وأظهر السنبلي للمماليك النصح والإخلاص حتى وقف على اسرارهم وسرائرهم ، وكان يراسل الملك المجاهد ويطلعه على اخبارهم وحقيقة أحوالهم ، ويؤكد له انحلال معنوياتهم وضعف شوكتهم ، واختلافهم فيما بينهم ، وكان المجاهد يحثه على توسيع شقة

---

(٣) الديبع الشيباني في تاريخه (بغية المستفيد في اخبار مدينة زبيد) ص ١٢٢ .

الخلاف بينهم ، ففعل السنبلي ذلك حتى انقسموا على انفسهم .

ثم استحلف للملك المجاهد الطاهري من اطمئن الى ولائه له منهم ، وبعث اليه يعلمه بذلك ويستحثّه على المبادرة الى زبيد ، وعزز رسالته برسائل جماعة من كبراء زبيد وقضاتها وعلمائها . فتحرك الملك المجاهد من عدن الى بلدة (جبن) لإكمال استعداده ، وذلك في الثالث من شهر شوال من عام ٨٥٩ هـ ومنها تقدم نحو زبيد ، ولمّا كان في تعز وفدت عليه قبيلة القرشية التهامية تعلن لهولاءها وتعرض عليه خدماتها ، وقد احسن استقبالها ، قال الديبع[٤] : « وكانوا في غاية الكثرة واجتماع الكلمة » .

ووصل الملك المجاهد مدينة موزع في شهر ذي القعدة من العام المذكور (٨٥٩ هـ) وأقام فيها الى قبيل عيد الأضحى من نفس العام ، التف حوله خلال اقامته فيها كثير من اليمنيين من تهامة وغيرها ، ومنهم الشيخ عيسى بن عمر التالبي صاحب الحديدة الذي طلبه الملك المجاهد وارسله الى بيت الفقيه ابن عجيل لإرساء قواعد الحكم فيها لآل طاهر ، ثم انتقل الى مدينة حيس حيث قضى فيها يوم عيد الأضحى .

وفي اليوم التالي له الحادي عشر من شهر ذي الحجة من العام المذكور غادرها نحو زبيد ودخلها دون سفك دماء ، وبعد ان غادرها من لم يعلن ولاءه للملك المجاهد من المماليك .

أمّا الملك[٥] المؤيد الرسولي آخر ملوك بني رسول والذي كان في زبيد يوم دخول الملك المجاهد الطاهري اليها فإنه لجأ ببيت الشيخ الغزالي فيها ، ثم غادر اليمن الى مكة ومنها الى مصر حيث أحسن الملك المملوكي في مصر (اينال الأجرود) استقباله ، ورتّب له مرتباً يقوم بكفايته بمكة التي عاد اليها واستقر بها الى موته .

---

(٤) نفس المصدر ص ١٢٣ .

(٥) بغية المستفيد ص ١٢٦ .

ومن غريب الاتفاق ان الملك المؤيد الرسولي كان في كل من مدينتي عدن وزبيد عند استيلاء الملك المجاهد الطاهري عليهما ، وكان في زبيد قد خُطِب يوم الخميس للمؤيد في خطبة عيد الأضحى ، وخُطِب فيهما في اليوم التالي للمجاهد في خطبة الجمعة ، وبالرغم من ذلك فإنّ الملك المجاهد لم يسىء الى المؤيد ، بل تركه يخرج من عدن ويخرج من زبيد ، الأمر الذي يدلنا على أنّ بني طاهر كانوا غير ميّالين الى سفك الدماء .

وأما المهمة الثالثة من أولى مهام الدولة الطاهرية في سبيل توطيد حكمهم في اليمن (بعد الاستيلاء على عدن وزبيد والقضاء على نفوذ مماليك زبيد) فهي اخضاع قبيلتي المعازبة (الزرانيق) والقرشية ، ووضع حد لتمردهما وعبثهما في المنطقة .

ولما كانت قبيلة القرشية قد أُوفدت الى الملك المجاهد الى تعز عدداً من زعمائهاوأفرادها وأعلنوا لهولاءهم وساندوه في الاستيلاء على زبيد فإنّ آل طاهر ركزوا أولاً على قمع قبيلة المعازبة فجندوا لغزوها عقب استيلاء الملك المجاهد على زبيد وأوقعوا بها وقتلوا عدداً من زعمائها ، وما زالت قوات الطاهريين تتعقبهم ، حتى اذلتهم وكسرت شوكتهم ، قال في المصدر[٦] المذكور : « واعلم ان الملوك بني طاهر مدة ولايتهم ادامها الله تعالى في كل سنة يجعلون مخرجاً الى المدني نخل المعازبة سواء كان المعازية مخالفين أو موالفين ، ويقطعون ثمره ، وربما قطعوا بعض أصولها في بعض السنوات ، فلا نشتغل به في التأريخ ، إذ ليس فيه فائدة أكثر من العلم به اللهم إلا أن تتعلق بفائدة أخرى فنذكره لها ، وفائدة قطعه في كل عام اذلالهم وتوطينهم ، وإضعاف شوكتهم » .

كما كانت[٧] للدولة الطاهرية منذ بداية عام (٨٦١ هـ) عدة غزوات الى

---

(٦) بغية المستفيد ص ١٢٥ .

(٧) نفس المصدر ص ١٢٧ .

بلاد القرشية في سبيل اخضاعها كذلك وكسر شوكتها ومنع تمردها وعصيانها .

امتداد نفوذ الدولة الطاهرية الى الشحر

علمنا[٨] ان (آل كلد) احد فرعي قبيلة يافع الذين كانوا متمركزين في عدن أُبعِدوا منها عقب استيلاء بني طاهر عليها ، وأنهم تفرقوا في انحاء كثيرة داخل اليمن وخارجه ، ولجأ كثير منهم الى الشحر المنطقة الساحلية لحضرموت ، ودخلوا في خدمة سلطانها (أبي دجانة محمد بن سعد بن فارس الكندي) وحسّنوا له الاستيلاء على عدن كوسيلة للإنتقام من بني طاهر ، وقام (أبو دجانة) فعلاً بغزوها وذلك في شهر ربيع الأول من عام (٨٦١ هـ) ولكن عاملها لآل طاهر كان قد علم قبل تحرك أبي دجانة بعزمه على غزو عدن ، فأخذ أهبته للدفاع عنها ، وأرسل الى الملك المجاهد يعلمه بالأمر ويحثه على المبادرة اليها ، واستطاع ان يصد أبا دجانة عنها ، وصادف[٩] مع ذلك أن عصفت امواج عاتية بمراكبه الى سواحل عدن ، ونبذت مركب أبي دجانة الى ساحل المُكسر (خور مكسر حالياً) ، فأسرع الملك الظافر (عامر بن طاهر) الى عدن وخرج من فوره على رأس قواته وقبض على أبي دجانة وعدد من كبار رجاله وفيهم من زعماء قبيلة كلد اليافعية وادخل ابا دجانة عدن واركبه جملاً وطاف به في بعض شوارعها تشهيراً به ثم اعتقله وأعدم عدداً من الكلديين وغيرهم ، وظل أبو دجانة في معتقله بعدن حتى قدمت الى عدن والدته وسعت في الإفراج عنه مقابل تنازله عن سلطنة (الشحر) لآل طاهر .

ولما تم لآل طاهر الاستيلاء على بلاد الشحر وتولية الأمير زين الدين جياش بن سليمان السنبلي[١٠] عليهاأفرجواعن أبي دجانة وفقد بتهوره ملكه ، وكان استيلاء آل طاهر على الشحر في عام (٨٦٣ هـ) .

---

(٨) بنو رسول وبنو طاهر من ص ٢٨٧ .

(٩) بغية المستفيد ص ١٢٨ .

(١٠) نفس المصدر ص ١٣٦ .

هذا[١١] ومنذ عام (٨٦٤ هـ) أبدل اسم الملك الظافر عامر بن طاهر باسم اخيه الملك المجاهد علي بن طاهر في الخطبة والسكة ويعتقد[١٢] بعض المؤرخين أنّ الدعوة للملك عامر في الخطبة وضرب اسمه في السكة منذ استولى هو واخوه على الحكم في اليمن من بني رسول وهو أي الظافر الأصغر سناً من أخيه المجاهد ربما كان لأنه أي الملك الظافر عامر كان صاحب الفكرة في الاستيلاء على الحكم .

ولأنَّ له أي الملك عامر فيما يعتقد ايضاً الدور الأكبر في التمهيد لذلك ، وفي حروبه للإجهاز على الدولة الرسولية ، وإلا لما برز اسمه قبل اسم اخيه وهو الأصغر سناً منه ولمدة ست سنوات تقريباً منذ عام (٨٥٨ إلى ٨٦٤ هـ) ولعل إيثار الملك الظافر لأخيه الملك المجاهد ، أو تنازله عن ذكر اسمه هو قبل اسم اخيه في الخطبة والسكة كان عامل ارضاء له ، لأنه كثيراً ما اختلفا في وجهات النظر ، وكثيراً ما انكر الملك المجاهد بعض تصرفات اخيه ، وحدث ان حاول المجاهد الخروج من اليمن غاضباً من بعض تصرفات اخيه ، وحفاظاً في نفس الوقت على كيان (آل طاهر) ، ولكن كبار رجال الدولة كانوا يتدخلون للإصلاح بينهما ،وحدث ان اعادوه ذات مرة من عرض البحر وكان أي المجاهد قد ركبه مغادراً لليمن ، وتحدثت المراجع[١٣] انه في هذه المرة عاد الى مدينة عدن ، وما زال يعتزم مغادرة اليمن ، ولكن الملك الظافر ارسل على وجه السرعة من لديه من ارضى أخاه ، وثناه عما عزم عليه ، ثم أسرع هو اي الظافر الى اخيه وأخذ بخاطره واعتذر منه وارضاه .

امتداد نفوذ بني طاهر الى ذمار فصنعاء

استولى[١٤] (آل طاهر) على مدينة ذمار في شهر رجب من عام (٨٦٥

---

(١١) الديبع الشيباني في تأريخه (بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد) ص ١٢٩ .

(١٢) و(١٣) الدكتور محمد عبد العال أحمد في كتابه (بنو رسول وبنو طاهر) ص ٢٥٨ .

(١٤) الديبع الشيباني في تأريخه (بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد) ص ١٣١ . والكبسي في اللطائف السنية (مخطوط) .

هـ) ودخلها الملك المجاهد علي بن طاهر بعد ان خرج منها الإمام (الناصر بن محمد) .

وقد استطاع الإمام الناصر المذكور ان يستعيدها في عام (٨٦٦ هـ) بعد ان اخرج منها عامل آل طاهر عليها ولكن الملك عامر بن طاهر ما ان علم بالأمر لدى رجوعه من الشحر في نفس العام حتى اسرع بقواته اليها واستولى عليها ، بعد ان اخرج الإمام الناصر بن محمد المذكور منها ، ثم استولى على حصن هران الذي كان الإمام قد لجأ اليه ثم واصل الملك الظافر عامر تقدمه نحو صنعاء وضرب نطاقاً شديداً عليها أضعف أهلها عن الصمود وأعجز الأمير (المؤيد) ابن الإمام الناصر المذكور عن المقاومة ، واضطره الى مصالحة الملك الظافر على تسليم صنعاء مقابل مال دفعه اليه الملك الظافر ، ومقابل أن يبقى الأمير المؤيد في قصره بصنعاء ليس له من الأمر شيء ، وأن يبقي لأصحابه وفي مقدمتهم (محمد بن عيسى بن شارب) حصن ذي مرمر وحصناً آخر في المنطقة ، وعقد الاتفاق بينهما على ذلك ، ودخل الملك الظافر صنعاء بموجبه ، ثم ولى الملك الظافر عليها (محمد بن عيسى البعداني) وغادرها هو الى بلاده في جبن رداع ثم الى عدن .

مقتل الملك الظافر عامر بن طاهر

وقد[١٥] ظلت صنعاء تحت نفوذ آل طاهر من عام استيلائهم عليها (٨٦٦ هـ) الى عام (٨٦٩ هـ) وفي هذا العام استطاع الإمام (الناصر بن محمد) ان يستعيدها بمساعدة أهلها الذين انتهزوا فرصة خروج عاملها لبني طاهر البعداني المذكور الى بعض أعمالها ، ووثبوا على القصر واخرجوا منه حامية بني طاهر فيه واستولوا عليها ، ومكنوا الإمام الناصر من الدخول اليها وحكمها .

---

(١٥) الديبع في (بغية المستفيد) ص ١٣٧ .

وقد أسرع الملك الظافر بقوة كبيرة لاستعادتها ، ولكنه تمّ الاتفاق بينه وبين الإمام الناصر المذكور على تخلي آل طاهر عن حكمها مباشرة ويبقى الإمام فيها موالياً لهم ، وان يدفع لهم لتأكيد ولائه لهم مالاً معلوماً كل عام ، وعاد الملك الظافر عنها بعد عقد الإتفاق الخاص بذلك .

وفي شهر ذي القعدة من عا م (٨٧٠ هـ) تحرك الملك الظافر عامر بن طاهر نحو صنعاء بقواته تلبية لطلب أهلها مكيدة للقضاءعليه ، ولإقناط آل طاهر من كل محاولة للعودة اليها أو بسط نفوذهم عليها ، ولما دنا الملك الظافر بجيشه منها فاجأه الأمير (محمد بن عيسى بن شارب) وهو غير متهيىء للقتال ، فانهزم عسكره ، ونهبت احماله ، وقاتل هو وعدد قليل من عسكره حتى قتل .

هذه رواية (الديبع) في تأريخه (بغية المستفيد)[١٦] .

أمّا (الكبسي) في تأريخه (اللطائف السنية)[١٧] فقد خالفه في بعض التفاصيل ، وفصّل الحادث بشكل مغاير بعض الشيء فقال : « وفي سنة ٨٦٩ هـ) سولت لعامر بن طاهر نفسه نقض ما انبرم بينه وبين ابن الناصر ، وأنّ وقوفه في صنعاء مفسدة لا يؤمن منه استعادتها لنفسه ، وانّ الرأي انزاله الى تعز ، فكتب الى عامله بصنعاء وهو النقيب (محمد بن عيسى البعداني) وقال لبعض خواصه : « اخبر السيد المؤيد لما اسير بطلب السلطان له ، وأمهله أياماً ليتأهب للسير ، فخاف السيد المؤيد انه اذا وصل تعز حبسه وخلده هناك ، وكان حصن ذي مرمر في يد أصحابه وفيه خادمه(محمدبن عيسىبن شارب) ، فأرسل اليه المؤيد يستغيثه في خلاصه ، فوصله شارب الى صنعاء ، وكان من التيسير أنّ عامل صنعاء خرج منها يستخلص الحقوق ، وفرغت صنعاء من كثير من الجند ، ولم يكن قصد شارب عند وصوله إلا الفرار بسيده من صنعاء ، فلمّا استخرجه وأركبه متوجهاً به الى ذي مرمر انتشر الخبر في المدينة ،فجاءهما أهل

---

(١٦) ص ١٣٨ .

(١٧) مخطوط .

صنعاء يهرعون، وقالوا لشارب : لا يخرج المؤيد ونحن معكما على جند بني طاهر ، ثم انهالوا على بيت أبي الكراز احد خواص عامر والذي سعى في تسليم صنعاء اليه وكسروا بابها وانتهبوا ما فيها ، وكان فيها اموال عظيمة للكّراز ولعامر فما تم نهب بيت الكراز إلا وقد اجتمع أهل صنعاء بأسرهم ، وقصدوا القصر ، فطلب المرتب الذي فيه الرفاقة من أهل صنعاء فأخرجوهم مرفقين ، ومنذ ذلك الوقت ثبتت يد ابن الناصر على صنعاء ، فلمّا وصل الخبر الى عامر بن طاهر باستيلاء ابن الناصر على صنعاء قام وقعد ، وكرّر الغارات عليها .

فلمّا دخلت سبعين وثمانمائة وصل السلطان بجيوش لا تحصى ، والوى على صنعاء من كل جهة ، وكانت غزوته تلك من عدن ابين فوصل قاع صنعاء على حين غفلة من أهلها ، وحين وصوله وشارب في جهة ثلا وحضور لاستخلاص الحقوق ، فأرسل ابن الناصر يحثه على الغارة ، فأغار سريعاً والذين معه لا يعلمون بالمحطة على صنعاء ، فلمّا اشرفوا على القاع رأوا ما هالهم ، وقد انتشر الجند شبه الجراد ، فأحجم بعض اصحاب شارب ، وغدا شارب في بعض الخيل على المحطة وهم عشرون فارساً وكانت المحطة عظيمة لا يحصى عددها وخيلها وسلاحها واموالها ، وفي وقت حملة شارب على المحطة كان باب صنعاء مغلقاً ، فأقبل أهل صنعاء الى ابن الناصر وقالوا له : افتح لنا نغير على شارب ، فأرواحنا على روحه صدقة ، ولا ننسى ما فعله معنا ، واسترجاعه صنعاء ، فأعطاهم المفاتيح ، فخرجوا على محطة عامر وأخذوا أكثر جمالها وجاء من أخبر السلطان عامر ان الجمال قد دخلت صنعاء مطموعة مغنومة ، فركب وقاتل حتى سقط ميتاً ، وقيل مات غيظاً ، وقيل اصابه سهم غريب ، وعلى الجملة فلا يعلم سبب قتله في تلك الحال ، فلمّا قتل فشل اجناده وذلوا فخرج بقية أهل صنعاء وقتلوا ونهبوا ، وتفرق جند عامر وانهزموا لا يلوون على شيء » . وأضاف الكبسي قوله : « وبعد مقتل السلطان عامر تفرد بالملك الملك المجاهد (علي بن طاهر) وأعرض عن الفتن واقتصر على بلاده وبلاد أخيه عامر ، وترك بلاد الزيدية ومقاتلتهم ، وأحسن السياسة وتدبير

المملكة وبناء المساجد والمرابط ، وعوّد العوائد وأعطى العطايا المستكثرة » .

هذا وقد عبّر المؤرخ الكبسي بالإضافة التي اضافها بعد سرد الحادث الذي ادى الى مقتل الملك عامر بن طاهر عن رأي ائمة الزيدية بأنّ القسم الأعلى من اليمن خاص بهم ومنطقة نفوذ لهم ، كما أعرب عن اقتناعهم بأنه لا سبيل آنذاك لحكمهم اليمن الأسفل وتهامة ، وهذا هو ما كان واقعاً بالفعل ، فحكمهم في اليمن الأسفل وتهامة لم يحدث إلا في فترة قصيرة من حكم الإمام شرف الدين ، بعد استعانته بالمماليك ضد آل طاهر ، ولم يبسط نفوذه فيهما مع ذلك الا في بداية حكم الأتراك الذي قام على انقاض حكم المماليك يسانده اليمنيون من ابناء المنطقتين في القضاء على نفوذ المماليك فالأتراك فيهما وفي غيرهما كما سيأتي تفصيل ذلك في موضعه من هذا الكتاب ، ثم تمكن الأئمة بيت القاسم في فترة حكمهم من بسط نفوذهم على اليمن الأسفل وتهامة بفضل مساعدة ابنائهما ومساندتهم له في حرب مقدسة شنها اليمنيون لإخراج الأتراك الذين خلفوا المماليك في اليمن .

ولقد واجه الملك المجاهد (علي بن طاهر) بعد مقتل اخيه (عامر بن طاهر) متاعب كثيرة بسبب الثورات والتمردات التي اعتادتها قبائل تهامة وقبائل المخلاف (مخلاف جعفر) كلما حسبت الفرصة سانحة لها للتخلص من الحكم القائم ، كما كان حالها في عهد بني رسول قبل ذلك .

ولكن الملك المجاهد استطاع بصبره وجلده ان يعيد الأمور في دولته الى ما كانت عليه قبل مقتل أخيه ، ما عدا صنعاء فإنها ظلت في حوزة الأشراف حتى استعادها الملك عامر بن عبد الوهاب آل طاهر ، وقد قتل على أبوابها ولكن على يد المماليك كما سيأتي ، وبذلك يكون أول ملك هو (عامر بن طاهر) وآخر ملك من مملكة بني طاهر هو (عامر عبد الوهاب) قد قتل على ابواب صنعاء .

ومن[١٨] تلك القبائل التي تحركت للخلاف على الدولة الطاهرية بعد

(١٨) الديبع في (بغية المستفيد) ص ١٣٩ .

مقتل الملك (عامر بن طاهر) في تهامة قبيلة (المعازبة)وقبيلة الزيدية وقبيلة القرشية وقبيلة الرماة وقبيلة بني حفيص من قبائل بلاد الزيدية في تهامة أيضاً وكانت الكثير منها تعود للخلاف بعد اخضاعها ، ولكن الملك المجاهد كرر غزوه لها يسانده ابن اخيه الأمير (عبد الوهاب بن داود بن طاهر) وتعقبت قواته فلولها حتى كسر شوكتها واخضعها .

كما غزا[19] بنفسه قبيلة (الجحافل) من بلاد لحج واخضعها .

وغزا[20] آل الحبيشي في بلاد حبيش يتزعمهم (ادريس بن الجلال الحبيشي) وكرر غزوه له حتى اخضعه واستولى على العديد من حصونه ومنها حصن الخضراء حصن المصينعة ، واضطره الى ان يمشي في ركابه (على حد ما جاء في المصدر) ثم قتل الشيخ ادريس الحبيشي المذكور في عدن على يد عاملها (الأمير عمر بن عبد العزيز الحبيشي) اخذاً منه بثار ابيه كما زعم وبعد ان استأذن بقتله الملك المجاهد .

الملك المنصور عبد الوهاب بن داود

وفي[21] العاشر من شهر ربيع الأخر من عام (٨٨٣ هـ) توفي الملك المجاهد (علي بن طاهر) ببلده مدينة (جبن) من اعمال رداع عن ملك دام حوالي خمسة وعشرين عاماً .

وكان في مرضه قد اسند ولاية العهد الى ابن اخيه المنصور (عبد الوهاب ابن داود بن طاهر) وأمره المجاهد بالإنتقال الى عدن فور اسناد ولاية العهد اليه ، وبعد ثلاثة أيام من انفصاله عن جبن وقبل ان يصل عدن جاءه نبأ وفاة الملك المجاهد ، واعطاء كبار رجال الدولة والجيش البيعة له ، وأخذها من

---

(١٩) نفس المصدر ص ١٤٠ .

(٢٠) نفس المصدر ص ١٤٨ .

(٢١) نفس المصدر أيضاً ص ١٥٧ .

الناس ، فواصل سيره الى عدن ، وفيها بـايعته حـاميتها وحاميات الحصـون والبلاد التابعة لها ، وبذلك استتب له الأمر ، واستقرت الأحوال ، وقد خالف عليه ابن عمه الأمير (يوسف بن عامر بن طاهر) واستعد في زبيد محل ولايته للمقاومة ، ولكن الملك المنصور تقدم لإخضاعه من عـدن واضطره الى تسليم نفسه فصفح عنه .

وقد أورد ابن[٢٢] الديبع الحادث بشيء من التفصيل فقال : « فلمّا قرب الملك المنصور من مدينة زبيد امر الشيخ يـوسف (بن عامـر بن طاهـر) عبيد السلطان وعبيد السيد (هكذا) ان يخرجوا لحراسـة البلد من خارجهـا ، فلمّا خرجوا ذهبوا الى الملك المنصور ، وقام الشيخ يحيى بن محمد بن وهبان في هذا الأمر قياماً عظيماً ، وكان باطنه مع الملك المنصور وظاهره مع الشيخ يوسف ، فلما تحقق الشيخ يوسف ذهاب العبيد الى الملك المنصور علم انه مغلوب لا محالة وانه لا طاقة له على مقابلة ابن عمه ، فخرج ليرد العبيد ، فأغلق الشيخ يحيى في وجهه الباب ، فرجع يـريد فتـح الباب فلم يفتـح له ، فتـوجه الى حصن قوارير ، وكان قد شحنه بما يحتاج اليه وكانت ليلة مظلمة فلم يجد من يـرشده الطريق فأمر الشيخ يحيى اصحاب الأبواب بالدعاء بالنصـر للملك المنصور ، ثم أشار على الشيخ يوسف بن عامر بعض خواصه بالرجوع الى طاعة ابن عمه وتسليم الأمر اليه ، فذهب اليه في محطته تلك الليلة ، فلمّا وصل الى المحطة وقيـل هذا الشيـخ يوسف ، مـاجت المحطة واضـطرب الناس ظنـاً انـه جـاء للحرب فلمّا ظهر الحال سكن الناس ، فـدخل على ابن عمه وسلم عليـه ، فعاتبه عتاباً لطيفاً ، وقابله بالإكرام والإحسان ، وأمره بالتوجه الى خيمة اخيه احمد والنوم عنده ففعل ، ودخل صحبته زبيد يوم الثلاثاء الثاني عشر من جمادي الأولى دخولاً معظماً في عساكر كثيرة من الخيل نحو خمسمائة فارس ومن الرجال مثل ذلك» ،وأضاف قائلاً : « وأمّا الشيخ يوسف فلم يطب له المقام بزبيـد ، وأشتدّ غمه ، وعظم كربه ، وتخوف من ابن عمه لما سبق منه ، فاستشفع بأخيه

---

(٢٢) الديبع الشيباني في تأريخه (بغية المستفيد في اخبار مدينة زبيد) المذكور ص ١٦٠ .

الشيخ احمد بن عامر وحمل اليه القرآن ليفسح لـه في الخروج والـذهاب حيث يشاء ، ففعل بعد امتناع شديد وحياء من الشيخ احمد لمراعاة له ، فخرج يوم الأربعاء ثاني يوم دخول الملك المنصور ، وخرج في صحبته الحاج محمد صاحب ذراع صهبان والشيخ محرم العبسي فكاد أن يفتك بهما لشدة غيظه ، فوصل الى بندر البقعة وقد اعدت له هناك سفينة فركبها يوم الخميـس رابع عشر الشهـر المذكور » . وأضاف أيضاً قائلاً : « وأمّا الشيخ يوسف بن عامر فبلغ في خروجه ذلك الى مكة في المكان الذي كان الشريف محمد بن بركات نازلاً فيه ، فواجه الشريف فأكرمه وأحسن نزله ، فلبث عنده مدة ثم رجـع الى صاحب جـازان الشريف أبي الغوير فأكرمه كذلك » ثم ذكـر انتقالـه الى بني حفيص من بلاد الزيدية من اعمال تهامة وانه نزل على الشيخ احمد بن ابي الغيث الذي اكرم نزله وزوجـه بابنتـه ، وانه اقـام في بني حفيص حتى حدث خـلافهم عـلى الملك المنصور ونزوله مع الشيخ احمد بن عامر اخي الشيخ يوسف بن عامر بقـواتها وقـامت حرب بـين بني حفص والشيخ احمـد بن عامـر الذي قاد قوات الدولة الطاهرية أسفرت عن مقتل أحمد بن عامر ، الأمر الذي أثار حفيظة أخيه الشيخ يوسف ودفعه الى أن ينحاز الى قوة الملك المنصور وأدى الى تغلب القوة على بني حفص واخضاعها ، ثم عاد الملك المنصور مع ابن عمه الشيخ يوسف بن عامر الى زبيد فتعز وقد حصل الوفاق بينهما والتأمت الجروح ، ولكن الملك المنصور اعتقل الشيخ يوسف بن عامر بعد فترة لما بلغه من عزمه على فعـل مكيدة بـه وكان القبض عليه وسجنه في أوائل عام (٨٨٥ هـ) وما يزال ينقله من سجن الى آخر قال المصدر : « حتى استقر في رداع العرش الى تأريخنا هذا »[٢٣] وقد توفي في سجن رداع في عام ٨٩٥ هـ .

من صور الماضي

أورد مثـل هذه المعلومـات التي لا تمتّ الى الناحيـة السياسيـة ، لإبعاد القـارىء بـرهـة عن الجـو السيـاسي ، ولإعـطائـه فكـرة عن بعض أوضـاع

---

(٢٣) اللطائف السنية مخطوط .

الماضي وبالقدر الذي تسمح به المصادر .

تحدث المؤرخ الديبع في تأريخه (بغية المستفيد في اخبار زبيد)[٢٤] بأنّ الملك المنصور (عبد الوهاب بن داود آل طاهر) لمّا وصل اليه الى زبيد الأميران محمد بن عيسى البعداني وسليمان بن جياش السنبلي بأموال وفيرة استحصلاها من بيت الفقيه وغيرها في تهامة تصدق الملك المنصور في زبيد منها بما ينوف على اربعين ألف اشرفي من الذهب ، وخمسة وستين ألف دينار من الفضة ،وذلك في عام (٨٨٦ هـ) وذلك مبلغ كبير في ذلك العهد ، والذهب الأشرفي منسوب الى الملك الأشرف الثاني اسماعيل بن الملك الأفضل الرسولي .

كما تحدث المؤرخ المذكور عن زيارة قام بها امير جازان للملك المنصور المذكور الى زَبيد وقال : « ولمّا علم الملك بقدومه احتفل به وارسل الى بلده للآلات السلطانية والأبهة الملوكية التي لم تكن توجد إلا في خزائنهم ، وهيّأ له الضيافات الخاصة والعامة ، وخرج لاستقباله الى ظاهر المدينة في جيوشه وأبهته ، فلما واجهه نزل عن فرسه وترجل له ، وكان هو السابق تواضعاً منه وإكراماً له ، ثم نزل الشريف وحياه واعتنقه، ثم ركب معه ، وقدمه المنصور عليه ، ثم تماشيا ساعة وافترقا ، فدخل الملك المنصور من باب سهام الذي خرج للقائه منه ، وأرسل مع الشريف (كبعثة شرف) طائفة من جنده وأمرائه الى بستان (حائط لبيق) ووقف الشريف هنالك الى العصر ، ثم دخل من باب الشبارق دخولاً معظماً ، وقابل الملك في الدار الكبير فأكرمه ، وطلب القضاة والعلماء والأمراء لحضور الضيافة ، ثم انزله بدار المعاصرة واعطاه مالاً جزيلاً ، ولم يزل عنده مجللاً محترماً الى ان طلع الملك المنصور الى تعز ،وخرج الشريف يودعه ، فلما رجع منع من دخول المدينة (كما تجري به العادة في ذلك العهد) ، ثم نزل الشريف بقرية النويدرة ، وأقام بها اياماً ، ثم توجّه الى بلدهِ

---

(٢٤) في المصدر المذكور بغية المستفيد في تأريخ زبيد ص ١٦٦ ـ ١٦٨ .

الملك عامر بن عبد الوهاب

وقد توفي الملك المنصور (عبد الوهاب بن داود بن طاهر) في اليوم السابع من شهر جمادي الأولى من عام (٨٩٤ هـ) ببلدة (جبن) من اعمال رداع ودفن بها صباح اليوم التاسع من الشهر المذكور ، وكانت وفاته عن حكم دام حوالي احد عشر عاماً وأشهراً ، وكان ولده (عامر) قد وصل الى جبن من زبيد قبيل وفاته ، فأجمع كبار رجال الدولة ورؤساء الجيش وأعيان البلاد على مبايعته خلفاً لأبيه ، وتنفيذاً لوصيته ، ولقب بالظافر صلاح الدين ووصفه عيسى بن لطف الله بن المطهر بن شرف الدين في (تأريخه)[٢٥] بقوله : « وهو أعظم اعيان اليمن سلطاناً ، وأرفعهم شأناً ، وأوسعهم بلاداً وأكثرهم اجناداً » .

ثم أقام الملك (عامر عبد الوهاب) بعد تربعه على العرش في جبن ثلاثة أيام ، غادرها بعدها الى مدينة المقرانة (في الغراس من مخلاف الرياشية ورداع) لاستقبال وفود المهنئين والمبايعين ، ولما ضاقت بهم المقرانة انتقل الى مدينة تعز ، ودخلها يوم الخميس السادس عشر من الشهر المذكور ، ومن أولى اعماله إسناد ولاية عدن الى ابن عمه الشيخ (محمد بن عبد الملك آل طاهر) .

ولقد واجه الملك عامر فور تربعه على العرش صعوبات ومتاعب تتمثل بخلاف اخواله عليه ، وبتمرد قبائل تهامة وقبائل مخلاف جعفر ، وبالعداء التقليدي من قبل الأئمة والأشراف والذين كانوا وراء الكثير من التمردات والثورات التي قامت ضده من أول يوم لحكمه ، وواجهها الملك عامر بصبر وجلد حتى تغلب عليها جميعها ، مبتدئاً بالخلاف الذى قام به أخواله داود وعبد الله ومحمد ابناء عامر الأول بن طاهر لأنه يشكل الاختلال الداخلي بالنسبة له ويحول دون حسم أي خلاف آخر داخل دولة آل طاهر أو خارج مناطق نفوذهم .

---

(٢٥) روح الروح ص ٥ . منشور وزارة الاعلام والثقافة .

يساعده في اقرار الأوضاع داخل مناطق نفوذ الدولة رغبة الأمير المؤيد ابن الإمام الناصر حاكم صنعاء بالاكتفاء بحكمها،ومنع فتح الحرب عليه ورفض العروض التي تقدم بها اليه الأشراف وانصارهم باستغلال انقسام الأسرة الحاكمة في الدولة الطاهرية ، والانقضاض والاجهاز عليها ، اشار إلى ذلك المؤرخ (السيد محمد بن اسماعيل الكبسي) في تأريخه[٢٦] بقوله : « وقد كان فزع اليه (أي الأمير المؤيد المذكور) الناس والعلماء والقضاة (من أهل صنعاء) كونه قد لاحت الفرصة باختلاف بني طاهر وتنازعهم ، وقالوا له : قد استوت لك البلاد ، فسر بنا تسترد مملكة أبيك ، فقد اشتغل عنك الخصوم بعضهم ببعض » ووصل اليه أهل ذمار الى صنعاء وقالوا له : قد أخرجنا عامل عامر عبد الوهاب على المدينة ، فأرسل من يقبضها لك ، ونحن نسير بين يديك نطوي بلاد بني طاهر : فقال لبعض خواصه : سر معهم واقبض قصر ذمار ، ولا تحدث شيئاً حتى يأتيك أمري ، فلمّا قبض قصر ذمار ارسل اليه ابن الناصر : انك تسلم ما في يدك للسلطان عامر عبد الوهاب فهي بلاده وبلاد والده فما لنا فيها رغبة » .

هذا وكان اليمن عند قيام الملك عامر بن عبد الوهاب مجزءاً على النحو الذي ذكره المؤرخ الكبسي في تأريخه بقوله : « فالتهائم واليمن الأسفل مثل تعز وعدن ولحج وأبين الى رداع تحت بسطة السلطان عامر بن عبد الوهاب ، وصنعاء ومخاليفها تحت يد (محمد بن الناصر) ، وكوكبان وما اليه تحت يد اولاد المطهر بن احمد بن سليمان ، والشرف والظواهر وصعدة متفرقة بين آل المؤيد والأشراف آل المنصور والإمام (محمد بن علي السراجي الوشلي) فأمّا بالنسبة لخلاف اخواله المذكورين آنفاً فإنهم كانوا قد استخدموا في خلافهم جنوداً من جبن ويافع وغيرهما لحربه ، كما استولوا على مدينة (جبن) وحصن جبن ، وتمركز احد الخارجين منهم وهو (عبد

---

(٢٦) اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية (مخطوط) .

الله بن عامر بن عبد الباقي آل طاهر) على المنطقة الشرقية الجنوبية والتي كان الملك (عامر بن عبد الوهاب) قد ولاه عليها ، وهدم الخا رجون المذكورون بعض قصور الإمارة في جبن ، وبعض الدار الجديدة التي بناها الملك المنصور عبد الوهاب بن داود في جبن أيضاً بعد نهبها ، كما هدموا بيوت عدد من تجار جبن بعد نهبها ، وبيوت بعض الأمراء كبيت الأمير محمد بن عيسى .

وازاء ذلك[٢٧] الخلاف الخطير الذي احدث الانقسام في الأسرة الحاكمة ، فإنّ الملك عامر بن عبد الوهاب حشد قواته وزحف بها نحو الخارجين عليه ، وقامت حروب بين الجانبين ذهب ضحيتها الكثير من اليمنيين منهما معاً ، وأسفرت أثناءها وقبل ان تحسم الأمور لصالح الملك عامر بن عبد الوهاب عن وقوع الأمير (داود بن احمد بن عامر) في أسر الملك ، وعن فرار (عبد الله بن عامر) آنف الذكر الى محل ولايته في المنطقة الشرقية وتحصنه ببعض حصونها .

واستمرت الفتنة مع ذلك قائمة بين الملك وبقية الخارجين عليه من أسرته ، وكانت والدة الأميرين المعتقلين منذ عهد المنصور (عبد الوهاب ابن داود) وهما يوسف وابراهيم ابنا عامر وراء حركة الخارجين ، تثيرهم ضد الملك عامر بن عبد الوهاب ، وتدفعهم الى الاستمرار في حربه ، وتعددت ساحات القتال وميادين الحرب بين الملك عامر والخارجين عليه من اسرته في بلاد جبن وبلاد اب وفي المنطقة الشرقية وغيرها من مناطق الجنوب كعدن ولحج وغيرهما وتحصن الخارجون في عدة حصون ، كما لجأ بعضهم الى موضع (الرباعيتين) من بلاد جبن ، وكان مهجراً يأمن فيه الخائف على نفسه وماله ، فكانوا يغزون منه لحرب الملك ثم يفيئون اليه ، ولكن الملك عامر اخذ من أهل المحل المذكور عدة جماعات من عدة قبل لئلا يجيرونهم وليطرح عليهم المبرر لغزو الخارجين الى المحل المذكور فيما

---

(٢٧) الديبع في (بغية المستفيد) ص ١٥٩ .

يبدو .

ثم فاجأهم وسجل عليهم نصراً حاسماً ، وقتل عدداً منهم وأسر عدداً آخر ، ومنهم الشيخ داود بن علي بن تاج الدين آل طاهر ، والشيخ[٢٨] محمد بن عباس بن علي بن الحسام الزاهر صاحب مخلاف الشوافي خال الأمير يوسف بن عامر ، كما صادر الملك اموال الخا رجين عليه وأذمّ على كل من كان في حصن جبن بعد سقوطه إلا والدة الأمير يوسف بن عامر فإنّ الملك اعتقلها لديه ، وكان الملك قد وصل اثناء تلك الفتنة الى مدينة اب تلبية لدعوة أهلها وأهل جبل بعدان المطل عليها والذين بعثوا اليه القاضي العلامة عبد العليم بن علي البريهي ، وذلك لوضع حد للإضطرابات القائمة في المنطقة .

وكان سقوط حصن جبن في شهر جمادي الأولى من عام ٨٩٥ هـ وكان هو اهم معقل للخارجين . وبذلك استقرت الأحوال وسكنت الأمور ، عزز من ذلك قبض الملك عامر على بقية الخارجين المتحصنين في حصن البيضاءبعد سقوطه أيضاً وهو الحصن المعروف بحصن شمر جناح ، ثم قبض الملك على آخر الخارجين عليه من أسرته وهو الشيخ محمد بن عامر في جبل جحاف من بلاد الضالع في المنطقة الجنوبية ،. وسقط بسقوط حصن شمر جحاف سائر الحصون التي كانت ما تزال ممتنعة على الدولة الطاهرية في بلاد رداع وغيرها ، ومن ثمة إتجه الملك عامر بن عبد الوهاب للخارجين من خارج اسرته كقبائل تهامة التي استغلت اشتغاله بحروبه مع اسرته فقطعت الطرق وأخذت الأموال ونهبت القرى ، فحشد جيشاً عظيماً وأرسله لإخضاعهم وذلك بقيادة ابن عمه الأمير (محمد بن عبد الملك بن داود) ، وشيخ الإسلام (يوسف بن يونس الجبابي) المعروف بالمقري ، والأمير جمال الدين (محمد[٢٩] بن محمد النظاري) ،

(٢٨) لهذا الحسام الزاهر في قرية الدنوة في مخلاف الشوافي المذكور مسجد صغير بالقرب من مسجد الفقيه سعيد .

(٢٩) ولهذا مسجد رائع في اب عليه اسمه في عتبتها وهو باسفل سفح جبل بعدان يعرف باسم مسجد المشنّة .

فقضوا على كل تمرد في تهامة وأمنوا سبلها وقرروا قواعدها .

استيلاء الملك عامر بن عبد الوهاب على مدينة ذمار فصنعاء

ثم اخذ الملك عامر بن عبد الوهاب في التوسع خارج منطقة نفوذ الدولة الطاهرية في اليمن ، مبتدئاً باستعادة مدينة ذمار التي كانت تعتبر مفتاح البلاد الواقعة تحت نفوذ الأئمة آنذاك ، فغزا ذمار بنفسه ، وذلك في شهر ذي القعدة من عام ٨٩٥ هـ ، اي انه جهز لإقرار الأمور في تهامة ولاستعادة ذمار قبل سقوط آخر معقل للخارجين عليه من اسرته ، وهو حصن شمر جناح في البيضاء والذي سقط بيد الدولة الطاهرية في عام (٨٩٨ هـ) .

وقد استولى الملك عامر بن عبد الوهاب على مدينة ذمار بعد حصار لها دام اثني عشر يوماً ، وذلك باقتحامها من بعض جوانب سورها بعد تهديمه ، ثم أذمّ على أهلهاشريطة ان يهدموا بقية[٣٠] سورها، وقبض على كثير من حاميتها من قبل الإمام (محمد بن علي السراجي الوشلي) ، وأقام فيها أياماً قرر أثناءها قواعد بلادها ثم عاد الى بلاده ومنها الى تعز ، ثم صار يتنقل بين مختلف المدن الخاضعة لدولته لتوطيد حكمه فيها والقضاء على مناوئيه حتى عام (٩١٠ هـ) .

وكان مع ذلك يعمل على اعداد عدته للاستيلاء على صنعاء .

وفي العام المذكور ٩١٠ هـ تحرك نحوها على رأس جيش كبير قال عنه المؤرخ (عيسى[٣١] بن لطف الله بن المطهر بن شرف الدين) بأنه

---

(٣٠) لم يبق لمدينة ذمار سور الى اليوم

(٣١) في تاريخه (روح الروح) ص ١٠ . والسيد محمد بن اسماعيل الكبسي في (اللطائف السنية) (مخطوط) .

يزيد على مائة الف وتسعين الفاً فيه ثلاثة آلاف من الفرسان ، ولمّا دنا من صنعاء ضرب عليها نطاقاً شديداً من الحصار استمر من السابع والعشرين من ربيع الآخر الى السابع من شوال من نفس العام ، واضطر الإمام احمد بن الناصر الى الاستسلام وتسليم صنعاء ، وكان الإمام المذكور قد خلف اخاه الإمام المؤيد بن الناصر بعد موته الذي حدث في رجب من عام ٩٠٨ هـ وكانت بين هذا الإمام وبين الملك عامر عبد الوهاب مودة ووئام ، لم يغز الملك عامر صنعاء بسببها طيلة عهد الإمام المذكور .

كما وقع الإمام محمد بن علي الوشلي السراجي الذي جاء لمساندة الإمام احمد بن الناصر وبرفقته امير صعدة محمد بن حسين الحمزي الجوفي في اسر الملك عامر ، وتوفي في سجن صنعاء من ذي القعدة من نفس العام مسموماً[٣٢] كما ذكر . أمّا الإمام احمد بن الناصر فإنّ الملك عامر بعث به بعد استسلامه مع الأمير محمد بن عيسى بن شارب الهمداني وغيرهم بعائلاتهم الى تعز ، وحدد اقامتهم فيها ، وذكر[٣٣] أنّ معظمهم توفوا في عام ٩١٢ هـ وبالسم الذي دسه لهم الملك عامر أيضاً .

وأقام الملك عامر في صنعاء الى آخر العام المذكور قرّر اثناء ذلك قواعد صنعاء وأخضع الحصون التابعة لها ، وبسط نفوذ دولته على اعمالها ، ولم يمتنع عليه إلا حصن ذي مرمر الذي استولى عليه في عام ٩١٢ هـ ثم عاد الى تعز ، هذا وقد انفرد المؤرخان (الكبسي)[٣٤] و(عيسى بن لطف الله)[٣٥] ، دون مؤرخي (آل طاهر) كالديبع وغيره بأنّ الملك عامر كان قد سبق له بأن جهز لغزو صنعاء من ذمار في عام ٩٠٧ هـ جيشاً بقيادة الأمير علي بن محمد البعداني ، وانه انهزم في وجه

---

(٣٢) روح الروح . ص ١١ .
(٣٣) نفس المصدر ص ١٠ .
(٣٤) في اللطائف السنية المذكور .
(٣٥) في روح الروح ص ٩ .

قـوات الإمام الـوشلي الـذي جـاء لمسـانـدة أهـل صنعـاء والإمـام المؤيـد بن النـاصر ، وإن الملك عـامر انسحب من ذمـار بعـد انهزام البعـداني وعـاد الى تعز .

كما انفرد المؤرخان المذكوران بتـأريخ استيـلاء الملك عامـر على ذمـار بعـا م (٩٠٧ هـ) مخـالفـين المؤرخ الـديبـع الـذي أرّخ ذلـك بعـام (٩٠٥ هـ) .

الفهرس